سلسلة شرح متون الاعتقاد عند أئمة السلف

التعليق على
شرح السُّنة
للإمام المزني ٢٦٤هـ

أ د. محمد بن خليفة التميمي



سلسلة شرح متون الاعتقاد عند أئمة السلف

التعليق على شرح السُّنة للإمام المزني ٢٦٤هـ

أ د. محمد بن خليفة التميمي

مقدمة الشارح

الحمد لله نحمده، ونَستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيِّئات أعمالنا، مَن يَهده الله فلا مضلَّ له، ومَن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحْده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: الآية: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: الآية: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا *يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: الآيتان: ٧٠ – ٧١].

أمَّا بعدُ:

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وأحسنَ الهَدْي هدي محمدٍ، وشرَّ الأُمُور مُحدثاتها، وكلَّ مُحدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار.

فهذا التعليق على شرح السنة للإمام المزني رحمه الله، وقمت –بفضل من الله وعون– في شرح عدد من متون الاعتقاد للمتقدمين من الأئمة والعلماء من أهل السنة وكان منها:

١. شرح اعتقاد سفيان الثوري «**ت: ١٦١ هـ**».

٢. شرح اعتقاد عبد الله بن المبارك «**ت: ١٨١ هـ**».

٣. شرح اعتقاد سفيان بن عيينة «**ت:١٩٨ هـ**»

٤. شرح وصية الإمام الشافعي «**ت: ٢٠٤ هـ**».

٥. شرح اعتقاد الإمام الشافعي «**ت: ٢٠٤هـ**»

٦. الفضل والمنة في شرح أصول السنة للإمام أبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي«**ت:**

٢١٩ هـ».

٧. شرح اعتقاد بشر الحافي «**ت: ٢٢٧ هـ»**.

٨. شرح اعتقاد سحنون المالكي «**ت: ٢٤٠ هـ»**.

٩. شرح اعتقاد قتيبة بن سعيد «**ت: ٢٤٠ هـ»**.

١٠. أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل «**ت: ٢٤١ هـ»**.

١١. رسالة الإمام أحمد إلى مسدد بن مسرهد «**ت: ٢٤١ هـ»**.

١٢. شرح اعتقاد الرازيين «**أبو حاتم ت: ٢٧٧ هـ، وأبو زرعة ت: ٢٦٤ هـ»**.

١٣. شرح شرح كتاب السنة من مسائل حرب الكرماني «**ت: ٢٨٠هـ»**

١٤. شرح السنة للإمام أبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري «ت: ٣٢٩هـ».

١٥. شرح اعتقاد أهل السنة للإسماعيلي «**ت: ٣٧١هـ** »

١٦. مقدمة الرسالة لابن أبي زيد القيرواني «٣٨٦ هـ».

١٧. شرح مقدمة الجامع لابن أبي زيد القيرواني «٣٨٦ هـ»

١٨. اعتقاد أهل السنة أهل الحديث لأبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني «ت: ٤٤٩ هـ».

وهذه السلسلة المباركة من الشروح الهدف منها تقريب تلك المؤلفات لطلاب العلم المتبعين لمنهج السلف الصالح.

ولما كانت العادة جارية عند المتقدمين من علماء السلف هي ذكر المسائل مجملة دون الدخول في التفاصيل لدواعي عدة اقتضاها المقام عندهم، ولعل من أهم هذه الأسباب كون غالبهم يدون معتقده بجمل وعبارات مختصرة يبين فيها أهم مسائل الاعتقاد وما تدعو إليه الحاجة من المسائل التي كثر فيها الخلاف مع خصوم أهل السنة مراعاة للاختصار والتركيز على ما تدعو الحاجة لبيانه دون دخول في التفاصيل التي لها مقامها الخاص بها.

ولما كانت نصوص هذا الاعتقاد الذي بين أيدينا تتكون من مسائل، وكل مسألة يمكن اعتبارها بابًا من أبواب الاعتقاد لكثرة ما تحتويه من مسائل وتفاصيل دقيقة ومهمة، فإن الشرح

لها يتطلب البسط والتوسع في ذكر تفاصيل تلك المسائل بما تحتويه من تفاصيل، وهذا هو المسلك الذي سلكته في الشرح بغية الإفادة لطلاب العلم.

وقد اجتهدت وبذلت ما في وسعي في شرح هذا المتن، يبقى مع ذلك أن عملي هذا جهد البشر يعتريه النقص والخلل، فأرجو أن أكون قد أصبت بما كتبت، وإن كان الأمر على خلاف ذلك فأرجو على المطلع على ذلك الخلل والنقص أن يرشدني لذلك لعلي أستدركه، قال ابن رجب الحنبلي -رحمه الله-: "يَأبى اللَّهُ العِصمةَ لكِتابٍ غَيرِ كِتابِه، والمنصِفُ مِنِ اغتَفَرَ قَليلَ خَطَأِ المرءِ في كَثيرِ صَوابِه"[(١)]

والله أسأل أن ينفع بهذا العمل ويبارك فيه ويجعله خالصًا لله تعالى، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) تقرير القواعد وتحرير الفوائد «١/ ٥٦».

ترجمة الإمام المُزني رحمه الله

هو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن مسلم المزني المصري تلميذ الشافعي[(١)] .

والمزني بضم الميم وفتح الزاي وفي آخرها النون نسبة إلى مزينة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان واسم مزينة عمرو، وإنما سمي باسم أمه مزينة بنت كلب بن وبرة[(٢)] ومزينة هي أم القبيلة المشهورة[(٣)] .

مولده سنة خمس وسبعين ومئة [(٤)]

شيوخه:

من أشهر شيوخه: الإمام محمد بن إدريس الشافعي، وعلي بن معبد بن شداد البصري، ونعيم بن حماد، وأصبغ بن نافع.

تلاميذه:

من أشهر تلاميذه: محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، وأحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، وعثمان بن بشار الأنماطي، وزكريا بن يحيى الساجي، وأحمد بن عمير بن جوصا الدمشقي، وعبدالملك بن محمد بن عدي الجرجاني، وعبدالرحمن بن أبي حاتم الرزاي.

ثناء العلماء عليه:

قال ابن يونس في تاريخه: صاحب الشافعي كانت له عبادة وفضل، ثقة في الحديث، لا يختلف فيه حاذق من أهل الفقه وكان أحد الزهاد في الدنيا وكان من خير خلق الله عز وجل ومناقبه كثيرة[(٥)] .

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤٩٢/١٢

(٢) السمعاني: الأنساب ٢٧٧/٥

(٣) ابن العماد: شذرات الذهب ١٤٨/٢

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤٩٢/١٢

(٥) وفيات الأعيان ٢١٨/١

وقال أبو إســـحاق الشـــيرازي: كان زاهدًا عالمِا مناظرًا مِحجاجًا غواصًـــا على المعاني الدقيقة(١).

وقال عمرو بن عثمان المكي: ما رأيت أحدًا من المتعبدين في كثرة من لقيت منهم بمكة ممن هو مقيم ومن قدم علينا في المواســـم ولا فيمن لقيت بالشـــام وســـواحلها ورباطاتها والإسكندرية أشد اجتهادًا من المزني، ولا أدوم على العبادة منه، ولا رأيت أحدًا أشد تعظيمًا للعلم وأهله منه، وكان من أشد الناس على نفسه في الورع وأوسعه في ذلك على الناس، وكان يقول: أنا خُلُق من أخلاق الشافعي رحمهم الله تعالى(٢).

وقال أبو سعيد الحسن بن الحسين ابن السكري: رأيت المزني وما رأيت أعبد لله منه، ولا أتقن للفقه منه(٣).

وقال داود بن علي الظاهري: أحد نظار أصـــحابه يعني الشـــافع لا يدفعه عن ذلك منه دافع مع اعتراف أكثر مخالفيه له بذلك(٤).

وقال العبادي: كان زاهدًا عالمِا جدلًا حســـن الكلام في النظر، مرضـــي الطريقة، رشـــيد المقال، سديد الفعال(٥).

وقال ابن عبدالبر: كان فقيهًا عالمِا راجح المعرفة، جليل القدر في النظر، عارفًا بوجوه الكلام والجدل، حســـن البيان، مقدماً في مذهب الشـــافعي وقوله وحفظه وإتقانه وله على مذهب الشـــافعي كتب كثيرة لم يلحقه أحد فيها، ولقد أتعب الناس بعده .. وكان أعلم أصـحاب الشافعي بالنظر، دقيق الفهم والفطنة، انتشرت كتبه ومختصراته إلى أقطار الأرض شرقًا وغرباً وكان تقياً ورعًا دَيِّناً صبورًا على الإقلال والتقشف(٦).

(١) سير اعلام النبلاء ١٢/٤٩٣ وطبقات الفقهاء ص٧٩
(٢) مناقب الشافعي للبيهقي٢/ ٣٥٠- ٣٥١
(٣) المصدر نفسه ٢/٣٥١
(٤) المصدر نفسه ٢/٣٢٨
(٥) طبقات الشافعية ص٩
(٦) الانتفاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ص١١٠

وقال ابن الجوزي: صـــاحب الشـــافعي رحمه الله وكان فقيهًا حاذقاً، ثقة في الحديث، وله عبادة وفضل، وكان من خيار خلق الله عز وجل ملازمًا للرباط[(١)].

وقال ابن خلكان: هو إمام الشـــافعيين وأعرفهم بطرقه يعني الشـــافعي وفتاويه وما ينقله عنه[(٢)].

وقال الذهبي: الإمام العلامة فقيه المِلَّة علم الزهاد[(٣)].

وقال الســـبكي: الإمام الجليل ناصـــر المذهب، وبدر سمائه، كان جبل علم، مناظرًا، محاججًا، زاهدًا ورعًا، متقللًا من الدنيا، مجاب الدعوة[(٤)].

وقال الأسنوي: كان إمامًا ورعاً زاهدًا، مجاب الدعوة، متقللًا من الدنيا، وكان مُعظَّماً بين أصحاب الشافعي[(٥)].

إمامته في الفقه:

وصفه الذهبي بقوله: كان رأسًا في الفقه[(٦)].

قال له الشـافعي يومًا: هل لك في علم إن أصبت فيه أُجرت، وإن أخطأت لم تأثم؟ قلت أي المزني: وما هو؟ قال: الفقه: قال المزني: فلزمته وتعلمت منه الفقه ودرست عليه[(٧)].

قال له الشافعي: لتدركن زمانًا تكون أقيس أهل ذلك الزمان[(٨)].

درجته في الحديث:

---

(١) المنتظم ١٢/١٩٢

(٢) وفيات الأعيان ١/٢١٧

(٣) سير أعلام النبلاء ١٢/٤٩٢

(٤) طبقات الشافعية الكبرى ١/٢٣٨

(٥) طبقات الشافعية ١/ ٣٤

(٦) سير أعلام النبلاء ١/٤٩٣

(٧) السبكي: الطبقات ١/٢٣٨

(٨) مناقب الشافعي للبيهقي٢/١٣٦

قال ابن أبي حاتم: إسماعيل بن يحيي المزني، أبو إبراهيم المصـري روى عن الشـافعي وعلي بن معبد المصري سمعت منه وهو صدوق[١].

وقال ابن يونس وابن الجوزي: ثقة في الحديث[٢].

وقال الذهبي: وهو قليل الرواية[٣].

عقيدته:

قال محمد بن إسماعيل الترمذي: سمعت المزني يقول: لا يصـح لأحد توحيد حتى يعلم أن الله على العرش بصفاته. قلت له: مثل أي شيء؟ قال: سميع بصير، عليم قدير[٤].

وقال أبو زكريا يحي بن زكريا بن حيويه: سمعت المزني يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق[٥]

وقال أبو سعيد الفريابي: سألت المزني في مرضه الذي توفي فيه عن الإيمان؟ فذكر فيه قصة وفي آخرها قال المزني: لا خلاف بين الناس أن النبي ﷺ طاف بالبيت فقال: «إيمانًا بك، وتصديقا بكتابك، ووفاء بعهدك»[٦] وهذا دليل على أن جميع الأعمال من الإيمان[٧].

مصنفاته: إحكام القرآن[٨]، إفساد التقليد[٩]، الترغيب في العلم[١٠]، الجامع الكبير[١١]،

---

(١) الجرح والتعديل ٢/ ٢٠٤

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٩٥ والمنتظم ١٢/ ١٩٢

(٣) سير أعلام النبلاء ١٢/٤٩٣

(٤) أخرجه ابن منده في تاريخ ومن طريقه الذهبي في العلو ص١٣٥ قال العلامة الألباني في مختصـــره ص٢٠١: وفيه من لم أعرفه مثل عمرو بن تميم المكي.

(٥) البيهقي : مناقب الشافعي ٢/ ٣٥٢

(٦) ضعَّف المرفوع الحافظ في التلخيص الحبير ٢/ ٢٤٧ والألباني في حجة النبي ﷺ ص ١٤٢

(٧) مناقب الشافعي للبيهقي٢/ ٣٥٣

(٨) سير أعلام النبلاء ١٢/٥٠٠

(٩) البحر المحيط للزركشي٦/ ٢٣٢

(١٠) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٩٣ والزركشي: البحر المحيط ٦/ ٢٤٣

(١١) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٩٣

الجامع الصغير[(١)]، الدقائق والعقارب[(٢)]، المبسوط في الفروع[(٣)]، المختصر الكبير[(٤)]، مختصر المختصر[(٥)]، المسائل المعتبرة[(٦)]، معتقد أحمد بن حنبل[(٧)]، المنثورات[(٨)]، نهاية الاختصار[(٩)]، الوثائق[(١٠)]، الوسائل[(١١)]. شرح السُّنَّة وهو الذي سنتناوله بالشرح هنا.

وفاته:

قال ابن خلِّكان: وتوفي لست بقين من شهر رمضان سنة أربع وستين ومائتين بمصر، ودفن بالقرب من تربة الإمام الشافعي، رضي الله عنه، بالقرافة الصغرى بسفح المقطم، رحمه الله تعالى، وزرت قبره هناك. وذكر ابن زولاق في تاريخه الصغير أنه عاش تسعًا وثمانين سنة، وصلى عليه الربيع بن سليمان المؤذن المرادي[(١٢)].

---

(١) هدية العارفين ٥/ ٢٠٧

(٢) طبقات العبادي ص١٠ وطبقات ابن السبكي ١/ ٢٤٥

(٣) طبقات الشافعية لابن هداية الله:ص٢٠

(٤) مناقب الشافعي للبيهقي١/ ٢٥٦ والعبادي: الطبقات ص١٠ والذهبي سير أعلام النبلاء ٤٩٣/١٢

(٥) مناقب الشافعي للبيهقي: ٢/ ٣٤٤

(٦) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٩٣ والوافي بالوفيات ٩/ ٢٣٨

(٧) تاريخ التراث العربي، قسم الفقه ص١٩٦

(٨) مناقب الشافعي للبيهقي ٢٥٦/١ والانتقاء لابن عبدالبر ص١١٠

(٩) الطبقات للسبكي ٢٤٤/١- ٢٤٥

(١٠) طبقات العبادي ص١٠ والسير١٢/ ٤٩٣ والوافي بالوفيات ٢٣٨/٩

(١١) طبقات ابن هداية الله ص٢١

(١٢) وفيات الأعيان ١/ ٢١٨



محتويات الرسالة

١. ضرورة إثبات الصفات بلا تمثيل ولا تعطيل
٢. العلو
٣. القضاء والقدر
٤. الملائكة
٥. آدم عليه السلام
٦. الجنة والنار
٧. الإيمان
٨. القرآن
٩. الصفات
١٠. الآجال
١١. القبر
١٢. النشور والحساب
١٣. الجنة
١٤. الرؤية
١٥. طاعة الأئمة والأمراء ومنع الخروج عليهم
١٦. الإمساك عن تكفير أهل القبلة
١٧. البراءة من أهل البدع وهجرهم
١٨. فضل الصحابة.
١٩. الصلاة وراء الأئمة.
٢٠. الجهاد مع ولاة الأمر.
٢١. قصر الصلاة في السفر.
٢٢. الاختيار بين الصيام والإفطار في الأسفار
٢٣. اعتقاد أهل السنة بأن الدين كامل.
٢٤. إقامة الصلوات المفروضة.
٢٥. إيتاء الزكاة.
٢٦. الحج.
٢٧. صوم رمضان.
٢٨. صلاة الوتر
٢٩. ركعتا الفجر.
٣٠. صلاة العيدين
٣١. صلاة الكسوف
٣٢. صلاة الاستسقاء.
٣٣. تحري الحلال واجتناب الحرام والمشتبه.



نص الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا[(١)] الفقيه الإمام: شمس الدِّين، أبو العز، يوسف بن عمر بن أبي نصر، الهكاري في شهر صفر سنة ست عشر وستمائة، قال: حدثنا الشيخ الإمام الحافظ الثقة بقية السلف أبو إسحاق بن إبراهيم بن عثمان بن عيسى بن درباس الماراني من لفظه بالموصل في تاسع عشر من جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وستمائة قال: أخبرنا الشيخ الصالح العالم أبو عبدالله محمدة بن أحمد بن حمد بن مفرج بن غياث الأرتاحي بقراءتي عليه، بفسطاط مصر، قال: أخبرنا الشيخ المسند العالم: أبو الحسين علي بن الحسين بن عمر الموصلي الفراء فيما أذن فيه لي. «ح» قال الشيخ إبراهيم بن عثمان: وأخبرنا الشيخ الإمام الفقيه الحافظ أبو طاهر، أحمد بن محمدة بن أحمدة بن محمد بن إبراهيم بن سلفة الأصبهاني السلفي في كتابه إلينا من الإسكندرية، في ربيع الآخر، سنة أربع وسبعين وخمسمئة، قال: أخبرنا الشريف أبو محمد عبدالملك بن الحسن بن بتنَّة، الأنصاري بمكة، بقراءتي عليه، في سنة تسع وتسعين وأربعمائة قالا: أخبرنا أبو عبدالله الحسين بن علي النسوي الفقيه –قدم علينا مكة– أخبرني أبو محمد إسماعيل بن رجاء بن سعيد العسقلاني بعسقلان أخبرني أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبدالرحمن الملطي وأبو أحمد محمد بن محمد بن عبدالرحيم القيسراني قالا: أخبرنا أحمد بن بكر اليازوري قال: حدثني الحسن بن علي اليازوري الفقيه، حدثني علي بن عبدالله الحلواني قال: كنت بطرابلس المغرب، فذكرت أنا وأصحاب لنا السُّنة إلى أن ذكرنا المزني رحمه الله فقال بعض أصحابنا: بلغني أنه يتكلم في القرآن ويقف عنده، وذكر آخر أنه يقوله، إلى أن اجتمع معنا قوم أُخر، فغمَّ الناس ذلك غمّاً شديداً، فكتبنا إليه كتابًا نريد أن نستعلم منه، فكتب إلينا «شرح السُّنة» في القدر والإرجاء والقرآن والبعث والنشور والموازين وفي النظر، فكتب:

---

(١) القائل «أخبرنا» هو عز الدين أبو محمد عبدالرزاق بن رزق الله الرسعني الحنبلي.

بسم الله الرحمن الرحيم

عصمنا الله وَإِيَّاكُم بالتقوى ووفقنا وَإِيَّاكُم لموافقة الْهدى أما بعد:

فَإنَّك أصلحك الله سَأَلتنِي أَن أوضح لَك من السّنة أمرا تصبر نَفسك على التَّمَسُّك بِهِ وتدرأ بِهِ عَنْك شبه الْأَقَاوِيل وزيغ محدثات الضَّالّين وَقد شرحت لَك منهاجا موضحا منيرا لم آل نَفسِي وَإِيَّاك فِيهِ نصحا بدأت فِيهِ بِحَمْد الله ذِي الرشد والتسديد.

الْحَمد لله أَحَق من ذكر وَأولى من شكر وَعَلِيهِ أثني.



١-ضرورة إثبات الصفات بلا تمثيل ولا تعطيل

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: أهمية توحيد الأسماء والصفات عند أهل السنة والجماعة.

المسألة الثانية: بيان مجمل الأسس التي قام عليها معتقد أهل السنة في باب أسماء الله وصفاته.

المسألة الثالثة: الأبواب الثلاثة التي يشتمل عليها توحيد الأسماء والصفات.

المسألة الرابعة: الألفاظ المجملة وحكم دخولها في باب الصفات وموقف أهل السنة من استعمالها.

[١]– قال المصنف رحمه الله: الْوَاحِد الصَّمد الَّذِي لَيْسَ لَهُ صَاحِبَة وَلَا ولد جلّ عَن المثيل فَلَا شَبيه لَهُ وَلَا عديل السَّمِيع الْبَصِير الْعَلِيم الْخَبِير المنيع الرفيع

الشرح

المسألة الأولى: أهمية توحيد الأسماء والصفات عند أهل السنة والجماعة.

تتجلى أهمية توحيد الأسماء الحُسنى والصِّفات العُلى في الأمور الآتية:

الأمر الأول: هذا التوحيد شَطر باب الإيمان بالله تعالىٰ:

لا يخفى على المسلم أهمية الإيمان بالله، فهو أول أركان الإيمان، بل هو أعظمها، فما بقية الأركان إلا تَبَع له وفرع عنه، وهو أهم ما خُلق لها الخلق، وأُرسلت به الرسل، وأُنزلت به الكتب، وأُسِّست عليه الملة؛ فالإيمان بالله هو أساس كل خير، ومصدر كل هداية، وسبب كل فلاح، ذلك لأنَّ الإنسان لما كان مخلوقًا مَربوبًا عاد في علمه وعمله إلى خالقه وبارئه؛ فبه يهتدي، وله يعمل، وإليه يصير، فلا غِنى له عنه، وانصرافه إلى غيره هو عين هلاكه وفساده، والإنسان له بالله عن كل شيء عِوض، وليس لكل شيء عن الله عوض؛ فليس للعبد صلاح ولا فلاح إلا بمعرفة ربِّه وعبادته، فإذا حصل له ذلك فهو الغاية المرادة له والتي خُلق من أجلها، فما سوى ذلك إما فضل نافع، أو فُضول غير نافعة، أو فضول ضارة، ولهذا صارت دعوة الرسل لأممهم إلى الإيمان بالله وعبادته؛ فكل رسول يبدأ دعوته بذلك كما يُعلم من تَتبع دعوات الرسل في القرآن.

وملاك السعادة والنجاة والفوز يكون بتحقيق التوحيدين اللذين عليهما يقوم الإيمان بالله تعالى، وبتحقيقهما بَعث الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم، وإليه دَعت الرسل– صلوات الله وسلامه عليهم–من أولهم إلى آخرهم.

وأحدهما: التوحيد العِلمي الخبري الاعتقادي المتضمن إثبات صفات الكمال لله تعالى، وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل، وتنزيهه عن صفات النقص.

قال الإمامُ ابنُ القَيّم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "ولا ريبَ أنَّ العِلم به وبأسمائه وصفاته

وأفعاله أَجَلُّ العلوم وأَفضلها، ونِسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات، وكما أنَّ العلمَ به أَجَلُّ العلوم وأشرفُها، فهو أصلها كلها، كما أنَّ كل موجود فهو مستند في وجوده إلى الملك الحق المبين ومفتقر اليه في تحقق ذاته وأينيته، وكل علم فهو تابع للعلم به مُفتقر في تحقق ذاته إليه، فالعلم به أصل كل علم، كما أنَّه-سبحانه-ربُّ كل شيء ومليكه ومُوجده..."، إلى أن قال: "فالعِلم بذاته-سبحانه-وصفاته وأفعاله يستلزم العلم بما سواه فهو-في ذاته-ربُّ كل شيء ومليكه، والعلم به أصل كل علم ومَنشؤه؛ فمَن عَرف الله عرف ما سواه، ومَن جهل ربَّه فهو لما سواه أجهل".(١)

والتوحيد الثاني: عبادته وحده لا شريك له، وتجريد محبته والإخلاص له وخوفه ورجاؤه والتوكل عليه، والرضا به ربًّا وإلهًا ووليًّا، وأن لا يَجعل له عدلًا في شيء من الأشياء.

وقد جمع سبحانه وتعالى هذين النوعين في سورتي الإخلاص، وهما سورة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: الآية: ١]، المتضمنة للتوحيد العملي الإرادي.

وسورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية: ١]، المتضمنة للتوحيد العلمي الخبري.

فسورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية: ١]، فيها بيانُ ما يجب لله تعالى من صفات الكمال، وبيان ما يجب تنزيهه عنه من النقائص والأمثال.

وسورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: الآية: ١]، فيها إيجاب عبادته وحده لا شريك له، والتبري من عبادة كل ما سواه. ولا يتمُّ أحدُ التوحيدين إلا بالآخر، ولهذا كان النبي-صلى الله عليه وسلم-يقرأ بهاتين السورتين في سُنَّة الفجر والوتر والمغرب، وقد ورد كذلك في سُنَّة المغرب القراءة بهاتين السورتين؛(٢) ليكون فاتحة العمل وخاتمته توحيدًا؛ إذ مبدأ النهار توحيدًا

---

(١) «مفتاح دار السعادة» «١/ ٨٦»، دار الكتب العلمية -بيروت.

(٢) قد ثبت في «صحيح مسلم» «٧٢٦» عن أبي هريرة-رضي الله عنه-: «أنَّ رسول الله ﷺ قَرَأَ فِي رَكعَتَي الفَجرِ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾». وأخرج الترمذي «٤٦٢» عن ابن عباس-رضي الله عنهما-، قال: «كان النبي ﷺ يقرأ في الوتر: بـ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، و ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ في ركعة ركعة»، وأخرجه الدارمي بنحوه «١٦٣٠»، وصححه الألباني في «صلاة التراويح» «ص ١٠٨». وأخرج النسائي «٩٢٢» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «رَمَقتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عِشرين مَرَّةً يقرأ في الرَّكعَتَينِ بعد المغرب، وفي الرَّكعَتَين قبل الفجرِ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»، وقال النووي في «المجموع» «٣/ ٣٨٥»: «إسناده جيد»، وصححه الشيخ أحمد شاكر في «تحقيق المسند» «٨/ ٨٩»، والألباني في «السلسلة الصحيحة» «٣٣٢٨».

وخاتمته توحيدًا". [١]

فالتوحيد المطلوب من العبد شَطره هو توحيد الأسماء والصفات.

الأمر الثاني: توحيد الأسماء والصِّفات أشرف العلوم وأهمها علىٰ الإطلاق:

إنَّ شرف العلم تابع لشرف معلومه؛ لوثوق النفس بأدلة وجوده وبراهينه، ولشدة الحاجة إلى معرفته وعِظم النفع بها.

ولا ريب أن أَجَلَّ مَعلوم وأعظمه وأكبره هو الله الذي لا إله إلا هو ربُّ العالمين، وقَيُّوم السموات والأرضين، الملك الحق المبين، الموصوف بالكمال كله، المنزه عن كل عيب ونقص وعن كل تشبيه وتمثيل في كماله.

فلا ريب أن العلمَ به و بأسمائه وصفاته وأفعاله أَجَلُّ العلوم وأفضلها، ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات. [٢]

قال أبو عبد الله الحسن بن الحسين الحليمي -رحمه الله- «ت: ٤٠٤هـ»: "الآيات التي تشتمل على تعديد أسماء الله تعالى وبيان صفاته، والدلالة على عظمته وقدسه أفضل أو خير، بمعنى أن يتعين أنها أسنى وأجل قدرا". [٣]

قال العز بن عبد السلام -رحمه الله- «ت: ٦٣٩ هـ»: "تعليم ما يجب تعليمه، وتفهيم ما يجب تفهيمه، يختلف باختلاف رتبه وهذان قسمان: أحدهما: وسيلة إلى ما هو مقصود في نفسه، كتعريف التوحيد وصفات الإله؛ فإن معرفة ذلك من أفضل المقاصد والتوسل إليه من أفضل الوسائل.

القسم الثاني: ما هو وسيلة إلى وسيلة كتعليم أحكام الشرع، فإنه وسيلة إلى العلم بالأحكام التي هي وسيلة إلى إقامه الطاعات، التي هي وسائل إلى المثوبة والرضوان، وكلاهما من أفضل المقاصد". [٤]

---

[١] انظر «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة الجهمية» لابن القيم «ص: ٣٥، ٣٦».

[٢] «مفتاح دار السعادة» «١/ ٨٦».

[٣] المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ٢/ ٢٤٤.

[٤] تفسير الرازي ٧/ ٢٢١.

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨هـ»: "وإنما العلم الأعلى هو العلم بالله، والله هو الأعلى على كل شيء من كل وجه، كما قال-سبحانه-: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: الآية: ١]، فالعلم به أعلى العلوم، وإرادة وجهه أفضل الإرادات، ومحبته أفضل المحبات".(١)

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "ولهذا ورد في فضل هذه الكلمة شهادة أن لا إله إلا الله من الدلائل ما يضيق هذا الموضع عن ذكره وهي أفضل الكلام وما فيها من العلم والمحبة أفضل العلوم والمحبات كالحديث الذي في السنن «أفضل الذكر لا إله ألا الله» (٢) (٣).

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "معرفة رب العالمين غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية، وزبدة الرسالة الإلهية".(٤)

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "لما كان العلم للعمل قرينا وشافعًا، وشرفه لشرف معلومه تابعًا، كان أشرف العلوم على الإطلاق علم التوحيد".(٥)

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "إن شرف العلم تابع لشرف معلومه، لوثوق النفس بأدلة وجوده وبراهينه ولشدة الحاجة إلى معرفته وعظم النفع بها.

ولا ريب أن أجل معلوم وأعظمه وأكبره هو الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين، وقيوم السموات والأرضين، الملك الحق المبين، الموصوف بالكمال كله، المنزه عن كل عيب ونقص وعن كل تشبيه وتمثيل في كماله.

فلا ريب أن العلم به و بأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأفضلها، ونسبته إلى سائر العلوم

---

(١) الرد على الشاذلي بن حزبية ١/ ٢٤٢.

(٢) قاعدة في المحبة صـ ١٣.

(٣) سنن الترمذي «٣٣٨٣» وحسنه، وابن ماجة «٣٨٠٠»، وابن حبان «٨٤٦»، والحاكم «١٨٣٤»، والنسائي في "السنن الكبرى" «١٠٥٩٩»،وحسنه الألباني في "صحيح الترمذي".

(٤) مجموع الفتاوى ٢/ ١٣.

(٥) إعلام الموقعين ١/ ٤.

كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات".[(١)]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "والعلمُ الأعلى، هو العلمُ بالأعلى".[(٢)]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "وهذا بخلاف العلم الأعلى عند المسلمين فإنه العلم بالله، الذي هو في نفسه أعلى من غيره من كل وجه، والعلم به أعلى العلوم من كل وجه، والعلم به أصل لكل علم".[(٣)]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "وإنما العلم الأعلى هو العلم بالله، والله هو الأعلى على كل شيء من كل وجه، كما قال-سبحانه-: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: الآية: ١]، فالعلم به أعلى العلوم، وإرادة وجهه أفضل الإرادات، ومحبته أفضل المحبات".[(٤)]

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "فإن قيل: فالعلم إنما هو وسيلة إلى العمل ومراد له، والعمل هو الغاية، ومعلوم أن الغاية أشرف من الوسيلة، فكيف تفضل الوسائل على غاياتها؟

قيل: كل من العلم والعمل ينقسم إلى قسمين، منه ما يكون وسيلة، ومنه ما يكون غاية، فليس العلم كله وسيلة مرادة لغيرها، فإن العلم بالله وأسمائه وصفاته هو أشرف العلوم على الإطلاق وهو مطلوب لنفسه مراد لذاته، قال الله-تعالى-: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: الآية: ١٢] فقد أخبر سبحانه أنه خلق السموات والأرض ونزل الأمر بينهن ليعلم عباده أنه بكل شي عليم، وعلى كل شي قدير فهذا العلم هو غاية الخلق المطلوبة، وقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: الآية: ١٩] فالعلم بوحدانيته-تعالى-، وأنه لا إله إلا هو مطلوب لذاته وإن كان لا يكتفى به وحده، بل لابد معه من عبادته وحده لا

---

(١) مفتاح دار. السعادة ١/ ٨٦.

(٢) جامع الرسائل «٢/ ٦٨٥».

(٣) الرد على المنطقيين صـ ١١١.

(٤) الرد على الشاذلي بن حزبية وما صنفه في آداب الطريق ١/ ٢٤٢.

شريك له، فهما أمران مطلوبان لأنفسهما.

الأمر الأول: أن يعرف الرب تعالى بأسمائه، وصفاته وأفعاله وأحكامه.

والأمر الثاني: أن يعبد بموجبها ومقتضاها.

فكما أن عبادته مطلوبة مرادة لذاتها، فكذلك العلم به ومعرفته أيضا، فإن العلم من أفضل العبادات".[(١)]

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "مراتب العلمُ به سبحانه خمس مراتب:

١-العلم بذاته، ٢-وصفاته، ٣-وأفعاله، ٤-وأسمائه، ٥-وتنزيهه عما لا يليق به".[(٢)]

قال ابن رجب-رحمه الله-«ت: ٧٩٥ هـ»: "فأفضل العلم العلم بالله وهو العلم بأسمائه وصفاته وأفعاله التي توجب لصاحبها معرفة الله وخشيته ومحبته وهيبته وإجلاله وعظمته والتبتل إليه والتوكل عليه والصبر والرضا عنه والاشتغال به دون خلقه.

وتبع ذلك العلم بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتفاصيل ذلك والعلم بأوامر الله ونواهيه وشرائعه وأحكامه، وما يحبه من عباده من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

ومن جمع هذه العلوم فهو من العلماء الربانيين، العلماء بالله العلماء بأمره وهم أكمل ممن قصر علمه على العلم بالله دون العلم بأمره، وبالعكس".[(٣)]

قال محمد بن يعقوب الفيروز أبادي-رحمه الله-«ت: ٨١٧ هـ»: "فإن لكل علم حدا لا يتجاوزه، ولكل عالم ناموسا لا يخل به؛ فمن الوجوه المغلطة أن يظن في العلم فوق غايته؛ كما يظن بالطب أنه يبرئ جميع الأمراض؛ وليس كذلك، فإن كثيرًا من الأمراض لا يبرأ بالمعالجة.

ومنها أن يظن بالعلم فوق مرتبته في الشرف؛ كما يظن بالفقه أنه أشرف العلوم على الإطلاق؛ وليس كذلك؛ فإن التوحيد والعلم الإلهي أشرف منه قطعا".[(٤)]

قال الملا علي القاري-رحمه الله-«ت: ١٠١٤ هـ»: "علم التوحيد أفضل العلوم وأكملها،

---

(١) مفتاح دار. السعادة ١/ ١٧٨.

(٢) مدارج السالكين ١/ ١٢٨.

(٣) شرح حديث أبي الدرداء لابن رجب «ص: ٤١».

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/ ٤٥.

وعالِم هذا العلم. أفضل العلماء، وبهذا السبب خصهم الله بالذكر في أجل المراتب فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: الآية: ١٨]".(١)

الأمر الثالث: توحيد الأسماء والصفات هو أصل العلوم الدينية:

كما أن العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأشرفها وأعظمها فهو أصلها كلها، فكل علم هو تابع للعلم به، مفتقر في تحقق ذاته إليه، فالعلم به أصل كل علم ومَنشؤه؛ فمَن عرف الله عَرف ما سواه، ومَن جهل ربَّه فهو لما سواه أجهل؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الحشر: الآية: ١٩]، فتأمل هذه الآية: تجد تحتها معنى شريفًا عظيمًا، وهو: أنَّ مَن نسي ربَّه أنساه ذاته ونفسه، فلم يَعرف حقيقته ولا مصالحه، بل نَسي ما به صلاحه وفلاحه في معاشه ومعاده؛ لأنَّه خرج عن فطرته التي خلق عليها، فنسي ربَّه فأنساه نفسه وصفاتها وما تكمل به وتزكو به وتسعد به في معاشها ومعادها؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾ [الكهف: الآية: ٢٨]، فغفل عن ذكر ربه؛ فانفرط عليه أمره وقلبه، فلا التفات له إلى مصالحه وكماله وما تزكو به نفسه وقلبه، بل هو مُشتت القلب مُضيعه، مفرط الأمر حيران لا يهتدي سبيلًا.

فالعِلم بالله أصل كل علم، وهو أصل علم العبد بسعادته وكماله ومصالح دنياه وآخرته، والجهل به مُستلزم للجهل بنفسه ومصالحها وكمالها وما تزكو به وتفلح به، فالعلم به سعادة العبد والجهل به أصل شقاوته".(٢)

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "فإن النفس خلقت بفطرتها تقتضي معرفة الله ومحبته. وقد هديت إلى علوم وأعمال تعينها على ذلك. وهذا كله من فضل الله وإحسانه".(٣)

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "معرفة الله والشهادة له بالتوحيد، وإثبات أسمائه وصفاته، ورسالة رسله، والبعث للجزاء مسطورة مثبتة في الفطرة".

---

(١) شرح الفقه الأكبر ص: ٣٨.

(٢) «مفتاح دار السعادة» «١/ ٨٦».

(٣) «مفتاح دار السعادة» «١/ ٨٦».

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "مراتب العلمُ به سبحانه خمس مراتب:

١-العلم بذاته، ٢-وصفاته، ٣-وأفعاله، ٤-وأسمائه، ٥-وتنزيهه عما لا يليق به".(١)

قال ابن رجب-رحمه الله-«ت: ٧٩٥ هـ»: "فأفضل العلم العلم بالله وهو العلم بأسمائه وصفاته وأفعاله التي توجب لصاحبها معرفة الله وخشيته ومحبته وهيبته وإجلاله وعظمته والتبتل إليه والتوكل عليه والصبر والرضا عنه والاشتغال به دون خلقه.

وتبع ذلك العلم بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتفاصيل ذلك والعلم بأوامر الله ونواهيه وشرائعه وأحكامه، وما يحبه من عباده من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

ومن جمع هذه العلوم فهو من العلماء الربانيين، العلماء بالله العلماء بأمره وهم أكمل ممن قصر علمه على العلم بالله دون العلم بأمره، وبالعكس".(٢)

قال محمد بن يعقوب الفيروز أبادي-رحمه الله-«ت: ٨١٧ هـ»: "فإن لكل علم حدا لا يتجاوزه، ولكل عالم ناموسا لا يخل به؛ فمن الوجوه المغلطة أن يظن في العلم فوق غايته؛ كما يظن بالطب أنه يبرئ جميع الأمراض؛ وليس كذلك، فإن كثيرًا من الأمراض لا يبرأ بالمعالجة.

ومنها أن يظن بالعلم فوق مرتبته في الشرف؛ كما يظن بالفقه أنه أشرف العلوم على الإطلاق؛ وليس كذلك؛ فإن التوحيد والعلم الإلهي أشرف منه قطعا".(٣)

قال الملا علي القاري-رحمه الله-«ت: ١٠١٤ هـ»: "علم التوحيد أفضل العلوم وأكملها، وعالم هذا العلم. أفضل العلماء، وبهذا السبب خصهم الله بالذكر في أجل المراتب فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: الآية: ١٨]".(٤)

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي-رحمه الله-«ت: ١٣٧٦ هـ»: "هذه الغاية، التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته،

---

(١) مدارج السالكين ١/ ١٢٨.

(٢) شرح حديث أبي الدرداء لابن رجب «ص: ٤١».

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/ ٤٥.

(٤) شرح الفقه الأكبر ص: ٣٨.

والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك يتضمن معرفة الله تعالى، فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم".(١)

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي-رحمه الله-«ت: ١٣٧٦ هـ» ، عند تفسير قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: الآية: ١٨]: "وفي هذا دليل على أن أشرف الأمور علم التوحيد لأن الله شهد به بنفسه وأشهد عليه خواص خلقه، والشهادة لا تكون إلا عن علم ويقين، بمنزلة المشاهدة للبصر، ففيه دليل على أن من لم يصل في علم التوحيد إلى هذه الحالة فليس من أولي العلم".(٢)

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي «ت: ١٣٧٦ هـ» -رحمه الله-: "علم العقائد وأصول التوحيد؛ هو أشرف العلوم على الإطلاق، وأفضلها وأكملها، وبه تستقيم القلوب على العقائد الصحيحة، وبه تزكو الأخلاق وتنمو، وبه تصح الأعمال وتكمل".(٣)

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي-رحمه الله-«ت: ١٣٧٦ هـ»: "وزبدة دعوة الرسل كلهم ومدارها على قوله: ﴿أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا﴾ [النحل: الآية: ٢]. أي: على معرفة الله-تعالى-وتوحده، في صفات العظمة، التي هي صفات الألوهية، وعبادته وحده لا شريك له، فهي التي أنزل بها كتبه، وأرسل بها رسله، وجعل الشرائع كلها تدعو إليها، وتحث وتجاهد من حاربها، وقام بضدها".(٤)

الأمر الرابع: معرفة أسماء الله وصفاته أصل عظيم في منهج السلف:

معرفة أسماء الله وصفاته هي الأساس الذي يَنبني عليه عمل العبد، ومن خلالها تتحدد العلاقة التي تربط العبد بربه، وعلى ضوئها يَعبد المسلم ربَّه، ويتقرب إليه.

---

(١) تفسير تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن لابن سعدي، «تفسير سورة الذاريات الآية: ٥٦».

(٢) تفسير ابن سعدي «سورة آل عمران الآية: ١٨».

(٣) فتح الرحيم الملك العلام ص ٢١.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص٤٣٥.

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "وأصلُ الإيمان: قولُ القلب الذي هو التَّصديق. وعمل القلب الذي هو المحبة على سبيل الخضوع؛ إذ لا مُلائمة لأرواح العباد أتم من ملاءمة إلهها؛ الذي هو الله الذي لا إله إلا هو".

ولذلك كان منهج السلف يقوم على أمرين؛ هما:

١-العلم بالله.

٢-والعمل لله.

فجمعوا بذلك بين التصديق العِلمي والعَمل الحُبِّي، وبذلك تميز منهج أهل السنة والجماعة «السلف» عن المناهج الأخرى.

وحققوا كِلا الأمرين؛ من القول التصديقي المعتمد على معرفة أسماء الله وصفاته وأفعاله الواردة في الكتاب والسنة. والعمل الإرادي، وذلك باتباع الأوامر واجتناب النواهي وفق ما شرعه الله في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

ولذلك كان كلامهم وعملهم باطنًا وظاهرًا بعلم، وكان كل واحد من قولهم وعملهم مقرونًا بالآخر، وهؤلاء هم المسلمون حقًّا؛ الذين سَلِموا من آفات منحرفة المتكلمة والمتصوفة.

فوقعت كل طائفة من هاتين الطائفتين المنحرفتين في مفسدتين:

إحداهما: القول بلا علم إن كان متكلمًا، والعمل بلا علم إن كان متصوفًا.

والمفسدة الثانية: فوت المتكلم العمل، وفوت المتصوف القول والكلام".(١)

وهو ما وقع من البدع الكلامية والعملية المخالفة للكتاب والسنة.

فالكلاميون: غالب نظرهم وقولهم في الثبوت والانتفاء، والوجود والعدم، والقضايا التصديقية؛ فغايتهم مجرد التصديق والعلم والخبر؛ فاعتنوا بجانب علمي لم يَنْبَنِ على الكتاب والسنة؛ لذلك عَطَّلوا أسماء الله-تعالى-، وعَطَّلوا صفاتِه عز وجل.

وعندما عَرَّفوا التوحيد؛ قالوا: "واحد في ذاته، وواحد في صفاته، وواحد في أفعاله". وأهملوا جانب توحيد العبادة: "واحد في ذاته" قالوا: "لا شريكَ له". و"واحد في صفاته": "لا نظير

---

(١) «مجموع الفتاوى» «٢/ ٤١» بتصرف.

له". و"واحد في أفعاله": "لا نِدَّ له". فهذا تقسيمهم للتوحيد.(١)

ويُلاحظ أنه قد خلا في هذه الثلاثة من الجانب العملي، فلا يوجد عمل، ثم إذا تحدثوا عن ذات الله تعالى تحدثوا بالتعطيل؛ فقالوا بما قالوا: "ليس في جهة، ولا في عُلو، ولا في مكان، ولا في حيز" ولا إلى غير ذلك؛ فجعلوه والعدم سواء، وإذا تحدثوا عن صفات الله تعالى تحدثوا عن سبع صفات فقط، وإذا تحدثوا عن أفعال الله تعالى هذا هو الذي سَلِم لهم: "توحيد الربوبية"؛ فلم يَسلم لهم إلا توحيد الربوبية، ونحن نعلم أن كفار قريش كانوا مُقِرّين بتوحيد الربوبية: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: الآية: ٣٨]؛ فهذا حاصل توحيد هؤلاء.

وأمَّا الصُّوفيون: فغالب طلبهم وعملهم في المحبة والبغضة، والإرادة والكراهة، والحركات العملية؛ فاعتنوا بجانب العمل، وأهملوا جانب العلم، وكذلك عملهم لم ينبنِ على السنة، وإنَّما انبنى على البدعة؛ إذ غايتهم المحبة والانقياد والعمل والإرادة.

وهكذا إذا جئنا إلى أهل التصوف لم نجد عندهم من حقيقة التوحيد شيء.

أمَّا توحيدُ أهل السُّنَّة فيقوم على هذين الأصلين العظيمين: أن تَعرف اللهَ، وذاك بمعرفة أسمائه وصفاته التي وردت في الكتاب والسُّنَّة. وأن تعبد الله، وهذا باتِّباع شرع الله ۵ على لسان رسوله ﷺ.

فالسلف وأتباعهم جعلوا من توحيد الأسماء والصفات إحدى الرَّكيزتين التي قام عليها منهجهم المعتمد على نصوص الكتاب والسنة، وذلك لما لهذا التوحيد من أهمية ومنزلة، وهذا ما تشهد له كثرة النصوص الشرعية الواردة في هذا الشأن.

فلذلك لا بد لصاحب السُّنَّة أن يدرس هذا الباب، وأن يَبني هذه الدراسة على الكتاب والسنة؛ ليعرف الله عز وجل، فلن تكون من أصحاب السنة ولن تكون من أتباع السلف حتى تُعنى بهذا الباب، وطبعًا العلم بهذا الباب-كما ذكر العلماء مطلوب لذاته، ليس وسيلة للعمل كما يزعم البعض؛ فكلٌّ من العِلم بالله والعمل لله مطلوب لذاته؛ فقد يكون منه ما هو وسيلة،

---

(١) انظر: «المِلل والنِّحَل» للشهرستاني «١/ ٤٢»، مؤسسة الحلبي.

ومنه ما هو غاية؛ فيجب أن نعلم أنه لا بد من معرفة هذا الباب وتعلمه؛ باعتبار أنه أمر مطلوب لذاته، وإن كان لا يُكتفى به وحده، بل لا بد وأن يجتمع معه عبادة الله عز وجل، وإلا فإن العبد لا يكون مؤمنًا، وبهذا نعلم أن من أهمية هذا الباب أنه أصلٌ عظيمٌ في منهج أهل السنة والجماعة؛ فبالتالي لا بد من الاعتناء به، ولا بد من الاهتمام به، ولا بد من تعلُّمِه، وكذلك لوقوع الاختلاف والافتراق في هذا الباب بين الفِرَق والطوائف لا بد من مزيد جهد وعناية بفهمه وتوضيحه ودراسته وتعلمه وتطبيقه.

والله تعالى ليس له مَثيل حتى يُقاس عليه، وعقول البشر لا يمكن أن تستقلَّ بمعرفة الله تعالى استقلالًا؛ لأنها قاصرة عاجزة، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: الآية: ٨٥]؛ فالله–تعالى–تَعَرَّف إليك! فضلًا منه ومِنَّة عليك عَرَّفك بأسمائه وصفاته، عَرَّفك بأنه العليم، وأنه السميع، وأنه البصير، وأنه القدير، وأنه الغفور، وأنه الرحيم، وأنه الجبَّار، وأنه المتكبر. إلى غير ذلك مِن أسماء الله–تعالى–وصفاتِه الواردة في الكتاب والسُّنَّة؛ فمِنَّةٌ عُظمى فتحها الله عليك! بالله عليك كيف تُغلقها على نفسِك؟! بل إن الله رَغَّبك في هذه المعرفة فقال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: الآية:١٨٠]، وقال: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: الآية: ٢٤]، وقال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه: الآية: ٨].. إلى غير ذلك من المواطن التي ذُكرت فيها أسماء الله عز وجل؛ إمَّا جملة وإما تفصيلًا.

فافتح بابَ معرفة الله تعالى! لا تُغلقه على نفسك! لا تحرم هذا القلب من أن يَعرف ربَّه، ويَعرف معبودَه!

قال الإمام الشافعي–رحمه الله–«ت: ٢٠٤ هـ»: "لا يدرك خيرٌ إلا بعونه. فإن مَن أدرك علم أحكام الله في كتابه نصاً واستدلالاً، ووفقه الله للقول والعمل بما علم منه؛ فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الريَب، ونُوِّرت في قلبه الحكمة، واستوجب في الدين موضع الإمامة".[١]

---

(١) الرسالة ص١٩، وأحكام القرآن جمع البيهقي ١/ ٢١.

قال أبو الفرج ابن الجوزي-رحمه الله-«ت: ٥٩٧ هـ»: "إبليس إنما يتمكن من الإنسان على قدر قلة العلم فكلما قل علم الإنسان كثر تمكن إبليس منه وكلما كثر العلم قل تمكنه منه" [(١)].

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "فإذا كان القلب مشغولاً بالله، عاقلاً للحق، متفكراً في العلم، فقد وُضِع في موضعه" [(٢)].

الأمر الخامس: العلم بأسماء الله وصفاته يَفتح للعبد باب معرفة الله:

إنَّ محبة الشيء فرع عن الشعور به، وأعرف الخلق بالله أشدهم حُبًّا له، فكل من عرف الله أحبه، والعلم يَفتح هذا الباب العظيم الذي هو سِرُّ الخَلق والأمر؛ [(٣)] فمن أعظم أصول الدين: المحبة، بل هي قاعدة العبادة، فكيف يكون حبٌّ في قلب العبد المؤمن وهو لم يعرف الله-تعالى-؛ فالله تعالى فتح لنا باب معرفته من هذا الطريق، فإن شأت فادخل وتعَرَّف على أسماء الله وصفاته وأفعاله، وإلا فإنك محروم مِن ضِمن مَن حُرِم مِن هذا الخير العظيم؛ فطمأنينة القلب وحياته هي في هذا الأمر العظيم: في معرفة الله عز وجل، ولا سبيل للحصول على هذه المعرفة إلا من باب العلم بأسماء الله وصفاته، فلا تَستقر للعبد قَدَم في معرفة الله إلا بالتعرف على أسمائه وصفاته الواردة في القرآن والسنة؛ فالعلم بأسماء الله وصفاته يَفتح للعبد هذا البابَ العظيمَ، فالله عز وجل لم يجعل السبيل إلى معرفته من طريق الاطلاع على ذاته، فهذا الباب موصود إلى قيام الساعة، كما أخبرنا بذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال: «تَعَلَّمُوا أنَّه لن يَرى أحدٌ مِنكم ربَّه عز وجل حتى يَموت". [(٤)]

وكذلك فإنَّ من المحال أن تَستقل العقول البشرية بمعرفة ذلك وإدراكه على وجه التفصيل، فهي عاجزة عن ذلك لكونه من المغيبات التي لا سبيل إلى معرفتها إلا من طريق الوحي، والله-عز وجل-يقول: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [الإسراء: الآية: ٥]، فهذه الآية: تُبين

---

(١) تلبيس إبليس ١/ ٣٣٤.

(٢) مجموع الفتاوى ٩/٣١٢.

(٣) «مفتاح دار السعادة» «١/ ٨٧».

(٤) أخرجه مسلم «٢٩٣١» من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

محدودية علم الإنسان.

وقد اقتضت رحمة العزيز الحكيم أن بَعث الرسل به مُعَرِّفِين وإليه داعين، وجعل معرفته سبحانه بأسمائه وصفاته، أفعاله هي مفتاح دعوتهم وزبدة رسالتهم، فأساس دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم والأصل الأول فيها: معرفة الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله. ثم يتبع هذا الأصل أصلان عظيمان هما:

١-تعريف الناس الطريق الموصلة إلى الله، وهي: «شريعته المتضمنة لأمره ونهيه».

٢-تعريفهم مآلهم في الآخرة.

وهذان الأصلان تابعان للأصل الأول مَبنيان عليه، فأعرف الناس بالله أتبعهم للطريق الموصلة إليه، وأعرفهم بحال الناس عند القدوم عليه.

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "الله سبحانه أرسل الرسل بأنه لا إله إلا هو؛ فتَخلو القلوب عن محبة ما سواه بِمَحَبَّته، وعن رجاء ما سواه برجائه، وعن سؤال ما سواه بسؤاله، وعن العمل لما سواه بالعمل له، وعن الاستعانة بما سواه بالاستعانة به".[(١)]

قال العز بن عبد السلام-رحمه الله-«ت: ٦٣٩ هـ»: "التوحيد وصفات الإله؛ فإن معرفة ذلك من أفضل المقاصد والتوسل إليه من أفضل الوسائل".[(٢)]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "فالعلوم بعضها أفضل من بعض فالعلم بالله أفضل من العلم بخلقه، ولهذا كانت آية الكرسي أفضل آية في القرآن؛ لأنها صفة الله تعالى. وكانت: ﴿قل هو الله أحد﴾ [الإخلاص: الآية: ١]، تعدل ثلث القرآن؛ لأن القرآن " ثلاثة أثلاث ": ثلث توحيد، وثلث قصص، وثلث أمر ونهي. وثلث التوحيد أفضل من غيره".[(٣)]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "من اشتغل بطلب العلم النافع بعد أداء الفرائض أو جلس مجلسا يتفقه أو يفقه فيه الفقه الذي سماه الله ورسوله فقهاً؛ فهذا أيضاً من أفضل

---

(١) «مجموع الفتاوى» «١١/ ٥٢٣، ٥٢٤».

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١/ ١٢٤.

(٣) مجموع الفتاوى ٩/ ٣٠٦.

ذكر الله". [١]

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "شجرة الإسلام في القلب، إن لم يتعاهدها صاحبها بسقيها كل وقت بالعلم النافع والعمل الصالح، والعود بالتذكر على التفكر، وبالتفكر على التذكر، وإلا أوشك أن تيبس". [٢]

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "والإخلاص والتوحيد شجرة في القلب، فروعها الأعمال، وثمرها طيب الحياة في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة. وكما أن ثمار الجنة لا مقطوعةٍ ولا ممنوعةٍ فثمرة التوحيد والإخلاص في الدنيا كذلك". [٣]

قال الإمام ابن رجب-رحمه الله-«ت: ٧٩٥ هـ»: "ومن الأنس بالله-عز وجل-، الأنس بكلامه وذكره، والأنس بالعلم النافع، الَّذِي بلغه رسوله ﷺ عنه". [٤]

الأمر السادس: أساس العلم الصحيح هو الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته:

على أساس العلم الصحيح بالله وبأسمائه وصفاته يقوم الإيمان الصحيح والتوحيد الخالص، وتنبني مطالب الرسالة جميعها؛ فهذا التوحيد هو أساس الهداية والإيمان، وهو أصل الدين الذي يقوم عليه، ولذلك فإنه لا يتصور إيمان صحيح ممن لا يعرف ربه، فهذه المعرفة لازمة لانعقاد أصل الإيمان، وهي مهمة جدًّا للمؤمن لشدة حاجته إليها؛ لسلامة قلبه، وصلاح معتقده، واستقامة عمله، فهذه المعرفة لأسماء الله وصفاته وأفعاله تُوجب للعبد التمييز بين الإيمان والكفر، والتوحيد والشرك، والإقرار والتعطيل، وتنزيه الرب عما لا يَليق به، ووصفه بما هو أهله من الجلال والإكرام.

وذلك يتم بتدبر كلام الله تعالى، وما تعَرَّف به سبحانه إلى عباده على ألسنة رسله من أسمائه وصفاته وأفعاله، وما نَزَّه نفسه عنه مما لا ينبغي له ولا يليق به سبحانه.

والجدير ذِكره أن معرفة الله نوعان:

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠/ ٦٦١.

(٢) التفسير القيم ص: ٣٤١.

(٣) الفوائد ص١٦٤.

(٤) مجموع الرسائل ٣/٣٣٩.

النوع الأول: المعرفة الإجمالية:

وهي التي تَلزم العبد المؤمن؛ لينعقد بها أصلُ الإيمان، وهي تتحقق بالقدر الذي يميز العبد به بين ربه وبين سائر الآلهة الباطلة، ويتحقق بها الإيمان المجمل، وتجعله في سلامة من الكفر والشرك المخرجين من الإيمان، وتُخرجه من حدِّ الجهل بربه وما يجب له.

وهذه المعرفة يتحصل عليها من قراءة سورة الإخلاص وآية الكرسي وغيرها من الآيات، ومعرفة معانيها.

ولكن هذه المعرفة لا تُوجب قوة الإيمان والرسوخ فيه.

النوع الثاني: المعرفة التفصيلية:

وهذه تكون بمعرفة الأدلة التفصيلية الواردة في هذا الباب، وتعلمها واعتقاد اتصاف الله بها، ومعرفة معانيها، والعمل بمقتضياتها وأحكامها.

وهذه المعرفة هي التي يحصل بها زيادة الإيمان ورسوخه، فكلما ازداد العبد علمًا بالله زاد إيمانه وخشيته ومحبته لربِّه وتَعلقه به؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: الآية: ٢٨]، كما تجلب للعبد النور والبصيرة التي تُحصِّنه من الشبهات المضللة والشهوات المحرمة.

"والعلم بالله يُراد به في الأصل نوعان:

أحدهما: العلم به نفسه، أي: بما هو متصف به مِن نُعوت الجلال والإكرام، وما دَلَّت عليه أسماؤه الحسنى.

وهذا العلم إذا رَسخ في القلب أوجب خشية الله لا محالة، فإنه لابد أن يعلم أن الله يُثيب على طاعته، ويعاقب على معصيته.

والنوع الثاني: يُراد بالعلم بالله: العلم بالأحكام الشرعية من الأوامر والنواهي والحلال والحرام.

ولهذا قال بعض السلف: العلماء ثلاثة:

١-عالم بالله ليس عالما بأمر الله.

٢-عالم بأمر الله ليس عالما بالله.

٣-عالم بالله وبأمر الله.

فالعالم بالله: الذي يخشى الله. والعالم بأمر الله: الذي يعرف الحلال والحرام".[(١)]

قال أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكتاني-رحمه الله-«ت: ٣٢٢ هـ»: "العلم بالله أعلى وأولى من العبادة له".[(٢)]

قال ابن شاهين-رحمه الله-«ت: ٣٨٥ هـ»: "فمن لزم الحق لم يضره قلة العمل، ومن لم يعرف الحق لم ينفعه كثرة العمل؛ لأن العمل بلا علم لا يضر ولا ينفع".[(٣)]

قال علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال-رحمه الله-«ت: ٤٤٩ هـ»: "تمام الإيمان وتمام العلم إنما هو المعرفة بالله ورسله، ومعرفة الدلالة على ذلك".[(٤)]

قال أبو عبد الله الحسن بن الحسين الحليمي-رحمه الله-«ت: ٤٠٤ هـ»: "الآيات التي تشتمل على تعديد أسماء الله تعالى وبيان صفاته، والدلالة على عظمته وقدسه أفضل أو خير، بمعنى أن يتعين أنها أسنى وأجل قدرا".[(٥)]

قال فخر الدين الرازي-رحمه الله-«ت: ٦٠٦ هـ»: "الآيات المشتملة على دلائل علم الأصول أشرف من الآيات المشتملة على دلائل علم الفروع، بدليل أنه قد جاء في فضيلة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية: ١]. و ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾ [البقرة: الآية: ٢٨٥]، وآية الكرسي، و ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: الآية: ١٨]، ما لم يجيء في فضيلة قوله-تعالى-: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: الآية: ٢٢٢]، ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ [البقرة: الآية: ٢٧٥]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُمْ بِدَيْنٍ﴾ [البقرة: الآية: ٢٨٢] الآية. ولذلك فإن الزهاد والعباد يواظبون في شرائف الأوقات على قراءة هذه الآيات المشتملة على الإلهيات، دون الآيات المشتملة على الأحكام.

والآيات الواردة في الأحكام الشرعية أقل من ستمائة آية، وأما اللواتي في بيان التوحيد والرد

---

(١) «مجموع الفتاوى» «٣/ ٣٣٣» بتصرف بسير.

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٨.

(٣) كتاب شرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين والتمسك بالسنن ص: ٣٥.

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٣/ ٤٤-٤٥.

(٥) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ٢/ ٢٤٤.

على عبدة الأوثان وأصناف المشركين، وفي إثبات النبوات والمعاد، ومسألة القضاء والقدر فكثيرة." [(١)]

قال أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المالكي–رحمه الله–«ت: ٥٤٣ هـ»: "القرآن توحيد وأحكام ووعظ و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: الآية: ١]، فيها التوحيد كله. وبهذه المعاني وقع البيان في قوله – صلى الله عليه وسلم – لأبي بن كعب: «أي آية في القرآن أعظم؟» قال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥]. قال: «ليهنك العلم يا أبا المنذر». [(٢)] وإنما كانت أعظم؟ لأنها توحيد كلها، كما صار قوله: «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله» الحديث. [(٣)] أفضل الذكر؛ لأنها كلمة حوت علوم جميع التوحيد، والفاتحة تضمنت التوحيد كله والعبادة والوعظ والتذكير، ولا يستبعد ذلك في قدرة الله، فإن الله جمع التوحيد كله في آية الكرسي، ثم جمعه في أقل حروفا منها التوحيد، وهو: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: الآية: ١]. ثم جمعه لرسوله في كلمات يوم عرفة المتقدمة. ثم جمع ذلك في آية واحدة، وهي قوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأحقاف: الآية: ٣]. وقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: الآية: ١١٥]" [(٤)]

قال سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي «ت: ٧١٦»–رحمه الله–: "قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: الآية: ١٩] يحتج به على تقديم أصول الدين كالتوحيد على فروعه كالاستغفار وغيره؛ لتقديمه التوحيد ها هنا، ولأن رتبة الأصل قبل رتبة الفرع، وعلى أن المعتبر في الأصول العلم لا غيره". [(٥)]

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "ولهذا كانت سورة "الأنعام" أفضل من غيرها،

---

(١) أخرجه مسلم «٨١٠».

(٢) أخرجه مالك في الموطأ «٥٧٢» رواية يحيى، وأحمد: ٢/ ٢١٠، والترمذي «٣٥٨٥» من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده. قال الترمذي: "هذا حديث غريب من هذا الوجه". وصححه من المعاصرين الألباني في سلسلته الصحيحة «١٥٠٠».

(٣) كتاب المسالك في شرح موطأ مالك لابن العربي المالكي ٢/ ٣٧٠.

(٤) عجائب القرآن صـ ١٧–١٨.

(٥) كتاب الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية ص: ٥٨٤.

وكذلك سورة "يس" ونحوها من السور التي فيها أصول الدين التي اتفق عليها الرسل كلهم صلوات الله عليهم. ولهذا كانت ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية: ١]، مع قلة حروفها تعدل ثلث القرآن؛ لأن فيها التوحيد فعلم أن آيات التوحيد أفضل من غيرها﴾" (١)

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "كلمة التوحيد أفضل الكلام، وأعظمه فأعظم آية في القرآن آية الكرسي ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥]. وقال–صلى الله عليه وسلم–: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة». (٢) (٣)

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "النبي–صلى الله عليه وسلم–، سأل أبيًا «أي آية في كتاب الله أعظم؟» فأجابه أبيّ بأنها آية الكرسي، فضرب بيده في صدره وقال «ليهنك العلم»، ولم يستشكل أبيّ ولا غيره السؤال عن كون بعض القرآن أعظم من بعض، بل شهد النبي بالعلم لمن عرف فضل بعضه على بعض؛ وعرف أفضل الآيات". (٤)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨هـ»: "والقرآن فيه من ذِكْر أسماء الله وصفاته وأفعاله أكثر مما فيه من ذِكر الأكل والشُّرب والنكاح في الجنة، والآياتُ المتضمنة لذكر أسماء الله وصفاته أعظمُ قدرًا من آيات المعاد؛ فأعظمُ آيةٍ في القرآن آيةُ الكرسي المتضمنة لذلك...، وأعظم سورةٍ سورةُ أمِّ القرآن..". (٥)

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "من أَرَادَ علو بُنْيَانه فَعَلَيهِ بتوثيق أساسه وإحكامه وَشدَّة الاعتناء بِهِ، فَإِن علو الْبُنيان على قدر تَوْثِيق الأساس وإحكامه، فالأعمال والدرجات بُنيان وأساسها الْإِيمَان وَمَتى كَانَ الأساس وثيقا حمل الْبُنيان واعتلى عَلَيْهِ". (٦)

---

(١) مجموع الفتاوى «١٧/ ١٩٠».

(٢) رواه أحمد «٢١٥٢٩» وأبو داود «٣١١٦» وحسنه الألباني في "إرواء الغليل" «٦٨٧» .

(٣) مجموع الفتاوى «٣/ ٤٠٠».

(٤) مجموع الفتاوى «٥/ ١٩٩».

(٥) درء تعارض العقل والنقل، «٣/٦١».

(٦) الفوائد ص ١٥٥.

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "العلم به-تعالى-أصل للعلم بكل ما سواه، فالعلم بأسمائه وإحصاؤها أصل لسائر العلوم".[١]

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "والإيمان به أصل الإيمان بما عداه".[٢]

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "فالعلم بأسمائه وإحصاؤها أصل لسائر العلوم فمن أحصى أسماءه كما ينبغي للمخلوق أحصى جميع العلوم، إذ إحصاء أسمائه أصل لإحصاء كل معلوم؛ لأن المعلومات هي من مقتضاها ومرتبطة بها. وتأمل صدور الخلق والأمر عن علمه وحكمته تعالى؛ ولهذا لا تجد فيها خللا ولا تفاوتا؛ لأن الخلل الواقع فيما يأمر في العبد أو يفعله؛ إما أن يكون لجهله به، أو لعدم حكمته. وأما الرب تعالى فهو العليم الحكيم، فلا يلحق فعله ولا أمره خلل ولا تفاوت ولا تناقض".[٣]

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "من كمال رحمته أن يعرف عباده نفسه وصفاته، ويدلهم على ما يقربهم إليه، ويباعدهم منه، ويثيبهم على طاعته، ويجزيهم بالحسنى، وذلك لا يتم إلا بالرسالة والنبوة، فكانت رحمته مقتضية لها".[٤]

قال برهان الدين البقاعي-رحمه الله- «ت: ٨٨٥هـ»: "التوحيد هو الأساس الذي ينبني عليه كل خير، والمنتهى الذي هو غاية السير، والعالي على كل غير".[٥]

قال برهان الدين البقاعي-رحمه الله-«ت: ٨٨٥ هـ»: "التوحيد هو الأمر الذي لا يقوم بناء إلا عليه".[٦]

قال أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى-رحمه الله-«ت: ٨٩٨ هـ»: " قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصلت: الآية: ٣٠]،

---

(١) بدائع الفوائد ١/ ٢٨٧.

(٢) الصواعق المرسلة ١/ ٣٦٥.

(٣) كتاب فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى لابن القيم ص: ٢٨-٢٩.

(٤) بدائع التفسير: ١/ ١٧١.

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١/ ٥٧.

(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤/ ١٩٦.

أي جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم، والاستقامة في أمور الدين التي هي منتهى العمل؛ وثم للدلالة على تراخي رتبة العمل وتوقف الاعتداد به على التوحيد". (١)

قال أبو حيان الأندلسي-رحمه الله-«ت: ٧٤٥ هـ»: "وقال تعالى وتقدس: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: الآية: ١٤]. فذكر العبادة عقيب التوحيد، لأن التوحيد هو الأصل، والعبادة فرعه". (٢)

قال برهان الدين البقاعي-رحمه الله-«ت: ٨٨٥هـ»: "والتوحيد هو الأساس الذي لا تصح عبادة إلا به، وتحقيقه هو العلم الذي لا علم يعدله". (٣)

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي-رحمه الله-«ت: ١٣٧٦ هـ»: "فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم". (٤)

قال حافظ بن أحمد حكمي-رحمه الله-«ت: ١٣٧٧ هـ»: "وهي أصل الدين وأساسه ورأس أمره وساق شجرته وعمود فسطاطه, وبقية أركان الدين وفرائضه متفرعة عنها, ومتشعبة منها مكملات لها مقيدة بالتزام معناها والعمل بمقتضاها". (٥)

قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين-رحمه الله-«ت: ١٢٨٢ هـ»: "أفرض العلوم معرفة الله سبحانه بأسمائه وصفاته؛ ومعرفة حقه على عباده الذي خلق الجن والإنس لأجله؛ وهو توحيد الألوهية". (٦)

قال عبد الرحمن بن قاسم-رحمه الله-«ت: ١٣٩٢ هـ»: "التوحيد أوجب الواجبات،

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم «سورة الأحقاف: الآية: ١٣»، ٨/ ٨٢.
(٢) البحر المحيط في التفسير ١/ ٤٤.
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤/ ١٩٦.
(٤) تفسير تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن لابن سعدي، «تفسير سورة الذاريات الآية: ٥٦».
(٥) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد لحافظ الحكمي. ص: ٢٢١.
(٦) الرد على البردة ص: ٣٧٥.

ومعرفته أفرض الفرائض". [(١)]

الأمر السابع: العلم بأسماء الله وصفاته هو حياة القلوب:

يجب أن نعلم أنَّ معرفة الله تعالى هي حياة قلوبنا؛ فلا حياة للقلوب ولا نعيم ولا سرور ولا أمان ولا طمأنينة إلا بأن تَعرف ربها ومعبودها وفاطرها، ويكون أحب إليها مما سواه، ولا يمكن أن تنجو وأن تَسعد في الآخرة إلَّا بهذه المعرفة والمحبة.

والإنسان بدون الإيمان بالله لا يمكنه أن ينال معرفة ولا هداية، وبدون اهتدائه إلى ربِّه لا يكون إلا شقيًّا مُعذَّبًا كما هو حال الكافرين.

فالله–تبارك وتعالى–خلق هذا الإنسان وركَّبه من الجسد والروح، وشاء أن يكون قَوَام هذا الجسد من هذه الأرض؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الحج: الآية: ٥]، وجعل حياة هذا الجسد من التراب؛ فهو يأكل ويشرب ويكتسي من الأرض وما فيها.

وجعل في هذا الجسد الروح؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: الآية:٢٩].

أمَّا أصل هذه الروح ومادتها فهذا لا علم لنا به: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: الآية: ٨٥]؛ فأمرٌ استأثر الله تعالى به في علم الغيب عنده.

لكن الله عز وجل شاء أن يكون قِوام هذه الروح وحياتها في معرفة الله وعبادته؛ قال–عز وجل–: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: الآية: ٢٨]؛ فلا شيء أطيب للعبد ولا ألذ ولا أهنأ ولا أنعم لقلبه وعيشه من محبَّة فاطره وبارئه، ودوام ذِكره، والسعي في مرضاته، لذلك فإنَّ مَن في قلبه أدنى حياة أو محبة لربه وإرادة لوجهه وشوق إلى لقائه، فطلبه لهذا الباب وحرصه على معرفته وازدياده من التَّبَصُّر فيه وسؤاله واستكشافه عنه هو أكبر مقاصده وأعظم مطالبه وأجل غاياته، فهذا هو الكمال الذي لا كمال للعبد بدونه، وله خُلق الخلق، ولأجله نزل الوحي، وأُرسلت الرسل، وقامت السموات

---

(١) حاشية الأصول الثلاثة ص: ١٣٧.

والأرض، ووُجدت الجنة والنار، ولأجله شُرعت الشرائع، وأُسِّست الملة، ونُصبت القِبلة، وهو قطب رحى الخلق والأمر الذي مدارهما عليه.

وهو بحقٍّ أفضل ما اكتسبته القلوب، وحصَّلته النفوس، وأدركته العقول، وليست القلوب الصحيحة والنفوس المطمئنة إلى شيء من الأشياء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر، ولا فرحها بشيء أعظم من فرحها بالظفر بمعرفة الحق فيه.[(١)]

قال الحافظ عبيد الله بن أبي جعفر -رحمه الله- «ت: ١٣٤ هـ»: "ما استعان عبد على دينه بمثل الخشية من الله".[(٢)]

قال محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي -رحمه الله- «ت: ٣٢٠ هـ»: "فمن نور الله قلبه بالإيمان قويت معرفته، واستنارت بنور اليقين، فاستقام به قلبه، واطمأنت به نفسه، وسكنت ووثقت وأيقنت، وأتمنته على نفسها، فرضيت لها به وكيلا، وتركت التدبير عليه".[(٣)]

سئل محمد بن عبد الله الفرغاني -رحمه الله- «ت: ٣٦٢ هـ» عن الافتقار إلى الله تعالى والاستغناء به أيهما أكمل؟ فقال: "إذا صح الافتقار إلى الله تعالى صح الاستغناء به، واذا صح الاستغناء به صح الافتقار إليه، فلا يقال أيهما أكمل لأنه لا يتم أحدهما إلا بالآخر".[(٤)]

قال ابن تيمية -رحمه الله- «ت: ٧٢٨ هـ»: "الجمال الذي للخُلُق، من العلم والإيمان والتقوى أعظم من الجمال الذي للخَلْق، وهو الصورة الظاهرة".[(٥)]

قال ابن القيم -رحمه الله- «ت: ٧٥١ هـ»: "وما أحسن ما قال أبو الفرج ابن الجوزي -رحمه الله- «ت: ٥٩٧ هـ»، في بعض وعظه: "قبيح بالعبد أن يقول بلسانه الله أكبر وقد امتلأ قلبه

---

(١) انظر: «الفتوى الحموية الكبرى» «ص٢٨، ٢٩».

(٢) سير أعلام النبلاء، «٩/٦».

(٣) كتاب آداب النفس للحكيم الترمذي ص: ١٦.

(٤) طريق الهجرتين ١/ ٩٧.

(٥) الاستقامة، لابن تيمية ١/ ٤٤١.

بغير الله". [١]

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "الشوق إلى الله ولقائه نسيمٌ يهب على القلب؛ يروح عنه وهج الدنيا". [٢]

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: عند تفسير قوله–تعالى–: ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: الآية: ١١]، "جمع لهم بين النضرة والسرور وهذا جمال ظواهرهم وهذا حال بواطنهم كما جملوا في الدنيا ظواهرهم بشرائع الإسلام وبواطنهم بحقائق الإيمان". [٣]

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "فالغاية الحميدة التي يحصل بها كمال بني آدم وسعادتهم ونجاحهم هي معرفة الله ومحبته وعبادته وحده لا شريك له وهي حقيقة قول العبد لا اله إلا الله وبها بعث الرسل ونزلت جميع الكتب ولا تصلح النفس ولا تزكو ولا تكمل إلا بذلك". [٤].

وإذا تأملت أعمال القلوب وجدت–مثلًا–أن كل حبٍّ هو تَبَعٌ لحبِّ الله عز وجل؛ وكذلك الخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والإخلاص، والرغبة، والرهبة.. إلى غير ذلك.

فلا يمكن أن تتحرك أعمال القلوب في القلب ولا أن تقوم بواجبها ما لم تكن على معرفة بالله عز وجل!

إذًا، كيف تتحقق في القلب أعمال القلوب؟

فمثلًا إذا علمت أن الله هو الخالق، وهو الرازق، وهو المحيي، وهو المميت، وهو النَّافع، وهو الضَّار، وهو القابض، وهو الباسط. إذا علمت هذا أَثْمَر في قلبك توكلًا على الله عز وجل. هذه المعرفة تُوَلِّدُ التوكل. ممن تخاف ومَن ترجو والرزق بيد الواحد الأحد عز وجل؟! يرزق من يشاء بغير حساب. وكيف ترجو ما في يد الناس؟ أو حتى كيف تحسد فلانًا من الناس: أن أعطاه الله تعالى من فضله؛ ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ

(١) بدائع الفوائد ٢ / ٦٩٦.

(٢) الفوائد لابن القيم ص٩٨.

(٣) حادي الأرواح ص: ١٨٥.

(٤) مفتاح دار السعادة ٢/ ١٢٠.

تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: الآية:٢٦]؛ فالخير بيد الله-عز وجل-، والله يختص برحمته مَن يشاء؛ فكيف لقلبٍ أن يحسد لو كان على إيمان؟! ويحسد مَن؟! كأنما يعترض على حكم الله عز وجل: أن أعطى فلانًا ومنع فلانًا!

فصلاح قلوبنا وحمايتها من تلك الأمراض التي تضرها، وتفسد على الإنسان حياته مِن غِلٍّ وحسد وحقد وغِيبة ونميمة. إلى غير ذلك من أمراض-سببها هو: أن الإنسان ما عرف الله تعالى حقَّ المعرفة، ومثلًا الله-عز وجل-أخبرك بأنه عليم، وأنَّه سميع، وأنه بصير؛ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ومُطَّلِع على عملك وعلى فعلك؛ أفَلَا يحملُك هذا على الحياء منه؟!

فيجب أن يحمل هذا العبدَ على خوف الله-تعالى-، على مراقبته، على خشيته؛ فلو أن النفوس استحضرت هذه المعاني لَمَا أَقْدَمَت على فِعل معصية، ولذلك يقول النبي ﷺ: «لا يَزني الزَّاني حين يَزني وهو مؤمن، ولا يَشرب الخمرَ حين يَشرب وهو مُؤمنٌ، ولا يَسرق السارق حين يَسرق وهو مؤمن...»، الحديث.(١) لأنه لو قام الإيمان كما يجب-وكما ينبغي-في نفسِه في تلك اللحظات لَمَا أقدم على فَعلته.

أنت لو لَمَحت أحدًا من الناس وأنت على معصية لربما استحييت منه، ولربما خِفت أن يُفشي سِرَّك! فكيف وأنت أمام عالم الغيب والشَّهادة، المطَّلِع على جميع أحوالك وعلى جميع أمورك وعلى جميع سكناتك وعلى جميع حركاتك؛ ألا تستحي مِن الله عز وجل؟! وكما يذكرون أنَّ رجلًا لقي أعرابية فأرادها على نفسها فأَبَت وقالت: أي ثكلتك أمك، أَمَا لك زاجر من كرم؟ أما لك ناهٍ مِن دين؟ قال: قلت: واللهِ إنَّه لا يَرانا إلا الكواكب، قالت: ها بأبي أنت، وأين مُكوكبها".(٢) فأراد أن يُطمأنها أنَّه لا يراهم أحد إلا هذه الكواكب! فقالت له: "وأين مُكوكبُها؟!"؛ فذكَّرَته بالله-عز وجل-في تلك اللحظة؛ فقام عنها، وكان ذلك سببًا في هدايته.

فنحن لو استحضرنا معاني أسماء الله وصفاته لكان هذا سببًا في حياة قلوبنا، ولكنَّ قلوبَنا

(١) أخرجه البخاري «٢٤٧٥» ومسلم «٥٧» من حديث أبي هريرة .

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» «٢/ ٢٦٥» عن العتبي.

مُلئت بالغفلة عن الله عز وجل والإعراض عن معرفة أسمائه وصفاته؛ فأصابها ما أصابها من أمراض أثقلت كواهلنا، وأفسدت علينا أمر ديننا، وأفسدت علينا أمر دنيانا، بل إن الواحد منا يقف في الصلاة ويسمع آيات الله سبحانه تُتلى عليه، ومع ذلك قلبه قاسٍ، وأصبح قلبًا متحجرًا مهما ذُكِّر بآية عذاب أو وعيد لا يهتز لها، ولا يتحرك لها شعور في قلبه من ذِكر شيء من آيات الله عز وجل؛ فأصابنا ما أصابنا من أمراض في قلوبنا وفي نفوسنا بسبب أننا غفلنا عن معرفة الله –عز وجل–.

فليتنا نعودُ إلى أسماء الله وصفاته! ليتنا نتدبر ما جاء فيها من معانٍ، وما تُثمره من ثمرات! أنت إذا أثمرت هذه المعرفة في قلبك التوكل حصلت عِزَّة للمؤمن، وحصلت طمأنينة للنفس، وكذلك إذا حصل حياء وإذا حصل خوف وإذا حصلت خشية–منعك هذا مِن أن تقترف معصية؛ لا في السر ولا في العلن. إذا حصلت هذه المعرفة قامت بك محبةٌ لله تعالى وتعظيم وإجلال.

هذه المعرفة وهذه المحبة وهذا التعظيم وهذا الإجلال يحملك على أن تُراقب الله–عز وجل– في جميع أحوالك، وأن يكون اللهُ تعالى أحبَّ إليك مِن كل شيء وأعظم وأكبر وأجَل من كل شيء، لكن للأسف حَرمنا قلوبنا من ذلك، فلربما استحقت وعيدَ الله عز وجل: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: الآية: ٢٢]؛ فقست القلوب، والقلوب تقسو، بل وتمرض وتموت، والله تعالى قد قال: ﴿كَلَّاۖ بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: الآية: ١٤]؛ فالران: هو الصدأ؛ يعلو على هذه القلوب حتى تصبح هذه القلوب صَدِأَة، هذه القلوب قاسية مُبتعدة عن ذكر الله عز وجل.

فأين النفس المطمئنة التي ستنادى كما قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي *﴾ [الفجر: الآيات: ٢٧–٢٨]

فمعرفةُ الله–عز وجل–حياةٌ لقلوبنا، وستثمر لنا من أنواع الإيمان وأنواع العمل ما يكون–بإذن الله تعالى–سببًا في صلاحنا وصلاح أحوالنا وصلاح مَعاشنا وصلاح معادنا؛ لو أننا عرفنا ذلك وعملنا به!

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "وأحق الناس برحمته: هم أهل التوحيد

والإخلاص له، فكل من كان أكمل في تحقيق إخلاص "لا إله إلا الله" علما وعقيدة وعملا وبراءة وموالاة ومعاداة: كان أحق بالرحمة".(١)

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "ومن أعظم البلاء إعراض القلب عن الله، فإن القلب إذا ذاق طعم عبادة الله والإخلاص له؛ لم يكن عنده شيء قط أحلى من ذلك، ولا ألذ ولا أطيب".(٢)

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»:"فمن تمام نعمة الله على عباده المؤمنين أن ينزل بهم الشدة والضر وما يلجئهم إلى توحيده فيدعونه مخلصين له الدين ويرجونه ولا يرجون أحدا سواه، وتتعلق قلوبهم به لا بغيره، فيحصل لهم التوكل عليه والإنابة إليه".(٣)

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "وأما التوحيد أن يكون الله أحب إليه من كل ما سواه، فلا يحب شيئا مثل ما يحب الله، ولا يخافه كما يخاف الله، ولا يرجوه كما يرجوه، ولا يجله ويكرمه مثل ما يجل الله ويكرمه".(٤)

الأمر الثامن: ثمرة معرفة أسماء الله وصفاته:

مما يدلل ويؤكد أهمية هذا التوحيد هو ما تُثمره معرفة أسماء الله وصفاته في قلب المؤمن من زيادة في الإيمان ورسوخ في اليقين، وما تَجلبه له من النور والبصيرة التي تحصنه من الشبهات المضللة والشهوات المحرمة.

فهذا العلم إذا رسخ في القلب أوجب خشيةَ الله لا محالة؛ فلكلِّ اسم من أسماء الله تأثير معين في القلب والسلوك، فإذا أدرك القلب معنى الاسم وما يتضمنه واستشعر ذلك–تجاوب مع هذه المعاني، وانعكست هذه المعرفة على تفكيره وسلوكه.

ولكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها؛ فالأسماء الحسنى والصفات العُلى مقتضية لآثارها من العبودية، وهذا مُطَّرِد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح؛

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤/ ٤١٤.

(٢) مجموع الفتاوى ١٠/ ١٨٧.

(٣) مجموع الفتاوى ٥/ ١٩٣.

(٤) جامع المسائل ٢/ ٢٧٩.

فمثلًا: علم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة يُثمر له عبودية التوكل عليه باطنًا، ولوازم التوكل وثمراته ظاهرًا.

وعلمه بسمعه تعالى وبصره وعلمه، وأنَّه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وأنه يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يُرضي الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه؛ فيثمر له ذلك الحياء باطنًا، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح.

ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبرِّه وإحسانه ورحمته تُوجب له سعة الرجاء، ويثمر له ذلك من أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه. وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعِزّه تُثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعًا من العبودية الظاهرة هي موجباتها.

وكذلك علمه بكماله وجماله وصفاته العُلى يوجب له محبة خاصة بمنزلة أنواع العبودية.

فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات وارتبطت بها". [١]

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا يلتذ ولا يسر ولا يطيب ولا يسكن ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحبه والإنابة إليه.

ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه". [٢]

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "الإيمان بالله وعبادته ومحبته وإجلاله هو غذاء الإنسان وقوته وصلاحه وقوامه كما عليه أهل الإيمان، وكما دل عليه القرآن، ....مع أن غالبها قرة العيون وسرور القلوب؛ ولذات الأرواح وكمال النعيم، وذلك لإرادة وجه الله والإنابة إليه، وذكره وتوجه الوجه إليه، فهو الإله الحق الذي تطمئن إليه القلوب، ولا يقوم غيره مقامه في ذلك أبدا. قال الله تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: الآية: ٦٥]". [٣]

(١) «مفتاح دار السعادة» «٢/ ٩٠».

(٢) منهاج السنة النبوية ٥/ ٤٣٠.

(٣) قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة ص: ٣٦-٣٧.

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "من وطَّن قلبه عند ربه سكن واستراح، ومن أرسله في الناس اضطرب، واشتد به القلق".[(١)]

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلقهَا بهَا. فالقلوب آنِية الله فِي أرضه فأحبها إِلَيه أرقها وأصلبها وأصفاها".[(٢)]

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "فما كبر النفوس وشرفها، ورفعها، وأعزها مثل طاعة الله، وما صغر النفوس وأذلها، وحقرها مثل معصية الله–عز وجل–".[(٣)]

قال ابن مسعود–ضي الله عنه–«ت: ٣٢ هـ»: "إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا".[(٤)]

قال ابن حجر–رحمه الله–«ت: ٨٥٢ هـ»: عند تعليقه على هذا الأثر: "المؤمن يغلب عليه الخوف لقوة ما عنده من الإيمان فلا يأمن العقوبة بسببها وهذا شأن المسلم أنه دائم الخوف والمراقبة يستصغر عمله الصالح ويخشى من صغير عمله السيء، قوله" "وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب" في رواية أبي الربيع الزهراني عن أبي شهاب عند الإسماعيلي "يرى ذنوبه كأنها ذباب مر على أنفه" أي ذنبه سهل عنده لا يعتقد أنه يحصل له بسببه كبير ضرر كما أن ضرر الذباب عنده سهل وكذا دفعه عنه، والذباب بضم المعجمة وموحدتين الأولى خفيفة بينهما ألف جمع ذبابة وهي الطير المعروف قوله: "فقال به هكذا" أي نحاه بيده أو دفعه هو من إطلاق القول على الفعل قالوا وهو أبلغ قوله قال أبو شهاب هو موصول بالسند المذكور قوله: "بيده على أنفه" هو تفسير منه لقوله: "فقال به" قال المحب الطبري–رحمه الله–«ت: ٦٩٤ هـ»: إنما كانت هذه صفة المؤمن لشدة خوفه من الله ومن عقوبته لأنه على يقين من الذنب وليس على يقين من المغفرة، والفاجر قليل المعرفة بالله فلذلك قل خوفه واستهان بالمعصية وقال ابن أبي جمرة السبب في ذلك أن قلب الفاجر مظلم فوقوع الذنب خفيف عنده ولهذا تجد من يقع في

---

(١) الفوائد لابن القيم ص: ٩٨.

(٢) الفوائد، ١/ ٢٦٢.

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص: ١٤٩.

(٤) فتح الباري لابن حجر ١١/ ١٠٥.

المعصية إذا وعظ يقول هذا سهل قال ويستفاد من الحديث أن قلة خوف المؤمن ذنوبه وخفته عليه يدل على فجوره".[١]

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "من خاف من الله خاف منه كل شيء، ومن خاف من غير الله خاف من كل شيء".[٢]

وبهذا يتبين أنَّ معرفة العبد لأسماء الله وصفاته على الوجه الذي أخبر الله عز وجل به في كتابه وسنة رسوله-صلى الله عليه وسلم-تُوجب على العبد القيام بعبودية الله على الوجه الأكمل، فكلما كان الإيمان بالصفات أكمل كان الحب والإخلاص والتعبد أقوى، وأكمل الناس عبودية المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر؛ إذ كل اسم من أسمائه-عز وجل-له تَعَبُّد مُختص به؛ علمًا ومعرفة وحالًا.

«علمًا ومعرفة»: أي: إنَّ مَن عَلِم أنَّ الله مسمى بهذا الاسم، وعرف ما يتضمنه من الصفة، ثم اعتقد ذلك-فهذه عبادة.

و«حالًا» أي: إن لكل اسم من أسماء الله مدلولًا خاصًّا وتأثيرًا معينًا في القلب والسلوك، فإذا أدرك القلب معنى الاسم وما يتضمنه واستشعر ذلك-تجاوب مع هذه المعاني، وانعكست هذه المعرفة على تفكيره وسلوكه.

وهذه الطريقة مُشتقة من قلب القرآن؛ قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: الآية: ١٨٠].

والدعاء بها يتناول: دعاء المسألة. ودعاء الثناء. ودعاء التعبد.

وهو-سبحانه-يدعو عباده إلى أن يَعرفوه بأسمائه وصفاته، ويُثنوا عليه بها، ويأخذوا بحظِّهم من عبوديتها.[٣]

قال الفضيل بن عياض-رحمه الله-«ت: ١٨٧ هـ»: "أحق الناس بالرضا عن الله، أهل

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص: ١٤٩.

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم ٢/ ٢٧٤.

(٣) «مدارج السالكين» «١/ ٤٢٠».

المعرفة بالله". [١]

قال الحكيم الترمذي-رحمه الله-«ت: ٣٢٠ هـ»: "إذا استقر في قلب المؤمن توحيد رب كريم ودود ظهر له وداده وكرمه وبره فقد وجد حلاوة التوحيد ونزاهته؛ فإذا جاءت شهوات النفس سبيلا إلى القلب فخالطته وكدرته ومازجت حلاوته فدنست وكدرت فأي خسران أعظم من هذا". [٢]

قال علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال-رحمه الله-«ت: ٤٤٩ هـ»: "وقد سئل بعض الصالحين عن المحبة ما هي؟

فقال: مواطأة القلب لمراد الرب، أن توافق الله-عز وجل-، فتحب ما أحب وتكره ما كره". [٣]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "وليس في الكائنات ما يسكن العبد إليه ويطمئن به، ويتنعم بالتوجه إليه؛ إلا الله-سبحانه-؛ ومن عبد غير الله وإن أحبه وحصل له به مودة في الحياة الدنيا ونوع من اللذة فهو مفسدة لصاحبه أعظم من مفسدة أكل الطعام المسموم". [٤]

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "ومن أعز أنواع المعرفة معرفة الرب سبحانه بالجمال وهي معرفة خواص الخلق وكلهم عرفه بصفة من صفاته وأتمهم معرفة من عرفه بكماله وجلاله وجماله سبحانه ليس كمثله شيء في سائر صفاته". [٥]

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "المحب الصادق: إن نطق نطق لله وبالله، وإن سكت سكت لله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فسكونه استعانة على مرضاة الله، فهو لله

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١٠٤.

(٢) نوادر الأصول في أحاديث الرسول ٣/ ٥١.

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١/ ٦٧.

(٤) مجموع الفتاوى ١/ ٢٣.

(٥) الفوائد ١٨١.

وبالله ومع الله". [١]

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "إذا كان العبد ليس له من صلاته إلا ما عقل منها، فليس له من عمره إلا ما كان فيه بالله ولله". [٢]

قال ابن القيم «ت: ٧٥١ هـ»-رحمه الله-: "فإن عظمة الله تعالى وجلاله في قلب العبد يقتضي تعظيم حرماته وتعظيم حرماته يحول بينه وبين الذنوب والمتجرئون على معاصيه ما قدروه حق قدره". [٣]

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي-رحمه الله-«ت: ١٣٧٦ هـ»: عند تفسير قوله تعالى: ﴿والله يَرزُق من يَشَاء بغَير حِسَاب﴾ [النور: الآية: ٣٨]، "فالرزق الدنيوي يحصل للمؤمن والكافر، وأما رزق القلوب من العلم والإيمان، ومحبة الله وخشيته ورجائه، ونحو ذلك، فلا يعطيها إلا من يحب". [٤]

الأمر التاسع: ومن ثمرات هذا العلم حسن الأدب مع الله:

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "لا يستقيم لأحد قط الأدب مع الله إلا بثلاثة أشياء: معرفته بأسمائه وصفاته، ومعرفته بدينه وشرعه، وما يحب وما يكره. ونفس مستعدة قابلة لينة، متهيئة لقبول الحق علمًا وعملًا وحالًا". [٥]

قال الخطابي-رحمه الله-«ت: ٣٨٨ هـ»: "وقد روينا عن عون بن عبد الله، أنه كان يقول: "ليعظم أحدكم ربه، أن يذكر اسمه في كل شيء، حتى يقول: أخزى الله الكلب، وفعل الله به كذا". وكان بعض من أدركناه من مشايخنا قل ما يذكر اسم الله-جل وعز-إلا فيما يتصل بطاعة، أو قربة، وكان يقول للرجل إذا جزاه خيرا: جزيت خيرا، وقل ما يقول: جزاك الله خيرا،

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ٤٥٣.

(٢) الجواب الكافي ص ٢١٣.

(٣) الجواب الكافي، لابن القيم، ص ١٣٤.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص٩٥.

(٥) «مدارج السالكين» «٢/ ٣٦٥».

إعظاما للاسم أن يمتهن في غير قربة، أو عبادة". [١]

الأمر العاشر: أسماء الله وصفاته تورث محبة الله عز وجل.

قال ابن تيمية-رحمه الله-: «ت: ٧٢٨ هـ»: "كلما قويت محبة العبد لمولاه صغرت عنده المحبوبات وقلت، وكلما ضعفت كثرت محبوباته وانتشرت. وكذا الخوف والرجاء وما أشبه ذلك فإن كمل خوف العبد من ربه لم يخف شيئا سواه قال الله-تعالى-: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: الآية: ٣٩]، وإذا نقص خوفه خاف من المخلوق وعلى قدر نقص الخوف وزيادته يكون الخوف". [٢]

الأمر الحادي عشر: أسماء الله وصفاته هي مادة ذكر الله-عز وجل-.

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ» في بيان فضل ذكر الله تعالى: "...وأما ما سألت عنه من أفضل الأعمال بعد الفرائض؛ فإنه يختلف باختلاف الناس فيما يقدرون عليه وما يناسب أوقاتهم، فلا يمكن فيه جواب جامع مفصل لكل أحد.

لكن مما هو كالإجماع بين العلماء بالله وأمره: أن ملازمة ذكر الله دائما هو أفضل ما شغل العبد به نفسه في الجملة، وعلى ذلك دل حديث أبي هريرة: «سبق المفردون قالوا يا رسول الله ومن المفردون؟ قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات» [٣] وعن أبي الدرداء-رضي الله عنه-، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنه قال: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: ذكر الله». [٤]

والدلائل القرآنية والإيمانية بصرًا وخبرًا ونظرًا على ذلك كثيرة، وأقل ذلك أن يلازم العبد

---

(١) شأن الدعاء ص: ١٨-١٩.

(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٩٤.

(٣) رواه مسلم «٢٦٧٦».

(٤) أخرجه الترمذي «٣٣٧٧» واللفظ له، وابن ماجه «٣٧٩٠»، وأحمد «٦/ ٤٤٧». وقال الألباني في تخريج مشكاة المصابيح «٢٢٠٩» إسناده صحيح

الأذكار المأثورة عن معلم الخير وإمام المتقين–صلى الله عليه وسلم–، كالأذكار المؤقتة في أول النهار وآخره، وعند أخذ المضجع وعند الاستيقاظ من المنام وأدبار الصلوات والأذكار المقيدة مثل ما يقال عند الأكل والشرب واللباس والجماع ودخول المنزل والمسجد والخلاء والخروج من ذلك وعند المطر والرعد إلى غير ذلك، وقد صنفت له الكتب المسماة بعمل اليوم والليلة.

ثم ملازمة الذكر مطلقا، وأفضله لا إله إلا الله. وقد تعرض أحوال يكون بقية الذكر مثل: «سبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله» أفضل منه.

ثم يعلم أن كل ما تكلم به اللسان وتصوره القلب مما يقرب إلى الله من تعلم علم وتعليمه وأمر بمعروف ونهي عن منكر فهو من ذكر الله، ولهذا من اشتغل بطلب العلم النافع بعد أداء الفرائض، أو جلس مجلسا يتفقه أو يفقه فيه الفقه الذي سماه الله ورسوله فقها فهذا أيضا من أفضل ذكر الله، وعلى ذلك إذا تدبرت لم تجد بين الأولين في كلماتهم في أفضل الأعمال كبير اختلاف". [(١)]

قال ابن القيم «ت: ٧٥١ هـ» –رحمه الله–: "إن التوسل إليه سبحانه بأسمائه وصفاته أحب إليه، وأنفع للعبد من التوسل إليه بمخلوقاته، وكذلك سائر الأحاديث، كما في حديث الاسم الأعظم: «اللهم إني أسألك بأن: الحمد لا إله إلا أنت، المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي ياقيوم». [(٢)]

وفي الحديث الآخر: «أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد». [(٣)]

وفي الحديث الآخر: «اللهم إني أسألك بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق». [(٤)]

وكلها أحاديث صحاح رواها ابن حبان والإمام أحمد والحاكم. وهذا تحقيق لقوله ﴿وَلِلَّهِ

---

(١) مجموع الفتاوى «١٠/ ٦٦٠-٦٦١».

(٢) أخرجه أبو داود «١٩٩٠»، والترمذي «٣٥٤٤» وقال: هذا حديث غريب، وابن ماجه «٣٨٠٨»، وأحمد «٣/ ١٢٠، ١٠٨، ٢٦٥، ٢٩١».

(٣) أخرجه أبو داود «١٩٩٣»، والترمذي «٣٤٧٣»، وقال: هذا حديث غريب، وابن ماجه «٣٨٠٧»، وأحمد «٥/ ٣٤٩، ٣٦٠».

(٤) أخرجه أحمد «٤/ ٢٦٤»، والحاكم «١/ ٥٢٤»، وابن حبان «٣/ ٢١٣».

الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: الآية: ١٨٠]".[١]

الأمر الثاني عشــر: معرفة الله تنتج للعبد فقراً هو عين غناه وعنوان فلاحه وسعادته.

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "الفقر فقران:

فقر اضطراري، وهو فقر عام لاخروج لبرّ ولا فاجر عنه، وهذا لا يقتضى مدحاً ولا ذماً ولا ثواباً ولا عقاباً ، بل هو بمنزلة كون المخلوق مخلوقاً ومصنوعاً.

والفقر الثاني فقر اختياري، هو نتيجة علمين شريفين:

أَحدهما : معرفة العبد بربه ، والثاني : معرفته بنفسه .

فمتى حصلت له هاتان المعرفتان، أَنتجتا له فقراً هو عين غناه وعنوان فلاحه وسعادته".[٢]

الأمر الثالث عشــر: ضــرورة تجنُّب الباطل، وعدم مخالفة طريق الحق في هذا الباب.

قد وقع الخلاف في هذا الباب، وكَثُر كلام أهل الباطل فيه؛ لما عرفوا من أهميته، فبالتالي ازداد تسلطهم عليه، وأرادوا أن يَحجبوا الناس عن معرفة الله-تعالى-؛ لأنهم بهذا سيوصدون الباب، وإذا أُوصد الباب لم يمكن الدخول! فَكَثُرَ الخلاف والافتراق، فكان لا بد مِن مَعرفة تَنبني على الكتاب والسنة، وكان لا بد من فهم للحقِّ حتى يُتَّبع، ولا بد من معرفة للباطل حتى يُجتنب.

فباب الأسماء والصفات من أكثر الأبواب خطورة ومَزلة؛ من جهة كونه محل خلافات شديدة ومعقدة دارت رحاها بين علماء السلف من جهة والفلاسفة وأهل الكلام والمشبهة من جهة أخرى.

فمن واجب طالب العلم: أن يَتعمق في فهم الحق المبني على الكتاب والسنة؛ قال-تعالى-: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: الآية: ٥٩]، فالرد إلى الله يكون

---

(١) أسماء الله الحسنى : «٥٠».

(٢) طريق الهجرتين «ص: ٩».

بالرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول بعد وفاته يكون بالرد إلى سنته صلى الله عليه وسلم، وقد قال-تعالى-: ﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: الآية: ١٤٠]، فالله أعلم بنفسه، وهو الذي أخبر بأسمائه وصفاته في كتابه وعلى لسان رسوله-صلى الله عليه وسلم-، وكذلك فإن النبي-صلى الله عليه وسلم-أعلم الناس بربّه وأصدقهم خبرًا، وقد قال الله في حقه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: الآيات: ٣-٤].

فمن الواجب على المسلم: أن يدرس هذا الباب وأن يتعمق في فهمه وفق ما ورد في الكتاب والسنة، وأن يحذر من التيارات الفلسفية التي أضَرَّت أصحابها، وأدخلتهم في دوامة الانحراف والضياع، فحالت بين قلوبهم وبين معرفة ربهم، فأصبحت قلوبهم مظلمة جاهلة بحقائق الإيمان، فترتب على ذلك إعراضهم عن الله وعن ذكره ومحبته والثناء عليه بأوصاف كماله، ونعوت جلاله، فانصرفت قُوى حُبّهم وشوقهم وأنسهم إلى سواه.

ومعلوم: أنه لا يستقر للعبد قَدَمٌ في المعرفة-بل ولا في الإيمان-حتى يؤمن بأسماء وصفات الربِّ جل جلاله، ويَعرفها معرفة تُخرجه عن حدِّ الجهل بربه، فالإيمان بالأسماء والصفات وتَعَرُّفها هو أساس الإسلام وقاعدة الإيمان وثمرة شجرة الإحسان؛ فمَن جَحدها فقد هدم أساس الإسلام والإيمان، وثمرة شجرة الإحسان، فضلًا عن أن يكون من أهل العرفان.

فينبغي للمؤمن أن يَبذل مقدوره ومستطاعه في معرفة الأسماء والصفات، وأن تكون معرفته سالمة من داء التعطيل وداء التمثيل اللذين ابتُلي بهما كثير من أهل البدع المخالفة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فالمعرفة الصحيحة هي المتلقاة من الكتاب والسنة، وما رُوي عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فهذه هي المعرفة النافعة التي لا يزال صاحبها في زيادة إيمانه وقوة يقينه، وطمأنينة أحواله.

مجمل معتقد أهل السنة في أسماء الله وصفاته.

معتقد أهل السنة في أسماء الله وصفاته هو: أنهم يؤمنون بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة إثباتًا ونفيًا، فهم بذلك:

١-يسمون الله بما سمى به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله-صلى الله عليه وسلم-، لا يزيدون على ذلك ولا ينقصون منه.

٢-ويثبتون لله عز وجل ويصفونه بما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله-صلى

الله عليه وسلم-، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

٣-وينفون عن الله ما نفاه عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله محمد-صلى الله عليه وسلم-، مع اعتقاد أن الله موصوف بكمال ضد ذلك الأمر المنفي.

فأهل السنة سلكوا في هذا الباب منهج القرآن والسنة الصحيحة فكل اسم أو صفة لله سبحانه وردت في الكتاب والسنة الصحيحة فهي من قبيل الإثبات فيجب بذلك إثباتها.

وأما النفي فهو أن ينفى عن الله عز وجل كل ما يضاد كماله من أنواع العيوب والنقائص، مع وجوب اعتقاد ثبوت كمال ضد ذلك المنفي.

قال الإمام أحمد-رحمه الله-«ت: ٢٤١ هـ»: "لا يوصف الله تعالى بأكثر مما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله بلا حد ولا غاية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١]. ولا يبلغ الواصفون صفته، وصفاته منه، ولا نتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال، ونصفه كما وصف نفسه، ولا نتعدى ذلك، نؤمن بالقرآن كله؛ محكمه ومتشابهه".(١)

وقال عبد الرحمن بن القاسم-رحمه الله-«ت: ١٩١ هـ»: "لا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه في القرآن، ولا يشبه يديه بشيء، ولا وجهه بشيء، ولكن يقول: له يدان كما وصف نفسه في القرآن، وله وجه كما وصف نفسه، يقف عند ما وصف به نفسه في الكتاب؛ فإنه-تبارك وتعالى-لا مثل له ولا شبيه، ولكن هو الله لا إله إلا الله كما وصف نفسه، ويداه مبسوطتان كما وصفها: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: الآية: ٦٧] ، كما وصف نفسه".(٢)

وقال ابن خزيمة-رحمه الله-«ت: ٣١١ هـ»: "إن الأخبار في صفات الله موافقة لكتاب الله تعالى، نقلها الخلف عن السلف قرنا بعد قرن من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا، على سبيل الصفات لله تعالى، والمعرفة والإيمان به، والتسليم لما أخبر الله-تعالى-في تنزيله، ونبيه الرسول-صلى الله عليه وسلم-عن كتابه، مع اجتناب التأويل والجحود، وترك التمثيل

---

(١) يُنظر: «ذم التأويل» لابن قدامة «ص: ٢٢».

(٢) ينظر: «أصول السنة» لابن أبي زمنين «ص: ٧٥».



والتكييف". [(١)]

وقال الكلاباذي-رحمه الله-«ت: ٣٨٤ هـ»: "أجمعوا على أن لله صفات على الحقيقة هو بها موصوف؛ من العلم، والقدرة، والقوة، والعز، والحلم، والحكمة، والكبرياء، والجبروت، والقدم، والحياة، والإرادة، والمشيئة، والكلام... وأن له سمعا وبصرا ووجها ويدا على الحقيقة، ليس كالأسماع والأبصار والأيدي والوجوه". [(٢)]

وقال ابن عبد البر-رحمه الله-«ت: ٤٦٣ هـ»: "أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج، فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئًا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله، وهم أئمة الجماعة، والحمد لله". [(٣)]

وقال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "مذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، فلا ينفون عنه ما أثبته لنفسه من الصفات، ولا يمثلون صفاته بصفات المخلوقين؛ فالنافي معطل، والمعطل يعبد عدما، والمشبه ممثل، والممثل يعبد صنما، ومذهب السلف إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، وهذا رد على الممثلة. وقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، رد على المعطلة». [(٤)]

وقال أيضًا-رحمه الله-: "جماع القول في إثبات الصفات هو القول بما كان عليه سلف الأمة وأئمتها، وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، ويصان ذلك عن التحريف والتمثيل، والتكييف والتعطيل؛ فإن الله ليس كمثله شيء؛ لا في ذاته، ولا في صفاته،

---

(١) ينظر: «ذم التأويل» لابن قدامة «ص: ١٨».

(٢) ينظر: «التعرف لمذهب أهل التصوف» «ص: ٣٥».

(٣) ينظر: «التمهيد» «٧/ ١٤٥».

(٤) ينظر: «مجموع الفتاوى» «٨/ ٤٣٢».

ولا في أفعاله. فمن نفى صفاته كان معطلا، ومن مثل صفاته بصفات مخلوقاته كان ممثلا، والواجب إثبات الصفات، ونفي مماثلتها لصفات المخلوقات؛ إثباتا بلا تشبيه، وتنزيها بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، فهذا رد على الممثلة، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، رد على المعطلة، فالممثل يعبد صنما، والمعطل يعبد عدما".[١]

فقولهم في الصفات مبني على أصلين:

أحدهما: أن الله سبحانه وتعالى منزه عن صفات النقص مطلقًا كالسنة والنوم والعجز والجهل وغير ذلك.

والثاني: أنه متصف بصفات الكمال التي لا نقص فيها على وجه الاختصاص بما له من الصفات، فلا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من الصفات".[٢]

ومن النصوص التي توضح ذلك ما يلي:

أ-قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١].

ففي مقام النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

وفي مقام ا لإثبات: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

ب-قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: الآية: ٥٨].

ففي مقام الإثبات: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ﴾.

وفي مقام النفي: ﴿الَّذِي لا يَمُوتُ﴾.

ج-قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥].

ففي مقام الإثبات: ﴿اللَّهُ﴾، و ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾.

وفي مقام النفي: ﴿لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، و﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾.

وأما من السنة، ففي مقام الإثبات قوله-صلى الله عليه وسلم-: «ينزل ربنا-عز وجل-

---

(١) ينظر: «مجموع الفتاوى» «٦/ ٥١٥».

(٢) منهاج السنة «٢/٥٢٣».

حين يبقى ثلث الليل الآخر إلى سماء الدنيا». متفق عليه.[١]

وقوله–صلى الله عليه وسلم–: «لما قضى الله عز وجل الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش أن رحمتي غلبت غضبي». متفق عليه.[٢]

وفي مقام النفي قوله–صلى الله عليه وسلم–: «أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً».[٣]

وقوله–صلى الله عليه وسلم–: «إن الله تعالى ليس بأعور».[٤]

وقوله–صلى الله عليه وسلم–: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام».[٥]

المسألة الثانية: بيان مجمل الأسس التي قام عليها معتقد أهل السنة في باب أسماء الله وصفاته.

ارتكز معتقد أهل السنة في باب أسماء الله وصفاته على ثلاثة أسس رئيسية، هي:[٦]

الأساس الأول: الإيمان بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته إثباتًا ونفيًا.

الأساس الثاني: تنزيه الله جل وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين.

الأساس الثالث: قطع الطمع عن إدراك كيفية اتصاف الله بتلك الصفات.

وهذه الأسس الثلاثة هي التي تفضل وتميز عقيدة أهل السنة في هذا الباب عن عقيدة أهل التعطيل «من الفلاسفة وأهل الكلام» من جهة.

---

(١) البخاري «٣/٢٢٩»، ومسلم «٥٢١/١ ح ١٦٨».

(٢) البخاري «٢٨٧/٦، ح ١٩٤»، ومسلم «٢١٠٧/٤ ح ١٤».

(٣) البخاري «٣٧٢/١٣ ح ٧٣٨٦».

(٤) متفق عليه، البخاري «٩٠/١٣»، ومسلم «٥٩/١٨».

(٥) مسلم في صحيحه «١١١/١».

(٦) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص: ٢٥

وعن عقيدة أهل التمثيل «من الكرامية والهشامية وغيرهم» من جهة أخرى.

فالأساس الأول: فيه تمييز لعقيدة أهل، السنة عن عقيدة المعطلة، فأهل السنة يجعلون الأصل في إثبات الأسماء والصفات أو نفيها عن الله تعالى هو كتاب الله وسنة نبيه–صلى الله عليه وسلم–، ولا يتجاوزونها، فما ورد إثباته من الأسماء والصفات في القرآن والسنة الصحيحة فيجب إثباته، وما ورد نفيه فيهما فيجب نفيه.

"وأما ما لم يرد إثباته ونفيه فلا يصح استعماله في باب الأسماء وباب الصفات إطلاقًا، وأما في باب الأخبار فمن السلف من يمنع ذلك، ومنهم من يجيزه بشرط أن يستفصل عن مراد المتكلم فيه، فإن أراد به حقًّا يليق بالله تعالى فهو مقبول، وإن أراد به معنى لا يليق بالله عز وجل وجب رده".[١]

ومجمل القول إن في الأمر ثلاثة أبواب:

١–باب الأسماء: وهذا يجب الاعتماد فيه على الكتاب والسنة فقط.

٢–باب الصفات: وهذا كذلك يجب الاعتماد فيه على الكتاب والسنة فقط.

٣–باب الأخبار: وهذا لا يشترط فيه ورود النص الشرعي، ولكن يشترط أن يكون معنى اللفظ المستعمل ليس بسيء.

أما أهل التعطيل: فقد جعلوا "العقل" وحده هو أصل علمهم، فالشبه العقلية هي الأصول الكلية الأولية عندهم، وهي التي تثبت وتنفي، ثم يعرضون الكتاب والسنة على تلك الشبه العقلية، فإن وافقتها قبلت اعتضادًا لا اعتمادًا، وإن عارضتها ردت تلك النصوص الشرعية وطرحت، وفي هذا يقول قائلهم: "كل ما ورد السمع به ينظر فإن كان العقل مجوزا له وجب التصديق به.

وأما ما قضى العقل باستحالته فيجب فيه تأويل ما ورد السمع به، ولا يتصور أن يشمل السمع على قاطع مخالف للمعقول.

وظواهر أحاديث التشبيه–يعني بها أحاديث الصفات–أكثرها غير صحيحة، والصحيح

---

(١) رسالة في العقل والروح ٢/ ٤٦–٤٧ لابن تيمية «ضمن مجموعة الرسائل المنيرية»

منها ليس بقاطع، بل هو قابل للتأويل".[(١)]

فهذا النقل يبين لك مدى تقديم هؤلاء لشبههم العقلية وتعصبهم لها، وكيف أنهم يجعلونها هي الأصول والسمع معروضا عليها، فما أجازته عقولهم قبلوه، وما لم تجزه عقولهم شككوا فيه وانتقصوه، ومن ثم سعوا في تأويله وتحريفه، ومن يلقي نظرةً على كتب الأشاعرة مثلاً يجد أن القوم يقسمون أبواب العقيدة إلى إلهيات-ونبوّات-وسمعيات، وهم في باب الإلهيات والنبوات لا يقبلون نصوص الكتاب والسنة، ولذلك لن تجد في هذين البابين إلا الشبه العقلية المركبة وفق القواعد المنطقية، ويا عجبا أنأخذ ديننا من كلام الله ورسوله، أم من ملاحدة اليونان وتلاميذهم!

وأما باب السمعيات-أي البعث والحشر والجنة والنار والوعد والوعيد-فهم يقبلون فيه النصوص الشرعية، وبالتالي سموا هذا الباب بالسمعيات. في مقابل باب الإلهيات والنبوات، إذ إنهم يعتمدون فيهما على العقليات، وهؤلاء شابهوا حال من قال الله تعالى فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: الآية: ٨٥]

وأما الأساس الثاني: وهو تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين، ففيه تمييز لعقيدة أهل السنة عن عقيدة المعطلة من جهة، وعن عقيدة المشبهة من جهة أخرى.

فأهل السنة: يعتقدون أن ما اتصف الله به من الصفات لا يماثله فيها أحد من خلقه، فالله عز وجل قد أخبرنا بذلك بنص كتابه العزيز حيث قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، فإذا ورد النص بصفة من صفات الله تعالى في الكتاب أو السنة فيجب الإيمان به والاعتقاد الجازم بأن ذلك الوصف بالغ من غايات الكمال والشرف والعلو مما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فالشر كل الشر في عدم تعظيم الله، وأن يسبق في ذهن الإنسان أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق، فعلى القلب المؤمن المصدق بصفات الله التي تمدح بها أو أثنى عليه بها نبيه صلى الله عليه وسلم، أن يكون

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي ص: ١٣٢-١٣٣. وقال في كتابه المستصفى ٢/ ١٣٧-١٣٨: "كل ما دل العقل فيه على أحد الجانبين فليس للتعارض فيه مجال، إذ الأدلة العقلية يستعجل نسخها وتكاذبها، فإن ورد دليل سمعي على خلاف العقل، فإما أن لا يكون متواترًا فيعلم أنه غير صحيح، وإما أن يكون متواترًا فيكون مؤولاً ولا يكون متعارضًا".

معظمًا لله جل وعلا غير متنجس بأقذار التشبيه، لتكون أرض قلبه طيبة طاهرة قابلة للإيمان بالصفات على أساس التنزيه، أخذا بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١]

أما أهل التعطيل: فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات التي لا وجود لها إلا في أفهامهم الفاسدة، فعقيدة هؤلاء المعطلة جمعت بين التمثيل والتعطيل، وهذا الشر إنما جاء من تنجس قلوبهم وتدنسها بأقذار التشبيه، فإذا سمعوا صفة من صفات الكمال التي أثنى الله بها على نفسه كاستوائه على عرشه ومجيئه يوم القيامة وغير ذلك من صفات الجلال والكمال، فإن أول ما يخطر في أذهانهم أن هذه الصفة تشبه صفات الخلق، فيتلطخ القلب بأقذار التشبيه لم يقدر الله حق قدره ولم يعظم الله حق عظمته حيث سبق إلى ذهنه أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق، فيكون أولاً نجس القلب بأقذار التشبيه ثم دعاه ذلك إلى أن ينفي صفة الخالق جلَّ وعلا عنه بادعاء أنها تشبه صفات المخلوق، فيكون فيها أولاً مشبهًا، وثانيًا معطلاً ضالاً ابتداءً وانتهاءً متهجمًا على رب العالمين ينفي صفاته عنه بادعاء أن تلك الصفة لا تليق.[١]

وأما عقيدة أهل التمثيل: فهي تقوم على دعواهم أن الله عز وجل لا يخاطبنا إلا بما نعقل، فإذا أخبرنا عن اليد فنحن لا نعقل إلا هذه اليد الجارحة، فشبهوا صفات الخالق بصفات المخلوقين، فقالوا: له يد كيدي، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وأمَّا العارفون به، المصدقون لرسله، المقرون بكماله فهم يثبتون لله جميع صفاته، وينفون عنه مشابهة المخلوقات، فيجمعون بين الإثبات ونفي التشبيه، وبين التنزيه وعدم التعطيل، فمذهبهم حسنة بين سيئتين، وهدًى بين ضلالتين.

وأما الأساس الثالث: ففيه تمييز لعقيدة أهل السنة عن عقيدة المشبهة، فأهل السنة يفوضون علم كيفية اتصاف الباري عز وجل بتلك الصفات إلى الله عز وجل، فلا علم للبشر بكيفية ذات الله–تبارك وتعالى "ولا تفسير كنه شيء من صفات ربنا تعالى كأن يقال استوى على هيئة كذا، وكل من تجرأ على شيء من ذلك فقوله من الغلو في الدين والافتراء على الله عز وجل،

---

(١) انظر: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص: ١٩-٢٠

واعتقاد ما لم يأذن به الله ولا يليق بجلاله وعظمته ولم ينطق به كتاب ولا سنة، ولو كان ذلك مطلوبًا من العباد في الشريعة لبينه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، فهو لم يدع ما بالمسلمين إليه حاجة إلا بينه ووضحه، والعباد لا يعلمون عن الله تعالى إلا ما علمهم كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥]، فليؤمن العبد بما علمه الله تعالى وليقف معه، وليمسك عما جهله وليكل معناه إلى عالمه".[١]

وأما المشبهة فقد تعمقوا في شأن كيفيات صفات الله وتقولوا على الله بغير علم، فقالوا: له بصر كبصري، ويد كيدي، وقدم كقدمي، تعالى الله عمّا يقولون علوًّا كبيرًا، وسيأتي توضيح الأسس الثلاثة في المطالب الآتية.

بيان الأساس الأول من الأسس الثلاثة التي قام عليها معتقد السلف في باب الأسماء والصفات

وهو: الإيمان بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته إثباتا ونفيا.

وهذا الأساس لابد فيه من مراعاة ما يلي:

أولاً: إن طلب العلم في المطالب الإلهية إنما يكون عن طريق الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة.

فالذي يجب اعتقاده هو أن معرفة هذا النوع من أنواع التوحيد تتوقف على دراسة الكتاب والسنة، لأن هذا التوحيد يتطلب، أسماء وصفات معينة، وهذه لا سبيل إلى معرفتها والحصول عليها إلا من طريق الكتاب والسنة «فنحن نؤمن بالله تعالى وبما أخبر به عن نفسه سبحانه على ألسنة رسله من أسمائه الحسنى وصفاته العلى بلا تكييف ولا تمثيل، وننفي عنه ما نفاه عن نفسه مما لا يليق بجلاله وعظمته، فإنه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلاً وأبين دليلاً من

---

(١) انظر: معارج القبول ١/ ٣٢٦-٣٢٧

غيره». [١] ولذلك كان معتقد أهل السنة هو الإيمان بما سمى ووصف الله به نفسه إثباتًا ونفيًا، لأنه لا يسمي الله أعلم بالله من الله، قال تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: الآية: ١٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ [النساء: الآية: ١٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: الآية:١٤]، وقال تعالى: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً﴾ [الفرقان: الآية: ٥٩]، فالله-عز وجل-، هو الذي سمى ووصف نفسه بما جاء في نص كلامه الذي هو القرآن.

ولا يسمي ويصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، الذي قال الله في حقه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: الآيات: ٣-٤]، ولقد جاءت رسالة النبي-صلى الله عليه وسلم-بإثبات الصفات إثباتًا مفصلاً على وجه ثلجت به الصدور واطمأنت به القلوب، واستقر الإيمان في نصابه، وفصلت ذلك أعظم من تفصيل الأمر والنهي، وقررته أكمل تقرير في أبلغ لفظ، ولذلك كان لزامًا على كل مسلم أن يؤمن بأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان.

قال ابن خزيمة-رحمه الله-«ت:٣١١ هـ»: "نحن نثبت لخالقنا جل وعلا صفاته التي وصف الله عز وجل بها نفسه في محكم تنزيله، أو على لسان نبيه المصطفى، مما ثبت بنقل العدل عن العدل موصولا إليه". [٢]

وقال أيضًا: "لا نصف معبودنا إلا بما وصف به نفسه إما في كتاب الله أو على لسان نبيه بنقل العدل عن العدل موصولا إليه لا نحتج بالمراسيل ولا بالأخبار الواهية ولا نحتج أيضا في صفات معبودنا بالآراء والمقاييس شيء منها أبدا مخالفا لكتاب الله، أو الشيء منه، فمن ادعى من الجهلة أن شيئا من سنن النبي إذا ثبت من جهة النقل مخالف لشيء من كتاب الله فأنا الضامن بتثبيت صحة مذهبنا على ما أبوح به منذ أكثر من أربعين سنة". [٣]

قال الحافظ أبو نصر الوائلي البكري السجزي -رحمه الله-«ت: ٤٤٤ هـ»: "وقبل كل شيء ينبغي أن يعلم أن اعتمادنا في المعتقدات أجمع على السمع فإذا ورد السمع بشيء قلنا

---

(١) معارج القبول ١/٣٣٠-٣٣١

(٢) التوحيد «١/ ٥٧» وينظر «١/ ٥١، ٦٥».

(٣) التوحيد «١/٣٧».

به، ولم نلتفت إلى شبهة يدعيها مخالف".[(١)]

ثانيًا: تقديم الشرع على العقل، فالأصل في الدين الاتباع والمعقول تبع. فمعتقد أهل السنة في هذا الباب وفي غيره من أبواب العقائد والأحكام أن العقل المجرد ليس له إثبات شيء من العقائد والأحكام، وإنما المرجع في ذلك إلى القرآن والسنة.

فالعقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله تعالى من الأسماء والصفات فوجب الوقوف في ذلك على النص، لأن العقل يقصر عن إدراك حقيقة المغيبات حتى وإن كانت تلك المغيبات أقرب شيء إليه، فهو قاصر عن أن يحيط علمًا بحقيقة روحه التي بين جنبيه لما أخفى الله أمرها عنه، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [الإسراء: الآية: ٨٥]، فإذا كان الإنسان يجهل أمر روحه فكيف يحيط علمًا بذات الله وما يصلح وما لا يصلح لذاته من الأسماء والصفات، والله قد أخفى عن الخلق كيفية ذاته؟!.

"ونحن إذا تدبرنا عامة ما جاء في أمر الدين من ذكر صفات الله، وما تعبد الناس باعتقاده من ذكر عذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، والحوض، والميزان، والصراط، وصفة الجنة وصفة النار، وجدناها أمورًا لا ندرك حقائقها بعقولنا، وإنما ورد الأمر بقبولها والإيمان بها، فإذا سمعنا شيئا من أمور الذين، وعقلناه، وفهمناه، فلله الحمد في ذلك، والشكر ومنه التوفيق، وما لم يمكنَّا إدراكه ولم تبلغه عقولنا آمنا به، وصدقناه، واعتقدنا أن هذا من قبل ربوبيته وقدرته، واكتفينا في ذلك بعلمه، ومشيئته، قال تعالى: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاء﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥]".[(٢)]

"واعلم أن فصل ما بيننا وبين المعطلة هو "مسألة العقل"، فإنهم أسسوا دينهم على المعقول، وجعلوا الاتباع والمأثور تبعًا للمعقول.

وأما أهل السنة فقالوا: الأصل في الدين الإتباع، والمعقول تبع، ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي، وعن الأنبياء، ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال من شاء

(١) الرد على من أنكر الحرف والصوت ص: ١٥٣.

(٢) الحجة في بيان المحجة ٣٢١/١ بتصرف

ما شاء". [١]

فالتقرير بأن النقل مقدم على العقل لا ينبغي أن يفهم منه أن أهل السنة ينكرون العقل والتوصل به إلى المعارف والتفكير به في خلق السموات والأرض، وفي الآيات الكونية الكثيرة، فأهل السنة لا ينكرون استعمال العقل، ولكتهم توسطوا في شأن "العقل" بين طائفتين ضلتا في هذا الباب، هما:

أهل الكلام: الذين يجعلون العقل وحده أصل علمهم، ويفردونه، ويجعلون الإيمان والقرآن تابعين له، والمعقولات عندهم هي الأصول الكلية الأولية، المستغنية بنفسها عن الإيمان والقرآن.

فهؤلاء جعلوا عقولهم هي التي تثبت وتنفي والسمع معروضا عليها، فإن وافقها قيل اعتضادًا لا اعتمادًا، وإن عارضها رُدَّ وطُرِحَ، وهذا من أعظم أسباب الضلال التي دخلت على هذه الأمة.

وأهل التصوف: الذين يذمون العقل ويعيبونه، ويرون أن الأحوال العالية، والمقامات الرفيعة، لا تحصل إلا مع عدمه، ويقرون من الأمور بما يكذب صريح العقل.

ويمدحون السكر والجنون والوله، وأمورًا من المعارف والأحوال التي لا تكون إلا مع زوال العقل والتمييز، كما يصدقون بأمور يعلم بالعقل الصريح بطلانها.

وكلا الطرفين مذموم.

وأما أهل السنة: فيرون أن العقل شرط في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل، لكنه ليس مستقلاًّ بذلك.

فالعقل غريزة في النفس، وقوة فيها، بمنزلة قوة البصر التي في العين.

فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن، كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس أو النار.

وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها.

وإن عزل بالكلية كانت الأقوال والأفعال مع عدمه أمورًا حيوانية.

فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة، والرسل جاءت

---

(١) المصدر السابق ١/ ٣٢٠

بما يعجز العقل عن دركه، ولم تأت بما يعلم بالعقل امتناعه.[١]

رابعًا: رفض التحريف والتعطيل لنصوص الأسماء والصفات.

فالسلف يعتقدون أن الواجب في نصوص القرآن والسنة بما في ذلك نصوص الأسماء والصفات هو إجراؤها على ظاهرها، وذلك بأن تُفهتم وفق ما يقتضيه اللسان العربي، وأن لا يتعرض لها بتحريف أو تعطيل كما فعل المعطلة، الذين تلاعبوا بظواهر النصوص! لمجرد أنها خالفت باطلهم ومناهجهم الفاسدة.[٢]

فنصوص الصفات ألفاظ شرعية يجب أن تحفظ لها حرمتها، وذلك بأن نفهمها وفق مراد الشارع، فلا نتلاعب بمعانيها لنصرفها عن مراد الشارع.

فمن الأصول الكلية عند السلف أن الألفاظ الشرعية لها حرمتها، ومن تمام العلم أن يبحث عن مراد الله ورسوله بها ليثبت ما أثبته الله ورسوله من المعاني، وينفى ما نفاه الله ورسوله من المعاني.[٣]

وبحمد الله وفضله نجد أن نصوص الصفات الواردة في القرآن والسنة هي من الوضوح والكثرة بمكان، بحيث يستحيل تأويلها والتلاعب بنصوصها، فلقد جاءت رسالة النبي صلى الله عليه وسلم بإثبات الصفات إثباتًا مفصَّلاً على وجه أزال الشبهة وكشف الغطاء، وحصل به العلم اليقيني، ورفع الشك والريب، فثلجت به الصدور، واطمأنت به القلوب، واستقر الإيمان في نصابه، فلقد فصلت رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الأسماء والصفات والأفعال أعظم من تفصيل الأمر والنهي، وقررت إثباتها أكمل تقرير في أبلغ لفظ.

فالمطلع على نصوص القرآن والسنة الخبير بهما، لا يزيده تحريف المعطلة لتلك النصوص إلا احتقارًا لهم، ويقينًا بفساد معتقدهم وبطلانه.

ولا تروج تحريفات المعطلة إلا على الجاهل بمعرفة تلك النصوص قليل البضاعة فيها، فهذا الصنف! أتي من جهة جهله لا من قلة النصوص الواردة في هذا الباب، والله أعلم.

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/٣٣٨-٣٣٩ بتصرف

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٢/٣٠١

(٣) مجموع الفتاوى ١٢/١١٣-١١٤ بتصرف

قال المقريزي-رحمه الله-«ت: ٨٤٥ هـ» في كلامه على افتراق الناس في نصوص الصفات: "فصار للمسلمين في ذلك خمسة أقوال:

أحدها: اعتقاد ما يفهم مثله من اللغة.

وثانيها: السكوت عنها مطلقا،

وثالثها: السكوت عنها بعد نفي إرادة الظاهر،

ورابعها: حملها على المجاز،

وخامسها: حملها على الاشتراك".[(١)]

وقال الشيخ أحمد بن إبراهيم الواسطي الشافعي «ت: ٦٩٤ هـ» [(٢)]: "وكنت متحيراً في الأقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك: من تأويل الصفات وتحريفها، أو إمرارها، أو الوقوف فيها، أو إثباتها بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل".[(٣)]

ومن أقوال العلماء في تقرير هذا الأساس:

قول عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون-رحمه الله-«ت: ١٦٤ هـ»- وهو أحد أئمة المدينة الثلاثة الذين هم مالك بن أنس، وابن الماجشون، وابن أبي ذئب- "وقد سئل فيما جحدت به الجهمية:

أما بعد: فقد فهمت ما سألت عنه فيما تتابعت الجهمية ومن خالفها في صفة الرب [العظيم الذي فاقت عظمته الوصف والتقدير وَكَلَّت الألسن عن] تفسير صفته، وانحسرت العقول دون معرفة قدره ردت عظمته العقول فلم تجد مساغًا فرجعت خاسئة وهي حسيرة، وإنما أُمروا بالنظر والتفكر فيما خلق بالتقدير، وإنما يقال «كيف»؟ لمن لم يكن ثم كان، فأما الذي لا يحول ولا يزول، ولم يَزَلْ، وليس له مثل، فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو، وكيف يعرف قدر من لم يبد ومن لم يمت، ولا يبلى، وكيف [يكون] لصفة شيء منه حد أو منتهى؟ يعرفه

---

(١) الخطط المقريزية ٣/ ٣١٩.

(٢) أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن عماد الدين الواسطي، البغدادي، فقيه كان شافعا، قدم دمشق فتتلمذ على ابن تيمية وانتقل إلى المذهب الحنبلي ورد على المبتدعة الذين خالطهم. من كتبه اختصار دلائل النبوة»، و «شرح منازل السائرين وغيرها. الأعلام ١/ ٨٩، الدرر الكامنة ١/ ١١، الشذرات ٩/ ٢٩.

(٣) النصيحة في صفات الرب جل وعلا ص ٩.

عارف أو يحد قدره واصف على أنه الحق المبين، لا حق أحق منه، ولا شيء، أبين منه. الدليل على عجز العقول في تحقيق صفته، عجزها عن تحقيق صفة أصغر خلقه، لا تكاد تراه صغرًا يحول ويزول، ولا يرى له سمع ولا بصر، لما يتقلب به ويحتال من عقله، أعضل بك وأخفى عليك مما ظهر من سمعه وبصره، فتبارك الله أحسن الخالقين، وخالقهم وسيد السادات، وربهم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١].

اعرف ـ رحمك الله ـ غناك عن تَكَلُّف صفة ما لم يصف الرب من نفسه بعجزك عن معرفة قدر ما وصف منها، إذا لم تعرف قدر ما وصف فما تكلفك علم ما لم يصف، هل تستدل بذلك على شيء من طاعته، أو تنزجر به عن شيء من معصيته؟

فأما الذي جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقًا وتكلفًا، فقد ﴿اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ [الأنعام: الآية: ٧١] فصار يستدل بزعمه على جحد ما وصف الرب وسمى من نفسه بأن [قال]: لا بد إن كان له كذا من أن يكون له كذا فعمي عن البَيّن بالخفي، وجحد ما سمى الرب من نفسه بصمت الرب عما لم يسم منها، فلم يزل يملي له الشيطان حتى جحد قول الرب ـ عز وجل ـ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: الآيات: ٢٢-٢٣] فقال: لا يراه أحد يوم القيامة، فجحد والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر إلى وجهه، ونضرته إياهم ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: الآية: ٥٥] ، "وقد قضى أنهم لا يموتون، فهم بالنظر إليه ينظرون.

إلى أن قال: وإنما جحد رؤية الله يوم القيامة إقامة للحجة الضالة المضلة؛ لأنه قد عرف إذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين، وكان له جاحدًا.

وقال المسلمون: يا رسول الله، هل نرى ربنا؟

فقال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: «هل تُضَارُّون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا. قال: «فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟» قالوا: لا. قال: «فإنكم ترون ربكم كذلك».

وقال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: «لا تمتلئ النار حتى يضع الجبار فيها قدمه، فتقول: قط قط، وينزوي بعضها إلى بعض».

وقال لثابت بن قيس–رضي الله عنه–: «لقد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة».

وقال فيما بلغنا: «إن الله ليضحك من أزِلِكم وقنوطكم وسرعة إجابتكم»، فقال له رجل من العرب: إن ربنا ليضحك؟ [قال: «نعم». قال: لا نعدم من رب يضحك خيرًا" في أشباه لهذا مما لم نحصه.

وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: الآية: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: الآية: ٣٩]، وقال: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: الآية: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: الآية: ٦٧]. فوالله ما دلَّهُم على عِظَم ما وصفه من نفسه، وما تحيط به قبضته إلا صغر [نظيرها منهم عندهم، إن ذلك الذي] ألقى في روعهم، وخلق على معرفة [قلوبهم]، فما وصف الله من نفسه فسماه على لسان رسوله–صلى الله عليه وسلم–سميناه كما أسماه، ولم نتكلف منه صفة ما سواه ـ لا هذا ولا هذا ـ لا نجحد ما وصف، ولا نتكلف معرفة ما لم يصف.

اعلم–رحمك الله–أن العصمة في الدين أن تنتهي في الدين حيث انتهي بك ولا تجاوز ما حد لك، فإن من قوام الدين معرفة المعروف وإنكار المنكر، فما بسطت عليه المعرفة وسكنت إليه الأفئدة وذكر أصله في الكتاب والسنة وتوارث علمه الأمة، فلا تخافنّ في ذكره وصفته من ربك ما وصفه من نفسه عيبًا، ولا تتكلفنّ لما وصف لك من ذلك قدرًا.

وما أنكرته نفسك، ولم تجد ذكره في كتاب ربك ولا في الحديث عن نبيك ـ من ذكر ربك ـ فلا تتكلفن علمه بعقلك، ولا تصفه بلسانك، واصمت عنه كما صمت الرب عنه من نفسه، فإن تكلفك [معرفة] ما لم يصف من نفسه كإنكارك ما وصف منها، فكما أعظمت ما جحده الجاحدون مما وصف من نفسه، فكذلك أعظم [تكلف] ما وصف الواصفون مما لم يصف منها.

فقد ـ والله عَزّ المسلمون الذين يعرفون المعروف وبمعرفتهم يُعرف، وينكرون المنكر وبإنكارهم يُنكر، يسمعون ما وصف الله به نفسه من هذا في كتابه، وما بلغهم مثله من نبيه، فما مرض من ذكر هذا وتسميته قلبُ مسلم، ولا تكلَّف صفة قدرة ولا تسمية غيره من الرب مؤمن.

وما ذكر عن الرسول–صلى الله عليه وسلم–أنه سماه من صفة ربه، فهو بمنزلة ما سمى وما وصف الرب من نفسه.

والراسخون في العلم ـ الواقفون حيث انتهى علمهم، الواصفون لربهم بما وصف من نفسه، التاركون لما ترك من ذكرها ـ لا ينكرون صفة ما سمى منها جحدًا، ولا يتكلَّفون وصفه بما لم يُسم تعمُّقًا، لأن الحقَّ تركُ ما ترك وتسميةُ ما سمَّى ومن يتبع ﴿غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: الآية: ١١٥]، وَهَبَ اللهُ لنا ولكم حُكْمًا، وألحَقَنا بالصالحين اهـ.

وقد تضمن كلامه رحمه الله عدداً من المسائل منها:

أن هناك أربعة أمور لابد من مراعاتها في باب الصفات:

أولًا: الإثبات في قوله: "فما وصف الله من نفسه فسماه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم سميناه كما أسماه" أي إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

ثانيًا: عدم الزيادة في قوله: "ولم نتكلف منه صفة ما سواه ـ لا هذا ولا هذا". أي: لا نزيد على ما أثبته الله لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

ثالثا: التوقف فيما لم يرد إثباته أو نفيه في قوله: "ولا نتكلف معرفة ما لم يصف" أي لا نخوض ونتكلف في معرفة ما لم يرد به النص.

رابعاً: عدم النقص في قوله: "لا نجحد ما وصف" أي: لا ننقص مما أثبته الله لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله–صلى الله عليه وسلم–.

وقوله: "اعلم ـ رحمك الله ـ أن العصمة في الدين أن تنتهي في الدين حيث انتهي بك ولا تجاوز ما حد لك"، هذه قاعدة لو التزمها العبد لسلِم ونجا، قف عند ما أخبرك الله من الغيب ولا تتجاوز ذلك الحد، "فإن من قوام الدين معرفة المعروف وإنكار المنكر ": أي: من إقامة الدين معرفة المعروف وإنكار المنكر.

"فما بسطت عليه المعرفة وسكنت إليه الأفئدة وذكر أصله في الكتاب والسنة وتوارث علمه الأمة، فلا تخافنّ في ذكره" يعني: اصدع به، وقل ربنا يضحك، وربنا يغضب، وربنا يرضى، لماذا تجبن في هذه المواقف؟ مع أن عندك كلام الله تعالى وكلام رسوله صلَّى الله عَلَيه وَسَلَّم؟

"وصفته من ربك ما وصفه من نفسه عيبًا"، يعني: لا تخف عيب أن يُعاب عليك فيُقال لك مشبِّه، أو يُقال لك مجسِّم، أو يُقال لك حشوي، أو يُقال وهَّابي، وغير ذلك من العبارات

التي تسمعها، ومعك من ذلك دليلٌ من كلام الله-تعالى-وكلام رسوله-صلَّى الله عَلَيه وَسَلَّم-؟

فلا بُدَّ من إقامة المعروف ولا بُدَّ من إنكار المنكر، أمة تعطِّل وتجحد، وأنت على الحق تعرف الحق وعندك دليله، لماذا لا تصدع بالحق؟ ولماذا لا تنكر المنكر الذي هو في هذا الباب هو التعطيل؟ "ولا تتكلفنّ لما وصف لك من ذلك قدرًا" يعني: لا تخض في الكيفية كما وقع المشبه في هذا.

"وما أنكرته نفسك، ولم تجد ذكره في كتاب ربك ولا في الحديث عن نبيك من ذكر صفة ربك، فلا تكلفن علمه بعقلك"، هذا الباب ليس فيه رأي وليس فيه اجتهاد، فيه نص فقط، فإن جاء النص فبها، وإلا فاسكت ولا تخض فيما لا علم لك بك.

ليس الأمر كمسائل الفروع مثلًا، أو مسائل ما يتعلق بأمور الفقه، فأمور الفقه تخضع لاجتهاد في حال عدم النص، لكن أمور الاعتقاد لا بُدَّ فيها من نص.

"ولا تصفه بلسانك" يعني: هذا في حق ما لم يرد، نصيحة غالية من أحد أئمة السلف: لا تتجاوز الحدَّ الذي يُحدُّ لك، فما جاء به النص فآمن وسلم، وما لم يأت به النص فعندنا هنا في هذا الباب ثلاثة أمور:

- أمورٌ أثبتها الله لنفسه فنثبت ما أثبته لنفسه.
- أمورٌ نفاها عن نفسه فننفي ما نفاه عن نفسه.
- وأمورٌ لم يرِد بها نفيٌ ولا إثبات فنتوقف فيها ولا نخوض فيها.

هذه ثلاثة أمور: نثبت ما أثبته لنفسه، وننفي ما نفاه عن نفسه، وما لم يرد إثباته أو نفيه نسكت عنه ولا نخوض فيه.

"فإن تكلفك معرفة ما لم يصف من نفسه كإنكارك ما وصف منها" يعني: يستوي، فهذا محظور وهذا محظور، التعطيل محظور وكذلك التقول على الله بغير علمٍ محظور، "فكما أعظمت ما جحد الجاحدون مما وصف من نفسه، فكذلك أعظِم تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها".

إذًا كما أنت تكبر وتعظم ما فعله المعطِّلة من جحد الصفات، فكذلك أكبر وأعظم التقول على الله بغير علم، وقلنا إن هذا من سبيل الشيطان؛ لأن الله تعالى عندما ذكر الشيطان ذكره

بذلك، ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية:١٦٩] فهذا من سبيل الشيطان.

فإذًا من القول على الله-عزَّ وجلَّ-بغير علم: أن تصفه بما لم يصف به نفسه، فهل هناك أسلم من هذا المنهج؟! منهجٌ يقف مع النص ولا يتجاوز النص، فبالتالي ما أثبته الله لنفسه يُثبت، وما نفاه عن نفسه يُنفى، وما لم يثبته أو ينفه فنقف فيه فلا نخوض فيه لا نفيًّا ولا إثباتًا.

"فقد-والله-عز المسلمون" يعني: قل الذين على المعتقد الصحيح، "الذين يعرفون المعروف وبمعرفتهم يُعرف، وينكرون المنكر وبإنكارهم يُنكر، يسمعون ما وصف الله به نفسه من هذا في كتابه، وما بلغهم مثله عن نبيه، فما مرض من ذكر هذا وتسميته قلب مسلم، ولا تكلف صفة قدره ولا تسمية غيره من الرب مؤمن" فهذا حال المؤمن.

فهذه نصوص واضحة لو أن الإنسان نظر لها النظرة السليمة، ولكن كما قال الشاعر:

وكمْ من عائِبٍ قوْلًا صَحيحًا وآفَتُهُ مِنَ الفَهْمِ السّقيمِ

فالسبب في هذا: أفهام سقيمة، وإن النصوص واضحة وثابتة، فالخلل هنا إما أن يكون في النصوص، أو يكون في عقول هؤلاء، وحاشا أن يكون في النصوص، فالنصوص ثابتة والله تعالى أخبر عن استوائه ونبيه -صلَّى الله عَلَيه وَسَلَّم-أخبر عن نزوله، وهكذا في سائر صفاته بين الكتاب والسُنَّة نصوص ثابتة صريحة صحيحة.

لكن الخلل من أفهامٍ تنظر إلى هذه الأمور بنظرةٍ غير صحيحة وغير سليمة، فهذه النصوص فلذلك عزَّ والله من يعرف المعروف وينكر المنكر، وهذه النصوص واضحة وصريحة وامتلأت بها الكتب التي حوت هذا الأمر.

"وما ذُكر عن رسول الله-صلَّى الله عَلَيه وَسَلَّم-أنه سماه من صفة ربه فهو بمنزلة ما سمى وما وصف الرب تعالى من نفسه" يعني: ما جاء في السُنَّة مثل ما جاء في القرآن لا نفرق بين هذا وبين هذا، فهذا وحيٌ متلو، وهذا وحيٌ غير متلو، وكلٌ نحن متعبدون به، الإيمان به والتصديق به والإقرار به كما أخبر الله تعالى، والله تعالى قال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[الحشر: الآية: ٧].

"والراسخون في العلم الواقفون حيث انتهى علمهم، الواصفون لربهم بما وصف من نفسه، التاركون لما ترك من ذكرها، لا ينكرون صفة ما سمى منها جحدها، ولا يتكلفون وصفه بما لم

يسم تعمقًا" فانظر المنهج الصحيح: يثبتون ما أثبته لنفسه ولا يجحدون، وكذلك ما أثبتوه لا يخوضون في كيفيات، "لأن الحق ترك ما ترك، وتسمية ما سمى".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية «ت: ٧٢٨ هـ»–رحمه الله–: "وهذا كله كلام ابن الماجشون «ت: ١٦٤ هـ» الإمام فتدبره، وانظر كيف أثبت الصفات ونفى علم الكيفية موافقة لغيره من الأئمة، وكيف أنكر على من نفى الصفات بأنه يلزم من إثباتها كذا وكذا كما تقوله الجهمية: أنه يلزم أن يكون جسمًا أو [عَرَضًا فيكون]."

قول عبد الرحمن بن قاسم العُتَقي من كبار فقهاء المالكية، صحب مالكاً –رحمه الله–«ت: ١٩١ هـ»: "لا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه في القرآن".(١)

وقال الإمام الشافعي–رحمه الله–«ت: ٢٠٤ هـ»: "حرامٌ على العقول أن تُمَثِّل الله تعالى، وعلى الأوهام أن تحدَّه، وعلى الظنون أن تقطع، وعلى النفوس أن تفكِّر، وعلى الضمائر أن تعمَّق، وعلى الخواطر أن تحيط، وعلى العقول أن تعقل إلا ما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم".(٢)

قال الشافعي–رحمه الله–«ت: ٢٠٤ هـ»: "هذه المعاني التي وصف الله–عز وجل–بها نفسه، ووصفه بها رسوله–صلى الله عليه وسلم–، لا يدرك حقيقة ذلك بالفكر والرؤية".(٣)

قال الشافعي–رحمه الله–«ت: ٢٠٤ هـ»: "نثبت هذه الصفات، وننفي التشبيه، كما نفى ذلك عن نفسه–تعالى–ذكره، فقال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١]".(٤)

وقال الإمام أحمد «ت: ٢٤١ هـ»–رحمه الله–: "ولا يوصف الله تعالى بأكثر مما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله بلا حد ولا غاية، ... ولا نتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال، ونصفه كما وصف نفسه ولا نتعدى ذلك، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه

(١) انظر: رياض الجنة بتخريج أصول السنة ص «٧٥» برقم «٢٥»، والصفات أيضاً تؤخذ من السنة الصحيحة، ولعل قول عبد الرحمن بن القاسم جاء على الغالب، والله أعلم.

(٢) انظر: ذم التأويل لابن قدامة ص: «٢٣٤–٢٣٥» برقم «٣٤».

(٣) اعتقاد الإمام الشافعي، رواية أبي طالب العشاري «١٨».

(٤) اعتقاد الإمام الشافعي، رواية أبي طالب العشاري «١٨».

صفة من صفاته لشناعة شُنِّعت".[١]

وقال سحنون «ت: ٢٥٦ هـ»-رحمه الله-: "من العلم بالله السكوت عن غير ما وصف به نفسه".[٢]

وقال ابن قتيبة-رحمه الله-«ت: ٢٧٦ هـ» عن نصوص الصفات: "نؤمن بما صح منها بنقل الثقات لها ... من غير أن نقول في ذلك بكيفية، أو بحد، أو أن نقيس على ما جاء ما لم يأت، فنرجوا أن نكون في ذلك القول والعقد على سبيل النجاة غدا، إن شاء الله تعالى".[٣]

وقال الدارمي-رحمه الله-«ت: ٢٨٠ هـ»: "لا نكيف مجيئه وإتيانه أكثر مما وصف الناطق من كتابه ثم ما وصف رسوله".[٤]

وقال الدارمي «ت: ٢٨٠ هـ» -رحمه الله-:"ليس كمثله شيء من خلقه فنشبه منه فعلًا، أو صفة، بفعالهم، وصفتهم".[٥]

وقال الطبري-رحمه الله- «ت: ٣١٠ هـ» عن الصفات: "الصواب من هذا القول عندنا: أن نثبت حقائقها على ما نعرف من جهة الإثبات، ونفي التشبيه، كما نفى ذلك عن نفسه جل ثناؤه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١]".[٦]

وقال ابن خزيمة-رحمه الله-«ت: ٣١١ هـ»، عن أحاديث نزول الرب-جَّل وعلا-: "رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي-صلى الله عليه وسلم-في نزول الرب-جل وعلا-إلى السماء الدنيا كل ليلة نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب، من غير أن نصف الكيفية، لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل، والله-جل وعلا-لم يترك ولا نبيه-عليه السلام-بيان ما بالمسلمين

---

(١) انظر: ذم التأويل لابن قدامة ص «٢٣٤» برقم «٣٣».

(٢) انظر: التمهيد «١٤٦/٧»، ذم التأويل لابن قدامة ص «٢٣٦» برقم «٣٨».

(٣) الاختلاف في اللفظ «٢٤٣» مطبوع ضمن كتاب عقائد السلف للنشار.

(٤) نقض الدارمي «٢/ ٦٨٠».

(٥) الرد على الجهمية «٩٣».

(٦) التبصير في معالم الدين «١٤٠» وينظر: «١٤٤،١٤٢».

الحاجة إليه من أمر دينهم، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول، غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية، إذ النبي لم يصف لنا كيفية النزول".[(١)]

وقال ابن خزيمة «ت: ٣١١ هـ»-رحمه الله-: "نحن نثبت لخالقنا-جل وعلا-صفاته التي وصف الله-عز وجل-بها نفسه في محكم تنزيله، أو على لسان نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم، مما ثبت بنقل العدل عن العدل موصولا إليه".[(٢)]

وقال البربهاري-رحمه الله-«ت: ٣٢٩ هـ» "ولا يقول في صفات الرب-تعالى-: كيف؟ ولِمَ؟ إلا شاك في الله".[(٣)]

وقال أبو بكر الإسماعيلي-رحمه الله-«ت: ٣٧٠ هـ»: "اعلموا-رحمنا الله وإياكم-أن مذهب أهل الحديث-أهل السنة والجماعة-: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وقبول ما نطق به كتاب الله-تعالى-، وما صحت به الرواية عن رسول الله-صلى الله عليه وآله وسلم-، لا معدل عما وردا به، ولا سبيل إلى رده... ويعتقدون أن الله تعالى مدعو بأسمائه الحسنى، موصوف بصفاته التي سمى ووصف بها نفسه، ووصفه بها نبيه صلى الله عليه وسلم".[(٤)]

وقال الإمام الخطابي-رحمه الله-«ت: ٣٨٨ هـ»: "إن صفات الله-تعالى-لا تؤخذ إلا من كتاب أو من قول رسول الله-صلى الله عليه وسلم-دون قول أحد من الناس كائناً من كان علت درجته أو نزلت تقدم زمانه أو تأخر لأنها لا تدرك من طريق القياس والاجتهاد فيكون فيها لقائل مقال ولناظر مجال".[(٥)]

وقال أيضاً: "ومن علم هذا الباب -أعني الأسماء والصفات-ومما يدخل في أحكامه، ويتعلق به من شرائط، أنه لا يتجاوز فيها التوقيف، ولا يستعمل فيها القياس، فيلحق بالشيء نظيره

---

(١) التوحيد «١/ ٢٨٩-٢٩٠».

(٢) التوحيد «١/ ٥٧».

(٣) شرح السنة «٤١».

(٤) اعتقاد أهل السنة «٣٢-٣١» وأورده الذهبي بإسناده في العلو «٢٢٩» وفي السير «١٦/ ٢٩٥» وانظر: مختصر العلو للألباني «٢٤٨».

(٥) نقلاً عن بيان تلبيس الجهمية «١/٤٤٢».

في ظاهر وضع اللغة ومتعارض الكلام".[١]

قال ابن عقيل–رحمه الله–«ت: ٥١٣ هـ» في الكفاية [٢] «فصل عجيب يخفى على كثير من الأصوليين: وذلك أنه لا يجوز الإغراق في الإثبات مجاوزة لما أثبته الشرع ودلَّ عليه، كذلك لا يجوز الإغراق في النفي ولا الإقدام على نفي شيء عن الله إلا بدليل؛ لأن النفي أيضا لا يؤمن معه إزالة ما وجب له سبحانه، فالنفي يحتاج إلى دليل كما أن الإثبات يحتاج إلى دليل، كما أن إثبات ما لا يجب له كفر، فنفي ما جُوِّزَ عليه خطأ وفسق، ومثال ذلك: أن يغرق هؤلاء الخطباء والقصاص في نفي النقائص، ثم يدرجون فيها ما وردت به السنن ويقولون ليس بفوق ولا تحت ولا يدرك ولا يعلم ولا يعرف ولا ولا، فربما ساقوا في نفيهم نفي صفة وردت بها السنن».[٣]

وعلق عليه شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: «وهذا هو الصواب عند السلف والأئمة وجماهير المسلمين أنه لا يجوز النفي إلا بدليل كالإثبات، فكيف ينفى بلا دليل ما دل عليه دليل إما قطعي وإما ظاهري، بل كيف يقال: ما لم يقم دليل قطعي على ثبوته من الصفات يجب نفيه أو يجب القطع بنفيه، ثم يقال في القطعي إنه ليس بقطعي، فهذه المقدمات الفاسدة هي وسائل الجهل والتعطيل وتكذيب المرسلين».[٤]

وقال الإمام السجزي–رحمه الله–«ت: ٤٤٤ هـ»: "وقد اتفقت الأئمة على أن الصفات لا تؤخذ إلا توقيفًا، وكذلك شرحها لا يجوز إلا بتوقيف ... ولا يجوز أن يوصف الله سبحانه إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله–صلى الله عليه وسلم–".[٥]

وقال الإمام ابن عبد البر–رحمه الله–«ت: ٤٦٣ هـ»: «... ما غاب عن العيون فلا يصفه ذوو العقول إلا بخبر، ولا خبر في صفات الله–تعالى–إلا ما وصف نفسه به في كتابه أو على

---

(١) شأن الدعاء ص «١١١».

(٢) "كفاية المفتي" في عشر مجلدات، ويسمى أيضاً: "الفصول"، معظمه مفقود، وتوجد منه قطعتان مخطوطتان، إحداهما: بدار الكتب المصرية، والأخرى بالمكتبة الظاهرية بدمشق، انظر: مقدمة تحقيق كتاب "الواضح في أصول الفقه" «١/١٩».

(٣) نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية كما في بيان تلبيس الجهمية «١/٧٩».

(٤) بيان تلبيس الجهمية «١/٧٩».

(٥) الردّ على من أنكر الحرف والصوت ص «١٢١».

لسان رسوله صلى الله عليه وسلم» [(١)]

وقال قوام السنة الأصبهاني-رحمه الله-«ت: ٥٣٢ هـ»: "قال علماء السلف: جاءت الأخبار عن النبي-صلى الله عليه وسلم-متواترة في صفات الله تعالى، موافقة لكتاب الله-تعالى-، نقلها السلف على سبيل الإثبات والمعرفة، والإيمان به والتسليم، وترك التمثيل والتكييف، وأنه-عز وجل-أزلي بصفاته وأسمائه، التي وصف بها نفسه، أو وصفه الرسول-صلى الله عليه وسلم-بها، فمن جحد صفة من صفاته بعد الثبوت كان بذلك جاحدا، ومن زعم أنها محدثة لم تكن ثم كانت دخل في حكم التشبيه في الصفات التي هي محدثة في المخلوق، زائلة بفنائه غير باقية، وذلك أن الله-تعالى-امتدح نفسه بصفاته، ودعا عباده إلى مدحه بذلك، وصدق به المصطفى-صلى الله عليه وسلم-، وبين مراد الله فيما أظهر الله لعباده من ذكر نفسه وأسمائه وصفاته، وكان ذلك مفهومًا عند العرب غير محتاج إلى تأويله". [(٢)]

وقال الإمام ابن قدامة المقدسي-رحمه الله-«ت: ٦٢٠ هـ»: "فإن صفات الله تعالى لا تُثبت ولا تُنفى إلا بالتوقيف". [(٣)]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- «ت: ٧٢٨ هـ»: "وباب الأسماء والصفات يُتَّبَع فيها الألفاظ الشرعية، فلا نطلق إلا ما يرد به الأثر". [(٤)]

وقال أيضاً: "ومن الوجوه الصحيحة أن معرفة الله بأسمائه وصفاته على وجه التفصيل لا تعلم إلا من جهة الرسول-عليه الصلاة والسلام-، إما بخبره وإما بخبره وتنبيهه ودلالته على الأدلة العقلية، ولهذا يقولون لا نصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله-صلى الله عليه وسلم-قال الله-تعالى-: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصفات: الآيات: ١٨١-١٨٢]". [(٥)]

---

(١) التمهيد «٧/١٤٥».

(٢) الحجة في بيان المحجة «١/ ١٨٣» و «٢/ ٥٤٩».

(٣) ذم التأويل لابن قدامة ص: «١٢١».

(٤) قاعدة في المحبة، ضمن جامع الرسائل «٢/ ٢٣٩».

(٥) بيان تلبيس الجهمية «١/ ٢٤٨».

وقال -رحمه الله-: "ومعلوم أن الوصف بالنفي كالوصف بالإثبات".[(١)] أي يحتاج فيهما إلى دليل من الكتاب والسنة.

وقال أيضاً: "فالأصل في هذا الباب -أي باب توحيد الأسماء واصفات-، أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله: نفياً وإثباتاً، فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه".[(٢)]

وقال شيخ الإسلام أيضاً: "فنثبت ما علمنا ثبوته، وننفي ما علمنا نفيه، ونسكت عما لا نعلم نفيه ولا إثباته".[(٣)]

وقال أيضاً: "بل النافي عليه الدليل على نفي ما نفاه، كما على المثبت الدليل على ثبوت ما أثبته، ومن ليس عنده دليل على النفي والإثبات، فعليه أن لا ينفى ولا يثبت فغاية ما عنده التوقف في نفي ذلك وإثباته".[(٤)]

وقال أيضاً: "وأصل دين المسلمين أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه في كتبه وبما وصفته به رسله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يثبتون له تعالى ما أثبته لنفسه، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه، ويتبعون في ذلك أقوال رسله، ويجتنبون ما خالف أقوال الرسل، كما قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[الصافات: الآية: ١٨٠]، أي: عما يصفه الكفار المخالفون للرسل، ﴿وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: الآية: ١٨١]، لسلامة ما قالوه من النقص والعيب، ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الصافات: الآية: ١٨٢]، فالرسل وصفوا الله بصفات الكمال ونزهوه عن النقائص المناقضة للكمال، ونزهوه عن أن يكون له مثل في شيء من صفات الكمال، وأثبتوا له صفات الكمال على وجه التفصيل، ونفوا عنه التمثيل، فأتوا بإثبات مفصَّل ونفي مجمل، فمن نفى عنه ما أثبته لنفسه من الصفات كان معطلاً، ومن جعلها مثل صفات المخلوقين كان ممثلاً، والمعطِّل يعبد عدماً والممثل يعبد

---

(١) بيان تلبيس الجهمية «١/٤٤٤».

(٢) التدمرية ص «٦-٧».

(٣) التدمرية ص «١٤٦».

(٤) درء تعارض العقل والنقل «٥/٤٤».

صنماً، وقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، وهو ردٌّ على الممثلة، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، وهو ردٌّ على المعطِّلة". [١]

وقال أيضاً: "فالواجب أن ينظر في هذا الباب فما أثبته الله ورسوله أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله نفيناه، والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي، فنثبت ما أثبتته النصوص من الألفاظ والمعاني، وننفي ما نفته النصوص من الألفاظ والمعاني". [٢]

وقال الإمام ابن القيم –رحمه الله– «ت: ٧٥١ هـ»: "إن ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي". [٣]

وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي –رحمه الله– «ت: ٧٩٢ هـ»: "فالواجب أن ينظر في هذا الباب، أعني باب الصفات، فما أثبته الله ورسوله أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله نفيناه، والألفاظ التي ورد بها النص يُعتصم بها في الإثبات والنفي، فنُثبت ما أثبته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني، وننفي ما نفته نصوصهما من الألفاظ والمعاني". [٤]

وقال ابن الوزير اليمني –رحمه الله– «ت: ٨٤٠ هـ»: "وأيضا فأسماء الله وصفاته توقيفية شرعية وهو أعز من أن يطلق عليه عبيده الجهلة ما رأوا من ذلك". [٥]

وقال الملا علي القاري –رحمه الله– «ت: ١٠١٤ هـ»: "حيث إن أوصاف الله تعالى توقيفية". [٦]

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين –رحمه الله– «ت: ١٤٢١ هـ»: "إذا قال قائل: هل الصفات توقيفية كالأسماء، أو هي اجتهادية؛ بمعنى أنه يصح لنا أن نصف الله –تعالى– بشيء لم يصف به نفسه؟

---

(١) الجواب الصحيح «٤/ ٤٠٥».

(٢) منهاج السنة النبوية «٢/ ٥٥٤».

(٣) بدائع الفوائد «١/ ١٤٧».

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص: «٢٦١».

(٥) إيثار الحق على الخلق ص: «٣٠٨».

(٦) الردّ على القائلين بوحدة الوجود ص: «١١٣».

فالجواب أن نقول: إن الصفات توقيفية على المشهور عند أهل العلم، كالأسماء، فلا نصف الله إلا بما وصف به نفسه".[١]

هذه بعض النقول من بعض الأئمة فيها بيان أن توحيد الأسماء والصفات عموماً وباب الصفات منه، توقيفيٌ لا يؤخذ إلا من الكتاب والسنة، وهذا شاملٌ للنفي والإثبات، فكما أننا لا نثبت لله–عز وجل–شيئاً إلا إذا ورد في الكتاب والسنة، فكذلك لا ننفي عن الله–عز وجل–شيئاً إلا إذا ورد نفيه في الكتاب والسنة.

فكلام هؤلاء الأئمة صريح في أن هذا الباب توقيفي؛ لأنه من باب الغيب الذي لا يُعْلَم إلا بخبر من الله–عز وجل– على لسان رسوله–صلى الله عليه وسلم–، في كتابه–عز وجل– أو سنة نبيه–صلى الله عليه وسلم–الصحيحة، والكلام فيه دون توقيف من أعظم الافتراء على الله–عز وجل–، وهو من الأبواب التي لا يصلح معها النظر العقلي الصِّرف؛ لأن الله–عز وجل–قرر بأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، وإذا كان كذلك، كان لابد من اعتماد على النصوص الشرعية.

بيان الأساس الثاني من الأسس الثلاثة التي قام عليها معتقد السلف في باب الأسماء والصفات

وهو: تنزيه الله جل وعلا أن يماثل شيء من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين.

فتوضيحه يكون وفق ما يلي:

أولاً: ا لأدلة الشرعية الواردة في تنزيه، الله عن مشابهة المخلوقين:

١–قال–تعالى–: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. [الشورى: الآية: ١١]

٢–وقال–تعالى–: ﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾. [النحل: الآية: ٧٤]

٣–وقال–تعالى–: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾. [النحل: الآية: ٦٠]

٤–وقال–تعالى–: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾. [الروم: الآية: ٢٧]

---

(١) شرح العقيدة الواسطية «١/١٤٢».

٥-وقال-تعالى-: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾. [مريم: الآية: ٦٥]

٦-وقال-تعالى-: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. [الإخلاص: الآية: ١]

٧-وقال-تعالى-: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾. [الإخلاص: الآية: ٤]

وجه دلالة الآيات:

ا-قوله-عز وجل-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. [الشورى: الآية: ١١]: دليل على أن الله منزه عن أن يكون له مثل في شيء مما يوصف به من صفات كماله.(١)

والآية: في تفسيرها وجهان:

الأول: أن يكون معناه: ليس هو كشيء، وأدخل "المثل" في الكلام توكيدًا للكلام.

والثاني: أن يكون معناها: ليس مثله شيء، فتكون "الكاف" هي المدخلة في الكلام توكيدًا (٢) وهذا وجه قوي حسن وهو الأظهر.(٣)

وقد اتفق أهل السنة على أن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.(٤)

٢-وقوله-تعالى-: ﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾. [النحل: الآية: ٧٤]:

قال ابن جرير الطبري-رحمه الله-«ت: ٣١٠ هـ» في تفسيرها: "فلا تمثلوا لله الأمثال، ولا تشبهوا له الأشباه، فإنه لا مثل ولا شبه".(٥)

وقال ابن كثير-رحمه الله-«ت: ٧٧٤ هـ»: "أي لا تجعلوا له أندادًا وأشباهًا وأمثالاً".(٦)

٣-وقوله-تعالى-: ﴿لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾. [النحل: الآية: ٦٠].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٦/٩٨

(٢) تفسير الطبري ٢٥/١٢-١٣

(٣) شرح الطحاوية ص: ١٤٦

(٤) شرح الطحاوية ص: ٩٩

(٥) تفسير الطبري ١٤/ ١٤٨.

(٦) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٧٨.

٤-وقوله-تعالى-: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. [الروم: الآية: ٢٧]

"فالله تعالى وصف نفسه بأن له المثل الأعلى، وهو الكمال المطلق، المتضمن للأمور الوجودية والمعاني الثبوتية، التي كلَّما كانت أكثر في الموصوف وأكمل كان بها أكمل وأعلى من غيره.

ولما كانت صفات الرب سبحانه وتعالى أكثر وأكمل، كان له المثل الأعلى وكان أحق به من كل ما سواه، بل يستحيل أن يشترك في المثل الأعلى المطلق اثنان، لأنهما إن تكافآ من كل وجه، لم يكن أحدهما أعلى من الآخر، وإن لم يتكافآ، فالموصوف به أحدهما وحده، فيستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى مثل أو نظير، وهذا برهان قاطع على استحالة التمثيل والتشبيه، فتأمله فإنه في غاية الظهور والقوة". (١)

٥-وقوله-تعالى-: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾. [مريم: الآية: ٦٥]: روي عن ابن عباس-رضي الله عنهما-في تفسيرها قوله: "هل تعلم للرب مثلاً أو شبيهاً". (٢)

وكذلك قال مجاهد «ت: ١٠٤ هـ» وسعيد بن جبير «ت: ٩٥ هـ» وقتادة «ت: ١١٨ هـ» وابن جريج «ت: ١٥٠ هـ»، وغيرهم. (٣)

٦-وأما قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية: ١]، فالأحد يقتضي أنه لا مثل له ولا نظير.

٧-وكذا قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية: ٤]، فالوحدانية تقتضي الكمال، والشركة تقتضي النقص. (٤)

ثانيًا: دلالة العقل على بطلان شبيه صفات الخالق بصفات المخلوقين:

ا-القول في الصفات كالقول في الذات، فإن الله ليس كمثله شي لا في ذاته، ولا في صفاته،

---

(١) الصواعق المنزلة ٣/ ١٠٣٢، وشرح الطحاوية ص: ١٤٤.

(٢) تفسير الطبري ١٦/ ١٠٦.

(٣) تفسير الطبري ١٦/ ١٠٦، وتفسير ابن كثير ٣/ ١٣١.

(٤) مجموع الفتاوى ١٦/ ٩٩.

ولا في أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل صفات سائر الذوات.[١]

فقد علم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تباينًا في الذات، وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات، لأن صفة كل موصوف تليق به كما هو ظاهر من صفات المخلوقين المتباينة في الذوات، فقوة البعير مثلاً غير قوة الذرة، فإذا ظهر التباين بين المخلوقات مع اشتراكهما في الإمكان والحدوث، فظهور التباين بينهما وبين الخالق أجلى وأقوى.[٢]

وبهذا نعلم أن الله لا مثل له، ولا تضرب له الأمثال، التي فيها مماثلة لخلقه، بل له المثل الأعلى.

٢-أن يقال: كيف يكون الرب الخالق الكامل من جميع الوجوه مشابهًا في صفاته للمخلوق المربوب الناقص المفتقر إلى من يكمله، وهل اعتقاد ذلك إلا تنقص لحق الخالق، فإن تشبيه الكامل بالناقص يجعله ناقصًا.[٣]

٣- "إذا كان المخلوق منزهًا عن مماثلة المخلوق، مع الموافقة في الاسم، فالخالق أولى أن ينزه عن مماثلة المخلوق وإن حصلت موافقة في الاسم".[٤]

"فإن الله سبحانه وتعالى أخبرنا عما في الجنة من المخلوقات، من أصناف المطاعم والمشارب والملابس والمناكح والمساكن، فأخبرنا أن فيها لبنًا وعسلاً وخمرًا وماءً ولحمًا وفاكهةً وحريرًا وذهبًا وفضةً وحورًا وقصورًا.

وقد قال ابن عباس-رضي الله عنهما-: "ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء".[٥]

فإذا كانت تلك الحقائق التي أخبر الله عنها، هي موافقة في الأسماء للحقائق الموجودة في

---

(١) الرسالة التدمرية ص: ٤٣

(٢) القواعد المثلى ص: ٢٦

(٣) القواعد المثلى ص: ٢٦

(٤) الرسالة التدمرية ص ٥٠

(٥) أخرجه مسدد في مسنده كما عند ابن حجر في المطالب العالية «١٨/ ٦٩٦» من طريق يحيى بن سعيد القطان، والطبري في تفسيره ت شاكر «١/ ٣٩١-٣٩٢» أخرجه هناد بن السري في الزهد «١/ ٤٩» ومن طريقه أبو نعيم الأصبهاني في صفة الجنة «١/ ١٤٧» وأخرجه البيهقي في البعث والنشور «ص: ٢١٠» وابن عساكر في معجمه «٢/ ٩٣٨».

الدنيا، وليست مماثلة لها بل بينهما من التباين ما لا يعلمه إلا الله تعالى، فالخالق سبحانه وتعالى أعظم مباينة للمخلوقات من مباينة المخلوق للمخلوق، ومباينته لمخلوقاته أعظم من مباينة موجود الآخرة لموجود الدنيا، إذ المخلوق أقرب إلى المخلوق الموافق له في الاسم من الخالق إلى المخلوق، وهذا بين واضح.(١)

ثالثًا: فصل ما بين معتقد أهل السنة في هذا الأساس ومعتقد أهل التعطيل وأهل التمثيل:

قال شارح الطحاوية: " اتفق أهل السنة على أن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

ولكن لفظ "التشبيه" قد صار في كلام الناس لفظًا مجملاً يراد به:

١-المعنى الصحيح: من أن خصائص الرب تعالى لا يوصف بها شيء من المخلوقات، ولا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته، وهذا ما دل عليه القرآن، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى الآية: ١١]، فهذا رد على الممثلة المشبهة.

فمن جعل صفات الخالق مثل صفات المخلوقين فهو المشبه المبطل المذموم، ومن جعل صفات المخلوق مثل صفات الخالق فهو نظير النصارى في كفرهم.

٢-المعنى المردود: أن يراد به أنه لا يثبت لله شيء من الصفات فلا يقال: له قدرة، ولا علم، ولا حياة، لأن العبد موصوف بهذه الصفات ولازم هذا القول إنه لا يقال له: حي، عليم، قدير، لأن العبد يسمى بهذه الأسماء، وكذلك كلامه وسمعه وبصره وإرادته وغير ذلك.(٢)

وأصل الخطأ والغلط توهمهم أن هذه الأسماء العامة الكلية يكون مسماها المطلق الكلي هو بعينه ثابتا في هذا المعين وهذا المعين، وليس كذلك، فإن ما يوجد في الخارج لا يوجد مطلقًا كليًّا، بل لا يوجد إلا معينًا مختصًّا.

وهذه الأسماء إذا سُمي الله بها كان مسمَّاها معينا مختصا به.

فإذا سُمي بها العبد كان مسماها مختصًّا به.

فوجود الله وحياته لا يشاركه فيها غيره، بل وجود هذا الموجود المعين لا يشركه فيه غيره،

---

(١) المصدر السابق ص ٤٧

(٢) شرح الطحاوية ص: ٩٩ بتصرف

فكيف بوجود الخالق؟

وبهذا ومثله يتبين لك أن المشبهة أخذوا هذا المعنى فزادوا فيه على الحق فضلوا.

وأن المعطلة أخذوا نفى المماثلة بوجه من الوجوه وزادوا فيه على الحق حتى ضلوا.

وأن كتاب الله دل على الحق المحض الذي تعقله العقول السليمة الصحيحة، وهو الحق المعتدل الذي لا انحراف فيه.(١)

ومن أقوال العلماء في تقرير هذا الأساس:

قال أبو عبد الله بن أبي زَمِنين –رحمه الله– «ت: ٣٩٩ هـ»: "فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه ووصفه بها نبيه –صلى الله عليه وسلم– ليس في شيء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير، فسبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لم تره العيون فتَحُدُّه كيف هو كينونته، لكن رأته القلوب في حقائق الإيمان به".(٢)

وقال الإمام ابن عبد البر –رحمه الله– «ت: ٤٦٣ هـ»: "الذي عليه أهل السنة، وأئمة الفقه والأثر، في هذه المسألة –أي مسألة الصفات– وما أشبهها، الإيمان بما جاء عن النبي –صلى الله عليه وسلم– فيها، والتصديق بذلك، وترك التحديد والكيفية في شيء منه".(٣)

بيان الأساس الثالث من الأسس الثلاثة التي قام عليها معتقد السلف في باب الأسماء والصفات:

وهو: قطع الطمع عن إدراك كيفية اتصاف الله بصفاته:

وتوضيح هذا الأساس يتم بما يلي:

أولاً: إن الله لم يطلع الخلق على ذاته ولم يكلفهم معرفة ذاته.

لم يشأ الله –عز وجل– أن يجعل للعباد من سبيل إلى معرفة كيفية وكنه صفاته، فقد سد سبحانه الطرق الموصلة إلى ذلك، فهو من جهة لم يطلع الخلق على ذاته، فهذا باب موصود

---

(١) شرح الطحاوية ص ١٠٤ بتصرف

(٢) رياض الجنة بتخريج أصول السنة «ص: ٧٤».

(٣) التمهيد لابن عبد البر «٧/ ١٤٨».



إلى قيام الساعة كما جاء في الحديث: "اعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا". [١]

ومن جهة ثانية لم يخبرنا الله –عز وجل– بكيفية وكنه صفاته في كتابه، أو على لسان رسوله –صلى الله عليه وسلم–، فما وردت به النصوص إنما هو إثبات وجود لتلك الصفات لا إثبات كيفية.

ومن جهة ثالثة فإن الله لم يكلف العباد معرفة كيفية صفاته، ولم يتعبدهم بذلك ولا أراده منهم، بل قصرهم على الإيمان بما أخبرهم به، فالواجب عليهم أن يؤمنوا الإيمان الصحيح بما كلفوا به، وأن لا يتجاوزوا حدود ذلك.

وقد ورد النص في وجوب قطع الطمع عن إدراك حقيقة كيفية صفات الله، فإدراك ذلك مستحيل، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾ [طه: الآية: ١١٠].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي –رحمه الله– «ت: ١٣٩٣ هـ»: "إدراك حقيقة الكيفية مستحيل، وهذا ما نص عليه في هذه الآية: من سورة طه، فقوله: ﴿يُحِيطُونَ بِهِ﴾ [طه: الآية: ١١٠]، فعل مضارع منفي، والفعل الصناعي الذي يسمى «بالفعل المضارع، وفعل الأمر، والفعل الماضي» ينحل عند النحويين عن مصدر وزمن، فالمصدر كامن في مفهومه إجماعًا، فيحيطون في مفهومها «الإحاطة» فيتسلط النفي على المصدر الكامن في الفعل فيكون معه كالنكرة المبنية على الفتح، فيصير المعنى: لا إحاطة للعلم البشري برب السموات والأرض، فينفى جنس أنواع الإحاطة عن كيفيتها، فالإحاطة المسندة منفية «للخلق» عن رب العالمين". [٢]

ثانيًا: قصور العقل عن معرفة كيفية صفات الله.

إن على العقل أن ييأس من تعرف كنه الصفات وكيفياتها لعجزه عن معرفة ذلك، لأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته، أو العلم بنظيره المساوي له، أو بالخبر الصادق، وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله، فوجب بطلان تكييفها.

(١) أخرجه أبو داود «٤٣٢٠»، والنسائي في «السنن الكبرى» «٧٧٦٤»، وأحمد «٢٢٧٦٤» باختلاف يسير.

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٢٤

وعلم الإنسان محدود كما أخبر الله بذلك، حيث قال: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [الإسراء: الآية: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥].

وإذا كانت نفس الإنسان التي هي أقرب الأشياء إليه بل هي هويته، لا يعرف الإنسان كيفيتها ولا يحيط علمًا بحقيقتها، فالخالق جل جلاله أولى أن لا يعلم العبد كيفيته ولا يحيط علمًا بحقيقته.(١)

وقد أدب الله عباده المؤمنين ووجههم بأن لا يخوضوا في أمور لا علم لهم بها، فقال: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: الآية: ٣٦].

وقال–تعالى–: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ والإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: الآية: ٣٣].

ومن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفاته عز وجل، لأنه تعالى أخبرنا عنها، ولم يخبرنا عن كيفيتها، فيكون تعمقنا، في أمر الكيفية قفوًا لما ليس لنا به علم، وقولاً بما لا يمكننا الإحاطة به، ومخالفة لما نهانا الله وحذرنا منه، وحرمه علينا.

فيجب الكف عن التكييف تقديرًا بالجنان أو تقريرًا باللسان، أو تحريرًا بالبنان، لأن أية كيفية تقدرها الأذهان فالله أعظم وأجل من ذلك، ثم هي في الوقت ذاته ستكون كذبًا، لأنه لا علم لقائلها بذلك(٢). ولهذا نقل أصحاب المقالات عن بعض المشبهة–الذين خاضوا في كيفية صفات الله–أنه قال في ربه في عام واحد خمسة أقاويل(٣)، وصدق الله إذ قال في كتابه العزيز: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ [النساء: الآية: ٨٢].

فعلى المسلم أن يحذر من التكييف أو محاولته، فإن من فعل ذلك فقد وقع في مفاوز لا

(١) رسالة في الحقل والروح لابن تيمية ٢/ ٤٤ "مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية"

(٢) القواعد المثلى ص ٢٧-٢٨

(٣) مقالات الإسلاميين ص ٣٣

يستطيع الخلاص منها، فالخوض في ذلك هو مما يلقيه الشيطان في القلوب، وهو نزغة من نزغاته، فلذلك يجب على المؤمن أن يلجأ إلى ربه ويستعيذ به من نزغات الشيطان، قال-تعالى-: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. [الأعراف: الآية: ٢٠٠].

قال الطحاوي-رحمه الله-«ت: ٣٢١ هـ»: "ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهرالتسليم والاستسلام، فمن رام علم ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان، فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار، موسوسًا تائهًا زائغًا شاكًا، لا مؤمنا مصدقًا، ولا جاحدًا مكذبا". [(١)]

ثالثاً: معنى قول السلف: "بلا كيف".

إن معنى قول السلف "بلا كيف" أي بلا كيف يعقله البشر، فليس المراد من قولهم "بلا كيف" هو نفي الكيف مطلقًا، فإن كل شيء لابد أن يكون على كيفية ما، ولكن المراد هو نفي العلم بالكيف، إذ لا يعلم كيفية ذاته وصفاته إلا هو سبحانه [(٢)] ، فهذا مما استأثر الله بعلمه فلا سبيل إلى الوصول إليه، فكما أن ذات الله لا يمكن للبشر معرفة كيفيتها، فكذلك صفاته سبحانه لا نعلم كيفيتها. ولهذا لما سئل الإمام مالك-رحمه الله-«ت: ١٧٩ هـ»، فقيل له: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: الآية: ٥]، كيف استوى؟

قال-رحمه الله-: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ثم قال للسائل: وما أراك إلا رجل سوء، وأمر بإخراجه من مجلسه". [(٣)]

وقد روى عن شيخه ربيعة بن عبد الرحمن-رحمه الله-«ت: ١٣٦ هـ» قوله: "الاستواء غير

---

(١) العقيدة الطحاوية ص: ٩-١٠

(٢) شرح العقيدة الواسطية للهراس.

(٣) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية «٦٦» واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة «٣/٤٤١» والصابوني-من ثلاثة طرق-في عقيدة السلف «١٨٠-١٨٥» والبيهقي في الأسماء والصفات «٢/٣٠٥» ح «٨٦٧» وفي الاعتقاد «٥٦». وقال الذهبي في العلو «١٣٩»: "هذا ثابت عن مالك "

مجهول، والكيف غير معقول".[(١)] أي لا تعقله العقول ولا تحيط به.

وهذا يقال في سائر الصفات، وقد مشى أهل العلم على هذا الميزان واعتبروا ذلك قاعدة من قواعد الصفات.

فقول الإمام مالك «الاستواء معلوم»: أي معلوم المعنى في لغة العرب، فاستوى هنا عديت بعلى فهي هنا بمعنى علا وارتفع، وهكذا الأمر في سائر نصوص الصفات، فإن معانيها معروفة في لغة العرب، وليست مجهولة.

«والكيف مجهول»: أي مع إثباتهم لمعنى الاستواء واعتقادهم بأن الله مستوٍ على عرشه ومرتفع عليه، إلا أنهم يكلون علم كيفية ذلك الاستواء إلى الله عز وجل، لأنه مما استأثر الله بعلمه.

«والإيمان به واجب»: أي الإيمان باستواء الله على عرشه حقيقة واجب لوروده في النصوص الشرعية.

«والسؤال عنه بدعة»: أي السؤال عن كيفية الاستواء، لأن السائل قال: كيف استوى؟

قال الوليد بن مسلم-رحمه الله-«ت: ١٩٥ هـ»: "سألت الأوزاعي «ت: ١٥٧ هـ»، والثوري «ت: ١٦١ هـ»، ومالك بن أنس «ت: ١٧٩ هـ»، والليث بن سعد «ت: ١٧٥

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أ صول اعتقاد أهل السنة والجماعة «٣/٤٤٢» والبيهقي في الأسماء والصفات «٢/٣٠٦» ح «٨٦٨» وساقه الذهبي في العلو «١٢٩» بإسناده إلى ربيعة، وصححه الألباني في مختصر العلو «١٣٢».

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى «٥/ ٤٠»: "وروى الخلال بإسـناد كلهم أئمة ثقات عن سـفيان بن عيينة، قال: سـئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن..." فذكره. وقال أيضًـا في مجموع الفتاوى «٥/ ٣٦٥»: "ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شـيخ مالك". - وروي نحوه عن أم سلمة-رضـي الله عنها-، [أخرجه اللالكائي في شـرح أصـبول اعتقاد أهل السـبنة والجماعة «٣/ ٤٤٠» والصـابوني في عقيدة السـلف «١٧٨-١٧٩»] لكنه غير ثابت عنها من طريق صـحيح. وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى «٥/ ٣٦٥»: "وقد روي هذا الجواب عن أم سـلمة-رضـي الله عنها-، موقوفًا ومرفوعا، ولكن ليس إسـناده مما يعتمد عليه". وقال الذهبي في العلو «٨١»: "هذا القول محفوظ عن جماعة، كربيعة الرأي، ومالك الإمام، وأبي جعفر الترمذي، فأما عن أم سـلمة فلا يصـح". وللدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر كتاب بعنوان: الأثر المشهور عن الإمام مالك-رحمه الله-في صفة الاستواء، دراسة تحليلية

هـ»، عن الأحاديث التي فيها الصفات، فكلهم قال: أمروها كما جاءت بلا تفسير[١] [٢].

وسئل عبد الله بن المبارك-رحمه الله-«ت: ١٨١ هـ»، عن أحاديث الصفات فقال: "تمر كما جاءت بلا كيف".[٣]

وجاء عن وكيع بن الجراح-رحمه الله-«ت: ١٩٧ هـ»، أنه قال عن أحاديث الصفات: "نسلم هذه الأحاديث كما جاءت، ولا نقول: كيف هذا، ولِمَ جاء هذا".[٤]

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام-رحمه الله- «ت: ٢٢٤ هـ»، -وقد ذكر بعض أحاديث الصفات-: "هذه الأحاديث صحاح، حملها أصحاب الحدبث والفقهاء، بعضهم عن بعض، وهي عندنا حق لا نشك فيها، ولكن إذا قيل: كيف وضع قدمه ؟ وكيف ضحك ؟ قلنا: لا يفسر هذا، ولا سمعنا أحدًا يفسره".[٥]

وقال أبو زرعة الرازي-رحمه الله-«ت: ٢٦٤ هـ»، عن أحاديث الصفات: "هذه أحاديث متواترة عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، أمروها كما جاءت بلا كيف".[٦]

قال أبو يعلى-رحمه الله-«ت: ٤٥٨ هـ»: "روي عن شيخنا وإمامنا أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل-رحمه الله-«ت: ٢٤١ هـ» وغيره من أئمة أصحاب الحديث أنهم قالوا: أمروها كما جاءت، فحملوها على ظاهرها في أنها صفات لله تعالى لا تشبه سائر الموصوفين".[٧]

قال قوام السنة الأصبهاني-رحمه الله-«ت: ٥٣٥ هـ»: "الكلام في صفات الله عز وجل، ما جاء منها في كتاب الله، أو روي بالأسانيد الصحيحة عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-

---

(١) أي: تفسير الكيفية، كما في الرواية الأخرى عن الوليد أنهم قالوا: "امضها بلا كيف".

(٢) أخرجه الآجري في الشريعة «٣/ ١١٤٦»، والدارقطني في الصفات «٧٥»، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السبنة والجماعة «٣/ ٥٥٨»، وأورده أبو يعلى في إبطال التأويلات «١/ ٤٧»، وابن تيمية في مجموع الفتاوى «٥/ ٣٩» وعزاه إلى الخلال في السنة، وأورده الذهبي في العلو «١٤٠-١٣٩».

(٣) إبطال التأويلات «١/ ٥٣».

(٤) أخرجه الدارقطني في الصفات «٧١».

(٥) أخرجه الدارقطني في الصفات «٦٨-٦٩» وانظر: إبطال التأويلات «١/ ٤٨».

(٦) إبطال التأويلات «١/ ٥٣».

(٧) إبطال التأويلات «١/ ٤٣-٤٤».

، فمذهب السلف–رحمة الله عليهم أجمعين–: إثباتها وإجراؤها على ظاهرها، ونفي الكيفية عنها".[(١)]

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "ومثل هذا يوجد كثيرًا في كلام السلف والأئمة، ينفون علم العباد بكيفية صفات الله، وأنه لا يعلم كيف الله إلا الله، فلا يعلم ما هو إلا هو".[(٢)]

وقال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "العقل قد يئس من تعرف كنه الصفة وكيفيتها، فإنه لا يعلم كيف الله إلا الله، وهذا معنى قول السلف: «بلا كيف» أي: بلا كيف يعقله البشر، فإن من لا تعلم حقيقة ذاته وماهيته، كيف تعرف كيفية نعوته وصفاته؟ ولا يقدح ذلك في الإيمان بها، ومعرفة معانيها، فالكيفية وراء ذلك، كما أنا نعرف معاني ما أخبر الله به من حقائق ما في اليوم الآخر، ولا نعرف حقيقة كيفيته، مع قرب ما بين المخلوق والمخلوق، فعجزنا عن معرفة كيفية الخالق وصفاته أعظم وأعظم.

فكيف يطمع العقل المخلوق المحصور المحدود في معرفة كيفية من له الكمال كله، والجمال كله، والعلم كله، والقدرة كلها، والعظمة كلها، والكبرياء كلها ؟...".[(٣)]

رابعًا: عدم معرفة الكيفية لا يقدح في الإيمان بالصفات ومعرفة معانيها.

إن عدم العلم بكيفية صفات الله لا يقدح في الإيمان بتلك الصفات ومعرفة معانيها، لأن الكيفية وراء ذلك، فالسلف يثبتون لله ما أثبته لنفسه من صفات الكمال ويفهمون معاني تلك الصفات، ويفسرونها، فإذا أثبتوا لله السمع والبصر أثبتوهما حقيقة وفهموا معناهما، وهكذا سائر الصفات يجب أن تجري هذا المجرى، وإن كان لا سبيل لنا إلى معرفة كنهها وكيفيتها، فإن الله سبحانه لم يكلف العباد ذلك ولا أراده منهم ولم يجعل لهم إليه سبيلاً.

وكثير من المخلوقات لم يجعل الله للعباد سبيلاً إلى معرفة كنهها وكيفيتها، فهذه أرواح الخلائق التي هي أدنى إليهم من كل دان قد حجب عنهم معرفة كنهها وكيفيتها، وقد أخبرنا الله عن تفاصيل يوم القيامة وما في الجنة والنار، فقامت حقائق ذلك في قلوب أهل الإيمان وشاهدته

---

(١) الحجة في بيان المحجة «١/ ١٨٨» وبنحوه قال الخطيب البغدادي، كما في السببير للذهبي «١٨/ ٢٨٤».

(٢) مجموع الفتاوى «٣/ ٥٨».

(٣) مدارج السالكين «٣/ ٣٧٦»

عقولهم ولم يعرفوا كيفيته وكنهه، فلا يشك المسلمون أن في الجنة أنهارًا من خمر وأنهارًا من عسل، ولكن لا يعرفون كنه ذلك ومادته وكيفيته كما قال ابن عباس: "ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء".

فكذا الأسماء والصفات لا يمنع انتفاء نظيرها في الدنيا من فهم معانيها وحقائقها والإيمان بذلك واعتقاد اتصاف الله بها.[١]

فإيماننا صحيح بحق ما كلفنا به، وإن لم نعرف حقيقة ماهيته وكيفيته، والله أعلم.

وهذه الأسس الثلاثة يجب الأخذ بها جميعًا، ولا يجوز الإخلال بشيء منها، فهذا ما كان عليه معتقد السلف من هذه الأمة ومن سار على نهجهم.

وهم بهذا توسطوا في هذا الباب بين طائفتين ضلتا في هذا الباب هما:

١–المعطلة.

٢–المشبهة.

فمعتقد السلف هو الإثبات بلا تشبيه، والتنزيه بلا تعطيل، فهم لا ينفون عن الله ما سمى أو وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، فيعطلوا أسماءه الحسنى وصفاته العلى ويحرفوا الكلم عن مواضعه، ويلحدوا في أسمائه وآياته كما فعل المعطلة.

كما أنهم لا يشبهون صفات الله بصفات خلقه كما فعل المشبهة.

المسألة الثالثة: الأبواب الثلاثة التي يشتمل عليها توحيد الأسماء والصفات.

يجب أن يُعْلَم أن توحيد الأسماء والصفات يشتمل على ثلاثة أبواب:

الباب الأول: باب الأسماء

الباب الثاني: باب الصفات

الباب الثالث: باب الإخبار

فنحن إذا وقفنا وقفةَ تأمل عند نصوص الكتاب والسنة الواردة في هذا الشأن نجد الحقائق التالية: أن الله أطلق على نفسه أسماء كـ «السَّميع» و«البصير»، وأوصافاً كـ «السمع»

(١) مدارج السالكين ٣/٣٥٨

و«البصر»، وهكذا أخبر عن نفسه بأفعالها فقال: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: الآية: ١]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: الآية: ١٥]. فاستعملها في تصاريفها المتنوعة، مما يدل على أن مثل ذلك يجوز إطلاقه عليه في أي صورة ورد.

وأطلق على نفسه أفعالاً كـ «الصُّنع» و«الصِّبغة» و«الفعل» ونحوها. قال تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: الآية: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: الآية: ١٣٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: الآية: ١٠٧]، لكنه لم يَتَسَمَّ ولم يصف نفسه بها ولكن أخبر بها عن نفسه، ممَّا يدل على أنَّها تخالف الأوَّل في الحكم فوجب الوقوف فيها على ما ورد

ووصف نفسه بأفعال في سياق المدح كـ «يريد» و«يشاء» فقال جلَّ شأنه:

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ [الأنعام: الآية: ١٢٥] وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: الآية: ٢٩] إلا أنه لم يشتق له منها أسماء فدل على أن هذا النوع مخالف للقسمين الأولين، فوجب رده إلى الكتاب والسنة وذلك بالوقوف حيث أوقفنا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم

ووصف نفسه بأفعال أخرى على سبيل المقابلة بالعقاب والجزاء فقال تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: الآية: ١٤٢] وقال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: الآية: ٣٠]. ولم يشتق منها أسماء له تعالى فدل ذلك على أن مثل هذه الأفعال لها حكمٌ خاصٌ فوجب الوقوف على ما ورد

فهذه الحقائق السابقة قررت عند العلماء النتائج التالية:

١. أن النصوص جاءت بثلاثة أبواب هي «باب الأسماء» و«باب الصفات» و«باب الإخبار»

٢. أن باب الأسماء هو أخص تلك الأبواب، فما صح اسماً صحَّ صفة وصحَّ خبراً وليس العكس

٣. باب الصفات أوسع من باب الأسماء، فما صحَّ صفة فليس شرطاً أن يصحَّ اسماً، فقد يصحُّ وقد لا يصح، مع أن الأسماء جميعها مشتقة من صفاته

٤. أن ما يدخل في باب الإخبار عنه–تعالى–أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته، فالله

يُخْبَرُ عنه بالاسم وبالصفة وبما ليس باسم ولا صفة كألفاظ «الشيء» و«الموجود» و«القائم بنفسه» و«المعلوم»، فإنه يخبر بهذه الألفاظ عنه ولا تدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا

إن باب الأسماء والصفات توقيفيان.

فالأصل في إثبات الأسماء والصفات أو نفيهما عن الله تعالى هو كتاب الله وسنة نبيه–صلى الله عليه وسلم–، فما ورد إثباته من الأسماء والصفات في القرآن والسنة الصحيحة فيجب إثباته، وما ورد نفيه فيهما فيجب نفيه

وأما ما لم يرد إثباته ونفيه فلا يصح استعماله في باب الأسماء والصفات إطلاقاً.[(١)]

قال الإمام أحمد–رحمه الله–«ت: ٢٤١ هـ»: "لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا نتجاوز القرآن والسنة".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وطريقة سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله–صلى الله عليه وسلم–".[(٢)]

أما باب الإخبار فالسلف لهم فيه قولان:

القول الأول: أن باب الإخبار توقيفي، فإن الله لا يُخْبَرُ عنه إلا بما ورد به النص، وهذا يشمل الأسماء والصفات، وما ليس باسم ولا صفة مما ورد به النص كـ «الشيء» و«الصنع» ونحوها

وأما مالم يرد به النص فإنهم يمنعون استعماله.[(٣)]

القول الثاني: إن باب الإخبار لا يشترط فيه التوقيف، فما يدخل في الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته، كـ «الشيء» و«الموجود» و«القائم بنفسه»، فإنه يخبر به عنه ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا، فالإخبار عنه قد يكون باسم حسن، أو باسم ليس بسيِّئ، أي باسم لا ينافي الحسن، ولا يجب أن يكون حسناً، ولا يجوز أن يخبر عن الله باسم سيِّئ فيخبر عن الله بما لم يرد إثباته ونفيه بشرط أن يستفصل عن مراد المتكلم فيه،

---

(١) رسالة في العقل والروح لشيخ الإسلام ابن تيمية، مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية «٢/ ٤٦–٤٧».

(٢) منهاج السنة «٢/ ٥٢٣».

(٣) انظر رسالة في العقل والروح «٢/ ٤٦–٤٧».

فإن أراد به حَقًّا يليق بالله تعالى فهو مقبول، وإن أراد به معنى لا يليق بالله عز وجل وجب رده.[(١)]

المسألة الرابعة: الألفاظ المجملة وحكم دخولها في باب الصفات وموقف أهل السنة من استعمالها.

يمكن تقسيم الألفاظ المجملة–أي التي لم يرد استعمالها في النصوص–على النحو التالي:

أولاً: ألفاظ ورد استعمالها ابتداءً في بعض كلام السلف.

ومن أمثلة ذلك لفظ «الذات» و«بائن»

وهذه الألفاظ تحمل معاني صحيحة دلت عليها النصوص

وهذا النوع من الألفاظ يجيز جمهور أهل السنة استعمالها

وهناك من يمنع ذلك بحجة أن باب الإخبار توقيفي كسائر الأبواب

والصواب أنه ما دام المعنى المقصود من ذلك اللفظ يوافق ما دلت عليه النصوص، واستعمل اللفظ لتأكيد ذلك فلا مانع

كقول أهل السنة: "إن الله استوى على العرش بذاته"

فلفظة «بذاته» مراد بها أن الله مستو على العرش حقيقة وأن الاستواء صفة له.

وكقولهم: "إن الله عالٍ على خلقه بائن منهم"

فلفظة «بائن» يراد بها إثبات العلو حقيقة، والرد على زعم من قال إن الله في كل مكان بذاته

قال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "والمقصود هنا أن الأئمة الكبار كانوا يمنعون من إطلاق الألفاظ المبتدعة المجملة، لما فيها من لبس الحق بالباطل، مع ما تُوقعه من الاشتباه والاختلاف والفتنة، بخلاف الألفاظ المأثورة، والألفاظ التي بينت معانيها، فإن ما كان مأثوراً حصلت به الألفة، وما كان معروفاً حصلت به المعرفة".[(٢)]

---

(١) رسالة في العقل والروح «٢/٤٦-٤٧».

(٢) درء تعارض العقل والنقل «١/٢٧١».

وقال أيضاً: "فطريقة السلف والأئمة أنهم يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل

ويراعون أيضاً الألفاظ الشرعية، فيعبرون بها ما وجدوا إلى ذلك سبيلا

ومن تكلم بما فيه معنى باطل يخالف الكتاب والسنة ردوا عليه

ومن تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حقاً وباطلاً نسبوه إلى البدعة، وقالوا إنما قابل البدعة ببدعة ورد باطلاً بباطل".[(١)]

فيستفاد من كلام شيخ الإسلام المتقدم أن الألفاظ على أربعة أقسام:

القسم الأول: الألفاظ المأثورة وهي التي وردت بها النصوص

القسم الثاني: الألفاظ المعروفة وهي التي بُيِّنَت معانيها

القسم الثالث: الألفاظ المبتدعة التي تدل على معنى باطل

القسم الرابع: الألفاظ المبتدعة التي تحتمل الحق والباطل

فلفظ «الذات» و«بائن» هي من القسم الثاني

وهذه الألفاظ كما أسلفنا إنما تستعمل في باب الإخبار ولا تستعمل في باب الأسماء والصفات، ولذلك لما اعترض الخطابي «ت: ٣٨٨ هـ» على استعمالها بقوله: "وزعم بعضهم أنه جائز أن يقال له تعالى حد لا كالحدود كما نقول يد لا كالأيدي فيقال له: إنما أُحْوِجْنَا إلى أن نقول يد لا كالأيدي لأن اليد قد جاء ذكرها في القرآن وفي السنة فلزم قبولها ولم يجز رَدُّها. فأين ذكر الحد في الكتاب والسنة حتى نقول حد لا كالحدود، كما نقول يد لا كالأيدي؟!".[(٢)]

فرد شيخ الإسلام ابن تيمية على قول الخطابي «ت: ٣٨٨ هـ» من وجوه منها: "أن هذا الكلام الذي ذكره إنما يتوجه لو قالوا: إن له صفة هي الحد، كما توهمه هذا الراد عليهم. وهذا لم يقله أحد، ولا يقوله عاقل؛ فإن هذا الكلام لا حقيقة له إذ ليس في الصفات التي يوصف بها شيء من الموصوفات-كما وصف باليد والعلم-صفة معينة يقال لها الحد، وإنما الحد ما

---

(١) درء تعارض العقل والنقل «١/ ٢٥٤».

(٢) نقض تأسيس الجهمية «١/٤٤٢».

يتميز به الشييء عن غيره من صفته وقدره". [(١)]

فأهل السنة لم يثبتوا بهذه الألفاظ صفة زائدة على ما في الكتاب والسنة، بل بينوا بها ما عطله المبطلون من وجود الرب تعالى ومباينته من خلقه وثبوت حقيقته". [(٢)]

ثانياً: ألفاظ ورد استعمالها في كلام بعض السلف تارة لإثباتها وتارة لنفيها.

ومن أمثلة ذلك: لفظ «الحد» ولفظ «المماسة»، فإطلاق السلف لها ليس من باب الصفات وإنما هو من باب الإخبار، ولهم في حال الإثبات والنفي توجيه ليس هذا محل بسطه

ثالثاً: ألفاظ ورد استعمالها في كلام بعض السلف وفي كلام خصومهم.

ومن أمثلة ذلك: لفظة «الجهة»

رابعاً: ألفاظ ورد استعمالها في كلام الخصوم ولم يرد استعمالها في كلام السلف.

ومن أمثلة ذلك: لفظ «الجسم» و«الحيز» و«واجب الوجود» و«الجوهر» و«العرض»

وأما النوعان الثالث والرابع فالجواب عن ذلك أن نقول الأصل في هذا الباب أن الألفاظ نوعان:

النوع الأول: نوع مذكور في كتاب الله وسنة رسوله وكلام أهل الإجماع.

فهذا يجب اعتبار معناه، وتعليق الحكم به، فإن كان المذكور به مدحاً استحق صاحبه المدح، وإن كان ذماً استحق الذم، وإن أثبت شيئا وجب إثباته، وإن نفى شيئا وجب نفيه، لأن كلام الله حق، وكلام رسوله حق، وكلام أهل الإجماع حق

وهذا كقوله–تعالى–: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآيات: ١–٤]، وقوله–تعالى–: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنِ﴾ [الحشر ٢٢–٢٣]، ونحو ذلك من أسماء الله وصفاته

وكذلك قوله–تعالى–: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، وقوله–تعالى–: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣]، وقوله–تعالى–: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: الآيات: ٢٢–٢٣]، وأمثال ذلك مما ذكره الله تعالى ورسوله

---

(١) نقض تأسيس الجهمية «١/ ٤٤٢–٤٤٣».

(٢) نقض تأسيس الجهمية «١/ ٤٤٥».

صلى الله عليه وسلم، فهذا كله حق.

النوع الثاني: الألفاظ التي ليس لها أصل في الشرع

فتلك لا يجوز تعليق المدح والذم والإثبات والنفي على معناها، إلا أن يبين أنه يوافق الشرع، والألفاظ التي تعارض بها النصوص هي من هذا الضرب، كلفظ «الجسم» و«الحيز» و«الجهة» و«الجوهر» و«العرض» [(١)] فإن هذه الألفاظ يدخلون في مسماها الذي ينفونه أموراً مما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله، فيدخلون فيها نفي علمه وقدرته وكلامه، ويقولون إن القرآن مخلوق، ولم يتكلم الله به، وينفون رؤيته لأن رؤيته على اصطلاحهم لا تكون إلا لمتحيز في جهة وهو جسم، ثم يقولون: والله منزه عن ذلك فلا تجوز رؤيته. وكذلك يقولون إن المتكلم لا يكون إلا جسماً متحيزاً، والله ليس بجسم متحيز فلا يكون متكلماً، ويقولون: لو كان فوق العرش لكان جسماً متحيزاً، والله ليس بجسم متحيز، فلا يكون متكلماً فوق العرش وأمثال ذلك.[(٢)]

الموقف من هذا النوع: "إذا كانت هذه الألفاظ مجملة-كما ذُكر-فالمخاطب لهم إما:

١-أن يفصل لهم ويقول: ما تريدون بهذه الألفاظ؟ فإن فسروها بالمعنى الذي يوافق القرآن قُبلت. وإن فسروها بخلاف ذلك رُدَّت

٢-وأما أن يمتنع عن موافقتهم في التكلم بهذه الألفاظ نفياً وإثباتاً. ولكن يلاحظ

أن الإنسان إذا امتنع عن التكلم بها معهم فقد ينسبونه إلى الجهل والانقطاع

وأن الإنسان إذا تكلم بها معهم نسبوه إلى أنه أطلق تلك الألفاظ التي تحتمل حقاً وباطلاً، وأوهموا الجهال باصطلاحهم أن إطلاق تلك الألفاظ يتناول المعاني الباطلة التي ينزه الله عنها".[(٣)]

ولعل الراجح في المسألة أن الأمر يختلف باختلاف المِصْلَحَةِ

١-فإن كان الخصم في مقام دعوة الناس إلى قوله وإلزام الناس بها أمكن أن يقال له: لا يجب على أحد أن يجيب داعياً إلا إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما لم يثبت أن الرسول دعا الخلق إليه لم يكن على الناس إجابة من دعا إليه، ولا له دعوة الناس إلى ذلك،

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل «١/ ٢٤١-٢٤١»

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل «١/ ٢٢٨».

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل «١/ ٢٢٨».

ولو قدر أن ذلك المعنى حق

وهذه الطريق تكون أصلح إذا لَبَّسَ مُلَبِّسٌ منهم على ولاة الأمور، وأدخلوه في بدعتهم، كما فعلت الجهمية بمن لبسوا عليه من الخلفاء حتى أدخلوه في بدعتهم من القول بخلق القرآن وغير ذلك، فكان من أحسن مناظرتهم أن يقال: ائتونا بكتاب أو سنة حتى نجيبكم إلى ذلك وإلا فلسنا نجيبكم إلى ما لم يدل عليه الكتاب والسنة

وهذا لأن الناس لا يفصل بينهم النزاع إلا كتاب منزل من السماء، وإذا ردوا إلى عقولهم فلكل واحد منهم عقل، وهؤلاء المختلفون يدعي أحدهم أن العقل أدَّاه إلى علم ضروري ينازعه فيه الآخر، فلهذا لا يجوز أن يجعل الحاكم بين الأمة في موارد النزاع إلا الكتاب والسنة

وبهذا ناظر الإمام أحمد الجهمية لما دعوه إلى المحنة، وصار يطالبهم بدلالة الكتاب والسنة على قولهم

فلما ذكروا حججهم كقوله تعالى: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٢]، وقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢]، وقول النبي–صلى الله عليه وسلم–: «تجيء البقرة وآل عمران»، وأمثال ذلك من الأحاديث.

أجابهم عن هذه الحجج بما بين به أنها لا تدل على مطلوبهم

ولما قالوا: ما تقول في القرآن أهو الله أو غير الله؟ عارضهم بالعلم فقال: ما تقولون في العلم أهو الله أو غير الله؟ ولما ناظره أبو عيسى محمد بن عيسى برغوث–وكان من أحذقهم بالكلام– ألزمه التجسيم، وأنه إذا أثبت لله كلاماً غير مخلوق لزم أن يكون جسماً

فأجابه الإمام أحمد: بأن هذا اللفظ لا يُدرى مقصود المتكلم به، وليس له أصل في الكتاب والسنة والإجماع، فليس لأحد أن يلزم الناس أن ينطقوا به ولا بمدلوله

وأخبره أني أقول: هو أحد، صمد، لم يلد ولم يلد، ولم يكن له كفواً أحد، فبين أني لا أقول هو جسم ولا ليس بجسم، لأن كلا الأمرين بدعة محدثة في الإسلام، فليست هذه من الحجج الشرعية التي يجب على الناس إجابة من دعا إلى موجبها، فإن الناس إنما عليهم إجابة الرسول فيما دعاهم إليه وإجابة من دعاهم إليه رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، لا إجابة من دعاهم إلى قول مبتدع، ومقصود المتكلم بها مجمل لا يُعرف إلا بعد الاستفصال والاستفسار، فلا هي معروفة في الشرع، ولا معروفة بالعقل إن لم يستفسر المتكلم بها

فهذه المناظرة ونحوها هي التي تصلح إذا كان المناظر داعياً

٢-وأما إذا كان المناظر معارضاً للشرع بما يذكره، أو ممن لا يمكن أن يرد إلى الشريعة مثل من لا يلتزم الإسلام ويدعو الناس إلى ما يزعمه من العقليات أو ممن يدَّعي أن الشرع خاطب الجمهور، وأن المعقول الصريح يدل على باطن يخالف الشرع، ونحو ذلك.

أو كان الرجل ممن عرضت له شبهة من كلام هؤلاء

فهؤلاء لابد في مخاطبتهم من الكلام على المعاني التي يدعونها إما:

١-بألفاظهم

٢-وإما بألفاظ يوافقون على أنها تقوم مقام ألفاظهم، وحينئذ يقال لهم الكلام إما:

أ-أن يكون في الألفاظ.

ب-وإما أن يكون في المعاني.

ج-وإما أن يكون فيهما.

فإن كان الكلام في المعاني المجردة من غير تقييد بلفظ كما تسلكه المتفلسفة ونحوهم ممن لا يتقيد في أسماء الله وصفاته بالشرائع بل يسميه علة وعاشقاً ومعشوقاً ونحو ذلك

فهؤلاء إن أمكن نقل معانيهم إلى العبارة الشرعية كان حسناً

وإن لم يمكن مخاطبتهم إلا بلغتهم، فبيان ضلالهم ودفع صيالهم عن الإسلام بلغتهم أولى من الإمساك عن ذلك لأجل مجرد اللفظ. كما لو جاء جيش كفار ولا يمكن دفع شرهم عن المسلمين إلا بلبس ثيابهم، فدفعهم بلبس ثيابهم خير من ترك الكفار يجولون في خلال الديار خوفاً من التشبه بهم في الثياب

وأما إذا كان الكلام مع من قد يتقيد بالشريعة

فإنه يقال له: إطلاق هذه الألفاظ نفياً وإثباتاً بدعة، وفي كل منها تلبيس وإيهام، فلابد من الاستفسار والاستفصال؛ أو الامتناع عن إطلاق كلا الأمرين في النفي والإثبات.

وقد ظن طائفة من الناس أن ذم السلف والأئمة للكلام إنما لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المحدثة كلفظ «الجوهر» و«الجسم» و«العرض»، وقالوا: إن مثل هذا لا يقتضي الذم، كما لو أحدث الناس آنية يحتاجون إليها، أو سلاحاً يحتاجون إليه لمقاتلة العدو، وقد ذكر هذا صاحب الإحياء وغيره

وليس الأمر كذلك: بل ذمهم للكلام لفساد معناه أعظم من ذمهم لحدوث الألفاظ، فذموه لاشتماله على معان باطلة مخالفة للكتاب والسنة، ومخالفته للعقل الصريح، ولكن علامة بطلانها مخالفتها للكتاب والسنة، وكل ما خالف الكتاب والسنة فهو باطل قطعاً. ثم من الناس من يعلم بطلانه بعقله، ومنهم من لا يعلم ذلك

وأيضاً: فإن المناظرة بالألفاظ المحدثة المجملة المبتدعة المحتملة للحق والباطل إذا أثبتها أحد المتناظرين ونفاها الآخر كان كلاهما مخطئاً، وأكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء، وفي ذلك من فساد العقل والدين ما لا يعلمه إلا الله

فإذا رد الناس ما تنازعوا فيه إلى الكتاب والسنة فالمعاني الصحيحة ثابتة فيهما، والمحق يمكنه بيان ما يقوله من الحق بالكتاب والسنة.(١)

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل «١/٢٢٨-٢٣٣».

٢- العلو

المسألة الأولى: إثبات علو الله عزوجل.

أوّلا: قول أهل السنة والجماعة ومن وافقهم.

ثانيًا: أقوال المخالفين في صفة العلو.

المسألة الثانية: صفة الاستواء والأقوال فيها:

أوّلا: مذهب السلف في صفة الاستواء:

ثانيًا: أقوال المخالفين في صفة الاستواء.

المسألة الثالثة: التعريف بالعرش والأقوال فيه.

أوّلا: التعريف بالعرش لغة.

ثانيًا: تعريف العرش شرعًا:

ثالثًا: الأدلة إثبات العرش.

رابعًا: صفة العرش وخصائصه.



[٢]- قال المصنف رحمه الله: عَال على عَرْشه وَهُوَ دَان بِعِلْمِهِ من خلقه.

الشرح

وفيه مسائل

المسألة الأولى: صفة العلو والأقوال فيها.

أولًا: قول أهل السنة والجماعة ومن وافقهم.

يؤمن أهل السنة بعلو الله على خلقه واستوائه على عرشه، وأنه بائن من خلقه وهم بائنون منه.

وقد وافقهم على قولهم في إثبات العلو عامة الصفاتية، كأبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب-رحمه الله-«ت: ٢٤١ هـ» وأتباعه، وأبي العباس القلانسي-رحمه الله- «ت: في العشر الثاني من القرن الرابع هـ»، [١] وأبي الحسن الأشعري-رحمه الله-«ت: ٣٢٤ هـ» والمتقدمين من أصحابه.

وهو قول الكرامية ومتقدمي الشيعة الإمامية. [٢]

وقد استدل أهل السنة والجماعة على إثبات صفة العلو بالقرآن، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة.

أ-الأدلة من القرآن.

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "قَدْ وَصَفَ اللَّهُ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ بِالْعُلُوِّ وَالِاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ وَالْفَوْقِيَّةِ فِي كِتَابِهِ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ حَتَّى قَالَ بَعْضُ كِبَارِ

---

(١) قال عنه ابن عساكر في تبيين كذب المفتري «ص: ٢٩٨»: «أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن خالد القلانسي الرازي، من معاصري أبي الحسن الأشعري رحمه الله لا من تلاميذه، كما قال الأهوازي، وهو من جلة العلماء الكبار الأثبات، واعتقاده موافق لاعتقاده في الإثبات «أي موافق لاعتقاد الأشعري».».

(٢) انظر مجموع الفتاوى «٢/ ٢٩٧»، ونقض تأسيس الجهمية «١/ ١٢٧، «٢/ ١٤».

أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ: فِي الْقُرْآنِ أَلْفُ دَلِيلٍ أَوْ أَزْيَدُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَالٍ عَلَى الْخَلْقِ وَأَنَّهُ فَوْقَ عِبَادِهِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: فِيهِ ثَلَاثُمِائَةِ دَلِيلٍ تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ"(١)

وقال رحمه الله: "دَلَالَةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى إثْبَاتِ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَأَنَّهُ نَفْسُهُ فَوْقَ الْعَرْشِ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ**﴾ [فاطر: الآية:١٠]، وَقَوْلِهِ: ﴿**بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ**﴾ [النساء: الآية:١٥٨]، وَقَوْلِهِ: ﴿**تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ**﴾ [المعارج: الآية:٤]، وَقَوْلِهِ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ**﴾ [الأعراف: الآية: ٢٠٦]. وَقَدْ قِيلَ: إنَّ ذَلِكَ يَبْلُغُ ثَلَاثَمِائَةِ آيَةٍ وَهِيَ دَلَائِلُ جَلِيَّةٌ بَيِّنَةٌ مَفْهُومَةٌ: مِنْ الْقُرْآنِ مَعْقُولَةٌ: مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى "(٢)

وقد تنوعت عبارات القرآن في إثبات صفة العلو.

فالقرآن الكريم من أوله إلى آخره مليء بما هو إما نص ظاهر في أن الله فوق كل شيء، وأنه عال على خلقه ومستو على عرشه، وقد تنوعت تلك الدلالات، فوردت بأصناف من العبارات، فقد أشار العلماء إلى ذلك التنوع في العبارة على إثبات هذه الصفة، ومن ذلك:

١-التصريح بالفوقية مقرونة بأداة «من» المعينة لفوقية الذات نحو: ﴿**يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ**﴾ [النحل: الآية:٥٠].

٢-ذكرها مجردة عن الأداة، كقوله: ﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**﴾ [الأنعام: الآية: ١٨].

٣-التصريح بالعروج إليه، نحو ﴿**تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ**﴾ [المعارج: الآية:٤].

٤-التصريح بالصعود إليه، كقوله: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ**﴾ [فاطر: الآية:١٠].

٥-التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه، كقوله: ﴿**بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ**﴾ [النساء:

---

(١) مجموع الفتاوى «٥/ ٢٢٦».

(٢) مجموع الفتاوى «٥/ ٢٢٤».

الآية:١٥٨]، وقوله: ﴿إِنِّي مُتَوفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: الآية:٥٥].

٦-التصـــريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو، ذاتاً، وقدراً، وشـــرفاً، كقوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥]، ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [ســبأ: ٢٣]، ﴿إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: الآية: ٥١].

٧-التصريح بتنزيل الكتاب منه كقوله: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: الآية: ١]، ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصـــلت: الآية:٤٢]، ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: الآية: ١٠٢]. وهذا يدل على شيئين:

الأول: على أنَّ القرآنَ ظَهَر منه لا من غيره، وأَنَّهُ الذي تكلم به، لا غيره.

الثاني: على عُلُوِّهِ على خَلْقِهِ، وأنَّ كلامَه نزل به الرُّوح الأمين من عنده من أعلى مكان إلى رسوله.

٨-التصـريح باختصـاص بعض المخلوقات بأنها عنده، وأن بعضـها أقرب إليه من بعض، كقوله: ﴿فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [فصلت: الآية:٣٨]، وقوله ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لاَ يَسْـتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْـتَحْسِـرُونَ﴾ [الأنبياء: الآية:١٩]، ففرَّق بين من له عمومًا، ومن عنده من مماليكه وعبيده خصوصًا.

٩-التَّصريح بأنه سبحانه في السَّماء، وهذا عند أَهْل السُّنَّة على أحد وجهين:

إما أن تكون «في» بمعنى «على».

وإما أن يراد بالسَّماء العلو، لا يختلفون في ذلك، ولا يجوز حملُ النَّصِّ على غيره.

١٠ــ التَّصريح بالاستواء مقرونًا بأداة «على» مختصًّا بالعرش، الذي هو أعلى المخلوقات، مصـاحبًا في الأكثر لأداة «ثُمَّ» الدَّالَّة على الترتيب والمهلة، وهو بهذا السِّياق صريحٌ في معناه الذي لا يفهم المخاطبون غيره من العُلُوِّ والارتفاع، ولا يحتمل غيره البتَّة.

١١-إخباره ســبحانه عن فرعون أنه رَامَ الصُّــعُودَ إلى الســماء؛ لِيَطَّلِعَ إلى إله موســى، فيُكذبه فيما أخبر به من أنه فوق السـماوات؛ فقال:﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا

لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ [غافر: الآيات: ٣٦ -٣٧]، فكذَّب فرعونُ موسى في إخباره إيَّاه بأن ربَّه فوق السماء.[1]

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لله وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: الآية: ١٧٢]، فبيَّن أن الملائكة أقرب إليه من غيرهم من خلقه.

وكذلك قوله: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: الآية: ١]، وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤]، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: الآية: ٥]، إلى غير ذلك من ألفاظ متنوعة ومتعددة تدل دلالة واضحة على أن الله عال على خلقه مُستو على عرشه.

ب–الأدلة من السنة على إثبات صفة العلو.

السنة مليئة بالأحاديث الدالة على علو الله–سبحانه وتعالى–واستوائه على عرشه، وقد تكلم المصنف على إثبات ذلك في خلال الكثير من الأحاديث، كأحاديث المعراج، وأحاديث صعود الملائكة ونزولها من عند الله، وعروج الروح إليه، واستواء الخالق على عرشه، ونزوله إلى السماء الدنيا، ورؤيته في الآخرة، فالسُّنَّةُ قد دلَّت على عُلُوِّ الله بدلالاتها الثلاث: «**القولية، والفعلية، والتقريرية**».

أولاً: أما السُّنَّة القولية فمنها:

١ ـ حديث الخوارج: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً**». متفق عليه[2]

٢ ـ وعن **أبي هريرة–رضي الله عنه–«ت: ٥٧ هـ»** أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها، فتأبى عليه إلا كان الذي**

---

(١) انظر: إعلام الموقعين «٢/ ٣١٤-٣١٧».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي «٥/ ٣٢٦». وأخرجه مسلم في صحيحه «٢ /٧٤٢» كتاب الزكاة.

في السماء ساخطاً عليها، حتى يرضى عنها». رواه مسلم(١)

٣ ـ وعن **ابن عباس**–**رضي الله عنهما**–«**ت: ٦٨ هـ**» حدثني رجال من أصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ رمي بنجم فاستنار، فقال: «**ما كنتم تقولون إذ رمي مثله؟**». قالوا: كنا نقول: ولد الليلة عظيم، أو مات عظيم. فقال: «**إنها لم ترم لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا إذا قضى أمراً سبحت حملة العرش، حتى يسبحوا أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل السماء الدنيا، فيقول الذين يلون حملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيستخبر أهل السموات بعضهم بعضاً، حتى يبلغ الخبر أهل الدنيا، فيخطف الجن السمع فيلقونه إلى أوليائهم، فما جاءوا به على وجهه، فهو الحق، ولكنهم يفرقون ويزيدون**». رواه مسلم(٢)

٤ ـــ حديث الرقية الذي رواه أبو داود وغيره: «ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض». رواه أبو داود وغيره(٣)

ثانياً: وأما أدلة السُّنَّة الفِعلية فمنها:

١–ما رواه مسلم من حديث جابر–رضي الله عنه–«ت: ما بين ٧٣ و٧٧ هـ» في

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه «٢/ ١٤٣٦» كتاب النكاح.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان. انظر شرح النووي «١٤/ ٢٢٥». والإمام أحمد في المسند «١/ ٢١٨». والترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب سورة سبأ. «٥/ ٣٦٢، برقم ٣٢٢٤». والدارمي في الرد على الجهمية «ص: ٧٨». والطحاوي في المشكل «٣/ ١١٣». والبيهقي في الأسماء والصفات «١/ ٥١٢–٥١٣، ح ٤٣٦». وأبو نعيم في الحلية «٣/ ١٤٣».

(٣) أخرجه أحمد في مسنده «٦/ ٢١». وأبو داود في سننه، كتاب الطب «٤/ ٢١٨». والدارمي في الرد على الجهمية «ص: ١٨». والنسائي في عمل اليوم والليلة «١٠٣٨». وابن حبان في الضعفاء «١/ ١٠٨». وابن عدي في الكامل «٣/ ١٠٥٤». والحاكم في المستدرك «١/ ٣٤٣–٣٤٤»، وصححه. واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة «٣/ ٣٨٩». وأبو يعلى في إبطال التأويلات «ق١٥٣/ب». والبيهقي في الأسماء والصفات «٢/ ٣٢٧، ح٨٩٢». وابن قدامة في إثبات صفة العلو «ص: ٤٨، برقم ١٨». وأخرجه قوام السنة الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة «٢/ ١٠٥، برقم ٥٩»، و«٢/ ١١١–١١٢، برقم ٦٥». وأورده الذهبي في العلو «ص: ٢٧»، وقال: "وزيادة لين الحديث". ورد الذهبي تصحيح الحاكم له بقوله: "زيادة، قال البخاري وغيره منكر الحديث"، وذكر في ترجمته في الميزان «٢/ ٩٨» أنه انفرد بهذا الحديث فالإسناد ضعيف.

حديث حَجَّةِ الوَدَاعِ، وفيه: أن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم خَطَبَ النَّاسَ، فقال: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَـهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا...**»، إلى أن قال جابر–رضي الله عنه–: «**فقال بإصبعه السَّبَّابَة يَرْفَعُهَا إلى السَّماء وَيَنْكُتُهَا إلى الناس: اللهم اشْهَدْ، اللهُمَّ اشْهَدْ**». [(١)]

قال ابن القَيِّم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ» مُعَلِّقًا على هذا الحديث: "ليشـــهد الجميعُ أن الرَّبَّ الذي أرسله ودعا إليه واستشهده هو الذي فوق سماواته على عرشه"[(٢)]

٢–ما في الصَّـــحيحين في رفعه صـــلى الله عليه وســـلم يديه إلى الســـماء قائلًا: «**اللهم اسقنا**». [(٣)]. وهكذا رفعه يديه في الاستسقاء وغير ذلك.

ثالثاً: ومن أدلة السُّنَّة التقريريَّة وأشهرها:

ما رواه معاوية بن الحَكَم السُّلَمِي–رضي الله عنه–، «ت: غير معروف»، قال: "كانت لي جاريةٌ تَرْعَى غَنَمًا قِبَلَ أُحُدٍ والجوَّانيَّة، فاطَّلَعْتُ ذات يومٍ فإذا بالذئب قد ذهب بشاةٍ مِن غَنَمِهَا، وأنا رجلٌ من بني آدم، آسَفُ كما يَأْسَفُونَ لكني صَكَكْتُهَا، فأتيتُ رسول الله–صلى الله عليه وسلم–فعظَّم ذلك عليَّ، قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: «**ائتني بها**»، فأتيتُه بها، فقال لها: «**أين الله؟**». [(٤)]. قالت: في السماء، قال: «**ومَن أنا؟**». قالت: رسول الله،

(١) أخرجه مسلم «١٢١٨».

(٢) «إعلام الموقعين» «٢/ ٣١٦».

(٣) أخرجه البخاري «١٠١٣» ومسلم «٨٩٥».

(٤) "من المعلوم أن مذهب عامة أهل السنة، وسلف الأمة، وأئمتها أنهم يرون إثبات السؤال عن الله تعالى «بأين»، ولا ينفون ذلك عنه مطلقاً، وذلك لثبوت النصوص الصريحة الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك سؤالاً وجواباً. والسلف يقولون: إن من نفى السؤال بأين، لا بد له من دليل يستدل به على انتفاء ذلك، ولا دليل لهم، ذلك لأنها مسألة إثبات الشرع، فمن أنكرها فإنما ينكر المصطفى". وقد خالف السلف في قولهم هذا الجهمية، والمعتزلة، ومتأخرو الأشاعرة، الذين يزعمون أنه لا يجوز السؤال عن الله تعالى بأين؛ لأن في ذلك سؤالاً عن المكان، وهم يزعمون أن الله ليس في مكان، لأن المكان لا يكون إلا للجسم، والله ليس بجسم، لأن الجسم لا يكون إلا محدثاً ممكناً ويظهر توضيح هذا الرأي في قول ابن الأثير في النهاية «٣/٣٠٤» "ولا بد في قوله "أين كان ربنا؟ " من تقدير

=

قال: «**أَعْتِقها؛ فإنَّها مؤمنة**». هذا حديث صحيح؛ رواه مسلم[١]، وأبو داود[٢]، والنسائي[٣]، ومالك في الموطأ.[٤]

وقد تقدم ذكر موقف المعطلة عموماً من نصوص السنة ورفضهم الاحتجاج بها بزعم أنها أخبار آحاد، وأخبار الآحاد لا يحتج بها في باب الاعتقاد، مع وصفهم لها بأنها أحاديث التشبيه كقول الغزالي: "وظواهر أحاديث التشبيه أكثرها غير صحيحة"[٥]. وأحاديث التشبيه يقصد بها أحاديث الصفات، والحديث كلام المصطفى —صلى الله عليه وسلم- كيف يُنبز بهذا الوصف الذي ينفر السامع؟ ثم كيف تحكم عليها هكذا أنها غير صحيحة؟ ولا يتوهم السامع أن معنى أكثرها غير صحيحة أنها ضعيفة أو موضوعة، بل يقصدون بها أنها أخبار

مضاف محذوف، كما حدث في قوله تعالى ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ﴾ ونحوه فيكون التقدير: أين كان عرش ربنا؟ يدل عليه قوله ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الماءِ﴾ " فقول ابن الأثير "أنه لا بد من تقدير مضاف محذوف" الذي دفعه إليه هو اعتقاده بأنه لا يجوز السؤال عن الله تعالى بأين، لأنه يترتب على ذلك إثبات الجهة والمكان لله تعالى، وهي منفية عنه كما هو مذهب الأشاعرة المتأخرين الذين يعد ابن الأثير واحدًا منهم. ومما يجدر ذكره أن ما هرب إليه ابن الأثير من تقدير المضاف لا ينجيه مما هرب منه، لأنه إذا أثبت الجهة لعرشه سبحانه وتعالى ثبتت له أيضًا لكونه مستويًا عليه". انظر الاستقامة لابن تيمية «١/ ١٢٦-١٢٧». وقال الذهبي في العلو «ص: ٢٦» بعد ذكر حديث الجارية: "وهكذا رأينا في كل من يُسأل أين الله، يبادر بفطرته ويقول في السماء. في الخبر مسألتان إحداهما: شرعية قول المسلم «أين الله»؟ وثانيهما: قول المسؤول «في السماء» فمن أنكر هاتين المسألتين فإنما ينكر على المصطفى صلى الله عليه وسلم" ا. هـ." وقال القاضي أبو يعلى الفراء في كتاب "إبطال التأويل": قال بعد أن ذكر حديث الجارية: "اعلم أن الكلام في هذا الخبر في فصلين: أحدهما: في جواز السؤال عنه سبحانه بأين هو؟، وجواز الإخبار عنه بأنه في السماء". وذكر أشياء، إلى أن قال: "وقد أطلق أحمد بذلك فيما أخرجه في "الرد على الجهمية" فقال: فقد أخبرنا بأنه في السماء فقال ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾، وقال ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾، وقال ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ فقد أخبر الله عز وجل أنه في السماء وهو على عرشه".

وذكر كلاماً طويلاً ليس هذا موضعه" انظر إبطال التأويلات «١/ ٢٣٣»".

(١) أخرجه في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة «١/٣٨٢».

(٢) سنن أبي داود «١/٥٧٢» كتاب الصلاة، "باب ١٧١ تشميت العاطس في الصلاة" رقم «٩٣٠».

(٣) سنن النسائي «٣/١٤-١٨».

(٤) كتاب العتق، باب ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبة «ص: ٥٥٢-٥٥٣»، «ح: ١٤٦٤». وأخرجه الإمام أحمد في المسند «٥/ ٤٤٧». وابن أبي عاصم في السنة «١/ ٢١٥». وابن خزيمة في التوحيد «١/ ٢٧٨-٢٨٠، ح: ١٧٨». واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة «٣/ ٣٩٢». والذهبي في العلو «ص: ١٦»، وانظر مختصر العلو للذهبي «ص: ٨١».

(٥) انظر كتاب الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي، «ص: ١١٦».

آحاد وعنده أن أخبار الآحاد لا صحة لها.

فشتان بين من يعظم السنة ويوقرها يحتج بها ويصدرها ويستدل بها، وبين من لا يقيم لها وزناً أو اعتباراً، بل ويتهكم بنصوصها وينفر منها بألقاب وأسماء تجعل السامع ينفر منها، بل ويقدم عليها زبالة الأفكار وأقوال من لم يعرف الله عز وجل حق المعرفة.

ج–دليل الإجماع:

إجماع السلف من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم منعقد على إثبات علو الله، واستوائه على عرشه، وقد نقل غير واحد من السلف هذا الإجماع عنهم، ومن ذلك ما رواه **البيهقي–رحمه الله–«ت: ٤٥٨ هـ»** بإسناد صحيح عن **الأوزاعي–رحمه الله–«ت: ١٥٧ هـ»** أنه قال: "كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله–تعالى–ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت فيه السنة من صفاته".(١)

وقال **أبو نصر السجزي–رحمه الله–«ت: ٤٤٤هـ»**: "فأئمتنا كسفيان الثوري–رحمه الله–«ت: ١٦١ هـ»، ومالك–رحمه الله–«ت: ١٧٩ هـ»، وسفيان ابن عيينة–رحمه الله–«ت: ١٩٨ هـ»، وحماد بن سلمة–رحمه الله–«ت: ١٦٧ هـ»، وحماد بن زيد–رحمه الله–«ت: ١٧٩ هـ»، وعبد الله بن المبارك–رحمه الله–«ت: ١٨١ هـ»، وفضيل بن عياض–رحمه الله–«ت: ١٨٧ هـ»، وأحمد بن حنبل–رحمه الله–«ت: ٢٤١ هـ»، وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي–رحمه الله–«ت: ٢٣٨ هـ»: متفقون على أن الله–سبحانه–بذاته فوق العرش، وأن علمه بكل مكان، وأنه يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش".(٢)

وقال أبو نعيم الأصبهاني–رحمه الله–«ت: ٤٣٠ هـ» في عقيدته المشهورة: "وطريقتنا طريقة السلف المتبعين للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، فما اعتقدوه اعتقدناه، فمما اعتقدوه أن الأحاديث التي تثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في العرش والاستواء عليه يقولون بها،

---

(١) "الأسماء والصفات": «ص: ٥١٥».

(٢) "درء تعارض العقل والنقل": «٦/ ٢٥٠».

ويثبتونها من غير تكييف ولا تشبيه، وأن الله بائن من خلقه، والخلق بائنون منه، لا يحل فيهم، ولا يمتزج بهم، وهو مستو على عرشه في سمواته من دون أرضه"[١]

وكلام السلف من الصحابة والتابعين، من تبعهم في إثبات العلو كثير جدًا ولا يتسع المقام ههنا لذكره، وقد نقل ابن قدامة-رحمه الله-«ت: ٦٢٠ هـ» في كتاب "إثبات صفة العلو"، وكذلك نقل ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ» في الفتوى الحموية وغيرها الكثير من تلك النصوص الواردة عنهم، وبين إجماعهم على إثبات ذلك، [٢] وكذلك فعل تلميذه **ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»** في كتابه "اجتماع الجيوش الإسلامية"، وكذلك **الذهبي-رحمه الله-«ت: ٧٤٨ هـ»** في كتابيه "العلو" و"العرش"،

د-الأدلة من العقل.

أما الأدلة العقلية فهي كثيرة وسأورد ههنا ثلاثة منها:

الدليل الأول: قول **الإمام أحمد-رحمه الله-«ت: ٢٤١ هـ»**: "إذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله تعالى حين زعم أنه في كل مكان ولا يكون في مكان دون مكان

فقل له: أليس كان الله ولا شيء؟

فسيقول: نعم.

فقل له: حين خلق الشيء هل خلقه في نفسه؟ أم خارجاً عن نفسه؟

فإنه يصير إلى ثلاثة أقوال:

واحد منها: إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه، كفر حين زعم أنه خلق الجن والشياطين وإبليس في نفسه.

وإن قال: خلقهم خارجا عن نفسه ثم دخل فيهم، كان هذا أيضًا كفر حين زعم أنه في كل مكان وحش قذر رديء.

(١) "درء تعارض العقل والنقل": «٦/ ٢٥٠».

(٢) انظر: "مجموع الفتاوى": «٥/ ٦».

وإن قال: خلقهم خارجاً عن نفسه ثم لم يدخل فيهم، رجع عن قوله كله أجمع"[١]

الدليل الثاني: قول **ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»**: "إن كل من أقر بوجود رب للعالم مدبر له، لزمه الإقرار بمباينته لخلقه وعلوه عليهم.

فمن أقر بالرب، فإما أن يقر بأن له ذاتاً وماهية مخصوصة أو لا؟

فإن لم يقر بذلك، لم يقر بالرب، فإن رباً لا ذات له ولا ماهية له هو والعدم سـواء، وإن أقر بأن له ذاتاً مخصوصة وماهية، فإما أن يقر بتعينها أو يقول إنها غير معينة؟

فإن قيل إنها غير معينة كانت خيالاً في الذهن لا في الخارج، فإنه لا يوجد في الخارج إلا معيناً، لا سيما وتلك الذات أولى من تعيين كل معين فإنه يستحيل وقوع الشركة فيها، وأن يوجد لها نظير، فتعيين ذاته سبحانه واجب.

وإذا أقر بأنها معينة لا كلية، والعالم مشـهود معين لا كلي، لزم قطعاً مباينة أحد المتعينين للآخر، فإنه إذا لم يباينه لم يعقل تميزه عنه وتعينه.

فإن قيل: هو يتعين بكونه لا داخلاً فيه ولا خارجاً عنه.

قيل: هذا –والله أعلم–حقيقة قولكم، وهو عين المحال، وهو تصريح منكم بأنه لا ذات له ولا ماهية تخصه، فإنه لو كان له ماهية يختص بها لكان تعينها لماهيته وذاته المخصوصة، وأنتم إنما جعلتم تعيينه أمراً عدمياً محضاً ونفياً صرفاً وهو كونه لا داخل العالم ولا خارجا عنه، وهذا التعيين لا يقتضي وجوده مما به يصح على العدم المحض.

وأيضاً فالعدم المحض لا يعين المتعين، فإنه لا شيء وإنما يعينه ذاته المخصوصة وصفاته، فلزم قطعاً من إثبات ذاته تعيين تلك الذات، ومن تعيينها مباينتها للمخلوقات، ومن المباينة العلو عليها لما تقدم من تقريره"[٢]

الدليل الثالث: أنه قد ثبت بصريح المعقول أن الأمرين المتقابلين إذا كان أحدهما صفة

---

(١) الرد على الزنادقة والجهمية «ص٩٥-٩٦».

(٢) مختصر الصواعق «١/ ٢٧٩-٢٨٠».

كمال والآخر صفة نقص، فإن الله يوصف بالكمال منهما دون النقص، فلما تقابل الموت والحياة، وصف بالحياة دون الموت، ولما تقابل العلم والجهل، وصف بالعلم دون الجهل، ولما تقابل القدرة والعجز، وصف بالقدرة دون العجز، ولما تقابل المباينة للعالم والمداخلة له، وصف بالمباينة دون المداخلة، وإذا كان مع المباينة لا يخلو إما أن يكون عالياً على العالم أو مسامتا له، وجب أن يوصف بالعلو دون المسامتة، فضلاً عن السفول.

والمنازع يسلم أنه موصوف بعلو المكانة وعلو القهر، وعلو القهر، وعلو المكانة معناه أنه أكمل من العالم، وعلو القهر مضمونة أنه قادر على العالم، فإذا كان مبايناً للعالم كان من تمام علوه أن يكون فوق العالم، ولا محاذياً له ولا سافلا عنه.

ولما كان العلو صفة كمال، وكان ذلك من لوازم ذاته، فلا يكون مع وجود غيره إلا عالياً عليه، ولا يكون قط غير عالٍ عليه"[١]

وبهذه النماذج التي أوردناها عن الأدلة العقلية يتضح لنا مدى دلالة المعقول الصريح على إثبات علو الله ومباينته لخلقه وكذلك مدى مخالفة أقوال المعطلة والحلولية لصريح المعقول وصحيح المنقول.

هـ–أما دليل الفطرة:

فمن المعلوم أن الفطرة السليمة قد جبلت على الاعتراف بعلو الله سبحانه وتعالى، ويظهر هذا الأمر عندما يجد الإنسان نفسه مضطراً إلى أن يقصد جهة العلو ولو بالقلب حين الدعاء، وهذا الأمر لا يستطيع الإنسان دفعه عن نفسه فضلاً عن أن يرد على قائله وينكر هذا الأمر عليه.

ومن أجل ذلك لم يجد الجويني –إمام الحرمين–جواباً حين سأله الهمداني محتجاً عليه بها، فقد ذكر محمد بن طاهر المقدسي–رحمه الله–«ت: ٥٠٧ هـ» أن الشيخ أبا جعفر الهمداني–رحمه الله–«ت: ٥٣١ هـ» حضر مجلس الاستاذ أبا المعالي الجويني المعروف بإمام الحرمين–

(١) درء تعارض العقل والنقل «٧/ ٥-٦».

رحمه الله-«ت: ٤٧٨ هـ»، وهو يتكلم في نفي صفة العلو ويقول: "كان الله ولا عرش، وهو الآن على ما كان"، فقال الشيخ أبو جعفر: "يا أستاذ دعنا من ذكر العرش -يعني لأن ذلك إنما جاء في السمع-أخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا، فإنه ما قال عارف قط: يا ألله، إلا وجد من قلبه ضرورة تطلب العلو لا يلتفت يمنه ولا يسره، فكيف تدفع هذه الضرورة على قلوبنا؟

قال: فطم أبو المعالي على رأسه، وقال: حيرني الهمداني، حيرني الهمداني"[١]

وقال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "علو الخالق على المخلوق وأنه فوق العالم، أمر مستقر في فطر العباد، معلوم لهم بالضرورة، كما اتفق عليه جميع الأمم، إقراراً بذلك، وتصديقاً من غير أن يتواطؤوا على ذلك ويتشاعروا، وهم يخبرون عن أنفسهم أنهم يجدون التصديق بذلك في فطرهم.

وكذلك هم عندما يضطرون إلى قصد الله وإرادته، مثل قصده عند الدعاء والمسألة، يضطرون إلى توجه قلوبهم إلى العلو، فكما أنهم مضطرون إلى أن يوجهوا قلوبهم إلى العلو إليه، لا يجدون في قلوبهم توجهاً إلى جهة أخرى، ولا استواء الجهات كلها عندها وخلو القلب عن قصد جهة من الجهات، بل يجدون قلوبهم مضطرة إلى أن تقصد جهة علوهم دون غيرها من الجهات.

فهذا يتضمن بيان اضطرارهم إلى قصده في العلو وتوجههم عند دعائه إلى العلو، كما يتضمن فطرتهم على الإقرار بأنه في العلو والتصديق بذلك"[٢]

ثانيًا: أقوال المخالفين في صفة العلو.

---

(١) مجموع الفتاوى «٤/ ٤٤، ٦١»، وشرح العقيدة الطحاوية «ص: ٣٢٥-٣٢٦».

(٢) انظر درء تعارض العقل والنقل «٧/ ٥» بتصرف.

القول الأول: قول المعطلة من الفلاسفة [١]، والجهمية [٢]، والمعتزلة [٣]، ومتأخري الأشاعرة [٤]، والقرامطة الباطنية [٥].

وهؤلاء جميعًا ينفون علو الله وارتفاعه فوق خلقه، وكل ذلك تحت دعوى التوحيد والتنزيه ونفي التشـــبيه، فهم يزعمون أن إثبات العلو لله تعالى فيه إثبات للجهة، والمحايثة، والحد، والحركة، والانتقال، وهذه الأمور على زعمهم تستلزم، الجسمية، والأجسام، حادثة، والله منزه عن الحوادث فمن أجل ذلك نفوا العلو، وأولوا النصـــوص الثابتة فيه بأن المراد بها علو القهر والغلبة.

وقد انقسم الجهمية المعطلة النافون لعلو الله إلى فريقين في هذه المسألة:

الفريق الأول:

وهم الذين يقولون إن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوقه ولا تحته ولا هو مباين له ولا محايث له.

وهذا القول هو ما يذهب إليه النظار والمتكلمون من هؤلاء المعطلة، [٦] وهم بقولهم هذا قد نفوا الوصفين المتقابلين اللذين لا يخلو موجود منهما، وذلك خشية منهم أن يشبهوا، فهم قالوا بهذه المقالة هرباً منهم –على حد زعمهم–من إثبات الجهة والمكان والحيز، لأن فيها كما يدعون تجسيماً وهو تشبيه، فقالوا: يلزمنا في الوجود ما يلزم مثبتي الصفات فنحن نسد

---

(١) النجاة لابن سينا «ص٣٧».

(٢) مجموع الفتاوى «٢/ ٢٩٧-٢٩٨»، «٥/ ١٢٢».

«٣» مجموع الفتاوى «٢/ ٢٩٧-٢٩٨»، «٥/ ١٢٢».

(٤) تأويل مشكل الحديث لابن فورك «ص٦٣»، الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي «ص: ٢٩، ٣٤».

(٥) درء تعارض العقل والنقل «٥/ ١٧٨»، والقرامطة من الباطنية وهم ينتسـبون إلى حمدان بن الأشـعث الذي كان يلقب بقرمطة لقرمطة في خطه أو خَطْوِه، انظر الفرق بين الفرق «ص: ٢٨١، ٢٩٣»، المنتظم لابن الجوزي «٥/ ١١٠، ١١١».

(٦) الرسالة الأضحوية «نقلا عن مختصر الصواعق ١/ ٢٣٧»، والاقتصاد في الاعتقاد «ص: ٣٤»، تأويل مشكل الحديث «ص: ٦٣-٦٤»، مجموع الفتاوى «٢/ ٢٩٧-٢٩٨، ٥/ ١٢٢-١٢٤»، نقض التأسيس «١/ ٦-٧».

الباب بالكلية.

وقد استند أصحاب هذا القول في قولهم هذا على حجج زعموا أنها عقلية أسسوها وابتدعوها وجعلوها مقدمة كل نص، وليس لهؤلاء أي دليل من القرآن أو السنة على صحة قولهم هذا، وفي ذلك يقول **ابن تيمية**-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "وجميع أهل البدع قد يتمسكون بنصوص، كالخوارج والشيعة والقدرية والمرجئة وغيرهم إلا الجهمية، فإنهم ليس معهم عن الأنبياء كلمة واحدة توافق ما يقولونه في النفي"[(١)]. وسنأتي بعد ذكر القول الثاني إلى ذكر بعض تلك الحجج التي زعمها هؤلاء.

الفريق الثاني: وهم الذين يقولون بأن الله بذاته في كل مكان.

وهذا القول هو ما يذهب إليه النجارية [(٢)]، وكثير من الجهمية وبخاصة عبادهم وصوفيتهم وعوامهم وأهل المعرفة والتحقيق منهم. [(٣)]

ويحتج هؤلاء ببعض الحجج العقلية المزعومة بالإضافة إلى بعض الآيات القرآنية الدالة على المعية والقرب.

وقد يجمع كثير من هؤلاء المعطلة بين القولين، فهو في حالة نظره وبحثه يقول بسلب الوصفين المتقابلين كليهما، فيقول لا هو داخل العالم ولا خارجه.

وفي حالة تعبده وتألهه يقول بأنه في كل مكان ولا يخلو منه شيء. [(٤)]

شبهة المعطلة العقلية:

(١) مجموع الفتاوى «١٢٢/٥».

(٢) هم أتباع حسين بن محمد بن عبد الله بن النجار، وقد كان أكثر معتزلة الري ومن حولها على مذهبه، وقد نقل الشهرستاني في الملل والنحل «١/ ١١٣-١١٤» عن الكعبي قوله: «إن النجار كان يقول: إن الباري بكل مكان وجودا لا معنى العلم والقدرة».
وانظر مقالات الإسلاميين «١/ ١٣٥-١٣٧، ٢٨٣-٢٨٥»، والفرق بين الفرق «ص: ١٢٦-١٢٧»، وأصول الدين للبغدادي «ص: ٣٣٤»، والتبصير في الدين «ص: ١٠١، ١٠٢، ١٠٣».

(٣) انظر نقض التأسيس «١/ ٧».

(٤) انظر نقض التأسيس «١/ ٧».

إن جل ما اعتمد عليه هؤلاء المعطلة من أدلة على نفي صفة العلو وغيرها من الصفات إنما هو عبارة عن حجج عقلية مزعومة ومبتدعة بناها هؤلاء المعطلة على أصول فلسفية كانوا قد تأثروا بها وليس لهؤلاء المعطلة في نفيهم هذا أساس من كتاب الله أو سنة رسول الله–صلى الله عليه وسلم–.

وقد جعل هؤلاء المعطلة لتلك الحجج حكم الأمر المحكم الذي يجب اتباعه واعتقاد موجبه والتسليم به، وقد بلغ من تقديسهم لها أنهم جعلوها مقدمة على الكتاب والسنة فإذا ورد النص من الكتاب أو السنة عرضوه على تلك الأسس العقلية، فإن وافقها احتجوا به اعتضادا لا اعتمادا، وإن خالفها فهم يحرفون الكلم عن مواضعه فيؤولون نصوص القرآن ويطعنون في نصوص السنة، وكل ذلك تحت دعوى التنزيه والتوحيد ونفي التشبيه.

وقد أفرط هؤلاء المعطلة في هذا الجانب –أي جانب نفي التشبيه–فجعلوا من قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: الآية: ١١] جنة يتترسون بها لنفي علو الله سبحانه فوق عرشه وتكليمه لرسله وإثبات صفات كماله، وغير ذلك مما أخبر الله به عن نفسه، أو أخبر به رسوله–صلى الله عليه وسلم–، حتى إنه قد آل ببعض هؤلاء المعطلة إلى نفي ذاته خشية التشبيه فقالوا: هو وجود محض لا ماهية له، ونفى آخرون وجوده بالكلية خشية التشبيه – على حد زعمهم–حيث قالوا: يلزمنا في الوجود ما يلزم مثبتي الصفات والكلام والعلو فنحن نسد الباب بالكلية. [١]

وسوف نتعرض لبعض أسس تلك الشبه العقلية المزعومة التي جعلها هؤلاء المعطلة مستندا لهم في نفي صفة العلو وغيرها من الصفات، ونبين ما فيها من مخالفة لكتاب الله وسنة نبيه محمد–صلى الله عليه وسلم–مع بيان ما في تلك الأسس من تناقض وبخاصة من الناحية العقلية.

ونظراً لتعدد مذاهب المعطلة واختلاف بعضها عن بعض في القول والرأي، فسوف نعرض

---

(١) مختصر الصواعق «١/ ٢٨٥».

شبهة كل فرقة من الفرق السابقة الذكر على حدة فنبدأ أولاً بـ:

١. شبهة الفلاسفة [(١)]:

الفلاسفة ينفون صفة العلو وباقي صفات الباري عز وجل -كما سبق وأن ذكرنا-تحت دعوى التوحيد والتنزيه عن مشابهة المخلوقين، فابن سينا «ت: ٤٢٧ هـ» يقول: "إن واجب الوجود بذاته واحد بسيط لا تكثر فيه بوجه من الوجوه فهو ليس بجسم ولا صورة جسم ولا مادة معقولة لصورة معقولة، ولا صورة معقولة في مادة معقولة، ولا له قسمة في الكلم ولا في المبادئ المقومة له، ولا في قول الشارح ولا غير ذلك مما ينافي وحدة واجب الوجود وبساطته المطلقة"[(٢)]

والمتأمل لهذه العبارات التي أوردها ابن سينا يعرف أنها إنما هي مجرد اصطلاحات اصطلحها هو وأمثاله من الفلاسفة الذين تأثروا بفلسفة اليونان، فجعلوا من تلك العبارات المبتدعة ما أسموه بالتوحيد، وادعوا أن ما تضمنته هو التنزيه، مع أنها في الحقيقة متضمنة لنفي جميع الصفات بما فيها العلو والاستواء، فقوله: "إن واجب الوجود بذاته واحد بسيط لا تكثر فيه بوجه من الوجوه"، يعني به أنه ليس لله تعالى صفة ولا قدر، لأن ذلك على رأيه يستلزم التجسيم والتجزئة والتركيب فيلزم نفيه، لأنه يلزم من ذلك الحدوث والافتقار وذلك ينافي واجب الوجود.

فابن سينا وأمثاله من الفلاسفة يعتمدون في نفي الصفات على حجة التركيب والتي هي: "أنه لو كان له صفة لكان مركباً والمركب يفتقر إلى جزئيه وجزءاه غيره والمفتقر إلى غيره لا يكون واجباً بنفسه"، وهم بهذا الكلام تجدهم قد نفوا صفات الباري جميعها.

ولو توقفنا عند العبارة السابقة وهي قوله: "أن واجب الوجود بذاته واحد بسيط ..."، من أجل بيان ما فيها من مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله-صلى الله عليه وسلم-وحتى

---

(١) أقصد بهم الفلاسفة المنتسبين للمسلمين كابن سينا والفارابي.

(٢) النجاة لابن سينا «ص: ٣٧».

مخالفتها للعقل الذي يقدمه هؤلاء على كل شيء.

لوجدنا هذه العبارة هي تفسير للواحد بما لا أصل له في الكتاب أو السنة، بل هو تفسير باطل شرعاً وعقلاً ولغة.

أما في اللغة:

فإن أهل اللغة مطبقون على أن هذا القول ليس هو معنى الواحد في اللغة، إذ القرآن ونحوه من الكلام العربي متطابق على ما هو معلوم بالاضطرار في لغة العرب وسائر اللغات أنهم يصفون كثيراً من المخلوقات بأنه واحد ويكون ذلك جسماً، إذ المخلوقات إما أجسام وإما أعراض عند من يجعلها غيرها أو زائدة عليها.

وإذا كان أهل اللغة متفقين على تسمية الجسم الواحد واحداً، امتنع أن يكون في اللغة معنى الواحد الذي لا ينقسم إذا أريد بذلك أنه ليس بجسم وأنه لا يشار إلى شيء منه دون شيء، ولا يوجد في اللغة اسم الواحد الاعلى ذي صفة ومقدار لقوله تعالى ﴿**الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ [النساء: الآية: ١]، ومعلوم أن النفس الواحدة المراد بها هنا آدم عليه السلام، وحواء خلقت من ضلع آدم، فمن جسده خلقت لا من روحه حتى لا يقول القائل: الوحدة هي باعتبار النفس الناطقة التي لا تركيب فيها، وإذا كانت حواء خلقت من جسد آدم، وجسد آدم جسم من الأجسام التي سماها الله نفساً واحدة علم أن الجسم قد يوصف بالوحدة، وأبلغ من ذلك ما ذكره الإمام أحمد وغيره من قوله تعالى: ﴿**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا**﴾ [المدثر: الآية: ١١]، فإن الوحيد مبالغة في الواحد فإذا وصف البشر الواحد بأنه وحيد في صفة فإنه واحد من باب أولى، ومع هذا فهو جسم من الأجسام.

وأما في العقل:

فإن الواحد الذي وصفوه يقول لهم فيه أكثر العقلاء وأهل الفطر السليمة إنه أمر لا يعقل، ولا له وجود في الخارج، وإنما هو أمر مقدر في الذهن، فليس في الخارج شيء موجود لا يكون له صفات ولا قدر ولا يتميز من شيء عن شيء بحيث يمكن أن يرى ولا يدرك ولا يحاط به وإن سماه المسمى جسماً.

وأما في الشرع:

فنقول إن مقصود المسلمين أن الأسماء المذكورة في القرآن والسنة وكلام المؤمنين المتفق عليه بمدح أو ذم، تعرف مسميات تلك الأسماء حتى يعطوها حقها، ومن المعلوم بالاضطرار أن اسم «الواحد» في كلام الله لم يقصد به سلب الصفات وسلب إدراكه بالحواس ولا نفي الحد والقدر ونحو ذلك من المعاني التي ابتدعها هؤلاء.[١].

وأما حجة التركيب التي اعتمد عليها هؤلاء الفلاسفة في نفي الصفات وهي قولهم: "إنه لو كان صفة لكان مركبا والمركب يفتقر إلى جزئية وجزءاه غيره، والمفتقر إلى غيره لا يكون واجباً بنفسه" فهي تتكون من ألفاظ مجملة بمعنى أن كل لفظة منها تحتمل عدة معان فلا بد من توضيح المراد من كل لفظ أولاً حتى يتكلم فيه.

فلفظ "المركب" مثلًا: قد يراد به ما ركبه غيره، أو ما كان مفترقًا فاجتمع، أو ما يقبل التفريق، والله منزه عن هذه المعاني باتفاق.

وأما الذات الموصوفة بصفاتها اللازمة لها فإذا سميتم هذا تركيباً كان ذلك اصطلاحًا لكم، وليس هو المفهوم من لفظ المركب ولن تستطيعوا أيها الفلاسفة إقامة الدليل على نفيه.

وأما قولهم: "لكان مركبًا" فإن أرادوا لكان غيره ركبه، أو لكان مجتمعًا بعد افتراقه، أو لكان قابلًا للتفريق. فاللازم باطل فإن الكلام إنما هو في الصفات اللازمة للموصوف الذي يمتنع وجوده بدونها.

وإن أراد بالمركب الموصوف أو ما يشبه ذلك فلِما قالوا إن ذلك يمتنع.

وأما قولهم "والمركب مفتقر إلى غيره" فالجواب عنه: أما المركب بالتفسير الأول فهو مفتقر إلى ما يباينه وهذا ممتنع على الله تعالى.

وأما الموصوف بصفات الكمال اللازمة لذاته الذي سميتموه أنتم مركباً فليس في اتصافه هذا ما يوجب كونه مفتقراً إلى مباين له.

---

(١) انظر: نقض التأسيس «١/ ٤٨٢، ٤٨٤، ٤٨٨».

وإن قالوا: هي غيره وهو لا يوجد إلا بها وهذا افتقار إليها، قيل لهم: إن أرادوا بقولهم هي غيره أنها مباينة له فذلك باطل.

وإن أرادوا أنها ليست إياه، قيل لهم: إذا لم تكن الصفة هي الموصوف فأي محذور في هذا.

وإذا قالوا: هو مفتقر إليها، قيل: أتريدون بالافتقار أنه مفتقر إلى فاعل يفعله أو محل يقبله، أم تريدون أنه مستلزم لها فلا يكون موجوداً إلا وهو متصف بها.

أما الثاني فأي محذور فيه، وأما الأول فباطل إذ الصفة اللازمة للموصوف لا يكون فاعلاً لها.[(١)]

أما قولهم: "أنه لو كان صفة لكان مركباً والمركب مفتقر إلى جزئية"، فهذا القول لا يتم إلا عند من يثبت الجوهر الفرد، أما نفاته فعندهم أن الجسم في نفسه واحد بسيط ليس مركباً من الجواهر المنفردة، وهذه المسألة خلافية قد توقف فيها أذكى المتأخرين من الأشعرية وإمامهم أبو المعالي الجويني وكذلك أذكى متأخري المعتزلة أبو الحسين البصري وكذلك الرازي فهي مقدمة ممنوعة لا تصلح دليلًا لوجود النزاع فيها حتى بين الفلاسفة أنفسهم[(٢)]

٢. شبهة المعتزلة:

وأما شبهة المعتزلة التي اعتمدوا عليها في نفي صفات الباري-عز وجل-بما فيها صفة العلو فهي ما تسمى بطريقة الأعراض، ذلك أنهم يزعمون أن الصفات إنما هي أعراض، والأعراض لا تقوم إلا بجسم، والأجسام حادثة، والله منزه عن الحوادث، ومن أجل ذلك كان قول المعتزلة في الله: إنه قديم واحد ليس معه في القدم غيره، فلو قامت به الصفات لكان معه غيره.[(٣)] ولكان جسمًا إذ أن ثبوت الصفات يقتضي كثرة وتعددًا في ذاته ويقتضي أنه جسم

(١) انظر منهاج السنة «١/ ١٨٨-١٩٠»، بتصرف.

(٢) نقض التأسيس «١/٤٩٥-٤٩٦».

(٣) بالإضافة إلى زعم المعتزلة أن الصفات لا تقوم إلا بأجسام، فهم أيضًا يزعمون أن في إثبات الصفات قول بكثرة وتعدد ذات الله، لأنهم يقولون: "إن من أثبت لله صفة أزلية قديمة فقد أثبت إلهين"، كما اعتقدوا أن الصفات لو شاركته في القدم لشاركته في الألوهية. انظر الملل للشهرستاني «١/ ٤٤-٤٦»، مقالات الإسلاميين «١/ ٢٤٥»، منهاج السنة «٢/ ١٦٩».

وذلك خلاف التوحيد.

فهم يزعمون أن توحيد الله وتنزيهه متوقف على أنه ليس بجسم، وكونه ليس بجسم موقوف على عدم قيام الأعراض والحوادث به التي هي الصفات والأفعال، ونفي ذلك عندهم موقوف على ما يدل عليه حدوث الأجسام، والذي دلهم على حدوث الاجسام أنها لا تخلو من الحوادث، وما لا يخلو عن الحوادث لا يسبقها، وما لا يسبق الحوادث فهو حادث.

ويزعمون أيضاً أن الأجسام لا تخلو من الأعراض، والأعراض لا تبقى زمانين فهي حادثة، فإذا لم تخل الأجسام منها لزم حدوثها.

ويزعمون أيضاً أن الاجسام مركبة من الجواهر المفردة، والمركب مفتقر إلى جزئية وجزءاه غيره، وما افتقر إلى غيره لم يكن إلا حادثًا مخلوقًا، فالأجسام متماثلة فكل ما صح على بعضها صح على جميعها، وقد صح على بعضها التحليل والتركيب والاجتماع والافتراق فيجب أن يصح على جميعها. [١]

والمعتزلة يقولون إننا بهذا الطريق أثبتنا حدوث العالم ونفي كون الصانع جسمًا وإمكان المعاد.

الرد عليهم:

مما تقدم نعلم أن المعتزلة إنما بنوا دليلهم في نفي الصفات على أن القديم لا يكون محلا للصفات والحركات فلا يكون جسمًا ولا محيزًا لأن الصفات أعراض وهم يستدلون على حدوث الجسم بحدوث الأعراض والحركات، وأن الجسم لا يخلو منها، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث.

فهم بهذا القول نفوا صفات الباري وجعلوا نفيها يتوقف عليه ثبوت الصانع وحدوث العالم، فإذا جاء في القرآن والسنة ما يدل على إثبات الصفات لم يمكن القول بموجبه.

والمتدبر لحجج المعتزلة يرى فيها الأمور التالية:

---

(١) انظر مختصر الصواعق «١/ ٢٥٤».

أولاً: أنهم يســتدلون لأقوالهم بعبارات مبتدعة وفيها الكثير من الاشــتباه والاجمال، وذلك كلفظ العرش والجسم والحيز والمركب وغير ذلك، فهم يتكلمون بالمتشابه من الكلام ليخدعوا به جهال الناس بما يشبهون عليهم، وهذه الألفاظ المجملة تتضمن معاني باطلة ومعاني أخرى صحيحة فهم بهذا ينفون كلا المعنيين الحق والباطل.

وقد بين **ابن تيمية**–**رحمه الله**–«**ت: ٧٢٨ هـ**» ما في هذه الألفاظ من معانٍ، وما تدل عليه من عبارات [١]، وكيف استعملها هؤلاء المعطلة في نفي صفات الباري–عز وجل–حيث ادعوا أن هذه الأمور من مستلزمات الجسمية، والله منزه من ذلك، وقد بين **ابن تيمية**–**رحمه الله**–«**ت: ٧٢٨ هـ**» أن اســتعمال هذه الألفاظ نفيًا وإثباتًا لم يرد عن الســلف ولا جاء به أثر صـحيح ولم يسـتعملها الأقدمون بالمعنى الاصـطلاحي الذي اتفق عليه هؤلاء، بل جميعهم معترفون بأن العلو صـفة كمال كما أن السـفل صـفة نقص، وما ثبت لله من العلو فهو العلو المناسب لكمال ذاته المنزهة عن اعتبارات المحدثين ومماثلتهم.

ومعلوم أن القول بأن العلو يســــتلزم هذه المعاني المبهمة إنما هو مأخوذ من قياس الغائب على الشـاهد، ومحاولة تطبيق الاعتبارات الإنسـانية على الصـفات الإلهية، وهذا قياس خاطئ إذ ليس معنى كونه في السماء أن السماء تحويه وتحيط به وتحصره، أو هي محل وظرف له، بل هو سـبحانه محيط بكل شـيء وسـع كرسـيه السـموات والأرض، وهو فوق كل شـيء، وعالٍ على كل شيء. [٢]

ثانيا: أن ما اسـتدل به المعتزلة لا أصـل له من الكتاب أو السـنة، بل هو مأخوذ من كلام الفلاسفة الذين يزعمون أن للعالم صانعاً ليس بعالم ولا قادر ولا حي. [٣]

كما أن مذهب المعتزلة في الذات قريب من مذهب اليونان القائلين بأن ذات الله واحدة

---

(١) انظر شرح ابن تيمية لهذه العبارات في نقض التأسيس الجهمية «١/ ٥٠٤، ٥١١»، وفي مجموع الفتاوى «٥/ ٤١٨–٤٣٠».

(٢) انظر كتاب موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من قضية التأويل «ص: ٣٨١–٣٨٥».

(٣) مقالات الإسلاميين «٢/ ١٧٧»، وموقف المعتزلة من السنة النبوية «ص: ٥٣».



لا كثرة فيها بوجه من الوجوه.[١]

ثالثاً: أن أصل هذه القاعدة التي اعتمد عليها المعتزلة في نفي الصفات إنما هي مأخوذة من قولهم في دليل حدوث العالم[٢] الذي أثبتوا فيه حدوث العالم بحدوث الأجسام، وهذا الدليل قد بين الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر: أنه دليل محرم في شرائع الأنبياء، ولم يستدل به أحد من الرسل ولا أتباعهم[٣]، فهي بهذا طريق يحرم سلوكها لما فيها من الخطر والتطويل وما يلزم عليها من لوازم باطلة لأنها مستلزمة لنفي الصانع بالكلية، وهي مستلزمة لنفي صفاته ونفي أفعاله ونفي المبدأ والمعاد، فهذه الطريق لا تتم إلا بنفي سمع الرب وبصره وقدرته وحياته وإرادته وكلامه فضلًا عن نفي علوه على خلقه ونفي الصفات الخبرية من أولها إلى آخرها، فلو صحت هذه الطريقة لنفت الصانع وأفعاله وصفاته وكلامه وخلقه للعالم وتدبيره له، وما يثبته أصحاب هذه الطريقة من ذلك لا حقيقة له بل هو لفظ لا معنى له، وأن الله بذاته في كل مكان، وقال إخوانهم إنه ليس داخل العالم ولا خارج العالم، وقالوا بخلق القرآن إلى غير ذلك من اللوازم الباطلة.[٤]

٣. شبه متأخري الأشاعرة:

وهم أيضًا ينفون صفة العلو لأنها من الصفات الخبرية[٥]، ومعلوم أن مذهب متأخري الأشاعرة في الصفات أنهم يثبتون سبع صفات فقط وهي ما يسمونها بصفات المعاني وهي العلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر والكلام، وهم يثبتون لهذه الصفات أربعة أحكام

---

(١) موقف المعتزلة من السنة النبوية «ص: ٥٣».

(٢) انظر الكلام على دليل حدوث العالم في مجموع الفتاوى «١٣/ ١٥٣».

(٣) انظر كتاب رسالة إلى أهل الثغر «ص: ١٦٤-١٧٢» تحقيق عبد الله شاكر الجنيدي، رسالة ماجستير من قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية.

(٤) مختصر الصواعق «١/ ٢٥٦،٢٥٧»، ودرء تعارض العقل والنقل «١/ ٣٨-٤٠».

(٥) الصفات الخبرية وتسمى الصفات السمعية وهي: ما كان الدليل عليها مجرد خبر الرسول دون استناد إلى نظر عقلي كالاستواء والنزول والمجيء وغير ذلك.

هي:

١ـــ أن هذه الصفات ليست هي الذات، بل زائدة عليها فصانع العالم عندهم عالم بعلم وحي بحياة وقادر وهكذا.

٢ـــ أن هذه الصفات كلها قائمة بذات الله تعالى ولا يجوز أن يقوم شيء منها بغير ذاته لأن الدليل دل على أنه متصف بها ولا معنى لاتصافه بها إلا قيامها بذاته، حتى لو قلنا، إنه عالم كان هو بعينه مفهوم قولنا قام بذاته علم فلا تكون الصفة لشيء إلا إذا قامت به لا بغيره.

٣ـــ أن هذه الصفات كلها قديمة لأنها إن كانت حادثة كان القديم محلاً للحوادث وهذا محال، أو متصف بصفة لا تقوم به وذلك أظهر استحالة.

٤ـــ أن الأسماء المشتقة لله تعالى من هذه الصفات السبع صادقة عليه أزلًا وأبدًا فهو في القدم كان حيًا قادرًا عليمًا سميعًا بصيرًا متكلمًا. (١)

فهم على قولهم هذا لا يثبتون سوى هذه الصفات السبع فقط لأنها قديمة.

أما باقي الصفات التي يسمونها الصفات الخبرية فهم ينفونها جميعها، بدعوى تنزيه ذات الله عن الحوادث.

ومتأخرو الأشاعرة هؤلاء وإن كانوا يخالفون المعتزلة في جعلهم الصفة غير الذات كما في الحكم الأول فيثبتون الصفات القديمة من هذا الباب، إلا أنهم قد وافقوا المعتزلة في دليلهم المسمى بدليل نفي الحوادث فنفوا باقي الصفات الأخرى، ذلك لأن قولهم في الحكم الثالث من الأحكام الأربعة التي أوردناها إنها لو كانت حادثة لكان القديم محلا للحوادث، هو بعينه ما استدل به المعتزلة على نفي الصفات. (٢)

ويقول متأخرو الأشاعرة في دليلهم العقلي على نفي العلو إن إثبات العلو يقتضي إثبات

---

(١) انظر الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي «ص: ٨٤-١٠١»، بتصرف.

(٢) مختصر الصواعق «١/ ٢٥٥».

الجهة وإثبات الجهة، يقتضي كونه جسمًا، وكونه جسمًا يقتضي كونه مركبًا، والمركب مفتقر إلى جزئيه، والمفتقر إلى جزئيه لا يكون إلا حادثًا والله سبحانه منزه عن الحوادث.(١)

فعلى قولهم هذا يكونون هم والمعتزلة على دليل واحد، وقد سبق وأن ذكرنا الرد على المعتزلة فيكون الرد على هؤلاء من جنس الرد على أولئك، ويضاف إلى ذلك أن القول في الصفات التي نفاها هؤلاء هو كالقول في الصفات التي أثبتوها فإن كان هذا تجسيماً وقولا باطلاً فهذا كذلك.

وإن قالوا: إن إثباتها على الوجه الذي يليق بالرب.

قيل لهم: وكذلك هذا.

فإن قالوا: نحن نثبت تلك الصفات وننفي التجسيم.

قيل لهم: وهذا كذلك، فليس لكم أن تفرقوا بين المتماثلين.(٢)

٤. شبه النفاة السمعية في نفي صفة العلو:

لقد سبق وأن ذكرنا أن المعطلة قد انقسموا في هذه المسألة إلى فريقين:

فأما الفريق الأول: وهم القائلون بأن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوقه ولا تحته وهؤلاء كما سبق وأن ذكرنا ليس لهم دليل واحد من الكتاب أو السنة.

وأما الفريق الثاني: وهم القائلون بأن الله بذاته في كل مكان فقد احتجوا لقولهم هذا بنصوص "المعية" و"القرب" الواردة في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [المجادلة: الآية: ٧]، وقوله تعالى: ﴿**يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ**﴾ [النساء: الآية: ١٠٨]، وقوله تعالى: ﴿**هُوَ**

(١) نقض التأسيس «١/ ٥٠٣».

(٢) مجموع الفتاوى «١٣/ ١٦٥».

الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: الآية: ٤]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: الآية: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: الآية: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: الآية: ٨٤]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: الآية: ٣].

وقد زعم حلولية الجهمية أن المراد بهذه النصوص معية الذات وقرب الذات، فلذلك قالوا: إن الله بذاته في كل مكان.

الرد عليهم:

قد أبطل علماء السلف زعم هؤلاء الجهمية واستدلالهم بهذه الآيات وبينوا أن كل نص يحتجون به هو في الحقيقة حجة عليهم، فنصوص المعية التي استدلوا بها لا تدل بأي حال من الأحوال على ما زعمه هؤلاء، وذلك لأن كلمة «مع» في لغة العرب لا تقتضي أن يكون أحد الشيئين مختلطًا بالآخر، وهي إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال، فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى.

ولفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع واقتضت في كل موضع أموراً لم تقتضيها في الموضع الآخر، وذلك بحسب اختلاف دلالتها في كل موضع وهي قد وردت في القرآن بمعنين هما:

المعنى الأول: المعية العامة

والمراد بها أن الله معنا بعلمه، فهو مطلع على خلقه شهيد عليهم، ومهيمن وعالم بهم، وهذه المعية هي المرادة بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: الآية: ٧].

فالله سبحانه وتعالى قد افتتح الآية بالعلم وختمها بالعلم ولذلك أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم تفسير القرآن على أن تفسير الآية هو أنه معهم بعلمه، وقد نقل هذا الإجماع **ابن عبد البر –رحمه الله–«ت: ٤٦٣ هـ»** [(١)]، **وأبو عمرو الطلمنكي –رحمه الله–«ت: ٤٢٩ هـ»، وابن تيمية –رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»** [(٢)]، **وابن القيم –رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»**. [(٣)]

قال أبو عمر بن عبد البر –رحمه الله–«ت: ٤٦٣ هـ»: "إن علماء الصحابة والتابعين الذين حملت عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية: هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله"[(٤)]

وقال ابن تيمية –رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ» بعد أن نقل كلام ابن عبد البر هذا وأقره–: "فهذا ما تلقاه الخلف عن السلف إذ لم ينقل عنهم غير ذلك، إذ هو الحق الظاهر الذي دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية". اهـ [(٥)]

وقال ابن تيمية –رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "وقد ثبت عن السلف أنهم قالوا: هو معهم بعلمه. وقد ذكر ابن عبد البر وغيره أن هذا إجماع من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولم يخالفهم فيه أحد يعتد بقوله، وهو مأثور عن ابن عباس –رضي الله عنهما–«ت: ٦٨ هـ»،

---

(١) التمهيد «٧/ ١٣٨».

(٢) مجموع الفتاوى «٥/ ١٩٣»، و«٥/ ٥١٩»، و«١١/ ٢٤٩-٢٥٠».

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية «ص: ٤٤».

(٤) كتاب "التمهيد" «٧/ ١٣٨».

(٥) "مجموع الفتاوى" «٥/ ١٩٣».

والضحاك-رحمه الله-«ت: ٦٤ هـ»، ومقاتل بن حيان-رحمه الله-«ت: ١٥٠ هـ»، وسفيان الثوري-رحمه الله-«ت: ١٦١ هـ»، وأحمد بن حنبل-رحمه الله-«ت: ٢٤١ هـ»، وغيرهم.

ثم ذكر الشـــيخ ما رواه ابن أبي حاتم-رحمه الله-«ت: ٣٢٧ هـ» في تفســـيره عن ابن عباس-رضـــي الله عنهما-في قوله: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**﴾، قال: هو على العرش، وعلمه معهم. وروى-أيضـا-عن ســفيان الثوري أنه قال: علمه معهم. وروى-أيضـــا-عن الضحاك بن مزاحم في قوله: ﴿**مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ**﴾ إلى قوله: ﴿**أَيْنَ مَا كَانُوا**﴾ قال: هو على العرش، وعلمه معهم.

وقال أبو عمرو الطلمنكي-رحمه الله-«ت: ٤٢٩ هـ»: وأجمعوا-يعني أهل الســـنة والجماعة-على أن لله عرشًـــا، وعلى أنه مســـتو على عرشــه، وعلمه وقدرته وتدبيره بكل ما خلقه قال: فأجمع المسـلمون من أهل السـنة على أن معنى ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**﴾ ونحو ذلك في القرآن أن ذلك علمه وأن الله فوق السموات بذاته، مستو على عرشه كيف شاء"[(١)]

وعلى هذا فلا حجة للمخالفين في ظاهر هذه الآية.

وكذلك أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [الحديد: الآية: ٤].

فظاهر الآية دال على أن المراد بهذه المعية هو علم الله تبارك وتعالى واطلاعه على خلقه، فقد أخبر الله تعالى في هذه الآية بأنه فوق العرش يعلم كل شيء، وهو معنا أينما كنا، فجمع تعالى في هذه الآية بين العلو والمعية، فليس بين الاثنين تناقض البتة، وهو كقوله-صـــلى الله عليه وسلم-في حديث الأوعال: «**والله فوق العرش يعلم ما أنتم عليه**».

المعنى الثاني: المعية الخاصة

وهي معية الاطلاع والنصـــرة والتأييد، وسميت خاصـــة لأنها تخص أنبياء الله وأولياءه مثل

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوى": «٥/ ٥١٩».

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: الآية: ٤٠]، وقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: الآية: ١٢٨].

فهذه المعية على ظاهرها وحكمها في هذه المواطن النصر والتأييد.

ولفظ المعية على كلا الاستعمالين ليس مقتضاه أن تكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق، ولو كان معنى المعية أنه بذاته في كل مكان لتناقض الخبر العام والخبر الخاص، ولكن المعنى أنه مع هؤلاء بنصره وتأييده دون أولئك.(١)

وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: الآية: ١٦]، فقد أجاب عنه **ابن تيمية –رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»** بقوله: "إن هذه الآية لا تخلوا من أن يراد بها قربه سبحانه أو قرب ملائكته كما قد اختلف الناس في ذلك

فإن أريد بها قرب الملائكة: فدليل ذلك من الآية قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: الآيات: ١٦-١٧]، ففسر ذلك القرب الذي هو حين يتلقى المتلقيان، فيكون الله سبحانه قد أخبر بعلمه هو سبحانه بما في نفس الإنسان، ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ وأخبر بقرب الملائكة الكرام الكاتبين منه، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ وعلى هذا التفسير تكون هذه الآية مثل قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: الآية: ٨٠].

أما إذا كان المراد بالقرب في الآية قربه سبحانه، فإن ظاهر السياق في الآية دل على أن المراد بقربه هنا قربه بعلمه، وذلك لورود لفظ العلم في سياق الآية ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾"(٢)

---

(١) مجموع الفتاوى «١١/ ٢٥٠»، و«٥/ ١٠٤».

(٢) الفتاوى «٦/ ١٩-٢٠».

وأما اســتدلالهم بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: الآية: ٨٤]، فمعنى الآية: أي هو إله من في الســموات وإله من في الأرض، **قال ابن عبد البر-رحمه الله-«ت: ٤٦٣ هـ»**: "فوجب حمل هذه الآية على المعنى الصــحيح المجتمع عليه، وذلك أنه في الســماء إله معبود من أهل الســماء، وفي الأرض إله معبود من أهل الأرض، وكذلك قال أهل العلم بالتفسير"[١]

وقال الآجري-رحمه الله-«ت: ٣٦٠ هـ»: "وقوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: الآية: ٨٤]، فمعناه: أنه جل ذكره إله من في السموات وإله من في الأرض، وهو الإله يعبد في الســموات، وهو الإله يعبد في الأرض، هكذا فسـره العلماء"[٢]

وروى **الآجري-رحمه الله-«ت: ٣٦٠ هـ»** بســنده في تفســيره هذه الآية عن **قتادة-رحمه الله-«ت: ١١٨ هـ»**، قوله: "هو إله يعبد في السماء، وإله يعبد في الأرض"[٣]

وأما اســتدلالهم بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: الآية: ٣]، فقد فسرها أئمة العلم كالإمام أحمد وغيره أنه المعبود في السموات والأرض. [٤]

وقال الآجري-رحمه الله-«ت: ٣٦٠ هـ»: "وعند أهل العلم من أهل الحق ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: الآية: ٣]، هو كما قال الحق ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ﴾ فما جاءت به السنن أن الله عز وجل على عرشه، وعلمه محيط بجميع خلقه، يعلم ما تسرون وما تعلنون، ويعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون"[٥]

---

(١) التمهيد «٧/ ١٣٤».

(٢) الشريعة «٣/ ١١٠٤».

(٣) الشريعة «٣/ ١١٠٤-١١٠٥».

(٤) الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد «ص: ٩٢-٩٣»، ومجموع الفتاوى «١١/ ٢٥٠».

(٥) الشريعة «٣/ ١١٠٤».

القول الثاني:

وهو قول من يقول إن الله بذاته فوق العرش وهو بذاته في كل مكان.

هذا قول جماعة من أهل الكلام والتصوف كأبي معاذ التومني [(١)]، وزهير الأثري [(٢)]، وأصحابهما [(٣)]، وهو موجود في كلام السالمية [(٤)] كأبي طالب المكي [(٥)] وأتباعه كأبي الحكم برجان [(٦)] وأمثاله ما يشير إلى نحو هذا، كما يوجد في كلامهم ما يناقض هذا [(٧)] فهم يقولون بأن الله في كل مكان، وأنه مع ذلك مستو على عرشه وأنه يرى بالأبصار بلا كيف، وأنه موجود الذات بكل مكان، وأنه ليس بجسم ولا محدود ولا يجوز عليه الحلول ولا المماسة، ويزعمون أنه يجيء يوم القيامة كما قال تعالى ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ**﴾ [الفجر: الآية: ٢٢]، وقولهم هذا يشبه قول بعض مثبتة الجسم الذين يقولون إنه لا نهاية له [(٨)].

والفرق بين هذا القول وقول الجهمية: بأن الله في كل مكان هو أن هؤلاء يثبتون العلو

---

(١) أبو معاذ التومني من أئمة المرجئة ورأس فرقة التومنية منها.

انظر ترجمته ومذهبه في مقالات الأشعري «١/ ٢٠٤، ٣٢٦»، «٢/ ٢٣٢»، والملل والنحل «١/ ١٢٨».

(٢) زهير الأثري، لم أقف على ترجمته، وقد تكلم الأشعري عن آرائه بالتفصيل في المقالات «١/ ٣٢٦».

(٣) انظر نقض تأسيس الجهمية «١/ ٦»، والفتاوى «٢/ ٢٩٩»، ومقالات الإسلاميين «١/ ٣٢٦».

(٤) هم أتباع أبي عبد الله محمد بن أحمد بن سالم المتوفى سنة «٢٩٧هـ» وابنه أبي الحسن أحمد بن محمد بن سالم المتوفى سنة «٣٥٠هـ»، وقد تتلمذ أحمد بن محمد بن سالم على سهل بن عبد الله التستري، ويجمع السالمية بين كلام أهل السنة وكلام المعتزلة مع ميل إلى التشبيه ونزعة صوفية اتحادية، انظر شذرات الذهب «٣/ ٣٦»، وطبقات الصوفية «ص: ٤١٤-٤١٦»، والفرق بين الفرق «ص: ١٥٧-٢٠٢».

(٥) أبو طالب، محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي، صوفي نشأ واشتهر بمكة، وهو صاحب كتاب "قوت القلوب" في التصوف وهو من أكبر رجال السالمية، قال عنه الخطيب البغدادي: «ذكر فيه أشياء مستشنعة في الصفات»، توفي سنة «٣٨٦هـ».

انظر ترجمته في تاريخ بغداد «٣/ ٨٩»، وميزان الاعتدال «٣/ ٦٥٥»، ولسان الميزان «٥/ ٣٠٠».

(٦) أبو الحكم، عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد اللخمي الإشبيلي، متصوف، توفي سنة «٥٣٦ هـ» بمراكش.

انظر ترجمته في لسان الميزان «٤/ ١٣-١٤»، فوات الوفيات «١/ ٥٦٩»، الاعلام «٤/ ١٢٩».

(٧) مجموع الفتاوى «٢/ ٢٩٩».

(٨) نقض تأسيس الجهمية «٢/ ٦».

ونوعا من الحلول، أما الجهمية فلا يثبتون العلو على مقصـود هؤلاء من الاسـتواء على العرش والمباينة.

ويزعم أصحاب هذا القول إنهم بقولهم هذا قد اتبعوا النصوص كلها سواء كانت نصوص علو أو معية أو قرب.

الرد عليهم:

إنهم بقولهم هذا جمعوا بين كلام أهل السنة وكلام الجهمية، ولذلك كان قولهم ظاهر الخطأ وغاية في التناقض.

أما بيان خطئه فيكمن في أن كل من قال بأن الله بذاته في كل مكان فهو مخالف للكتاب والســـنة وإجماع ســـلف الامة وأئمتها مع مخالفته لما فطر الله عليه عباده، ولصـــريح المعقول وللأدلـة الكثيرة، فـالقرآن الكريم مملوء بالآيات التي تنص على علو الله بـذاتـه فوق خلقـه واستوائه على عرشـه وبينونته من خلقه، كما أن السـنة قد تحدثت عن هذا المعنى في كثير من الأحاديث، كقصة المعراج وصعود الملائكة ونزولها من عند الله وعروج الروح إليه واستوائه على عرشه، ونزوله إلى السماء الدنيا، فكل هذه الأدلة تبين بطلان هذا القول ومخالفته.

وأما استدلال هؤلاء بنصـوص المعية والقرب، فقد بينا خطأ هذا الاسـتدلال وبطلانه عند الرد على الأدلة الســـمعية لمذهب الجهمية، وقد بينا أنه ليس للمخالفين أي متمســـك في جعلها لمعية الذات أو قرب الذات.

أما بيان تناقض هذا القول: فهو واضـح من أقوالهم، فهم يجمعون بين أقوال متناقضـة، فهم تارة يقولون إنه بذاته فوق العرش، وتارة يقولون إنه فوق العرش ونصـيب العرش فيه كنصـيب قلب العارف -كما يذكر ذلك أبو طالب المكي وغيره-، ومعلوم أن قلب العارف نصيبه منه المعرفة والإيمان وما يتبع ذلك، فإن قالوا: إن العرش كذلك فقد نقضـوا قولهم بأنه بنفسـه فوق العرش.

وإن قالوا بحلول ذاته في قلوب العارفين، كان ذلك قولا بالحلول الخاص، وهذا ما وقع فيه

طائفة من الصوفية ومنهم صاحب منازل السائرين.[(١)]

المسألة الثانية: صفة الاستواء والأقوال فيها

أولًا: مذهب السلف في صفة الاستواء

أ–معتقد السلف في صفة الاستواء.

والمقصود بالسلف هم الصحابة والتابعون ومن سار على نهجهم.

ولقد كان قولهم في الاستواء كقولهم في سائر صفات الله فهم وسط بين طائفتين هم المعطلة والمشبهة.

فهم لا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، ولا ذاته بذوات خلقه كما يفعل المشبهة.

وكذلك لا ينفون عن الله ما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله–صلى الله عليه وسلم–، فيعطلون أسماءه وصفاته، ويحرفون الكلم عن مواضعه، ويلحدون في أسمائه وآياته كما فعل المعطلة.

بل كان مذهبهم في سائر الصفات –بما في ذلك الاستواء–أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان نبيه محمد–صلى الله عليه وسلم–نفياً وإثباتاً.

وطريقتهم في الإثبات أنهم يثبتون ما أثبته الله من الصفات من غير تكييف لها، ولا تحريف، ولا تمثيل، ولا تعطيل.

وطريقتهم في النفي أنهم ينفون عن الله ما نفاه عن نفسه مع إثبات كمال ضد ذلك المنفي.

فطريقة السلف هي إثبات أسماء الله وصفاته مع نفي مماثلة المخلوقين، إثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل كما قال تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى: الآية: ١١]، ففي قوله تعالى ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ رد للتشبيه والتمثيل، وفي قوله ﴿**وَهُوَ**

---

(١) مجموع الفتاوى «٥/ ١٢٢-١٣١».

السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ رد للإلحاد والتعطيل. [١]

ولقد كانت هذه طريقة السلف في جميع الصفات دون تفريق بين صفة وصفة، وفي ذلك يقول **الإمام أحمد**–رحمه الله–«**ت: ٢٤١ هـ**»: "لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله–صلى الله عليه وسلم–لا نتجاوز القرآن والسنة"[٢]

وبناءً على هذه القاعدة كان مذهب السلف في صفة الاستواء أنهم يثبتون استواء الله على عرشه استواءً يليق بجلاله وعظمته ويناسب كبريائه وهو بائن من خلقه وخلقه بائنون منه.

فأهل السنة والجماعة أثبتوا تلك الأسماء والصفات التي جاء ذكرها في كلام الله عز وجل وكلام رسوله–صلى الله عليه وسلم–، فإذا قال الله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه: الآية: ٥]، فإن هذا النص خبر، أخبر الله فيه أنه استوى على عرشه، فأهل السنة والجماعة يعتقدون: إن الله استوى على عرشه استواءً يليق بجلاله وكماله، لا يماثله فيه أحدٌ من خلقه والله أعلم بكيفيته.

وذلك الإيمان يتضمن ثلاثة أمور:

الأمر الأول: إثبات صفة الاستواء لله عز وجل.

الأمر الثاني: نفي مماثلة صفات الله عز وجل لصفات المخلوقين.

الأمر الثالث: عدم الخوض في كيفية صفات الله عز وجل.

فما أخبر الله به في هذه الآية يجب أن يُثبت لله تعالى، فإذا قال تعالى: ﴿**الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ**﴾ [طه: الآية: ٥]، فإن هذا يوجب على المؤمن أن يصدق به، لأن نصوص القرآن والسنة تدور حول حالين:

إما إخبارٌ أو أمر، إما أن يُخبر الله تعالى بشيء، وإما أن يأمر بشيء، فقوله: ﴿**الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ**﴾ [طه: الآية: ٥]، هذا إخبارٌ، والأمر مثل قوله تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا**

---

(١) انظر الرسالة التدمرية «ص: ٤–٧»، الفتوى الحموية الكبرى «ص: ١٦–١٧».

(٢) مجموع الفتاوى «٥/ ٢٦».

الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: الآية: ٤٣]، فهنا أمر من الله لعباده بأن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة.

فالخبر يجب على المؤمن تجاهه التصديق، فإذا أخبرك الله تعالى بأنه استوى على عرشه، فإن عليك أن تصدق بأن الله تعالى استوى على عرشه، وإذا جاءك الأمر مثل: وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة، فيجب عليك الامتثال والانقياد، فإن كان أمر إيجاب يجب عليك أن تقوم به، وإن كان أمر نهيٍ فيجب عليك أن تنتهي.

فالواجب على الموحد إذا أخبر الله تعالى باستوائه على عرشه أن يعتقد ثلاثة أمور:

أولاً: يجب عليه أن يؤمن بأن الله سبحانه وتعالى مستوٍ على عرشه استواءً حقيقة كما أخبر في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: أن يثبت لله استواءً يليق بجلاله وكماله تعالى؛ لأن الله تعالى قد قال في آية أخرى: **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾** [الشورى: الآية: ١١]، فمعنى هذا أن الله في استوائه على عرشه لا يماثله في ذلك أحدٌ من خلقه، نعني بذلك أن الله تعالى لا يحتاج إلى العرش ولا يفتقر إليه.

ثالثاً: يجب علينا ألا نخوض في كيفية استوائه، هذا أمرٌ لا ينبغي ولا يجوز للمسلم أن يخوض فيه.

فإذاً تُثبتُ ما أثبته الله لنفسه؛ لأن الله أخبر بذلك، ومع إثبات ذلك يجب أن تعتقد أن الله تعالى لا يماثله ولا يساويه في ذلك أحدٌ من خلقه، مع عدم الخوض في كيفية الاستواء.

فالمقصود والمراد من نفي المماثلة أن لله خصائص، أي أمورٌ يختص بها لا يماثله في ذلك أحدٌ من خلقه، ثم بعد ذلك فالله تعالى ما أطلعك ولا أخبرك ولا تعبدك بمعرفة كيفية استوائه، وكلنا يعلم جواب **الإمام مالك-رحمه الله-«ت: ١٧٩ هـ»** إذ سأله السائل: **﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾** [طه: الآية: ٥]، كيف استوى؟ فغضب الإمام مالك من سؤال السائل وقال: "**الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة**"[1]

«١» انظر الموطأ للإمام مالك «١/ ٢٥٣».

فإذاً الكيف مجهول، كيف اســـتوى؟ كيف ينزل؟ كيف يداه؟ كيف قدماه؟ إلى غير ذلك من أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى لا نعلم كيفيتها وهذا سيأتي جوابه إن شاء الله تعالى.

والسـلف يقولون إن معنى هذا الاسـتواء الوارد في الكتاب والسـنة معلوم في اللغة العربية، كما **قال ربيعة بن عبد الرحمن–رحمه الله–«ت: ١٣٦ وقيل: ١٤٢ هـ»، والإمام مالك–رحمه الله–«ت: ١٧٩ هـ»**: "الاســتواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسـؤال عنه بدعة". فقولهم: «الاسـتواء معلوم»: أي أن معنى الاسـتواء معلوم في اللغة وهو ههنا بمعنى العلو والارتفاع.

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "إن لفظ الاســـتواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله بلغتهم وأنزل به كلامه نوعان: مطلق، ومقيد.

فالمطلق مالم يوصل معناه بحرف مثل قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ**﴾ [القصص: الآية: ١٤]، وهذا معناه: كمل وتم، ويقال: استوى النبات، واستوى الطعام.

وأما المقيد فثلاثة أضرب:

أحدها: مقيد "بإلى" كقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ**﴾ [فصلت: الآية: ١١]، واستوى فلان إلى السطح وإلى الغرفة، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى المعدى بإلى في موضعين من كتابه، الأول في ســـورة البقرة في قوله: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ**﴾ [البقرة: الآية: ٢٩]، والثاني في سورة فصلت ﴿**ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ**﴾ [فصلت: الآية: ١١]، وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف.

الثاني: المقيد "بعلى" كقوله تعالى: ﴿**لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ**﴾ [الزخرف: الآية: ١٣]، وقوله: ﴿**وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ**﴾ [هود: الآية: ٤٤]، وقوله: ﴿**فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ**﴾ [الفتح: الآية: ٢٩]، وهذا أيضاً معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة.

الثالث: المقرون "بواو مع" التي تعدى الفعل إلى المفعول معه نحو اســتوى الماء والخشــبة،

بمعنى ساواها وهذه معاني الاستواء المعقولة في كلامهم.[(١)]

ومما يؤكد أيضاً أن السلف يعلمون معنى الاستواء **قول ابن عبد البر**–رحمه الله–«**ت: ٤٦٣ هـ**»: "والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكن فيه".

قال أبو عبيدة–رحمه الله–«**ت: ٢٠٩ هـ**» في قوله ﴿استوى﴾ قال: علا، قال: وتقول العرب: استويت فوق الدابة واستويت فوق البيت، وقال غيره: استوى أي انتهى شبابه واستقر فلم يكن في شبابه مزيد، والاستواء والاستقرار في العلو، وبهذا خاطبنا الله عز وجل فقال: ﴿**لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ**﴾ [الزخرف: الآية: ١٣]، وقال: ﴿**وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ**﴾ [هود: الآية: ٤٤]، وقال: ﴿**فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ**﴾ [المؤمنون: الآية: ٢٨].

وقال الشاعر:

فأوردتهم ماء بضبضاء قفرة ... وقد حلق النجم اليماني فاستوى

وهذا لا يجوز أن يتأول فيه أحد: استولى لأن النجم لا يستولى.

وقد ذكر **النضر بن شميل**–رحمه الله–«**ت: ٢٠٣ هـ**»–وكان ثقة مأموناً جليلاً في علم الديانة واللغة–قال: "حدثني **الخليل**–رحمه الله–«**ت: ١٧٤ هـ**»–وحسبك بالخليل–قال: أتيت **أبا ربيعة الأعرابي**–رحمه الله–«**ت: ١٧٠ هـ تقريبًا**» وكان من أعلم من رأيت فغذا هو على سطح، فسلمنا فرد علينا السلام وقال لنا: استووا فبقينا متحيرين ولم ندر ما قال؟ فقال لنا أعرابي إلى جنبه: إنه أمركم أن ترتفعوا، **قال الخليل**–رحمه الله–«**ت: ١٧٤ هـ**»: هو من قول الله عز وجل ﴿**ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ**﴾ [فصلت: الآية: ١١]، فصعدنا إليه"[(٢)]

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة «٢/ ١٢٦-١٢٧».

(٢) التمهيد «٧/ ١٣١-١٣٢».

وقال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "إن ظاهر الاســـتواء وحقيقته هو العلو والارتفاع كما نص عليه جميع أهل اللغة والتفسير المقبول"(١)

ولما كان هذا هو معنى الاستواء في لغة العرب فقد تكلم السلف والمفسرون بهذا المعنى عند تفسير هذه الآية فقد روى عن **مجاهد–رحمه الله–«ت: ١٠٤ هـ»** في تفسير قوله تعالى ﴿**ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ**﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤]، قال: علا على العرش. (٢)

وقد روى **ابن ابي حاتم–رحمه الله–«ت: ٣٢٧ هـ»** في تفسيره بسنده **عن أبي العالية–رحمه الله–«ت: ٩٠ أو٩٣ هـ»** في تفسير الآية السابقة الذكر قال: ارتفع. (٣)

وقد روى عن الحســـن البصـــري–رحمه الله–«ت: ١١٠ هـ»، والربيع بن أنس–رحمه الله–«ت: ١٣٩ هـ» مثله (٤).

وقد روى **اللالكائي–رحمه الله–«ت: ٤١٨ هـ» بسنده عن بشر بن عمر–رحمه الله–«ت: ٢٠٧ هـ»** قال: "سمعت غير واحد من المفســـرين يقولون: ﴿**الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ**﴾ [طه: الآية: ٥]، قال: على العرش استوى: ارتفع"(٥)

وفي هذا التفسير لمعنى الاستواء من قبل السلف رد على من زعم أن مذهب السلف هو التقيد باللفظ مع تفويض المعنى المراد وأنهم كانوا لا يفسرون الاستواء ولا يتكلمون فيه، فمن خلال ما تقدم من الأقوال التي نقلت عن السلف يتضح كذب هؤلاء وزيف ادعائهم.

ومما ينبغي معرفته أن الســـلف مع إثباتهم لمعنى الاســـتواء واعتقادهم بأن الله مســـتو على عرشه ومرتفع عليه، إلا أنهم يكلون علم كيفية ذلك الاستواء إلى الله عز وجل لأن أمره هو مما

(١) انظر: مختصر الصواعق «٢/ ١٤٥».

(٢) انظر: فتح الباري «١٣/ ٤٠٣».

(٣) مجموع الفتاوى «٥/ ٥١٩».

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة «٣/ ٣٩٧».

اســـتأثر الله بعلمه وفي ذلك يقول القرطبي-رحمه الله-«ت: ٦٧١ هـ»: "ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته كما قال الإمام مالك: "الاســـتواء معلوم -يعني في اللغة-والكيف مجهول، والســـؤال عنه بدعة"[١]

وقال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "إن العقل قد يئس من تعرف كنه صـــفات الله وكيفيتها، فإنه لا يعلم كيف الله إلا الله، وهذا معنى قول الســـلف «بلا كيف» أي بلا كيف يعقله البشـر، فإنه من لا تعلم حقيقة ذاته وماهيته، كيف تعرف كيفية نعوته وصـفاته؟ ولا يقدح ذلك في الإيمان بها، ومعرفة معانيها، فالكيفية وراء ذلك، كما أنا نعرف معاني ما أخبر الله بـه من حقـائق مـا في اليوم الآخر، ولا نعرف كيفيتهـا مع قرب مـا بين المخلوق والمخلوق، فعجزنا من معرفة كيفية الخالق وصفاته أعظم وأعظم"[٢]

واستواءه-سبحانه وتعالى-على العرش بعد أن خلق السموات والأرض في ستة أيام إنما هذا الاســتواء هو-علو خاص-، ذلك لأن من المعلوم أن كل مســتو على شــيء هو عال عليه، وليس كل عال على شيء مستويا عليه، ولهذا لا يقال لكل ما كان عاليا على غيره أنه مستو عليه، ولكن كل ما قيل فيه: إنه استوى على غيره، فإنه عال عليه.

والذي أخبر الله أنه كان بعد خلق الســموات والأرض "الاسـتواء" لا مطلق العلو، مع أنه يجوز أنه كان مستويا على العرش قبل خلق السموات والأرض لما كان عرشه على الماء، ثم لما خلق هذا العالم كان عاليا عليه ولم يكن مســـتويا عليه، وبعد الانتهاء من خلق هذا العالم استوى على العرش.

فالأصل أن علوه على المخلوقات وصف لازم له، كما أن عظمته وكبرياءه وقدرته كذلك، وأما الاستواء فهو فعل يفعله سبحانه وتعالى بمشيئته وقدرته، ولهذا قال فيها ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى**﴾

---

(١) تفسير القرطبي.

(٢) مدارج السالكين «٣/ ٣٥٩».

ومن أجل ذلك كان الاستواء من الصفات السمعية المعلومة بالخبر، وأما علوه على المخلوقات فهو عند أئمة أهل الإثبات من الصفات العقلية المعلومة بالعقل مع السمع"(١)

فالاستواء صفة ثابتة في القرآن والسنة وقد أجمع سلف الأمة على إثباتها.

ب-: الأدلة من القرآن على إثبات صفة الاستواء.

جاء ذكر الاستواء في سبع آيات، وهذه الآيات السبع التي جاء فيه ذكر الاستواء على العرش قد جاءت مصحوبة بما يبهر العقول من صفات الله وجلاله وكماله، (٢) وسنذكر تلك الآيات وما اقترن بها.

١-**الموضع الأول**: فأول سورة ذكر الله فيها صفة الاستواء حسب ترتيب المصحف سورة الأعراف: قال تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بأمره أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤].

فهل لأحد أن ينفي شيئًا من هذه الصفات الدالة على الجلال والكمال(٣)

٢-**والموضع الثاني**: في سورة يونس قال تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ ما مِنْ شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ * إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً إِنَّهُ يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ * هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ما خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَما خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ**﴾ [يونس:

---

(١) انظر: "الفتاوى": «٥/ ٥٢١-٥٢٣» بتصرف.

(٢) "منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات": «ص: ١٥».

(٣) "منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات": «ص: ١٥».

الآيات: ٣-٦].

فهل لأحد أن ينفي شيئًا من هذه الصفات الدالة على الكمال والجلال.

٣-الموضع الثالث: في سورة الرعد في قوله جل وعلا: ﴿**اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّماوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمّىً يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [الرعد: الآيات: ٢-٤].

فهل لأحد أن ينفي شيئًا من هذه الصفات الدالة على الجلال والكمال.

٤-الموضع الرابع: في سوره طه قال تعالى: ﴿**طه * ما أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلاَّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى * تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّماوَاتِ الْعُلَى * الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ ما فِي السَّماوَاتِ وَما فِي الأَرْضِ وَما بَيْنَهُما وَما تَحْتَ الثَّرَى * وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى * اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْماءُ الْحُسْنَى**﴾ [طه: الآيات: ١-٨].

فهل لأحد أن ينفي شيئًا من هذه الصفات الدالة على الجلال والكمال.

٥-الموضع الخامس: في سورة الفرقان في قوله تعالى: ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيراً * الَّذِي خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً**﴾ [الفرقان: الآيات: ٥٨-٥٩].

فهل لأحد أن ينفي شيئًا من هذه الصفات الدالة على الكمال والجلال.

وقال **محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله-«ت: ١٣٩٣ هـ»**: "إنه ينبغي للمؤولين أن يتأملوا هذه الآية من سورة الفرقان وهي قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ**

بِهِ خَبِيراً﴾ [الفرقان: الآية: ٥٨]، ويتأملوا معها قوله تعالى: **﴿وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾** [فاطر: الآية: ١٤]، فإن قوله في الفرقان: **﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً﴾** بعد قوله: **﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾** يدل دلالة واضحة أن الله الذي وصف نفسه بالاستواء خبير بما يصف به نفسه، ولا تخفى عليه الصفة اللائقة من غيرها ويفهم منه أن الذي ينفي عنه صفة الاستواء ليس بخبير، نعم هو والله ليس بخبير"(١)

٦- **الموضع السادس:** في سورة السجدة في قوله تعالى: **﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْما ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ * اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ما لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ * يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِما تَعُدُّونَ * ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ﴾** [السجدة، الآيات: ٣-٩].

فهل لأحد أن ينفي شيئًا من هذه الصفات الدالة على الجلال والكمال.

٧- **الموضع السابع:** في سورة الحديد في قوله تعالى: **﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْباطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ ما يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَما يَخْرُجُ مِنْهَا وَما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ وَما يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾** [الحديد، الآيتان: ٣-٤].

فالله سبحانه وتعالى مع استوائه على عرشه لا يخفى عنه شيء من أمور مخلوقاته، فهو يعلم جميع ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وجميع ما ينزل من السماء وما يعرج فيها، فسبحان من لا يعزب عن علمه مثقال حبة من خردل لا في السماء ولا في الأرض عالم الغيب والشهادة

(١) "منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات": «ص: ٢٦».

الرحمن الرحيم.

فالشاهد من ذكر آيات الاستواء على العرش وذكر ما اقترن بها من صفات العظمة والجلال بيان أن هذه الصفة التي ظن الجاهلون أنها صفة نقص، ويتهجمون على رب السموات والأرض بأنه وصف نفسه بصفة نقص، ثم يسببون عن هذا أن ينفوها ويؤولوها، مع أن الله–جل وعلا– تمدح بها، وجعلها من صفات الجلال والكمال مقرونة بما يبهر العقول من صفات الجلال والكمال، وهذا يدل على جهل وهوس من ينفي بعض صفات الله جل وعلا بالتأويل. [(١)]

ج–الأدلة من السنة على إثبات صفة الاستواء.

كما أن السنة مليئة بالأحاديث الثابتة الصحيحة الدالة على استواء الله على عرشه.

عن أبي هريرة–رضي الله عنه–«ت: ٥٧ هـ»، عن النبي–صلى الله عليه وسلم-: «**إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه، إن رحمتي سبقت غضبي**». متفق عليه. [(٢)]

وعن أبي رزين العقيلي–رضي الله عنه– قال: "قلت يا رسول الله: أين كان ربنا قبل أن يخلق السماء والأرض؟" قال: «**كان في عما**[(٣)] **ما فوقه هواء وما تحته هواء، ثم خلق العرش، ثم استوى عليه**». وفي لفظ آخر: «**ثم كان على العرش فارتفع على عرشه**». [(٤)]

---

(١) "كتاب منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات": «ص: ١٧».

(٢) أخرجه البخاري «ح: ٧٤٠٤». وانظر «ح: ٣١٩٤، ٧٤٥٣، ٧٥٥٣، ٧٥٥٤». وأخرجه مسلم في صحيحه، التوبة، باب في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه «٨/٩٥».

(٣) العما: السحاب الأبيض، كذا فسره الأصمعي. انظر كتاب العظمة لأبي الشيخ «١/ ٣٦٥-٣٦٦»، والعرش لابن أبي شيبة«رقم: ٨»، والحد للدشتي «ق١٥/ب».

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب سورة هود «٥/ ٢٨٨، رقم: ٣١٠٩». والإمام أحمد في مسنده «٤/ ١١-١٢». وابن أبي شيبة في العرش «ح: ٧». وابن ماجه في سننه، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية «١/ ٦٤». وابن أبي عاصم في السنة «١/ ٢٧١». وابن جرير الطبري في تفسيره «٤/ ١٢»، وفي تاريخه «١/ ١٩». والحكيم الترمذي في الرد على المعطلة «ق١٠٦/ أ». وأبو الشيخ في كتاب العظمة «١/ ٣٦٣-٣٦٤، ح٨٣». وابن بطة في الإبانة «تتمة الرد على الجهمية، «٣/ ١٦٨، ح١٢٥». وابن أبي زمنين في أصول السنة «ص: ٨٩»، «ح: ٣١». والبيهقي في الأسماء والصفات «٢/ ٢٣٥-٢٣٦، ح: ٨٠١ و٢/٣٠٣، ح: ٨٦٤».

=

وعن جبير بن مطعم-**رضي الله عنه**-«**ت: ٥٩ هـ**»، أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-قال للأعرابي في حديث الاستسقاء: «**ويحك أتدري ما الله؟ إن شأنه أعظم من أن يستشفع به على أحد، إنه لفوق عرشه على سمواته**».

رواه أبو داود، وغيره، في الرد على الجهمية. [١] بإسناد حسن عنده من حديث محمد بن إسحاق بن يسار.

وعن العباس بن عبد المطلب-**رحمه الله**-«**ت: ٣٢ هـ**» قال: كنا بالبطحاء فمرت

قال الترمذي: حديث حسن. وقال الذهبي في العلو «ص١٩» إسناده حسن. وقال في كتاب العرش حديث رقم «١٥» "وهذا حديث حسن رواه الترمذي وغيره"؛ وقال الألباني: "في تصحيحه نظر، فإن مداره على وكيع بن عدس ويقال حدس، وهو مجهول، لم يرو عنه غير يعلى بن عطاء، ولا وثقه غير ابن حبان".

التعليق: اختلف في لفظة "عما" من حيث الشكل ومن حيث المعنى المراد بها. فالأصمعي، وأبو عبيد القاسم بن سلام، والأزهري وغيرهم يرون أن لفظة "عما" هي من حيث الشكل بالمد، وليست بالقصر، وأن معناها المراد في الحديث السحاب الأبيض، لأنه هذا هو معنى الكلمة في كلام العرب المنقول عنهم. ومما يشهد لذلك قول الحارث بن حلزة اليشكري:

وكأن المنون تردي بنا.... أعصم ينجاب عنه العما

ومعنى البيت: أن الشاعر يقول هو في ارتفاعه، قد بلغ السحاب ينشق عنه، ويقول نحن في عزنا مثل الأعصم، فالمنون إذا أرادتنا فكأنما تريد أعصم «أي الجبل الشاهق».

وقال الأزهري: "ولا يدرى كيف ذلك العما بصفة تحصره ولا نعت يحده، ويقوي هذا القول قول الله تعالى ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ الآية ٢١٠ من سورة البقرة، فالغمام معروف في كلام العرب، إلا أنا لا ندري كيف الغمام الذي يأتي الله ـ عز وجل ـ يوم القيامة في ظلل منه، فنحن نؤمن به ولا نكيف صفته، وكذلك سائر صفات الله عز وجل". تهذيب اللغة «٣/ ٢٤٦».

وهذا القول ليس فيه دليل، على قول الفلاسفة الدهرية القائلين بقدم العالم، وأن مادة السموات والأرض ليست مبتدعة، وذلك أن الله سبحانه أخبرنا في كتابه بابتداء الخلق الذي يعيده، وأخبر بخلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام في غير موضع، وجاءت بذلك الأحاديث الكثيرة، وأخبر أيضاً أنه يغير هذه المخلوقات.

ويرى يزيد بن هارون، وأقره على ذلك الترمذي أن لفظة "عما" هي من حيث الشكل بالمد، ولكن معناها في هذه الحديث هو: "أي ليس مع الله شيء" وعلى هذا يكون معنى الحديث أن الله كان ولم يكن شيء معه، ويشهد لهذا المعنى ما جاء في حديث عمران بن حصين من قوله صلى الله عليه وسلم: "كان الله ولم يكن شيء معه".

وهناك رأي ثالث في المسألة، يخالف القولين الأولين من حيث الشكل والمعنى: فمن حيث اللفظ يرى أنه بالقصر، وليس بالمد.

وعلى هذا يكون المعنى: أنه كان حيث لا تدركه عقول بني آدم، ولا يبلغ كنهه وصف، وذلك لأن كل أمر لا يدركه القلوب بالعقول فهو عمى.

انظر: غريب الحديث لأبي عبيد «٢/ ٨-٩»، تهذيب اللغة «٣/ ٢٤٦»، نقض تأسيس الجهمية «١/ ٥٩١».

[١] سنن أبي داود «٥/ ٩٤-٩٦، ح: ٤٧٢٦».

سحابة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**هل تدرون بعد ما بين السماء والأرض؟**»، قالوا: لا، قال: «**إما واحدة، وإما اثنتان، أو ثلاث وسبعون سنة**»، ثم عد سبع سموات، ثم قال: «**فوق السابعة بحر بين أسفله، وأعلاه كما بين السماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال**(١) **بين أظلافهم، وركبهم كما بين سماء، إلى سماء ثم على ظهورهم العرش، ثم الله فوق ذلك، وهو يعلم ما أنتم عليه**». رواه أبو داود بإسناد حسن وفوق الحسن.(٢)

وعن زينب بنت جحش-رضي الله عنها-«ت: ٢٠ أو ٢١ هـ» أنها كانت تقول للنبي صلى الله عليه وسلم: "زوجنيك الرحمن من فوق عرشه"(٣)

---

(١) الأوعال جمع وعل بكسر العين، وهو تيس الجبل. النهاية «٥/ ٢٠٧».

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند «١/ ٢٠٧». وأبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في الجهمية «٥/ ٩٣، برقم ٤٧٢٣». وأخرجه ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية «١/ ٦٩». وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب سورة الحاقة «٥/ ٤٢٤-٤٢٥، برقم: ٣٣٢٠». والدارمي في الرد على بشر المريسي «ص: ٤٤٨». وابن أبي عاصم في السنة «١/ ٢٥٣». وابن خزيمة في كتاب التوحيد «١/ ٢٣٤-٢٣٥، ح: ١٤٤». والآجري في الشريعة «٣/ ١٠٨٩-١٠٩٠، ح: ٦٦٥». وابن منده في التوحيد «١/ ١١٧». واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة «٣/٣٩٠». والذهبي في العلو «ص: ٤٩». ومدار الحديث من جميع طرقه على "عبد الله بن عميرة" وعبد الله فيه جهالة، ولذلك قال الألباني في تخريج السنة «١/ ٢٥٤»: "إسناده ضعيف، وعبد الله بن عميرة، قال الذهبي: فيه جهالة، وقال البخاري: لا نعلم له سماعاً من الأحنف بن قيس". انتهى كلامه. ولكن الجوزقاني صرح في الأباطيل «١/ ٧٩» بصحة الحديث. وكذلك ابن تيمية في الفتاوى «٣/ ١٩٢» حيث قال: "إن هذا الحديث قد رواه إمام الأئمة ابن خزيمة في كتاب التوحيد الذي اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلا بما نقله العدل عن العدل موصولاً إلى النبي-صلى الله عليه وسلم-، والإثبات مقدم على النفي، والبخاري إنما نفى معرفة سماعه من الأحنف، ولم ينف معرفة الناس بهذا، فإذا عرف غيره كإمام الأئمة ابن خزيمة ما ثبت به الإسناد، كانت معرفته وإثباته مقدماً على نفي غيره وعدم معرفته". انتهى كلامه. وكذلك مال تلميذه ابن القيم إلى تصحيحه. انظر تهذيب السنن «٧/ ٩٢-٩٣».

(٣) رواه الطبري بلفظ مقارب في التفسير «٢٢/ ١٤». وأخرجه الحاكم في المستدرك «٤/ ٢٥». وابن قدامة في إثبات صفة العلو «ص:٦١، برقم: ٣١». وابن كثير في تفسيره «٣/ ٤٩٢». والذهبي في العلو«ص: ٤٠» و«ص: ٢٠»، وفي كتاب العرش برقم: «٢٦». وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية «١/ ١٢٥». وابن حجر في الفتح «١٣/ ٤١٢» وقال: "وفي مرسل الشعبي قالت زينب... فذكره، ثم قال: أخرجه الطبري وأبو القاسم الطحاوي في كتاب الحجة والتبيان له". وقال الذهبي: "وهذا مرسل" أي أنه منقطع بين الشعبي وزينب.

وفي لفظ للبخاري كانت تقول: "إن الله أنكحني من فوق سبع سموات"[(١)]

د-دليل الإجماع على إثبات صفة الاستواء.

إجماع السلف من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم منعقد على إثبات علو الله، واستوائه على عرشه وقد نقل غير واحد من السلف هذا الإجماع عنهم، ومن ذلك ما رواه **البيهقي-رحمه الله-«ت: ٤٥٨ هـ»، بإسناد صحيح عن الأوزاعي-رحمه الله-«ت: ١٥٧ هـ»** أنه قال: "كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله-تعالى-ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت فيه السنة من صفاته"[(٢)]

وقال أبو نصر السجزي-رحمه الله-«ت: ٤٤٤ هـ»: " فأئمتنا كسفيان الثوري-رحمه الله-«ت: ١٦١ هـ»، ومالك-رحمه الله-«ت: ١٧٩ هـ»، وسفيان ابن عيينة-رحمه الله-«ت: ١٩٨ هـ»، وحماد بن سلمة-رحمه الله-«ت: ١٦٧ هـ»، وحماد بن زيد-رحمه الله-«ت: ١٧٩ هـ»، وعبد الله بن المبارك-رحمه الله-«ت: ١٨١ هـ»، وفضيل بن عياض-رحمه الله-«ت: ١٨٧ هـ»، وأحمد بن حنبل-رحمه الله-«ت: ٢٤١ هـ»، وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي-رحمه الله-«ت: ٢٣٨ هـ»: متفقون على أن الله-سبحانه-بذاته فوق العرش، وأن علمه بكل مكان، وأنه يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش"[(٣)]

وقال أبو نعيم الأصبهاني-رحمه الله-«ت: ٤٣٠ هـ» في عقيدته المشهورة: "وطريقتنا طريقة السلف المتبعين للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، فما اعتقدوه اعتقدناه، فمما اعتقدوه أن الأحاديث التي تثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في العرش والاستواء عليه يقولون بها، ويثبتونها من غير تكييف ولا تشبيه، وأن الله بائن من خلقه، والخلق بائنون منه،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب «٢٢» ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الماءِ﴾ «ح: ٧٤٢١، ص: ١٥٥٥» ولفظه "إن الله أنكحني في السماء".

(٢) الأسماء والصفات": «ص: ٥١٥».

(٣) درء تعارض العقل والنقل": «٦/ ٢٥٠».

لا يحل فيهم، ولا يمتزج بهم، وهو مستو على عرشه في سمواته من دون أرضه"[١]

ثانيًا: أقوال المخالفين في صفة الاستواء.

أ-الفريق الأول: نفاة الاستواء.

سبق أن ذكرنا أن المعطلة من الفلاسفة، والجهمية، والأشاعرة، والماتريدية، على الرغم من أن لكل واحد منهم منهجًا مستقلًا في مسألة الصفات إلا أنهم يتفقون جميعًا على إنكار الصفات الاختبارية بما فيها صفة الاستواء، ويذهبون إلى تأويل الآيات القرآنية الواردة في إثباتها إلى ما أدت إليه عقولهم من المعاني الفاسدة التي يزعمون أن في ذلك تنزيهاً لله عن مشابهة المخلوقين.

وإن سبب ذلك التأويل الباطل هو اعتقاد هؤلاء المعطلة أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها النصوص، وذلك بسبب الشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها إخوانهم من الفلاسفة، فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر -وكان مع ذلك لابد للنصوص من معنى- بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى، وهي التي يسميها هؤلاء المعطلة طريقة السلف، وبين صرف اللفظ إلى معان بنوع من التكلف، وهي التي يسمونها طريقة الخلف. وبهذا يتبين لنا أن هذا الباطل الذي ذهب إليه هؤلاء المعطلة إنما هو مركب من فساد العقل والكفر بالسمع، وذلك لأنهم إنما اعتمدوا في نفي تلك الصفات على شبه عقلية ظنوها بينات وهي في الحقيقة شبهات.

وبناء على المسلك الثاني الذي سلكه هؤلاء المعطلة من تأويل تلك النصوص، فقد تعددت أقوالهم واختلفت في المعنى الذي يجب أن يؤول إليه لفظ الاستواء الوارد في الآيات إلى عدة أقوال منها:

القول الأول:

من هؤلاء المعطلة من يؤول معنى الاستواء في قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾

---

(١) درء تعارض العقل والنقل": «٦/ ٢٥٠».

[طه: الآية: ٥]، على الاستيلاء والقهر والغلبة.

وهذا القول يذهب إليه كثير من الجهمية [(١)]، والمعتزلة [(٢)]، والحرورية [(٣)]، وكثير من متأخري الأشاعرة [(٤)]، كسيف الدين الآمدي «ت: ٦٣١ هـ» [(٥)]، والغزالي «ت: ٥٠٥ هـ» [(٦)]، والبغدادي «ت: ٤٢٩ هـ» [(٧)]، وغيرهم.

وقد استدل هؤلاء المعطلة على صحة زعمهم هذا بأن هذا التأويل الذي هو تأويل الاستواء بالاستيلاء هو أمر مشهور في لغة العرب من ذلك:

قول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ولا دم مهراق

وقال الآخر:

هما استويا بفضلهما جميعًا   على عرش الملوك بغير زور

وقال الآخر:

فلما علونا واستوينا عليهم   تركناهم صرعى لنسر كاسر

وقد ذكر **أبو عمر بن عبد البر**–رحمه الله–**«ت: ٤٦٣ هـ»** أن بعضهم قد احتج بما رواه عبد الله بن داود الواسطي عن إبراهيم بن عبد الصمد عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس–رضي الله عنهما–، في تفسير قوله تعالى ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه:

---

(١) انظر مجموع الفتاوى «٥/ ٩٦»، ومختصر الصواعق «٢/ ١٤٤».

(٢) متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار «١/ ٧٣، ٣٥١».

(٣) انظر مجموع الفتاوى «٥/ ٦٦»، ومختصر الصواعق «٢/ ١٤٤».

(٤) انظر تحفة المريد على شرح جوهرة التوحيد «ص: ٥٤».

(٥) انظر غاية المرام «ص: ١٤١».

(٦) انظر الاقتصاد في الاعتقاد «ص: ١٠٤».

(٧) شرح الأصول الخمسة «ص: ٢٢٦».



الآية: ٥]، قال: "استولى على جميع بريته فلا يخلو منه مكان"(١)

ومن هؤلاء المعطلة من يبقي كلمة العرش الواردة في الآية على معناها الحقيقي الثابت، ويقول إنما خصص العرش بالذكر من بين جميع المخلوقات لكونه أعظم المخلوقات وأرفعها وأوسطها فخصص بالذكر تنبيهاً على ما دونه.

ومنهم من يؤول العرش الوارد في الآية بمعنى الملك (٢)، ويزعم أن معنى الآية استولى واستعلى على الملك، ويقول أصحاب هذا القول إن الله قد عبر بالعرش كناية على الملك، لأنه يخاطب الناس على الوجه الذي ألفوه من ملوكهم، واستقر في قلوبهم، ذلك أن العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملوك، فجعل العرش كناية عن نفس الملك، ويستدل هؤلاء بأن هذا الأمر مشهور في اللغة، وكذلك بقوله تعالى في سورة يونس: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ**﴾ [يونس: الآية: ٣]، فقالوا: إن قوله يدبر الأمر جرى مجرى التفسير لقوله: ﴿اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ (٣).

الرد عليهم:

لقد أجمع السلف على أن هذا التأويل الذي ذهب إليه هؤلاء الجهمية، والمعتزلة، والخوارج، ومتأخرو الأشاعرة، هو تأويل باطل ترده نصوص القرآن والسنة وإجماع الأمة، وهو قول لا أصل له في لغة العرب، بل هو تفسير لكلام الله بالرأي المجرد، لم يذهب إليه صاحب ولا تابع، ولا قاله إمام من أئمة المسلمين، ولا أحد من أهل التفسير الذين يحكون قول السلف.

ولبيان فساد هذا القول على وجه التفصيل نقول:

---

(١) التمهيد «٧/ ١٣٢».

وقد أجاب ابن عبد البر على استدلالهم هذا بقوله: "إن هذا الحديث منكر على ابن عباس-رضي الله عنهما-، ونقلته مجهولون وضعفاء، فأما عبد الله بن داود الواسطي وعبد الوهاب بن مجاهد فضعيفان، وإبراهيم بن عبد الصمد مجهول لا يعرف، وهم لا يقبلون أخبار الأحاد العدول، فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل هذا الحديث لو عقلوا وأنصفوا". اهـ.

(٢) انظر شرح الأصول الخمسة «ص: ٢٢٦»، تفسير الرازي «١٤/ ١٥»، وأصول الدين للبغدادي «ص: ١١٢».

(٣) تفسير الرازي «١٤/ ١١٥».

أولاً: أنه من المعلوم أن لفظ الاســتواء قد ورد في القرآن الكريم في ســبعة مواضــع، وهذه المواضع جميعها قد اطرد فيها لفظ الاستواء دون الاستيلاء، وكذلك الأمر بالنسبة لما ورد في السنة، فلو كان معناه استولى -كما يزعم هؤلاء-لكان استعماله في أكثر موارده كذلك، فإذا جاء في موضع أو موضعين بلفظ استوى حمل على معنى استولى لأنه المألوف المعهود.

أما أن يُأتى إلى لفظ قد اطرد استعماله في جميع موارده على معنى واحد فيدعى صرفه في الجميع إلى معنى لم يعهد استعماله فيه، فهذا أمر في غاية الفساد ولم يقصده ويفعله من قصد البيان، هذا لو لم يكن في الســـياق ما يأبى حمله على غير معناه الذي اطرد اســـتعماله فيه، فكيف وفي السياق ما يأبى ذلك. (١)

ثانياً: ومما يرد هذا التأويل الباطل أن كلمة استوى قد جاءت بعد "ثم" التي حقها الترتيب والمهلة، فلو كان المعنى القدرة على العرش والاســـتيلاء عليه لم يتأخر ذلك إلى ما بعد خلق السـموات والأرض، فإن العرش كان موجوداً قبل خلق السـموات والأرض بخمسـين الف عام كما ثبت في صــحيح مســلم عنه-صــلى الله عليه وســلم-أنه قال: «**إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء**». (٢)

وقال تعالى ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء﴾.

وفي صحيح البخاري **عن عمران بن حصين-رضي الله عنه-«ت: ٥٢ هـ»** عن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: «**كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض**». (٣)

فالآيات والحديثان يدلان دلالة واضـحة على أن العرش كان موجوداً قبل خلق السـموات والأرض فكيف يجوز أن يكون غير قادر ولا مســـتولٍ على العرش إلى أن خلق الســـموات

---

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة «٢/ ١٢٨-١٢٩».

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر «٨/ ٥١».

(٣) أخرجه البخاري في صحيحة، كتاب التوحيد، ﴿وكان عرشه على الماء﴾ «ح: ٧٤١٨».

والأرض. [(١)]

ثالثاً: أن الاستيلاء سواء كان بمعنى القدرة أو القهر أو نحو ذلك عام في المخلوقات كالربوبية.، والعرش وإن كان أعظم المخلوقات ونسبة الربوبية إليه لا تنفي نسبتها إلى غيره كما في قوله تعالى ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: الآية: ٨٦]، فلو كان استوى بمعنى استولى كما هو عام في المخلوقات كلها لجاز مع إضافته للعرش أن يقال: استوى على السماء وعلى الهواء وعلى البحار والأرض، وعليها ودونها ونحوها إذ هو مستو على العرش، فلما اتفق المسلمون على أن يقال: استوى على العرش، ولا يقال استوى على هذه الأشياء مع أنه يقال: استولى على العرش والأشياء، علم أن معنى استوى خاص بالعرش وليس عاما كعموم الأشياء [(٢)].

رابعاً: أنه إذا فسر الاستواء بالغلبة والقهر عاد معنى الآيات كلها إلى أن الله تعالى أعلم عباده بأنه خلق السموات والأرض ثم غلب على العرش بعد ذلك وقهره وحكم عليه! أفلا يستحي من الله من في قلبه أدنى وقار لله ولكلامه أن ينسب ذلك إليه وأنه أراد بقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: الآية: ٥]: أي اعلموا يا عبادي أني بعد فراغي من خلق السموات والأرض غلبت عرشي وقهرته واستوليت عليه. [(٣)]

خامساً: أن ما يستند إليه هؤلاء المعطلة في زعمهم هذا من قولهم إن تفسير استوى باستولى أمر مشهور في اللغة، هو قول باطل مردود لأنه لم يثبت عند أحد من أهل اللغة أن لفظة استوى يصح استعمالها بمعنى استولى، بل إن هذا القول منكر عند اللغويين.

فهذا **ابن الأعرابي–رحمه الله–«ت: ٢٣١ هـ»** أحد علماء اللغة أتاه رجل فقال له: ما معنى قول الله عز وجل ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: الآية: ٥]؟ فقال: «هو كما

---

(١) مجموع الفتاوى «٥/ ١٤٥».

(٢) مجموع الفتاوى «٥/ ١٤٤».

(٣) مختصر الصواعق «٢/ ١٤٠-١٤١».

أخبر عز وجل»، فقال: يا أبا عبد الله ليس هذا معناه، إنما معناه استولى، قال: «اسكت ما أنت وهذا، لا يقال استولى على الشيء إلا أن يكون له مضاداً فإذا غلب أحدهما قيل استولى، أما سمعت النابغة:

ألا لمثلك أو من أنت سابقة — سبق الجواد إذا استولى على الأمد

(١)

"وقد سئل **الخليل بن أحمد**–رحمه الله–«**ت: ١٧٤ هـ**»: هل وجدت في اللغة استوى بمعنى استولى؟

فقال: "هذا ما لا تعرفه العرب ولا هو جائز في لغتها". والخليل إمام في اللغة على ما عرف من حاله، فحينئذ حمله على ما لا نعرف في اللغة هو قول باطل"(٢).

وكذلك فإنه قد روي عن جماعة من أهل اللغة قالوا: لا يجوز استوى بمعنى استولى إلا في حق من كان عاجزاً ثم ظهر، والله سبحانه لا يعجزه شيء والعرش لا يغالبه في حال، فامتنع أن يكون بمعنى استولى.

وقد روي عن أبي العباس ثعلب–رحمه الله–«ت: ٢٩١ هـ» أنه قال: "استوى: أقبل عليه وإن لم يكن معوجاً، ﴿**ثم استوى إلى السماء**﴾ [البقرة ٢٩]، و﴿**استوى على العرش**﴾: علا، واستوى الوجه: اتصل، واستوى القمر: امتلأ، واستوى زيد وعمرو: تشابها واستوى فعلاهما وإن لم تتشابه شخوصهما، هذا الذي نعرفه من كلام العرب"(٣)

فبما تقدم من أقوال علماء اللغة يتضح لنا فساد زعم هؤلاء المعطلة وكذب ادعائهم بأن هذا القول مشهور في اللغة.

وأما ما استدل به هؤلاء من أبيات، كقول الشاعر:

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي «٢/ ٣٩٩».

(٢) مجموع الفتاوى «٥/ ١٤٤، ١٤٩»

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي «٢/ ٣٩٩-٤٠٠».

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ولادم مهراق

وقول آخر:

هما استويا بفضلهما جميعًا ... على عرش الملوك بغير زور

فهذان البيتان لم يثبت نقل صحيح على أنهما شعر عربي وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروهما.

قال ابن فارس–رحمه الله–٣٩٥ هـ»: "هذان البيتان لا يعرف قائلهما"[(١)]

فهما على هذا بيتان مصنوعان، ومعلوم أنه لو احتج بحديث رسول الله–صلى الله عليه وسلم–لاحتاج إلى صحته، فكيف ببيت من الشعر لا يعرف إسناده وقد طعن فيه أئمة اللغة.

قال أبو عمر بن عبد البر–رحمه الله–«ت: ٤٦٣ هـ»: "وأما ادعائهم المجاز في الاستواء وقولهم في تأويل استوى: استولى، فلا معنى له لأنه غير ظاهر في اللغة، ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة، والله لا يغالبه أحد ولا يعلوه أحد، وهو الواحد الصمد، ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز، إذ لا سبيل إلى إتباع ما أنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام الله إلى الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبارات، وجل الله عز وجل أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطبتها، مما يصح معناه عند السامعين، والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم، وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكن فيه، قال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿**استوى**﴾ قال: وتقول العرب استويت فوق الدابة واستويت فوق البيت، وقال غيره: استوى: أي انتهى شبابه واستقر فلم يكن في شبابه مزيد"[(٢)]

وأما ما استدل به المعطلة من قول ابن عباس–رضي الله عنهما–«ت: ٦٨ هـ» فقد بين

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي «٢/ ١٢٨».

(٢) التمهيد «٧/ ١٣١».

ابن عبد البر أنه مكذوب على ابن عباس ورواته مجهولون وضعفاء كما تقدم ذكره.

القول الثاني:

أن معنى اســتوى: أقبل على خلق العرش وعمد إلى خلقه كقوله تعالى ﴿**ثُمَّ اسْــتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ**﴾ [فصلت: الآية: ١١]، أي عمد إلى خلق السماء.

وهذا هو قول بعض الجهمية [١]، وإليه ذهب **الفراء «ت: ٢٠٧ هـ»**، **والأشعري «ت: ٣٢٤ هـ»**، **وابن الضرير «ت: ٢٠٩ هـ»**، **واختاره الثعلبي «ت: ٤٢٧ هـ»** [٢].

الرد عليهم:

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "وهذا الوجه من أضــعف الوجوه، فإنه قد أخبر أن العرش على الماء قبل خلق السموات والأرض.

وكذلك ثبت في صــحيح البخاري عن **عمران–رضــي الله عنهما–«ت: ٥٢ هـ»** عن النبي–صلى الله عليه وسلم–أنه قال: «**كان الله ولم يكن شــيء قبله وكان عرشه على الماء** ...»، فإذا كان العرش مخلوقاً قبل خلق السـموات والأرض، فكيف يكون استواؤه عمده إلى خلقه له؟!

هذا لو كان يعرف في اللغة أن استوى على كذا، بمعنى أنه عمد إلى فعله، فكيف إذا كان لا يعرف قط في اللغة لا حقيقة ولا مجازاً ولا في نظم ولا في نثر.

ومن قال اســـتوى بمعنى عمد ذكره في قوله ﴿**ثُمَّ اسْـــتَوَىٰ إِلَى السَّـــمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ**﴾ [فصـــلت: الآية: ١١] لأنه عدى بحرف الغاية، كما يقال: عمدت إلى كذا وقصــدت إلى كذا، ولا يقال عمدت على كذا ولا قصدت عليه، مع أن ما ذكر في تلك الآية لا يعرف في اللغة أيضاً ولا هو قول أحد من مفسري السلف، بل المفسرون من السلف بخلاف ذلك" [٣]

---

(١) مختصر الصواعق «٢/ ١٢٦».

(٢) انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي «٢/ ٨-٩».

(٣) مجموع الفتاوى «٥/ ٥٢٠-٥٢١».

وقال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "إن قولهم هذا يتضـــمن أن يكون خلقه بعد خلق السموات والأرض، وهذ بخلاف إجماع الأمة، وخلاف ما دل عليه القرآن والسنة، وإن ادعى بعض الجهمية المتأخرين أنه خلق بعد خلق السموات والأرض وادعى الإجماع على ذلك، وليس العجيب من جهله، بل من إقدامه على حكاية الإجماع على ما لم يقله مسلم"[(١)]

القول الثالث:

أن استوى بمعنى علا في هذه الآية، ولكن ليس المراد علو المسافة والمكان، وإنما المراد علو المكانة والقهر، وقد ذهب إلى هذا القول جماعة من الأشاعرة منهم **أبو بكر بن فورك «ت: ٤٠٦ هـ»** [(٢)]، وهم بهذا القول جعلوا الاستواء صفة ذات وليست صفة فعل.

الرد عليهم:

أن الآيات والأحاديث قد أثبتت استواء الله على العرش حقيقة، ولو كان معنى الاستواء ههنا المراد به علو المكانة فإن الله لم يزل متعالياً على الأشياء قبل خلق العرش، فلما أضاف الاستواء على العرش فيجب على ذلك أن يكون لهذا التخصيص فائدة. [(٣)]

القول الرابع:

وهو قول من يثبت الاستواء على أنه صفة للعرش وليس صفة لله تعالى.

وأصحاب هذا القول يقولون: أن الاستواء فعل يفعله الرب في العرش بمعنى أنه يحدث في العرش قرباً فيصير مستوياً عليه من غير أن يقوم به -أي بالله-فعل اختياري.

وهذا القول هو ما يقول به **ابن كلاب «ت: بعد ٢٤٠ هـ»، والأشعري «ت: ٣٢٤**

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة «٢/ ١٤٣».

(٢) كتاب مشكل الحديث لابن فورك «ص: ١٩٣»، والأسماء والصفات للبيهقي «ص: ٥١٨».

(٣) المعتمد في أصول الدين للقاضي أبي يعلى «ص: ٥٤».

هـ» [١]، وأئمة أصـــحابه المتقدمين **كالباقلاني** «**ت: ٤٠٣ هـ**» وغيره، وهو أيضـــاً قول **القلانســـي** «**ت: ٥٥٥ هـ**»، ومن وافق هؤلاء من أتباع الأئمة وغيرهم من أصـحاب الإمام أحمد **كالقاضـــي أبي يعلى** «**ت: ٤٥٨ هـ**» **وابن الزاغوني** «**٥٢٧ هـ**» **وابن عقيل** «**ت: ٥١٣ هـ**» في كثير من أقواله [٢].

والسبب الذي جعل هؤلاء القوم يمنعون جعل الاستواء صفة لله تعالى هو قولهم بنفي قيام الأفعال الاختيارية بذاته ســـبحانه وتعالى ولذلك يجعلون أفعاله اللازمة لذاته –كالنزول والاســتواء–كأفعاله المتعدية –كالخلق والإحســان–، وقولهم في نفي الأفعال الاختيارية راجع إلى قولهم في صفات الله.

وهم يقولون: "إن الله هو الموصـوف بالصـفات، لكن ليسـت الصـفات أعراضـاً، إذ هي قديمة أزلية"[٣]

وحجتهم في منع قيام الحوادث بذات الله تعالى أنهم يقولون: "إن كل ما صـــح قيامه بالباري تعالى فإما أن يكون صفة كمال أو لا يكون فإن كان صفة كمال استحال أن يكون حادثاً، وإلا كانت ذاته قبل اتصافه بتلك الصفة خالية من صفة الكمال، والخالي من الكمال الذي هو ممكن الاتصاف به ناقص، والنقص على الله محال بإجماع الأمة.

وإن لم يكن صـفة كمال اسـتحال اتصـاف الباري بها لأن إجماع الأمة على أن صـفات الباري بأسـرها صـفات كمال، فإثبات صـفة لا من صـفات الكمال خرق للإجماع وهو أمر غير جائز"[٤]

---

(١) هذا القول لأبي الحسن الأشعري قاله عندما كان على قول ابن كلاب من نفي الأفعال الاختيارية عن الله تعالى.

(٢) مجموع الفتاوى «٥/ ٣٨٦،٤٣٧،٤٦٦»، «١٦/ ٣٩٣».

الأسماء والصفات «ص: ٥١٧».

اجتماع الجيوش الإسلامية «ص: ٦٤،٦٥».

(٣) مجموع الفتاوى «٦/ ٣٦».

(٤) انظر كتاب ابن تيمية السلفي «ص: ١٣٠».

الرد عليهم:

لقد اعتمد أصحاب هذا القول في منعهم كون الاستواء صفة لله تعالى على حجة منع قيام الحوادث بذاته تعالى، وهي حجة واهية وقد رد عليها ابن تيمية بقوله: "إن المقدمة التي اعتمد عليها هؤلاء وهي قولهم: إن الخالي من الكمال الذي يمكن الاتصاف به ناقص. فيقال لهم: معلوم أن الحوادث المتعاقبة لا يمكن الاتصاف بها في الأزل، كما لا يمكن وجودها في الأزل، وعلى هذا فالخلو عنه في الأزل لا يكون خلواً عما يمكن الاتصاف به في الأزل.

ثم إنه لم يثبت امتناع ما ذكر من النقص بدليل عقلي ولا بنص من كتاب ولا سنة، بل بما ادعوه من إجماع، وإذاً فمعلوم أن المنازعين في اتصافه بذلك هم من أهل الإجماع فكيف يحتج بالإجماع في مسألة النزاع.

وقولهم بإجماع الأمة على أن صفاته صفات كمال، فإن قصد بذلك صفاته اللازمة لم يكن في هذا حجة لهم، وإن قصد بذلك ما يحدث بمشيئته وقدرته لم يكن هذا إجماعاً فإن أهل الكلام يقولون إن صفة الفعل ليست صفة كمال ولا نقص والله موصوف بها بعد أن لم يكن موصوفاً.

ثم إن هذ الإجماع الذي ادعوه حجة عليهم فإنا إذا عرضنا على العقول موجودين: أحدهما يمكنه أن يتكلم ويفعل بمشيئته كلاماً وفعلاً، والآخر لا يمكنه ذلك، بل لا يكون كلامه إلا غير مقدور ولا مراد أو يكون بائناً عنه، لكانت العقول تقضي بأن الأول أكمل من الثاني.

وكذلك إذا عرضنا على العقول موجودين من المخلوقين أو مطلقاً أحدهما يقدر على الذهاب والمجيء والتصرف بنفسه والآخر لا يمكنه ذلك لكانت العقول تقصي بأن الأول أكمل

فنفس ما به يعلم أن اتصافه بالحياة والقدرة صفات كمال، به يعلم أن اتصافه بالأفعال والأقوال الاختيارية التي تقوم به والتي يفعل بها المفعولات المباينة له صفات كمال"[١]

---

(١) الموافقة بين صريح العقل وصحيح النقل «٢/ ٧٣-١٧٥»، ط: دار الكتب.

وكذلك مما يرد به على هذا القول ما قاله ابن القيم: «إنه لو كان الاســـتواء عائداً على العرش لكانت القراءة برفع العرش، ولم تكن بخفضــــه، فلما كانت بخفض العرش دل على أن الاستواء عائد إلى الله تعالى"[(١)]

ب–الفريق الثاني: القول بالتفويض.

ويذهب أصـــحاب هذا القول إلى إثبات لفظ الاســـتواء فقط مع التوقف في المعنى المراد، فهم يقولون: إن الاستواء ثابت في القرآن حيث إنه قد ورد في سبع آيات، وكذلك قد وردت به الأخبار الصحيحة وقبوله من جهة التوقف واجب، والبحث عنه وطلب الكيفية غير جائز وهو استواء لا نعلمه. [(٢)]

وقد ذهب إلى هذا القول **البيهقي–رحمه الله–«ت: ٤٥٨ هـ»** في كتابه الاعتقاد. [(٣)]

وهو أحد قولي **الرازي–رحمه الله–«ت: ٦٠٦ هـ»**. [(٤)]

وهؤلاء في الحقيقة ينفون صفة الاستواء، ولكن يتوقفون في المعنى الذي على زعمهم يجب تأويل اللفظ إليه.

وقد زعم كثير من الأشاعرة أن القول بالتفويض هو قول السلف. [(٥)]

ويستدلون على نسبة هذا القول إلى السـلف بعبارات نقلت عن السـلف ظنوا أنها ترمي إلى القول بالتفويض كقول الأوزاعي–رحمـه الله–«ت: ١٥٧ هـ»: "كنـا والتـابعون متوافرون نقول إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته جل وعلا".

وقول ربيعة بن عبد الرحمن–رحمه الله–«ت: ١٣٦ هـ»، **والإمام مالك–رحمه الله–«ت:**

---

(١) انظر اجتماع الجيوش الإسلامية «ص: ٦٤-٦٥».

(٢) الاعتقاد للبيهقي «ص: ١١٥».

(٣) المصدر السابق.

(٤) تلخيص المحصل «ص: ١١٤».

(٥) الاعتقاد للبيهقي «ص: ١١٧»، الإتقان في علوم القرآن «٢/ ٦»، مناهل العرفان «٢/ ١٨٣-١٨٣»، تحفة المريد «ص: ٩١-٩٢»، شرح الخريدة البهية «ص: ٧٥»، الأسماء والصفات «ص: ٥١٧».

١٧٩ هـ»: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب".

والقول بالتفويض هو مقصود هؤلاء القوم في قولهم: «إن طريقة السلف أسلم»، حيث إنهم ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك، بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم ﴿**وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ**﴾ [البقرة: الآية: ٧٨].

الرد عليهم:

معلوم أن نسبة هذا القول إلى السلف إنما هي محض كذب وافتراء ومن نسب هذا القول إلى السلف فإنما هو جاهل بطريقة السلف الذين لم يقولوا بهذا القول، ولم يرد عن واحد منهم أنه فوض معنى الاستواء، بل أن الوارد عنهم جميعاً أنهم يفسرون الاستواء بالمعنى المراد وهو العلو والارتفاع على العرش ويؤمنون بأن الله مستو على العرش حقيقة.

قال ابن تيمية -رحمه الله- «ت: ٧٢٨ هـ»: "وهذا القول على الإطلاق كذب صريح على السلف، أما في كثير من الصفات فقطعاً مثل أن الله فوق العرش فإن من تأمل كلام السلف المنقول عنهم علم بالاضطرار أن القوم كانوا مصرحين بأن الله فوق العرش حقيقة، وأنهم ما قصدوا خلاف هذا قط، وكثير منهم صرح في كثير من الصفات بمثل ذلك"[١]

وقال في موضع آخر: "وقد فسر الإمام أحمد النصوص التي نسميها متشابهات فبين معانيها آية آية، وحديثاً حديثاً ولم يتوقف فيها هو والأئمة قبله مما يدل على أن التوقف عن بيان معاني آيات الصفات وصرف الألفاظ عن ظواهرها لم يكن مذهباً لأهل السنة وهم أعرف بمذهب السلف، وإنما مذهب السلف إجراء معاني آيات الصفات على ظاهرها بإثبات الصفات له حقيقة وعندهم قراءة الآية والحديث تفسيرها وتمر كما جاءت دالة على المعاني لا تحرف ولا يلحد فيها"[٢]

---

(١) الفتوى الحموية «ص: ٦٤».

(٢) مجموع الفتاوى «١٧/ ٤١٤».

ويقول ابن القيم -رحمه الله- «ت: ٧٥١ هـ»: "تنازع الناس في كثير من الأحكام ولم يتنازعوا في آيات الصفات وأخبارها في موضع واحد، بل اتفق الصحابة والتابعون على إقرارها وإمرارها مع فهم معانيها وإثبات حقائقها، أعني فهم أصل المعنى لا فهم الكنة والكيفية"[(١)]

وأما بالنسبة إلى ما استدل به أصحاب هذا القول على أن القول بالتفويض هو مذهب السلف وذكرهم **لقول الإمام مالك -رحمه الله- «ت: ١٧٩ هـ»**: "الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة"، فليس المراد ههنا تفويض معنى الاستواء ولا نفي حقيقة الصفة، ولو كان المراد الإيمان بمجرد اللفظ من غير فهم على ما يليق بالله لما قال «الكيف مجهول»، لأنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم عن اللفظ معنى. [(٢)]

والاستواء على هذا المعنى لا يكون معلومًا، بل هو مجهول بمنزلة حروف المعجم، لكن الأمر على عكس ذلك، فنفي علم الكيفية لأنه أثبت الصفة وأراد بقوله الاستواء معلوم معناه في اللغة التي نزل بها القرآن فعلى هذا يكون معلوماً في القرآن.

ومعلوم أن ادعاء هؤلاء أن مذهب السلف إنما هو القول بالتفويض سببه اعتقاد هؤلاء أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص، فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر -كان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى- فبقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى وبين صرف اللفظ إلى معان بنوع من التكلف، وهذا التردد هو الذي وقع فيه من قال بالتفويض من هؤلاء كالبيهقي والرازي، فهم لم يلتزموا بهذا القول مطلقاً، بل غالباً ما يخالفونه كما فعل الرازي في تأسيسه حيث جنح إلى التأويل وترك القول بالتفويض.

ج- الفريق الثالث: قول المشبهة.

---

(١) مختصر الصواعق «١/ ١٥».

(٢) الفتوى الحموية «ص: ٢٥».

والمقصود بهم الهشامية [(١)] من الروافض، والكرامية [(٢)]، وغيرهم.

وهؤلاء يثبتون استواء الله وارتفاعه فوق عرشه، إلا أنهم تعمقوا في الكلام على كيفية ذلك الاستواء.

فالهشامية مثلاً يقولون إن الله تعالى مماس لعرشه لا يفضل منه شيء في العرش ولا يفضل عن العرش شيء منه. [(٣)]

وأما الكرامية فقد تعددت أقوالهم في كيفية استوائه:

فمنهم من يقول: إنه على بعض أجزاء العرش.

ومنهم من يقول: إن العرش مكان له وأن العرش امتلأ به.

ومنهم من يقول: إنه لو خلق بإزاء العرش عروشاً موازية لعرشه لصارت العروش كلها مكاناً له لأنه أكبر منها كلها.

ومنهم من يقول: أن بينه وبين العرش من البعد والمسافة ما لو قدر مشغولا بالجواهر لاتصلت به. [(٤)]

وقول هؤلاء المشبهة إنما هو نتيجة لازمة لأقوالهم في صفات الله وكلامهم في ذاته.

فالهشامية يقولون: "إن الله جسم ذو أبعاض له قدر من الأقدار، ولكن لا يشبه شيئاً من المخلوقات، ولا يشبهه شيء".

ونقل عنهم أنهم قالوا إنه سبعة أشبار بشبر نفسه، وأن له مكاناً مخصوصاً ووجهة مخصوصة وأنه يتحرك وحركته فعله، وليست من مكان إلى مكان وهو متناه بالذات غير متناه

---

(١) هم أصحاب هشام بن عبد الحكم الرافضي من الإمامية، وتنسب إليه وإلى هشام بن سالم الجواليقي أحيانًا، من الإمامية المشبهة. انظر المقالات «١/ ٣١-٣٤»، الملل والنحل «١/ ١٤٤-١٤٧».

(٢) هم أصحاب محمد بن كرام وهم طوائف يبلغ عددهم اثنتي عشرة فرقة وأصولها ستة هي: العابدية، والنونية، والزرينية، والإسحاقية، والواحدية، وأقربهم الهيصمية. انظر الملل والنحل «١/ ١٤٤-١٤٧».

(٣) الملل والنحل «٢/ ٢٢».

(٤) الملل والنحل «١/ ١٤٤-١٤٧».

بالقدرة، وأنه مماس لعرشه ولا يفضل منه شيء من العرش ولا يفضل عن العرش شيء منه"[(١)]

وأما الكرامية **فيقول ابن كرام «ت: ٢٥٥ هـ»**: "إن معبوده مستقر على العرش استقراراً وأنه بجهة فوقَ ذاتاً وأنه أُحدي الذات أُحدي الجوهر وأنه مماس للعرش من الصفحة العليا".

ولهم في معنى العظم خلاف فقال بعضهم: "إنه مع وحدته على جميع أجزاء العرش والعرش تحته وهو فوقه كله على الوجه الذي هو فوق جزء منه.

وقال بعضـــهم: أنه يلاقي مع وحدته من جهة واحدة أكثر من واحد، وهو يلاقي جميع أجزاء العرش وهو العلي العظيم.

وقالت المهاجرية منهم: إنه لا يزيد على عرشه في جهة المماسة ولا يفضل منه شيء على العرش، وهذا يقتضي أن يكون عرضه كعرض العرش.

وصار المتأخرون منهم إلى أنه تعالى بجهة فوق وأنه محاذ للعرش"[(٢)]

الرد عليهم:

هذا القول للمشبهة يتضمن حقًّا وباطلًا.

فالحق فيه هو: اعترافهم بعلو الله واســتوائه على عرشــه وأنه بائن من خلقه والخلق بائنون عنه.

وأما الباطل فهو: كلامهم في ذات الله والتعرض لكيفية اسـتوائه، وهو كلام باطل وفاسـد ليس لهم به دليل من القرآن أو السـنة، بل هو قول على الله بغير علم فالله سـبحانه وتعالى لم يطلعنا على كيفية ذاته فأنّى لنا أن نعلم كيفية صـفاته، وأمر الكيفية هو مما اسـتئثر الله بعلمه قال تعالى ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ**﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥].

ومما يدلنا على فسـاد هذا القول وعدم وجود دليل لأصـحابه على ما يقولون هو اختلاف أرائهم وأقوالهم عند الحديث عن ذات الله وكيفية اسـتواءه، فمن خلال عرض أقوالهم يتضـح

---

(١) الملل والنحل «٢/ ٢٢».

(٢) انظر كتاب التجسيم عند المسلمين «ص: ٢٠٥».

اختلافهم وتناقضـــهم، وما ذاك إلا أنهم يفترون على الله الكذب قال تعالى ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: الآية: ٨٢].

والســـؤال الذي ينبغي أن يوجه إلى هؤلاء المشـــبهة في هذا المقام هو: أين الدليل من الكتاب أو السنة على ما تزعمون؟

والجواب معروف وهو أنه لا دليل لهم على ذلك لا من القرآن ولا من السنة.

ومما ينبغي معرفته أن الكلام على كيفية ذات الله أو كيفية استوائه أو غيرها من الصفات هو أمر غير جائز عند السلف ويحرم الخوض فيه، بل يبدعون السائل عن ذلك ولذلك بدع الإمام مالك السائل الذي سأله عن كيفية استواء الباري عز وجل، حيث قال له: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والســـؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب، وما أراك إلا رجل ســـوء، وأمر بإخراجه"، وما قاله الإمام مالك هو الذي جاءت به النصـــوص وهو الذي ســـار عليه السلف جميعاً.

المسألة الثالثة: التعريف بالعرش والأقوال فيه.

أولًا: التعريف بالعرش.

المعنى اللغوي لكلمة العرش، **قال ابن فارس–رحمه الله–«ت: ٣٩٥ هـ»** ""عرش" العين، والراء، والشين أصل صحيح واحد، يدل على ارتفاع في شيء مبني، ثم يستعار في غير ذلك»[(١)].

والعرش في كلام العرب يطلق على عدة معاني:

١–سرير الملك:

قال الخليل–رحمه الله–«ت: ١٧٤ هـ»: "العرش: السرير للملك"[(٢)].

(١) معجم مقاييس اللغة «٤/ ٢٦٤».

(٢) كتاب العين «١/ ٢٩١».

وقال الأزهري-رحمه الله-«ت: ٣٧٠ هـ»: "والعرش في كلام العرب: سرير الملك، يدلك على ذلك سرير ملكة سبأ، سماه الله جل وعز عرشاً فقال ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: الآية ٢٣]"[(١)]

٢-سقف البيت:

قال الخليل-رحمه الله-«ت: ١٧٤ هـ»، والجوهري-رحمه الله-«ت: ٣٩٣ هـ»: "عرش البيت: سقفه". [(٢)]

وقال الزبيدي-رحمه الله-«ت: ١٢٠٥ هـ»: "والعرش من البيت سقفه ومنه الحديث «**أو كالقنديل المعلق بالعرش**» يعني: السقف، وفي حديث آخر: «**كنت أسمع قراءة رسول الله-صلى الله عليه وسلم-على عرشي**». [(٣)] أي: سقف بيتي، وبه فسر قوله تعالى ﴿**وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا**﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٩]، أي: صارت على سقوفها كما قال عز من قائل: ﴿**فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا**﴾ [الحجر: الآية: ٧٤]، أراد أن حيطانها قائمة وقد تهدمت سقوفها فصارت في قرارها وانقعرت الحيطان من قواعدها فتساقطت على السقوف المتهدمة قبلها، ومعنى الخاوية والمنقعرة واحد وهي المنقلعة من أصولها"[(٤)]

٣-ركن الشيء:

وقال الزبيدي-رحمه الله-«ت: ١٢٠٥ هـ»: "والعرش ركن الشيء، قاله الزجاج والكسائي، وبه فسر قوله تعالى ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾، أي وخرت على أركانها"[(٥)]

٤-الملك:

---

(١) تهذيب اللغة «١/ ٤١٣».

(٢) كتاب العين «١/ ٢٩١»، الصحاح «ص: ٧٢٢».

(٣) أخرجه النسائي «١٠١٣» باختلاف يسير، وابن ماجه «١٣٤٩»، وأحمد «٢٦٩٠٥» واللفظ لهما.

(٤) تاج العروس «٤/ ٣٢١».

(٥) تاج العروس «٤/ ٣٢١».

وقال الأزهري–رحمه الله–«ت: ٣٧٠ هـ»: "قال: والعرش الملك، يقال: ثل عرشه، أي زال ملكه وعزه.

وقال الزبيدي–رحمه الله–«ت: ١٢٠٥ هـ»: "قال ابن **الأعرابي–رحمه الله–«ت: ٢٣١ هـ»**: العرش الملك، بضم الميم، وهو كناية..."[(١)]

٥–قوام أمر الرجل:

قال ابن فارس–رحمه الله–«ت:٣٩٥ هـ»: "استعيرت كلمة عرش هنا، فقيل لأمر الرجل وقوامه: عرش، وإذا زال عنه ذلك، قيل: ثل عرشه.

قال زهير:

تداركتما الأحلاف قد ثل عرشها   وذبيان إذ زلت بأقدامها النعل". [(٢)].

وقال الزبيدي–رحمه الله–«ت: ١٢٠٥ هـ»: "قولهم: ثل عرشه أي: عدم ما هو عليه من قوام أمره، وقيل: وهي أمره، وقيل: ذهب عزه، ومنه حديث عمر رضي الله عنه أنه رُئي في المنام، فقيل له: ما فعل بك ربك؟ قال: لولا أن تداركني لثل عرشي"[(٣)]

٦–عرش السماك:

قال ابن فارس–رحمه الله–«ت:٣٩٥ هـ»: "ويقال: أن عرش السماك، أربعة كواكب، أسفل من العواء على صورة النعش، ويقال: هي عجز الأسد، قال ابن أحمر:

باتت عليه ليلة عرشية   شربت وبات إلى نقا متهدم". [(٤)]

٧–عرش البئر:

وقال الأزهري–رحمه الله–«ت: ٣٧٠ هـ»: "وقال أبو عبيد: قال أبو زيد: بئر معروشة،

---

(١) تاج العروس «٤/ ٣٢١».

(٢) معجم مقاييس اللغة «٤/ ٢٦٤» –بتصرف–.

(٣) تاج العروس «٤/ ٣٢١».

(٤) معجم مقاييس اللغة «٤/ ٢٦٧»

وهي التي تطوى قدر قامة من أسفلها بالحجارة ثم يطوى سائرها بالخشب وحده، فذلك الخشب هو العرش، يقال منه: عرشت البئر، أعرشها، فإذا كانت كلها بالحجارة فهي مطوية وليست بمعروشة.

وقال غيره: المثاب: مقام الساقي فوق العروش، ومنه قول الشاعر:

وما لم ثابات العروش بقية ... إذا استل من تحت العروش الدعائم

وقال ابن الأعرابي-رحمه الله-«**ت: ٢٣١ هـ**»: العرش بناء فوق البئر يقوم عليه الساقي، وأنشد -أكل يوم عرشها مقيل-"[١]

٨-عرش القدم:

قال الخليل-رحمه الله-«**ت: ١٧٤ هـ**»: "العرش في القدم، ما بين الحمار والأصابع من ظهر القدم، والحمار: المرتفع من ظهر القدم، وجمعه: عرشه وأعراش"[٢]

وقال ابن الأعرابي-رحمه الله-«**ت: ٢٣١ هـ**»: «ظهر القدم: العرش، وباطنه: الأخمص"[٣]

قلت: ومن المعلوم أن معرفة كل معنى من تلك المعاني إنما يتحدد بحسب ما أضيف إلى الكلمة، والمعنى المقصود في عرش الرحمن من تلك المعاني السابقة، هو سرير الملك، ذلك لأن النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة قد جاءت معينة لهذا المعنى وحده دون غيره من المعاني، وهذا ما سيأتي بيانه.

أما زعم الجهمية بأن معنى العرش في قوله تعالى ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه: الآية: ٥]، يحتمل عدة معاني، فلا يعرف أي هذه المعاني هو المراد؟

فقد أجاب عنه **ابن القيم**-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**» بقوله: "هذا تلبيس منك على

---

(١) تهذيب اللغة «١/ ٤١٦».

(٢) كتاب العين «١/ ٢٩٣».

(٣) لسان العرب «٤/ ٢٨٨٢».

الجهال، وكذب ظاهر، فإنه ليس لعرش الرحمن الذي استوى عليه إلا معنى واحد، وإن كان للعرش من حيث الجملة عدة معانٍ، فاللام للعهد وقد صار بها العرش معيناً، وهو عرش الرب تعالى الذي هو سرير ملكه، التي اتفقت عليه الرسل، وأقرت به الأمم، إلا من نابذ الرسل..."[١]

ثانيًا: تعريف العرش شرعًا:

وأما تعريف العرش شرعًا فقد اختلف فيه إلى مذاهب

أولاً: مذهب السلف:

قال الطبري-رحمه الله-«ت: ٣١٠ هـ» عند قوله تعالى: ﴿**وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ**﴾ [الزمر: الآية: ٧٥] «يعني بالعرش: السرير»، ثم ذكر بسنده عن السدي في تفسير هذه الآية قوله: "محدقين حول العرش قال: العرش: السرير"[٢]

قال الطبري-رحمه الله-«ت: ٣١٠ هـ» في موضع آخر ﴿**ذُو الْعَرْشِ**﴾ [غافر ١٥] يقول: "ذو السرير المحيط بما دونه"[٣]

وقال البيهقي-رحمه الله-«ت: ٤٥٨ هـ»: "وأقاويل أهل التفسير على أن العرش هو السرير وأنه جسم مجسم خلقه الله وأمر ملائكته بحمله وتعبدهم بتعظيمه والطواف به كما خلق في الأرض بيتاً وأمر بني آدم بالطواف به واستقباله في الصلاة، وفي الآيات والأحاديث والآثار دلالة واضحة على ما ذهبوا إليه"[٤]

وقال أيضاً: «العرش هو السرير المشهور فيما بين العقلاء». [٥]

وقال ابن كثير-رحمه الله-«ت: ٧٧٤ هـ»: "هو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة وهو

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة «١/ ١٧-١٨».

(٢) تفسير الطبري «٢٤/ ٣٧-٣٨».

(٣) تفسير الطبري «٢٤/ ٤٩».

(٤) الأسماء والصفات «٢/ ٢٧٢».

(٥) الاعتقاد «ص: ١١٢».

كالقبة على العالم، وهو سقف المخلوقات"[١]

وقال الذهبي-رحمه الله-«ت: ٧٤٨ هـ»، -بعد أن ذكر سرر أهل الجنة-: "فما الظن بالعرش العظيم الذي اتخذه العلي العظيم لنفسه في ارتفاعه وسعته، وقوائمه وماهيته وحملته، والكروبيين الحافين من حوله، وحسنه ورونقه وقيمته، فقد ورد أنه من ياقوتة حمراء"[٢]

قلت: وهذا الذي ذكره الطبري والبيهقي وابن كثير والذهبي في تعريف العرش، هو الذي جاءت به الآيات والأحاديث والآثار، وهو ما ذهب إليه سلف الأمة وأئمتها في عرش الله، فهم يعتقدون أن عرش الرحمن هو:

❃ سرير:

قال ابن قتيبة-رحمه الله-٢٧٦ هـ»: "وطلبوا للعرش معنى غير السرير، والعلماء في اللغة لا يعرفون للعرش معنى إلا السرير، وما عرش من السقوف وأشباهها، قال أمية بن أبي الصلت:

مجدوا الله وهو للمجد أهل ... ربنا في السماء أمسى كبيرا

بالبناء الأعلى الذي سبق النـ ... ـاس وسوى فوق السماء سريرا

شرجعاً لا يناله بصر العيـ ... ـن ترى دونه الملائك صورا"[٣]

قال ابن كثير-رحمه الله-«ت: ٧٧٤ هـ»: "العرش في اللغة عبارة عن السرير الذي للملك، كما قال تعالى: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: الآية: ٢٣]. وليس هو فلكًا ولا تفهم منه العرب ذلك، والقرآن إنما نزل بلغة العرب، فهو سرير ذو قوائم..."[٤]

❃ وأنه ذو قوائم:

قال شارح الطحاوية «ت: ٧٩٢ هـ»: "قد ثبت في الشرع أن له قوائم تحمله الملائكة،

---

(١) البداية «١/ ١٢».

(٢) العلو «ص: ٥٧».

(٣) الاختلاف في اللفظ «ص: ٢٤٠».

(٤) البداية «١/ ١١-١٢».

كما قال-صلى الله عليه وسلم-: «**فإن الناس يصعقون، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور**». [(١)]

[(٢)].

❃ وأنه مخلوق:

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-«ت: ٨٥٢ هـ»: "قوله: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: الآية: ١٢٩]، إشارة إلى أن العرش مربوب، وكل مربوب مخلوق... وفي إثبات القوائم للعرش دلالة على أنه جسم مركب له أبعاض وأجزاء، والجسم المؤلف محدث مخلوق"[(٣)].

❃ وأن الله سبحانه قد أمر ملائكته بحمله وتعبدهم بتعظيمه:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [غافر: الآية: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: الآية: ١٧].

وعن جابر بن عبد الله-رضي الله عنهما-«ت: مابين ٧٣ و٧٧ هـ» عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنه قال: «**أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**». [(٤)]

❃ وهو أعلى المخلوقات، وأعظمها، وسقفها، وهو كالقبة على العالم وما تحته بالنسبة إليه كحلقة في فلاة:

وقال ابن أبي زمنين-رحمه الله-«ت: ٣٩٩ هـ» في كتابه "أصول السنة": "ومن قول

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهودي. انظر فتح الباري «٥/ ٧٠». ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل «٤/ ١٠١-١٠٢».

(٢) شرح العقيدة الطحاوية «ص: ٣١٠-٣١١».

(٣) فتح الباري «١٣/ ٤٠٥».

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في الجهمية «٥/ ٩٦، ح: ٤٧٢٧».

أورده ابن كثير في تفسير «٤/ ٤١٤» وعزاه لابن أبي حاتم وقال: «إسناده جيد ورجاله كلهم ثقات».

أهل السنة أن الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق...". [(١)]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: «واما العرش فإنه مقبب، لما روي في السنن لأبي داود عن جبير بن مطعم قال: «أتى رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أعرابي فقال: يا رسول جهدت الأنفس، وجاع العيال -وذكر الحديث إلى أن قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: إن الله على عرشه وإن عرشه على سمواته وأرضه كهكذا»· [(٢)] وقال بأصابعه مثل القبة... وفي علوه قوله-صلى الله عليه وسلم-: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة وأعلاها وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة». [(٣)]

فقد تبين بهذه الأحاديث أنه أعلى المخلوقات، وسقفها، وأنه مقبب...". [(٤)]

وفي حديث **أبي ذر-رضي الله عنه-«ت: ٣١ أو ٣٢ هـ»** المشهور قال: قلت يا رسول

---

(١) أصول السنة «ص: ٨٨».

(٢) الحديث أخرجه كذلك الدارمي في الرد على بشر المريسي «ص: ٤٤٧». وابن أبي عاصم في السنة «١/ ٢٥٢». وابن خزيمة في التوحيد «١/ ٢٣٩-٢٤٠، ح: ١٤٧». والطبراني في المعجم الكبير «٢/ ١٣٢، برقم ١٥٤٧». وأبو الشيخ في العظمة «٢/ ٥٥٤-٥٥٦، ح: ١٩٨». والدارقطني في الصفات «ص: ٥١، ح: ٣٨». وابن منده في التوحيد «١/ ١٨٨، برقم: ٦٤٣». واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة «٣/ ٣٩٤». والبيهقي في الأسماء والصفات «٢/ ٣١٧-٣١٨، ح: ٨٨٣».

وقد تكلم بعض الأئمة على هذا الحديث: فقال الذهبي في العلو «ص: ٣٩»: "هذا الحديث غريب جداً فرد، وابن إسحاق حجة في المغازي إذا أسند، وله مناكير وعجائب، فالله أعلم أقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا أم لا؟ وأما الله فليس كمثله شيء جل جلاله، وتقدست أسماؤه ولا إله غيره" انتهى كلامه. واستغربه الحافظ ابن كثير في تفسير آية الكرسي من تفسيره «١/ ٣١٠». ثم إن في إسناده اختلافاً.

هذا وقد تكلم ابن القيم في تهذيب السنن «٧/ ٩٥-١١٧» بكلام طويل نصر فيه تصحيح الحديث، ورد المطاعن التي طعن بها هذا الحديث، وبخاصة عن ابن إسحاق.

والصواب أن هذا الحديث بهذا الإسناد ضعيف، ولا سيما أن جبير بن محمد قال فيه الحافظ ابن حجر: "مقبول" يعني إذا توبع ولم يتابع هنا.

التعليق: منهج السلف في إيراد مثل هذه الأحاديث التي في إسنادها مقال إنما هو من باب التأكيد لا من باب التأييد، وهذا الحديث إنما ساقه الكثير من السلف لما فيه من تواتر علو الله تعالى فوق عرشه مما يوافق آيات القرآن والأحاديث الصحيحة".

(٣) أخرجه البخاري في صحيحيه، كتاب التوحيد، باب ﴿وكان عرشه على الماء﴾. انظر فتح الباري «١٣/ ٤٠٤».

(٤) الفتاوى «٥/ ١٥١».

الله أيما أنزل عليك أعظم؟ قال: «آية الكرسي، ثم قال: يا أبا ذر ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة». (١)

وهذا القول للسلف في عرش الله هو ما جاءت به الآيات والأحاديث الصحيحة، وقد كان سلف الأمة وأئمتها دائماً يصرحون بذلك في كتبهم عند الحديث عن هذه المسألة.

وقد وافقهم في هذا القول في عرش الله الكلابية، والكرامية، ومتقدمو الأشاعرة، وبعض الجهمية، والمعتزلة. (٢)

ثانياً: أقوال المخالفين

القول الأول:

ما زعمه طائفة من الجهمية، والمعتزلة، والماتريدية (٣)، وعامة متأخري الأشاعرة (٤)، من أن معنى العرش في قوله تعالى ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه: الآية: ٥]، هو الملك.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب العرش رقم «٥٨».
وابن حبان في صحيحه «١/ ٧٦-٧٩».
وأبو الشيخ في العظمة «٢/ ٦٤٨-٦٤٩، ح: ٢٥٩».
وأبو نعيم في الحلية «١/ ١٦٦».
والبيهقي في الأسماء والصفات «٢/ ٣٠٠-٣٠١، ح: ٨٦٢».
وللحديث أيضاً طرق أخرى ذكرها الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم: «١٠٩»، وقال: "وجملة القول إن الحديث بهذه الطرق صحيح"، وصححه أيضاً في تعليقه على شرح العقيدة الطحاوية «ص: ٣١٢»، وتخريجه لأحاديث كتاب "ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان" للألوسي «ص: ١٤٠».
وقد نقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري «١٣/ ٤١١» عن ابن حبان تصحيح الحديث وقال: "وله شاهد عن مجاهد أخرجه سعيد بن منصور في تفسيره بسند صحيح عنه".

(٢) شرح أصول الخمسة «ص: ٢٢٦»، أصول الدين للبغدادي «ص: ١١٢»، الفرق بين الفرق «ص: ٢١٥-٢١٦»، شرح جوهرة التوحيد «ص: ١٨١»، نقض التأسيس «١/ ٣٩٦، ٢/ ١٤-١٥».

(٣) هم أتباع أبو منصور، محمد بن محمد الماتريدي، السمرقندي.
انظر قولهم في هذه المسألة في "تأويلات أهل السنة" للماتريدي «١/ ٨٥».

(٤) التبصير في الدين للإسفراييني «١٥٨».

قال الدارمي-رحمه الله-«ت: ٢٨٠ هـ» في كتابه "الرد على الجهمية": «باب الإيمان بالعرش وهو أحد ما أنكرته المعطلة. فادعت هذه العصابة أنهم يؤمنون بالعرش ويقرون به، فقلت لبعضهم: ما إيمانكم به إلا كإيمان ﴿**الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ**﴾ [المائدة: الآية: ٤١]، وكالذين ﴿**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**﴾ [البقرة: الآية: ١٤]، أتقرون أن لله عرشاً معلوماً، موصوفاً فوق السماء السابعة، تحمله الملائكة، والله فوقه كما وصف نفسه، بائن من خلقه! فأبى أن يقر به كذلك، وتردد في الجواب وخلط ولم يصرح.

قال أبو سعيد: فقال لي زعيم منهم كبير: لا، ولكن لما خلق الله الخلق يعني السموات والأرض وما فيهن سمى ذلك كله عرشاً له، واستوى على جميع ذلك كله"[(١)].

وقال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»، -في سياق كلامه على حملة العرش-: "ثم إن قوله تعالى ﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ**﴾ [غافر: الآية: ٧]، وقوله ﴿**وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ**﴾ [الحاقة: الآية: ١٧]، يوجب أن لله عرشاً يحمل، يوجب أن ذلك العرش ليس هو الملك، كما تقوله طائفة من الجهمية"[(٢)]

وقال الزمخشري «ت: ٥٣٨ هـ»: "إنه لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يرادف الملك جعلوه كناية عن الملك، فقالوا: استوى فلان على العرش يريدون ملك، وإن لم يقعد على السرير البتة، وقالوه أيضاً في شهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه، وإن كان أشرح، وأبسط، وأدل، على صورة الأمر"[(٣)]

وقال البغدادي، «ت: ٤٢٩ هـ»: "والصحيح عندنا تأويل العرش في هذه الآية على معنى الملك، كأنه أراد أن الملك ما استوى لأحد غيره، وهذا التأويل مأخوذ من قول العرب:

---

(١) الرد على الجهمية «ص: ١٢-١٣».

(٢) نقض تأسيس الجهمية «٣/ ٢٧٨».

(٣) الكشاف «٢/ ٥٣٠».

ثُلَ عرش فلان، إذا ذهب ملكه، قال متمم بن نويرة في هذا المعنى:

عروشٌ تفانوا بعد عز وأمة هووا بعد ما نالوا السلامة والبقا

وأراد بالعروش، ملوكاً انقرضوا.

وقال سعيد بن زائدة الخزاعي في النعمان بن المنذر:

قد نال عرشاً لم ينله حائل جن ولا إنس ولا ديار

وأراد بالعرش، الملك والسلطان.

وقال النابغة:

بعد ابن جفنة وابن هاتك عرشه والحارثين يؤمنون فلاحا

وأراد بهاتك عرش ابن جفنة سالب ملكه، فصح بهذا تأويل العرش على الملك في آية الاستواء على ما بيناه"(١)

الرد عليهم:

ما ذهب إليه هؤلاء المخالفون من تفسير معنى العرش الوارد في الآيات بمعنى الملك، إنما هو تأويل باطلٌ، وصرف للفظ عن معناه إلى معنى آخر لا يحتمله.

والمتأمل لهذا القول يرى ما فيه من التلبيس والمخالفة.

فقد سبق أن ذكرنا في المبحث اللغوي لكلمة «عرش»، أن لهذه الكلمة عدة معاني في اللغة العربية، ومن المعلوم أن معرفة المعنى المراد من تلك المعاني لهذه الكلمة أو غيرها، إنما يتحدد بحسب سياق الكلمة وبحسب ما أضيفت إليه، وليس في سياق الآيات ما يثبت صحة ما ذهبوا إليه، كما أن ما استدل به هؤلاء المخالفون من الأبيات الشعرية ليس إلا دليلا على أن الملك هو من المعاني اللغوية لكلمة «عرش»، وهذا أمر لا خلاف فيه، وهذا الاستدلال يماثل ما لو استدللنا على أن من معاني كلمة العرش: السقف، بقوله تعالى ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٩]، فليس في هذه الأبيات أي إشارة لا من قريب ولا من بعيد

---

(١) أصول الدين «ص: ١١٢». وانظر أيضاً التفسير الكبير للرازي «١٤/ ١١٥»، وروح المعاني «١١/ ٦٥».

على أن الملك هو المعنى المراد في الآيات الواردة في العرش، بل إن المتأمل للآيات والأحاديث الواردة في هذه المسألة يرى أنها تدل دلالة واضحة وصريحة على أن المراد بالعرش هو ذلك المخلوق العظيم الذي خلقه الله تعالى فوق العالم كله، ثم استوى عليه بعد أن خلق السموات والأرض، وكذلك ترد على هؤلاء المخالفين زعمهم الباطل الذي هو في الحقيقة تحريف لكلام الله.

فيا ترى ماذا يصنع ذلك المخالف الذي يزعم أن العرش إنما هو كناية عن الملك والسلطان بقوله تعالى: ﴿**وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**﴾ [هود: الآية: ٧]، هل يزعم أن الملك كان على الماء؟

وكذلك ماذا يصنع بقوله تعالى: ﴿**وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ**﴾ [الحاقة: الآية: ١٧]، أيقول: ويحمل ملكه يومئذ ثمانية؟

وقوله–صلى الله عليه وسلم–: «**فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش**"[(١)] أيقول آخذ بقائمة من قوائم الملك؟ وكذا قوله–صلى الله عليه وسلم–: «**اهتز عرش الرحمن**». [(٢)]، أيقول: اهتز ملكه وسلطانه؟

القول الثاني:

زعم طائفة من الفلاسفة أن العرش فلك مستدير من جميع الجوانب محيط بالعالم من كل جهة، وهو محدود الجهات، وربما سموه الفلك الأطلس، أو الفلك التاسع، أو الأثير، أو الفلك الأعلى. [(٣)]

---

(١) تقدم تخريجه في «ص: ٧».

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه «٢/ ٣٧١».

وأحمد في المسند «٣/ ٣١٦»، وفي فضائل الصحابة «٢/ ٨١٨».

والبخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه، مثله. فتح الباري «٧/ ١٢٢–١٢٣».

ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة «٧/ ١٥٠».

وابن ماجة في سننه، المقدمة «١/ ٥٦».

(٣) البداية «١/ ١١»، الرسالة العرشية «ص: ٢»، مفردات «ص: ٣٢٩»، روح المعاني «٢٤/ ٤٥».

وفي ذلك يقول **ابن سينا** «**ت: ٤٢٧ هـ**» في رسالته " إثبات النبوات وتأويل رموزهم وأمثالهم": "ومن السهل عليك أن تفهم كيف أن العرش بنص القرآن يحمله ثمانية، فهذه الثمانية هي: الثمانية أفلاك التي تحت هذا الفلك المحيط". [(١)]

الرد عليهم:

إن المتأمل لكلام هؤلاء الفلاسفة كابن سينا وأمثاله يرى مدى انحرافهم، حتى أنهم وصلوا إلى درجة اعتقادهم أنه لا موجود إلا ما علموه.

ولهذا كان هؤلاء الذين عرفوا ما عرفته الفلاسفة إذا سمعوا إخبار الأنبياء بالملائكة والعرش والكرسي والجنة والنار، صاروا حائرين ومتأولين لكلام الأنبياء على ما عرفوه وعلى ما تعلموه، وإن كان هذا التأويل لا دليل لهم عليه سوى ظنهم الفاسد بأنه لا موجود إلا ما عرفوه، فقالوا العرش هو: الفلك التاسع، والكرسي هو: الفلك الثامن، فنفوا ما ليس لهم به علم [(٢)] فانطبق عليهم قوله تعالى: ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ**﴾ [يونس: الآية: ٣٩].

وقد ثبت أنه ليس لهؤلاء دليل يتمسكون به لا من الشرع ولا من العقل، وأن الذي دفعهم إلى هذا القول هو أنهم نظروا في علم الهيئة وعلوم الفلسفة فرأوا أن الأفلاك تسعة، وأن التاسع وهو الأطلس محيط بها ومستدير كاستدارتها وهو الذي يحركها الحركة الشوقية، وأن لكل فلك حركة تخصه غير هذه الحركة العامة، ثم سمعوا في أخبار الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ذكر عرش الله، وذكر السموات السبع، فقالوا بطريق الظن أن العرش هو الفلك التاسع، لاعتقادهم أنه ليس وراء التاسع شيء، إما مطلقاً وإما أنه ليس وراءه مخلوق. [(٣)]

وهم معترفون بأنه لم يقم لديهم دليل عقلي على صحة قولهم هذا، وفي ذلك **يقول ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»**: "إن أئمة الفلاسفة مصرحون بأنه لم يقم عندهم دليل

(١) نقلاً عن كتاب "ابن سينا بين الدين والفلسفة" «ص: ١٣٧-١٣٩».

(٢) الفتاوى «١٧/ ٣٣٥-٣٣٦».

(٣) الرسالة العرشية «ص: ٢-٣».

على أن الأفلاك هي تسعة فقط، بل يجوز أن تكون أكثر من ذلك، ولكن دلتهم الحركات المختلفة والكسوفات ونحو ذلك على ما ذكروه، ومالم يكن لهم دليل على ثبوته فهم لا يعلمون ثبوته ولا انتفاءه.

مثال ذلك: أنهم علموا أن هذا الكوكب تحت هذا بأن السفلي يكسف العلوي من غير عكس، فاستدلوا بذلك على أنه من فلك فوقه، كما استدلوا بالحركات المختلفة على أن الأفلاك مختلفة حتى جعلوا في الفلك الواحد عدة أفلاك، كفلك التدوير وغيره، فأما ما كان موجوداً فوق هذا ولم يكن لهم ما يستدلون به على ثبوته، فهم لا يعلمون نفيه ولا إثباته بطريقهم... وإذا كان هؤلاء ليس عندهم ما ينفي وجود شيء أخر فوق الأفلاك التسعة، كان الجزم بأن ما أخبرت به الرسل من أن العرش هو الفلك التاسع رجماً بالغيب وقولاً بلا علم"[(١)]

ومع عدم وجود الدليل العقلي عند هؤلاء على صحة زعمهم فكذلك الأدلة الشرعية ترد زعمهم هذا وتبطله.

وقد ذكر ابن تيمية في معرض رده على هؤلاء الفلاسفة المتكلمين في رسالته العرشية أن الآيات والأحاديث قد دلت على أن العرش مباين لغيره من المخلوقات وأن الله قد اختصه وميزه بأمور كثيرة منها، أن له حملة يحملونه اليوم ويوم القيامة، وأن الله قد أخبر بوجوده قبل خلق السموات والأرض وقبل وجود الأفلاك وأن الله سبحانه تمدح نفسه بأنه ذو العرش، ووصف العرش بأنه مجيد، وعظيم، وكريم، فكل هذه الميزات والخصائص تبطل قول المنازع لأنه يقول بأن نسبة الفلك الأعلى إلى ما دونه كنسبة الآخر إلى ما دونه، ذلك لأنه لو كان العرش من جنس الأفلاك لكان إلى ما دونه كنسبة الآخر إلى ما دونه، وهذا لا يوجب خروجه عن الجنس وتخصيصه بالذكر؛. [(٢)]

كما أن مما يدل على فساد قولهم ما ثبت في الشرع من أن للعرش قوائم وأنه يهتز، ومعلوم

---

(١) الرسالة العرشية «ص: ٢».

(٢) المصدر السابق «ص: ٣-٧».

أن الأفلاك مستديرة وليس لها قوائم، كما أنها متحركة دائماً بحركة متشابهة لا تتغير، كما ثبت أيضاً أن العرش أثقل الأوزان، وهم يقولون إن الفلك لا ثقيل ولا خفيف.[١]

فعلم مما تقدم انتفاء الدليل العقلي عند هؤلاء كما علم مخالفتهم للأدلة الشرعية وإبطالها لأقوالهم، ويضاف إلى هذا مخالفتهم للغة العرب، فالعرب لا تفهم من كلمة العرش هذا المعنى ولا هو مستعمل في لغتها، والقرآن إنما نزل بما يفهمون.

وبعد هذا كله لا تبقى أدنى شبهة في فساد هذا القول وبطلانه والله أعلم.

ثالثًا: الأدلة إثبات العرش

أ–الأدلة القرآنية على إثبات العرش.

لقد جاء ذكر عرش الرحمن في القرآن الكريم في واحد وعشرين موضعاً:

١–قال تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤]

٢–وقال تعالى: ﴿**فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾ [التوبة: الآية: ١٢٩].

٣–وقال تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾ [يونس: الآية: ٣].

٤–وقال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ**﴾ [هود: الآية: ٧].

٥–وقال تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ**

---

(١) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين «ص: ٣٦٣».

وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: الآية: ٢].

٦-وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: الآية: ٤٢].

٧-وقال تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: الآية: ٥].

٨-وقال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٢].

٩-وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: الآية: ٨٦].

١٠-وقال تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: الآية: ١١٦].

١١-وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: الآية: ٥٩].

١٢-وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل: الآية: ٢٦].

١٣-وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: الآية: ٤].

١٤-وقال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: الآية: ٧٥].

١٥-وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: الآية: ٧].

١٦-وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [غافر: الآية: ١٦].

١٧-وقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الزخرف: الآية: ٨٢].

١٨-وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: الآية: ٤].

١٩-وقال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: الآية: ١٧].

٢٠-وقال تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: الآية: ٢٠].

٢١-وقال تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج: الآية: ١٥].

ب-الأدلة من السنة على إثبات العرش

أورد **الذهبي-رحمه الله-«ت: ٧٤٨ هـ»**، في كتابه "العرش" جملة طيبة من الأحاديث والآثار الواردة في العرش وصفته، وفي هذا المبحث لن نذكر تلك الأحاديث والآثار التي أوردها لأنها ستأتي، وإنما سنورد ههنا بعض الأحاديث الصحيحة في العرش وصفته والتي لم يذكرها الذهبي في كتابه، وهذه الأحاديث كثيراً ما يوردها السلف في كتبهم ويستدلون بها لما فيها من الصحة والقوة ولما فيها من الصفات الدالة على عرش الخالق سبحانه وتعالى.

١-فقد جاء في الصحيحين **عن أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه-«ت: ٧٤ هـ»** قال: **«بينا رسول الله-صلى الله عليه وسلم-جالس، جاء يهودي فقال: يا أبا القاسم ضرب وجهي رجل من أصحابك، فقال: من؟ قال: رجل من الأنصار، قال: ادعوه، فقال: أضربته؟ فقال: سمعته بالسوق يحلف والذي اصطفى موسى على البشر، قلت: أي خبيث على محمد-صلى الله عليه وسلم-، فأخذتني غضبة فضربت وجهه، فقال النبي-صلى الله**

عليه وسلم-: «لا تخيروا بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان صعق أم حوسب بصعقته الأولى». (١)

والشاهد لنا من هذا الحديث قوله: «فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش»، حيث إن للعرش قوائم، ولم يرد في الشرع تحديد عدد لها، وهذا الحديث هو من أقوى الأدلة على أن العرش ليس المراد به الملك أو الفلك التاسع.

٢-وفي صحيح مسلم عن **عبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما-«ت: ٦٥ هـ»** قال: سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم-يقول: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**». (٢)

وفي الحديث دلالة واضحة على أن العرش كان مخلوقاً على الماء قبل خلق السموات.

٣-وفي الصحيحين **عن ابن عباس-رضي الله عنهما-«ت: ٦٨ هـ»** قال: كان النبي-صلى الله عليه وسلم-يقول عن الكرب: «**لا إله إلا الله العليم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم**». (٣)

٤-وعن **ابن عباس-رضي الله عنهما-«ت: ٦٨ هـ»، عن جويرية-رضي الله عنها-«ت: ٥٠ هـ»** أن النبي-صلى الله عليه وسلم-خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: «**ما زلت على الحال التي فارقتك عليها**»، قالت: نعم، قال النبي-صلى الله عليه وسلم-: «**لقد قلت بعدك أربع كلمات**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه «٥/ ٧٠ مع الفتح» كتاب الخصومات باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهودي. ومسلم في صحيحه «٤/ ١٠١-١٠٢» كتاب الفضائل.

(٢) أخرجه مسلم في القدر «٨/ ٥١».

(٣) أخرجه البخاري في التوحيد، باب وكان عرشه على الماء، واللفظ له. فتح الباري «١٣/ ٤٠٥»، ومسلم في الذكر والدعاء «٨/ ٨٥».

ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن، سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته».[(١)]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "فهذا يبين أن زنة العرش أثقل الأوزان".[(٢)]

٥-**وعن جابر بن عبد الله-رضي الله عنه-«ت: مابين ٧٣ إلى ٧٧ هـ»** عن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: **«أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام»**.[(٣)]

٦-**وعن أبي هريرة-رضي الله عنه-«ت: ٥٩ هـ»**، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: **«من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها، قالوا: يا رسول الله أفلا ننبئ الناس بذلك؟ قال: إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة»**.[(٤)]

٧-**وعن عائشة-رضي الله عنها-«ت: ٥٧ هـ»**، قالت: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: **«الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله»**.[(٥)]

٨-**وعن أبي ذر-رضي الله عنه-«ت: ٣١ أو ٣٢ هـ»**، قال: قال رسول الله-صلى الله

---

(١) أخرجه مسلم في الذكر «٨/ ٨٣» واللفظ له، وأخرجه أبو داود في تخريج أبواب الوتر، باب التسبيح بالحصى «٢/ ١٧١»، وأخرجه الترمذي في الدعوات، وقال: «حديث حسن صحيح». «٥/ ٥٥٦».

(٢) الرسالة العرشية «ص: ٨».

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في الجهمية «٥/ ٩٦، ح: ٤٧٢٧»، أورده ابن كثير في تفسير «٤/ ٤١٤» وعزاه لابن أبي حاتم وقال: «إسناده جيد ورجاله كلهم ثقات».

(٤) أخرجه البخاري في التوحيد، باب وكان عرشه على الماء. فتح الباري «١٣/ ٤٠٤».

(٥) أخرجه مسلم في البر والصلة «٨/ ٧».

عليه وسلم-لأبي ذر حين غربت الشمس: «**أتدري أين تذهب؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها: ارجعي من حيث جئتي فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى** ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ **[يس: الآية: ٣٨]**». (١)

٩-وفي الصحيحين **عن أبي هريرة-رضي الله عنه-«ت: ٥٩ هـ»** قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي**». (٢)

١٠-**وعن معاذ بن جبل-رضي الله عنه-«ت: ١٧ أو ١٨ هـ»**، قال: سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم-يقول: «**المتحابون في الله يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله**». (٣)

رابعًا: صفة العرش وخصائصه

أولاً: خلق العرش وهيئته

إن أول صفة نذكرها لعرش البارئ سبحانه وتعالى كونه مخلوقاً من مخلوقات الله تعالى، ذلك لأن كل ما على الوجود هو مخلوق خلقه الله تعالى وأوجده، قال الله تعالى: ﴿**ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٢]، فكل شيء في هذا الكون مخلوق

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب صفة الشمس والقمر. فتح الباري «٦/ ٢٩٧».

(٢) أخرجه البخاري في بدء خلق، باب ما جاء في قوله تعالى ﴿وهو يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾. فتح الباري «٦/ ٢٨٧».
وأخرجه مسلم في التوبة، باب في سعة رحمة الله أنها سبقت غضبه. «٨/ ٩٥».

(٣) أخرجه أحمد في المسند «٥/ ٢٢٩، ٢٣٦، ٢٣٧».
وابن حبان «٢٥١٠».
والحاكم «٤/ ١٦٩-١٧٠».
وابن المبارك في الزهد «ص: ٧١٥» من طريقين صحيحين عنه.

والعرش من ضمن هذا الكون فهو مخلوق أيضاً.

وسلف الأمة وأئمتها يقولون إن القرآن والسنة قد دلا على أن العرش مخلوق من مخلوقات الله تعالى خلقه وأوجده، قال تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: الآية: ١٢٩]، فالعرش موصوف بأنه مربوب وكل مربوب مخلوق، فالعرش مخلوق من مخلوقات الله.

وقد دلت الآيات والأحاديث على أن خلق العرش متقدم على خلق السموات والأرض، قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**﴾ [هود: الآية: ٧]، فالآية تدل على أن العرش كان موجوداً على الماء قبل خلق السموات والأرض ويؤيد تفسير الآية بهذا المعنى حديث **عمران بن حصين–رضي الله عنه–«ت: ٥٢ هـ»**، الذي جاء فيه أن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: «**كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض**».(١)

وأما مسألة خلق العرش فقد جاء ذكرها في حديث **أبي رزين العقيلي–رضي الله عنه–** قال: قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «**كان في عما ما تحته هواء وما فوقه هواء، ثم خلق عرشه على الماء**».(٢)

هذه الأدلة التي استدل بها السلف على إثبات خلق العرش، فيها أبلغ الرد على من زعم من الفلاسفة أن العرش هو الخالق الصانع، أو أنه لم يزل مع الله تعالى.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾. فتح الباري «٦/ ٢٨٦، رقم: ٣١٩٠».

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب سورة هود «٥/ ٢٨٨، رقم: ٣١٠٩». والإمام أحمد في مسنده «٤/ ١١–١٢». وابن أبي شيبة في العرش «ح: ٧». وابن ماجه في سننه، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية «٦٤/١». وابن أبي عاصم في السنة «١/ ٢٧١». وابن جرير الطبري في تفسيره «١٢/ ٤» وفي تاريخه «١/ ١٩». والحكيم الترمذي في الرد على المعطلة «ق: ١٠٦/ أ». وأبو الشيخ في كتاب العظمة «١/ ٣٦٣–٣٦٤، ح: ٨٣». وابن بطة في الإبانة «تتمة الرد على الجهمية، ٣/ ١٦٨، ح: ١٢٥». وابن أبي زمنين في أصول السنة «ص: ٨٩، ح: ٣١». والبيهقي في الأسماء والصفات «٢/ ٢٣٥–٢٣٦، ح: ٨٠١ و٢/٣٠٣، ح: ٨٦٤». قال الترمذي: حديث حسن. وقال الذهبي في العلو «ص: ١٩» إسناده حسن. وقال الألباني: "في تصحيحه نظر، فإن مداره على وكيع بن عدس ويقال حدس، وهو مجهول، لم يرو عنه غير يعلى بن عطاء، ولا وثقه غير ابن حبان".

ولقد خالف السلف في قولهم هذا بعض أهل الكلام الذين زعموا أن السموات والأرض كانتا مخلوقتين قبل العرش، وهم بزعمهم هذا الذي لا دليل لهم عليه إنما يحاولون به إخراج الاستواء عن حقيقته في قوله تعالى ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ**﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤]، ليكون معنى الاستواء في الآية على زعمهم بمعنى القدرة على العرش والاستيلاء عليه، ذلك لأنهم لو سلموا أن العرش مخلوق قبل السموات والأرض لقيل لهم إنكم تزعمون أن «استوى» بمعنى استولى، فلماذا تأخر الاستيلاء إلى ما بعد خلق السموات مع أنه كان موجوداً قبل ذلك، فهم فراراً من هذا الأمر ادعوا أن العرش مخلوق بعد السموات والأرض.

وقد رد **ابن القيم**-رحمه الله-«**ت: ٧٥١ هـ**» على زعمهم هذا بقوله: «إن هذا لم يقله أحد من أهل العلم أصلاً، وهو مناقض لما دل عليه القرآن والسنة وإجماع المسلمين أظهر مناقضة، فإنه تعالى أخبر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام وعرشه حينئذ على الماء، وهذه واو الحال، أي خلقها في هذه الحال، فدل على سبق العرش والماء للسموات والأراضين وفي الصحيح عنه-صلى الله عليه وسلم-: «**قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**».[1]"[2]

وكذلك فيما ذكرناه من أدلة على سبق خلق العرش للسموات والأرض فيه رد على زعم هؤلاء ومدى مخالفة قولهم للكتاب والسنة.

وبعد أن علمنا أسبقية خلق العرش على خلق السموات والأرض وإجماع سلف الأمة على ذلك، نود أن نتطرق في هذا البحث أيضاً إلى ترتيب خلق العرش مع غيره من المخلوقات من حيث الأولوية في الخلق.

وقد اختلف العلماء في هذه المسألة على عدة أقوال:

---

(١) أخرجه مسلم «٢٦٥٣»..

(٢) مختصر الصواعق «٢/ ١٣١».

القول الأول:

إن القلم أول المخلوقات، وأنه أسبق في الخلق من العرش، وهذا القول هو اختيار ابن جرير الطبري [١] وابن الجوزي [٢] وهو ما يفهم في الظاهر من قول من صنف في الأوائل كابن أبي عروبة الحراني، وأبو القاسم الطبراني. [٣].

والدليل على هذا القول حديث **عبادة بن الصامت**–رضي الله عنه–«**ت: ٣٤ هـ**»، قال: سمعت رسول الله–صلى الله عليه وسلم–يقول: «**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: رب ماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة...**». الحديث [٤]

قال ابن جرير–رحمه الله–«**ت: ٣١٠ هـ**» عند تخريج هذا القول: "وقول رسول الله–صلى الله عليه وسلم–الذي رويناه عنه أولى قول في ذلك بالصواب لأنه كان أعلم قائل في ذلك قولاً بحقيقته وصحته من غير استثناء منه شيئاً من الأشياء أنه تقدم خلق الله إياه خلق القلم، بل عم بقوله–صلى الله عليه وسلم–: «**إن أول شيء خلقه الله القلم**»، كل شيء وأن القلم مخلوق قبله من غير استثنائه من ذلك عرشاً ولا ماء ولا شيئاً غير ذلك"[٥]

القول الثاني:

إن الماء أول المخلوقات، وأنه مخلوق قبل العرش.

---

(١) تاريخ الطبري «١/ ٣٦».

(٢) البداية والنهاية «١/ ٨».

(٣) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد «١/ ٣٧٥».

(٤) أخرجه أحمد في مسنده «٥/ ٣١٧».

وأبو داود في سننه «٥/ ٧٦، رقم: ٤٧٠٠».

والترمذي في سننه «٥/ ٤٢٤، رقم: ٣٣١٩».

(٥) تاريخ الطبري «١/ ٣٦،٣٥».

وهذا القول ذكره **ابن كثير** -رحمه الله- «ت: **٧٧٤ هـ**»[(١)]، وذكره أيضاً **ابن حجر** -رحمه الله- «ت: **٨٥٢ هـ**»[(٢)]، واستدل له بما رواه أحمد والترمذي وصححه من حديث أبي رزين العقيلي مرفوعاً «**أن الماء خلق قبل العرش**».

وقال **ابن حجر** -رحمه الله- «ت: **٨٥٢ هـ**»: "وروى السدي في تفسيره بأسانيد متعددة «**أن الله لم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء**».".

القول الثالث:

أن أول شيء خلقه الله عز وجل من خلقه النور والظلمة.

وهذا القول **ذكره ابن جرير** -رحمه الله- «ت: **٣١٠ هـ**»، **وعزاه إلى ابن إسحاق** -رحمه الله- «ت: **١٥١ هـ**».[(٣)]

القول الرابع:

أن العرش هو أول المخلوقات.

وهذا القول هو اختيار **ابن تيمية** -رحمه الله- «ت: **٧٢٨ هـ**»[(٤)]، **وابن القيم** -رحمه الله- «ت: **٧٥١ هـ**»[(٥)]، **وابن كثير** -رحمه الله- «ت: **٧٧٤ هـ**»[(٦)]، **وشارح العقيدة الطحاوية** -رحمه الله- «ت: **٧٩٢ هـ**»[(٧)]، **ونسبه ابن كثير وابن حجر** -رحمه الله- «ت: **٨٥٢ هـ**» -**نقلاً عن أبي العلاء الهمداني** -رحمه الله- «ت: **٥٦٩ هـ**»- إلى الجمهور، ومال

---

(١) البداية والنهاية «١/ ٩».

(٢) فتح الباري «٦/ ٢٨٩».

(٣) تاريخ الطبري «١/ ٣٣».

(٤) مجموع الفتاوى «١٨/ ٢١٣».

(٥) اجتماع الجيوش الإسلامية «ص: ٢٥٣-٢٥٤».
وانظر مختصر الصواعق المرسلة «٢/ ٣٢٣».

(٦) البداية والنهاية «١/ ٩».

(٧) شرح العقيدة الطحاوية «ص: ٢٩٥».

إليه ابن حجر أيضاً. [(١)]

واستدلوا على قولهم هذا بما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن **عبد الله ابن عمرو بن العاص**–رضي الله عنهما–«ت: ٦٥ هـ» مرفوعاً قال: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**». [(٢)]

ففي هذا الحديث تصريح بأن التقدير وقع بعد خلق العرش وحديث عبادة صريح بأن التقدير وقع عند أول خلق القلم، فدل ذلك على أن العرش سابق على القلم.

ومما يؤيد هذا القول أيضاً حديث **عمران بن حصين**–رضي الله عنه–«ت: ٥٢ هـ»: «**كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض**». [(٣)]

فالحديث يدل على أن العرش كان موجوداً قبل كتابة المقادير.

وهذا هو الراجح من الأقوال.

وأما القول الثاني «أن الماء أول المخلوقات» واستدلال ابن حجر بحديث أبي رزين «أن الماء خلق قبل العرش» فغير صحيح، لأنه لم يرد في حديث أبي رزين هذا اللفظ، وإنما ورد فيه «ثم خلق عرشه على الماء» وليس في هذا ما يدل على أولية الماء.

وأما ما رواه **السدي**–رحمه الله–«ت: ١٢٨ هـ» فهو أيضاً لا يصلح للاحتجاج لكونه أثرًا ولم يثبت عن النبي–صلى الله عليه وسلم–ما يدل على ذلك

وأما القول الثالث: وهو قول **ابن إسحاق**–رحمه الله–«ت: ١٥١ هـ»، فهو أيضًا غير صحيح، ولعله أخذه من الإسرائيليات كما أخذ غيره من الأمور، وقد قال **ابن جرير**–رحمه

---

(١) فتح الباري «٦/ ٢٨٩».

(٢) أخرجه مسلم في القدر «٨/ ٥١».

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾. فتح الباري «٦/ ٢٨٦، رقم: ٣١٩٠».

الله-«ت: **٣١٠ هـ**» في هذا القول: "وأما ابن إسحاق فإنه لم يسند قوله الذي قاله في ذلك إلى أحد، وذلك من الأمور التي لا يدرك علمها إلا بخبر من الله-عز وجل-أو من خبر رسول الله-صلى الله عليه وسلم-"(١)

أما القول الأول فقد أجاب الجمهور على استدلالهم بحديث **عبادة بن الصامت**-رضي الله عنه-«ت: **٣٤ هـ**» بقولهم لا يخلو قوله «**أول ما خلق الله القلم... الخ**» من أن يكون جملة أو جملتين، فإن كان جملة -وهو الصحيح-كان معناه أنه عند أول خلقه قال له «**اكتب**» كما في اللفظ، «**أول ما خلق الله القلم قال له اكتب**» بنصب «**أول**» و«**القلم**» فعلى هذا تكون الأولية راجعة إلى الكتابة لا إلى الخلق.

وإن كانت جملتين وهو مروي برفع «**أول**» و«**القلم**» فيتعين حمله على أنه أول المخلوقات من هذا العالم، فيتفق بهذا الحديثان، إذ حديث عبد الله بن عمرو صريح في أن العرش سابق على التقدير، والتقدير مقارن لخلق القلم.(٢)

أما هيئة العرش: فقد دلت الأحاديث على أنه مقبب الشكل وأنه على هذا العالم المكون من السموات والأرض وما فيهما كهيئة القبة وهذا ما يدل عليه حديث الأعرابي الذي جاء فيه أن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: «**إن عرشه على سمواته وأراضيه هكذا**» وأشار بأصابعه مثل القبة، ويؤيد وصف هيئة العرش بهذه الصفة ما جاء في الحديث الآخر «**إذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلاها وفوقه عرش الرحمن**»، فالحديث يبين أن الفردوس أوسط الجنة وأعلاها كما جاء في الحديث الآخر: «**مائة درجة وما بين كل درجة ودرجة كما بين السموات والأرض**» فكون العرش سقفاً للفردوس الذي هو أوسط الجنة وأعلاها يدل على أنه مقبب لأن هذه الصفة لا تكون إلا في المستدير.

والعرش له قوائم كما جاء في الحديث الصحيح «**لا تخيروا بين الأنبياء، فإن الناس**

---

(١) تاريخ الطبري «١/ ٣٣».

(٢) شرح العقيدة الطحاوية «ص: ٢٩٥-٢٩٦». اجتماع الجيوش الإسلامية «ص: ٢٥٣-٢٥٤».

يصعقون، فأكون أول من يفيق، فإذا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش» الحديث.

وفي إثبات كون العرش مقبباً وأن له قوائم تحمله، رد على من زعم من الفلاسفة أن العرش فلك من الأفلاك أو أنه الفلك التاسع، وقد تقدم الرد على زعم هؤلاء، وكذلك فيه رد على من زعم أن العرش بمعنى الملك لأنه لا يعقل أن يكون ماسكاً بقائمة من قوائم الملك، وقد ذكر ابن كثير والذهبي أن العرش من ياقوتة حمراء. [١] وقد استدلوا لهذا القول بما رواه **إسماعيل بن أبي خالد –رحمه الله–«ت: ١٤٦ هـ»** قال: سمعت **سعداً الطائي –رحمه الله–«ت: بين ١٢١ هـ إلى ١٣٠ هـ»** يقول: "العرش ياقوتة حمراء"[٢]

ثانياً: مكان العرش.

إن الآيات والأحاديث التي جاء فيها ذكر عرش الرحمن تبارك وتعالى لتدل دلالة واضحة على أن لعرش الرحمن مكاناً قبل وجود السموات والأرض وبعد خلقهما، فأما مكانه قبل خلق السموات والأرض فالآيات والأحاديث تبين لنا أن مكانه على الماء، فالله سبحانه يقول في كتابه الكريم **﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾** [هود: الآية: ٧].

قال **الطبري –رحمه الله–«ت: ٣١٠ هـ»** في تفسير هذه الآية: "وقوله **﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾** [هود: الآية: ٧]، يقول وكان عرشه على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض وما فيهن، وعن **أبي نجيح –رحمه الله–«ت: ١٣١هـ، أو ١٣٢هـ»، عن مجاهد –رحمه الله–«ت: ١٠٤ هـ»** في قول الله **﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾** [هود: الآية: ٧]، قبل أن يخلق شيئًا"[٣]

وأما الأدلة من السنة على ذلك فكثيرة منها حديث **عمران بن حصين –رضي الله عنه– «ت: ٥٢ هـ»** الذي جاء فيه: «**كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب**

---

(١) تفسير ابن كثير «٤/ ٧٤». العلو للذهبي «ص: ٥٧»

(٢) انظر العلو للذهبي «ص: ٥٧».

(٣) تفسير الطبري «١٢/ ٤».

في الذكر كل شيء، ثم خلق السموات والأرض».

وكذلك ما جاء في حديث **عبد الله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما–«ت: ٦٥ هـ»**: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**».

وكذلك حديث **أبي رزين العقيلي –رضي الله عنه–**، قال: قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «**كان في عما ما تحته هواء وما فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء**».

فكل من الآية والأحاديث تدل دلالة قاطعة على أن مكان العرش منذ خلقه على الماء، وليس مراد بالماء هنا ماء البحر لأن ماء البحر إنما وجد بعد خلق السموات والأرض، وإنما الماء المذكور هنا ماء آخر تحت العرش على ما شاء الله تعالى.(١)

وقد سئل **حبر الأمة عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما–«ت: ٦٨ هـ»** عن قوله تعالى ﴿**وكان عرشه على الماء**﴾ [هود: الآية: ٧]، على أي شيء كان الماء؟ قال: "كان على متن الريح".(٢)

وعن **سليمان التيمي –رحمه الله–«ت: ١٤٣ هـ»** أنه قال: "ولو سئلت أين الله؟ لقلت: في السماء، فإن قال: فأين كان عرشه قبل السماء؟ لقلت: على الماء، فإن قال: فأين كان عرشه قبل الماء؟ لقلت: لا أعلم، قال أبو عبد الله: وذلك لقوله تعالى ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ**

---

(١) فتح الباري «١٣/ ٤١١».

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره «١٥/ ٢٤٩».

والدارمي في الرد على بشر المريسي «ص: ٤٤٥».

وابن أبي عاصم في السنة «١/ ٢٥٨».

والحاكم في المستدرك «٢/ ٣٤١».

والبيهقي في الأسماء والصفات «٢/ ٢٣٧، رقم: ٨٠٢».

كلهم بإسناده عن سفيان عن الأعمش بنحوه.

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي. وإسناده جيد موقوف.

مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥]"[١].

هذا مكان العرش قبل خلق هذا الكون الذي هو عبارة عن السموات والأرض، أما مكانه بعد خلق السموات والأرض فالحديث عنه من جانبين:

الجانب الأول: مكانه بالنسبة إلى الله تعالى مع غيره من المخلوقات.

والجانب الثاني: مكانه بالنسبة إلى السموات والأرض بعد خلقهما.

أما مكان العرش بالنسبة إلى الله تعالى مع غيره من المخلوقات فهو أقربها إليه سبحانه، وذلك لأن الله سبحانه قد أخبر أنه مستو على عرشه في أكثر في موضع في القرآن الكريم، قال تعالى ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه: الآية: ٥]، ففي إثبات الاستواء على العرش دليل على قربه إليه لأنه سبحانه مستو على أعلى مخلوقاته وأقربها إليه، وهذه ميزة امتاز بها العرش على ما سواه، ومما يؤيد كون العرش أقرب المخلوقات إلى الله ما جاء في حديث **ابن عباس رضي الله عنهما**–«**ت: ٦٨ هـ**» أن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: «**ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمراً سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال**».[٢]

---

(١) خلق أفعال العباد «١٢٧».

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، «١٤/ ٢٢٥».

والترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب سورة سبأ، «٥/ ٣٦٢ رقم: ٢٣٢٤».

والإمام أحمد في مسنده «١/ ٢١٨».

والدارمي في الرد على الجهمية «ص: ٧٨».

وابن منده في التوحيد «ق: ١٦/ب».

والبيهقي في الأسماء والصفات «١/ ٥١٢-٥١٣، رقم٤٣٦».

والطحاوي في المشكل «٣/ ١١٣».

وأبو نعيم في الحلية «٣/ ١٤٣».

كلهم بإسنادهم عن الزهري عن علي بن الحسين به، وبألفاظ متقاربة.

وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

فالحديث يدل على أن حملة العرش هم أول من يتلقى أمر الله، ثم يبلغونه للذين يلونهم من أهل السموات، فكونهم أقرب الخلق إلى الله دليل على أن العرش أقرب منهم إليه سبحانه لأنهم إنما يحملونه.

أما مكان العرش بالنسبة للسموات والأرض بعد خلقهما، وهل مازال على الماء؟

فالجواب ما يلي: إن العرش ما يزال على الماء المذكور في الآية والأحاديث بدليل ما جاء في أحاديث الأوعال، لقوله–صلى الله عليه وسلم-: «**ثم فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه أسفله مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك كله ثمانية أملاك أوعال ما بين أظلافهم إلى ركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ظهورهم العرش**».

فالحديث يشير كما أسلفنا إلى وجود ذلك الماء الذي تحت العرش، وإلى أنه ما زال موجوداً إلى ما بعد خلق السموات والأرض.

أما مكان العرش بالنسبة إلى السموات والأرض فهو أعلى منها وفوقها، وهو كالقبة عليها كما جاء في الحديث: «**إن عرشه على سمواته وأراضيه هكذا" وأشار بأصابعه مثل القبة**»، وكذلك ما جاء في حديث **العباس بن عبد المطلب–رضي الله عنه–«ت: ٣٢ هـ»** الذي يسمى بحديث الأوعال، فكلا الحديثين يدلان على أن العرش فوق السموات والأرض وأعلى منهما وهو كالسقف عليهما، بل هو سقف للجنة كما في حديث: «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن**». [(١)]

فمكان العرش فوق السموات والأرض وفوق الجنة وهو أعلى المخلوقات وأرفعها، وجميع المخلوقات دونه في العلو والارتفاع. والله أعلم.

ثالثاً: خصائص العرش.

خص الخالق سبحانه وتعالى عرشه الكريم بخصائص عديدة ميزته على كثير من المخلوقات

(١) أخرجه البخاري في التوحيد، باب وكان عرشه على الماء. فتح الباري «١٣/ ٤٠٤».

الأخرى، وذلك لما للعرش من المكانة الرفيعة عند البارئ عز وجل، وقد ذكر عرش الرحمن في واحد وعشرين موضعاً من القرآن الكريم، ومجيء ذكر العرش بهذا العدد يدل على ما له من مكانة ومنزلة عالية عند الخالق سبحانه وتعالى، فالله سبحانه وتعالى قد مدح نفسه في أكثر من موضع من كتابه الكريم بأنه صاحب العرش العظيم والكريم والمجيد، قال تعالى ﴿**وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾ [التوبة: ١٢٩]، وقال تعالى ﴿**فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**﴾ [المؤمنون: الآية: ١١٦]، وقال تعالى ﴿**ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ**﴾ [البروج: الآية: ١٥].

فالله سبحانه يصف لنا في هذه الآيات وغيرها العرش بأنه عظيم، وكريم، ومجيد، فهو عظيم لكونه أكبر المخلوقات وأعظمها وأعلاها، وذلك لما خص الله به هذا العرش من الاستواء عليه، ومجيد وكريم لما له من منزلة تميز بها عما سواه من المخلوقات، فهو إنما اتصف بهذه الصفات لجلالته وعظيم قدره، كما أن في قوله تعالى ﴿**رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ**﴾ [غافر: الآية: ١٥]، إخبار منه تعالى عن عظمته وكبريائه وارتفاع عرشه العظيم العالي على جميع خلقه، ومما يدل أيضاً على عظمة هذا العرش اقترانه باسم «الرحمن» كثيراً في القرآن الكريم، مثل قوله تعالى ﴿**الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه: الآية: ٥]، وقوله تعالى ﴿**ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا**﴾ [الفرقان: الآية: ٥٩]، ففي هذا الاقتران بين اسم الرحمن والعرش حكمة وهي إخباره عز وجل بأنه قد استوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات، ذلك لأن العرش محيط بالمخلوقات وقد وسعها، والرحمة بالخلق واسعة لهم[١]، كما قال تعالى ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ [الأعراف: الآية: ١٥٦].

وسنذكر بعض الخصائص التي اختص بها العرش وكرم بها، والتي جعلته يوصف بهذا الوصف في القرآن الكريم ويجعل له تلك المنزلة الرفيعة.

أولاً: الاستواء عليه:

---

(١) مدارج السالكين «١/ ٣٣-٣٤»

يعتبر استواء الله سبحانه وتعالى على العرش أعظم الخصائص التي اختص بها العرش، بل إن ما سواها من الخصائص الأخرى التي تميز بها العرش إنما جعلت له لأجل استواء الله عز وجل عليه، وذلك أن الله تعالى لما اختصه بهذا الأمر جعل له من الخصائص والصفات كارتفاعه وعظم خلقه وكبره وثقل وزنه لكي يتناسب مع ما ميز وشرف به من الاستواء عليه.

ومسألة الاستواء على العرش ثابتة في الكتاب والسنة، فقد جاء ذكر الاستواء في القرآن الكريم في سبعة مواضع، ومجيء ذكر الاستواء في القرآن بهذا العدد إنما هو ليؤكد عظم هذا الأمر وأهميته، وأما السنة فهي مليئة بالأحاديث والآثار التي تثبت الاستواء وتؤكده.

وإن مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وغيرهم من أهل العلم رضوان الله عليهم أجمعين أنهم يقولون إن الله استوى على عرشه بلا تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، فهو سبحانه مستو على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته، واستواؤه حقيقة لا مجاز كما يزعم الجهمية وأتباعهم الذين ينكرون العرش وأن يكون الله فوقه، وأما كيفية ذلك الاستواء فهي مجهولة لدينا والسؤال عن كيفية ذلك الاستواء بدعة، لأن الله سبحانه لم يطلعنا على كيفية ذاته فكيف يكون لنا أن نعرف كيفية استوائه، وهو سبحانه وتعالى يقول ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ**﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥].

ثانياً: العرش أعلى المخلوقات أرفعها وسقفها.

إن مما اختص به الخالق سبحانه وتعالى العرش مع استوائه عليه كونه أعلى المخلوقات وأرفعها وأقربها إلى الله تعالى، فقد ثبت أن العرش أعلى من السموات والأرض والجنة وأنه كالسقف عليها، والأدلة على هذا الأمر كثيرة وقد سبق أن أوردنا جزءاً منها خلال حديثنا عن مكان العرش.

والقول بأن العرش أعلى المخلوقات هو قول السلف الذي قالوا به وذهبوا إليه، وقال **ابن أبي زمنين–رحمه الله–«ت: ٣٩٩ هـ»** في كتابه " أصول السنة ": "ومن قول أهل السنة أن الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف

شاء"[١]

وكون العرش أعلى المخلوقات يدل على أنه أقرب إلى الله تعالى وهذه ميزة أخرى تضاف إلى الخصائص التي انفرد بها العرش، ويدل على هذا الأمر ما جاء في حديث الأوعال: «**ثم فوق ظهورهم العرش بين أعلاه وأسفله مثل ما بين سماء إلى سماء والله تعالى فوق ذلك**»[٢].

وكذلك ما جاء عن **ابن مسعود -رضي الله عنه-**«**ت: ٣٢ هـ**»: «**بين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي إلى الماء خمسمائة عام، والعرش على الماء، والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه**»[٣].

ثالثاً: العرش أكبر المخلوقات وأعظمها وأثقلها.

إن عرش الرحمن تبارك وتعالى يعتبر أكبر مخلوقات الله وأوسعها وأعظمها على الإطلاق،

---

(١) أصول السنة «ص: ٨٨».

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند «١/ ٢٠٧». وأبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في الجهمية «٥/ ٩٣، برقم ٤٧٢٣». وأخرجه ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية «١/ ٦٩». وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب سورة الحاقة «٥/ ٤٢٤-٤٢٥، برقم: ٣٣٢٠». والدارمي في الرد على بشر المريسي «ص: ٤٤٨». وابن أبي عاصم في السنة «١/ ٢٥٣». وابن خزيمة في كتاب التوحيد «١/ ٢٣٤-٢٣٥، ح: ١٤٤». والآجري في الشريعة «٣/ ١٠٨٩-١٠٩٠، ح: ٦٦٥». وابن منده في التوحيد «١/ ١١٧». واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة «٣ /٣٩٠». والذهبي في العلو «ص: ٤٩». ومدار الحديث من جميع طرقه على "عبد الله بن عميرة" وعبد الله فيه جهالة، ولذلك قال الألباني في تخريج السنة «١/ ٢٥٤»: "إسناده ضعيف، وعبد الله بن عميرة، قال الذهبي: فيه جهالة، وقال البخاري: لا نعلم له سماعاً من الأحنف بن قيس". انتهى كلامه. ولكن الجوزقاني صرح في الأباطيل «١/ ٧٩» بصحة الحديث. وكذلك ابن تيمية في الفتاوى «٣/ ١٩٢» حيث قال: "إن هذا الحديث قد رواه إمام الأئمة ابن خزيمة في كتاب التوحيد الذي اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلا بما نقله العدل عن العدل موصولاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والإثبات مقدم على النفي، والبخاري إنما نفى معرفة سماعه من الأحنف، ولم ينف معرفة الناس بهذا، فإذا عرف غيره كإمام الأئمة ابن خزيمة ما ثبت به الإسناد، كانت معرفته وإثباته مقدماً على نفي غيره وعدم معرفته". انتهى كلامه. وكذلك مال تلميذه ابن القيم إلى تصحيحه. انظر تهذيب السنن «٧/ ٩٢-٩٣».

(٣) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية «ص: ٢٦، ٢٧».

واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة «٣/ ٣٩٦».

وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية «ص:١٠٠» وقال: «رواه سنيد بن داود بإسناد صحيح».

فقد خص الله عز وجل العرش بهذه الميزة العظيمة وشرفه بها مع غيرها من الميزات لكي يتناسب مع ذلك الشرف العظيم ألا وهو استواء البارئ عز وجل عليه.

وعظم العرش وسعة خلقه قد دل عليهما القرآن والسنة، فالله سبحانه وتعالى يقول في محكم التنزيل ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: الآية: ١٢٩]، فالله سبحانه وصف العرش في هذه الآية وغيرها بكونه عظيماً في خلقه وسعته، قال **ابن كثير–رحمه الله–«ت: ٧٧٤ هـ»** في تفسير هذه الآية: "أي هو مالك كل شيء وخالقه لأنه رب العرش العظيم الذي هو سقف المخلوقات، وجميع الخلائق من السموات والأرضين وما فيهما تحت العرش مقهورين بقدرة الله تعالى "(١)

ومما يشهد لعظم العرش وسعة خلقه الأحاديث والآثار التي تتحدث عن كبر حجمه وسعته، فقد جاء في الحديث أن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: «**إن عرشه على سمواته وأرضه هكذا**» وأشار بأصابعه مثل القبة، فالنبي–صلى الله عليه وسلم–يشبه العرش أنه كالقبة على هذا العالم المكون من السموات والأرض وما فيهما وكالسقف عليهما، وفي هذا بيان واضح على عظم العرش وكبر مساحته، وفي حديث أخر يبين لنا مدى عظم العرش وكبر مساحته، فليس العرش أكبر من السموات والأرض فقط، بل هو من الكبر وسعة الحجم بحيث لا تعدل السموات والأرض على سعة حجمهما بجانبه شيئاً يذكر، فعن **أبي ذر–رضي الله عنه–«ت: ٣١ أو ٣٢ هـ»** أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–قال: «**يا أبا ذر ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة**»، وفي رواية «ما السموات السبع والأراضون السبع وما بينهن وما فيهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وإن الكرسي بما فيه بالنسبة إلى العرش كتلك الحلقة في تلك الفلاة».

فالحديث كما أسلفنا دليل واضح على سعة العرش وعظم خلقه، وأما مقدار ذلك الحجم

---

(١) تفسير ابن كثير «٢/ ٤٠٤».

وتلك السعة فلا يعلمها إلا الله تعالى.

قال **عبد الله بن عباس**–رضي الله عنهما–«ت: **٦٨** هـ»: "الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى"[1]

والعرش يمتاز مع كبر حجمه وسعته، بكونه أثقل المخلوقات وزنته أثقل الأوزان، فقد جاء في الحديث أن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال **لجويرية–رضي الله عنها**–«**ت: ٥٦ هـ**»: «**لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن، سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته**».

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "فهذا يبين أن زنة العرش أثقل الأوزان"[2]

رابعاً: العرش ليس داخلا فيما يقبض ويطوى.

لقد خص الله سبحانه وتعالى العرش بخصائص منها ما انفرد بها العرش عن غيره من المخلوقات، ومنها ما اشترك بها العرش مع بعض المخلوقات الأخرى، ولقد سبق الحديث عن بعض الخصائص التي انفرد بها العرش، وأود هاهنا أن أبين بعض ما اشترك به العرش مع غيره

---

(١) أخرجه الدارمي في الرد على بشر المريسي «ص: ٧١، ٧٣، ٧٤».
وعبد الله بن أحمد في السنة «ص: ٧٠، ١٤٢»
وابن جرير في التفسير «٣/ ١٠».
والطبراني في المعجم الكبير «١٢/ ٣٩، برقم: ١٢٤٠٤».
والدارقطني في الصفات «ص: ٣٠».
والحاكم في المستدرك «٢/ ٢٨٣».
والخطيب البغدادي في تاريخه «٩/ ٢٥١–٢٥٢» من أوجه.
والهروي في الأربعين «ص: ١٢٥».
كلهم من طريق سفيان الثوري عن عمار الذهني عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفاً.
قال الحاكم: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه". ووافقه الذهبي.
وذكره الذهبي في العلو «ص٦١» وقال: «رواته ثقات».
وقال الألباني: "هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات، وتابعه يوسف بن أبي إسحاق عن عمار الذهني" انظر مختصر العلو «ص: ١٠٢».
قال الهيثمي في مجمع الزوائد «٦/ ٣٢٣»: «رجاله رجال الصحيح».

(٢) الرسالة العرشية «ص: ٨».

من المخلوقات من الخصائص.

فقد سبق أن علمنا أن العرش مخلوق قبل السموات والأرض فهو بهذا ليس داخلا فيما خلق في الأيام الستة، ومعلوم أن الله سبحانه قد أخبر في كتابه وعلى لسان نبيه محمد-صلى الله عليه وسلم-أنه يقبض يوم القيامة السموات والأرض ويطويها ويبدلها، قال تعالى ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**﴾ [الزمر: الآية: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿**يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ**﴾ [إبراهيم: الآية: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿**يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾ [الأنبياء: الآية: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿**إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ**﴾ [الانشقاق ١-٢]، وقال تعالى: ﴿**إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ**﴾ [الانفطار: الآية: ١]، وفي الصحيحين **عن أبي هريرة-رضي الله عنه-«ت: ٥٧ هـ»**، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض**». (١)

وفي صحيح مسلم عن **عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما-«ت: ٧٣ هـ»**، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**يطوي الله السموات والأرض ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون**». (٢)

فالآيات والأحاديث السابقة تدل على أن السموات والأرض وما فيهما تقبض وتطوى وتبدل.

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، انظر فتح الباري «١٣/ ٣٦٧».
ومسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، «٨/ ١٢٦».

(٢) صحيح مسلم كتاب صفة القيامة «٨/ ١٢٦».

يعدم ولا يفنى كالجنة والنار والعرش.[(١)]

فعلى هذا يكون العرش ليس داخلا فيما يقبض ويطوى ويبدل، والأدلة على بقاء العرش كثيرة في الكتاب والسنة، فالله سبحانه وتعالى يقول مخبرا عن بقاء عرشه يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿**وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ**﴾ [الحاقة: الآيات: ١٤-١٧]، وكذلك ما جاء في سورة الزمر من إخباره تعالى بقبضه للأرض وطيه للسموات بيمينه وذكر نفخ الصور وصعق من في السموات والأرض إلا ما شاء الله، ثم ذكر النفخة الثانية التي يقومون بها، وأن الأرض تشرق بنور ربها وأن الكتاب يوضع، ويجاء بالنبيين والشهداء، وأنه توفى كل نفس ما عملت، وذكر سوق الكفار إلى النار وسوق المؤمنين إلى الجنة إلى أن قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الزمر: الآيات: ٧٤-٧٥].

فالآيات فيها إخبار عن الموقف يوم القيامة وفيها شاهد على أن العرش باق حتى بعد انتهاء الحساب.

يقول ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "وأما العرش فلم يكن داخلا فيما خلقه في الأيام الستة ولا يشقه ويفطره، بل الأحاديث المشهورة دلت على ما دل عليه القرآن من بقاء العرش، فقد ثبت في الصحيح أن جنة عدن سقفها عرش الرحمن قال-صلى الله عليه وسلم-: «**إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة وفوقه عرش الرحمن**»."[(٢)]

---

(١) الفتاوى «١٨/ ٣٠٧».

(٢) نقض التأسيس «١/ ١٥٥».



٣- القضاء والقدر

المسألة الأولى: التعريف بالقدر.

المسألة الثانية: أدلة الإيمان بالقدر .

المسألة الثالثة: أهمية الإيمان بالقدر وثمراته.

المسألة الرابعة: الخوض في القدر.

المسألة الخامسة: أركان الإيمان بالقدر.

المسألة السادسة: مواقف المخالفين من مراتب القدر.



[٣]- قال المصنف رحمه الله: أحَاط علمه بالأمور وأنفذ فِي خلقه سَابق الْمَقْدُور وَهُوَ الْجواد الغفور ﴿يعلم خَائِنَة الْأَعْين وَمَا تخفي الصُّدُور﴾ [الآية: ١٩: غافر] فالخلق عاملون بسابق علمه، ونافذون لما خلقهم له من خير وشرٍّ، لا يملكون لأنفسهم من الطاعة نفعاً، ولا يجدون إلى صرف المعصية عنها دفعًا، خلق الخلق بمشيئته من غير حاجة كانت به.

الشرح

وفي هذا النص مسائل:

المسألة الأولى: التعريف بالقدر:

القدر في اللغة:

القضاء والحكم، وهو ما يقدره الله عز وجل من القضاء ويحكم به من الأمور على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها، ومنه ذكر «ليلة القدر» وهي الليلة التي تقدر فيها الأرزاق وتقضــى. وأصل «قدر»: يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته(١)

قال اللحياني-رحمه الله-«ت: ٢٢٠ هـ»: "إن القدر بفتح الدال هو: الاســم، والقدر بسكون الدال هو: المصدر"(٢)

ويطلق القدر على معان؛ منها:

١-معنى الحكم والقضاء.

ومن ذلك حديث الاستخارة، وفيه: «**فاقدره لي ويسره لي**» (٣) (٤).

٢-معنى الطاقة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِــعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ**

(١) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس «٥/ ٦٢»، النهاية لابن الأثير «٤/ ٢٢»، مختار الصـــحاح للرازي «ص٢٤٨»، تاج العروس للزبيدي «١٣/ ٣٧٠»..

(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور «٥/ ٣٥٤٥».

(٣) أخرجه البخاري «١١٦٢» مطولا من حديث جابر بن عبد الله-رضي الله عنهما-.

(٤) ينظر: النهاية لابن الأثير «٤/ ٢٢»، مرقاة المفاتيح للقاري «٣/ ٩٨٦».

قَدَرُهُ﴾ **[البقرة: الآية: ٢٣٦]**، بفتح الدال، وقرئ بإسكانها. [(١)].

٣- معنى التضييق.

ومنه قوله تعالى: **﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [الفجر: الآية:١٦]** [(٢)].

٤- معنى التقدير.

ومنه الحديث: «**فإن غم عليكم فاقدروا له**» [(٣)]

أي: قدروا له عدد الشـــهر حتى تكملوه ثلاثين يومًا، وقيل: قدروا له منازل القمر، فإنه يدلكم على أن الشهر تسع وعشرون أو ثلاثون. [(٤)].

ويقال: قدره: إذا قاسه، وقدرت الشيء، أي: هيأت. والقدرة تأتي بمعنى اليسار، والغنى، والقوة. [(٥)]

تلك من أهم معاني «القدر» لغة. وهناك معان أخرى تعرضـــت لها كتب اللغة. [(٦)].

والقدر في الاصطلاح:

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: القـدر: "وهو عنـد أهـل السـنـة والجماعة: قدرة الله وعلمه ومشـــيئته وخلقه وكتابته، فلا تتحرك ذرة فما فوقها إلا بمشـــيئته

---

(١) ينظر: تفسير ابن جرير «٤/ ٢٩٤»، النشر في القراءات العشر لابن الجزري «٢/ ٢٢٨».

(٢) ينظر: تفسير ابن جرير «٢٤/ ٣٧٦».

(٣) رواه البخاري «١٩٠٠»، ومسلم «١٠٨٠» مطولا من حديث عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما-.

(٤) ينظر: النهاية لابن الأثير «٤/ ٢٣».

(٥) ينظر: الصـــحاح للجوهري «٢/ ٧٨٦»، مقاييس اللغة لابن فارس «٥/ ٦٣»، لســان العرب لابن منظور «٥/ ٣٥٤٥» تاج العروس للزبيدي «١٣/ ٣٧٠».

(٦) يُنظر: الصـــحاح للجوهري «٧٨٦/٢»، أســاس البلاغة للزمخشــري «٢/ ٥٦»، لســان العرب لابن منظور «٥/ ٣٥٤٥» تاج العروس للزبيدي «١٣/ ٣٧٠».

وعلمه وقدرته"[١]

والقَدَرُ في الاصطلاحِ: هو تقديرُ اللهِ تعالى الأشياءَ منذُ القِدَمِ، وعِلْمُه سُبحانَه أنها ستقعُ في أوقاتٍ معلومةٍ عنده، وعلى صـفاتٍ مخصـوصـةٍ، وكتابتُه سُـبحانَه لذلك، ومشـيئتُه له، ووقوعُها على حَسَبِ ما قدَّرها، وخَلْقُه لها"[٢]

قال السـفاريني -رحمه الله- «ت: ١١٨٨ هـ»: "هو ما سـبق به العلم، وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد، وأنه- عز وجل- قدَّر مقادير الخلائق، وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم سـبحانه أنها سـتقع في أوقات معلومة عنده تعالى، وعلى صـفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها"[٣]

وقال ابن حجر -رحمه الله- «ت: ٨٥٢ هـ»: في تعريفه: "المراد أنّ الله- تعالى- علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها، ثمّ أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته"[٤]

المسألة الثانية: أدلة الإيمان بالقدر:

نصـوص القرآن والسـنة متواترة في وجوب الإيمان بالقدر، وصـريحة في أن كل شـيء خلقه الله بقدر.

فأما أدلة القرآن، فمنها ما يلي:

لم يرد في القران التنصـيص على وجوب الإيمان بالقدر، وإنما وردت أدلة مجملة تدل على

---

(١) انظر: شفاء العليل لابن القيم «ص: ١١٤».

(٢) يُنظر: العقيدة الواسـطية لابن تيمية «ص: ١٠٥»، شـفاء العليل لابن القيم «ص: ٨٣»، فتح الباري لابن حجر «١/ ١١٨»، لوامع الأنوار البهية للسفاريني «١/ ٣٤٨»..

(٣) عقيدة السفاريني» ١/ ٣٤٨».

(٤) فتح الباري «١/ ١١٨».

تقدير الله للأشياء.[1]

- قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: الآية: ٦٢].

- قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: الآية: ٤٩].

- وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: الآية: ٣٨].

- وقال تعالى: ﴿وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: الآية: ٤٢].

- وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: الآية: ٢].

- وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: الآيات: ١-٣].

- وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: الآيات: ١ - ٢].

وسيأتي ذكر مزيد من الأدلة من القرآن عند بيان مراتب القدر.

وأما أدلة السنة، فمنها ما يلي:

وقد ورد التنصيص على الإيمان بالقدر في السنة ومن ذلك

- **عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- «ت: ٢٣ هـ»** في سؤال جبريل عليه السلام الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن الإيمان قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالقدر خيره وشره**». قال «أي: جبريل عليه السلام»: صدقت"[2].

- **عن جابر -رضي الله عنهما- «ت: مابين ٧٣ إلى ٧٧ هـ»** قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره من الله، وحتى يعلم**

(١) القضاء والقدر، عبد الرحمن المحمود، «ص: ٨٦».

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر، وعلامة الساعة «١/ ٣٦ رقم ٨».

أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه».[١]

- **وعن طاووس بن كيسان-رحمه الله-«ت: ١٠٦ هـ»** أنه قال: أدركت ناسًا من أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، يقولون: كل شيء بقدر، قال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**كل شيء بقدر، حتى العجز والكيس**»[٢]

- **وعن أبي هريرة-رضي الله عنه-«ت: ٥٧ هـ»** قال: "جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله-صلى الله عليه وسلم-في القدر، فنزلت: ﴿**يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ، إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ [القمر: الآيات: ٤٨: ٤٩].[٣].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: «لا يدخل الجنة عاق، ولا مدمن خمر، ولا مكذب بالقدر»[٤].

أقوال السلف

إجمع سلف الأمة على وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره، وأنه من أصول الإيمان الستة، التي لا يتم إسلام العبد ولا إيمانه إلا بها

ومن الآثار في هذا الباب ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه أن سلمان الفارسي-رضي الله عنه-سئل عن الإيمان بالقدر فقال: "إذا علم الرجل من قبل نفسه أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن يصيبه، فذلك الإيمان بالقدر"[٥]

---

(١) رواه الترمذي: كتاب القدر، باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره، »ص: ٦/ ٣٥٦«-شرح تحفة الأحوذي»، رقم »٢٢٣١«، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم: »١٧٤٣«، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم: »٢٤٣٩«.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب القدر باب كل شيء بقدر «٤/ ٢٠٤٥» رقم: «٢٦٥٥».

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب القدر باب كل شيء بقدر «٤/ ٢٠٤٦ رقم: «٢٦٥٦».

(٤) رواه الإمام أحمد، انظر الجامع الصحيح في القدر، تأليف مقبل الو ادعي، »ص: ١٤«، وهو في السلسلة الصحيحة رقم: «٦٧٥»،

(٥) مصنف عبد الرزاق «١١/ ١١٨»، وانظر: القضاء والقدر للبيهقي »ص: ٣٠٥«.

عن علي بن أبي طالب-رضي الله عنه-«ت: ٤٠ هـ»، قال: "إذا قضي الأمر من السماء عمله أهل الأرض، وإن العبد لا يجد طعم الإيمان حتى يوقن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه".[(١)].

عن يحيى بن يعمر-رحمه الله-«ت: ٨٩ هـ»؛ قال: "كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني. فانطلقت أنا **وحميد بن عبد الرحمن الحميري «ت: ١٠٠ هـ»**. حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر. فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب-رضـــي الله عنهما-«ت: ٧٤ هـ» داخلا المسجد. فاكتنفته أنا وصاحبي. أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله. فظننت أن صاحبي ســـيكل الكلام إلي. فقلت: أبا عبد الرحمن! إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم. وذكر من شـــأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر. وأن الأمر أنف. قال: فإذا لقيت أولئك فـأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني[(٢)]. والـذي يحلف بـه عبـد الله بن عمر! لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر"[(٣)]

عن الحســن البصــري «ت: ١١٠ هـــــ»: "والله لولا الإيمان بالقدر لخربت الدنيا وما عمرتها، إن الله تعالى قدّر كل شيء بقدر معلوم"[(٤)].

عن الحســن البصـري-رحمه الله-«ت: ١١٠ هـــــ»: قال: "القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله وآمن بالقدر تم توحيده، ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده"[(٥)]

---

(١)«أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة «٤/ ٦٦٦»، وانظر: القضاء والقدر للبيهقي »ص: ٢٩٩».

(٢) قال الخطابي: في تبرى ابن عمر منهم دليل على أن الخلاف إذا وقع في أصــول الدين وتعلق بالمعتقدات يوجب البراءة، بخلاف ما تعلق بأصول الأحكام وفروعها". معالم السنن «٧/ ٦٥».

(٣) «صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في الأمر بالإيمان بالقدر «١/ ٨».

(٤) "كتاب التوكل" لابن أبي الدنيا «ص: ٢٩».

(٥) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، رقم: «١٠٨٠».

عن مجاهد بن جبر-رحمه الله-«ت: ١٠٤ هـ»: قال: "الإيمان بالقدر نظام التوحيد"(١)

قال الأوزاعي «ت: ١٥٧ هــــ»: "علينا أن نؤمن بالقدر خيره وشـره، فالإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان، وقد علم الله تعالى ما يكون وما سيكون"(٢).

قال الإمام سفيان الثوري «ت: ١٦١ هــــ»: "من كفر بالقدر فقد كفر بما أنزل على محمد-صلى الله عليه وسلم-، فإن الله تعالى قدّر كل شيء في الأزل"(٣)

قال الإمام ابن المبارك «ت: ١٨١ هــــ»: "الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، من أصول الإيمان، ولا يتم الإيمان إلا به"(٤)

وقال الإمام ابن المبارك «ت: ١٨١ هــــ»: "الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، ولا يكون العبد مؤمنًا حتى يؤمن بأن الله قدّر كل شيء وكتبه في اللوح المحفوظ"(٥)

قال الإمام أبو حنيفة في "الفقه الأكبر"«ت: ١٥٠ هـ»: "والقدر خيره وشــره من الله تعالى، نؤمن به ونعلم أن الله لم يكلفنا إلا ما نطيق، وأنه تعالى لم يجبر العباد على المعاصـــي، وأنه تعالى هو الخالق للأفعال".

قال الإمام مالك بن أنس «ت: ١٧٩ هـــــ»: "الإيمان بالقدر واجب، من أنكر القدر فقد كفر، والإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بأن كل ما يصيب الإنسان من خير أو شر فهو من الله تعالى"(٦)

قال الإمام الشــافعي «ت: ٢٠٤ هـ»: "لا يتم الإيمان إلا بالإيمان بالقدر، ومن أنكر

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، رقم: «١٠٩٦».
(٢) "البداية والنهاية" لابن كثير «١٠/ ٢٠٥».
(٣) "الجامع" لمصنف عبد الرزاق «١١/ ٤٤».
(٤) "الزهد" لابن المبارك «ص: ١٩٤».
(٥) "سير أعلام النبلاء" «٨/٤٠٢».
(٦) "التمهيد" لابن عبد البر «٧/ ١٤٣».

القدر فقد أبطل علم الله السابق، ونسب الله إلى الجهل"[(١)]

قال الإمام أحمد بن حنبل «ت: ٢٤١ هـــ»: "والإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها، لا يقال: لم ولا كيف؟ إنما هو التصديق بها والإيمان بها"[(٢)]

قال الإمام البخاري «ت: ٢٥٦ هـ»: "الإيمان بالقدر خيره وشره من أصول الإيمان"[(٣)]

قال الإمام مسلم «ت: ٢٦١ هـ»: "الإيمان بالقدر خيره وشره من أركان الإيمان"[(٤)]

قال الإمام ابن ماجه «ت: ٢٧٣ هـــ»: "والإيمان بالقدر خيره وشــره ركن من أركان الإيمان، وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم"[(٥)]

قال الإمام ابن جرير الطبري «توفي ٣١٠ هـ»: "الإيمان بالقدر هو الإيمان بأن الله تعالى قد علم كل شيء وكتبه، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو من أركان الإيمان التي لا يتم إلا بها"[(٦)]

المسألة الثالثة: أهمية الإيمان بالقدر وثمراته:

مما يدل على أهمية الإيمان:

أولًا: الإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان لا يتم الإيمان إلا به.

قال الإمام الأوزاعي «ت: ١٥٧ هـــ»: "علينا أن نؤمن بالقدر خيره وشــره، فالإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان، وقد علم الله تعالى ما يكون وما سيكون"[(٧)]

---

(١) "الرسالة" «ص: ٣٥١».

(٢) "أصول السنة" «ص: ٢٨».

(٣) "صحيح البخاري" «٦٦١٤».

(٤) "صحيح مسلم" «٩٣».

(٥) "سنن ابن ماجه" «٧٧».

(٦) تفسير الطبري «١/ ١٤٧».

(٧) "البداية والنهاية" «١٠/ ٢٠٥».

قال الإمام مالك بن أنس «ت: ١٧٩ هـــ»: "الإيمان بالقدر من **أصول الإيمان**، ولا يكون الرجل مؤمنًا حتى يؤمن بأن كل شـيء بقدر الله، وأن ما شـاء الله كان، وما لم يشـأ لم يكن"[(١)]

قال الإمام أحمد بن حنبل «ت: ٢٤١ هـــ»: "الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها، لا يقال: لم ولا كيف؟ إنما هو التصديق بها والإيمان بها"[(٢)]

قال الإمام ابن أبي عاصم «ت: ٢٨٧ هـ»: "الإيمان بالقدر هو من **أصول الإيمان**، ولا يصح الإيمان إلا به، وقد أمرنا الله بالإيمان به في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ «سورة القمر: ٤٩»"[(٣)]

قال الإمام الدارمي «توفي ٢٥٥ هـــ»: "والإيمان بالقدر خيره وشره هو من **أصول الإيمان**، ولا يكون الرجل مؤمنًا حتى يؤمن بأن الله قدّر كل شيء وكتبه في اللوح المحفوظ"[(٤)]

ثانيًا: الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان

وهو الركن السادس من أركان الإيمان

قال الإمام عبد الرحمن بن مهدي «ت: ١٩٨ هـ»: "الإيمان بالقدر من **أركان الإيمان**، ولا يتم الإيمان إلا به، ومن أنكره فقد كفر بما أنزل على محمد-صلى الله عليه وسلم-"[(٥)]

قال الإمام علي بن المديني «ت: ٢٣٤ هـــ»: "الإيمان بالقدر خيره وشره من **أركان الإيمان**، ولا يكون الرجل مؤمنًا حتى يؤمن بأن الله قدّر كل شيء وكتبه في اللوح المحفوظ"[(٦)]

---

(١) "جامع بيان العلم وفضله" لابن عبد البر «٢/ ١٢٩٠».

(٢) "مسند أحمد" «٦/ ٢٣٣».

(٣) "السنة" لابن أبي عاصم «١/ ١٥٩».

(٤) "الرد على الجهمية" للدارمي «ص: ١٥٤».

(٥) "الإبانة الكبرى" لابن بطة «٢/ ١٧٢».

(٦) "سير أعلام النبلاء" «١١/ ١٦٨».

قال الإمام ابن جرير الطبري «ت: ٣١٠ هـ»: "الإيمان بالقدر هو الإيمان بأن الله تعالى قد علم كل شيء وكتبه، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو من **أركان الإيمان** التي لا يتم إلا بها"(١)

قال ابن أبي حاتم-رحمه الله-«ت: ٣٢٧ هـ»: "وقد أجمع العلماء على أن الإيمان بالقدر خيره وشـــره، حلوه ومره، من **أركان الإيمان**، وأن الله تعالى قدّر كل شـــيء وكتبه في اللوح المحفوظ"(٢)

ثالثًا: الإيمان القدر نظام التوحيد.

جاء في السـنة الصـحيحة عن النبي-صـلى الله عليه وسـلم-الربط بين القدر والتوحيد عن عائشة-رضي الله عنها-«ت: ما بين ٥٧ و٥٩ هـ»، قالت فقدت رسول الله-صلى الله عليه وســلم-ليلة من الفراش فالتمســته فوقعت يدي على بطن قدمه وهما منصــوبتان وهو يقول: **«اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»**.(٣)

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "وهذا يتضـــمن كمال الإثبات للقدر والتوحيد بأوجز لفظ وأخصره فإن الذي يستعاذ منه من الشر وأسبابه هو واقع بقضاء الرب تعالى وقدره وهو المنفرد بخلقه وتقديره وتكوينه فما شاء كان وما لم يشاء لم يكن"(٤)

عن ابن عباس-رضي الله عنهما-«ت: ٦٨ هـ» أنه قال: "الإيمان بالقدر نظام التوحيد

---

(١) تفسير الطبري «١/ ١٤٧».

(٢) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" للالكائي «٤/ ٧١١».

(٣) رواه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة «٤٨٦» ونظر صحيح مسلم بشرح نووي ٢/ ٢١٢.

(٤) شفاء العليل «ص: ٤٥٠»، وانظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين «١/ ٣٥٤».

فمن آمن بالله وكذب بالقدر كان تكذيبه بالقدر نقضاً لتوحيده"[(١)]

عن الحســـن البصـــري-رحمه الله-«ت: ١١٠ هـ»: قال: "القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله وآمن بالقدر تم توحيده، ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده"[(٢)].

عن مجاهد بن جبر-رحمه الله-«ت: ١٠٤ هـ»: قال: "الإيمان بالقدر نظام التوحيد"[(٣)].

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "اعلم أن أهل البدع من القدرية الجهمية والمجبرة والقدرية النافية لا يحمدون الله ولا يشـــكرونه، كما أنهم لا يعبدونه، وأما أهل الإلحاد من المتفلســـفة والباطنية فهم أبعد عن حمده وشـــكره، وذلك أن المجبرة حقيقة قولهم أنه ليس برحيم ولا منعم، بل ولا إله يســـتحق أن يعبد ويحب، بل صـــدور الإحســـان عنه كصـــدور الإســـاءة، وإنما هو يفعل بمحض مشـــيئة ترجح الشـــيء على مثله لا لمرجح، وكل الممكنات عندهم متماثلة، فلا فرق بين أن يريد رحمة الخلق ونفعهم والإحســان إليهم، أو يريد فســادهم وهلاكهم وإضرارهم، يقولون: هذا كله عندهم سواء"[(٤)].

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ» عند تفســـير قوله تعالى: **﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْـــطِ ۖ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْـــجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِـــينَ لَهُ الدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ * فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّـــلَالَةُ ۗ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّـــيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ**

---

(١) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة «٢/ ٤٢٢»، والفريابي في القدر تحت رقم «٢٠٥»، واللالكائي في السنة «٤/ ٦٢٣-٦٧٠»، والآجري في الشريعة «ص: ٢١٥»، وابن بطة في: الإبانة تحت رقم: «١٦١٨-١٦١٩»، ونسبه في مجمع الزوائد إلى الطبراني في الأوسط. المجمع الزوائد «٧/ ١٩٧». ويتقوى بتعدد الطرق إلى الحسن لغيره.

وقد روي عن ابن عباس-رضي الله عنه-، مرفوعًا، وفيه ضعف. انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة تحت رقم «٤٠٧٢».

وذكره ابن الجوزي عن أبي هريرة-رضي الله عنه-، مرفوعا في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية «١/ ١٤٩»، تحت رقم «٢٣٤»، وقال: "لا يَصِحُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-"اهـ

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، رقم: «١٠٨٠».

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، رقم: «١٠٩٦».

(٤) جامع الرسائل «المجموعة الأولى» «١/ ١٠٣».

اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: الآيات: ٢٩-٣٠].

"هذه الآية تضمنت قواعد الدين علمًا وعملًا واعتقادًا.

فقوله: ﴿**قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ**﴾ أمر سبحانه فيها بالقسط هو الذي هو حقيقة شرعه ودينه، وهو يتضمن التوحيد فإنه أعدل العدل، والعدل في معاملة الخلق، والعدل في العبادة، وهو الاقتصاد في السنة.

وقوله ﴿**وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾، يتضمن الأمر بالإقبال على الله وإقامة عبوديته في ثبوته، ويتضمن الإخلاص له وهو عبوديته وحده لا شريك له فهذا ما فيها من العمل.

ثم أخبر بمبدأهم ومعادهم فتضمن ذلك حدوث الخلق وإعادته فذلك الإيمان بالمبدأ والمعاد فقال: ﴿**كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ**﴾.

ثم أخبر عن القدر الذي هو نظام التوحيد فقال فريقا هدى وفريقًا حق عليهم الضلالة. ﴿**فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ**﴾، فتضمنت الآية الإيمان بالقدر والشرع والمبدأ، والمعاد، والأمر بالعدل، والإخلاص.

ثم ختم الآية بذكر حال من لم يصدق هذا الخبر ولم يطع هذا الأمر بأنه قد أطاع الشيطان دون ربه وأنه على ضلال وهو يحسب أنه على هدى فقال: ﴿**إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ**﴾. والله أعلم"[(١)]

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "النبي-صلى الله عليه وسلم-أرشد الأمة في القدر إلى أمرين هما سببا السعادة

١-الإيمان بالأقدار فإنه نظام التوحيد.

٢-والإتيان بالأسباب التي توصل إلى خيره وتحجز عن شره وذلك نظام الشرع.

فأرشدهم إلى نظام التوحيد والأمر

---

(١) شفاء العليل «١/ ٢٩٢» بتصرف يسير.

فأبى المنحرفون إلا

- القدح بإنكاره في أصل التوحيد
- أو القدح بإثباته في أصل الشرع

ولم تتسع عقولهم التي لم يلق الله عليها من نوره للجمع بين ما جمعت الرسل جميعهم بينه وهو القدر والشرع والخلق والأمر

وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم والنبي-صلى الله عليه وسلم-شديد الحرص على جمع هذين الأمرين للأمة وقد تقدم قوله: «**أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز**». وإن العاجز من لم يتسع للأمرين"[١].

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "وبالجملة فكل دليل في القرآن على التوحيد فهو دليل على القدر وخلق أفعال العباد ولهذا كان إثبات القدر أساس التوحيد قال ابن عباس-رضي الله عنهما-«ت: ٦٨ هـ»: "الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه التوحيد"[٢]

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "إن الإيمان بالقدر أصل الإيمان بالأمر وهو نظام التوحيد فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه إيمانه"[٣].

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "والذي دل عليه قول ابن مسعود وهو قول الصحابة كلهم وأئمة السنة من التابعين ومن بعدهم هو إثبات القدر الذي هو نظام التوحيد؛ إثبات فعل العبد الاختياري، الذي هو نظام الأمر والنهي، وهو متعلق المدح والذم والثواب

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل «١/ ٢٦».

(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل «ص: ٦٥».

(٣) روضة المحبين ونزهة المشتاقين «ص: ٦١».

والعقاب والله أعلم"[١]

رابعًا: الإيمان بالقدر فيه تحقيق للشهادتين.

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "إذا ثبت هذا – يعني تحقيق شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله– فمعلوم أنه يجب الإيمان بخلق الله وأمره، وبقضائه وشرعه"[٢].

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "قال الإمام أحمد–رحمه الله–«ت: ٢٤١ هـ»: القدر قدرة الله، واستحسن ابن عقيل–رحمه الله–«ت: ٥١٣ هـ» هذا الكلام جدا، وقال: هذا يدل على دقة علم أحمد وتبحره في معرفة أصول الدين، وهو كما قال أبو الوفاء؛ فإن إنكار القدر: إنكار لقدرة الرب على خلق أفعال العباد وكتابتها وتقديرها"[٣]

فالإيمان بالقدر على الوجه الصحيح توحيد وخلاص من الشرك؛ لأن ارتباطه مباشرة بالإيمان بالله تعالى، فقد جاء في صفاته سبحانه صفة العلم، والإرادة، والقدرة، والخلق، وعلى هذه الأسس قامت عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر.

كما عد العلماء الإيمان بالقضاء والقدر ثمرة من ثمرات الإيمان بالله، فالراضي بالقضاء والقدر راض بالله، والساخط من القدر ساخط على الله، وهذه النكتة في عطف الفعل "تؤمن" لما عد النبي – صلى الله عليه وسلم –أركان الإيمان فقال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». في حديث جبريل المشهور"[٤]

خامسًا: الإيمان بالقدر يعصم العبد من أمور كثيرة.

---

(١) حاشيته على تهذيب السنن «٦/ ١٠٥».

(٢) التدمرية، شيخ الإسلام ابن تيمية، «ص: ١٣٠».

(٣) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، «ص: ٢٨».

(٤) منهج الحافظ ابن رجب الحنبلي في العقيدة «ص: ٦٤٨».

"فاعتصـــام المؤمن بعقيدة الإيمان بالقضـــاء والقدر يعصـــمه من أمور كثيرة، على رأســـها أمران:

أحدهما: عصمته في باب توحيد الربوبية الذي هو أساس وعمدة توحيد الألوهية.

والثاني: عصـمته في مسـيرته في الحياة، بألا يقع عنده تعارض بين القضـاء والقدر والأمر والشرع"[١]

الإيمان بالقدر أساس لعمارة الدنيا.

قال الإمام الحسن البصري «توفي ١١٠ هـــ»: "والله لولا الإيمان بالقدر لخربت الدنيا وما عمرتها، إن الله تعالى قدّر كل شيء بقدر معلوم"[٢]

من ثمرات الإيمان بالقدر:

أولًا: الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسـباب؛ لأن السـبب والمسـبب كليهما بقضـاء الله وقدره.

عن أبي هريرة-رضـــي الله عنه-«ت: ٥٧ هـ»، قال: قال رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله عز وجل من المؤمن الضعيف، واحرص على ما ينفعك واســتعن بالله عز وجل ولا تعجز، فإن غلبك أمر فقل: قدر الله وما شــاء فعل**». [٣]

قال الشـيخ محمد بن صـالح بن عثيمين-رحمه الله-«ت: ١٤٢١ هـ»: "الإيمان بالقدر يوجب صـــدق الاعتماد على الله عز وجل لأنك إذا علمت أن كل شـــيء بقضـــاء الله وقدره صدق اعتمادك على الله"[٤]

---

(١) تيسير لمعة الاعتقاد لعبد الرحمن بن صالح المحمود. «ص: ١٩٩».

(٢) "كتاب التوكل" لابن أبي الدنيا «ص: ٢٩».

(٣) صحيح مسلم «٢٦٦٤».

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين «ص: ٦٣٠».

ثانيًا: راحة النفس وطمأنينة القلب؛ لأنه متى علم أن ذلك بقضـاء الله تعالى، وأن المكروه كائن لا محالة ارتاحت النفس واطمأن القلب ورضـي بقضـاء الرب، فلا أحد أطيب عيشـا، وأروح نفسا، وأقوى طمأنينة ممن آمن بالقدر.

قَالَ ابنُ عَونٍ-رحمه الله-«ت: ١٥١ هـ»: "ارْضَ بِقَضَـاءِ اللهِ مِن عُسْـرٍ وَيُسْـرٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَقَلُّ لِهَمِّكَ، وَأَبلَغُ فِيمَا تَطلُبُ مِن أَمرِ آخِرَتِكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ العَبدَ لَن يُصِيبَ حَقِيقَةَ الرِّضَا، حَتَّى يَكُونَ رِضَاهُ عِندَ الفَقرِ وَالبَلَاءِ، كَرِضَاهُ عِندَ الغِنَى وَالرَّخَاءِ؛ كَيفَ تَستَقضِي اللهَ فِي أَمرِكَ، ثُمَّ تَسـخَطُ إِنْ رَأَيتَ قَضَـاءً مُخَالِفًا لِهَوَاكَ؟! وَلَعَلَّ مَا هَوَيْتَ مِن ذَلِكَ، لَو وُفِّقَ لَكَ لَكَانَ فِيهِ هَلَاكُكَ، وَتَرضَـى قَضَـاءَهُ إِذَا وَافَقَ هَوَاكَ، وَذَلِكَ لِقِلَّةِ عِلْمِكَ بِالغَيبِ؟! إِذَا كُنتَ كَذَلِكَ، مَا أَنْصَفْتَ مِن نَفسِكَ، وَلَا أَصَبْتَ بَابَ الرِّضَا. **قال ابن رجب-رحمه الله-«ت: ٧٩٥ هـ»:** وَهَذَا كَلَامٌ حَسَنٌ"(١)

قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين-رحمه الله-«ت: ١٤٢١ هـ»: "والإيمان بالقدر يوجب الطمأنينة يوجب للقلب الطمأنينة إذا علمت أن ما أصـابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك اطمئن أنت بما يصيبك بعد فعل الأسباب النافعة"(٢)

ثالثًا: طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد؛ لأن حصول ذلك نعمة من الله بما قدره من أسباب الخير والنجاح؛ فيشكر الله تعالى على ذلك ويدع الإعجاب"(٣)

رابعًا: انشـراح الصـدر، وسـعادة القلب، وطمأنينة النفس، وراحة البال، قال عمر بن عبد العزيز: أصـبحت وَمَا لِيَ سـرورٌ إلا في مواضـع القضـاء والقدر، قَالَ تَعَالَى: ﴿**قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ **[التوبة: الآية: ٥١]**.

---

(١) "تيسير العزيز الحميد" «ص: ٥٢٢-٥٢٣».

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين «ص: ٦٣٠».

(٣) «مجموع رسائل وفتاوى فضيلة الشيخ ابن عثيمين» «٣/ ٢٥٦-٢٦٠» بتصرف.

خامسًـا: ذهاب الهم والحزن، فمن الإيمان بالقدر الإيمان بكتابة المقادير قبل إيجادها، فإذا وُجِدت تبين مدى الإيمان بذلك، فقويُّ الإيمان لا يفرح بما أُوتي، ولا يحزن على ما فات، وعكسه بعكسه بهذا المعنى، وردت الآية الكريمة: ﴿**لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ**﴾ **[الحديد: الآية: ٢٣]**.

قال ابن رجب–**رحمه الله**–«**ت: ٧٩٥ هـ**»: "الإيمان بالقدر يُذهب الهم والحزن"(١)

سادسًا: غنى النفس، روى الترمذي في سننه مِن حَدِيثِ **أَبِي هُرَيرَةَ**–**رضي اللهُ عنه**–«**ت: ٥٧ هـ**»: أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ: «**وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ**». (٢)

سـابعًا: النجاة من النار، روى أبو داود في سننه مِن حَدِيثِ **أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ**–**رضي اللهُ عنه**–«**ت: ١٩ أو ٢٠ هـ**»: رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «**لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ**»(٣)

المسألة الرابعة: الخوض في القدر.

عن عمرو بن شعيب–رحمه الله–«ت: ١١٨ هـ» عن أبيه–رحمه الله–«ت: ٨١ أو ٨٠ هـ» عن جده–رضي الله عنه–«ت: ٦٥ هـ» قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم والناس يتكلمون في القدر، قال: "وكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، قال: فقال لهم: «**ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكما**»، وقال:

(١) مجموع الرسائل «٣/ ١٤٤».

(٢) "سنن الترمذي" «برقم: ٢٣٠٥»، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" «برقم: ٩٣٠».

(٣) "سنن أبي داود" «برقم: ٤٦٩٩»، وصححه الألباني في "صحيح سنن أبي داود" «٣/ ٨٩٠» «برقم: ٣٩٣٢».

"فما غبطت نفسي بمجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أشهده بما غبطت نفسي بذلك المجلس، أني لم أشهده"[١]

وقد كان السلف من الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم يكرهون الجدال في القدر ويذمون من خاض فيه، بل حذروا من ذلك، فهذا الصحابي الجليل **عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما-«ت: ٦٨ هـ»** يقول: "باب شرك فتح على أهل الصلاة: التكذيب بالقدر فلا تجادلوهم فيجري شركهم على أيديكم"[٢] ويقول أيضًا رضي الله عنه: "ما غلا أحد في القدر إلا خرج من الإسلام"[٣]

فالسلف رحمهم الله تعالى كرهوا الكلام في القدر والخوض فيه، لكن لما خاضت المبتدعة في هذا الأمر وحادوا عن الصواب رأي السلف الصالح أنه يجب عليهم أن يبينوا للناس الحق والصواب فيما ضل فيه هؤلاء، ذلك لأنه لم يظهر القول في القدر إلا بعد مضي نصف القرن الأول تقريبا، حيث إن معبدًا الجهني[٤] هو أول من أثار القول في هذا الأمر.

روى مسلم في صحيحه بإسناده إلى يحيى بن يعمر، أنه قال: "كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن خطاب داخلًا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا

---

(١)أخرجه أحمد «٢/ ١٧٨»، وقال أحمد شاكر، أسناده صحيح. المسند تحقيق أحمد شاكر «١٠/ ١٥٣»، حديث رقم «٦٦٦٨»، وأخرجه أيضًا ابن ماجه: المقدمة، باب في القدر «١/ ٣٣»، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة «١/ ١٤»: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

(٢)أخرجه الآجري في الشريعة «ص: ٢١٥»، واللالكائي في شرح أصول أهل السنة: «٤/ ٦٣٠».

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول أهل السنة «٤/ ٦٣٢».

(٤) معبد بن عبد الله الجهني نزيل البصرة، كان داعية إلى الضلال وهو أول من تكلم بالقدر في زمن الصحابة، قال ابن أبي حاتم: كان صدوقًا في الحديث وكان رأسًا في القدر، قدم المدينة فأفسد بها ناسا، وقد قتله عبد الملك سنة ٨٠هـ. الجرح والتعديل «٨/٢٨٠»، وميزان الاعتدال «٤/١٤١»، وتهذيب التهذيب «١٠/ ٢٢٥».

عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت: أبا عند الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرأون القرآن ويتقفرون العلم[١] وذكر من شـأنهم أنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف، قال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم براء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر"[٢]

وقد سلك هذا المسلك العلماء من بعدهم الذين ساروا على نهج الصحابة الكرام رضوان الله عليهم كما ذكر الإمام البربهاري هنا.

ولا شك أن الخوض في أمور العقيدة بالعقل استقلالاً دون الرجوع إلى النصوص والتحاكم إليها والاستضاءة بالنصوص هذه مهلكة للإنسان، وكل من خاض من هؤلاء في هذا الأمر دون معرفة بالنص فإنه هالك، ولذلك وقع ما وقع من الفرق، ووقع ما وقع من قول القدرية وقول الجبرية ونحوهم لا لشيء إلا لأن هؤلاء تركوا النصوص تمامًا وخاضوا في الأمر من جهة عقولهم.

فوقع التحسين والتقبيح العقلي، ووقع الطعن في أفعال الله عز وجل وفي علم الله عز وجل كل ذلك من طريق هؤلاء.

وأما أصل القدر؟ فكما **قاله الطحاوي–رحمه الله–«ت: ٣٢١ هـ»**: "وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى: ﴿**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٣]، فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب ومن

---

(١) ويتقفرون العلم: أي يطلبونه ويتتبعونه. النهاية لابن الأثير «٤/ ٩٠».

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان: «١/ ٣٦».

رد حكم الكتاب كان من الكافرين"[١]

وعلم القدر **قال عنه علي رضـــي الله عنه**–«**ت: ٤٠ هـ**»: "القدر ســـر الله فلا تكشفه"[٢]

قال جعفر بن محمد–رحمه الله–«**ت: ١٤٨ هـ**»: "الناظر في القدر كالناظر في عين الشمس، كلما ازداد نظرا ازداد حيرة"[٣]

وسماه الطحاوي–رحمه الله–«**ت: ٣٢١ هـ**» بالعلم المفقود، لأن الله طواه عن الخلق، [٤] ونحن نؤمن بأن له تعالى في خلقه حكمًا عظيمة، وإذا كان هناك من الحكم ما هون خاف فلا يلزم من خفاء حكمة الله علينا عدمها، ولا من جهلنا انتفاء حكمته تبارك وتعالى. [٥]

قال الإمام مالك–رحمه الله–«**ت: ١٧٩ هـ**»: "القدر ســـر الله في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرســـل، والتعمق في ذلك ذريعة إلى الخذلان، وسُـــلَّمٌ إلى الحرمان، والحذر كل الحذر من النظر في القدر والتفكر فيه والوسوسة به"[٦]

قال البربهاري–رحمه الله–«**ت: ٣٢٩ هـ**»: "الكلام والجدل والخصومة في القدر خاصة، منهي عنه عند جميع الفرق؛ لأن القدر ســـر الله، ونهى الرب تبارك وتعالى الأنبياء عن الكلام في القدر، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخصومة في القدر، وكرهه العلماء وأهل الورع ونهوا عن الجدال في القدر، فعليك بالتسليم والإقرار والإيمان، واعتقاد ما قال رسول الله

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية «ص: ٢٧٦».

(٢) شرح العقيدة الطحاوية «ص: ٢٧٧».

(٣) انظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر «٢/ ١٩٦».

(٤) شرح العقيدة الطحاوية «ص: ٢٩٢».

(٥) شرح العقيدة الطحاوية «ص: ٢٩٢».

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، «٤/ ٧٠٩».

صلى الله عليه وسلم في جملة الأشياء، وتسكت عما سوى ذلك"[(١)].

قال الآجري-رحمه الله-«ت: ٣٦٠ هـ»: "لا يحسن بالمسلمين التنقير والبحث عن القدر؛ لأن القدر سر من أسرار الله عز وجل، بل الإيمان بما جرت به المقادير من خير أو شر واجب على العباد أن يؤمنوا به، ثم لا يأمن العبد أن يبحث عن القدر فيكذب بمقادير الله الجارية على العباد، فيضل عن طريق الحق"[(٢)].

قال ابن بطة-رحمه الله-«ت: ٣٨٧ هـ»: "وأما الوجه الآخر من علم القدر الذي لا يحل النظر فيه ولا الفكر به، وحرام على الخلق القول فيه: كيف؟ ولم؟ وما السبب؟ مما هو سر الله المخزون وعلمه المكتوم الذي لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا، وحجب العقول عن تخيل كنه علمه، والناظر فيه كالناظر في عين الشمس، كلما ازداد فيه نظرا ازداد فيه تحيرا، ومن العلم بكيفيتها بعدا- فهو التفكر في الرب عز وجل كيف فعل كذا وكذا، ثم يقيس فعل الله عز وجل بفعل عباده، فما رآه من فعل العباد جورا يظن أن ما كان من فعل مثله جور، فينفي ذلك الفعل عن الله، فيصير بين أمرين؛ إما أن يعترف لله عز وجل بقضائه وقدره، ويرى أنه جور من فعله، وإما أن يرى أنه ممن ينزه الله عن الجور، فينفي عنه قضاءه وقدره، فيجعل مع الله آلهة كثيرة يحولون بين الله وبين مشيئته، فبالفكر في هذا وشبهه والتفكر فيه والبحث والتنقير عنه هلكت القدرية حتى صاروا زنادقة وملحدة ومجوسا؛ حيث قاسوا فعل الرب بأفعال العباد وشبهوا الله بخلقه ولم يعوا عنه ما خاطبهم به؛ حيث يقول: ﴿**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٣] .فمما لا يحل لأحد أن يتفكر فيه ولا يسأل عنه، ولا يقول فيه: لم لا ينبغي لأحد أن يتفكر لم خلق الله إبليس وهو قد علم قبل أن يخلقه أنه سيعصيه، وأن سيكون عدوا له ولأوليائه؟ ولو كان هذا من فعل المخلوقين إذا علم أحدهم أنه إذا اشترى عبدا يكون عدوا له ولأوليائه، ومضادا له في محابه، وعاصيا له في أمره،

---

(١) شرح السنة «ص: ٨٠».

(٢) الشريعة «٢/ ٧٠٢».

ولو فعل ذلك لقال أولياؤه وأحباؤه: إن هذا خطأ وضـعف رأي وفسـاد نظام الحكمة، فمن تفكر في نفسه وظن أن الله لم يصب في فعله حيث خلق إبليس؛ فقد كفر، ومن قال: إن الله لم يعلم قبل أن يخلق إبليس أنه يخلق إبليس عدوا له ولأوليائه، فقد كفر، ومن قال: إن الله لم يخلق إبليس أصـلا، فقد كفر. وهذا قول الزنادقة الملحدة، فالذي يلزم المسـلمين من هذا أن يعلموا أن الله خلق إبليس وقد علم منه جميع أفعاله؛ ولذلك خلقه، ويعلموا أن فعل الله ذلك عدل صواب، وفي جميع أفعاله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون"(١)

قال أبو المظفر السـمعاني–رحمه الله–«ت: ٤٨٩ هـ»: "قد ذكرنا أن سـبيل معرفة هذا الباب التوقيف من قبل الكتاب والسـنة، دون محض القياس، ومجرد المعقول، فمن عدل عن التوقيف في هذا الباب، ضـل وتاه في بحار الحيرة، ولم يبلغ شـفاء النفس، ولا وصـل إلى ما يطمئن به القلب؛ وذلك لأن القدر سـر من سـر الله وعلم من علمه ضـربت دونه الأسـتار، وكفت عليه الأزرار، واختص الله به علام الغيوب. حجبه عن عقول البشـر ومعارفهم؛ لما علم من الحكمة، وسـبيلنا أن ننتهي إلى ما حد لنا فيه، وألا نتجاوز إلى ما وراءه، فالبحث عنه تكلف، والاقتحام فيه تعمق وتهور.

وجماع هذا الباب أن يعلم أن الله تعالى طوى عن العالم علم ما قضـاه وقدره على عباده، فلم يطلع عليه نبيا مرسـلا، ولا ملكا مقربا؛ لأنه خلقهم ليتعبدهم ويمتحنهم. قال الله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ **[الذاريات: الآية: ٥٦]** ... فلو كشف لهم عن سـر ما قضـى وقدر لهم وعليهم في عواقب أمورهم لافتتنوا، وفتروا عن العمل، واتكلوا على مصـير الأمر في العاقبة، فيكون قصـاراهم عند ذلك أمن أو قنوط. وفي ذلك بطلان العبادة وسـقوط الخوف والرجاء؛ فلطف الله سـبحانه بعباده وحجب عنهم علم القضـاء والقدر، وعلقهم بين الخوف والرجاء، والطمع والوجل؛ ليبلو سـعيهم واجتهادهم، وليميز الله

---

(١) الإبانة الكبرى «٣/ ٢٤٨».

الخبيث من الطيب، ولله الحجة البالغة"[١]

قال البغوي-رحمه الله-«ت: ٥١٠ هـ»: "القدر سر من أسرار الله لم يطلع عليه ملكا مقربا، ولا نبيا مرسلا، لا يجوز الخوض فيه والبحث عنه بطريق العقل، بل يعتقد أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق، فجعلهم فريقين: أهل يمين خلقهم للنعيم فضلا، وأهل شمال خلقهم للجحيم عدلا"[٢]

قال ابن أبي العز-رحمه الله-«ت: ٧٩٢ هـ»: "أصل القدر سر الله في خلقه، وهو كونه أوجد وأفنى، وأفقر وأغنى، وأمات وأحيا، وأضل وهدى. قال علي-رضي الله عنه-«ت: ٤٠ هـ»: القدر سر الله فلا تكشفه"[٣]

قال ابن رجب-رحمه الله-«ت: ٧٩٥ هـ»: "قد ورد النهي عن الخوض في القدر، ...، والنهي عن الخوض في القدر يكون على وجوه:

منها: ضرب كتاب الله بعضه ببعض، فينزع المثبت للقدر بآية والنافي له بأخرى. ويقع التجادل في ذلك... وهذا من جملة الاختلاف في القرآن والمراء فيه، وقد نهي عن ذلك.[٤]

ومنها: الخوض في القدر إثباتا ونفيا بالأقيسة العقلية: كقول القدرية: لو قدر وقضى ثم عذب كان ظالما. وقول من خالفهم: إن الله جبر العباد على أفعالهم، ونحو ذلك.

ومنها: الخوض في سر القدر، وقد ورد النهي عنه عن علي وغيره من السلف؛ فإن العباد لا يطلعون على حقيقة ذلك"[٥]

المسألة الخامسة: أركان الإيمان بالقدر:

---

(١) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني «٢/ ٣٠».

(٢) شرح السنة «١/ ١٤٤».

(٣) شرح الطحاوية «١/ ٣٢٠».

(٤) أخرجه من طرق: أبو داود «٤٦٠٣»، وأحمد «٩٤٧٩» بلفظ: "المراء في القرآن كفر" صححه ابن حبان في صحيحه «١٤٦٤»، والحاكم على شرط مسلم في المستدرك «٢/ ٢٤٣»، والنووي في التبيان «٢٠٦».

(٥) بيان فضل علم السلف على علم الخلف «ص: ٤١-٤٦».

الإيمان بالقدر له أربعة أركان، ويســـميها بعض العلماء أيضًـــا: «مراتب القدر»، وهذه الأركان الأربعة هي:

الركن الأول: العلم:

الركن الأول- أو المرتبة الأولى من مراتب الإيمان بالقدر- هو العلم، فيجب الإيمان بأن الله يعلم ما كان وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف سيكون، فالله يعلم القدر قبل وقوعه، **والأدلة على علم الله تعالى بالمقادير كثيرة، منها:**

قال تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَـــبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَـــيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَـــيْءٍ عِلْمًا**﴾. **[الطلاق: الآية: ١٢]**

فالله سـبحانه وتعالى قد أحاط بكل شـيءٍ علما، ولذلك لما ذكر الله تعالى الخلق اسـتدل به على العلم والقـدرة ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَـــبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ**﴾ **[الطلاق: الآية: ١٢]**، ثم قال بعدها: ﴿**لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَـــيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا**﴾.

فتأمل السـياق في الحديث عن الخلق، الله الذي خلق سـبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن هذا حديث عن الخلق، لكنه دلالة على أمرين هم؟ لتعلموا أن الله على كل شيء قدير، فالخلق دليل على القدر، فكيف يخلق من لا يقدر، فهل الذي لا يقدر يستطيع أن يخلق؟ فبما أنه هو الخالق فهو قادر، وكيف يخلق ما لا يعلم؟ فبالتالي استشـهد بخلقه على قدرته وعلى علمه، لذلك قال: ﴿**لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَـــيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا**﴾.

فالله سـبحانه وتعالى علم الأشـياء قبل خلقها، وهو سـبحانه وتعالى يعلم ما سـيكون، بل ما لم يكن لو كان كيف يكون، فالله سـبحانه وتعالى عندما ذكر أصـحاب النار قال عنهم: ﴿**وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ**﴾ [الأنعام: الآيـة: ٢٨]، فلو أُخرج أهـل النـار من النـار

وعادوا إلى الدنيا لعادوا إلى كفرهم.

فإذاً يعلم مالم يكن لو كان كيف يكون، فعلمه سبحانه وتعالى محيطٌ بكل شيء،

- قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ **[الحشر: الآية: ٢٢]**.

- وقال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ **[الطلاق: الآية: ١٢]**.

- وقال تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾ [سبأ: الآية: ٣].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ **[النحل: الآية: ١٢٥]**.

- وقال تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ **[النجم: الآية: ٣٢]**.

وقال الله تعالى-مقررًا علمه بما لم يكن لو كان كيف سيكون-: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ **[الأنعام: الآية: ٢٨]**، فالله يعلم أن هؤلاء المكذبين الذين يتمنون في يوم القيامة الرجعة إلى الدنيا أنهم لو عادوا إليها لرجعوا إلى تكذيبهم وضلالهم.

وقال في الكفار الذين لا يطيقون سماع الهدى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ **[الأنفال: الآية: ٢٣]**.

ومن علمه تبارك وتعالى بما هو كائن: علمه بما كان الأطفال الذين توفوا صغارًا عاملين لو أنهم كبروا قبل مماتهم، وبيانه فيما يلي:

- **عن ابن عباس-رضي الله عنهما-«ت: ٦٨ هـ»**، قال: " سئل النبي-صلى الله عليه وسلم-عن أولاد المشركين، فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين "[١].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب القدر باب الله أعلم بما كانوا عاملين «٨/ ١٢٢» رقم: «٦٥٩٧».

- **وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها**-«**ت: ٥٧ أو ٥٨ هـ**»، قالت: توفي صبيٌّ، فقلت: طوبى له عصفور من عصافير الجنة. فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: " **أَوَلَا تدرين أن الله خلق الجنة والنار، فخلق لهذه أهلًا ولهذه أهلًا؟**"[(١)].

وفي رواية عند مسلم- أيضًا- **عن عائشة-رضي الله عنها**-«**ت: ٥٧ أو ٥٨ هـ**» قالت: "دُعي رسول الله-صلى الله عليه وسلم-إلى جنازة صبي من الأنصار، فقلت: يا رسول الله طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل السوء ولم يدركه. قال: «**أَوَغَير ذلك يا عائشة، إن الله خلق للجنة أهلًا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلًا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم**"[(٢)]

وكان أول من أنكره القدرية فأنكروا علم الله السابق، فزعم القدرية الأوائل أن الله سبحانه وتعالى لا يعلم الأشياء قبل وقوعها، فهذا أول حال القدرية، ثم إن القدرية بعد ذلك تراجعوا عن إنكار العلم السابق وأثبتوا العلم السابق، ولكن أنكروا قدرة الله في فعل العبد، فالله سبحانه وتعالى علم الأشياء قبل كونها.

الركن الثاني: الكتابة

الركن الثاني- أو المرتبة الثانية من مراتب الإيمان بالقدر- هو الكتابة، فيجب الإيمان بأن الله تعالى كتب كل المقادير في اللوح المحفوظ وسطر فيها كل ما هو كائن إلى يوم القيامة.

واللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه مقادير الخلائق سماه القرآن بالكتاب، وبالكتاب المبين، وبالإمام المبين وبأم الكتاب، والكتاب المسطور.

- قال تعالى: ﴿**بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ**﴾ **[البروج: الآيات: ٢١، ٢٢]**،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين «٤/٢٠٥٠» رقم: «٢٦٦٢».

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين «٤/٢٠٥٠» رقم: «٢٦٦٢».

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: الآية: ٧٠]،

وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: الآية: ١٢]،

وقال تعالى: ﴿وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ [الطور: الآيات: ١-٣]،

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: الآية: ٤]،

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص–رضي الله عنهما–«ت: ٦٥ هـ»، عن النبي–صلى الله عليه وسلم–أنه قال: «**إنَّ الله قدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء**».[(١)]

قال عبادة بن الصامت–رضي الله عنه–«ت: ٣٤ هـ» لابنه: يا بني، إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، يقول: «**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**»، يا بني إني سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: «**من مات على غير هذا فليس مني**»[(٢)]

وعن ابن عباس–رضي الله عنهما–«ت: ٦٨ هـ»، قال: "كنت خلف رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يوما، فقال: «**يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام**

(١) أخرجه مسلم كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى برقم: «٢٦٥٣».

(٢) أخرجه أبو داود «٤٧٠٠» والترمذي «٢١٥٥»، وصححه الألباني في صحيح الترمذي «٢٦٤٥».

وجفت الصحف».[١]

أنواع التقدير:

ذكر ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ» أقسام التقدير الخمسة، وأوضحها بأدلتها، وهي باختصار:

التقدير الأول: تقدير المقادير قبل خلق السماوات والأرض، وهو التقدير العام الشامل لكل شيء في اللوح المحفوظ، وقد سبق ذكر بعض الأدلة عليه.

التقدير الثاني: تقدير الرب- تبارك وتعالى- شقاوة العباد وسعادتهم وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم قبل خلقهم، وهو تقدير ثان بعد التقدير الأول، فعن عمران بن حصين قال: "قيل: يا رسول الله، علم أهل الجنة من أهل النار؟ فقال «نعم». قيل: ففيم يعمل العاملون؟ قال: «كل ميسر لما خلق له»."[٢]

التقدير الثالث: المتعلق بالجنين وهو في بطن أمه، وهو تقدير شقاوته وسعادته ورزقه وأجله وعمله؛ فعن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-«ت: ٣٢ هـ»، قال: حدثنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو الصادق المصدوق: **«إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله إليه الملك؛ فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات؛ بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»**.[٣]

---

(١) أخرجه أحمد في المسند «١/ ٢٩٣» «٢٦٦٩»، والترمذي «٢٥١٦»، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح «٥٣٠٢».

(٢) أخرجه البخاري «٧٥٥١» ومسلم «٢٦٤٩» واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري «٣٢٠٨» ومسلم «٢٦٤٣».

التقدير الرابع: التقدير في ليلة القدر؛ قال الله تعالى: ﴿**حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ**﴾ [الدخان: الآيات: ١ - ٥].

قال أبو عبد الرحمن السلمي -رحمه الله- «ت: ٧٤ هـ»: "يقدر أمر السنة كلها في ليلة القدر"، وهذا هو الصحيح: أن القدر مصدر قدر الشيء يقدره قدرا، فهي ليلة الحكم والتقدير.

التقدير الخامس: التقدير اليومي؛ قال تعالى: ﴿**يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾ **[الرحمن: الآية: ٢٩].**

قال مجاهد -رحمه الله- «ت: ١٠٤ هـ»، والكلبي -رحمه الله- «ت: ١٠٤ هـ»، وعبيد بن عمير -رحمه الله- «ت: ٧٣ هـ»، وأبو ميسرة -رحمه الله- «ت: ٦٣ هـ»، وعطاء -رحمه الله- «ت: ١١٤ هـ»، ومقاتل -رحمه الله- «١٥٠ هـ»: "من شأنه: أن يحيي ويميت، ويرزق ويمنع، وينصر، ويعز ويذل، ويفك عانيا، ويشفي مريضا، ويجيب داعيا، ويعطي سائلا، ويتوب على قوم، ويكشف كربا، ويغفر ذنبا، ويضع أقواما، ويرفع آخرين. دخل كلام بعضهم في بعض ...".

إلى أن **قال ابن القيم -رحمه الله- «ت: ٧٥١ هـ»:** "فهذا تقدير يومي، والذي قبله تقدير حولي، والذي قبله تقدير عمري عند تعلق النفس به، والذي قبله كذلك عند أول تخليقه، وكونه مضغة، والذي قبله تقدير سابق على وجوده، لكن بعد خلق السماوات والأرض، والذي قبله تقدير سابق على خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكل واحد من هذه التقادير كالتفصيل من التقدير السابق، وفي ذلك الدليل على علم الرب وقدرته وحكمته، وزيادة التعريف لملائكته وعباده المؤمنين بنفسه وأسمائه"[١]

الركن الثالث: المشيئة:

(١) شفاء العليل «ص: ٣١-٤٩».

الركن الثالث- أو المرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر- المشيئة، أي: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته التامة، فما شـــاء كان وما لم يشـــأ لم يكن، وأنه لا حركة ولا ســـكون في السماوات ولا في الأرض إلا بمشيئته، فلا يكون في ملكه إلا ما يريد.

والنصوص المصرحة بهذا الركن المقررة له كثيرة، منها:

- قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَّشَاءَ اللهُ﴾ **[التكوير: الآية: ٢٩]**.

- وقال تعالى: **﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْموتَى وَحَشَـــرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَّشَاءَ اللهُ﴾ [الأنعام: الآية: ١١١]**.

- وقال تعالى: **﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ» [الأنعام: الآية: ١١٢]**.

- وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَـــيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: الآية: ٣٦].

- وقال تعالى: **﴿مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: الآية: ٣٩]**.

ومشـيئة الله النافذة وقدرته الشـاملة يجتمعان فيما كان وما سـيكون، ويفترقان فيما لم يكن ولا هو كائن، فما شـاء الله تعالى كونه فهو كائن بقدرته لا محالة، وما لم يشـأ الله تعالى إياه لا يكن لعدم مشيئة الله تعالى ليس لعدم قدرته عليه.

- قال تعالى: **﴿ولو شـــاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد» [البقرة: الآية: ٢٥٣]**.

- وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [المائدة: الآية: ٤٨].

- وقال تعالى: **﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ [الأنعام: الآية: ٣٥]**.

- وقال تعالى: **﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكُوا» [الأنعام: الآية: ١٠٧]**.

- وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ﴾ [يونس: الآية: ٩٩].

وجاء في حديث **حذيفة بن أســـيد-رضـــي الله عنه-«ت: ٤٢ هـ»** في شـــأن

الجنين: «**فيقضي ربك ما يشاء، ويكتب الملك**».[(١)].

وعن أبي موسى الأشعري-رضي الله عنه-«ت: ٤٤ هـ»، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-: «**اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما يشاء**».[(٢)].

الركن الرابع: الخلق

الركن الرابع- أو المرتبة الرابعة من مراتب الإيمان بالقدر- الخلق، أي: خلق الله تبارك وتعالى لكل موجود، لا شريك لله في خلقه.

وقد قررت النصوص أن الله خالق كل شيء، فهو الذي خلق الخلق وكوَّنهم وأوجدهم، فهو الخالق وما سواه مربوب مخلوق.

ومن أدلة القرآن الكريم:

الله تعالى خالق كل شيء، ومن ذلك أفعال العباد، فلا يقع في هذا الكون شيء إلا وهو خالقه...

١-قال تعالى في قصة إبراهيم الخليل عليه السلام حيث كسر أصنامهم ثم جاء إليه قومه يناقشونه مسرعين فقال لهم كما حكى الله عنه: ﴿**أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ **[الصافات: الآيات: ٩٥-٩٦]**، أي خلقكم وعملكم فتكون «ما» مصدرية، وقيل: إنها بمعنى الذي، فيكون المعنى: والله خلقكم وخلق الذي تعملونه بأيدكم وهو الأصنام[(٣)] وقد ذكر ابن كثير القولين ثم قال: "وكلا القولين متلازم، والأول أظهر"[(٤)] وقد علل ذلك بما يؤيده من رواية البخاري في أفعال العباد **عن حذيفة-رضي الله عنه-«ت:**

---

(١) أخرجه مسلم «٢٦٤٥».

(٢) أخرجه البخاري «١٤٣٢».

(٣)انظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي «٧/ ٧٠».

(٤) تفسير ابن كثير «٧/ ٢٢».

٣٦ هـ» قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله يصنع كل صانع وصنعته**»[(١)]، وتلا بعضهم عند ذلك ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ **[الصافات: الآية: ٩٦]**، فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة فالله تعالى خالق الخلق وأفعالهم كما دلت على ذلك الآية والحديث.

٢-وقد وردت آيات كثيرة تدل دلالة واضحة على أن كل شيء مما في هذا الكون مخلوق لله سبحانه وتعالى, وقد وردت هذه الآيات بلفظ العموم فقال تعالى: ﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ **[الرعد: الآية: ١٦]**، وفي آية أخرى: ﴿**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ **[غافر: الآية: ٦٢]**، وهذه نصوص واضحة في الدلالة على مرتبة الخلق، وقد جاءت الآية الأولى في معرض إنكار أن يكون للشركاء خلق كخلقه، سبحانه وتعالى فنفى ذلك سبحانه آمراً رسوله أن يقرر هذه الحقيقة التي تفصل في الأمر وتدل على وحدانية الله تعالى وانفراده بالخلق والرزق: ﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾ **[الرعد: الآية: ١٦]**، وفي موضع آخر جاءت هذه الآية لبيان قدرة الله تعالى وكماله ودلائل وحدانيته: ﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾ **[الزمر: الآية:٦٢]**، أما الآية الثانية فقد جاءت أيضاً لبيان قدرة الله التامة حيث جعل لعبادة الليل والنهار ثم بين سبحانه أنه خالق كل شيء.

٣-وقال تعالى ممتناً على الصحابة رضوان الله عليهم بعد أن أمرهم بالتثبت في خبر الفاسق. ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ**﴾. **[الحجرات: الآية: ٧]**، والشاهد قوله: ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ**﴾.. ﴿**وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ**﴾...، فهو سبحانه هو الذي جعل الإيمان محبوباً أو أحب الأشياء إليكم، وهو الذي حسنه بتوفيقه وقربه منكم، وهو الذي جعل ما يضاد الإيمان من الكفر والفسوق والعصيان مكروها عندكم، وذلك بما أودع في قلوبكم من كراهة الشر وعدم

---

(١) رواه البخاري في خلق أفعال العباد «١٠٢». وصححه ابن حجر في فتح الباري «١٣/ ٥٠٧»، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة «١٦٣٦» وقال: على شرط مسلم.

إرادة فعله، فالفاعل في كل ذلك هو الله تعالى. [(١)]

وهناك آيات أخرى كثيرة تدل على أن الله تعالى هو المضـــل، والهادي, والمؤيد لعباده المؤمنين، والهازم لأعدائهم، وأنه المضـحك, والمبكي، والمميت, والمحيي, وكل ذلك دليل على مرتبة الخلق، وقد أورد ابن كثير عند تفسـيره لآية الحجرات السـابقة، حديثاً يدل على هذه المرتبة عن ابن رفاعة الزرقي قال: لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**استووا حتى أثني على ربي، فصاروا خلفه صفوفاً، فقال: اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لما أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما بعدت، ولا مباعد لما قربت، اللهم ابسط علينا من بركاتك، ورحمتك، وفضلك، ورزقك، اللهم إني أسالك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إني أسـالك النعيم يوم العيلة، والأمن يوم الخوف، اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا، وشر ما منعت، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين، وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك، ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب، إله الحق**». [(٢)] فترى في هذا الحديث بأن الله تعالى هو الفاعل لهذه الأمور، وهذا دليل على مرتبة الخلق.

الأدلة من السنة:

١-**عن زيد بن أرقم-رضـي الله عنه-«ت: ٦٨ هـ»** قال: لا أقول لكم إلا كما كان

---

(١) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق خان «٩/ ٧٤»، وانظر: تفسير ابن السعدي «٧/ ١٣١»، وانظر: شفاء العليل لابن القيم «ص: ٥٧».

(٢) رواه أحمد «٣/ ٤٢٤» «١٥٥٣١»، والبزار «٩/ ١٧٥»، والبخاري في الأدب المفرد «٥٣٨». وقال: [فيه] عبد الواحد بن أيمن مشهور ليس به بأس في الحديث، روى عنه أهل العلم، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد «٦/ ١٢٤»: رجاله رجال الصحيح، وصححه ابن حجر في نتائج الأفكار «٢/ ١٦٣» والألباني في صحيح الأدب المفرد «٥٣٨».

رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يقول: كان يقول: «**اللهم أعوذ بك من العجز والكسـل، والجبن والبخل، والهرم وعذاب، القبر اللهم آت نفســـي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها**...». الحديث[1] والشـــاهد قوله: «**اللهم آت نفســـي تقواها وزكها**...»، فالفاعل هو الله تعالى، فهو الذي يطلب منه ذلك ولفظ «**خير**» ليس للتفضيل، بل لا مزكي للنفس إلا الله، ولهذا قال بعد ذلك: «**أنت وليها ومولاها**». [2] فهو ســـبحانه الملهم للنفس الخير والشر، قال تعالى: ﴿**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾ [**الشمس: الآية: ٨**].

قال سعيد بن جبير-رحمه الله-«ت: ٩٥ هـ» في تفسير هذه الآية: ﴿**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾ [**الشـمس: الآية: ٨**]، أي: فالخلق والإنسـان قادر على سلوك أيهما شاء ومخير فيه.

وقـال ابن زيـد-«ت: ١٨٢ هـ»، في معنى الآيـة: "جعـل ذلـك فيهـا بتوفيقـه إياهـا للتقوى"[3]

٢- وعن **وراد مولى المغيرة بن شـعبة «ت: غير معروف سـنة وفاتة»** قال: كتب معاوية إلى المغيرة: اكتب إلي ما سمعت النبي-صلى الله عليه وسلم-يقول خلف الصلاة، فأملى عليّ المغيرة قال: سمعت النبي-صـلى الله عليه وسـلم-يقول: خلف الصـلاة: «**لا إله إلا الله وحده لا شـــريك له، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**». [4] والشـــاهد قوله: «**اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت**»، فالمعطي والمانع هو الله تعالى فهو الفاعل لهما، وهذا يدل على أن الخالق هو الله ســـبحانه وتعالى وقوله: «**ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»، أي لا ينفع ذا الغنى منك غناه، أو لا ينجيه حظه

(١) رواه مسلم «٢٧٢٢».

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي «١٧/ ٤١».

(٣) الكشف والبيان للثعلبي «١٠/ ٢١٣»، وزاد المسير «٩/ ١٤٠»، و تفسير البغوي «٨/ ٤٣٨».

(٤) رواه البخاري «٨٤٤»، ومسلم «٥٩٣».

منك، بل ينفعه عمله الصالح.

٣-وقد قال-صلى الله عليه وسلم-**لأبي موسى الأشعري-رضي الله عنه-«ت: ٤٤ هـ»**: «**يا عبد الله بن قيس، ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟**». فقلت بلى يا رسول الله، قال: «**قل: لا حول ولا قوة إلا بالله**». [(١)]، والشاهد قوله: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**»، ففيها الاعتراف بأنه لا صانع غير الله، ولا راد لأمره، وأن العبد لا يملك من أمره شيئاً، فمعناها: لا حركة, ولا استطاعة, ولا حيلة إلا بمشيئة الله تعالى[(٢)] وقيل: معناه لا حول في دفع شر ولا قوة في تحصيل خير إلا بالله، وقيل: «**لا حول عن معصية الله إلا بعصمته، ولا قوة على طاعة الله إلا بمعونته**»[(٣)]، وحكي هذا **عن ابن مسعود-رضي الله عنه-«ت: ٣٢ هـ»**، وكله متقارب، والكنز هنا: معناه ثواب مدخر في الجنة عند الله وهو ثواب نفيس [(٤)].

فهذه مراتب القدر وأركانه الأربعة التي يجب على العبد أن يؤمن بها حتى يكون مؤمنًا بالقدر.

وقد يقسم بعض العلماء مراتب القدر إلى درجتين:

فقد قسم **ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»**: "الإيمان بالقدر على درجتين، كل درجة تتضمن شيئين" - بين فيه مراتب القدر الأربع التي هي:«العلم والكتابة والمشيئة والخلق».

فذكر هنا مراتب القدر، وجمع هنا بين مرتبتين؛ مرتبة العلم ومرتبة الكتابة؛ باعتبار أنهما

---

(١) رواه البخاري «٤٠٢٥» بلفظ: «ألا أدلك على كلمة» بدلاً من «ألا أدلك على كنز»، ومسلم «٢٧٠٤».

(٢) انظر: تهذيب اللغة للأزهري «٥/ ٢٤٣»، لسان العرب «١١/ ١٨٤» مادة: «حول».

(٣) رواه البزار «٥/ ٣٧٤»، والبيهقي في «١/ ٤٤٦» «٦٦٤»، والديلمي «٥/ ٣٧٥» «٨٤٧٨». بلفظ: «إلا بعون الله» بدلاً من «إلا بمعونته». قال الهيثمي في مجمع الزوائد «١٠/ ١٠٢»: رواه البزار بإسنادين أحدهما: منقطع وفيه عبد الله بن خراش، والغالب عليه الضعف، والآخر: متصل حسن، وقال الحسيني في البيان والتعريف «٢/ ٢٨٩»: سنده لا بأس به.

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي «١٧/ ٢٦-٢٧»، وانظر: عمدة القاري للعيني «٢٣/ ١٥٤».

متلازمتان، كما أنه بالدرجة الثانية جمع بين الخلق والمشـــيئة، فالقســـمة إما ثنائية وإما رباعية، فإذا قلت: رباعية، فتقول: «العلم، الكتابة، الخلق، المشيئة».

وإذا قلت ثنائية، فتقول: «العلم، الكتابة»، أي: علم سبحانه وتعالى ذلك وكتبه، ثم خلقه وشاءه.

فقال: «الإيمان بالقدر على درجتين؛ كل درجة تتضمن شيئين:

فالدرجة الأولى: الإيمان بالعلم والكتابة»؛ فالله- تعالى علم الأشـــياء قبل كونها، ويعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، كما أخبر- مثلا- عن شـــأن أهل النار فقال: ﴿**وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ**﴾ [الأنعام: الآية: ٢٨]؛ فلو ردوا إلى الدنيا فسـيكون منهم عودة إلى ما نهاهم الله عنه، وهذا لا يكون، ولكنه لو كان فســـيكون بهذه الحال، فالله سـبحانه وتعالى علم الأشـياء قبل كونها، وهو عليم بها أثناء كونها، وعليم بما سـيكون، وعليم بما لم يكن لو كان كيف يكون، فسبحان من وسع علمه كل شيء!

فهو عليم بما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصـوف به أزلا وأبدا؛ ونحن نؤمن أن الله متصف بجميع الصفات أزلا وأبدا.

المسألة السادسة: مواقف المخالفين من مراتب القدر

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "الناس قد تنازعوا في القدر، وخاضـــوا فيه بغير علم، وهذا باب عظمت فيه الفتنة، وكثر فيه النزاع، وما يصـــيب الإنســـان من الحيرة والضلال، إلا من جهة الجهل بالقدر"[(١)].

قال ابن أبي العز–رحمه الله–«ت: ٧٩٢ هـ»: "وأكبر المســـائل التي وقع فيها الخلاف بين الأمة مسألة القدر، وقد اتسع الكلام فيها غاية الاتساع"[(٢)]

(١) مجموع الفتاوى، «٨/ ٢٦٢».

(٢) شرح العقيدة الطحاوية «ص: ٣٤٠».

وقد حدثت بدعة "القدرية" في آخر عصر الصحابة[(١)]. وكان القدر قد حدث أهله قبل أهل النفي للصفات، فمقالة القدر ظهرت في خلافة عبد الله الزبير -رضي الله عنه- «٦٤-٧٣هـ» بعد موت معاوية[(٢)]

ولهذا تكلم فيهم عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله، وواثلة بن الأسقع[(٣)] -رضي الله عنهم-.

وابن عباس -رضي الله عنهما- مات «٦٨هـ» قبل ابن الزبير وابن عمر مات عقب موته «٧٤هـ». وعقب ذلك تولى الحجاج العراق سنة بضع وسبعين، فبقي الناس يخوضون في القدر بالحجاز، والشام، والعراق، وأكثره كان بالشام والعراق بالبصرة، وأقله كان بالحجاز[(٤)]

وأول من عرف بنفي القدر، رجل مجوسي يقال سيسويه من الأساورة، وإن كان قد اشتهر أن أول من قال به معبد الجهني[(٥)]

قال الهروي -رحمه الله- «ت: ٤٨١ هـ»: "فأما القدر فأول من تكلم به معبد الجهني رجل من أهل البصرة، كان عنده حظ من العلم يقال له معبد بن خالد، ويقال معبد ابن عبد الله بن عويم، مات بعد الهزيمة وكان يومئذ مع ابن الأشعث، وأصابته جراحة، وهو أول من تكلم بالقدر، وهو الذي تبرأ منه عبد الله بن عمر بن الخطاب.[(٦)] مات قبل التسعين [(٧)]

---

(١) منهاج السنة «١/٣٠٨».

(٢) الحسنة والسيئة «ص: ١٠٣».

(٣) منهاج السنة «ص: ١٠٣».

(٤) الحسنة السيئة «ص: ١٠٣».

(٥) تهذيب التهذيب «١٠/ ٢٢٥».

(٦) ذم الكلام «ص: ٣٠٣».

(٧) سير أعلام النبلاء «٤/ ١٨٧».

قتله الحجاج بن يوسف وقيل صلبه عبد الملك بن مروان سنة ثمانين"[١]

وأخذ غيلان الدمشقي عن معبد الجهني [٢]

قال الهروي-رحمه الله-«ت: ٤٨١ هـ»: "فتكلم عليه عمرو بن عبيد، وجادل به غيلان بن مسلم الدمشقي «ت: ١٠٦ هـ» وغيلان هو ابن أبي غيلان أبو مروان من موالي عثمان، وكان عنده حظ من العلم، تكلم به أيام عبد الملك بن مروان-رحمه الله-«ت: ٨٦ هـ»، واستتابه عمر بن عبد العزيز-رحمه الله-«ت: ١٠١ هـ»، ثم ظهر منه تكذيب التوبة [٣] زمن يزيد بن عبد الملك-رحمه الله-«ت: ١٠٥ هـ»، ثم لما ولى هشام بن عبد الملك سنة «١٠٦هـ»، أرسل إلى غيلان وأحضر له الأوزاعي لمناظرته، ثم قتله [٤] فصلب على باب الشام بأخزى حالة لقيها بشر"[٥]

"وأما عمرو بن عبيد فهو عمرو بن كيسان أبو عثمان مولى بني تميم البصري، مات سنة ثلاث وأربعين ومائة في طريق مكة فإنه أول من بسط أساسه فأصبح رأسه، ونظم له كلامًا ونصبه إمامًا، ودعا إليه ودل عليه، فصار مذهبًا يسلك، وهو إمام الكلام وداعية الزندقة الأولى رأس المعتزلة، سموا به لاعتزاله حلقة الحسن البصري-رحمه الله-«ت: ١١٠ هـ»، وهو الذي لعنه إمام أهل الأثر مالك بن أنس الأصبحي-رحمه الله-«ت: ١٧٩ هـ»، وإمام أهل الرأي النعمان بن ثابت الكوفي أبو حنيفة-رحمه الله-«ت: ١٥٠ هـ»، وحذر منه إمام أهل الشرق عبد الله بن المبارك الحنظلي-رحمه الله-«ت: ١٨١ هـ»، فسلط الله عليه وعلى من استتبع واخترع، سيفاً من سيوف الإسلام وهو أبو بكر أيوب بن أبي تميمة السختياني-رحمه

---

(١) تهذيب التهذيب «١٠/ ٢٢٥»، سير أعلام النبلاء «٤/ ١٨٧».

(٢) سير أعلام النبلاء «٤/ ١٨٧».

(٣) ذم الكلام «ص: ٣٠٣».

(٤) الشريعة للآجري «ص: ٢٢٨»، التنبيه والرد للملطي «ص: ١٦٨».

(٥) ذم الكلام ص: ٣٠٣».

الله-«ت: ١٣١ هـ»، فهتك استاره، وأظهر عواره، ورسمه باللعنة وألحق به بلاء تلك الفتنة"[(١)]

فقد تلقَّف المعتزلة مقالة القدرية حتى بعد ذلك أصبح إذا قيل: القدرية، فإن الذي يعنى بذلك هم المعتزلة في ذلك الحين.

ونفاة القدر أرادوا منازعة الله في الربوبية فضاهوا بذلك المجوسية الأولى وهم الزنادقة. [(٢)]

وأصل بدعة القدرية كانت من عجز عقولهم عن الإيمان بقدر الله والإيمان بأمره ونهيه ووعده ووعيده، وظنوا أن ذلك ممتنع؛ وكانوا قد آمنوا بدين الله وآمره ونهيه ووعده ووعيده، وظنوا أنه إذا كان كذلك لم يكن قد علم قبل الأمر من يطيع ومن يعصي، لأنهم ظنوا أن من علم ما سيكون لم يحسن منه أن يأمر وهو يعلم أن المأمور يعصيه، وظنوا أيضاً أنه إذا علم أنهم يفسدون لم يحسن أن يخلق من يفسد.

فلما بلغ قولهم بإنكار القدر الصحابة أنكروه إنكاراً عظيماً وتبرؤا منهم. ثم كثر الخوض في القدر فصار مقتصدوهم وجمهورهم يقرون بالقدر السابق وبالكتاب المتقدم، وصار النزاع في الإرادة وخلق أفعال العباد فصاروا في ذلك حزبين.

١- "النفاة": يقولون لا إرادة إلا بمعنى المشيئة، وهو لم يرد إلا ما أمر به، ولم يخلق شيئاً من أفعال العباد.

٢- "المجبرة" كالجهم بن صفوان «ت: ١٢٨ هـ» وأمثاله، قابلوا الفريق الأول فقالوا ليست الإرادة إلا بمعنى المشيئة، والأمر والنهي لا يستلزم إرادة، وقالوا العبد لا فعل له البتة ولا قدرة، بل الله هو الفاعل القادر فقط. [(٣)]

أولًا: الموقف من مرتبة العلم والكتابة.

---

(١) ذم الكلام «ص: ٣٠٣».

(٢) ذم الكلام «ص: ٣٠٥».

(٣) مجموع الفتاوى «١٣/ ٣٦،٣٧».

والقدرية [(١)] ينقسمون إلى قسمين:

القدرية الأولى

وهؤلاء هم الغلاة الذين أنكروا القدر وأنكروا علم الله السـابق بالأمور، "فيقولون إن الله لا يعلم أعمال العباد قبل أن يعملوها، ولا تعلقت بها مشـيئة الله، فلما شـنع عليهم المسـلمون، وكفروهم بذلك: تحولوا عن قولهم الأول فأثبتوا العلم، وأنكروا القدر.

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "فهذا التقدير– أي: تقدير العلم والكتابة– قد كان ينكره غلاة القدرية قديما، ويقولون: إن الأمر أنف؛ أي: أن الله لا يعلم أفعال العباد إلا بعد وجودها"[(٢)].

فغلاة القدرية يقولون والعياذ بالله–: إن الله لا يعلم أن العبد سـيعمل هذا العمل إلا عند وقوعه. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. والله سبحانه وتعالى عالم بكل شيء أزلا

ولهذا كان الأئمة كالإمام أحمد–رحمه الله–«ت: ٢٤١ هـ»، وغيره، يقولون: "ناظروا القدرية بالعلم فإن أنكروا العلم كفروا، وإن اعترفوا به خصموا"[(٣)]

قال حافظ حكمي–رحمه الله–«ت: ١٣٧٧ هـ»: "ثم منهم من نفى علم الله تعالى كأوليهم، ففيهم من نفى علمه بالكليات والجزئيات ومنهم من أثبت العلم بالكليات دون الجزئيات"[(٤)]

قال النووي –رحمه الله–«ت: ٦٧٦ هـ»: "واعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر، ومعناه: أن الله– تبارك وتعالى– قدر الأشياء في القدم، وعلم– سبحانه– أنها ستقع

(١) سموا بالقدرية لإنكارهم القدر، وكذلك تسـمى الجبرية المحتجون بالقدر قدرية أيضًـا، والتسـمية على الطائفة الأولى أغلب. شـرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز «١/ ٧٩»، و «٢/ ٧٩٧»، معجم ألفاظ العقيدة «ص: ٣١٦».

(٢) شرح العقيدة الواسطية «ص: ٢١٩».

(٣) الدرة البهية شرح القصيدة التائية «ص: ٢٠»، مجموع الفتاوى «٨/ ٤٥٠».

(٤) معارج القبول «٣/ ٩٤٥».

في أوقات معلومة عنده -سبحانه وتعالى-، وعلى صفات مخصوصة؛ فهي تقع على حسب ما قدرها -سبحانه وتعالى-، وأنكرت القدرية هذا، وزعمت أنه -سبحانه وتعالى- لم يقدرها، ولم يتقدم علمه -سبحانه وتعالى- بها، وأنها مستأنفة العلم، أي: إنما يعلمها- سبحانه- بعد وقوعها، وكذبوا على الله سبحانه وتعالى وجل عن أقوالهم الباطلة علوًا كبيرًا.

وسميت هذه الفرقة قدرية؛ لإنكارهم القدر؛ قال أصحاب المقالات من المتكلمين: وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل، ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه، وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر، لكن يقولون: الخير من الله، والشر من غيره"(١)

والنصوص في العلم والكتابة- بحمد الله تعالى- كثيرة وواضحة في الدلالة على هاتين المرتبتين: العلم والكتابة، كما تقدم ذكرهما.

ثانيًا: الموقف من مرتبة الخلق والمشيئة.

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "وأما الدرجة الثانية فهي مشيئته النافذة وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. وأنه ما في السموات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه إلا ما يريد، وأنه- سبحانه- على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات؛ فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه، لا خالق غيره، ولا رب سواه

وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي -صلى الله عليه وسلم- مجوس هذه الأمة، ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها"(٢)

فالقدرية الثانية:

---

(١) شرح النووي على مسلم «١/ ١٥٤».

(٢) شرح العقيدة الواسطية «ص: ٢٢٠-٢٢١».

زعموا "أن أفعال العباد وطاعاتهم ومعاصيهم، لم تدخل تحت قضاء الله وقدره، فأثبتوا قدرة الله على أعيان المخلوقات، وأوصـــافها، ونفوا قدرته على أفعال المكلفين، وقالوا: إن الله لم يردها ولم يشـأها منهم، بل: هم الذين أرادوها وشـاءوها، وفعلوها، اسـتقلالاً بدون مشـيئة الله"(١)

"فهؤلاء يقولون أن أفعال العباد ليســت مخلوقة لله، وإنما العباد هم الخالقون لها، وهذا هو مـذهب المعتزلة ومن وافقهم، فهم ينكرون مرتبتي المشـــيئة والخلق، فينفونها عن الله تعالى، ويثبتونها للإنسان"(٢)

وافترقت القدريَّة إلى عشـرين فرقة، وهذه أسماؤها: الواصلية، والعمرية، والهذلية، والنظامية، والمردارية، والمعمرية، والثمامية، والجاحظية، والخياطية، والشـحامية، وأصـحاب صـالح قبة، والمريسية، والكعبية، والجبائية، والبهشيمية المنسوبة إلى أبي هاشم بن الجبائي"(٣)

وابن تيمية–رحمه الله–يشير هنا إلى كل من القدرية والجبرية

وقد ضَلَّ في هذا الباب «باب أفعال الله» الجبريةُ والقدريةُ، وما زال إلى يوم الناس هذا مَن يَخبط فيه بين قائل بأن العبد مجبر على أفعاله، وبين قائل بأن العبد لا فِعل له ولا اختيار، وإنما هو كالريشة في مَهَبِّ الرِّيح، وأهل السنة والجماعة وسطٌ بين هذا وذاك.

وقد أوضَح **ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»**: هذا في «مَجموع الفَتاوى» قول أهل السـنة فقال: "وهم في باب خَلقِ الله وأمرِه وسـطٌ بين المكذِّبين بقُدرة الله الذين لا يُؤمنون بقُدرتِه الكاملة ومَشِيئته الشـاملة وخَلقِه لكل شـيء، وبين المفسـدين لدِين الله الذين يَجعلون العبدَ ليس له مَشِـيئةٌ ولا قُدرة ولا عمل، فيُعطِّلون الأمر والنهي والثوابَ والعقاب، فيَصِـيرون بمَنزلة المشـركين الذين قالوا: ﴿**لَوْ شَـاءَ اللَّهُ مَا أَشْـرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَـيْءٍ**﴾

---

(١) الدرة البهية شرح القصيدة التائية «ص: ١٧».

(٢) القضاء والقدر لعبد الرحمن المحمود «ص: ٣٠٥».

(٣) الفرق بين الفرق لعبدالقاهر البغدادي «ص: ٤٤».

[الأنعام: الآية: ١٤٨].

فيُؤمن أهل السُّــنَّة بأنَّ الله على كل شــيء قدير، فيَقدر أن يهدي العبادَ ويُقلِّب قلوبهم، وأنه ما شـاء الله كان وما لم يشـأ لم يكن، فلا يكون في مُلكِه ما لا يُريد، ولا يَعجَز عن إنفاذ مُرادِه، وأنه خالِق كلِّ شــيء من الأعيان والصِّــفات والحَرَكات. ويُؤمنون أن العبدَ له قُدرة ومشيئة وعملٌ، وأنه مُختار ولا يُسمُّونه مَجْبورًا؛ إذ المجْبور مَن أُكْرِه على خلاف اختِياره، والله عز وجل جعَل العبدَ مُختارًا لِمَا يفعله، فهو مختارٌ مُريد، والله خالِقُه وخالِقُ اختياره، وهذا ليس له نَظِيرٌ؛ فإن الله ليس كمثله شيءٌ، لا في ذاتِه ولا في صفاته ولا في أفعاله"[١]

وقال عبد الرحمن بن ناصــر بن سِّـعْدي-رحمه الله-«ت: ١٣٧٦ هـ»: "وهدَى الله أهلَ السُّـنَّة والجَمَاعَة للتوسُّـط بين طائفتين منحرفتينِ هم القدرية والجبرية، فآمَنوا بقضـاء الله وقدَره وشُمولهما للأعيان والأوصـــاف والأفعال التي مِن جُملتِها أفعالُ المكلَّفين وغيرهم، وآمَنوا بأنه ما شـــاء اللهُ كان وما لم يشـــأ لم يكُن، وآمنوا مع ذلك بأن الله تعالى جعَل للعِباد قُدرة وإرادة تقَعُ بها أقوالُهم وأفعالهم على حســـب اختِيارهم وإرادتهم، فآمَنوا بكلِّ نصٍّ فيه تعميمُ قدرة ومشـيئة، وبكلِّ نصٍّ فيه إثباتُ أنَّ العباد يعملون ويفعلون كلَّ الأفعال الكبيرة والصـغيرة بإرادتهم وقُدْرَتِهم، وعَلِموا أن الأمرينِ لا يَتنافيانِ"[٢].

وبهذا يتبين أن الملازمة الفاسـدة إنما هي في أذهان وعقيدة القدرية إذ لا تنافي بين مشـيئة الله ومشيئة العبد في معتقد أهل السنة والجماعة.

---

(١) مجموع الفَتاوى «٣/ ٣٧٣-٣٧٤».

(٢) التنبيهات اللطيفة «ص: ٦١، ٦٢».



٤- الإيمان بالملائكة

المسألة الأولى: التعريف اللغوي.
المسألة الثانية: التعريف بالملائكة.
المسألة الثالثة: حكم الإيمان بالملائكة.
المسألة الرابعة: ثمرات الإيمان بالملائكة.
المسألة الخامسة: صفات الملائكة وقدراتهم.
المسألة السادسة: مكانة الملائكة.
المسألة السابعة: نماذج من عبادة الملائكة.
المسألة الثامنة: علاقة الملائكة بالإنسان.
المسألة التاسعة: التفاضل بين الملائكة والبشر.

[٤]- قال المصنف رحمه الله: وخلق الْمَلَائِكَة جَمِيعًا لطاعته وجبلهم على عِبَادَته فَمنهمْ مَلَائِكَة بقدرته للعرش حاملون وَطَائِفَة مِنْهُم حول عَرْشه يسبحون وَآخَرُونَ بِحَمْدِهِ يقدسون وَاصْطفى مِنْهُم رسلًا إِلَى رسله، وَبَعض مدبرون لأَمره

الشرح

المسألة الأولى: التعريف اللغوي:

الملائكة: جمع، مفرده: ملك، واختلف أهل العربية: هل هي كلمة مشتقة، أو غير مشتقة؟؛ على قولين: [١]

القول الأول: أنها غير مشتقة، قال النضر بن شميل -رحمه الله- «ت: ٢٠٣ هـ»: "لا اشتقاق للمَلَكَ عند العرب"[٢]

وهذا -والله أعلم- فيه نظر: فإنه إن أراد أن الكلمة جامدة فكثرة تصاريف الكلمة إفرادًا، وتثنيةً، وجمعًا، وفعل ماض، وأمر... نثرًا، وشعرًا؛ كلها مما يدل على الاشتقاق.

وإن أراد أنها منقولة للعربية فليس مجرد التقارب في اللفظ دليلا على النقل، يقول ابن عاشور -رحمه الله- «ت: ١٣٩٣ هـ»: "نقل القرطبي -رحمه الله- «ت: ٦٥٦ هـ» عن النضر بن شميل أنه قال: لا اشتقاق للملك عند العرب، يريد: أنهم عربوه من اللغة العبرانية، ويؤيده: أن التوراة سمت الملك: ملآكا -بالتخفيف-، وليس وجود كلمة متقاربة اللفظ والمعنى في لغتين

---

(١) انظر: اللباب في علوم الكتاب «١/ ٤٩٥»، واللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري «٢/ ٢٥٨» ، والزاهر في معاني كلمات الناس «٢/ ٢٥٦ - ٢٥٤»، والمغرب في ترتيب المعرب «ص: ٥٤٢» ، والتبيان في إعراب القرآن «ص: ٢٢». وجاء في تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم «١/ ٤٢»: "ربما تتداخل أصول ثلاثة، فتتوارد على كلمة واحدة، فكلمة الملائكة يتوارد عليها ثلاثة أصول: "ل أك" وَ "أل ك" وَ "م ل ك""..

(٢) ذكره عنه القرطبي في المفهم «١/ ١٤٧».

يدل على أنها منقولة من إحداهما إلى الأخرى إلا بأدلة أخرى"[١]

القول الثاني: أنها مشتقة، ويمكن تقسيم هؤلاء إلى قسمين:

القسم الأول: من قال: إن الميم في "ملك" أصلية ، وهؤلاء لهم ثلاثة أقوال:

الأول: أن ملك–على وزن: فعل–من: الملك بفتح الميم؛ من: القوة.

وهذا–والله أعلم–فيه نظر؛ يقول الشنقيطي–رحمه الله–«ت: ١٣٩٣ هـ»: "من يقول: إن أصله من: الملك؛ قول ضعيف"[٢]

وهذا لمجيء الهمزة في المفرد كثيرًا، نثرًا، وشعرًا، ولمجيء الجمع ملائك على وزن مفاعل، لا أفعال، يقول أبو البقاء العكبري–رحمه الله–«ت: ٦١٦ هـ»: "قال قوم: الميم أصل، مأخوذ من: الملكة، وهي: القوة، وهذا بعيد؛ لأن الجمع يبطله إذ لو إذ كان جمع فعل لا يكون مفاعل، فإن قيل: فقد جاء فيه أملاك ؟، قيل: هو شاذ، على أنه يحتمل أن يكون جمع على اللفظ، لا على الأصل"[٣]

ويقول العيني–رحمه الله–«ت: ٨٥٥ هـ»: "قيل: هو مأخوذ من الملك–بفتح الميم، وسكون اللام–، وهو: الأخذ بقوة، وقيل: من الملك، بالكسر؛ لأن الله–تعالى–قد جعل لكل مَلَك مِلْكا، فمِلْك مَلَك الموت قبض الأرواح، ومِلْك إسرافيل الصور، وكذا سائرهم، ويفسد هذا قولهم: ملائكة بالهمزة، ولا أصل له على هذا القول في الهمزة"[٤]

---

(١) التحرير والتنوير «١/ ٣٩٨» ، وتتميما للفائدة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى «٤/ ١١٠»: "الألفاظ العبرية تقارب العربية بعض المقاربة ، كما تتقارب الأسماء في الاشتقاق الأكبر ، وقد سمعت ألفاظ التوراة بالعبرية من مسلمة أهل الكتاب ، فوجدت اللغتين متقاربتين غاية التقارب ، حتى صرت أفهم كثيرا من كلامهم العبري بمجرد المعرفة بالعربية ".

(٢) العذب النمير «١/ ٢٩٤».

(٣) اللباب في علل البناء والإعراب «٢/ ٢٥٨».

(٤) عمدة القاري «١٥/ ١٨٣».

الثاني: أنه من: الملك، بمعنى: الولاية، وهو جمع: مليك، لا ملك، فهو على وزن: فعائلة، والتاء للنقل من الاسمية إلى الوصفية.

يقول محمد أنور شاه الكشميري–رحمه الله–«ت: ١٣٥٢هـ»: "اختلفوا في اشتقاقه، فقيل: من الألوكة، وقيل: من لأك، والمختار عندي: أنه من: الملك، بمعنى: الولاية، وهو جمع: مليك، لا ملك، فهو على وزن:

فعائلة عندي، وعندهم على وزن: معافلة، والتاء للنقل من الاسمية إلى الوصفية"[١]

وفي هذا–والله أعلم–نظر، فلم يسمع: مليكي في واحد الملائكة، ولا فعائلة في جمع: فعيلي، وإنما يقال: فعيلة، وتصاريف الكلمة تدل على أن الهمزة أصل. [٢]

الثالث: أن أصل ملك: ملأك، والهمزة فيه زائدة مثل: شمأل، ثم نقلت حركة الهمزة إلى اللام، وحذفت الهمزة تخفيفا، والجمع جاء على أصل الزيادة.

يقول أبو عبيد–رحمه الله–«ت: ٢٢٤ هـ»: "الهمزة في ملائكة مجتلبة ؛ لأن واحدها: ملك"[٣]

ويقول ابن كيسان–رحمه الله–«ت: ٢٩٩ هـ»: "هو من: ملك ، يملك، والهمزة فيه زائدة ، كما زيدت في شمأل ، من:

شمل، فوزنه: فعأل، ووزن جمعه: فعائلة"[٤]

وفي هذا–والله أعلم–نظر؛ لأن "حمل ملأك على فعأل بعيد؛ لأن فعأل قليل لا يرتكب مثله إلا بظهور اشتقاق: كما في شمأل"[٥]

وأيضا تصاريف الكلمة تدل على أن الهمزة أصلية، لا زائدة، يقول ابن دريد: "الملائكة:

---

(١) فيض الباري «٤/ ٣١١ ».

(٢) انظر: تفسير الرازي «٢٨/ ٢٨٧» ، فقد نصر القول بأنها جمع: مليكي ، وذكر هذه الاعتراضات ، ورد عليها.

(٣) تفسير ابن عطية «ص: ٧٠».

(٤) تفسير ابن عطية «ص: ٧٠».

(٥) تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم «١/ ٥٠٦».

أصله الهمز، لأنهم قالوا في واحده: ملأك"[١]

القسم الثانى: أن الميم في "ملك" زائدة ، وهؤلاء لهم ثلاثة أقوال:

الأول: أنها من: لاك ، يلوك [٢]، من قولهم: لاك الفرس لجامه، يلوكه، إذا أداره في فيه، ثم سميت به الرسالة، لأن المرسل يرددها في فيه، ويناجي بها نفسه، لئلا ينساها. [٣]

فأصل ملك على هذا: ملْوَك، فنقلت حركة الواو إلى اللام الساكنة قبلها، فتحرك الواو -وهو حرف علة-، وانفتح ما قبله، فقلب ألفا، فصار: ملاكا، مثل: مقام، ثم حذفت الألف تخفيفًا، فوزنه: مفل، بحذف العين، وأصل ملائكة: ملاوكة، فقلبت الواو همزة، فقيل: ملائكة.

وفي هذا-والله أعلم-نظر؛ فمجيء الهمزة في المفرد والجمع من المرجح لكونها أصلية، لا مبدلة عن الواو، وللقول بالقلب في أحرف الكلمة والأصل خلوها منه.

الثاني: أنها من: ألك، بمعنى: أرسل، ويألك: يرسل، وألوك: رسول، ومنه: قول لبيد:

وغلام أرسلته أمه بألوك فبذلنا ما سأل. [٤]

وعلى هذا أصل ملك: مألك، ثم قلبت اللام إلى موضع الهمزة، والهمزة إلى موضع اللام، ثم نقلت حركة الهمزة إلى اللام، وحذفت الهمزة تخفيفًا، ثم ردت الهمزة في الجمع، فقيل: ملائكة، على وزن معافلة، بالقلب.

وفي هذا-والله أعلم-نظر؛ للقول بالقلب، والأصل عدمه، ولظهر في بعض تصاريفه، فقد

---

(١) الاشتقاق «ص: ٢٦» ، وانظر: إصلاح المنطق لابن السكيت «ص: ٥٩».

(٢) اللوك: أهون المضغ، وقيل: هو مضغ الشيء الصلب الممضغة تديره في فيك ، انظر: القاموس المحيط «ص: ٩٥٢»، ولسان العرب «١٢/ ٣٥٩».

(٣) إيضاح شواهد الإيضاح «١/ ٤٠٣».

(٤) ديوان لبيد «ص: ٩١».

جاء هذا اللفظ في القرآن سبعين مرة، ولمجئ الجمع: ملائك؛ لا مآلك، [١]

يقول ابن جرير–رحمه الله–«ت: ٣١٠ هـ» متعقبًا هذا القول: "غير أن الذي يجب إذا سمي واحدهم: مألك؛ أن يجمع إذا جمع على ذلك: مآلك، ولست أحفظ جمعهم كذلك سماعا، ولكنهم قد يجمعون: ملائك، وملائكة، كما يجمع: أشعث: أشاعث ، وأشاعثة، ومسمع: مسامع ، ومسامعة"[٢]

الثالث: أنها من: لأك، أي: أرسل أيضا، ففاؤه لام، وعينه همزة، ثم نقلت حركة الهمزة، وحذفت كما تقدم أيضًا، ويدل على ذلك أنه قد نطق بهذا الأصل قال الشاعر:

فلست لإنسي ولكن لملأك // تنزل من جو السماء يصوب [٣]

ثم ردت الهمزة في الجمع، فقيل: ملائكة، على وزن مفاعلة.

وهذا–والله أعلم–أجود الأقوال، بناءً، وتصريفًا، فهو أسلمها من حيث بناء الكلمة، وعدم وجود تقديم وتأخير فيها، ومجيء تصاريف الكلمة بتقديم اللام على الهمزة يرد القول بالقلب[٤]

وعلى هذا يكون تعريف الملائكة في اللغة: من: لأك، بمعنى: أرسل.

يقول ابن دريد–رحمه الله–«ت: ٣٢١ هـ»: "الملائكة: أصله الهمز، لأنهم قالوا في واحده:

---

(١) تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم «١/ ٥٠٦–٥٠٧».

(٢) تفسير ابن جرير «١/ ٢٣٥».

(٣) البيت تكرر ذكره في عامة الكتب التي تتكلم عن اشتقاق الملائكة ، واختلف في قائله ، جاء في تاج العروس «٣/ ٢١٢»: " قال ابن بري: البيت لرجل من عبد القيس يمدح النعمان، وقيل: هو لأبي وجزة يمدح عبد الله بن الزبير، وقيل: هو لعلقمة بن عبدة "ا.هـ ، وانظر: لسان العرب «١٣/ ١٨٥–١٨٦» يقول السهيلي في الروض الأنف «٥/ ٢٨٣» في البيت أعلاه: " همز مألكا، وهو واحد ، والبيت مجهول قائله ، وقد نسبه ابن سيده إلى علقمة ، وأنكر ذلك عليه ، ومع هذا فقد وصف مألكا بالرسالة ، لقوله: تنزل من جو السماء يصوب. فحسن الهمزة لتضمنه معنى: الألوك، كما حسن في جملة الملائكة ، إذ للجملة بعض هم إرسال ، والكل من ملكوت الله سبحانه وليس في الواحد إلا معنى الملكوتية فقط حتى يتخصص بالرسالة ، كما في هذا البيت المذكور فيتضمن حينئذ المعنيين ، فتطلع الهمزة في اللفظ ؛ لما في ضمنه معنى: الألوك ، وهي: الرسالة "ا.هـ.

(٤) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية «٥٢٧ / ١٧» ، وتداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم «١/ ٥٠٦ – ٥٠٧»، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي «٢/ ١١٨»، وإعراب القرآن للأصبهاني «ص: ٢٦».

ملأك... واشتقاق الملأك من: المالكة، والألوكة، وهي: الرسالة"[١]

ويقول الطبري-رحمه الله-«ت: ٣١٠ هـ»: "سميت الملائكة ملائكة بالرسالة ؛ لأنها رسل الله بينه وبين أنبيائه ومن أرسلت إليه من عباده"[٢]

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "الملك في اللغة: هو حامل الألوكة؛ وهي: الرسالة"[٣] و "الملائكة: رسل الله، ولفظ الملك يتضمن معنى: الرسالة"[٤]

ويقول ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "لفظ الملك يشعر بأنه رسول، منفذ لأمر غيره، فليس لهم من الأمر شي، بل الأمر كله لله الواحد القهار ..."[٥]

ويقول ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "سموا ملائكة من: الألوكة، وهي : الرسالة، فهم رسل الله في تنفيذ أوامره"«[٦] »

ويقول الصغاني-رحمه الله-«ت: ٦٥٠ هـ»: "التركيب يدل على تحمل الرسالة"[٧]

وقال بعضهم: اجتمعت العرب على ترك الهمزة في مفرد الملائكة، إلا في الشعر للحاجة، وقيل: بل الأكثر الحذف، وقد ينطق به على التتميم. [٨]

"والهاء في: ملائكة لتأنيث الجمع، نحو: صلادمة ، وقيل: للمبالغة كعلامة ، ونسابة، وليس بشيء"[٩]، يشير إليه أن أغلب آيات القرآن الكريم التي فيها ذكر الملائكة بالجمع جاءت

---

(١) الاشتقاق «ص: ٢٦» ، وانظر: إصلاح المنطق لابن السكيت «ص: ٥٩».

(٢) تفسير ابن جرير «١/ ٢٣٥».

(٣) النبوات «٢/ ٧٢٠».

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية «١٧/ ٥٢٧».

(٥) إغاثة اللهفان «٢/ ٥٤٧».

(٦) روضة المحبين ص « ٤٤ ».

(٧) عمدة القاري «١/ ٨٨».

(٨) انظر: العين «٥/ ٣٨٠»، والمخصص لابن سيده «٣/ ٤١٧»، وتاج العروس «٢٧/ ٥١».

(٩) اللباب في علوم الكتاب «١/ ٤٩٦».

بتأنيث الفعل، والله أعلم.

يقول ابن عطية-رحمه الله-«ت: ٥٤١ هـ»: "الهاء في: ملائكة لتأنيث الجموع غير حقيقي، وقيل: هي للمبالغة ، كعلامة، ونسابة، والأول أبين"[(١)]

وقد تحذف الهاء في الملائكة شذوذا، [(٢)] قال الشاعر:

أبا خالد صلت عليك الملائك"[(٣)] .[(٤)]

المسألة الثانية: التعريف بالملائكة.

تعددت أقوال العلماء في تعريفهم:

أ-"الملائكة عالم غير عالم الإنس وعالم الجن، وهو عالم كريم، كله طهر وصفاء ونقاء، وهم كرام أتقياء، يعبدون الله حق العبادة، ويقومون بتنفيذ ما يأمرهم به، ولا يعصون الله أبداً."[(٥)]

والعالمين: هم أصناف الخلائق، كل صنف منهم عالم؛ وهم:

١-الملائكة،

٢-والإنس،

٣-والجن"[(٦)]

ب-الملائكة: خلق من خلق الله تعالى، خلقهم الله عز وجل من نور، وهم عباد مكرمون،

---

(١) تفسير ابن عطية «ص: ٧٠».

(٢) اللباب في علوم الكتاب «١/ ٤٩٦».

(٣) البيت لأبي الطيب المتنبي، انظر: ديوانه بشرح العكبري «٢/ ١٣٠».

(٤) المصدر: بحث بعنوان الملائكةالكاتبون في ضوء نصوص الكتاب والسنة للباحث الدكتور: ذياب بن مدخل العلوي ، بحث منشور في حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، المجلد الرابع من العدد الثالث والثلاثين «ص: ٩٧٥-٩٧٩».

(٥) عالم الملائكة الأبرار «ص: ٨».

(٦) من كنوز القرآن «٣/ ٢٠».

لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، لا يوصوفون بالذكورة ولا بالأنوثة، ولا يأكلون، ولا يشربون، ولا يتناكحون، ولا يملون، ولا يتعبون، ولا يعلم عددهم إلا الله سبحانه، وقد حجبهم الله عنا فلا نراهم، وربما كشفهم لبعض عباده، وهم قادرون على التشكل والتمثل، ولهم قوى عظيمة وقدرة كبيرة على التنقل وغيره. [(١)]

قال ابن حزم-رحمه الله-«ت: ٤٥٦ هـ»: "مسألة: وأن الملائكة حق، وهم من خلق الله-عز وجل-، مكرمون"[(٢)]

ج-قال ابن قتيبة-رحمه الله-«ت: ٢٧٦ هـ»: "أَنَّهَا أَرْوَاحٌ لَطِيفَةٌ، تَجْرِي مَجْرَى الدَّمِ، وَتَصِلُ إِلَى الْقُلُوبِ، وَتَدْخُلُ فِي الثَّرَى، وَتَرَى وَلَا تُرَى"[(٣)]

د-قال ابن حزم-رحمه الله-«ت: ٤٥٦ هـ»: "الملائكة بنص القرآن والسنن وإجماع جميع من يقر بالملائكة من أهل الأديان المختلفة: عقلاء متعبدون، منهيون مأمورون"[(٤)]

هـ-وقال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "إن اسم الملائكة والملك يتضمن أنهم رسل الله، كما قال تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر: الآية: ١]، وكما قال: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات الآية: ١]؛ فالملائكة رسل الله في تنفيذ أمره الكوني الذي يدبر به السموات والأرض... وأمره الديني الذي تنزل به الملائكة"[(٥)]

ويقول الإمام ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "الملائكة: رسل الله في تنفيذ أمره الكوني، الذي يدبر به السموات والأرض، وأمره الديني الذي تنزل به الملائكة"[(٦)]

---

(١) يُنظر: «اللباب في علوم الكتاب» لابن عادل «١/٤٩٧»، «عمدة القاري» للعيني «١٥/١٢٣»، «لوامع الأنوار البهية» للسفاريني «١/٤٤٧»، «أعلام السنة المنشورة» لحافظ الحكمي «ص: ٤١».

(٢) المحلى بالآثار لابن حزم «١/ ٣٣».

(٣) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة «ص: ٢٧٨».

(٤) الفصل لابن حزم «٦/ ١٩٦».

(٥) مجموع الفتاوى" « ٤/١١٩».

(٦) مجموع الفتاوى «٤/ ١١٩».

وقال أيضًا: "من المعلوم بالاضطرار أن الرسل أخبرت بالملائكة والجن، وأنها أحياء ناطقة قائمة بأنفسها ليست أعراضا قائمة بغيرها... وأيضًا فإن الله وصف الملائكة بصفات تقتضي أنهم أحياء ناطقون خارجون عن قوى البشر وعن العقول والنفوس التي تثبتها الفلاسفة؛ فعلم أن الملائكة التي أخبرت عنها الأنبياء ليسوا مطابقين لما يقوله هؤلاء"[(١)]

وقال أيضًا: "الملائكة من الأعيان لا من الأعراض، فهي من المخلوقات باتفاق المسلمين، وليس بين أهل الملل خلاف في أن الملائكة جميعهم مخلوقون"[(٢)]

ز-وقال السفاريني-رحمه الله-«ت: ١١٨٨ هـ»: "الحق أن الملائكة عليها السلام ذوات قائمة بأنفسها، قادرة على التشكل بالقدرة الإلهية، كما ثبت في الأحاديث الصحيحة عن النبي-صلى الله عليه وسلم-"[(٣)]

ك-وقال ابن عثيمين-رحمه الله-«ت: ١٤٢١ هـ»: "الملائكة: عالم غيبي مخلوقون، عابدون لله تعالى، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، خلقهم الله تعالى من نور، ومنحهم الانقياد التام لأمره، والقوة على تنفيذه... وهم عدد كثير لا يحصيهم إلا الله تعالى"[(٤)]

قال الشيخ صالح الفوزان-حفظه الله-: "الملائكة خلق من خلق الله في عالم الغيب، خلقهم الله لعبادته، ولتنفيذ أوامره سبحانه وتعالى في ملكه، وهم أصناف، كل صنف له عمل موكل به ويقوم به، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون"[(٥)]

وأما عن استعمال لفظ أنهم "أجسام":

فقد ورد هذا الاستعمال في بعض كلام أهل السنة

---

(١) الصفدية لابن تيمية، «١/ ١٩٣».

(٢) بغية المرتاد لابن تيمية، «ص: ٢٣٢».

(٣) لوامع الأنوار البهية «١/ ٤٤٦».

(٤) كتاب شرح الثلاثة الأصول لابن عثيمين «ص: ٩٠».

(٥) كتاب شرح الثلاثة الأصول، صالح الفوزان، «ص: ٩٠».

قال الألوسي–رحمه الله–«ت: ١٢٧٠ هـ»: "اختلف الناس في حقيقتها بعد اتفاقهم على أنها موجودة سمعًا أو عقلًا، فذهب أكثر المسلمين إلى أنها أجسام نورانية، وقيل: هوائية قادرة على التشكل والظهور بأشكال مختلفة بإذن الله تعالى"[١]

وقال الشيخ ابن عثيمين–رحمه الله–«ت: ١٤٢١ هـ»: "وقد أنكر قوم من الزائغين كون الملائكة أجسامًا، وقالوا إنهم عبارة عن قوى الخير الكامنة في المخلوقات، وهذا تكذيب لكتاب الله تعالى، وسنة رسوله –صلى الله عليه وسلم–وإجماع المسلمين ... ثم ذكر الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة وقال: وهذه النصوص صريحة في أن الملائكة أجسام لا قوى معنوية، كما قال الزائغون وعلى مقتضى هذه النصوص أجمع المسلمون"[٢]

وقيل: "هم أجسام علوية قائمة بأنفسها، قادرة علىٰ التشكيل بالقدرة الإلهية، ذوو قدرات خارقة لا حصر لهم، لا يأكلون، ولا يشربون ولا ينكحون، مقربون طائعون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وليس لهم من خصائص الربوبية، والألوهية شيء"[٣]

وورد استعمال هذا اللفظ عند أهل الكلام من المعتزلة والأشاعرة كذلك.

قال الزمخشري «ت: ٥٣٨ هـ» من المعتزلة "الملائكة أجسام"[٤]

قال الفخر الرازي–رحمه الله–«ت: ٦٠٦ هـ»: "والملائكة أجسام لطيفة هوائية تقدر على التشكل بأشكال مختلفة مسكنها السموات، وهذا قول أكثر المسلمين"[٥]

وقال التفتازاني–رحمه الله–«ت: ٧٩٢ هـ» من الأشاعرة: "فالملائكة: "أجسام لطيفة نورانية، قادرة على التشكلات بأفكار مختلفة، كاملة في العلم والقدرة على الأفعال الشاقة،

---

[١] روح المعاني للألوسي «تفسير سورة البقرة: الآية: ٣٠».

[٢] شرح الأصول الثلاثة من مجموع فتاوى ابن عثيمين «٦/ ٩٠».

[٣] الواسطة بين الله وخلقه عند أهل السنة ومخالفيهم، المرابط بن محمد يسلم الشنقيطي، «ص: ١٥٠».

[٤] الكشاف للزمخشري «٤/ ٢٦١».

[٥] تفسير الرازي «٢/ ١٦٠».

شأنها الطاعات، ومسكنها السموات، هم رسل الله تعالى إلى أنبيائه ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وأمناؤه على وحيه"(١)

وقال علي بن محمد الجرجاني–رحمه الله–«ت: ٨١٦ هـ»: "الملك: جسم لطيف نوراني، يتشكل بأشكال مختلفة"(٢)

قال حسن بن محمد العطار–رحمه الله–«ت: ١٢٥٠ هـ»: "الملائكة أجسام لطيفة نورانية، أعطوا قدرة على التشكل، وعلى الأعمال الشاقة، مواظبون على الطاعات، معصومون عن المخالفة والفسق، لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، ولا يأكلون ولا يشربون"(٣)

وقال الكرماني–رحمه الله–«ت: ٧٨٦ هـ»: "هم أجسام علوية نورانية متشكلة بما شاءت من الأشكال"(٤)

ويقول العيني–رحمه الله–«ت: ٨٥٥ هـ»: "الملائكة أجسام لطيفة هوائية، تقدر على التشكل بأشكال مختلفة، مسكنها السموات، ويقال: جوهر بسيط، ذو نطق وعقل، مقدس عن ظلمة الشهوة، وكدورة الغضب، ﴿لَا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ يَفْعَلُونَ مَايُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: الآية: ٦]، طعامهم التسبيح، وشرابهم التقديس، وأنسهم بذكر الله–تعالى–، خلقوا على صور مختلفة، وأقدار متفاوتة؛ لإصلاح مصنوعاته، وإسكان سمواته"(٥)

عرفها ابن عاشور–رحمه الله–«ت: ١٣٩٣ هـ» بأنها: «أجسام لطيفة نورانية أخيار ذوو قوة عظيمة، ومن خصائصهم القدرة على التشكل بأشكال مختلفة، والعلم بما تتوقف عليه

(١) شرح المقاصد للتفتازاني «٢/ ٥٤».

(٢) التعريفات للجرجاني «١/ ١٠١».

(٣) حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع «٢/ ٤٧٤».

(٤) الكواكب الدراري «١/ ١٩٤».

(٥) عمدة القاري «١٥/ ١٨٣».

أعمالهم، ومقرهم السماوات ما لم يرسلوا إلى جهة من الأرض» «٨». [١].

ويشكل على هذا التعبير استخدام لفظ "أجسام"، ولفظ "لطيفة":

أما لفظ "أجسام" فيشكل عليه:

أولًا: أن إطلاق لفظ الجسم على الملائكة بدعة، لم يأت في الكتاب والسنة، ولم ينطق به أحد من سلف الأمة، بل هو مخالف لما ثبت في النصوص الشرعية من أنهم أرواح.

ثانيًا: أن لفظ الجسم لفظ مجمل، فالجسم في اللغة هو الجسد الغليظ المكون من لحم ودم ونحوه، وليس هو الجسم في اصطلاح المتكلمين.

والروح ليست مثل البدن في الغلظ والكثافة، ولذلك لا تُسَمَّىٰ جِسمًا، فمن جعل الملائكة ليست أجسامًا بالمعنى اللغوي فقد أصاب في ذلك.

فإن الملائكة أرواح كما قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: الآية: ١٧].

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ» في تقرير رده علىٰ من جعل الملائكة أجسامًا بالمعنىٰ اللغوي: «لفظ الجسم في اللغة ليس هو الجسم في اصطلاح المتكلمين، بل الجسم هو الجسد كما تقدم، وهو الجسم الغليظ أو غِلَظُه، والروح ليست مثل البدن في الغِلَظِ والكثافة، ولذلك لا تسمَّىٰ جسمًا، فمن جعل الملائكة والأرواح ونحو ذلك ليست أجسامًا بالمعنىٰ اللغوي فقد أصاب في ذلك"[٢]

وأما قولهم "لطيفة" فيشكل عليه

أولًا: قولهم: «لطيفة» إن كان مقصودهم باللطافة: الشفافية، فهذا الوصف لم تأت به نصوص الكتاب والسنة، فالقول فيه القول في الجسم.

ثانيًا: يلزم على هذا الوصف لوازم باطلة، مثل نفي القوة عنهم، ونفي رؤية النبي–صلى الله

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور «٢٢/ ٢٥٠».

(٢) مجموع الفتاوىٰ «١٧/ ٣٤٢».

عليه وسلم–لجبريل "[١]

ومع هذا فلفظ "لطيفة" ورد في كلام ابن قتيبة–رحمه الله–«ت: ٢٧٦ هـ»المتقدم ذكره.

الفرق بين الملائكة والجن.

مسألة هل الشيطان من الملائكة؟ وهل الجن عمومًا من الملائكة؟ مسألة خلافية بين أهل العلم، وذلك على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الملائكة من الجن.

قال الحليمي–رحمه الله–«ت: ٤٠٣ هـ»: "من الناس من ذهبوا إلى أن: الأحياء العقلاء الناطقون فريقان: إنس وجان، وكل واحد من الفريقين صنفان: أخيار وأشرار. فأخيار الإنس أبرارهم، ثم ينقسمون إلى رسل وغير رسل، وأشرارهم يدعون فجارًا، ثم ينقسمون إلى كفار وغير كفار.

وأخيار الجن يسمون الملائكة، ثم ينقسمون إلى رسل وغير رسل، وأشرارهم بدعون شياطين، ثم قد يستعار هذا الإسم لفجار الإنس تشبيها لهم بفجار الجن،

وقد يحتمل هذا القسم وجها آخر: وهو أن الجن منهم سكان الأرض، ومنهم سكان السماء، فالذين هم سكان السماء يدعون بالملائكة الأعلى ويدعون بالملائكة. والذين هم سكان الأرض هم الجن بالإطلاق، وينقسمون إلى أخيار وفجار، ومسلمين وكفار.

وإنما قيل الملأ الأعلى ملائكة، لأنهم مستصلحون للرسالة، وأنه قيل لواحد من الملائكة ملاك بمعنى أنه موضع للرسالة لكونه مصطفى مختار للسماء أن يسكنها، أو كانت الرسالة منها تأتي سكان الأرض. [٢]

---

(١) المصدر: كتاب حقيقة الملائكة «٢٧-٢٩».

(٢) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي «١/ ٣٠٥».

أدلتهم:

١-أخبر الله عز وجل أنه أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس، ولم يكن من الملائكة، لم يكن لاستثنائه منهم معنى، ثم قال في آية أخرى: ﴿إلا إبليس كان من الجن، ففسق عن أمر ربه﴾.

فأخبر أنه لعنه ورجمه وأخرجه من السموات، وإبان أن المأمورين بالسجود كانوا طبقة واحدة، إلا أن إبليس لما عصى ولعنه صار من الجن الذين يسكنون الأرض، ولا سبيل لهم إلى مخالطة الملأ، فكان العدل من الإنس يفسق أو يرتد فيعصى وينفذ ويدعى فاسقًا وخبيثًا وفاجرًا، بعد أن كان يسمى عدلًا وبرًا وتقيًا، والله أعلم. [(١)]

٢-وأيضا فإن الله عز وجل حكى عن الكفار أنهم قالوا: ولد الله وإن الملائكة بناته، وجعلوا بينه وبين الجن نسبا، فدل ذلك على أن الملائكة من الجن، وأن النسب الذي جعلوه بين الله وبين الجن، إنما هو قولهم: الملائكة بنات الله، تعالى عما قالوا علوا كثيرا. [(٢)]

٣-وأيضًا فإن الإنس منهم الظاهرون والجن هم المختبئون، والملائكة مختبئون، فينبغي أن يكون إسم الجن لاحقا إياهم، وأيضا فإن الله تعالى لما صنف الخلائق قال: ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار، وخلق الجان من مارج من نار﴾.

فلو كانت الملائكة صنفا ثالثًا سوى الإنس والجن لما كان يدع أشرف الخلائق، فلم يتمدح بالقدرة على خلقه، ويذكر ما دونه فيمتدح بالقدرة على خلقه، هذا وقد نبهت أن الجان خلق من مارج من نار، وأن إبليس مخلوق من النار، والظاهر دخوله في جملة الملائكة الذين أمروا بالسجود لآدم، وفي هذا رجوت أن تكون الملائكة من الجن والله أعلم. [(٣)]

الرد عليهم:

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي «١/ ٣٠٥».

(٢) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي «١/ ٣٠٥-٣٠٦».

(٣) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي «١/ ٣٠٦».

أ-ومن خالف هذا القول قال: إن سكان الأرض ينقسمون إلى إنس وجن، فأما من خرج عن هذا الحد لم يلحقه إسم الإنس، وإن كان مرئيا، ولا إسم الجن وإن كان غير مرئي، ويدل على هذا أن الجن سموا جنا لأن الإنس لا يرونهم، وإلا فإن بعضهم يرى بعضا، والناس سموا إنسا لأن الجن يرونهم، وإنما وجب هذا التمييز بينهم، لأن البقعة الواحدة من الأرض، كالدار الواحدةن والفضاء الواحد، وقد تجمع الفريقين، فيرى الجن الإنس، ولا يرى الإنس الجن، وأما الملائكة فإنهم بأشد البعد من الناس، فلا يلحقهم إسم الجن، لأنهم لا يرونهم، كما لا يلحق المشرقي اسم الجن، لأن المغربي لا يراه، ولا المغربي اسم الجن، لأن المشرقي لا يراه والله أعلم"[(١)]

ب-وأما قول الله عز وجل: ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا﴾. فإن الناس لم يتفقوا على أن الإشارة به واقعة إلى قولهم:الملائكة بنات الله، لكن ذلك قد قيل، وقيل غيره: وهو أن مشركي العرب كانوا يقولون للأصنام أنها بنات الله، وسمتها لذلك آلهة، ويزعم أن عبادتهم لها تقربهم إلى الله عز وجل، ولذلك كانت تسميها اللات والعزى ومناة.

وإنما وقع لهم من حيث أن الشياطين كانت تدخل أجوافها، فيكلمهم منها، فكانوا ينسبون ذلك الكلام إلى الله تعالى:﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات: الآية: ٥٨] لأنهم سموا الأصنام لمكان تكليم الجنة إياهم من أجوافها آلهة، وادعوا أنها بنات الله وأثبتوا بين الله تعالى وبين الجنة نسبا، جهلا منهم، بأن الكلام الذي يسمعونه، إنما هو كلام الشياطين، لا كلام الله جل ثناؤه، وليس هذا في الظهور دون الوجه الآخر، والله أعلم.[(٢)]

ج-وأما قوله عز وجل: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: الآيتان: ١٤-١٥]. فإنما هو بيان ما ركبه من خلق متقدم، فلم تدخل الملائكة في ذلك لأنهم مخترعون. قال الله-عز وجل-لهم "كانوا فكانوا" كما قال للأرض التي خلق منه الجن، والأصل الذي خلق من الإنسان وهو التراب والماء النار والهواء كن فكان، فكانت

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي «١/ ٣٠٦».

(٢) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي «١/ ٣٠٧».

الملائكة في الإختراع كأصول الإنس والجن، لا كأعيانهم، فكذلك لم يذكروا معهم"[(١)]

القول الثاني: إبليس من حيّ من أحياء الملائكة يقال لهم: الجن، خُلقوا من نار السموم من بين الملائكة.

نُسِب إلى ابن عباس[(٢)]، وقتادة[(٣)]، وسعيد بن المسيب[(٤)]، واختاره الطبري[(٥)]، والبغوي. [(٦)]

واحتجوا علىٰ أنه من الملائكة: بقوله تعالى: ﴿وَإِذْقُلْنَا لِلْمَلَئِكَةِ اسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوَا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ [الكهف: الآية: ٥٠]. أنه لو لم يكن من الملائكة لم يؤمر بالسجود.

قالوا: والاستثناء في الآية متصل.

قالوا: ولا حجة فيمن استدل بالآية ﴿إِلَّا إِبْلِيس كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾؛ فإن من إطلاق الجن على الملائكة قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُ, وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبَاً وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات: الآية:١٥٨]، عند من يقول: بأن المراد بذلك قولهم: الملائكة بنات الله–سبحانه وتعالى–عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله علوًا كبيرًا"[(٧)]

وأجيب على استدلالهم بآية الكهف بأن الاستثناء في الآية منقطع وليس بمتصل، وأن الفاء

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي «١/ ٣٠٧-٣٠٨».
(٢) «تفسير الطبري» «١٨/ ٣٩».
(٣) ««تفسير الطبري» «١٨/ ٤١».
(٤) ««تفسير الطبري» «١/ ٥٠٤».
(٥) ««تفسير الطبري» «١/ ٥٠٨».
(٦) ««تفسير البغوي» «١/ ٨٢».
(٧) تفسير الطبري «١/ ٥٠٥»، وأضواء البيان «٣/ ٢٩٠-٢٩١».

للتسبيب أيضًا، فجعل كونه من الجن سببًا في فسقه؛ لأنه لو كان ملكًا كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر الله، لأنَّ الملائكة معصومون ألبتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والإنس، كما قال: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ, بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٧]. [(١)]

القول الثالث: أن الملائكة غير الجن.

ذهب إليه الحسن، وابن زيد، واختاره ابن تيمية، وابن القيم.

قال الحسن البصري-رحمه الله-«ت: ١١٠ هـ»: "ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجنِّ، كما أن آدم-عليه السلام-أصل الإنس"[(٢)]

وقال عبد الرحمن بن زيد-رحمه الله-«ت: ١٨٢ هـ»: "إبليس أبو الجن، كما آدم أبو الإنس"[(٣)]

وقال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "والتحقيق: أنه كان منهم باعتبار صورته وليس منهم باعتبار أصله ولا باعتبار مثاله"[(٤)]

أدلتهم:

أ-ويدل على أن الملائكة غير الجن، إن الله عز وجل لما أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم، فسجدوا إلا إبليس، أخبر الله عز وجل عن سبب مفارقة الملائكة: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: الآية: ٥٠]. فلو كانوا كلهم جنًا لاشتركوا في الإمتناع من السجود ولم يكن في أن إبليس كان من جملة الجن ما يحمله على أن لا يسجد، وفي هذا ما إبان أن الملائكة غير والجن غير وأنهما فريقان شتى.

---

(١) الكشاف للزمخشري «٢/ ٧٢٨».

(٢) «تفسير الطبري» «١٨/ ٤١»، قال ابن كثير في «تفسيره» «٥/ ١٦٧»: "رواه ابن جرير بإسناد صحيح".

(٣) «تفسير الطبري» «١/ ٥٠٧».

(٤) «مجموع الفتاوى» «٤/ ٣٤٦».

فإن قال: ما معنى دخول إبليس في الأمر الذي خوطبت الملائكة به إن لم يكن منهم؟

قيل: معنى ذلك أنه كان من الجنه خلقوا من النار، وكان في الأرض غير أن الله عز وجل أذن له في مساكنة الملائكة ومجاورتهم لحسن عبادته وشدة إجتهاده، وقد وردت الأخبار ببيان ذلك من حاله، فلما أسكن السماء وطال اختلاطه بالملائكة ومباينته لجنسه جرى في عداد الملائكة، وصار يواجدهم كالأعجمي يختلط بالعرب ويسكن بلادهم، فتعلم لسانهم وتخلق بأخلاقهم، فيكون أعجميا مبعوثا، ويدعى بذلك من العرب المستعربة كلهم هكذا.

فلما أمرت الملائكة بالسجود لآدم دخل في الجملة الملك الأصيل والملحق بالملائكة، غير أن مفارقته الملائكة في أصل جملته على مفارقتهم في الطاعة، قال الله-عز وجل-: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: الآية: ٥٠]، كما يكون الأعجمي المبعوث بين قوم فإذا همت العرب بأمر وأجمعت عليه، حمل الأعجمي أصله المخالف لأصل العرب على خلافهم، فيقال أنه كان من الأعاجم، فكذلك لم يواطئ العرب، فرده الله بعد ذلك إلى مساكن جنسه، وأخرجه من السموات، فصار عند الاقصاء شيطاناً كما كان عند الأدنى ملكًا. [١]

ب-ومما يدل على مفارقة الجن الملائكة أن الله عز وجل أخبر أنه: تسأل الملائكة يوم القيامة عن المشركين، فيقول لهم: ﴿أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ فتقول الملائكة: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ [سبأ: الآية: ٤١] فتشهد أن الملائكة غير الجن إذ لو كانت الملائكة جنا لم يخل عباد من أن يكونوا عباد الملائكة فلم يكن لقول الملائكة أنهم كانوا يعبدون الجن ولا يعبدوننا معنى"[٢]

ج-أن لله خلق إبليس من نار السموم ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: الآية: ٢٧]، ومن مارج من نار، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: الآية: ١٥].

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي «١/ ٣٠٦-٣٠٧».

(٢) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي «١/ ٣٠٨-٣٠٩».

وجاء في الحديث عن عائشة–رضي الله عنها–، وعن أبيها: أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، قال: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم». [١]

ولم يخبر عن الملائكة أنه خلقها من شيء من ذلك، وأن الله أخبر أن إبليس من الجن، وغير جائز أن ينسب إلى غير ما نسبه الله إليه.

د–أن الملائكة لا تأكل، ولا تشرب، ولا تنكح، ولا تَنسِلُ.

قال سعيد بن المسيب–رحمه الله–: "الملائكة ليسوا ذكورًا ولا إناثًا، ولا يأكلون، ولا يشربون، ولا يتناكحون، ولا يتوالدون" [٢]

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "فإن الإنس والجن مشتركون مع كونهم أحياء ناطقين مأمورين منهيين؛ فإنهم يأكلون، ويشربون، وينكحون، وينسلون، ويتغذون، وينمون بالأكل والشرب، وهذه الأمور مشتركة بينهم.

وهم يتميزون بها عن الملائكة؛ فإن الملائكة لا تأكل، ولا تشرب، ولا تنكح، ولا تَنسِلُ" [٣]

فكونهم لا يتناكحون ولا يتناسلون، وليسوا ذكورًا ولا إناثًا مما يميز الله به الملائكة عن غيرهم، وهذا يدل على أن حقيقتهم مغايرة لحقيقة الجن والإنس، وهذا فيه بيانٌ لعظمة الله سبحانه، فهو سبحانه يخلق ما يريد، علىٰ الحقيقة التي يريد. فتبارك الله أحسن الخالقين.

---

(١) صحيح مسلم: ٤/ ٢٢٩٤. ورقمه: ٢٩٩٦. وأما ما جاء عن عبد الله بن عمرو صينه قال: «خلق الله الملائكة من نور الذراعين والصدر». قال البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات» «٢/ ١٧٨»: "فإن صح ذلك، فعبد الله بن عمرو وقد كان ينظر في كتب الأوائل، فما لا يرفعه إلى النبي–صلى الله عليه وسلم–يحتمل أن يكون مما رآه فيما وقع بيده من تلك الكتب". وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» «١/ ٨٢٠»: "وأما ما رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» «ص: ١٥١» عن عكرمة قال: «خلقت الملائكة من نور العزة، وخلق إبليس من نار العزة»، وعن عبد الله بن عمرو قال: «خلق الله الملائكة من نور الذراعين والصدر». فهذا كله من الإسرائيليات التي لا يجوز الأخذ بها، لأنها لم ترد عن الصادق المصدوق ﷺ".

(٢) فتح الباري لابن حجر، «٦/ ٣٠٦».

(٣) مجموع الفتاوى «١٦/ ١٩٢».

ومعلوم أن لإبليس نسل وذرية"[١]

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "أن الشيطان ضد للملك وعدو له، فكيف يكون منهم، كما في قوله: «ومنها» [٢] »: أن الملائكة تدنو من قارىء القرآن، وتستمع لقراءته، كما في حديث أسيد بن حضير لما كان يقرأ ورأى مثل الظلة، فيها مثل المصابيح، فقال النبي-صلى الله عليه. وسلم-: «تلك الملائكة». » [٣] «

والشيطان ضد الملك وعدوه، فأمر القارىء أن يطلب من الله-تعالى-مباعدة عدوه عنه، حتى يحصل خاصته وملائكته، فهذه وليمة لا يجتمع فيها الملائكة والشياطين"« [٤] » .

قال محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله-«ت: ١٣٩٣ هـ»: "وحجة من قال: إن أصله ليس من الملائكة أمران:

أحدهما: عصمة الملائكة من ارتكاب الكفر الذي ارتكبه إبليس. كما قال تعالىٰ عنهم: ﴿لَّا يَعْصُونَ الله مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: الآية: ٦]، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بالقول وَهُم بِأَمْرِهِ، يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٧].

والثاني: أن الله صرح في هذه الآية الكريمة بأنه من الجن، والجن غير الملائكة ...

وأظهر الحجج في المسألة حجة من قال: إنه غيرُ مَلَكٍ؛ لأن قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيس كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِرَبِّهِ﴾ [الكهف: الآية: ٥٠]. وهو أظهر شيء في الموضوع من نصوص الوحي، والعلم عند الله تعالىٰ.

---

(١) تفسير الطبري ، «١/ ٥٠٧».

(٢) أي : من فوائد الاستعاذة المأمور بها في قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: الآية: ٩٨].

(٣) أخرجه البخاري «٣٦١٤»، ومسلم، «٧٩٥» .

(٤) إغاثة اللهفان «١/ ١٠٧».

وقوله تعالىٰ في هذه الآية الكريمة: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِرَبِّهِ﴾؛ أي: خرج عن طاعة أمر ربه"[(١)]

القول الراجح:

والذي يترجح: أن إبليس من الجن وليس من الملائكة؛ وذلك أن جنس الملائكة مغاير لجنس إبليس من عدة وجوه:

الوجه الأول: أن مادة خلق الملائكة مغايرة لمادة خلق إبليس؛ فقد جاء عن عائشة ينعها أنها قالت: قال رسول الله بَيه «خُلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار».[(٢)]

وقال تعالى عن إبليس: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [ص: الآية: ٧٦].

الوجه الثاني: أن الملائكة لا يتناكحون ولا يتناسلون، وأما إبليس فقد أثبت الله أن له ذرية؛ قال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ» وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوا﴾ [الكهف: الآية: ٥٠].

الوجه الثالث: أن الملائكة لا يعصون الله؛ كما قال تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: الآية: ٦].

وأما إبليس، فقد أخبر الله عنه: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾.

الوجه الرابع: أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون، أما إبليس فيأكل ويشرب.

الوجه الخامس: أن الاستثناء من اللفظ العام إخراج له من الاسم والحكم[(٣)]، فإبليس لما استُثني في قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: الآية: ٣٠]. خرج بهذا

---

(١) أضواء البيان، «٣/ ٢٩٠-٢٩١».

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» «٢٩٩٦».

(٣) انظر: «البحر المحيط في أصول الفقه» للزركشي «٣/ ٢٧٦».

الاستثناء من أن يكون من الملائكة.

فإن قيل: كيف أمره بالسجود مع الملائكة؟

والجواب: أمره بالسجود مع الملائكة؛ باعتبار حضوره معهم.

الوجه السادس: أن إبليس في قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الملائكةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: الآية: ٣٠] دخل تحت الأمر، فرجع الاستثناء إليه، لا أنه مِنَ الملائكة.

الوجه السابع: جواز الاستثناء من غير الجنس بدليل[(١)]، فقد استثني إبليس مع أنه ليس من جنس الملائكة؛ لجواز الاستثناء من غير الجنس، وقد دلَّ الدليل على أنّ إبليس ليس مِن الملائكة كما تقدم.

الوجه الثامن: أنَّ الآية وهي قوله تعالى: ﴿إِلَّا إبليس كَانَ مِنَ الجن فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: الآية: ٥٠]، ظاهرة في الدلالة على أنَّ إبليس من الجن، ولا يجوز العدول عنها إلَّا بدليل[(٢)]

المسألة الثالثة: حكم الإيمان بالملائكة:

والإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان، وأصل من أصول الإيمان، لا يصح إيمان عبد ما لم يؤمن بهم، قال تعالى: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله﴾ [البقرة: الآية: ٢٨٥].

- والإيمان بالملائكة: يكون على درجتين:

الدرجة الأولى: الإيمان المجمل.

---

(١) انظر: «البحر المحيط في أصول الفقه» للزركشي «٣/ ٢٧٨».

(٢) المصدر: حقيقة الملائكة «ص: ٦٣-٦٥».

فيجب أن يكون إيمانًا مُجملًا بجميعهم؛ مَن علمنا منهم ومَن لم نعلم، وأن الله خلقهم من نور، وأنهم عباد مُكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ولا يأكلون ولا يشربون، ولا يتناكحون ولا يتناسلون،

الدرجة الثانية: الإيمان المفصل.

فيجب أن يكون إيمانًا مُفَصَّلًا بمن ذُكر منهم باسمه؛ كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك، وبصفة مَن ذُكر منهم بوصفٍ؛ كحملة العرش وخزنة النار وجبريل، وبعدد مَن ذُكِر منهم بعددٍ كخزنَة النار وحملة العرش.

وبعمل مَن ذُكِر منهم بعملٍ؛ فمنهم الموَكَّل بالجبال، ومنهم الموَكَّل بالقَطر، ومنهم الموَكَّل بفتنة القبر، ومنهم الموَكَّل بالنفخ في الصور وغير ذلك.

نقل السيوطي عن البيهقي في كتابه «شعب الإيمان»: "أن الإيمان بالملائكة ينتظم في معانٍ: أحدها: التصديق بوجودهم.

الثاني: إنزالهم منازلهم، وإثبات أنهم عباد الله وخلقه، كالإنس والجن مأمورون مكلفون، لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله عليه، والموت عليهم جائز، ولكنّ الله تعالى جعل لهم أمداً بعيداً، فلا يتوفاهم حتى يبلغوه، ولا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى إشراكهم بالله تعالى، ولا يدعون آلهة كما دعتهم الأوائل.

الثالث: الاعتراف بأنّ منهم رسلاً يرسلهم الله إلى من يشاء من البشر، وقد يجوز أن يرسل بعضهم إلى بعض، ويتبع ذلك الاعتراف بأنّ منهم حملة العرش، ومنهم الصافّون، ومنهم خزنة الجنّة، ومنهم خزنة النار، ومنهم كتبة الأعمال، ومنهم الذين يسوقون السحاب، فقد ورد القرآن بذلك كله أو بأكثره".[(١)]

والإيمان بالملائكة ثابت بالقرآن الكريم، والسُّنة النبوية، والإجماع، ولذلك فإن منكر وجود الملائكة كافر بالإجماع، يقول تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

(١) الحبائك في أخبار الملائك، للسيوطي: ص ١٠. وانظر مختصر شعب الإيمان: ١/ ٤٠٥-٤٠٦.

فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: الآية: ١٣٦].

قال بعض العلماء: وكل آية وحديث فيه ذكر الملائكة دليل على وجوب الإيمان بهم.

الأدلة من القرآن:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: الآية: ٢٨٥].

  فأخبر أن الإيمان بالملائكة مع بقية أركان الإيمان مما أنزله على رسوله وأوجبه عليه وعلى أمته وأنهم امتثلوا ذلك.

- وَقَالَ: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: الآية: ١٧٧].

فجعل الإيمان بهذه الخصال دليل البر-والبر اسم جامع للخير-وذلك أن هذه الأشياء المذكورة هي أصول الأعمال الصالحة، وأركان الإيمان التي تتفرع منها سائر شعبه.

- وَقَالَ: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَومِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيدًا﴾ [النساء: الآية: ١١٣].

فأخبر الله-عز وجل-أن من كفر بهذه الأركان فقد كفر بالله، فأطلق الكفر على من أنكر هذه الأركان.

- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فَاطِرٍ: الآية: ١].
- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: الآية: ٧].
- وَقَالَ: ﴿وما يعلَمُ جُنودَ رَبِك إلاّ هُو﴾ [المدثر: الآية: ٣١].

وسيأتي مزيد تفصيل للآيات الواردة في ذكر الملائكة في المطلب الثالث.

الأدلة من السنة:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلي الله عليه وسلم كَانَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يَمْشِي، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَلِقَائِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ».. [١]
- وَعَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها-، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ». [٢]
- وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه-، عَنْ النَّبِي صلى الله عليه وسلم -فِي قِصَةِ المِعْرَاجِ- أَنَّهُ قَالَ: «ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [٣]

دليل الإجماع:

وقد أجمع العلماء على أن الملائكة حق، واتفقوا على أنهم كلهم مؤمنون فضلاء. [٤]، وأنهم مجبولون على طاعة الله عز وجل، معصومون من الغلط. [٥]

---

(١) أخرجه البخاري «٥٠»، ومسلم «٩».

(٢) أخرجه مسلم «٢٩٩٦».

(٣) أخرجه مسلم «١٦٢».

(٤) مراتب الإجماع لابن حزم «ص: ١٧٤».

(٥) الإقناع في مسائل الإجماع لابن القطان «١/ ٤٨».

قال ابن حزم–رحمه الله–«ت: ٤٥٦ هـ»: "الملائكة بنص القرآن والسنن وإجماع جميع من يقر بالملائكة من أهل الأديان المختلفة: عقلاء متعبدون، منهيون مأمورون"(١)

وقال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "الملائكة من الأعيان لا من الأعراض، فهي من المخلوقات باتفاق المسلمين، وليس بين أهل الملل خلاف في أن الملائكة جميعهم مخلوقون"(٢)

المسألة الرابعة: ثمرات الإيمان بالملائكة:

من ثمرات الإيمان بالملائكة:

أولًا: العلم بعظمة خالقهم تبارك وتعالى وقدرته وسلطانه:

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاء قَدِيرٌ﴾ [الشورى: الآية: ٢٩].

قال مجاهِدٌ في قَولِه: ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ﴾: "يدخُلُ في هذا الملائِكةُ والنَّاسُ"(٣)

وقال ابنُ كَثيرٍ–رحمه الله–«ت: ٧٧٤ هـ»: "هذا يَشمَلُ الملائِكةَ والجِنَّ والإنسَ وسائِرَ الحيواناتِ؛ على اختِلافِ أشكالِهم وألوانِهم ولُغاتِهم، وطباعِهم وأجناسِهم وأنواعِهم، وقد فَرَّقهم في أرجاءِ أقطارِ السَّمَواتِ والأرضِ"(٤)

فمن أعظم ما يثمره الإيمان بالملائكة في نفوس المؤمنين تعظيم الله–عز وجل–، لأن العلم بعظمة المخلوق يدل على عظمة الخالق، وذلك يزيد من استشعار القلب البشري لعظمة القدرة الإلهية

---

(١) الفصل لابن حزم «٦/ ١٩٦».

(٢) بغية المرتاد لابن تيمية، «ص: ٢٣٢».

(٣) يُنظر: «تفسير ابن جرير» «٢٠/ ٥١٢»، «تفسير القرطبي» «١٦/ ٢٩».

(٤) يُنظر: «تفسير ابن كثير» «٧/ ٢٠٧».

المعجزة التي تخلق من النور ملائكة ذوي أجنحة مثنى وثلاث ورباع.

فالملائكة من أعظم مخلوقات الله–عز وجل–، فقد روى جابر بن عبد الله، عن النبي–صلى الله عليه وسلم–أنه قال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش: إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مئة عام». (١)

«وقد رأى النبي–صلى الله عليه وسلم–جبريل وله ستمائة جناح». (٢) وفي رواية لأحمد في المسند: «كل جناح منها قد سد الأفق، يسقط من جناحه التهاويل من الدرر واليواقيت». (٣) (٤)

فمن تمام عظمة الله أن له جندًا يعملون بأمره، وعندما ترى عِظَمَ خلقِ الملائكةِ، وما هم عليه من القوةِ الخارقةِ، يتردَّدُ في ذهنِك هذا السؤالُ: إذا كان هؤلاءِ بهذه القوةِ، فكيف بخالِقِهم ومالِكِهم سبحانَه وتعالى؟

ثانيًا: محبة الله وشكره على عنايته بعباده:

فالإيمان بالملائكة يورث حبُّ الله عزَّ وجلَّ، وذلك أنَّ الله عزَّ وجلَّ وكَّلَ ملائكةً لحفظِ الكونِ والكائناتِ؛ فملائكةٌ بالسماءِ، وملائكةٌ بالأرضِ، وملائكةٌ بالجبالِ، وملائكةٌ بالسحابِ، وكلُّ ذلك من أجلِ الإنسانِ وراحتِه وسعادتِه

كما أن الشكر من أعظم المقامات القلبية التي يحبها الله–عز وجل–، والإيمان بالملائكة والتفكر فيه يحقق هذا المقام القلبي العظيم وذلك من خلال "شكر الله لعنايته ببني آدم، حيث وكَّل بهم مِن هؤلاء الملائكة مَن يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم. (٥)

---

(١) رواه أبو داود، في سننه، برقم «٤٧٢٧»، وقال ابن حجر في فتح الباري «٨/٦٦٥»: "إسناده على شرط الصحيح".

(٢) أخرجه البخاري، «٤٨٥٦».

(٣) انظر: مسند أحمد، حديث رقم «٣٧٨٤». وقال ابن كثير في البداية والنهاية «١/ ١٠٠»:

(٤) انظر: أثر الإيمان بالملائكة في حياة النشء المسلم، د: طلال بن فواز الشمري، مجلة العلوم الشرعية، العدد «٧٣»، المجلد الرابع، «ص: ١٨٤».

(٥) يُنظر: «نبذة في العقيدة» «ضمن مجموع فتاوى ابن عثيمين» «٥/ ١١٨».

بل إن عناية الله ببني آدم وهو في الرحم، وهذا من جملة النعم التي أنعم الله تعالى بها عليه، حيث أوكل به ملك يرعاه وهو في الرحم، روى أنس بن مالك-رضي الله عنه-، أن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: «إن الله وكل في الرحم ملكًا فيقول يارب نطفة، يرب علقة يا رب مضغة، فإذا أراد أن يخلقها قال: يا رب أذكر أم أنثى، يا رب شقي أم سعيد، فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه». [(١)]

ومن عناية الله ببني آدم-أيضًا-أن جعل الله له ملائكة تحفظه وتحرسه قال الله سبحانه: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: الآية: ١١] .

قال ابن كثير-رحمه الله-«ت: ٧٧٤ هـ»: "أي: للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حرس بالليل وحرس بالنهار، يحفظونه من الأسواء والحادثات"[(٢)]

فإذا علم المسلم أن الله سخّر له هذه المخلوقات الكريمة، تحفظه وتحوطه بالعناية،، وتدافع عنه، وتكتب عمله وتستغفر له؛ كان ذلك من أعظم الأسباب المفضية به إلى شكر الله وحفل. [(٣)]

ثالثًا: محبة الملائكة على ما يقومون به:

محبّة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله على الوجه الأكمل واستغفارهم للمؤمنين. [(٤)]
الموصوفون بقوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: الآيتان: ٢٦-٢٧]،

وقوله تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: الآية: ٦].

قال أبو حيان الأندلسي «ت: ٧٤٥ هـ»: "وينبغي أن يقال: أنصح العباد للعباد الأنبياء

---

(١) أخرجه البخاري، «٣٣٣٣».

(٢) تفسير ابن كثير «٤/ ٤٣٧».

(٣) انظر: أثر الإيمان بالملائكة في حياة النشء المسلم، د: طلال بن فواز الشمري، مجلة العلوم الشرعية، العدد «٧٣»، المجلد الرابع، «ص: ١٩٠-١٩١».

(٤) انظر: «مجموع رسائل وفتاوى فضيلة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله» «٣/ ٢٥٩».

والملائكة"[١]

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "ما رواه أبو داود، والترمذي، من حديث أبي الدرداء–رضي الله عنه–، قال : سمعت رسول الله–صلى الله عاليه وسلم–يقول: «من سلك طريقا يبتغي فيه علمًا سلك الله به طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات، ومن في الأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر». «[٢]» ... والطريق التي يسلكها إلى الجنة جزاء على سلوكه في الدنيا طريق العلم الموصلة إلى رضا ربه، ووضع الملائكة أجنحتها له تواضعًا له، وتوقيرًا، وإكرامًا لما يحمله من ميراث النبوة، ويطلبه، وهو يدل على المحبة والتعظيم، فمن محبة الملائكة له وتعظيمه تضع أجنحتها له، لأنه طالب لما به حياة العالم ونجاته، ففيه شبه من الملائكة، وبينه وبينهم تناسب، فإن الملائكة أنصح خلق الله وأنفعهم لبني آدم، وعلى أيديهم حصل لهم كل سعادة وعلم وهدى، ومن نفعهم لبني آدم ونصحهم أنهم يستغفرون لمسيئهم، ويثنون على مؤمنيهم، ويعينونهم على أعدائهم من الشياطين، ويحرصون على مصالح العبد أضعاف حرصه على مصلحة نفسه، بل يريدون له من خير الدنيا والآخرة ما لا يريده العبد، ولا يخطر بباله، كما قال بعض التابعين: وجدنا الملائكة أنصح خلق الله لعباده، ووجدنا الشياطين أغش الخلق للعباد.

---

[١] تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي «سورة غافر الآية: ٧».

[٢] رواه ابن ماجة في المقدمة «٢٢٣»، وأبو داود «٣٦٤١» وَ «٣٦٤٢»، والترمذي «٢٦٨٢»، وصححه الألباني في صحيح الترمذي «٣/ ٧١».

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ۚ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [غافر: الآيات: ٧-٩].

فأي نصح للعباد مثل هذا إلا نصح الأنبياء، فإذا طلب العبد العلم فقد سعى في أعظم ما ينصح به عباد الله، فلذلك تحبه الملائكة وتعظمه حتى تضع أجنحتها له، رضا، ومحبة، وتعظيما"(١)

قال مطرف بن عبد الله الشخير «ت: ٩٥ هـ»: "أنصح عباد الله للمؤمنين هم الملائكة، وأغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين"(٢)

ويتبين ذلك من خلال ذكر بعض أوجه الاختلاف بين عمل الملائكة وعمل الشياطين، ومنها:

الوجه الأول: الملائكة يسبحون بحمد ربهم، ويستغفرون لمن في الأرض، فهم أنصح الخلق لبني آدم، والشيطان أغش الخلق لبني آدم لأن الشيطان تعهد بإضلال بني آدم، وإغوائهم وإهلاكهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

قال-عزّ وجل-: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: الآية: ٢٧].

الوجه الثاني: والملائكة تأمر العباد بالخير، والشياطين تحثهم على الشر، وتأمرهم به، ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: الآية: ٣٦] . فالذي يعرض عن القرآن الكريم يعاقبه الله سبحانه، بأن يقيض له شيطانًا يكون قرينًا له. قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ * حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ

(١) مفتاح دار السعادة «١/ ٢٥٢-٢٥٧».

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي «سورة غافر: الآية: ٧».

الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ [الزخرف: الآيتان: ٣٧، ٣٨]. ولا يعصم الإنسان من الشيطان إلا ذكر الله.

الوجه الثالث: أن ذكر الله يطرد الشياطين عن الإنسان ويحضر الملائكة عنده.

ولذلك سُمِّيَ الشيطان بالوسواس الخنّاس، فإذا ترك الإنسان ذِكْرَ الله جاءه الشيطان، وإذا ذكر الله حفّت به الملائكة كما في الحديث: «ما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده».[(١)]

قال ابن مسكويه: "العبادة هي تعظيم الله تعالى وتمجيده وطاعته وإكرام أوليائه من الملائكة والأنبياء والأئمة والعمل بما توجبه الشريعة، وتقوى الله تعالى تتم هذه الأشياء وتكملها"[(٢)]

قال فخر الدين الرازي «ت: ٦٠٦هـ»: "وجد المؤمن بهذه الشهادة «أي التوحيد»:

١-أبوة إبراهيم، وهو قوله: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: الآية: ٧٨].

٢-وأمومة أزواج النبي-صلى الله عليه وسلم-﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: الآية: ٦].

٣-وأخوة المؤمنين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: الآية: ١٠].

٤-واستغفار الأنبياء: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: الآية: ١٩].

٥-واستغفار الملائكة: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: الآية: ٧].

٦-وشفيعًا مثل محمد-صلى الله عليه وسلم-: «شفاعتي لأهل الكبائر من أُمتي».[(٣)]

---

(١) أخرجه مسلم، «٢٦٩٩».

(٢) تهذيب الأخلاق «ص: ٣٣».

(٣) عجائب القرآن «ص: ٣٦-٣٧».

رابعًا: مراقبة الله في السر والعلن:

بأن يحاسب المرء نفسه على كل فعل أو قول صغيرًا كان أو كبيرًا، قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: الآية: ١٨]، وقال تعالى: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: الآيتان: ١١-١٢].

فمرتبة الإحسان هي أعلى مراتب الدين، "وهي لبُّ الإيمان وروحه وكماله، وهذه المنزلة تجمع جميعَ المنازل-منازل إياك نعبد وإياك نستعين-، فجميعها منطويةٌ فيها"[(١)] والإحسان فسره النبي-صلى الله عليه وسلم-بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». [(٢)]

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "وهو مشهد المراقبة، وهو أن يعبد الله كأنه يراه، وهذا المشهد إنما ينشأ من كمال الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، حتى كأنه يرى الله-سبحانه-فوق سماواته، مستويًا على عرشه، .... ومشهد الإحسان أصل أعمال القلوب كلها، فإنه يوجب الحياء، والإجلال والتعظيم والخشية والمحبة والإنابة، والتوكل والخضوع لله -سبحانه-، والذل له؛ ويقطع الوساوس وحديث النفس، ويجمع القلب والهم على الله، فحظ العبد من القرب من الله على قدر حظه من مقام الإحسان"[(٣)]

والإيمان بالملائكة خير معين على مرتبة الإحسان والمراقبة، فالملائكة هم الموكلون بكتابة أعمال بني آدم، من خير أو شر، قال الله سبحانه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَفِظِينَ * كِرَامًا كَتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: الآيات: ١٠ -١٢]. وقال-عز وجل-: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ

(١) مدارج السالكين «٣/ ٢٦٣».

(٢) أخرجه مسلم، «٨».

(٣) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، «ص: ٤٥».

رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: الآية: ١٨]، فإذا غُرسَ في نفس المسلم أن معه ملائكة لا يفارقونه طرفة عين، ويكتبون جميع ما يصدر منه من أعمال وأقوال؛ قاده ذلك إلى مراقبة الله–عز وجل–، وبلوغ مرتبة الإحسان التي هي أعلى مراتب الدين، وأعانه ذلك على الاستقامة على طاعة الله، فمن آمن بأن هناك ملائكة تكتب أعماله كلها فإن هذا يوجب خوفه من الله، وسيبادر إلى فعل الطاعات وترك المحرمات. [١]

خامسًا: الحياء من الملائكة:

الحياء من الخصال العظيمة التي حثّت عليها الشريعة ونوّهت بها، والإيمان بالملائكة يعين على التحقق بهاتين الخصلة الكريمة، فالملائكة دائمًا مع الإنسان لا تفارقه قال الله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار: الآيتان: ١٠-١١].

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: " أي: استحيوا هؤلاء الحافظين الكرام، وأكرموهم، وأجلوهم أن يروا منكم ما تستحيوا أن يراكم عليه من هو مثلكم"[٢]

والحياء من خصال الملائكة، فهي تستحي من بعض المؤمنين، كما قال النبي اليه عن عثمان: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة». [٣] فإذا غُرس في نفس المسلم أن معه من لا يفارقه طرفة عين، كان ذلك سببًا لتخلّقه بخلق الحياء الذي هو بوابة الخير وشعبة عظيمة من شُعب الإيمان.

سادسًا: الاجتهاد في الأعمال الصالحة:

فإن الملائكة يرفعون إلى الله أعمال بني آدم، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ

---

(١) انظر: أثر الإيمان بالملائكة في حياة النشء المسلم، د: طلال بن فواز الشمري، مجلة العلوم الشرعية، العدد «٧٣»، المجلد الرابع، «ص: ١٨٧-١٨٨».

(٢) الداء والدواء «ص: ٢٥٦».

(٣) أخرجه مسلم، « ٢٤٠١».

الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: الآية: ١٠].

وعن رفاعة بن رافع الزرقي–رضي الله عنه–، قال: "كنا يوماً نصلي وراء النبي–صلى الله عليه وسلم–، فلما رفع رأسه من الركعة قال:«سمع الله لمن حمده» قال: رجل وراءه: ربنا ولك الحمد، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فلما انصرف قال: «من المتكلم؟» قال: أنا، قال: «رأيت بضعة وثلاثين ملكًا يبتدرونها، أيهم يكتبها أول؟!» .[١]

فعلى المؤمن الإقبال على عمل الحسنات والبعد عن عمل السيئات حين يستشعر الإنسان وجود الملكين اللذين يسجلان عليه أعماله.

كما أن الإيمان بالملائكة يزيد من رغبة الإنسان في التقرب إلى الله بالعبادة والعمل الصالح تشبهاً بالملائكة الذين لا يفترون عن عبادة الله

سابعًا: حفظ حرمتهم وعدم إيذاء هؤلاء الملائكة:

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: «من أكل من هذه البقلة، الثوم»، وقال مرة: «من أكل البصل والثوم والكُرَّاث، فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم».[٢] .
[٣]

ثامنًا: موالاتهم وعداوة من يعاديهم:

فإنه إذا علم العبد المؤمن أن جبريل هو الذي جاء بالوحي فإنه يواليه ويحبه، ويعادي من يبغضه، فلا يُفَرِّقُ في ذلك بين مَلَكٍ ومَلَكٍ؛ لأنهم جميعًا عبادٌ لله، عامِلون بأمْرِه، تاركون لنَهْيِه. وقد زعم اليهودُ أنَّ لهم أولياءَ وأعداءً من المِلائِكةِ، فزعموا أنَّ جبريلَ عَدُوٌّ لهم، وأنَّ مِيكائيلَ وَلِيٌّ لهم، فأكذَبَ اللهُ تعالى دعواهم، فقال: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ

---

(١) أخرجه البخاري «٧٩٩».

(٢) أخرجه البخاري «٨٥٥».

(٣) المصدر: الإيمان بالكرام الكاتبين – د. أمين بن عبدالله الشقاوي، شبكة الألوكة.

بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: الآيتان: ٩٧-٩٨].

قال ابنُ كثيرٍ-رحمه الله-«ت: ٧٧٤ هـ»: "من عادى جِبريلَ فلْيَعلَمْ أنَّه الرُّوحُ الأمينُ الذي نزل بالذِّكرِ الحكيمِ على قَلْبِك من اللهِ بإذنِه له في ذلك، فهو رَسولٌ مِن رُسُلِ اللهِ، مَلَكيٌّ، عليه وعلى سائرِ إخوانِه من الملائِكةِ السَّلامُ، ومن عادى رسولًا فقد عادى جميعَ الرُّسُلِ، كما أنَّ من آمن برَسولٍ فإنَّه يَلزَمُه الإيمانُ بجميعِ الرُّسُلِ، وكما أنَّ من كَفَر برَسولٍ فإنَّه يَلزَمُه الكُفْرُ بجميعِ الرُّسُلِ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا «١٥٠» أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: الآيتان: ١٥٠-١٥١]، فحَكَم عليهم بالكُفْرِ المحَقَّقِ؛ إذ آمنوا ببَعضِ الرُّسُلِ وكَفَروا ببعضِهم، وكذلك من عادى جبريلَ فإنَّه عَدُوٌّ للهِ؛ لأنَّ جِبريلَ لا يَنزِلُ بالأمرِ من تِلقاءِ نَفْسِه، وإنما ينزِلُ بأمرِ رَبِّه، كما قال: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: الآية: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ «١٩٢» نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ «١٩٣» عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء: الآيات: ١٩٢-١٩٤]، وقد روى البخاريُّ في صحيحِه عن أبي هُرَيرةَ-رضي الله عنه-، قال: قال رَسولُ اللهِ-صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-: «من عادى لي وَلِيًّا فقد بارزني بالحَرْبِ»(١)؛ ولهذا غَضِب اللهُ لجبريلَ على من عاداه"(٢)

تاسعًا: إبطال دعوى عبادة غير الله:

فإن العبد إذا اعتقد وأقر بوجود الملائكة، وأنهم عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، ويخافون الله ويعبدونه، فإن هذا الاعتقاد يثمر إبطال دعوى عبادة غير

(١) أخرجه البخاري «٦٥٠٢» بلفظ: "آذَنْتُه بالحربِ" بدلًا من "بارزني بالحربِ".

(٢) يُنظر: «تفسير ابن كثير» «١/ ٣٤١».

الله؛ وذلك أنه إذا بطلت عبادة الملائكة المقربين فغيرهم من باب أولى"[(١)]

عاشرًا: الاقتداء بهم:

فإن العبد إذا آمن بالملائكة فإنه سيقتدي بهم في أعمالهم وعباداتهم، ومن تلك الأعمال ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: الآية: ٧].

وعن جابر بن سمرة–رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها» قال: قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربها قال: «يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف». [(٢)]

قال الإمام المعافى بن زكريا النهرواني الجريري«ت: ٣٩٠ هـ»–نسبة إلى مذهب ابن جرير الطبري–رحمه الله–«ت: ٣١٠ هـ»–: "وقد كان بعض من كان له في الدنيا صيت ومكانة عاتبني على ملازمة المنزل، وإغبابي زيارته، وإقلالي ما عودته من الإلمام به وغشيان حضرته، فقال لي: أما تستوحش الوحدة؟ ونحو هذا من المقالة.

فقلت له: أنا في منزلي إذا خلوت من جليس يقصد مجالستي، ويؤثر مساجلتي، في أحسن أنس وأجمله، وأعلاه وأنبله، لأنني أنظر في آثار الملائكة والأنبياء، والأئمة والعلماء، وخواص الأعلام الحكماء، وإلى غيرهم من الخلفاء والوزراء، والملوك والعظماء، والفلاسفة والأدباء، والكتاب والبلغاء، والرجاز والشعراء، وكأنني مجالس لهم، ومستأنس بهم، وغير ناء عن محاضرتهم، لوقوفي

---

(١) حقيقة الملائكة «ص: ٤٣».

(٢) أخرجه مسلم «٤٣٠».

على أبنائهم، ونظري فيما انتهى إلي من حكمهم وآرائهم"[(١)]

الحادي عشر: تحقيق التوحيد والعبودية لله-عز وجل-:

من ثمرات الإيمان بالملائكة وآثاره تحقيق التوحيد والعبودية لله-عز وجل-، فهذه المخلوقات العظيمة كلّها خاضعة لله، ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: الآية: ٦]، ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٠]، وهم أصحاب خشية عظيمة من الله-عز وجل-، قال سبحانه ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٨]. ولا يستغنون عن الله-عز وجل- طرفة عين، فإذا حقّق المؤمن الإيمان بالملائكة، وغُرس في نفسه أثمر ذلك عنده العبودية والتوحيد لله-عز وجل-، فهؤلاء الملائكة من أعظم مخلوقات الله-سبحانه-ومع ذلك هم في غاية الافتقار والخوف والتعبد لله سبحانه والله-سبحانه-غني عن العباد إذا استكبروا واستنكفوا عن عبادته قال سبحانه ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ [فصلت: الآية:٣٨] فاستحضار هذه المعاني أعظم معين للمؤمن على إفراد الله بالعبادة والقصد. فإذا كان الرب – سبحانه- بهذه العظمة وهذا الكبرياء وهذا الغنى والجبروت؛ كان هو المستحق للتذلل والتعظيم وقصده وحده دون ما سواه بالعبادة.[(٢)]

الثاني عشر: بث الشعور بالطمأنينة

السكينة والطمأنينة من أهم ما يحتاجه العبد في هذه الدنيا، فهذه الدنيا لا تخلو من منغصات وحوادث ومُزعجات، ولذا عُظمت الحاجة للطمأنينة والسكينة، "وأصل السّكينة هي الطُّمأنينة والوقار، والسُكون الذي يُنزله الله في قلب عبده، عند اضطرابه من شدّة المخاوف، فلا ينزعج

(١) كتاب الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي «١/ ١٦٤».

(٢) انظر: أثر الإيمان بالملائكة في حياة النشء المسلم، د: طلال بن فواز الشمري، مجلة العلوم الشرعية، العدد «٧٣»، المجلد الرابع، «ص: ١٨٥».

بعد ذلك لما يرِد عليه، ويوجب له زيادةَ الإيمان وقوّةَ اليقين والثبات"[١]

ومن آثار الإيمان بالملائكة حصول السكينة والطمأنينة، فالله–عز وجل–سخّر هؤلاء الملائكة لحفظ المؤمنين، وتثبيتهم وتسديدهم والدعاء لهم والاستغفار والصلاة عليهم، قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "فليس أحد أنفعَ للعبد من صحبة الملك له، وهو وليّه في يقظته ومنامه، وحياته، وعند موته، وفي قبره، ومؤنسُه في وحشته، وصاحبُه في خلوته، ومحدّثُه في سرّه. يحارب عنه عدوَّه، ويدافعه عنه، ويعينه عليه، ويعِدُه بالخير، ويبشّره به، ويحثّه على التصديق بالحقّ"[٢] "فإدراك المسلم لهذه الحقيقة وهي تسخير المولى وجبال الملائكة لحفظ الإنسان.... يحقق له الأمن والطمأنينة والصحة النفسية، ويدفع عنه القلق والاضطراب والخوف وكثير من الوساوس؛ لأنه في حفظ الملائكة، ومن كان في حفظ الملائكة تباعد عنه الشيطان، وعلى المسلم أن يكون على يقين بأن الله قد وكّل به من الملائكة من يحفظه ويرعاه"[٣]

فالمسلم يطمئن لحماية الله له، فقد جعل الله له حافظًا يحفظه بأمر الله من الشياطين ومن كل شر، قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: الآية: ١١].

والإيمان بالملائكة يملأ قلب الإنسان أنسًا بهذا الكون الرحيب من حوله إذ يعلم أنه معمور بتلك الأرواح النورانية، وأنها تتنزل على المؤمنين بالسكينة والطمأنينة

الثالث عشر: العزة عند الملائكة

مما يزيد من عزة الإنسان وكرامته، ومعرفته لمنزلته عند الله، أن الله سخر له الملائكة يحفظونه

---

[١] مدارج السالكين «٣/ ٣٣٢».

[٢] الداء والدواء «ص: ٢٥١».

[٣] المصدر: أثر الإيمان بالملائكة في حياة النشء المسلم، د: طلال بن فواز الشمري، مجلة العلوم الشرعية، العدد «٧٣»، المجلد الرابع، «ص: ١٩٣-١٩٤».

ويستغفرون له، ويطلبون له من ربه أن يحفظه من العذاب

قال السَّمرقَنديُّ: "فهؤلاء أصحابُ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كان خُلُقُهم التَّواضُعَ، وكانوا أعزَّاءَ

١-عِندَ الخَلقِ،

٢-وعند الملائكةِ،

٣-وعندَ اللَّهِ سُبحانَه وتعالى"[(١)]

الرابع عشر: التسليم للنصوص الشرعية:

التسليم للنصوص الشرعية هو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فإن الشهادة لله بالوحدانية؛ مبناها على التسليم التام لأمره ونهيه وخبره، ومقتضى الشهادة للنبي -صلى الله عليه وسلم- بالرسالة؛ طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع، فهو أصل عظيم يُبنى عليه الدين كله، وغرس مبدأ التسليم للنصوص الشرعية في النفوس صمام أمان ضد كثير من الانحرافات الفكرية المعاصرة والشبهات.

والإيمان بالملائكة يُربّي المسلم على هذا الأصل العظيم، فالإنسان لا يرى الملائكة بعينه، ومع ذلك يؤمن بوجودهم، ويوقن بقربهم، وأنهم حاضرون معه شاهدون على عمله، ويؤمن بكل ما جاءت به الشريعة عنهم، كل ذلك مبنيٌ على تسليمه بالنصوص الشرعية وانقياده لها. [(٢)]

فيتعلَّمَ المسلمُ التَّسليمَ والإيمانَ بما أخبرَ به ربُّه سبحانَه، ونبيُّه محمدٌ -صلى الله عليه وسلم-؛ وذلك أنه يؤمنُ بمخلوقاتٍ غيبيةٍ عنه، لم يَرَها قط، وهذا ابتلاءٌ من الله سبحانه لعبَادِه لينظُرَ من يُسلم ويؤمنُ، ومن يجحدُ ويكفرُ.

---

(١) "تنبيه الغافلين" «ص: ١٨٨».

(٢) انظر: أثر الإيمان بالملائكة في حياة النشء المسلم، د: طلال بن فواز الشمري، مجلة العلوم الشرعية، العدد «٧٣»، المجلد الرابع، «ص: ١٨٦».

الخامس عشر: زيادة أعمال القلوب كالخوف والخشية، والرجاء والإنابة:

وصف الله–عز وجل–الملائكة بالخوف والخشية، وهذا الخوف هو خوف إجلال وتعظيم، وإن كانوا آمنين من عذاب الله، وهذا الخوف والإجلال منشؤه علمهم بالله وعظيم حقه عليهم [(١)]، قال سبحانه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: الآية: ٥٠]. وقال سبحانه: ﴿وَهُم مِنْ خَشْيَتِهِ، مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٨]. ومما يبين شدة خوفهم من الله–عز وجل–أنهم إذا سمعوا كلام الله ارتعدوا وخافوا وأصابتهم الرهبة يقول الله–عز وجل–: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: الآية: ٢٣] قال رسول–صلى الله عليه وسلم–: «إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله، كالسلسلة على صفوان فإذا فُزّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير» "[(٢)] وعن أبي ذر قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدًا لله». [(٣)]

فإذا عرف المسلم أن هؤلاء الملائكة الكرام، مع عظيم خلقهم وقوتهم يخافون من الله هذا الخوف الكبير، ويخشونه هذه الخشية العظيمة، نما في قلبه الخوف والخشية من الله. كذلك يزيد في قلبه الرجاء والإنابة إذا علم أن هؤلاء الملائكة الكرام تستغفر للمؤمنين، كما قال الله–عز وجل–: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: الآية: ٧]، ويصلون عليهم كما أخبر سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ

---

(١) انظر: أهمية الإيمان بالملائكة وعلاماته النفسية والاجتماعية، لمحمود سعدات «ص: ١٩».

(٢) أخرجه البخاري، «٤٧٠١».

(٣) أخرجه الترمذي، في سننه برقم: «٢٣١٢». وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة «٤/ ٣٠٠».

لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية: ٤٣].

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه–، أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: «الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث، تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه»، [(١)] و"الصلاة من الملائكة، فبمعنى الدعاء للناس والاستغفار"[(٢)] فإذا استقر هذا في قلب المسلم كان سببًا معينًا على زيادة هذه الأعمال القلبية العظيمة في النفوس. [(٣)]

السادس عشر: إجابة الدعاء:

من الآثار المباركة لركن الإيمان بالملائكة حصول إجابة الدعاء، فإذا أيقن المسلم بهذا الركن العظيم وتغلغل في قلوبهم؛ سمت نفسه إلى تلمّس دعوات الملائكة، فقد ثبت أن الملائكة تدعو للمؤمن إذا دعا لأخيه بظهر الغيب، فقد جاء عن أبي الدرداء أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: «ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب، إلا قال الملك: ولك، بمثل». [(٤)] فإذا أمّنت الملائكة على أدعية المؤمنين، كان الدعاء مجابًا بإذن الله، ومن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر الله له ذنبه، قال «إذا أمَّنَ الإمام فأمّنوا، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة، غفر له ما تقدم من ذنبه». [(٥)] . [(٦)]

السابع عشر: معرفة حقيقة الدنيا وزوالها:

---

(١) أخرجه البخاري «٤٤٥».

(٢) تفسير ابن كثير «٦/ ٤٣٦». وانظر: تفسير الطبري «١٩/ ١٢٣».

(٣) انظر: أثر الإيمان بالملائكة في حياة النشء المسلم، د: طلال بن فواز الشمري، مجلة العلوم الشرعية، العدد «٧٣»، المجلد الرابع، «ص: ١٨٩-١٩٠».

(٤) أخرجه مسلم «٢٧٣٢».

(٥) أخرجه البخاري «٧٨٠»، ومسلم «٤١٠».

(٦) المصدر: أثر الإيمان بالملائكة في حياة النشء المسلم، د: طلال بن فواز الشمري، مجلة العلوم الشرعية، العدد «٧٣»، المجلد الرابع، «ص: ١٩١».

الدنيا دار فناء وزوال، والآخرة هي دار القرار، وهذا المبدأ مبدأ عظيم، جاء ذكره في القرآن كثيرًا، فإذا غُرس هذا المبدأ في المسلم أعانه على التوازن في حياته، وإعطاء كل ذي حق حقه من الاهتمام، فتكون الآخرة والعمل لها من القضايا المهمة في حياته، والإيمان بالملائكة خير معين على تحقيق هذا المبدأ، فالله–عز وجل–جعل ختام هذه الدنيا بالموت، وأوكل مهمة قبض الأرواح ونزعها إلى هؤلاء الملائكة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: الآية: ١١].

وقال سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: الآية: ٦١].

وفي حديث البراء بن عازب–رضي الله عنه–، عن النبي–صلى الله عليه وسلم–أنه قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة؛ نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت تليسَلِهم حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان.. الحديث». (١) فإيمان المسلم بملك الموت، والملائكة التي تصعد بأرواح العباد، كل ذلك سيوضّح له حقيقة الدنيا وأنها زائلة، فيدعوه ذلك إلى أهمية اغتنام هذا العمر والعمل للآخرة. (٢)

فعلى الإنسان الانتباه إلى أن هذه الحياة الدنيا فانية لا تدوم، حين يتذكر ملك الموت المأمور بقبض الأرواح حين يتوفاها الله ، ومن ثمَّ فلا تستحق هذه الحياة الدنيا أن يُشْغَل بها الإنسان

---

(١) أخرجه أحمد «٥٧٣٩، وأبو داود «٤٧٥٣».

(٢) المصدر: أثر الإيمان بالملائكة في حياة النشء المسلم، د: طلال بن فواز الشمري، مجلة العلوم الشرعية، العدد «٧٣»، المجلد الرابع، «ص: ١٩١-١٩٢».

عن الآخرة ، ويكفيه منها المتاع الطيب الحلال الذي أباحه الله

وعلى المؤمن أن يعمل حسابًا للآخرة حين يتذكر الإنسان ترحيب الملائكة بالمؤمنين في الجنة وتعذيبهم للكفار في النار، فيجب أن يكون ممن أنعم الله عليهم بجنته ورضوانه ووقاهم عذاب السموم.

الثامن عشر: إضعاف كيد الشيطان وسلطانه على النفس:

الشيطان هو العدو الأول للإنسان، قال سبحانه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: الآية: ٦]، والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، ومن آثار إيمان المؤمنين بالملائكة واستشعارهم ملازمة الملك لهم؛ إضعاف كيد الشيطان عليهم ووسوسته، خاصة إذا أتى بالأذكار الشرعية التي توجب الحفظ، كقراءة آية الكرسي قبل النوم، كقصة أبي هريرة مع الشيطان وقول الشيطان له: «إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، لن يزال من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تُصبح، فقال النبي–صلى الله عليه وسلم–«صدقك وهو كذوب». [(١)]

وقول: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، عشر مرات على بعد صلاة المغرب، فمن قالها «بعث الله له مسلحة يحفظونه من الشيطان حتى يصبح». [(٢)] كذلك المبيت على طهارة لقول النبي : «من بات طاهرًا بات في شعاره ملك، فلم يستيقظ إلا قال الملك: اللهم اغفر لعبدك فلان، فإنه بات طاهرًا». [(٣)]

---

(١) انظر: أخرجه البخاري، « ٣٢٧٥».

(٢) أخرجه الترمذي، «٣٥٣٤»، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة «٢٥٦٣».

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه «١/ ٢٢٧»، برقم «١٨٩»، والطبراني في الكبير «١٢/ ٤٤٦» برقم «١٣٦٢٠»، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة «٦/ ٨٩»، برقم «٢٥٣٩».

فالإتيان بهذه الأذكار وغيرها سبب لملازمة الملائكة وحفظها للعبد، فإذا حفظته الملائكة وأحاطت به؛ بعُد عنه الشيطان وضعُف نفوذه عليه. [١]

التاسع عشر: بعث الأمل والتفاؤل في النفوس:

من الآثار العظيمة التي يثمرها الإيمان بالملائكة بعث الأمل والتفاؤل في النفوس، "فالملائكة يبشرون المسلم في مواطن كثيرة، ويدخلون على نفسه السعادة والطمأنينة والسرور، وينصرونه ويؤيدونه، ويزيحون عنه أشباح اليأس من خلال إلهام الخير، وتزيين المعروف"[٢]

فالملائكة قد بشرت زكريا-عليه السلام-قال الله: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: الآية: ٣٩].

وبشرت مريم: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ] [آل عمران: الآية: ٤٥]. والملائكة تنصر المسلمين في ساحات القتال قال الله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: الآية: ٩]، ويبشرونهم عند الموت كما قال الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: الآية: ٣٠].

فهذا كله إذا استقر في نفس المسلم كان سببًا لبعث الأمل والقوة والتفاؤل في نفسه، لعلمه أن

---

(١) المصدر: أثر الإيمان بالملائكة في حياة النشء المسلم، د: طلال بن فواز الشمري، مجلة العلوم الشرعية، العدد «٧٣»، المجلد الرابع، «ص: ١٩٤-١٩٥».

(٢) الآثار التربوية للإيمان بالملائكة «ص: ٢١٢».

الله سخّر له هؤلاء الملائكة، يبشرونه وينصرونه ويؤيدونه. [(١)]

العشرون: الحث على السخاء والجود:

السخاء والجود من الخصال الجليلة التي ينبغي أن يُنشَّأَ عليها النشء المسلم، والإيمان بالملائكة وغرسه في نفوس النشء معين على التحقق بهذه الخصلة العظيمة، فقد «كان النبي وله أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله وأجود بالخير من الريح المرسلة». [(٢)]

وعن أبي هريرة–رضي الله عنه–أن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: «ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا». [(٣)] فهذان الحديثان فيهما أثر ملاقاة جبريل على النبي–صلى الله عليه وسلم–وكيف يكون حال النبي–صلى الله عليه وسلم–بعد هذه الملاقاة في السخاء والجود، وفيها دعاء الملائكة كل صباح للمنفقين ودعاءهم على الممسكين، فمن خلال هذه الأحاديث نستطيع أن نغرس خلق الجود في النشء من خلال حثهم على اغتنام دعوات الملائكة بالإنفاق، والحذر من الإمساك والتقتير الذي هو سبب جالب لدعاء الملائكة بالتلف للممسك. [(٤)]

الحادي والعشرون: زيادة الألفة والمحبة للمؤمنين:

من آثار الإيمان بالملائكة؛ زيادة الألفة والمحبة بين المؤمنين، فقد ثبتت أحاديث كثيرة فيها دعاء

---

(١) المصدر: أثر الإيمان بالملائكة في حياة النشء المسلم، د: طلال بن فواز الشمري، مجلة العلوم الشرعية، العدد «٧٣»، المجلد الرابع، «ص: ١٩٥-١٩٦».

(٢) أخرجه البخاري، «٣٥٥٤».

(٣) أخرجه البخاري، «١٤٤٢».

(٤) المصدر: أثر الإيمان بالملائكة في حياة النشء المسلم، د: طلال بن فواز الشمري، مجلة العلوم الشرعية، العدد «٧٣»، المجلد الرابع، «ص: ١٩٦-١٩٧».

الملائكة لمن يزور مريضًا، أو أخًا له في الله، ولمن دعا لأخيه بظهر الغيب، فعن علي بن أبي طالب-رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم-يقول: «ما من مسلم يعود مسلمًا غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة». (١)

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «من عاد مريضًا أو زار أخًا له في الله، ناداه مناد أن طبت وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلًا». (٢)

كذلك الدعاء للمسلم بظهر الغيب، سبب لقول الملك: «ولك بمثل». (٣)

فإذا استشعر المسلم أن الملائكة تدعو له وتستغفر له إذا عاد مريضًا، أو زار أخًا له في الله، أو دعا لإخوانه بظهر الغيب، كان ذلك سببًا لقيامه بهذه الأعمال الجليلة، ولا يخفى أن هذه الأعمال من عيادة المرضى وزيارة الإخوان في الله والدعاء للمسلمين بظهر الغيب سبب من أسباب شيوع الألفة والمحبة بين المؤمنين. (٤)

الثاني والعشرون: إحياء خلق التواضع:

من ثمرات الإيمان بالملائكة خلق التواضع، فإذا آمن المسلم بالملائكة وتحقق به هذا الإيمان، ورأى أن هؤلاء الملائكة مع قوتهم وعظيم خلقهم خاضعون لله منيبون إليه، متذللون له غاية

---

(١) أخرجه الترمذي، في سننه برقم «٩٦٩»، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، «٣/ ٣٥٨»، برقم « ٣٤٧٥».

(٢) أخرجه الترمذي، في سننه برقم «٢٠٨»، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، «٢/٦٨٩»، برقم «٢٥٧٧».

(٣) أخرجه مسلم « ٢٧٣٢».

(٤) المصدر: أثر الإيمان بالملائكة في حياة النشء المسلم، د: طلال بن فواز الشمري، مجلة العلوم الشرعية، العدد «٧٣»، المجلد الرابع، «ص: ١٩٧-١٩٨».

التذلل، كما قال الله: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: الآيتان: ١٩-٢٠] قاده ذلك إلى التخلق بهذا الخلق والاقتداء بهؤلاء الملائكة الكرام. [(١)]

الثالث والعشرون: الإتقان والنظام وحسن الترتيب:

الإتقان والنظام والترتيب سمات حسنة، له أثر كبير على من تحلّى بها، ومن المعينات على ذلك وجود القدوة، والملائكة خير من يُقتدى بهم في ذلك، وقد أمرنا النبي-صلى الله عليه وسلم- بالاقتداء بهم فقال: «ألا تصفّون كما تصف الملائكة عند ربّها»، فقال الصحابة: وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: «يُتمّون الصفوف الأُوَل، ويتراصُّون في الصف». [(٢)]

قال الشوكاني: "قوله-صلى الله عليه وسلم-: «كما تصف الملائكة» فيه الاقتداء بأفعال الملائكة في صلاتهم وتعبداتهم"[(٣)]

والنظام وحسن الترتيب والإتقان من الآثار التربوية في حياة المسلم التي ينبغي أن يتعلمها من الملائكة من خلال "فعل الملائكة في الاصطفاف وغيره من أفعالهم الأخرى، فكل أفعالهم مبنية على النظام والترتيب، فكل ملك من الملائكة له وظيفة ومهمة محددة يقوم بها لا يتعدّاها إلى

(١) المصدر: أثر الإيمان بالملائكة في حياة النشء المسلم، د: طلال بن فواز الشمري، مجلة العلوم الشرعية، العدد «٧٣»، المجلد الرابع، «ص: ١٩٨-١٩٩».

(٢) أخرجه مسلم، «٤٣٠».

(٣) نيل الأوطار للشوكاني «٣/ ٢٢٥».

غيرها، وهذا السلوك يقود المسلم إلى غرس حب النظام وكراهية الفوضى في النفس"[(١)] .[(٢)]

وهذا يُرَبِّي في النفس النظام والطاعة، وترتيب الأمور، فالله القادر على كل شيء، قد نظم شئون الكون، ووكل ببعضها بعض ملائكته، فأطاعوه، وعملوا بأمره

الرابع والعشرون: اغتنام الوقت:

الوقت هو رأس مال الإنسان، "فوقت الإنسان هو عمره في الحقيقة، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم"[(٣)] وإيمان المسلم بهذا الأمر أعظم معين له على اغتنام وقته وعمره، فالإيمان بملازمة الملائكة للإنسان ومراقبته لأفعاله وكتابتها لأفعاله من أكبر الدوافع على استغلال الوقت واغتنام أوقات العمر بما ينفع عند الله. فإذا علِم أن الملائكة تكتب وتسجل كل ما يصدر منه، وكل قول أو فعل أو عمل مكتوب له أو عليه، كان ذلك أعظم محفزٍ له على ملء هذا الوقت بالطاعات والعبادات، وحفظه من الضياع، لأن كل دقيقة محسوبة من عمره، والعمل فيها مكتوب ومحفوظ عليه. [(٤)]

الخامس والعشرون: حث المؤمن على الصبر:

حثُّ المؤمنِ على الصبر، ومواصلةِ الجهادِ في سبيل الله، وعدم اليأسِ، وذلك أنه يعلمُ أن الملائكة جنودُ الله معه وأنه ليس وحدَه.

---

(١) انظر: الآثار التربوية للإيمان بالملائكة «ص: ١٠٦».

(٢) المصدر: أثر الإيمان بالملائكة في حياة النشء المسلم، د: طلال بن فواز الشمري، مجلة العلوم الشرعية، العدد «٧٣»، المجلد الرابع، «ص: ١٩٩».

(٣) الداء والدواء «ص: ٣٥٨».

(٤) المصدر: أثر الإيمان بالملائكة في حياة النشء المسلم، د: طلال بن فواز الشمري، مجلة العلوم الشرعية، العدد «٧٣»، المجلد الرابع، «ص: ١٩٩-٢٠٠».

السادس والعشرون: إظهار عظم النبوة والرسالة باختيار خيرة الملائكة ليكونوا وسطاء في تبليغها:

إظهارُ عِظَمِ النبوةِ والرسالةِ، ورِفْعةِ منزلةِ الشرائعِ الإلهيةِ وشرفِ العلومِ الربانيةِ الموحَاةِ إلى الأنبياءِ والمرسلين عليهم السلام، وذلك أنَّ الله سبحانه قد اختارَ من خِيرَةِ الملائكة وُسَطاء بينه وبين الرسل عليهم السلام، يبلِّغونهم شرائعَ ربِّهم وأوامرَه ونواهيه.

المسألة الخامسة: صفات الملائكة وقدراتهم:

- مادة خلقهم ووقته.

إنّ المادة التي خلقوا منها هي النور؛ ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم».(١)

"ولم يبين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أي نور هذا الذي خلقوا منه، ولذلك فإننا لا نستطيع أن نخوض في هذا الأمر لمزيد من التحديد؛ لأنه غيب لم يرد فيه ما يوضحه أكثر من هذا الحديث".(٢)

ولا ندري متى خُلقوا، فالله-سبحانه-لم يخبرنا بذلك، ولكننا نعلم أنّ خلقهم سابق على خلق آدم أبي البشر، فقد أخبرنا الله أنه أعلم ملائكته أنه جاعل في الأرض خليقة: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفة﴾ [البقرة: ٣٠]، والمراد بالخليفة آدم عليه السلام، وأمرهم بالسجود له حين خلقه: ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾

(١) صحيح مسلم: ٤/ ٢٢٩٤. ورقمه: ٢٩٩٦.

(٢) عالم الملائكة الأبرار ص ٩.

[الحجر: ٢٩].[1]

- عِظَم خلقهم.[2]

قال الله تعالى في ملائكة النار: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظٌ شدادٌ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ [التحريم: ٦].

ومن الأمثلة عظم خلقهم ما ورد في الأحاديث التي تتحدث عن ملكين كريمين هما:

١-عِظم خلق جبريل عليه السلام:

رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام على صورته التي خلقه الله عليها مرتين، هما المذكورتان في قوله تعالى: ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾» [التكوير: ٢٣]، وفي قوله: ﴿ولقد رآه نزلةً أخرى-عند سدرة المنتهى-عندها جنة المأوى﴾» [النجم: ١٣-١٥]، عندما عرج به إلى السماوات العلا.

وقد ورد في صحيح مسلم: أن عائشة رضي الله عنها سألت الرسول صلى الله عليه وسلم عن هاتين الآيتين فقال صلى الله عليه وسلم: «إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرتين.

رأيته منهبطاً من السماء، سادّاً عِظَمُ خَلْقه ما بين السماء إلى الأرض».[3]

وسئلت عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى: ﴿ثم دنا فتدلَّى﴾ [النجم: ٨]، فقالت: " إنما ذلك جبريل عليه السلام، كان يأتيه في صورة الرجال، وإنه أتاه في هذه المرة في صورته، التي هي صورته، فسدّ أفق السماء".[4]

---

(١) عالم الملائكة الأبرار ص ١٠.

(٢) المصدر: عالم الملائكة الأبرار ص ١٠،١١

(٣) صحيح مسلم: ١/ ١٥٩. ورقم الحديث: ١٧٧.

(٤) صحيح مسلم: ١/ ١٦٠. ورقمه: ١٧٧.

وورد في صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود أنه قال: " رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل له ستمائة جناح".[١]

وقال ابن مسعود أيضاً في قوله تعالى: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾» [النجم: ١٨] " أي رفرفاً أخضر قد سدّ الأفق"[٢] وهذا الرفرف الذي سدّ الأفق هو ما كان عليه جبريل، فقد ذكر ابن حجر أن النسائي والحاكم رويا من طريقهما عن ابن مسعود قال: " أبصر نبي الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام على رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض ".[٣]

وذكر ابن حجر أن ابن مسعود قال في رواية النسائي: " رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل له ستمائة جناح قد سدّ الأفق ".[٤]

وفي مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود قال: " رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته، وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سدّ الأفق. يسقط من جناحه التهاويل[٥] من الدرر واليواقيت ".

قال ابن كثير في هذا الحديث: " إسناده جيد".[٦]

وقال في وصف جبريل: ﴿إنه لقول رسولٍ كريمٍ-ذي قوةٍ عند ذي العرش مكينٍ-مُّطاعٍ ثم أمينٍ﴾ [التكوير: ١٩-٢١]، والمراد بالرسول الكريم هنا: جبريل، وذي العرش: رب العزة سبحانه.

٢-عِظم خلقة حَمَلة العرش:

---

(١) صحيح البخاري: ٨/ ٦١٠. ورقمه: ٤٨٥٦، ٤٨٥٧.

(٢) صحيح البخاري: ٨/ ٦١١. ورقمه: ٤٨٥٨.

(٣) فتح الباري: ٨/ ٦١١.

(٤) فتح الباري: ٨/ ٦١١.

(٥) التهاويل: الأشياء المختلفة الألوان.

(٦) البداية والنهاية: ١/ ٤٧.

روى أبو داود عن جابر بن عبد الله–رضي الله عنهما–أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أُذن لي أن أُحدِّث عن ملك من ملائكة الله، من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام».(١)

ورواه ابن أبي حاتم وقال: «تخفق الطير" قال محقق مشكاة المصابيح: "إسناده صحيح".(٢)

وروى الطبراني في معجمه الأوسط بإسناد صحيح عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش، رجلاه في الأرض السفلى، وعلى قرنه العرش، وبين شحمة أذنيه وعاتقه خفقان الطير سبعمائة عام، يقول ذلك الملك: سبحانك حيث كنت».(٣)

- **أهم الصفات الخَلقِية.**

يمكن تقسيم صفاتهم الخَلقِية إلى قسمين رئيسيين هما:

أولًا: صفاتهم الثبوتية:

كثرتهم:

يؤمن أهل الإسلام بأن الملائكة خلق كثير، لا يحصيهم إلا الله تعالى، وقد دلت النصوص على تلك الكثرة، ومنها:

- قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: الآية: ٣١].

▪ عن أبي ذر–رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: «إني أرى

(١) صحيح سنن أبي داود: ٣/ ٨٩٥. ورقمه: ٩٣٥٣.

(٢) مشكاة المصابيح: ٣/ ١٢١. وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، حديث رقم: ١٥١.

(٣) صحيح الجامع الصغير. الطبعة الثالثة: ١/ ٢٠٨. ورقمه: ٨٥٣.

ما لا ترون، أطّتِ[١] السماءُ وحُق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدًا لله تعالى، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصُّعُدات تجأرون إلى الله تعالى». [٢]

- وعن مالك بن صعصعة –رضي الله عنه–، في قصة الإسراء: قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: «... ثم رفع لي البيت المعمور، فقلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم». [٣]
- وعن أنس بن مالك –رضي الله عنه–، في قصة الإسراء: قال –صلى الله عليه وسلم–: «ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم –صلى الله عليه وسلم– مسندًا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه». [٤]
- وعن أبي هريرة –رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– «ليلة القدر ليلة السابعة، أو التاسعة وعشرين، وإن الملائكة تلك الليلة أكثر من عدد الحصى». [٥]
- وعن عائشة –رضي الله عنها–، أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: «ما في السماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم، فذلك قول الملائكة ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: الآيات:

---

(١) أطت: الأطيط: صـــوت الأقتاب، والمعنى: أن كثرة ما في الســـماء من الملائكة قد أثقلها حتى أطت" انظر: النهاية في غريب الحديث «ص: ٤٣».

(٢) أخرجه الترمذي، باب في قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا»، «٤/ ٥٥٦»، رقم: «٢٣١٢»، وصححه الألباني في السلسلة، رقم: «١٧٢٢».

(٣) رواه البخاري «٣٢٠٧» ومسلم «١٦٤» واللَّفظُ له.

(٤) رواه مسلم «١٦٢» مطولًا.

(٥) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه «٣/ ٣٣٢»، برقم: «٢١٩٤».

١٦٤-١٦٦]».[1]

- عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «يؤتى بجهنم يومئذ لا سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها».[2]

- وعن سعيد بن المسيب -رحمه الله- أنه كان يقول: «من صلى بأرض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك، فإذا أذن وأقام الصلاة أو قام صلى وراءه من الملائكة أمثال الجبال».[3]

قال ابن تيمية -رحمه الله- «ت: ٧٢٨ هـ»: "وهم كثيرون كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: الآية: ٣١]"[4]

قال ابن القيم -رحمه الله- «ت: ٧٥١ هـ»: "قد أطت بهم السماوات، وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك قائم، أو راكع، أو ساجد، ويدخل البيت المعمور كل يوم منهم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه آخر ما عليهم"[5]

قال ابن القيم -رحمه الله- «ت: ٧٥١ هـ»: "ملء -عز وجل- سماواته من ملائكته"«[6]»

قال أبو العباس القرطبي -رحمه الله- «ت: ٦٥٦ هـ»: "البيت المعمور سمي بذلك؛ لكثرة عمارته

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة «١/ ٢٦٠»، وحسنه الألباني في الصحيحة «٣/٤٩».

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه «٧٣٤٣».

(٣) أخرجه مالك في الموطأ «١/ ٧٤» برقم: «١٦٠»، وعبد الرزاق في المصنف، «١/ ٥١٠» برقم: «١٩٥٤»، وجميع رجال الإسناد ثقات، والسند فيه إسقاط الصحابي، إلا أن عادة الإمام مالك إرسال الأحاديث وإسقاط رجل، وقال الشافعي وأحمد وغير واحد مراسيل ابن المسيب صحاح. انظر: إسعاف الموطأ «١/ ١٢».

(٤) رسالة الفرقان «١/ ٦٧».

(٥) إغاثة اللهفان «٢/ ٨٤٩».

(٦) طريق الهجرتين «ص: ٣٠٢».

بدخول الملائكة فيه وتعبدهم عنده"(١)

وقال النووي-رحمه الله-«ت: ٦٧٦ هـ»: "وفي هذا أعظم دليل على كثرة الملائكة صلوات الله وسلامه عليهم. والله أعلم"(٢)

ومن هذا يعلم أن النصوص دلت على كثرتهم ولم تحدد عددهم بالضبط فذلك مما استأثر الله بعلمه فلا يعلم عدتهم إلا الله وحده، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: الآية: ٣١].

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "وملائكة الله لا يحصي عددهم إلا الله ..."، وقال: "إن الذي في الكتاب والسنة من ذكر الملائكة وكثرتهم أمر لا يحصر"(٣)

روحانيون

الملائكة أرواح، لهم ما يناسبهم من الصفات؛ فقد سمى الله جبريل-عليه السلام-روحًا، قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَبِّكَ﴾ [النحل: الآية: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: الآية: ١٩٣].

وقال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: الآية: ١٧].

قال ابن بطة-رحمه الله-«ت: ٣٨٧ هـ»: "قد أخبرنا أن الملائكة صمد روحانيون، لا أجواف لهم"(٤)

وقال ابن قتيبة-رحمه الله-«ت: ٢٧٦ هـ»: "والذي نذهب إليه فيه أن ملائكة الله تعالىٰ روحانيون، والروحاني منسوب إلىٰ الروح، نسبة الخلقة، فكأنهم أرواح لا جثث لهم، فتلحقها الأبصار، ولا عيون لها كعيوننا، ولا أبشار كأبشارنا.

---

(١) يُنظر: المفهم «١/ ٣٨٩».

(٢) يُنظر: شرح مسلم «٢/ ٢٢٥».

(٣) مجموع الفتاوى «٤/ ١٩٩-١٢٠».

(٤) الإبانة لابن بطة «٦/ ٣٠٣».

ولسنا نعلم كيف هيأهم الله تعالى: لأنا لا نعرف من الأشياء إلا ما شاهدنا، وإلا ما رأينا له مثالًا، وكذلك الجن، والشياطين، والغيلان هي أرواح، ولا نعلم كيفيتها.

وإنما تنتهي في صفاتها إلى حيث ما وصف الله-جل وعز- لنا، ورسوله-صلى الله عليه وسلم-"[(١)]

قال الحليمي-رحمه الله-«ت: ٤٠٣ هـ»: "ثم أن الملائكة يسمون روحانيين، بضم الراء، على معنى أنهم أرواح لا شيء معها من ماء أو نار أو تراب.

وقال بعض الناس: إن الملائكة روحانية بفتح الراء، بمعنى أنهم ليسوا محصورين في الأبنية والطلل، ولكنهم في فسحة وبساطة، وقد قيل: إن ملائكة الرحمة هم الروحانيين-بفتح الراء-، وملائكة العذاب هم الكريبيون فهذا من الكرب، وذاك من الروح والله أعلم"[(٢)]

وقال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "ومن تمام ظهور آيات الرب تعالى وكمال اقتداره وحكمته أن يخلق مثل جبريل-صلوات الله وسلامه عليه-الذي هو أطيب الأرواح العلوية، وأزكاها، وأطهرها، وأشرفها، وهو السفير في كل خير"[(٣)]

وقال ابن حجر-رحمه الله-«ت: ٨٥٢ هـ»: "وقد وقع الاتفاق علىٰ أن الملائكة مخلوقون، وهم أرواح"[(٤)]

فإن قيل: ألم يسم الله عيسىٰ روحًا، مع أنه جسد.

والجواب: أن الله لم يسم عيسىٰ روحًا، وإنما قال سبحانه «وروح منه»؛ أي: نفخت فيه الروح بإذن الله.

فالجسد مغاير للروح.

---

(١) تأويل مختلف الحديث «ص: ٤٠١».

(٢) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي، «١/ ٣٠٨».

(٣) شفاء العليل «ص: ٢٢٤».

(٤) فتح الباري «١٣/ ٤٤٤».

والملائكة أعيان قائمة بأنفسها متميزة، وليسوا أعراضًا، ولا يلزم من ذلك أن يكونوا أجسادًا، بل هم أرواح كما تقدم، ولا نعلم حقيقة كنههم.

ومما يدل علىٰ أنهم أعيان: «أن النبي–صلى الله عليه وسلم–رأىٰ جبريل في صورته له ستمائة جناح»[١].

وهاهنا أمر، وهو: أن من الناس من أراد أن يجعل العقول والنفوس التي عند الفلاسفة هي الملائكة التي عند الأنبياء، وقالوا: إن في السماء أرواحًا، ويقصدون بذلك العقول العشرة التي يثبتها الفلاسفة، وهي عندهم أرواح مجردة عن المادة.

فما يثبتونه ليست هي الملائكة، فالملائكة الذين ذكروا في القرآن ليست حقيقتهم كما يتصوره هؤلاء"[٢] [٣].

وعن اللطافة في الخلقة: قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ» خلال كلامه عن سؤال الملكين للميت في القبر، وتوسعة القبر له، أو تضييقه عليه: "من أعظم الجهل استبعاد شَقَّ الْمَلَكِ الأرضَ , والحَجَرَ، وقد جعلهما الله–سبحانه – له كالهواء للطير"«[٤]»

ناطقون:

فقد دلت النصوص علىٰ أن الملائكة عَلَيْهِم السَّلامُ يتكلمون وكلامهم يسمع، وصفة الكلام ملازمة لهم حتى في حال تمثلهم بصورة بني آدم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية: ٣٠]. فمن صفات الملائكة الجسدية الكلام وهي صفة كمال ولا شك فيجب اعتقاد ذلك والإيمان به ووصفهم عَلَيْهِم السَّلَامُ

---

(١) أخرجه البخارى في صحيحه «١/ ١٥٨» «ح: ١٧٤».

(٢) مجموع الفتاوى «٤/ ١١٩».

(٣) المصدر: بحث بعنوان "حقيقة الملائكة" لأحمد بن محمد النجار، «ص: ١٤–١٧».

(٤) الروح ص « ٩٨ » .

بذلك"[١]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "إن الملائكة التي أخبرت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام أحياء ناطقون أعظم مخلوقات الله تعالى"[٢]

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "أجاب الملائكة لما قال لهم: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية: ٣٠].

ولو كان فعله مجردًا عن الحكم والغايات والمصـــالح لكان الملائكة أعلم به أن ســـألوا هذا السـؤال، ولم يصـح جوابهم بتفرده بعلم مالا يعلمونه من الحكم والمصـلحة التي في خلق هذه الخليفة.

ولهذا كان سؤالهم إنما وقع عن وجه الحكمة، لم يكن اعتراضا على الرب-تعالى-.

ولو قدر أنه على وجه الاعتراض فهو دليل على علمهم أنه لا يفعل شيئًا إلا لحكمة , فلما رأوا أن خلق هذا الخليقة مناف للحكمة في الظاهر سألوه عن ذلك"[٣]

جمال الملائكة:

يذكر ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ» أن عموم الملائكة موصـوفون بالجمال، والحسـن، والبهاء، وهذا في قوله : "أما دلالة : ﴿فَٱلْمُقَسِّـــمَـٰتِ أَمْرًا﴾[الذاريات : ٤]، وهم: الملائكة، فلأن ما يشاهد من تدبير العالم العلوي والسفلي، وما لا يشاهد؛ إنما هو على أيدي الملائكة

...

(١) معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين، محمد بن عبد الوهاب العقيل، «ص: ٧٥».

(٢) رسالة الفرقان «١/ ٦٧».

(٣) شفاء العليل «ص: ٣٤٠-٣٤٢».

هذا مع ما في خلق الملائكة من البهاء، والحسن، وما فيهم من القوة، والشدة، ولطافة الجسم، وحسن الخلقة، وكمال الانقياد لأمره، والقيام في خدمته، وتنفيذ أوامره، في أقطار العالم"(١)

فقد خلقهم الله على صور جميلة كريمة قال تعالى في جبريل: ﴿علَّمه شديد القوى * ذو مرةٍ فاستوى﴾ [النجم: الآيتان: ٥-٦].

وقال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "قال تعالى في وصفه : ﴿علَّمه شديد القوى * ذو مرةٍ فاستوى﴾ [النجم: الآيتان: ٥-٦].

قال ابن عباس-رضي الله عنهما-«ت: ٦٨ هـ»: ذو منظر حسن .

وقال قتادة-رحمه الله-«ت: ١١٧ هـ»: ذو خلق حسن .

وقال ابن جرير-رحمه الله-«ت: ٣١٠ هـ»: عني بالمِرَّة: صحة الجسم، وسلامته؛ من: الآفات، والعاهات، والجسم إذا كان كذلك من الإنسان كان قويًا"(٢)

والمِرَّة: واحدة: المرر، وإنما أريد به: ذو مرة سوية« (٣) » .

ومنه قول النبي-صلى الله عليه وسلم-: «لا تحل الصدقة لغني، ولا لذي مرة سوي». (٤) .

وقيل: ذو مرة: ذو قوة. ولا منافاة بين القولين، فهو قوي وحسن المنظر.

والمرة: القوة والشدة في الخلق، وقيل ذو صحة جسم وسلامة من الآفات، وقيل: حسن الخلق وهو جبريل عليه السلام. (٥)

---

(١) التبيان في أقسام القرآن «ص: ١٦٦-١٦٧» .

(٢) انظر كل هذه الأقوال في الآية في: تفسير ابن جرير الطبري «١١/ ٥٠٤ »، وتفسير البغوي ص «١٢٤٢».

(٣) انظر : المفردات في غريب القرآن ص « ٤٦٨ » , والنهاية في غريب الحديث ص « ٨٥٠ » , ولسان العرب « ١٣ / ٧١ » .

(٤) رواه أحمد في المسند «١١/ ٨٤ »، رقم: «٦٥٣٠»، وقال محققوا المسند: "إسناده قوي"، وابن ماجة، «١٨٤٠»، وأبو داود، «١٦٣٤»، والحاكم في مستدركه «١/ ٥٦٥»، وقال : "على شرط الشيخين، ولم يخرجاه"، وصححه الألباني في الإرواء رقم: «٨٧٠».

(٥) أصول الإيمان للشيخ محمد بن عبد الوهاب «ص: ٩١»، وفتح القدير للشوكاني «٥/ ١٤٩».

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: عن جمال جبريل–عليه السلام–خاصة: "

قال تعالى : ﴿علَّمه شديد القوى * ذو مرةٍ فاستوى﴾ [النجم: الآيتان: ٥–٦].

وهو: جبريل–عليه الصلاة والسلام–، والمرة : المنظر البهي الجميل، فأعطاه كمال القوة في باطنه، وجمال المنظر في ظاهره"«[١]»

وقد تقرر عند الناس وصف الملائكة بالجمال، كما تقرر عندهم وصف الشياطين بالقبح، ولذلك تراهم يشبهون الجميل من البشر بالملك، انظر إلى ما قالته النسوة في يوسف الصديق عندما رأينه: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: الآية: ٣١].

وذكرت السنة أجمل شباب العرب الصحابي الجليل دحية–رضي الله عنه–، وكان أجمل الصحابة الموجودين بالمدينة.[٢]

وكان جبريل عليه السلام يأتي بصورة دحية الكلبي–رضي الله عنه–، وهو من المشهورين بالجمال.

- عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: "أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام أَتَى النَّبِيَّ–صلى الله عليه وسلم–وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ فَجَعَلَ يُحَدِّثُ ثُمَّ قَامَ فَقَالَ النَّبِيُّ–صلى الله عليه وسلم–لِأُمِّ سَلَمَةَ: مَنْ هَذَا؟ أَوْ كَمَا قَالَ: قَالَتْ: هَذَا دِحْيَةُ قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: أيم اللَّهِ مَا حَسِبْتُهُ إِلَّا إِيَّاهُ حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ نَبِيِّ اللَّهِ–صلى الله عليه وسلم–يُخْبِرُ جبْرِيلَ أَوْ كَمَا قَالَ"[٣]
- عن عبد لله بن مسعود–رضي الله عنه–، قال: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾

---

(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة «٤/ ١٣٧٧».

(٢) سير أعلام النبلاء «٢/ ٥٥٤»، والإصابة لابن حجر «٢/ ٣٨٥».

(٣) أخرجه البخاري «٣٤٣٥»، ومسلم «٦٤٦٩».

قَالَ: رَأَى رَفْرَفًا أَخْضَرَ سَدَّ أُفُقَ السَّمَاء "[(١)]

والمراد بالرفرف أنه حلة ويؤيده قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: الآية: ٧٦]، وأصل الرفرف ما كان من الديباج رقيقاً حسن الصنعة، ثم اشتهر استعماله في الستر ، وكل ما فضل من شيء فعطف وثني فهو رفرف، ويقال رفرف الطائر بجناحيه إذا بسطهما. [(٢)]. [(٣)]

هل بين الملائكة والبشر شبه في الشكل والصورة.

روى مسلم في صحيحه، والترمذي في سننه عن جابر-رضي الله عنه-، أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، قال: «عُرِض عليَّ الأنبياء، فإذا موسى ضرب من الرجال[(٤)]، كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى ابن مريم، فإذا أقرب من رأيت به شبهاً عروة بن مسعود، ورأيت إبراهيم صلوات الله عليه، فإذا أقرب من رأيت به شبهًا صاحبُكم، «يعني نفسه» ورأيت جبريل عليه السلام، فإذا أقرب من رأيت به شبهًا «دحية»[(٥)] وفي رواية: «دحية بن خليفة» "[(٦)]

فهل هذا الشبه كائن بين صورة جبريل الحقيقية وصورة دحية الكلبي، أم هو بين الصورة التي يكون بها جبريل عندما يتمثل في صورة بشر؟! الأرجح هذا الأخير؛ لأن جبريل كان يتمثل

---

(١) أخرجه البخاري «٤٨٥٨»، ومسلم «٤٥٢».

(٢) فتح الباري لابن رجب «٨/ ٦١١»، وعمدة القاري للعيني «١٩/ ٢٠٠».

(٣) المصدر: علم الملائكة في ضوء السنة النبوية للباحث نبيل محمد أبو العمرين «ص: ١٦».

(٤) الضرب من الرجال: هو الرجل المتوسط في كثرة اللحم وقلته. وقيل: الخفيف اللحم.

(٥) ودحية الكلبي: هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي القضاعي، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسوله بكتابه إلى عظيم بُصرى ليُوصله إلى هرقل. أسلم دحية قبل بدر، ولم يشهدها، وكان يتشبّه به جبريل عليه السلام، فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم على صورته، وكان من أجمل الناس وجهاً. شهد اليرموك، وسكن المزة من قرى دمشق، وبقي إلى زمن معاوية. انظر سير أعلام النبلاء ٢٥٥٠. والإصابة لابن حجر ١٤٦٣.

(٦) صحيح مسلم: ١/ ١٥٣. ورقمه: ١٦٧.

في صورة دحية كثيراً.[(١)]

وتشكل الملائكة على صورة أحدٍ من البشر ثبت في القرآن وصحيح السنَّة، وهذا الشبه بين صورة جبريل وصورة دحية الكلبي إنما هو في الصورة التي يكون بها جبريل عندما يتمثل في صورة دحية؛ لأن أصل خلقة الملائكة تختلف عن أصل خلقة الآدميين، والملائكة في أصل خلقتهم ليس بينهم وبين البشر شبه، فهم لا يشبهون بني آدم قط، وإنما يشبهونهم إذا تمثلوا في صورة آدميين.

فجبريل عليه السلام لا تتغير صورته ولا تتبدل ولكن يمثل في أعين يومئذ من رآه على شكل دحية الكلبي.

وهنا يفصل المسألة شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ» وهو بصدد الرد على بشر المريسي:

«أن رؤيتهم تلك أنَّهم يعلمون يومئذ أن لهم ربا لا يعتريهم في ذلك شك كأنهم في دعواك أيها المريسي لم يعلموا في الدنيا أنَّه ربهم حتى يستيقنوا به في الآخرة فهذا التفسير إلى الشك أقرب مما ادعيت في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشك والشرك لا بل هو الكفر لأن الخلق كلهم مؤمنهم وكافرهم يعلمون يومئذ أن الله ربهم ألا ترى أنه يقول: ﴿أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: الآية: ١٢] فالشك في الله هذا الذي تأولته أنت في الرؤية لا ما قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، ويلك إن الله لا تتغير صورته ولا تتبدل ولكن يمثل في أعينهم يومئذ أولم تقرأ كتاب الله ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: الآية: ٤٤] وهو الفعال لما يشاء كما مثل جبريل عليه السلام مع عظم صورته وجلالة خلقه في عين رسول الله-صلى الله

---

(١) عالم الملائكة الأبرار ص ١٣.

عليه وسلم–في صورة دحية الكلبي، وكما مثله لمريم بشرًا"[(١)]

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ» عن قول النبي–صلى الله عليه وسلم–: «ورأيت جبريل عليه السلام، فإذا أقرب من رأيت به شبهاً «دحية».»، وفي رواية: «دحية بن خليفة»[(٢)].

فهل هذا الشبه كائن بين صورة جبريل الحقيقية وصورة دحية الكلبي، أم لا؟

قال–رحمه الله تعالى–: "فلا نعتقد أن ما تخيله الإنسان في منامه أو يقظته من الصور أن الله في نفسه مثل ذلك، فإنه ليس هو في نفسه مثل ذلك، بل نفس الجن والملائكة لا يتصورها الإنسان ويتخيلها على حقيقتها بل هي على خلاف ما يتخيله ويتصوره في منامه ويقظته وإن كان ما رآه مناسبا مشابها لها، فالله تعالى أجل وأعظم"[(٣)]

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "ذكر ابن أبي داود في تفسيره عن وهب بن منبه، قال: إن الملائكة حين دخلوا على لوط ظن أنهم أضياف ضافوه، فاحتفل لهم، وحرص على كرامتهم، وخالفته امرأته إلى فساق قومه، فأخبرتهم أنه ضاف لوطا أحسن الناس وجهًا، وأنضرهم جمالًا، وأطيبهم ريحًا، فكانت هذه خيانتها التي ذكر الله–عز وجل–في كتابه"[(٤)]

القوة، والشدة:

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ» في عموم الملائكة : "أما دلالة : ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ [الذاريات : ٤]، وهم: الملائكة، فلأن ما يشاهد من تدبير العالم

---

(١) انظر بيان تلبيس الجهمية «٧/ ١٣٨».

(٢) صحيح مسلم: ١/ ١٥٣.

(٣) "بيان تلبيس الجهمية" «١/ ٣٢٥» [ط. مجمع الملك فهد».

(٤) روى نحوه ابن جرير في تفسيره «٧/ ٨٩»، وقال السيوطي في الدر المنثور «٨/ ٩٣»: "أخرج ابن جرير، وابن المنذر، عن وهب بن منبه"، ثم ذكر نحوه.

العلوي والسفلي، وما لا يشاهد؛ إنما هو على أيدي الملائكة ...

هذا مع ما في خلق الملائكة من البهاء , والحسن، وما فيهم من القوة، والشدة، ولطافة الجســم، وحســن الخلقة، وكمال الانقياد لأمره، والقيام في خدمته، وتنفيذ أوامره، في أقطار العالم"«[١]»

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ» في قوة جبريل–عليه السلام–خاصة: "قال تعالى: ﴿علَّمه شديد القوى * ذو مرةٍ فاستوى﴾ [النجم: الآيتان: ٥–٦].

وهو جبريل–عليه الصلاة والسلام–، والمرة : المنظر البهي الجميل، فأعطاه كمال القوة في باطنه، وجمال المنظر في ظاهره"[٢]

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "قد أثنى الله–سبحانه–على عبده جبريل في القرآن أحسن الثناء، ووصفه بأجمل الصفات، فقال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: الآيات: ١٩–٢١]، فهذا: جبريل، فوصفه بأنه رسوله، وأنه كريم عنده، وأنه ذو قوة ومكانة عند ربه–سبحانه–، وأنه مطاع في السموات، وأنه أمين على الوحي ...

ومن قوته: أنه رفع مدائن قوم لوط على جناحه، ثم قلبها عليهم، فهو قوي على تنفيذ ما يؤمر به، غير عاجز عنه، إذ تطيعه أملاك السموات فيما يأمرهم به عن الله–تعالى–"[٣]

لها أجنحة

للملائكة أجنحة كما أخبرنا الله تعالى، فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، أو أربعة، ومنهم من له أكثر من ذلك:قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

---

(١) التبيان في أقسام القرآن «ص: ١٦٦–١٦٧».

(٢) الصواعق المرسلة «٤/ ١٣٧٧».

(٣) إغاثة اللهفان «٢/ ٥٤٨»، وانظر : مفتاح دار السعادة «١/ ٤١٥».

[فاطر: الآية: ١].

والمعنى أن الله جعلهم أصحاب أجنحة، بعضهم له جناحان، وبعضهم له ثلاثة أو أربعة، أو أكثر من ذلك.

قال الطبري–رحمه الله–«ت: ٣١٠ هـ»: "أصحاب أجنحة يعني ملائكة، فمنهم من له اثنان من الأجنحة، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربعة.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة–رحمه الله–«ت: ١١٧ هـ» ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾ قال: بعضهم له جناحان وبعضهم ثلاثة وبعضهم أربعة"(١)

- وعن أبي هريرة–رضي الله عنه–، أن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: «إذا قضى الله أمرًا في السماء، ضربت الملائكة أجنحتها خضعانًا لقوله».(٢)
- عن عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه–، أنه قال: "رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل له ستمائة جناح"(٣)
- وعن أبي الدرداء–رضي اله عنه–، قال: سمعت رسول الله–صلى الله عليه وسلم–يقول: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما ، سهل الله له طريقا إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر».(٤)
- جَابِرَ بنَ عبدِ اللَّهِ–رَضيَ اللَّهُ عنهمَا–، قالَ: لَمَّا قُتِلَ أَبِي جَعَلْتُ أَكْشِفُ الثَّوْبَ

---

(١) تفسير الطبري، تفسير سورة فاطر: الآية: ١».

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه «١/ ٦٩»، برقم: «١٩»، وصححه الألباني.

(٣) صحيح البخاري: «٨/ ٦١٠»، برقم: «٤٨٥٦، ٤٨٥٧».

(٤) أخرجه أبو داود «٣٦٤١»، والترمذي «٢٦٨٢»، وابن ماجه «٢٢٣»، وأحمد «٢١٧١٥» باختلاف يسير، وصححه الألباني في صحيح أبي داود «٣٦٤١».

عن وجْهِهِ أَبْكِي، ويَنْهَوْنِي عنه، والنبيُّ–صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ–لا يَنْهانِي، فَجَعَلَتْ عَمَّتي فاطِمةُ تَبْكِي، فَقالَ النبيُّ–صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ–: «تَبْكِينَ أَوْ لا تَبْكِينَ ما زَالَتِ المَلائِكَةُ تُظِلُّهُ بأَجْنِحَتِهَا حتَّى رَفَعْتُموهُ». [١]

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "الملائكة الصافات أجنحتها في الهواء"[٢]

قال ابن حجر–رحمه الله–«ت: ٨٥٢ هـ»: "قال العلماء في أجنحة الملائكة أنها صفات ملكية لا تفهم إلا بالمعاينة فقد ثبت أن لجبريل ستمائة جناح"[٣]

وذكر المناوي–رحمه الله–«ت: ١٠٣١ هـ»: "عن السهيلي–رحمه الله–«ت: ٥٨١ هـ» أنها صفات ملكية لا تدرك بالعين، فإنه تعالى أخبر بأنها مثنى وثلاث ورباع، ولم ير لطائر ثلاثة أو أربعة أجنحة، فكيف بستمائة فدل على أنها صفات لا تضبط بالفكر، ولا ورد ببيانها خبر فيجب الإيمان بها إجمالا"[٤]

الملائكة لها أيدي

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ» في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: الآية: ٩] :

"فيها ... بسط الملائكة أيديهم لتناولها؛. [٥] أي: تناول الملائكة للنفس بأيديها، فوصف الملائكة بأن لها أيدي.

(١) أخرجه البخاري «١٢٤٤» واللفظ له، ومسلم «٢٤٧١».

(٢) التبيان في أقسام القرآن «ص: ٢٥٢».

(٣) فيض القدير «٤/ ٨».

(٤) أخرجه البخاري «١٢٤٤» واللفظ له، ومسلم «٢٤٧١».

(٥) الروح ص « ٢٢٩ ».

- أهم الصفات الخُلُقية:

ذكر عبد الجليل القصري-رحمه الله-«ت: ٦٠٨ هـ» أوصافهم، وقال: "واعلم أن أوصافهم ستة أوصاف، هي جامعة كل فضيلة:

١ . العلم الكامل

٢ . العفة الكاملة عن الشهوات.

٣ . الاجتناب للمعصية.

٤ . الطاعة الكاملة والامتثال الكامل في كل ما أمر به المعبود-جل جلاله-.

٥ . الذكر الدائم المتصل الذي لا يدخله فتور ولا غفلة، ولا يقطعه سهو ولا نوم.

٦ . الأخلاق الحسنة الكاملة"[١] . [٢]

أولاً: أن لهم عقول:

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "قوى الإنسان ثلاث:

١-قوة العقل٢-وقوة الغضب ٣-وقوة الشهوة.

فأعلاها القوة العقلية التي يختص بها الإنسان دون سائر الدواب وتشركه فيها الملائكة كما قال أبو بكر عبد العزيز من أصحابنا وغيره: خلق للملائكة عقول بلا شهوة، وخلق للبهائم شهوة بلا عقل، وخلق للإنسان عقل وشهوة.

---

(١) شعب الإيمان للقصري «ص: ٣٣٩».

(٢) المصدر: حقيقة الملائكة «ص: ٦٦-٦٩».

فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله فالبهائم خير منه.

ثم القوة الغضبية: التي فيها دفع المضرة.

ثم القوة الشهوية: التي فيها جلب المنفعة"(١)

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "قال بعض السلف:

١-خلق الله الملائكة عقولا بلا شهوة.

٢-وخلق البهائم شهوة بلا عقول.

٣-وخلق ابن آدم، وركب فيه العقل والشهوة.

فمن غلب عقله شهوته: التحق بالملائكة.

ومن غلبت شهوته عقله: التحق بالبهائم"(٢)

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "إن الله-سبحانه-خلق خلقه أطوارا:

فخلق الملائكة عقولًا، لا شـهوات لها، ولا طبيعة، تتقاضـى منها خلاف ما يراد، من مادة نورية لا تقتضي شيئا من الآثار والطبائع المذمومة .

وخلق الحيوانات ذوات شهوات لا عقول لها.

وخلق الثقلين الجن والإنس، وركب فيهم العقول والشـــهوات، والطبائع المختلفة لآثار مختلفة، بحسب موادها، وصورها، وتركيبها.

وهؤلاء هم أهل الامتحان، والابتلاء، وهم المعرضون للثواب، والعقاب"«(٣)» .

---

(١) مجموع الفتاوى «١٥/ ٤٢٨-٤٢٩».

(٢) مدارج السالكين «٢/ ٣٣٤».

(٣) طريق الهجرتين «ص: ١١٦».

قال ابن أبي العز الحنفي–رحمه الله–«ت: ٧٩٢ هـ»: "إن الملائكة لهم عقول وليست لهم شهوات . والأنبياء من البشر لهم عقول وشهوات"[١]

قال الرازي–رحمه الله–«ت: ٦٠٦ هـ»: "إن الله تعالى خلق الملائكة عقولًا بلا شهوة ، وخلق البهائم شهوات بلا عقل، وخلق الآدمى وجمع فيه بين الأمرين . الخ"[٢]

وقال الآلوسى–رحمه الله–«ت: ١٢٧٠ هـ»: "إن الملائكة–عليهم السلام–لهم صفات سلبية وصفات إضافية . أما الأولى فهى أنهم مبرأون عن الشهوة والغضب والأخلاق الذميمة، وهم جواهر روحانية . وأما صفاتهم الاضافية فهي قوتهم العاقلة وبيان حالهم في معرفة الله تعالى ومعرفة ملك الله تعالى وملكوته سبحانه، فهم النازعات والناشطات والمدبرات أمراً. والتدبير لا يتم إلا بعد العلم والقوة العاقلة والقوة العاملة الخ"[٣]

وقال محمد رشيد رضا–رحمه الله–«ت: ١٣٥٤ هـ»: "أما الملائكة فيقول السلف فيهم إنهم خلق أخبرنا الله تعالى بوجودهم وببعض أعمالهم ، فيجب علينا الإيمان بهم . ولا يتوقف ذلك على معرفة حقيقتهم فشفوض علمها الى الله تمالى.. والصواب الاكتفاء بالايمان بعالم الغيب من غير بحث عن حقيقته . وقد اتفقوا – أى السلف والخلف – على أنهم يدركون ويعلمون . والملائكة أعلم منا بشأن الله تعالى في أفعاله. وأنه العليم الحكيم، الخ"[٤]

وقال محمد رشيد رضا–رحمه الله–«ت: ١٣٥٤ هـ»: "«وأحياناً يتمثل لى الملك رجلًا

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية «١/ ٢٣٦».

(٢) التفسير الكبير للرازي «١/ ٢٩٥».

(٣) تفسير روح المعاني «٣٠/ ٢٤».

(٤) تفسير المنار «١/ ٢٥٤».

فيكلمنى» الخ ، أى يظهر بصفة رجل ومثاله، وذلك أن الملك روح عاقل مريد له قوة التصرف في المادة الخ"[(١)]

ثانيًا: العلم.

والملائكة عندهم علم وفير علّمهم الله إيّاه، ولكن ليس عندهم القدرة التي أعطيت للإنسان في التعرف على الأشياء: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: الآيتان: ٣١-٣٢].

وعلم الملائكة يكون بالتلقي المباشر عن الله سبحانه وتعالى، والذي علمهم الله إياه أكثر مما يعرفه الإنسان، ومن العلم الذي أعطوه علم الكتابة: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: الآيات: ١٠-١٢]. [(٢)]

قال فخر الدين الرازي-رحمه الله-«ت: ٦٠٦ هـ» عند تفسير قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: الآية: ١٨].: "التوحيد أمر

١-شهد الله بصحته،

٢-وشهد به الملائكة

٣-وأولوا العلم"[(٣)]

وقال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي «ت: ١٣٧٦ هـ»-رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

---

(١) كتاب الوحى المحمدى «ص: ٨٠».

(٢) انظر عالم الملائكة الأبرار لعمر سليمان الأشقر «١/ ٢٢».

(٣) تفسير الرازي مفاتيح الغيب «سورة آل عمران: الآية: ١٩».

[آل عمران: الآية: ١٨]

"هذه أجل الشهادات على الإطلاق؛ فإنها صدرت من

١-الملك العظيم،

٢-ومن ملائكته،

٣-وأنبيائه وأهل العلم، على أجل مشهود عليه؛ وهو توحيد الله وقيامه بالقسط"[(١)]

قال ابن الجوزي-رحمه الله-«ت: ٥٩٧ هـ»: "ولا خصيصة أشرف من العلم، بزيادته صار آدم مسجودا له، وبنقصانه صارت الملائكة ساجدة، فأقرب الخلق من الله العلماء"[(٢)]

أما مسألة هل يعلمون الغيب

فالغيب على قسمين:

القسم الأول: الغيب المطلق.

وهو المقصود بقوله-عز وجل-: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: الآية: ٦٥]، والاستثناء هنا متصل لا منقطع، فهذا الغيب لا يعلمه إلا الله-عز وجل-.

القسم الثاني: الغيب المقيد.

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "والغيب المقيد: ما علمه بعض المخلوقات من الملائكة أو الجن أو الإنس وشهدوه، فإنما هو غيب عمن غاب عنه ليس هو غيبًا عمن شهده.

والناس كلهم قد يغيب عن هذا ما يشهده هذا، فيكون غيبًا مقيدًا، أي: غيبًا عمن غاب

(١) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن لابن سعدي «١/ ١٩».

(٢) صيد الخاطر «ص: ١٧٢».

عنه من المخلوقين، لا عمن شهده ليس غيبًا مطلقًا غاب عن المخلوقين قاطبة"[١]

ومن ذلك الغيب المقيد اطلاع الملك على ما في قلب العبد، ويستدل على ذلك بما يلي:

- فعن ابن عباس–رضي الله عنهما–، عن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، قال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها، كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها، كتبها الله له عنده عشر حسنات، إلى سبع مائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها، كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها، كتبها الله له سيئة واحدة». [٢]
- عن أبي هريرة–رضي الله عنه–، أن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: «قالت الملائكة: رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به، فقال: أرقبوه، فإن عملها فاكتبوها». [٣]

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ» جوابا على سؤال: "عن قوله صلى الله عليه وسلم «إذا هم العبد بالحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة». الحديث، فإذا كان الهم سرًا بين العبد وبين ربه فكيف تطلع الملائكة عليه؟ "

فقال: "قد روي عن سفيان بن عيينة في جواب هذه المسألة قال : "إنه إذا هم بحسنة شم الملك رائحة طيبة وإذا هم بسيئة شم رائحة خبيثة".

والتحقيق: أن الله قادر أن يعلم الملائكة بما في نفس العبد كيف شاء، كما هو قادر على أن يطلع بعض البشر على ما في الإنسان.

(١) مجموع الفتاوى «١٦/ ١١٠».

(٢) أخرجه البخاري «٤٦٩١»، ومسلم «١٣١».

(٣) أخرجه مسلم «١٢٩».

فإذا كان بعض البشر قد يجعل الله له من الكشف ما يعلم به أحيانا ما في قلب الإنسان : فالملك الموكل بالعبد أولى بأن يعرفه الله ذلك .

وقد قيل في قوله تعالى ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: الآية: ١٦]، أن المراد به الملائكة: والله قد جعل الملائكة تلقي في نفس العبد الخواطر، كما قال عبد الله ابن مسعود: "إن للملك لمة فلمة الملك تصديق بالحق ووعد بالخير، ولمة الشيطان تكذيب بالحق وإبعاد بالشر.

وقد ثبت عنه في الصحيح: أنه قال: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الملائكة وقرينه من الجن قالوا: وإياك يا رسول الله ؟ قال: وأنا، إلا أن الله قد أعانني عليه فلا يأمرني إلا بخير».

فالسيئة التي يهم بها العبد إذا كانت من إلقاء الشيطان علم بها الشيطان، والحسنة التي يهم بها العبد إذا كانت من إلقاء الملك علم بها الملك أيضا بطريق الأولى، وإذا علم بها هذا الملك أمكن علم الملائكة الحفظة لأعمال بني آدم"[(١)]

وقال–رحمه الله–أيضا : "وهم وإن شموا رائحة طيبة ورائحة خبيثة ، فعلمهم لا يفتقر إلى ذلك ، بل ما فى قلب ابن آدم يعلمونه ، بل ويبصرونه ويسمعون وسوسة نفسه ، بل الشيطان يلتقم قلبه ؛ فاذا ذكر الله خنس ، وإذا غفل قلبه عن ذكره وسوس ، ويعلم هل ذكر الله أم غفل عن ذكره ، ويعلم ما تهواه نفسه من شهوات الغى فيزينها له !! وقد ثبت فى الصحيح عن النبى فى حديث ذكر صفية رضى الله عنها «إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم»، [(٢)] وقرب

(١) مجموع الفتاوى «٤/ ٢٥٣».

(٢) أخرجه أحمد «١٤٣٢٤»، والترمذي «١١٧٢»، والدارمي «٢٨٢٤».

الملائكة والشيطان من قلب ابن آدم مما تواترت به الآثار ، سواء كان العبد مؤمنا أو كافرا"[١]

وقال ابن أبي العز-رحمه الله-«ت: ٧٩٢ هـ»: " ... ثم قد ثبت بالنصوص المذكورة أن الملائكة تكتب القول والفعل، وكذلك النية؛ لأنها فعل القلب، فدخلت في عموم ﴿يعلمون ما تفعلون﴾"[٢]

وقال السفاريني-رحمه الله-«ت: ١١٨٨ هـ»: "وظاهر النص: أنهما يكتبان أفعال العباد من خير، أو شر، أو غيرهما، قولا كان أو عملا أو اعتقادا، هما كانت أو عزما أو تقريرا، فلا يهملان من أفعال العباد شيئا في كل حال وعلى كل حال"[٣]

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-«ت: ٨٥٢ هـ»: "وفيه دليل على أن الملك يطَّلع على ما في قلب الآدمي؛ إما بإطلاع الله إياه، أو بأن يخلق له علما يدرك به ذلك.

ويؤيد الأول: ما أخرجه بن أبي الدنيا عن أبي عمران الجوني، قال: ينادى الملك اكتب لفلان كذا وكذا، فيقول يا رب : إنه لم يعمله ، فيقول: إنه نواه.

وقيل: بل يجد الملك للهم بالسيئة رائحة خبيثة، وبالحسنة رائحة طيبة وأخرج ذلك الطبري عن أبي معشر المدني، وجاء مثله عن سفيان بن عيينة"[٤]

ثالثًا: أنهم معصومون:

طبيعة الملائكة الطاعة التامة لله، والخضوع لجبروته، والقيام باوامره، وهم يتصرفون في شئون العالم بإرادة الله ومشيئته، وهو سبحانه يدبر بهم ملكه وهم لا يقدرون على شيء من تلقاء

---

(١) مجموع الفتاوى «٥/ ٥٠٨».

(٢) شرح الطحاوية «٢/ ٥٦١».

(٣) لوامع الأنوار البهية «١/ ٤٥٠».

(٤) فتح الباري «١١/ ٣٢٥».

أنفسهم:

- قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: الآية: ٥٠]
- وقال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: الآيتان: ٢٦-٢٧]
- وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: الآية: ٦].

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "فلفظ الملك يشعر بأنه رسول منفذ لأمر غيره، فليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله لله الواحد القهار، وهم ينفذون أمره قال تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: الآيتان: ٢٧-٢٨]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: الآية: ٥٠]، ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: الآية: ٦]، لا تتنزل إلا بأمره، ولا تفعل شيئًا إلا من بعد إذنه، فهم عباد له مكرمون، منهم الصافون، ومنهم المسبحون، ليس فيهم إلا من له مقام معلوم لا يتخطاه، وهو على عمل قد أمر به، لا يقصر عنه، ولا يتعداه، وأعلاهم الذين عنده سبحانه: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: الآيتان: ١٩، ٢٠]"(١)

قال أبو حيان-رحمه الله-«ت: ٧٤٥ هـ»: "إن عصمة الملائكة من المعاصي والاعتراض تعد من القواعد الشرعية والعقائد الإسلامية، وأنها مسألة من المسائل الخاصة بأصول الدين"(٢)

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم «٢/ ٨٤٣».

(٢) تفسير البحر المحيط لأبي حيان «١/ ١٤٣».

وقال علي القاري-رحمه الله-: "﴿عبادٌ مُكرَمون، لا يَسبِقونَه بالقَولِ وهم بأمْرِهِ يَعمَلون﴾، وأنَّهم معصومون ولا يَعصُون اللهَ"(١)

رابعًا: الكرم:

قال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: الآية: ١٩]

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ» في وصـــف الله – تعالى – للملائكة بقوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُـــبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٦]: "إنهم مكرمون عند الله"«(٢)»

وقال في كرم جبريل-عليه السلام-خاصة: "ثم ذكر-سبحانه-المقسم عليه«(٣)»، وهو القرآن، وأخبر أنه قول رســـول كريم، وهو ههنا: جبريل قطعًا، لأنه ذكر صـــفته بعد ذلك بما يعينه به "«(٤)»

ويذكر ابن القيم أن من كرم جبريل-عليه السلام-أن كل خير في الأرض من هدى، وإيمان، وعلم، ومعرفة؛ إنما جرى على يد جبريل-عليه السلام-بإذن الله-عزوجل-، يقول ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "وصف رسوله الْمَلَكِي في هذه السورة«(٥)» بأنه كريم، قوي، مكين عند الرب-تعالى -، مطاع في السموات، أمين، فهذه خمس صفات"«(٦)»

---

(١) يُنظر: «شرح الفقه الأكبر» «ص: ٢٧».

(٢) الرسالة التبوكية «ص: ٢٠٨»، وانظر: جلاء الأفهام «ص: ٣٩٤».

(٣) أي في قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: الآية: ١٩].

(٤) التبيان في أقسام القرآن «ص: ٧١».

(٥) أي : سورة التكوير .

(٦) مفتاح دار السعادة « ١ / ٢٥٢».

خامسًا: العبادة:

والملائكة مطبوعون على طاعة الله، ليس لديهم القدرة على العصيان: ﴿لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: الآية: ٦].

فتركهم للمعصية، وفعلهم للطاعة جبلّة، لا يكلفهم أدنى مجاهدة؛ لأنه لا شهوة لهم.

ولعلّ هذا هو السبب الذي دعا فريقاً من العلماء إلى القول: إن الملائكة ليسوا بمكلفين، وإنهم ليسوا بداخلين في الوعد والوعيد[(١)].

قال عز الدين بن جماعة–رحمه الله–: "المكلفون على **ثلاثة** أقسام:

١–قسم كلف من أول الفطرة قطعًا وهم الملائكة وآدم وحواء.

٢–وقسم لم يكلف من أول الفطرة قطعًا، وهم أولاد آدم.

٣–وقسم فيهم نزاع والظاهر أنهم مكلفون من أول الفطرة وهم الجان"[(٢)]

ويمكن أن نقول: إن الملائكة ليسوا بمكلفين بالتكاليف نفسها التي كلف بها أبناء آدم. أما القول بعدم تكليفهم مطلقاً، فهو قول مردود، فهم مأمورون بالعبادة والطاعة: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: الآية: ٥٠]. وفي الآية أنهم يخافون ربهم، والخوف نوع من التكاليف الشرعية، بل هو من أعلى أنواع العبودية، كما قال فيهم: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٨].

وخير ما يوصف به الملائكة أنهم عباد الله، ولكنهم عباد مكرمون، وقد أبطل الله دعوى المشركين حينما زعموا أنّ الملائكة–بنات الله–وبين أنها دعوى باطلة، لا نصيب لها من الصحة، وقد أكذب الله القائلين بهذا القول، وبين حقيقة الملائكة ومكانتهم في أكثر من موضع، قال تعالى:﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ وَمَن

---

(١) لوامع الأنوار البهية: ٢/ ٤٠٩.

(٢) "الحبائك في أخبار الملائك" للسيوطي «٢٥٥/١».

يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: الآيات: ٢٦-٢٩].

الملائكة عباد يتصفون بكل صفات العبودية، قائمون بما أوكل إليهم، منفذون للتعاليم، وعلم الله بهم محيط، لا يستطيعون أن يتجاوزوا الأوامر، ولا أن يخالفوا التعليمات الملقاة إليهم، خائفون وجلون...

ومن تمام عبودية الملائكة أنهم لا يتقدمون بين يدي ربهم مقترحين، ولا يعترضون على ما أمر من أوامره، بل هم عاملون بأمره، مسارعون مجيبون ﴿لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٧]، وهم لا يفعلون إلا ما يؤمرون به، فالأمر يحركهم، والأمر يوقفهم، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل: ألا تزورنا أكثر مما تزورنا؟ قال: فنزلت: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: الآية: ٦٤]». [١]

يذكر ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ» أن للملائكة أعمالا صـــالحة، فيقول في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَــبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْــتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: الآية: ٧]: "تأمل ما تضـــمنه هذا الخبر عن الملائكة من مدحهم بالإيمان، والعمل الصالح، والإحسان إلى المؤمنين بالاستغفار لهم، وقدموا بين يدي استغفارهم توسلهم إلى الله-سبحانه-بسعة علمه، وسعة رحمته"[٢]

ويبين ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ» أن محل هذه العبادة الجليلة، ومكان هذه الأعمال الصالحة؛ هو السماء، وذلك بقوله: "السماء متعبد الملائكة"« [٣] »

---

(١) صحيح البخاري: ٦/ ٣٠٥. ورقمه: ٣٢١٨.

(٢) الداء والدواء «ص: ١٧٩».

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب «ص: ٣٦».

ويذكر ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ» -رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ» أن عبادات الملائكة ليست كعبادة الإنس، لأن العبادة بالنسبة للملائكة كالنفس لبني آدم، يقول مقررًا هذا: "إنه سبحانه لما قال للملائكة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ أجابهم بقوله: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية: ٣٠].

ثم أظهر-سبحانه-علمه لعباده ولملائكته بما جعله في الأرض من خواص خلقه ورسله وأنبيائه وأوليائه، ومن يتقرب إليه، ويبذل نفسه في محبته ومرضاته، مع مجاهدة شهوته وهواه، فيترك محبوباته تقربًا إلي، ويترك شهواته ابتغاء مرضاتي، ويبذل دمه ونفسه في محبتي، وأخصه بعلم لا تعلمونه، يسبح بحمدي آناء الليل وأطراف النهار، ويعبدني مع معارضات الهوى والشهوة والنفس والعدو، إذ تعبدوني أنتم من غير معارض يعارضكم، ولا شهوة تعتريكم، ولا عدو أسلطه عليكم، بل عبادتكم لي بمنزلة النفس لأحدهم"[(١)]

٥- وقد يفصلون بين متخاصمين ولو كانوا ملائكة:

وقد حدثنا الرسول صلى الله عليه وسلم من حديث أبي سعيد الخدري عن الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا، وأنه لما هاجر تائبًا جاءه الموت في منتصف الطريق إلى الأرض التي هاجر إليها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فحكّموا فيه ملكاً جاءهم في صورة آدمي، يقول عليه السلام: «فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ». [(٢)]

---

(١) مفتاح دار السعادة « ١ / ١٠٨ - ١٠٩ » , وانظر : طريق الهجرتين ص « ٢١٧ » .

(٢) أخرجه مسلم «٤/ ٢١١٨» برقم «٢٧٦٦».

٦- سَفَرَة:

وصف الله الملائكة بأنهم كرام بررة: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: الآيتان: ١٥-١٦]؛ أي القرآن بأيدي سفرة، أي: الملائكة؛ لأنهم سفراء الله إلى رسله وأنبيائه، قال البخاري: "سفرة: الملائكة واحدهم سافر، سفرتُ: أصلحت بينهم، وجعلت الملائكة-إذا نزلت بوحي الله تعالى وتأديته-كالسفير الذي يصلح بين القوم"[(١)]

٧- كرام بَرَرَة:

قال تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: الآيتان: ١٥-١٦].

أي القرآن بأيدي سفرة، أي الملائكة، وقيل: هم الكتبة من الملائكة، لأنهم سفراء الله إلى رسله"[(٢)]

وقد وصف الله تعالى هؤلاء الملائكة بأنهم ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾؛ أي: خلقهم كريم حسن شريف، وأخلاقهم وأفعالهم بارة ظاهرة كاملة، ومن هنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد.

قال البيضاوي-رحمه الله-: "الكرام لأنهم أعزاء على الله، أو متعطفون على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم، أتقياء"[(٣)]

وقال أبو حامد الغزالي-رحمه الله-: "وقد وصف الله تعالى هؤلاء الملائكة بأنهم كِرَامٍ بَرَرَةٍ: "أما الكرام فلانتفاع العبد بكرمهم ولأن الملائكة كلهم كرام بررة"[(٤)]

وقال عمر الأشقر: "وخلقهم كريم حسن شريف، وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة، ومن

---

(١) أخرجه البخاري: ٨/ ٦٩١.

(٢) تفسير الطبري «١٢/ ٤٤٥»، والدر المنثور «٨/ ٤١٨».

(٣) تفسير البيضاوي «٥/ ٥٥٢-٥٥٣».

(٤) إحياء علوم الدين «٤/ ٦٤».

هنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد"[١]

روى البخاري عن عائشة–رضي الله عنها–قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام، ومثل الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده، وهو عليه شديد، فله أجران». [٢]

٨– الحياء واستحياء الملائكة:

من أخلاق الملائكة التي أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بها: الحياء؛ فعن عائشة–رضي الله عنها–: أن الرسول–صلى الله عليه وسلم–كان مضطجعًا في بيتها، كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر، فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث، ثمّ استأذن عمر، فأذن له وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس الرسول صلى الله عليه وسلم وسوّى ثيابه، فدخل، فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر، فلم تهتش له، ولم تُبَالِهِ، ثم دخل عمر، فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان، فجلست، وسويت ثيابك، فقال: «ألا استحيي من رجل تستحيي منه الملائكة». [٣]

سئل الشعبي عن شيء، فقال: "لا أدري"، فقيل له أما تستحي من قولك لا أدري، وأنت فقيه أهل العراقين؟ قال: "لكن الملائكة لم تستحي حين قالت: ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾ [البقرة: الآية: ٣٢]"[٤]

٩–التواضع لله–عز وجل–:

قال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ

---

(١) عالم الملائكة الأبرار «ص: ٢٤».

(٢) أخرجه البخاري: ٨/ ٦٩١. ورقمه: ٤٩٣٧. ومسلم: ١/ ٥٤٩. ورقمه: ٧٩٨، واللفظ للبخاري.

(٣) رواه مسلم: «٤/ ١٨٦٦». برقم: «٢٤٠١».

(٤) الفقيه والمتفقه «٢/ ٣٧٠».

عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: الآية: ١٧٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: الآية: ٢٠٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: الآية: ١٩].

يذكر ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ» أن من تواضع الملائكة وضعها أجنحتها لطالب العلم، وهذا في قوله: "في السنن والمسانيد من حديث صفوان ابن عسال، قال: قلت: يا رسول الله! إني جئت أطلب العلم، قال: «مرحبًا بطالب العلم، إن طالب العلم لتحف به الملائكة، وتظله بأجنحتها، فيركب بعضهم بعضًا، حتى تبلغ السماء الدنيا من حبهم لما يطلب ...». [(١)] ... ففي هذا الحديث حَفُّ الملائكة له بأجنحتها إلى السماء، وفي الأول« [(٢)] » وضعها أجنحتها له، فالوضع تواضع، وتوقير، وتبجيل، والحف بالأجنحة حفظ، وحماية، وصيانة، فتضمن الحديثان تعظيم الملائكة له، وحبها إياه، وحياطته، وحفظه، فلو لم يكن لطالب العلم إلا هذا الحظ الجزيل لكفى به شرفا وفضلًا ..." [(٣)]

٩- يحبون ويبغضون:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي الله عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ

(١) رواه أحمد في المسند «١٨٠٨٩»، وقال محققوا المسند: "إسناده حسن"، والطبراني في المعجم الكبير «٨/ ٥٤» , وقال الهيثمي في المجمع «١/ ١٣١»: "رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح"، والحاكم في المستدرك «١/ ١٨٠»، وقال: "هذا إسناد صحيح"، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة «٨ / ٤٦».

(٢) يقصد حديث: «إن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم».

(٣) مفتاح دار السعادة «١/ ٢٥٧».

يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ. وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ. فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فَلَانًا فَأَبْغِضُوهُ. قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ. ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ». [١]

- عَن أَبِي هُرَيْرَة–رَضِي الله عَنهُ–، عَن النَّبِي–صلى الله عَلَيْهِ وَسلم–قَالَ: «قَالَ لي جِبْرِيل: مَا كَانَ على الأَرْض شَيْء أبْغض إِلَيَّ من فِرْعَوْن فَلَمَّا آمن جعلت احشو فَاه حمأة وَأَنا أغطه خشيَة أَن تُدْرِكهُ الرَّحْمَة». [٢]

١٠– يضحكون ويتأثرون.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام: «ما لي لم أر ميكائيل ضاحكا قط؟ قال: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار». [٣] يقتضي أن الملائكة يضحكون وفيه دليل على أنهم يتأثرون.

سادسًا: منظمون في كل شؤونهم:

قال تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ [الصافات: الآية: ١].

عن عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه–، أنه قال: ﴿والصافات صفا﴾ وهي : الملائكة"[٤]

قال الطبري–رحمه الله–«ت: ٣١٠ هـ»: "الصافات: فإنها الملائكة الصافات لربها في السماء وهي جمع صافّة، فالصافات: جَمْعُ جَمْعٍ"[٥]

---

(١) رَوَاهُ مُسلم «٤/ ٢٠٣٠» برقم «٢٦٣٧»

(٢) أخرج ابن جرير، والبيهقي من حديث أبي هريرة مرفوعا نحوه. وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر مرفوعا نحوه أيضا. وأخرج أبو الشيخ عن أبي أمامة مرفوعا نحوه أيضا، قال الشوكاني: وفي إسناد حديث أبي هريرة رجل مجهول، وباقي رجاله ثقات انظر فتح القدير للشوكاني:

(٣) أخرجه الروياني في " مسنده " «ق ٢٤٧/ ٢» قال الألباني وهذا إسناد صحيح انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة «٦/ ٤٢».

(٤) تفسير ابن كثير «تفسير سورة الصافات: الآية:١».

(٥) تفسير الطبري «تفسير سورة الصافات: الآية:١».

وقال البغوي-رحمه الله-«ت: ٥١٦ هـ»: "تصف في السماء كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة . وقيل : تصف أجنحتها في الهواء واقفة فيه حتى يأمرها الله بما يريد . وهذا كما تقوم العبيد بين أيدي ملوكهم صفوفا . وقال الحسن : صفا لصفوفهم عند ربهم في صلاتهم"[١]

وفي القرآن عن الملائكة: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ [الصافات: الآية: ١٦٥]. وهم يقومون، ويركعون، ويسجدون، ففي مشكل الآثار للطحاوي، وفي المعجم الكبير للطبراني عن حكيم بن حزام قال: «بينما رسول الله-صلى الله عليه وسلم-في أصحابه إذ قال لهم: أتسمعون ما أسمع؟ قالوا: ما نسمع من شيء، قال: إني لأسمع أطيط السماء، وما تلام أن تئط، ما فيها موضع شبر إلا عليه ملك ساجد أو قائم».[٢]

وفي يوم القيامة يأتون صفوفاً منتظمة: ﴿وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: الآية: ٢٢]، ويقفون صفوفًا بين يدي الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: الآية: ٣٨]، والروح: جبريل.

والاصطفاف: جاء في الحديث فعن جابر بن سمرة-رضي الله عنه-، قال: "خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما لي أراكم رافعي أيديكم كأنها أذناب خيل شمس؟ اسكنوا في الصلاة قال: ثم خرج علينا فرآنا حلقا فقال: مالي أراكم عزين قال: ثم خرج علينا فقال: ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟ فقلنا يا رسول الله، وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف».[٣]

وعن حذيفة بن اليمان-رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله-صي الله عليه وسلم-:

«فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها

---

(١) تفسير البغوي «تفسير سورة الصافات: الآية:١».

(٢) قال فيه الألباني: «صحيح على شرط مسلم». سلسلة الأحاديث الصحيحة: حديث رقم: «٨٥٢».

(٣) أخرجه مسلم «٤٣٠».

مسجدا، وجعلت تربتها لنا طهورا، إذا لم نجد الماء وذكر خصلة أخرى». [١]

وقد فضل الله تعالى هذه الأمة المحمدية، بأنواع من الفضائل، "ومن ذلك أن نتشبه بالملائكة في صلاتهم لربهم، وأن تقوم في صلاتها مثل قيام الملائكة صفوفا"[٢]

قال ابن العربي–رحمه الله–: "إنما شرعت الصفوف في الصلاة ليتذكر الإنسان بها وقوفه بين يدي الله تعالى يوم القيامة في ذلك الموطن المهول، والشفعاء من الأنبياء والملائكة والمؤمنين بمنزلة الأئمة في الصلاة يتقدمون الصفوف وصفوفهم في الصلاة كصفوف الملائكة عند الله، وقد أمرنا الحق تعالى أن نصطف في الصلاة كما تصف الملائكة، وإن كانت الملائكة لا يلزم من خلل صفها، لو اتفق أن يدخلها خلل، أعني ملائكة السماء، دخول الشياطين، لأن السماء ليست بمحل لهم، وإنما يتراصون لتناسب الأنوار حتى يتصل بعضها ببعض فتنزل متصلة إلى صفوف المصلين فتعمهم تلك الأنوار، فإن كان في صف المصلين خلل دخلت فيه الشياطين أحرقتهم تلك الأنوار"[٣]

وانظر إلى دقة تنفيذهم للأوامر، ففي صحيح مسلم، ومسند أحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ». [٤]

سابعًا: عدالتهم:

(١) أخرجه مسلم «٥٢٢».

(٢) الإيمان بالملائكة عليهم السلام، صفاتهم،أصنافهم، وظائفهم، بقلم عبد الله سراج الدين «ص: ٥٢».

(٣) فيض القدير «٢/ ٧٥».

(٤) صحيح مسلم: «١/ ١٨٨»، برقم: «١٩٧».

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ» في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: الآية: ١٨]: "استشهد الله–عز وجل–بأهل العلم على أجل مشهود به، وهو التوحيد، وقرن شهادتهم بشهادته، وشهادة ملائكته، وفي ضمن ذلك تعديلهم، فإنه–عز وجل–لا يستشهد بمجروح"[١]

المسألة السادسة: مكانة الملائكة:

منزلة الملائكة عند أهل الإسلام منزلة كبيرة؛ فربُنا–سبحانه–قد أكرَمَهم وبوَّأهم مكانًا عاليًا، وهم مع هذه المنزلة عبيدٌ لله؛ يقول ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ» مبيِّنًا منزلة الملائكة أنهم: "أعلى الخلق، وأفضلُهم، وأكرمهم عندَه هم: الرسل، والملائكة المقرَّبون، وهم عبيد محض، لا يسبقونه بالقول، ولا يتقدَّمون بين يديه، ولا يفعلون شيئًا إلّا بعد إذنه لهم، وأمرهم، ولا سيَّما يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا، فهم مملوكون مربوبون، أفعالهم مقيَّدة بأمره، وإذنه"[٢]

وخير ما يوصف به الملائكة أنهم عباد الله، ولكنهم عباد مكرمون، وقد أبطل الله دعوى المشركين حينما زعموا أنّ الملائكة–بنات الله–وبين أنها دعوى باطلة، لا نصيب لها من الصحة، وقد أكذب الله القائلين بهذا القول، وبين حقيقة الملائكة ومكانتهم في أكثر من موضع، قال تعالى:﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٩].

الملائكة عباد يتصفون بكل صفات العبودية، قائمون بما أوكل إليهم، منفذون للتعاليم، وعلم الله بهم محيط، لا يستطيعون أن يتجاوزوا الأوامر، ولا أن يخالفوا التعليمات الملقاة إليهم، خائفون وجلون...

---

(١) مدارج السالكين «٢/ ٤٤١-٤٤٢».

(٢) إغاثة اللهفان لابن القيم، «١/ ٢٥١».

ومن تمام عبودية الملائكة أنهم لا يتقدمون بين يدي ربهم مقترحين، ولا يعترضون على ما أمر من أوامره، بل هم عاملون بأمره، مسارعون مجيبون ﴿لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧]، وهم لا يفعلون إلا ما يؤمرون به، فالأمر يحركهم، والأمر يوقفهم، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل: ألا تزورنا أكثر مما تزورنا؟ قال: فنزلت: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]».[١]

المِلائِكةُ مُتفاضِلون؛ فبعضُهم أفضَلُ من بعضٍ.[٢]

قال السيوطي –رحمه الله–«ت: ٩١١ هـ»: "أما الأصناف:

فأعلاهم درجة: حملة العرش.

والمرتبة الثانية: الحافون بالعرش.

والمرتبة الثالثة: أكابر الملائكة: منهم جبريل وإسرافيل وعزرائيل.

القسم الرابع: ملائكة الجنة.

القسم الخامس: الموكلون ببني آدم.

القسم السادس: الملائكة لتخصيصهما بالذكر في قوله تعالى: ﴿مَن كانَ عَدواً لِلهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبريلَ وَميكائيل﴾ [البقرة: الآية: ٩٨]"[٣]

---

(١) صحيح البخاري: ٦/ ٣٠٥. ورقمه: ٣٢١٨.

(٢) يُنظر: «مباحث المفاضلة في العقيدة» لمحمد الشظيفي «ص: ٣٥٠».

(٣) الحبائك في أخبار الملائك «ص: ٢٧٧».

ذكر فخر الدين الرازي–رحمه الله–«ت: ٦٠٦ هـ» أنهم ثمانية أصناف:

- حَمَلَةُ الْعَرْشِ
- الْحَافُونَ حَوْلَ الْعَرْشِ
- أَكَابِرُ الْمَلَائِكَةِ
- مَلَائِكَةُ الْجَنَّةِ
- مَلَائِكَةُ النَّارِ
- الْمُوَكَّلُونَ بِبَنِي آدَمَ
- كَتَبَةُ الْأَعْمَالِ
- الْمُوَكّلُونَ بِأَحْوَالِ هَذَا الْعَالَمِ".

وقد أغفل جلال الدين السيوطي–رحمه الله–«ت: ٩١١ هـ» القسم الخامس «ملائكة النار» و القسم السابع « كتبة الأعمال» ربما لأن القسم الخامس يمكن دمجه مع القسم الرابع فيكون ملائكة النعيم والعذاب ، كما يمكن دمج القسم السابع مع الموكلون ببني ادم"[١]

وأفضَلُهم المقَرَّبون الذين قال اللهُ تعالى فيهم: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: الآية: ١٧٢].

قال الرازي–رحمه الله–«ت: ٦٠٦ هـ»: "قَولُه: ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ يدُلُّ على أنَّ طَبَقاتِ المِلائِكةِ مُختَلِفةٌ في الدَّرَجةِ والفضيلةِ، فالأكابِرُ منهم مِثلُ جِبريلَ، وميكائيلَ، وإسرافيلَ،

---

(١) الملائكة في اليهودية والمسيحية والإسلام «ص: ١٥٠».

وعِزرائيلَ، وحَمَلةِ العَرشِ"[١]

وعن عائِشةَ-رَضِيَ اللهُ عنها-، أنَّ النَّبيَّ-صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-كان يفتَتِحُ صَلاتَه إذا قام من اللَّيلِ فيقولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ، فاطِرَ السَّمَوَاتِ والأرضِ، عالمَ الغَيبِ والشَّهادةِ، أنت تحكُمُ بين عبادِك فيما كانوا فيه يختَلِفون، اهدني لما اختُلِف فيه من الحَقِّ بإذنِك، إنَّك تهدي من تشاءُ إلى صراطٍ مُستقيمٍ».[٢]

قال ابنُ القَيِّمِ-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "فذَكَر هؤلاءِ الثَّلاثةَ مِن الملائِكةِ؛ لكَمالِ اختِصاصِهم واصطِفائِهم وقُربِهم من اللهِ، وكم من مَلَكٍ غَيرِهم في السَّمَواتِ، فلم يُسَمِّ إلَّا هؤلاءِ الثَّلاثةَ"[٣]

وقد خَصَّ اللهُ جِبريلَ وميكائيلَ في كتابِه بالذِّكرِ، وعَطَف ذِكْرَهما على ذِكرِ الملائِكةِ، فقال: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: الآية: ٩٨]. فقيل: إنما خَصَّهما بالذِّكرِ تشريفًا لهما"[٤]

وأما مسألة المفاضلة بين أكابر الملائكة

وأفضَلُ الملائِكةِ ومُقَدَّمُهم جبريلُ عليه السَّلامُ.

قال اللهُ-عَزَّ وجَلَّ-فيه: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: الآية: ٩٧].

فشَرَّفه اللهُ-عَزَّ وجَلَّ بذِكْرِه، وذَمَّ مُعادِيَه، وذكر سُبحانَه دليلَ فَضْلِه وتشريفِه، وهو وظيفتُه

---

(١) يُنظر: «تفسير الرازي» «١١/ ٢٧٣».

(٢) أخرجه مسلم «٧٧٠».

(٣) يُنظر: «زاد المعاد» «١/٤٤».

(٤) يُنظر: «تفسير القرطبي» «٢/٣٦».

الشَّريفةُ الكريمةُ؛ تبليغُ الوَحيِ للرُّسُلِ مِنَ اللهِ، فهو الواسِطةُ بين اللهِ ورُسُلِه.

قال الرازي-رحمه الله-«ت: ٦٠٦ هـ»: "ثُمَّ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَصَفَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأُمُورٍ

الْأَوَّلُ: أَنَّهُ صَاحِبُ الْوَحْيِ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ قَالَ تَعَالَى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ﴾ [الشُّعَرَاءِ: الآيتان: ١٩٣، ١٩٤]

الثَّانِي: أَنَّهُ تَعالَى ذَكَرَهُ قَبْلَ سَائِرِ الْمَلَائِكَةِ فِي الْقُرْآنِ ﴿قُلْ مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ [الْبَقَرَةِ: الآية: ٩٧] وَلِأَنَّ جِبْرِيلَ صَاحِبُ الْوَحْيِ وَالْعِلْمِ، وَمِيكَائِيلَ صَاحِبُ الْأَرْزَاقِ وَالْأَغْذِيَةِ، وَالْعِلْمُ الَّذِي هُوَ الْغِذَاءُ الرُّوحَانِيُّ أَشْرَفُ مِنَ الْغِذَاءِ الْجُسْمَانِيِّ فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَشْرَفَ مِنْ مِيكَائِيلَ.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَهُ ثَانِيَ نَفْسِهِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التَّحْرِيمِ: ٤] .

الرَّابِعُ: سَمَّاهُ رُوحَ الْقُدُسِ قَالَ فِي حَقِّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [الْمَائِدَةِ: الآية: ١١٠]

الْخَامِسُ: يَنْصُرُ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ وَيَقْهَرُ أَعْدَاءَهُ مَعَ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ.

السَّادِسُ: أَنَّهُ تَعَالَى مَدَحَهُ بِصِفَاتٍ سِتٍّ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التَّكْوِيرِ: الآيات: ١٩- ٢٠] فَرِسَالَتُهُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-إِلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ، فَجَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ أُمَّتُهُ وَكَرَمُهُ عَلَى رَبِّهِ أَنَّهُ جَعَلَهُ وَاسِطَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَشْرَفِ عِبَادِهِ وَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، وَقُوَّتُهُ أَنَّهُ رَفَعَ مَدَائِنَ قَوْمِ لُوطٍ إِلَى السَّمَاءِ وَقَلَبَهَا، وَمَكَانَتُهُ

عِنْدَ اللَّهِ أَنَّهُ جَعَلَهُ ثَانِيَ نَفْسِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَكَوْنُهُ مُطَاعًا أَنَّهُ إِمَامُ الْمَلَائِكَةِ وَمُقْتَدَاهُمْ، وَأَمَّا كَوْنُهُ أَمِينًا فَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشُّعَرَاءِ: الآية: ١٩٣]"[(١)]

وقال السيوطي-رحمه الله-«ت: ٩١١ هـ»: "وأن جبريل أفضل من ميكائيل، لأن الله قدمه في الذكر على ميكائيل وسببه أنه صاحب الوحي إلى الأنبياء والعلم، وميكائيل صاحب الأرزاق؛ والخيرات النفسانية أفضل من الخيرات الجسمانية، ولأنه سمى روح القدس، ولأنه ينصر أولياء الله ويقهر أعداء الله"[(٢)]

وقال الشوكاني-رحمه الله-«ت: ١٢٥٠ هـ»: "وَصَف الرَّسولَ المذكورَ بأوصافٍ محمودةٍ، فقال: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ أي: ذي قُوَّةٍ شديدةٍ في القيامِ بما كُلِّفَ به، كما في قَولِه: ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾، ومعنى: ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ أنَّه ذو رِفعةٍ عاليةٍ ومَكانةٍ مَكِينةٍ عند اللهِ سُبحانَه... ومعنى: ﴿مُطَاعٍ﴾ أنَّه مُطاعٌ بين الملائِكةِ يَرجِعون إليه ويطيعونَه، ﴿ثَمَّ أَمِينٍ﴾ قرأ الجمهورُ بفَتحِ «ثَمَّ» على أنها ظرفُ مكانٍ للبعيدِ، والعامِلُ فيه «مُطَاعٍ» أو ما بَعْدَه، والمعنى: أنَّه مُطاعٌ في السَّمَواتِ، أو أَمِينٌ فيها، أي: مُؤتَمَنٌ على الوَحيِ وغَيرِه"[(٣)]

وقد خَصَّه اللهُ بالذِّكرِ في مواضِعَ مِن كتابِه؛ قال سُبحانَه: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: الآية: ٤]. فذكره سُبحانَه بعد ذِكْرِ نَفْسِه، ولم يذكُرْ سِواه من الملائِكةِ.

وقال سُبحانَه: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: الآية: ٤]. وفي هذا تخصيصٌ مِنَ اللهِ له بالذِّكرِ.

---

(١) تفسير الفخر الرزي المسمى بمفاتيح الغيب «٢/ ٣٨٦».

(٢) الحبائك في أخبار الملائك «ص: ٢٧٧».

(٣) يُنظر: «تفسير الشوكاني» «٥/ ٤٧٣».

وعن أبي هُرَيرةَ-رَضِيَ اللهُ عنه-، عن النَّبيِّ-صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-قال: «إذا أحبَّ اللهُ عبدًا نادى جبريلَ: إنَّ اللهَ يحِبُّ فُلانًا فأحِبَّه، فيُحِبُّه جِبريلُ. فينادي جِبريلُ في أهلِ السَّماءِ: إنَّ اللهَ يحِبُّ فلانًا فأحِبُّوه، فيُحِبُّه أهلُ السَّماءِ، ثمَّ يُوضَعُ له القَبولُ في أهلِ الأرضِ». (١)

ففي هذا الحديثِ بيانُ فَضلِ جِبريلَ عليه السَّلامُ، وأنَّه ليس فقط مُبَلِّغَ كَلامِ اللهِ إلى الرُّسُلِ، بل وإلى الملائِكةِ أيضًا.

ومن أفضَلِ الملائِكةِ من شَهِدَ منهم مَعركةَ بَدرٍ.

فعن رفاعةَ بنِ رافعٍ-رَضِيَ اللهُ عنه-، أنَّ جِبريلَ جاء للنَّبيِّ-صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-فقال: ما تَعُدُّونَ أهلَ بدرٍ فيكم؟ قال: «مِن أفضَلِ المسلِمين» -أو كَلِمةً نَحوَها- قال: وكذلك مَن شَهِدَ بَدرًا من الملائِكةِ(٢).

المسألة السابعة: نماذج من عبادة الملائكة:

نماذج من عبادتهم:

الملائكة عباد الله، مكلفون بطاعته، وهم يقومون بالعبادة والتكاليف بيسر وسهولة.

وسنورد-هنا-بعض العبادات التي حدثنا الله، أو رسوله صلى الله عليه وسلم أنهم يقومون بها.

١-التسبيح:

الملائكة يذكرون الله تعالى، وأعظم ذكره التسبيح، يسبحه تعالى حملة عرشه: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [غافر: الآية: ٧]، كما يسبحه عموم ملائكته: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: الآية: ٥].

وتسبيحهم لله دائم لا ينقطع، لا في الليل، ولا في النهار:﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٠].

(١) أخرجه البخاري «٣٢٠٩»، ومسلم «٢٦٣٧».

(٢) رواه البخاري «٣٩٩٢».

ولكثرة تسبيحهم فإنهم هم المسبِّحون في الحقيقة، وحق لهم أن يفخروا بذلك: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: الآيتان: ١٦٥-١٦٦].

وما كثرة تسبيحهم إلا لأن التسبيح أفضل الذكر، روى مسلم في صحيحه عن أبي ذر، قال: «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذكر أفضل؟ قال: ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده: سبحان الله وبحمده»[(١)].

وقال عبد الله بن مسعود: "إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار، نور السماوات والأرض من نور وجهه، وإن مقدار كل يوم من أيامكم عنده اثنتا عشرة ساعة،

١-فتعرض عليه أعمالكم بالأمس أول النهار فينظر فيها **ثلاث** ساعات،

٢-ويسبحه حملة العرش وسرادقات العرش والملائكة المقربون وسائر الملائكة، ثم ينفخ جبريل بالقرن فلا يبقى شيء إلا سمع صوته، فيسبحون الرحمن **ثلاث** ساعات حتى يمتلئ الرحمن رحمة، فتلك ست ساعات،

٣-ثم يؤتى بالأرحام فينظر فيها **ثلاث** ساعات، وهو قوله في كتابه: ﴿يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٦]، ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ [الشورى: الآية: ٤٩] ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ [الشورى: الآية: ٥٠]، فتلك التسع ساعات، ثم يؤتى بالأرزاق فينظر فيها **ثلاث** ساعات وهو قوله:﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: الآية: ٢٦]، ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: الآية: ٢٩] ، قال: هذا من شأنكم وشأن ربكم عز وجل"[(٢)]

ويذكر ابن القيم أن الصـــلاة، والتســـبيح، والتقديس؛ من عبادات الملائكة، قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "قد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة، وأنها موكلة

(١) صحيح مسلم: ٤/ ٢٠٩٣. ورقمه: ٢٧٣١.

(٢) "حلية الأولياء" «١/ ١٣٧».

بأصـــناف المخلوقات، وأنه-ســـبحانه-وكل بالجبال ملائكة ... وملائكة قد وكلوا بعمارة السموات بالصلاة، والتسبيح، والتقديس، إلى غير ذلك من أصناف الملائكة؛ التي لا يحصيها إلا الله-تعالى-"»[1] »

٢-الحج:

للملائكة كعبة في السماء السابعة يحجون إليها، هذه الكعبة هي التي أسماها الله تعالى: البيت المعمور، وأقسم به في سورة الطور: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [الطور: الآية: ٤].

قال ابن كثير-رحمه الله-«ت: ٧٧٤ هـ» عند تفسير هذه الآية: "ثبت في الصحيحين: أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، قال في حديث الإسراء، بعد مجاوزته السماء السابعة: «ثم رفع بي إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفاً، لا يعودون إليه آخر ما عليهم».[2]؛ يعني يتعبدون فيه، ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم، والبيت المعمور هو كعبة أهل السماء السابعة، ولهذا وَجَد إبراهيمَ الخليل-عليه الصلاة والسلام-مسنداً ظهره إلى البيت المعمور؛ لأنه باني الكعبة الأرضية، والجزاء من جنس العمل".

وذكر ابن كثير-رحمه الله-«ت: ٧٧٤ هـ» أن البيت المعمور بحيال الكعبة، أي فوقها، لو وقع لوقع عليها، وذكر أن في كل سماء بيتاً يتعبد فيه أهلها، ويصلون إليه، والذي في السماء الدنيا يقال له: بيت العزة[3].

وهذا الذي ذكره ابن كثير-رحمه الله-«ت: ٧٧٤ هـ» من أن البيت المعمور بحيال الكعبة مروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقد أخرج ابن جرير من طريق خالد بن عرعرة:

---

(١) إغاثة اللهفان «٢/ ٥٤٦-٥٤٧».

(٢) صحيح البخاري: ٦/ ١٠٣. ورقمه: ٣٢٠٧. وصحيح مسلم: ١/ ١٤٦. ورقمه: ١٦٢. وفي اللفظ بعض الاختلاف عما هو في الصحيحين.

(٣) انظر تفسير ابن كثير «٧/ ٤٢٨ و٤٢٩»

"أن رجلاً قال لعلي -رضي الله عنه-: ما البيت المعمور؟ قال: بيت في السماء بحيال البيت، حرمة هذا في السماء كحرمة هذا في الأرض، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ولا يعودون إليه"(١)

٣-خوفهم من الله وخشيتهم له:

ولما كانت معرفة الملائكة بربهم كبيرة، كان تعظيمهم له، وخشيتهم له عظيمة، قال الله فيهم: وقال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: الآية: ٥٠]. هذا وصف للملائكة.

وقال تعالى: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٨] ،وقد وصفهم سبحانه بخوفه، وخشيته، فالخوف في هذه الآية والخشية

ووصفهم بخوف العذاب في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: الآية: ٥٧]، وهم خواص خلقه"(٢)

ويبين شدة خوفهم من ربهم ما رواه البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَالسِّلْسِلَةِ عَلَى صَفْوَانٍ». (٣)

قال علي، وقال غيره: "صفوان ينفذهم ذلك. فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟

---

(١) نقله عن الطبري وإسحاق: ابن حجر في فتح الباري: ٦/ ٣٠٨، وأطال في الكلام على إسناده وطرقه. وقال فيه الشيخ ناصر الدين الألباني: «ورجاله ثقات غير خالد بن عرعرة، وهو مستور... ثم ذكر أن له شاهداً مرسلاً صحيحاً من رواية قتادة، قال: ذكر لنا «أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوماً لأصحابه: هل تدرون ما البيت المعمور؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه مسجد في السماء، تحته الكعبة، لو خرّ لخر عليها...» انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة «١/ ٨٥٩».

(٢) طريق الهجرتين ص « ٣٢٦ - ٣٢٧ » .

(٣) صحيح البخاري «٦/ ٨٠» «٤٧٠١»

قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير"[١]

وفي معجم الطبراني الأوسط بإسناد حسن عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى، وَجِبْرِيلُ كَالْحِلْسِ الْبَالِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». [٢]

عن جابر بن عبد الله–رضي الله عنهما–، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: «ما في السَّماواتِ السَّبعِ موضِعُ قدمٍ ، ولا شبرٌ ، ولا كفٌّ إلَّا وفيهِ ملَكٌ قائمٌ، أوَ ملَكٌ ساجدٌ ، أو ملَكٌ راكعٌ، فإذا كانَ يومُ القيامةِ، قالوا جميعًا: ما عبَدناكَ حقَّ عبادتِكَ إلَّا أنَّا لم نُشرِكْ بِكَ شيئًا». [٣]

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "إن قيل: فما وجه خوف الملائكة وهم معصومون من الذنوب التي هي أسباب المخافة، وشدة خوف النبي–صلى الله عليه وسلم– مع علمه بأن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر، وأنه أقرب الخلق إلى الله؟.

قيل: عن هذا أربعة أجوبة"، وحاصلها:

أولًا: أن العبد كلما كان بالله أعرف كان له أكثر خوفا، وأشـــد خشـــية، ولهذا قال النبي–صلى الله عليه وسلم–: «إني أعلمكم بالله وأشدكم له خشية». « [٤] »

ثانيًا: أن العبد لا يفعل كل ما يستطيعه من العبادة، فلا بد أن يعتريه تقصير من فتور، ونحوه، ولو فرضـــنا أنه فعل كل ما يســـتطيعه من العبادة فالذي يســـتحقه الله أكثر، وأعظم، وأجل، وأكبر.

ثالثًا: أن العبد لا يأمن من أن يزيغ قلبه , ويحول الله بينه وبين العبادة بســـببه , ولهذا

---

(١) صحيح البخاري: «٣/ ٣٨٠». برقم: «٤٧٠١».

(٢) رواه الطبراني في الأوسط «٥/ ٦٤» برقم «٤٦٧٩» قال الألباني حسن انظر الأحاديث الصحيحة «٢٢٨٩»، السنة «٨٢١».

(٣) أخرجه الطبراني «٢/١٨٤» «١٧٥١»، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» «١٤٠٣».

(٤) رواه بهذا اللفظ الحاكم في المستدرك « ١ / ٦٤٧ » , وأصله في صحيح مسلم من حديث جابر ﷺ في حجة الوداع رواه مسلم في ك الحج , ب حجة النبي ﷺ , ص « ٧٦٩ » , رقم : « ١٢١٨ » .

كان من دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: الآية: ٨].

رابعا : أن العبد محتاج في كل فعل يفعله إلى هداية خاصة من الله-عز وجل-، والعبد ليس على يقين أن الله يلهمه رشده دائما، ويوفقه أبدا". «(١)»

٣- المحبة لله والرجاء له:

من عبادات الملائكة: المحبة والرجاء، قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "قوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: الآيتان: ٥٦-٥٧].

فجمع بين المقامات الثلاثة، فإن ابتغاء الوسيلة إليه هو التقرب إليه بحبه، وفعل ما يحبه، ثم يقول : ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ فذكر الحب, والخوف، والرجاء.

والمعنى: أن الذين تدعونهم من دون الله من الملائكة والأنبياء والصالحين يتقربون إلى ربهم, ويخافونه، ويرجونه، فهم عبيده، كما أنكم عبيده، فلماذا تعبدونهم من دونه، وأنتم وهم عبيد له؟ ...

وقد أثنى سبحانه على أقرب عباده إليه بالخوف منه، فقال عن أنبيائه بعد أن أثنى عليهم، ومدحهم: ف﴿اسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٩٠]، فالرغب: الرجاء، والرغبة، والرهب: الخوف، والخشية.

وقال عن ملائكته الذين قد أمنهم من عذابه : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل:: الآية: ٥٠]"(٢)

---

(١) طريق الهجرتين ص « ٢٧١ » .

(٢) طريق الهجرتين ص « ٢٦٨ – ٢٦٩ ».

سجودهم وركوعهم

ويذكر ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ» أن السجود والركوع الدائمين من عبادات الملائكة , وهذا في قوله : « ونظير انقسام العبودية إلى : خاصة , وعامة انقسام القنوت إلى : خاص , وعام , والســـجود كذلك ... قال في الســـجود الخاص: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: الآية: ٢٠٦]"« «(١)»

وقوله : "ما يستحقه–سبحانه–من عباده أمر لا تناله قدرتهم، ولا إرادتهم، ولا تتصوره عقولهم، ولا يمكن أحد من خلقه قط أن يعبده حق عبادته، ولا يوفيه حقه، من المحبة، والحمد.

ولهذا قال أفضل خلقه، وأكملهم، وأعرفهم به، وأحبهم إليه، وأطوعهم له: «لا أحصى ثناء عليك». «(٢)» .

وأخبر أن عمله–صـــلى الله عليه وســـلم–لا يســـتقل بالنجاة، فقال: «لن ينجى أحدًا منكم عمله».

قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟

قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه، وفضـــل». «(٣)»،–عليه صـــلوات الله وسلامه، عدد ما خلق في السماء، وعدد ما خلق في الأرض، وعدد ما بينهما، وعدد ما هو خالق–.

وفي الحديث المرفوع المشـــهور: «إن من الملائكة من هو ســـاجد لله لا يرفع رأســـه منذ خلق، ومنهم راكع لا يرفع رأسه من الركوع منذ خلق إلى يوم القيامة، وأنهم يقولون يوم القيامة

---

(١) مدارج السالكين «١/ ١٢٧».

(٢) أخرجه مسلم، « ٤٨٦ ».

(٣) أخرجه البخاري « ٦٤٦٣ »، ومسلم، « ٢٧١٨ ».

: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك». «[(١)]» "«[(٢)]»

وذكر ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ» -رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ» أن الملائكة في حال عبادتها للرب تكون في صفوف منتظمة بين يديه، فقال: "قوله تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ [الصافات: الآية: ١]، أقسم-سبحانه- بملائكته الصافات للعبودية بين يديه , كما قال النبي-صلى الله عليه وسلم-لأصحابه: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها، تتمون الصفوف الأول، وتراصون في الصف». «[(٣)]» .

وكما قالوا عن أنفسهم: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ [الصافات: الآية: ١٦٥].

والملائكة الصافات أجنحتها في الهواء.

والزاجرات: الملائكة التي تزجر السحاب وغيره بأمر الله؛ ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ [الصافات: الآية: ٣]: التي تتلو لكلام الله"«[(٤)]» .

سادسا سَفَرَة:

وصف الله الملائكة بأنهم ﴿كرام بررة: بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٥-١٦]؛ أي القرآن بأيدي سفرة، أي: الملائكة؛ لأنهم سفراء الله إلى رسله وأنبيائه، قال البخاري: «سفرة: الملائكة واحدهم سافر، سفرتُ: أصلحت بينهم، وجعلت الملائكة-إذا نزلت بوحي الله تعالى وتأديته-كالسفير الذي يصلح بين القوم».[(٥)]

---

(١) رواه ابن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة «١/ ٢٦٣»، والطبراني في المعجم الأوسط «٤/ ٤٤»، وقال الهيثمي في المجمع «١٠/ ٣٥٨»: "رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عروة بن مروان، قال الدارقطني: ليس بقوي في الحديث، وبقية رجاله رجال الصحيح"، وفي الكبير «٢/ ١٨٤»، وقال الهيثمي في المجمع «١/ ٥٢»: "رواه الطبراني في الكبير، وفيه عروة بن مروان"، وأبو الشيخ في العظمة «٣/ ٩٩٤»، والحاكم في المستدرك «٣/ ٩٣».

(٢) مفتاح دار السعادة «٢/ ٥٠٧-٥٠٨».

(٣) أخرجه مسلم، «٤٣٠».

(٤) التبيان في أقسام القرآن ص « ٢٥٢ » .

(٥) صحيح البخاري: ٨/ ٦٩١.

سابعا بَرَرَة:

وقد وصف الله تعالى هؤلاء الملائكة بأنهم كِرَامٍ بَرَرَةٍ؛ أي: خلقهم كريم حسن شريف، وأخلاقهم وأفعالهم بارة ظاهرة كاملة، ومن هنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد.

روى البخاري عن عائشة-رضي الله عنهما-قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام، ومثل الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده، وهو عليه شديد، فله أجران».(١)

ثامنا الحياء واستحياء الملائكة:

من أخلاق الملائكة التي أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بها: الحياء؛ ففي الحديث الذي يرويه مسلم في صحيحه عن عائشة: «أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان مضطجعاً في بيتها، كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر، فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث، ثمّ استأذن عمر، فأذن له وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس الرسول صلى الله عليه وسلم وسوّى ثيابه، فدخل، فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر، فلم تهتش له، ولم تُبَالِهِ، ثم دخل عمر، فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان، فجلست، وسويت ثيابك، فقال: ألا استحيي من رجل تستحيي منه الملائكة».(٢)

التاسع: يحبون ويبغضون:

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي الله عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ. وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ. فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ

---

(١) صحيح البخاري: ٨/ ٦٩١. ورقمه: ٤٩٣٧. ورواه مسلم: ١/ ٥٤٩. ورقمه: ٧٩٨، واللفظ للبخاري.

(٢) رواه مسلم: ٤/ ١٨٦٦. ورقمه: ٢٤٠١.



يُبْغِضُ فَلَانًا فَأَبْغِضُوهُ. قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ. ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ". (١)

عَن أبي هُرَيْرَة رَضِي الله عَنهُ عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ قَالَ لي جِبْرِيل: مَا كَانَ على الأَرْض شَيْء أبْغض إِلَيّ من فِرْعَوْن فَلَمَّا آمن جعلت احشو فَاه حمأة وَأَنا أغطه خشيَة أَن تُدْرِكهُ الرَّحْمَة". (٢)

العاشر: يضحكون ويتأثرون.

"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام: ما لي لم أر ميكائيل ضاحكا قط؟ قال: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار". (٣) يقتضي أن الملائكة يضحكون وفيه دليل على أنهم يتأثرون.

الحادي عشر: منظمون في كل شؤونهم.

الاصطفاف: جاء في الحديث الذي يحث الرسول صلى الله عليه وسلم فيه أصحابه على الاقتداء بالملائكة في الاصطفاف للصلاة: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟ وعندما سئل عن كيفية اصطفافهم قال: يتمون الصفوف، ويتراصون في الصف». (٤)

وفي القرآن عن الملائكة: قوله تعالى: «وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ» [الصافات: ١٦٥]. وهم يقومون، ويركعون، ويسجدون، ففي مشكل الآثار للطحاوي، وفي المعجم الكبير للطبراني عن حكيم بن حزام قال: «بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه إذ قال لهم: أتسمعون ما أسمع؟ قالوا: ما نسمع من شيء، قال: إني لأسمع أطيط السماء، وما تلام أن تئط، ما فيها موضع شبر إلا عليه ملك ساجد أو قائم». (٥)

---

(١) رَوَاهُ مُسلم «٤/ ٢٠٣٠» برقم «٢٦٣٧»

(٢) أخرج ابن جرير، والبيهقي من حديث أبي هريرة مرفوعا نحوه. وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر مرفوعا نحوه أيضا. وأخرج أبو الشيخ عن أبي أمامة مرفوعا نحوه أيضا، قال الشوكاني: وفي إسناد حديث أبي هريرة رجل مجهول، وباقي رجاله ثقات انظر فتح القدير للشوكاني.

(٣) أخرجه الروياني في " مسنده "«ق ٢٤٧/ ٢» قال الألباني وهذا إسناد صحيح انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة «٦/ ٤٢».

(٤) رواه مسلم: ١/ ٣٢٢. ورقمه: ٤٣٠.

(٥) قال فيه الألباني: «صحيح على شرط مسلم». سلسلة الأحاديث الصحيحة: حديث رقم ٨٥٢.

وفي يوم القيامة يأتون صفوفاً منتظمة: ﴿وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، ويقفون صفوفاً بين يدي الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨]، والروح: جبريل.

وانظر إلى دقة تنفيذهم للأوامر، ففي صحيح مسلم، ومسند أحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ ".[(١)]

الثالث عشر: تفتقده إذا غاب عن المسجد وتعوده إذا مرض:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" إنَّ للمساجدِ أوتادًا؛ الملائكةُ جلساؤهم، إن غابوا يفتقدونهم، وإن مرِضوا عادوهم، وإن كانوا في حاجةٍ أعانوهم ".[(٢)]

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"المسجِدُ بيتُ كلِّ تقيٍّ وتَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَن كانَ المسجِدُ بيتَهُ بالرَّوحِ والرَّحمةِ والجوازِ على الصِّراطِ إلى رِضوانِ اللَّهِ إلى الجنَّةِ".[(٣)]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"ما تَوطَّنَ رجلٌ مسلمٌ المساجدَ للصلاةِ والذكْرِ، إلّا تَبَشْبَشَ اللهُ لَهُ منْ حينِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ، كَما يتَبَشْبَشُ أهلُ الغائِبِ بغائِبِهِمْ، إذا قدِمَ علَيْهِم ".[(٤)]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ:

" الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ؛ تَقُولُ: اللَّهُمَّ

---

(١) صحيح مسلم: ١/ ١٨٨. ورقمه: ١٩٧.

(٢) حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم ٣٢٩.

(٣) حسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب رقم ٣٣٠

(٤) حسنه الألباني في صحيح الجامع ٥٦٠٤

اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ". [(١)]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

" أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟

قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: "إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَى إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ". [(٢)]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ:

"صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمغْرِبَ فَرَجَعَ مَنْ رَجَعَ وَعَقَّبَ مَنْ عَقَّبَ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْرِعًا قَدْ حَفَزَهُ النَّفَسُ، وَقَدْ حَسَرَ عَنْ رُكْبَتَيْهِ،

فَقَالَ: " أَبْشِرُوا؛ هَذَا رَبُّكُمْ قَدْ فَتَحَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ، يَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي قَدْ قَضَوْا فَرِيضَةً وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ أُخْرَى". [(٣)]

ثالثاً: هل بين الملائكة والبشر شبه في الشكل والصورة:

روى مسلم في صحيحه، والترمذي في سننه عن جابر رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «عُرِض عليَّ الأنبياء، فإذا موسى ضرب من الرجال ، كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى ابن مريم، فإذا أقرب من رأيت به شبهاً عروة بن مسعود، ورأيت إبراهيم صلوات الله عليه، فإذا أقرب من رأيت به شبهاً صاحبُكم، «يعني نفسه» ورأيت جبريل عليه

---

(١) صحيح البخاري رقم ٤٤٥

(٢) صحيح مسلم رقم ٢٥١

(٣) رواه ابن ماجه ٨٠١ وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ٦٦٠

السلام، فإذا أقرب من رأيت به شبهاً «دحية»[١] وفي رواية: «دحية بن خليفة».[٢]

فهل هذا الشبه كائن بين صورة جبريل الحقيقية وصورة دحية الكلبي، أم هو بين الصورة التي يكون بها جبريل عندما يتمثل في صورة بشر؟! الأرجح هذا الأخير؛ لأن جبريل كان يتمثل في صورة دحية كثيراً.[٣]

وتشكل الملائكة على صورة أحدٍ من البشر ثبت في القرآن وصحيح السنَّة، وهذا الشبه بين صورة جبريل وصورة دحية الكلبي إنما هو في الصورة التي يكون بها جبريل عندما يتمثل في صورة دحية؛ لأن أصل خلقة الملائكة تختلف عن أصل خلقة الآدميين، والملائكة في أصل خلقتهم ليس بينهم وبين البشر شبه، فهم لا يشبهون بني آدم قط، وإنما يشبهونهم إذا تمثلوا في صورة آدميين.

إن جبريل عليه السلام لا تتغير صورته ولا تتبدل ولكن يمثل في أعين يومئذ من رآه على شكل دحية الكلبي.

وهنا يفصل المسألة شيخ الإسلام ابن تيمية وهو بصدد الرد على بشر المريسي:

«أن رؤيتهم تلك أنَّهم يعلمون يومئذ أن لهم ربا لا يعتريهم في ذلك شك كأنهم في دعواك أيها المريسي لم يعلموا في الدنيا أنَّه ربهم حتى يستيقنوا به في الآخرة فهذا التفسير إلى الشك أقرب مما ادعيت في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشك والشرك لا بل هو الكفر لأن الخلق كلهم مؤمنهم وكافرهم يعلمون يومئذ أن الله ربهم ألا ترى أنه يقول: ﴿أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة ١٢] فالشك في الله هذا الذي تأولته أنت في

---

(١) ودحية الكلبي: هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي القضاعي، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسوله بكتابه إلى عظيم بُصرى ليُوصله إلى هرقل. أسلم دحية قبل بدر، ولم يشهدها، وكان يتشبّه به جبريل عليه السلام، فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم على صورته، وكان من أجمل الناس وجهاً. شهد اليرموك، وسكن المزة من قرى دمشق، وبقي إلى زمن معاوية. انظر سير أعلام النبلاء ٢٥٥٠. والإصابة لابن حجر ١٤٦٣.

(٢) صحيح مسلم: ١/ ١٥٣. ورقمه: ١٦٧.

(٣) عالم الملائكة الأبرار ص ١٣.

الرؤية لا ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك إن الله لا تتغير صورته ولا تتبدل ولكن يمثل في أعينهم يومئذ أولم تقرأ كتاب الله ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال ٤٤] وهو الفعال لما يشاء كما مثل جبريل عليه السلام مع عظم صورته وجلالة خلقه في عين رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي وكما مثله لمريم بشرًا»(١)

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ورأيت جبريل عليه السلام، فإذا أقرب من رأيت به شبهاً «دحية».»، وفي رواية: «دحية بن خليفة».(٢)

فهل هذا الشبه كائن بين صورة جبريل الحقيقية وصورة دحية الكلبي، أم لا؟

قال رحمه الله تعالى: "فلا نعتقد أن ما تخيله الإنسان في منامه أو يقظته من الصور أن الله في نفسه مثل ذلك، فإنه ليس هو في نفسه مثل ذلك، بل نفس الجن والملائكة لا يتصورها الإنسان ويتخيلها على حقيقتها بل هي على خلاف ما يتخيله ويتصوره في منامه ويقظته وإن كان ما رآه مناسبا مشابها لها، فالله تعالى أجل وأعظم".(٣)

المسألة الثامنة: علاقة الملائكة بالإنسان:

الملائكة عليهم سلام خلقهم الله من نور، وهم من عالم الغيب أطلعنا الله على شيء من أخبارهم بالقدر الذي أراده سبحانه وتعالى، ولا عِلْم لنا بعالَم الملائكة إلا في حدود ما أخبرنا عنهم ربنا سبحانه في قرآنه الكريم، أو ما جاء وصح عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وأيُّ خبر عن الملائكة خارج عن هذين الأصلين يعتبر رجمًا بالغيب.

- بدأت علاقة الملائكة بآدم عليه السلام قبل خلقه:

---

(١) انظر بيان تلبيس الجهمية «٧/ ١٣٨».

(٢) صحيح مسلم: ١/ ١٥٣.

(٣) "بيان تلبيس الجهمية"«١/ ٣٢٥» [ط. مجمع الملك فهد».

حينما قال الله تعالى للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]، وجاء الرد من الملائكة: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠]

- وحينما أراد الله أن يخلق آدم عليه السلام من تراب الأرض

أرسل ملكًا ليقبض قبضة من التراب [١] ثم خلق آدم، وظلّ بين الماء والطين حينًا من الدهر، ثم أوحى الله سبحانه إلى الملائكة: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].

فسجدت الملائكة بمجرد صدور الأمر الإلهي؛ تعظيمًا لأمر الله سبحانه.

- آدم عليه السلام يسلم على الملائكة بتحية الإسلام وترد عليه الملائكة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ عَطَسَ فَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ، فَحَمِدَ اللَّهَ بِإِذْنِهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: رَحِمَكَ اللَّهُ يَا آدَمُ، اذْهَبْ إِلَى أُولَئِكَ المَلَائِكَةِ، إِلَى مَلَإٍ مِنْهُمْ جُلُوسٍ، فَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، قَالُوا: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ بَنِيكَ، بَيْنَهُمْ". [٢]

- دعاء الملائكة لآدم: "يرحمك الله".

فقد ثبت أنه عندما نفخ الله سبحانه الروحَ في آدم عليه السلام عطس آدم وقال: "الحمد لله"، فقالت له الملائكة: "يرحمك الله"

عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ: " ذَلِكَ خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ نَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ فَسَارَ فِيهِ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى، فَاسْتَوَى جَالِسًا فَعَطَسَ فَأَلْقَى اللَّهُ عَلَى لِسَانِهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَحِمَكَ اللَّهُ". [٣]

- نزول آدم عليه السلام إلى الأرض:

---

(١) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي «٢/ ٢١٠» برقم «٧٧٣»

(٢) أخرجه الترمذي في سننه «٥/ ٤٥٣» «٣٣٦٨» وهو صحيح انظر مشكاة المصابيح «١٣٢١/ ٣» «٤٦٦٢»

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه «٣/ ٢٥٩» «٥٥٦٩».

وبعد أن نزل آدم إلى الأرض لعمارتها، جعل الله سبحانه من الملائكة رُسُلاً إلى بني آدم، فكانت الكتب السماوية التي نزلت إلى الأنبياء والمرسلين، من أول صحف إبراهيم إلى ختام الأنبياء المرسلين.

- العلاقة المباشرة بين البشر وبين الملائكة:

أمَّا بالنسبة للعلاقة المباشرة بين البشر وبين الملائكة، فإن بدايتها من يوم إرسال الملك لينفخ الروح في الجنين في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وشقي أم سعيد، ومن بعد ذلك مع مولده، ثم هم معه في طفولته، وتستمرُّ هذه العلاقة في حياته كلها، وأشد ما تكون هذه العلاقة عند الشدائد، وبالذات يوم وفاته ويوم بعثه، ثم بعد ذلك عند الحساب، وبعدها إما في الجنة بإذن الله، أو في النار التي عليها ملائكة غلاظ شِداد.

- الملائكة حُرَّاسًا على السموات المسلحة بالشهب:

وعاش الإنسان يتأرجح بين الهدى والضلال؛ تارةً يأخذ زمام الأمور بيده، وتارةً تستهويه الشياطين في الأرض حيرانَ، وكلما أغلق الإنسان بابًا من أبواب الضلال، أتاه الشيطان من باب آخر، فجاءتْه الشياطين، ووصل الأمر إلى أن استرَقَ الشياطينُ السمعَ في السماء الدنيا، ويوحون إلى أوليائهم زخرفَ القول، فكانت النجدة من عند الله سبحانه وتعالى للبشر أن جعل حُرَّاسًا على السموات من الملائكة المسلحة ضمنًا بالشهب لمنع الشياطين من استراق السمع لتضليل الناس، واعترفت الشياطين بذلك كما جاء في سورة الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن: ٨].

- الملائكة شهودًا على أفعال بني آدم:

ومن قبل ذلك ومن بعده جعل الله سبحانه من الملائكة شهودًا على أفعال بني آدم بأن جعل منهم الكرام الكاتبين، كل هذا بإذن الله تعالى كما قالت الملائكة فيما ورد في القرآن الكريم: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

- ملك الأرحام عليه السلام:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَرَفَعَ الْحَدِيثَ، أَنَّهُ قَالَ: " إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ، أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ، أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقًا قَالَ: قَالَ الْمَلَكُ: أَيْ رَبِّ ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى؟ شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الْأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ". [(١)]

- علاقة الملائكة بالأطفال:

وبعد الولادة مباشرة تبدأ رسالة الوالدين برعاية الوليد في طعامه وشرابه، لا يأكلان حتى يأكل، ولا ينامان حتى ينام؛ لأنه ليس له سن يقطع، ولا يد تبطش، وهذه هي رعاية المادة أو الجسم، فمن يرعى الروح في عالم جديد؟ أو من يستطيع أن يتعامل مع سرٍّ من أسرار الله؟ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلَهُ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ [ق: ١٦] إِلَى ﴿عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] قَالَ: «جَعَلَ اللَّهُ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَافِظَيْنِ فِي اللَّيْلِ، وَحَافِظَيْنِ فِي النَّهَارِ، يَحْفَظَانِ عَلَيْهِ عَمَلَهُ، وَيَكْتُبَانِ أَثَرَهُ »[(٢)]

علاقة الملائكة بني آدم إذا بلغ سن التكليف:

وينمو الوليد على ذلك، إلى أن يصل إلى سن التكليف، فتبدأ علاقة من نوع جديد بينه وبين الملائكة، فيجعل الله عن يمينه ملكًا يدوّن له حسناته، وعن شماله ملكًا يسجّل عليه سيئاته، كما يقول-سبحانه وتعالى-في سورة «ق»: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧، ١٨].

- علاقة الملائكة لمن راح إلى المسجد ولمنتظر الصلاة

كما ثبت أن الملائكة تستغفر لمنتظر الصلاة ومن في حكمه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " المَلاَئِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ،

---

(١) أخرج مسلم «٤/ ٢٠٣٨» برقم «٢٦٤٦»

(٢) انظر تفسير الطبري «٢١/ ٤٢٥».

مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ ". [١]

قال ابن بطال: قوله عليه السلام: «الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه»، تفسير لقوله: «ويستغفرون للذين آمنوا» [غافر: ٧]، يريد المصلين، والمنتظرين للصلاة ويدخل في ذلك من أشبههم في المعنى، ممن حبس نفسه على أفعال البرِّ كلها، والله أعلم. انتهى [٢]

ومن كان في طريقه للمسجد، فكأنه في صلاة؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِذَا ثُوِّبَ لِلصَّلَاةِ فَلَا تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ، وَأْتُوهَا وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ يَعْمِدُ إِلَى الصَّلَاةِ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ». [٣]

وعلى هذا، فإنه يرجى له أن يكون ممن تستغفر لهم الملائكة.

فالذهاب إلى المسجد ثوابه عظيم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ" [٤]

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تطهر في بيته، ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خطواته إحداهما تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة».

- الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم:

ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، فهم يتأذون من الرائحة الكريهة، والأقذار، والأوساخ.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه «١/ ٩٦» «٤٤٥» و «١/ ١٣٢» «٦٥٩».

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال «٢/ ٢٨٤».

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه «١/ ٤٢١» «٦٠٢».

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه «١/ ٢١٩» «٢٥١».

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ، الثُّومِ وقَالَ مَرَّةً: مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ"[(١)]

- البصاق عن اليمين في الصلاة تَتَأَذَّى منه الملائكة:

نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن البصاق عن اليمين في أثناء الصلاة؛ لأن المصلي إذا قام يصلي يقف عن يمينه ملك، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة، فلا يبصق أمامه، فإنما يناجي الله ما دام في مصلاه، ولا عن يمينه؛ فإن عن يمينه ملكاً، وليبصق عن يساره، أو تحت قدمه فيدفنها».[(٢)]

- لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة، ولا كلب، ولا جُنب

قال ابن كثير: «ثبت في الحديث المروي في الصحاح والمسانيد والسنن من حديث جماعة من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة، ولا كلب، ولا جُنب»[(٣)] [(٤)].

- حفظ الملائكة العبد عموما من أمر الله:

كما يدل أن الملائكة لا تحفظ العبد مما يأتي من قضاء الله وقدره، قوله تعالى:

«وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ» ﴿الرعد: ١١﴾

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ وَالْمُعَقِّبَاتُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، وَهِيَ الْمَلَائِكَةُ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه «١/ ٣٩٥» «٥٦٤».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه «٤١٦».

(٣) رواه أبو داود «٢٢٧»، والنسائي «٧/ ١٨٥»، وابن حبان «٤/ ٥»، «١٢٠٥»، والحاكم « ١ / ٢٧٨». من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والحديث سكت عنه أبو داود، وقال الحاكم: صحيح، وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» «١/ ٤٦»: ثابت، وحسنه ابن حجر في «تخريج مشكاة المصابيح» «١/ ٢٤٢» كما قال ذلك في المقدمة.

(٤) البداية لابن كثير «١/ ٥٥».

وَقَالَ عِكْرِمة، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قَالَ: مَلَائِكَةٌ يَحْفَظُونَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفِهِ، فَإِذَا جَاءَ قَدَرُ اللَّهِ خَلَّوا عَنْهُ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا لَهُ مَلَك مُوَكَّلٌ، يَحْفَظُهُ فِي نَوْمِهِ وَيَقَظَتِهِ مِنَ الْجِنّ وَالْإِنْسِ وَالْهَوَامّ، فَمَا مِنْهَا شَيْءٌ يَأْتِيهِ يُرِيدُهُ إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ: وَرَاءَكَ إِلَّا شَيْءٌ يَأْذَنُ اللَّهُ فِيهِ فَيُصِيبُهُ [(١)]

قال البغوي: في التفسير: يحفظونه من أمر الله، يعني: بأمر الله، أي: يحفظونه بإذن الله تعالى ما لم يجئ المقدور، فإذا جاء المقدور خلوا عنه.

وقيل: يحفظونه من أمر الله: أي مما أمر الله به من الحفظ عنه.[(٢)]

وقال القرطبي: في التفسير: يحتمل أن يكون توكيل الملائكة بهم لحفظهم من الوحوش والهوام والأشياء المضرة، لطفاً منه به، فإذا جاء القدر خلوا بينه وبينه.[(٣)]

وقال ابن رجب: في جامع العلوم والحكم: وحفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان أحدهما حفظه له في مصالح دنياه كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله ويحفظانه مما لم يقدر، فإذا جاء القدر خلوا بينه وبينه.[(٤)]

علاقة الملائكة بالمسلم في حياته اليومية:

وهذه العلاقة تستمر معك بطول الحياة وعرضها، فإذا ذهبتَ إلى المسجد للصلاة، يقول ملك بجوارك: "اللهم اغفر له، اللهم احفظه [(٥)]، لا يتركك حتى تنصرف، وإذا أنفقتَ مما آتاك الله شيئًا لوجه الله، يدعو لك ملك من قِبل الله تعالى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا:

---

(١) انظر تفسير ابن كثير «٤/ ٤٣٨».

(٢) انظر: تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل في تفسير القرآن «٣/ ٩».

(٣) انظر تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن «٩٢٩١»

(٤) انظر جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم «١/ ٤٦٥»

(٥) انظر صفحة «١٩٧» علاقة الملائكة لمن راح إلى المسجد ولمنتظر الصلاة

اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا "[١] وهكذا كلما هممت بطاعة ابتغاءَ وجه الله تعالى.

- علاقة الملائكة على من يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]

- قعود الملائكة يوم الجمعة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول

عن أبي هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ مَلَائِكَةٌ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ، فَإِذَا جَلَسَ الْإِمَامُ طَوَوُا الصُّحُفَ، وَجَاءُوا يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ».[٢]

- علاقة حملة العرش للذين آمنوا بالله تعالى:

وهم قد يقتصرون بصالح دعواتهم وصلواتهم للمؤمنين فقط وبالدعوات التي تشرح صدر هذا الإنسان، وتثلج قلب كل مؤمن قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

ولكن في استغفارهم يستغفرون لكل من في الأرض، فيقول تعالى مبيِّنًا ذلك: ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥].

- علاقة الملائكة بالمستقيمين:

وهؤلاء الذين آمنوا بالله سبحانه وساروا على نهج الله تعالى واهتدَوْا إلى الصراط المستقيم، وسلكوا سبيل الرشد؛ أملاً في الاستقامة، فالملائكة لتدعوا لهم بالتوفيق، فيطمئنوهم ويبشِّروهم قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا

---

(١) صحيح البخاري «٢/ ١١٥» «١٤٤٢»

(٢) رواه مسلم «٢/ ٥٨٧».

وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

فالملائكة يساهمون في الدعوات والصلوات في ثبات المؤمن على الاستقامة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

- علاقة الملائكة بالإنسان عند الموت

وفي نهاية مطافك في الحياة الدنيا، فإن الإنسان إذا احتضره الموت، انقطع رزقه، فقد صح عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ رَوْحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةٍ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ"(١)

فحين إذن، يتوقف عن التنفس فيقوم ملك الموت بنزع الروح، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١].

- علاقة الملائكة بالميت المؤمن:

فينادون الذين سبقتْ لهم الحسنى من الله مبشرين برضوان الله ومذكّرين بحسن الثواب ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

وفي هذا المشهد العظيم الحمد كله لله سبحانه وتعالى ونعم أجر العاملين: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

- علاقة الملائكة بالميت الكافر:

قال تعالى:﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٧].

وعندما تأتيه المنيَّةُ يقول: ﴿رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء «١٠/ ٢٦» وصححه الشيخ الألباني انظر صحيح الجامع الصغير وزياداته «١/ ٤١٩».

يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠، ١١].

ومن مات من الكفار لعنتهم الملائكة لكفرهم قال تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾

- علاقة الملائكة ببني آدم في القبر:

وفي القبر صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ملكَان يأتيان إلى الميت فيسألانه ويريه مقعده في الجنة أو النار، وذلك في نهاية سؤال القبر.

عَن الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا دِينُكَ فَيَقُولُ دينِي الْإِسْلَام فَيَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِث فِيكُمْ قَالَ فَيَقُول هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولَانِ وَمَا يُدْرِيكَ فَيَقُولُ قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ زَاد فِي حَدِيث جرير فَذَلِك قَول الله عز وَجل «يثبت الله الَّذين آمنُوا بالْقَوْل الثَّابِت» الْآيَة ثمَّ اتفقَا قَالَ فينادي مُنَاد من السَّمَاء أَن قد صدق عَبدِي فأفرشوه مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ وألبسوه من الجَنَّة قَالَ فيأتيه من روحها وطيبها قَالَ وَيفتح لَهُ فِيهَا مد بَصَره عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرُ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ «هَاهُنَا» وَقَالَ: " وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ حِينَ يُقَالُ لَهُ: يَا هَذَا، مَنْ رَبُّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ " قَالَ هَنَّادٌ: قَالَ: " وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ " قَالَ: " فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [ص:٢٤٠]، فَيَقُولَانِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ «زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ» فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [إبراهيم: ٢٧] " الْآيَةُ-ثُمَّ اتَّفَقَا-قَالَ: " فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ

" قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا» قَالَ: «وَيُفْتَحُ لَهُ فِيهَا مَدَّ بَصَرِهِ» قَالَ: «وَإِنَّ الْكَافِرَ» فَذَكَرَ مَوْتَهُ قَالَ: " وَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ: لَهُ مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ " قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا» قَالَ: «وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ» زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ قَالَ: «ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكَمُ مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا» قَالَ: «فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ فَيَصِيرُ تُرَابًا» قَالَ: «ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ»[١]

- علاقة الإنسان يوم البعث:

ويوم البعث ستخرج من قبرك فتجد ملكًا من قِبَل الله يأخذك ويوقفك في المكان الذي يريده الله لك، أو يسوقك إلى موقفك المناسب، قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١].

عن ابن عباس، قوله «وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ» قال: السائق من الملائكة، والشهيد: شاهد عليه من نفسه.[٢]

علاقة الملائكة يوم الحساب:

ثم عند الحساب يوم ينفع الصادقين صدقهم، تأتي الملائكة شفعاء بإذن الله ولكنَّهم كما قال تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧]، ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦].

- علاقة الملائكة بعد الحساب:

---

(١) رواه أبو داود في سننه «٤/ ٢٣٩» «٤٧٥٣» وصححه الشيخ الألباني انظر «١/ ٤٧».

(٢) انظر تفسير الطبري «٢٢/ ٣٤٨».

وبعد الحساب، إما جنة وإما نار،

١-فبالنسبة لأهل الجنة: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: ٢٣]،

٢-أما أهل النار، فسيجدون التوبيخ اللائق بهم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [الزمر: ٧١]،

ثم بعد ذلك يتلفتون في النار لعلهم يجدون مخرجًا منها، فينادون على خازن جهنم: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦].

- علاقة الملائكة لمن دخل الجنة:

ثم يباركونهم ويهنئونهم بعدما يزفونهم إلى الجنة؛ قال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

والموضع الصحيح لهذا الحبِّ الذي وهبه لنا-سبحانه وتعالى-﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧].

المسألة التاسعة: التفاضل بين الملائكة والبشر:

تنبيهات مهمة:

وهذه المسألة قد قال فيها ابن تيمية رحمه الله: «المسألة على هذا الوجه لست أعلم فيها مقالة سابقة مفسرة، وربما ناظر بعض الناس على تفضيل الملك، وبعضهم على تفضيل البشر، وربما اشتبهت هذه المسألة بمسألة التفضيل بين الصالح وغيره».(١)

وقال ابن كثير: «أكثر ما توجد هذه المسألة في كتب المتكلمين والخلاف فيها مع المعتزلة ومن وافقهم»

(١) الفتاوى «٤/ ٣٥٤».

قال: «أقدم كلام رأيته في هذه المسألة ما ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة أمية بن سعيد بن العاص أنه حضر مجلساً لعمر بن عبد العزيز وعنده جماعة فقال عمر: ما أحد أكرم على الله من كريم بني آدم» وذكر بقية الواقعة وفيها معارضة أحدهم بتفضيل الملائكة واستدلال كل».[١]

ولقد نزع جماعة من أهل العلم إلى أن هذه من فضول المسائل، قال البيهقي في التفاضل بين الملائكة والبشر: «والأمر فيه سهل، وليس فيه من الفائدة إلا معرفة الشيء على ما هو به».[٢]

وقال شارح الطحاوية: «وكنت ترددت في الكلام على هذه المسألة لقلة ثمرتها، وأنها قريب مما لا يعني، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».[٣]

وقال: «وحاصل الكلام أن هذه المسألة من فضول المسائل ولهذا لم يتعرض لها كثير من أهل الأصول».[٤]

ونقل عن تاج الدين الفزاري من كتاب له في تفضيل البشر على الملك ما نصه: «اعلم أن هذه المسألة من بدع الكلام التي لم يتكلم فيها الصدر الأول من الأمة ولا من بعدهم من أعلام الأئمة، ولا يتوقف عليها أصل من أصول العقائد، ولا يتعلق بها من الأمور الدينية كبير المقاصد، ولهذا خلا عنها طائفة من مصنفات هذا الشأن، وامتنع عن الكلام فيها جماعة من الأعيان، وكل متكلم فيها من علماء الظاهر بعلمه لم يخل كلامه من ضعف واضطراب».[٥]

ولم تكن المسألة عند السلف موضع نظر وأخذ ورد، ولم تكن لهم بها عناية فائقة بحيث

---

(١) البداية والنهاية «١/ ٥٤» تهذيب تاريخ دمشق «٣/ ١٣٦»

(٢) شعب الإيمان «١/ ١٨٢»

(٣) شرح الطحاوية «٢٧٨»

(٤) شرح الطحاوية «٢٨٨».

(٥) شرح الطحاوية ٢٩٧.

ينصبونها موضوعاً للنظر والاستدلال، ولم يقع بينهم فيها كلام وخلاف.

وقد رويت عن الصحابة أحاديث موقوفة ومرفوعة فيها ذكر لهذه المسألة في بعضها تفضيل المؤمن على الملائكة، وبعضها تفضيل المؤمن على بعض الملائك، وبعضها تفضيل بني آدم على الملائكة، ولكنها أحاديث إما ضعيفة أو موضوعة مثل:

حديث: «المؤمن أكرم على الله عز وجل من بعض الملائكة»[(١)]

وحديث: «أن الملائكة قالت: يا ربنا أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون فيها ويشربون ويلبسون ونحن نسبح بحمدك ولا نأكل ولا نلهو، فكما جعلت لهم الدنيا فأجعل لنا الآخرة فقال: لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان»[(٢)]

وحديث: «ما من شيء أكرم على الله يوم القيامة من بني آدم، قيل: يا رسول الله، ولا الملائكة؟ قال: الملائكة مجبورون بمنزلة الشمس والقمر»[(٣)] وكلها ضعيف وموضوع.

فهذه مسألة كثر الكلام فيها في كتب المتأخرين من أهل العلم أخذاً ورداً، وطال طولاً أخرجها عن فائدتها وحدها.

خلاصة ما قيل فيها أن الناس فيها على أربعة أقوال: [(٤)]

---

(١) رواه ابن ماجه «٧٨٦» والبيهقي في «شعب الإيمان» «١/ ١٣٧» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه [فيه أبو المهزم] قال البيهقي: متروك، وقال الزيلعي في «تخريج الكشاف» «٢/ ٢٧٨»: [فيه] أبو المهزم تركه شعبة وقال البيهقي: متروك وقد روى موقوفا.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» «٦/ ١٩٦» «٦١٧٣» من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال ابن تيمية في «بغية المرتاد» «٢٢٤»: ثابت بالإسناد على شرط الصحيح، وقال ابن القيم في «مختصر الصواعق المرسلة» «٤٠٥»: إسناده صحيح روي مرسلا، وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» «١/ ٤٩»: مرفوع وهو أصح.

(٣) رواه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» «١/ ٨٧» والبيهقي «١/ ١٧٤» «١٥٣» من حديث ابن عمرو رضي الله عنه. قال البيهقي: تفرد به عبيد الله بن تمام، قال البخاري: عنده عجائب، ورواه غيره عن خالد الحذاء موقوفا، على عبد الله بن عمرو، وهو الصحيح، وقال ابن كثير في تفسيره «٥/ ٩٨»: هذا حديث غريب جدا، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير وفيه عبيد الله بن تمام وهو ضعيف، وقال الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» «٤٩٨١»: منكر مرفوع.

(٤) مقالات الإسلاميين، «ص٤٨، ٢٢٦، ٤٣٩»، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة «٧/ ٢٣٥» والفصل، «٥/ ٢٠ وما بعدها»، «المحلى، «١/ ١٣» و«أصول الدين» «١٦٦» والمواقف، «٣٦٧» وفتح الباري، «١٣/ ٣٨٦» وشرح الطحاوية «٢٧٧» ولوامع الأنوار البهية ن «٢/ ٣٩٨» والمواهب اللدنية «٢/ ٤٤» وغيرها..

القول الأول: تفضيل الملائكة على البشر مطلقاً:

القائلون به:

وإليه ذهبت المعتزلة، وبعض الأشعرية، وابن حزم، ومال إليه بعض أهل السنة، وبعض الصوفية.

أدلتهم:

استدلوا بأدلة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لها وجهها في الدلالة على قولهم منها:

كقوله سبحانه في بني آدم: وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً [الإسراء: ٧٠].

وجه الدلالة: فقال «على كثير» ولم يقل على كل، ومن عساه أن يكون الخارج من هذا الكثير إلا الملائكة.

وبقوله سبحانه: لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ [النساء: ١٧٢].

وجه الدلالة: ومثل هذا دال لغة على أن المعطوف أفضل من المعطوف عليه.

وبقوله سبحانه: قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ [الأنعام: ٥٠].

وجه الدلالة: والمعنى عندهم أني لا أدعي فوق منزلتي.

وبقوله صلى الله عليه وسلم: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه»(١)

وجه الدلالة: وهو نص في الأفضلية.

وهي أدلة على ما ترى من الدلالة، إلا أن المخالفين ردوا على الاستدلال بها ورد هؤلاء على ردودهم.

(١) رواه البخاري «٧٤٠٥»، ومسلم «٢٦٧٥» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

القول الثاني: تفضيل الأنبياء وصالحي البشر على الملائكة.

القائلون به:

وهو مذهب جمهور أهل السنة والجماعة وكذا جمهور أصحاب الأشعري.

أدلتهم:

واستدلوا بأدلة ظاهرة الدلالة على قولهم، ففي الأنبياء:

كقوله سبحانه: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ»

وجه الدلالة: والفاضل لا يسجد للمفضول.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الدخان: ٣٢].

وقوله: ﴿إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣].

أما في صالح البشر

فكقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧].

وقال ابن تيمية بعد ذكر بعض هذه الأحاديث: «وأقل ما في هذه الآثار أن السلف الأولين كانوا يتناقلون بينهم أن صالحي البشر أفضل من الملائكة من غير نكير منهم لذلك، ولم يخالف أحد منهم في ذلك، إنما ظهر الخلاف بعد تشتت الأهواء بأهلها، وتفرق الآراء، فقد كان ذلك المستقر عندهم».[١]

وقال: «قد كان السلف يحدثون الأحاديث المتضمنة فضل صالح البشر على الملائكة، وتروى على رؤوس الناس ولو كان هذا منكراً لأنكروه فدل على اعتقادهم ذلك».[٢]

وقد جاء عن الإمام أحمد أنه كان يفضل صالحي المؤمنين على الملائكة، ويخطئ من يفضل

---

(١) الفتاوى «٤/ ٣٦٩».

(٢) الفتاوى «٤/ ٣٧١».

الملائكة على بني آدم.[١]

وقد فصل ابن تيمية في هذه المسألة تفصيلاً طويلاً، قرر فيه مذهب أهل السنة تفضيل صالحي البشر على الملائكة.[٢]

وقد فصل ابن تيمية في هذه المسألة تفصيلاً طويلاً، قرر فيه مذهب أهل السنة تفضيل صالحي البشر على الملائكة.

وهي أدلة في القوة على ما ترى، إلا أن المخالفين ردوا على الاستدلال بها وعلى الرد رد، وإنا إن ذهبنا نتتبع الأدلة والردود ورد الردود لخرج بنا الموضوع عن حده وطال طولاً لا نستطيع الوقوف عند حد له.

القول الثالث: أن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية، والملائكة أفضل باعتبار البداية.

فقد نقل ابن القيم عن شيخ الإسلام ابن تيمية: «أنه سئل عن صالحي بني آدم والملائكة أيهما أفضل؟ فأجاب بأن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية، والملائكة أفضل باعتبار البداية، فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى منزهين عما يلابسه بنو آدم، مستغرقون في عبادة الرب، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر، وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فيصير حال صالحي البشر أكمل من حال الملائكة» قال: «وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل، وتتفق أدلة الفريقين، ويصالح كل منهم على حقه».[٣]

رأى قوم أن الأدلة متكافئة، وأنه كثر فيها الاختلاف، وتشعبت فيها الاستدلالات، وتشابكت وعظم فيها الجدال حتى خرج بها بعضهم مخرج المنافرة والمفاخرة فأخذ يقول: منا الأنبياء ومنا الأولياء، فرد عليه بأن للملائكة أن تقول: أليس منكم فرعون وهامان؟ أليس

---

(١) طبقات الحنابلة «٢/ ٢٧٩، ٣٠٦».

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية «٤/ ٣٥٢».

(٣) بدائع الفوائد «٣/ ١٦٣».

منكم من ادعى الربوبية؟ [١] وأساء بعضهم الأدب فقال: كان الملك خادماً للنبي صلى الله عليه وسلم، أو أن بعض الملائكة خدموا بني آدم.[٢]

---

(١) طبقات الحنابلة «٤/ ٢٠٧»

(٢) شرح الطحاوية «٢٧٩».

٥- خلق آدم عليه السلام وابتلاؤه

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قول أهل السنة والجماعة في إثبات صفة اليد لله

المسألة الثانية: أقوال المخالفين في صفة اليد لله -عز وجل-.

المسألة الثالثة: أن القدر حجة في المصائب لا في المعايب

[٥]- قال المصنف رحمه الله: ثم خلق آدم بيده وأسكنه جنَّته، وقبل ذلك للأرض خلقه، ونهاه عن شجرة قد نفذ قضاؤه عليه بأكلها، ثم ابتلاه بما نهاه عنه منها، ثم سلَّط عليه عدوه فأغواه عليها، وجعل أكله لها إلى الأرض سبباً فما وجد إلى ترك أكلها سبيلاً، ولا عنه لها مذهباً.

الشرح

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قول أهل السنة والجماعة في إثبات صفة اليد لله تعالى.

أ-معتقد أهل السنة والجماعة في صفة اليد.

اليدان صفة ثبوتية ذاتية خبرية لله عز وجل، نثبتها كما نثبت باقي صفاته؛ على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، وهي ثابتة بالكتاب والسنة

والمقصود هنا بعبارة «صفة اليدين من الصفات:

١-الثبوتية.

٢-الذاتية.

٣-الخبرية».

١-«الثبوتية»: فهي من الصفات ثبوتية الصفات الثبوتية، وتعريفها: هي ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.[(١)]

٢-«الذاتية»: وهي صفة ذاتية باعتبار أنها لاتنفك عن الذات، والصفات الذاتية ضابطها: هي التي لا تنفك عن الذات.[(٢)]، أو: التي لم يزل ولا يزال الله متصفا بها. أو: الملازمة لذات

(١) الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها ص: ٥٧.

(٢) الكواشف الجلية ص ٤٢٩.

الله تعالى.[(١)]، ومنها: الوجه – اليدين – العينين [(٢)]

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "لله تعالى يدين مختصتان به، ذاتيتان له، كما يليق بجلاله" [(٣)]

٣–«الخبرية»: باعتبار أدلتها حيث تنقسم الصفات الثبوتية باعتبار أدلتها إلى قسمين:

القسم الأول: صفات شرعية عقلية، وهي ما اشترك في إثباتها الدليل العقلي مع الدليل الشرعي.

القسم الثاني: الصفات الخبرية وهي ما اقتصر في إثباتها على الدليل الشرعي فقط". [(٤)]

فصفة اليدين من القسم الثاني، وهي ما اقتصر في إثباتها على الدليل الشرعي فقط.

قال ابن القيم رحمه الله: "وَرَدَ لفظ اليد في القرآن، والسنة، وكلام الصحابة والتابعين، في أكثر من مائة موضع ورودًا متنوِّعًا، متصرفًا فيه، مقرونًا بما يدل على أنها يدٌ حقيقية، من الإمساك، والطي، والقبض، والبسط، والمصافحة، والحثيات، والنضح باليد، والخلق باليدين، والمباشرة بهما، وكتب التوراة بيده، وغَرس جنة عدن بيده، وتخمير طينة آدم بيده، ووقوف العبد بين يديه، وكون المقسطين عن يمينه، وقيام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة عن يمينه، وتخيير آدم بين ما في يديه، فقال: «اخترتُ يمينَ ربي»، وأخذ الصدقة بيمينه يربّيها لصاحبها، وكتابته بيده على نفسه أن رحمته تغلب غضبه، وأنه مَسَحَ ظهرَ آدم بيده، ثم قال له – ويداه مقبوضتان –: "اختر"، فقال: «اخترتُ يمين ربي»، وكلتا يديه يمين مباركة، وأن يمينه ملأى، لا يغيضها نفقة، سَحَّاء الليل والنهار، وبيده الأخرى القسط، يرفع ويخفض، وأنه خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، وأنه يطوي السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهنَّ بيده اليُمْنَى، ثم يطوي الأرض باليد الأخرى، وأنه خَطَّ الألواحَ التي كتبها لموسى بيده". [(٥)].

---

(١) التعريفات للجرجاني ص١٣٣.

(٢) مجموع الفتاوى ٦/٦٨.

(٣) الرسالة المدنية ص: ٩.

(٤) الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها ص: ٨٩.

(٥) انظر: «مختصر الصواعق المرسلة»، ص «٣٤٨».

ب-الأدلة على إثبات صفة اليد لله عز وجل.

أولًا: الأدلة من القرآن الكريم.

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "لفظ اليد جاء في القرآن على ثلاثة أنواع: مفردًا ومثنى ومجموعًا،

١-فالمفرد كقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: الآية: ١].

٢-والمثنى كقوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: الآية: ٧٥].

٣-والمجموع ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ [يس: الآية: ٧١].

فحيث ذكر اليد مثناة أضاف الفعل إلى نفسه بضمير الإفراد وعدى الفعل بالباء إليها فقال ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: الآية: ٧٥]، وحيث ذكرها مجموعة أضاف العمل إليها ولم يعد الفعل بالباء". [(١)]

١-قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: الآية: ٦٤].

٢-قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: الآية: ٧٥].

قال ابن جرير-رحمه الله-«ت: ٣١٠ هـ»: "﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، يقول لخلق يديّ؛ يخبر تعالى ذكره بذلك أنه خلق آدم بيديه". [(٢)]

٤-قال تعالى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: الآية: ٢٦].

٥-قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: الآية: ٦٧].

٦-قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: الآية: ١٠].

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "ووجه الدلالة أن الله أضاف اليد إلى نفسه،

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ص: ٤٠.

(٢) تفسير الطبري «تفسير سورة ص: الآية: ٧٥».

فنثبتها صفة كمال بجلاله وعظمته.

ولا يلزم من ظاهر اللفظ حصول المماسة بين يد الله تعالى وأيديهم، بل إن من المتقرر شرعًا وعقلًا علو الله تعالى على خلقه، فيد الله تعالى حقيقة فوق أيديهم، فجاء ذكر اليد تأكيداً للمبايعة وتشديداً عليها، فلما كانوا يبايعون رسول الله بأيديهم، ويضرب بيده على أيديهم، وكان رسول الله هو السفير بينه وبينهم، كانت مبايعتهم له مبايعة الله تعالى، ولما كان سبحانه فوق سماواته على عرشه، وفوق الخلائق كلهم، كانت يده فوق أيديهم، كما أنه سبحانه فوقهم". ((١))

فالسياق وإن كان دالاً على تأكيد المبايعة، إلا أنه لما أضاف اليد إلى نفسه دل على اتصافه بها، فلو كانت نقصاً لم يضفها - تعالى - إلى نفسه.

٧-قال تعالى: ﴿قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: الآية: ٨٨].

٨-قال تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: الآية: ٨٣].

٩-قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [يس: الآية: ٧١].

١٠-قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: الآية: ٦٧].

١١-قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: الآية: ١].

ج-الأدلة من السنة على إثبات صفة اليدين لله عز وجل.

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "وقد تواتر في السنة مجيء اليد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم". ((٢))

عن أبي هُرَيْرَةَ رضِيَ اللهُ عنه-«ت: ٥٩ هـ» أنَّ النَّبيَّ-صلى الله عليه وسلم-قال: «يمينُ

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ص: ٣٣٤.

(٢) الرسالة المدنية في تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله ص: ٩.

الرحمن ملأى سحَّاءُ لا يغيضُها اللَّيلَ والنَّهارَ»، قالَ: «أرأيتُم ما أنفقَ منذُ خلقَ السَّماواتِ، فإنَّهُ لم يغِضْ ما في يمينِهِ، وعرشُهُ على الماءِ، وبيدِهِ الأخرى الميزانُ يخفِضُ ويرفعُ».((١))

عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ–رضِيَ اللَّهُ عنه–«ت: ٧٤ هـ» قَالَ النَّبِيُّ–صلى الله عليه وسلم–: «تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً يَتَكَفَّؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ نُزُلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ».((٢))

عن أبي هُرَيْرَةَ–رضِيَ اللَّهُ عنه–«ت: ٥٩ هـ» قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم» :مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً».((٣))

عن أبي هُرَيْرَةَ–رضِيَ اللَّهُ عنه–«ت: ٥٩ هـ» أنَّ النَّبِيَّ–صلى الله عليه وسلم–قال: «احتجَّ آدمُ وموسى، فقال موسى: يا آدمُ، أنتَ أبونا، خيَّبْتَنا وأخرجْتَنا منَ الجنَّةِ، فقالَ لَهُ آدمُ: أنتَ موسَى، اصطفاكَ اللهُ بِكَلامِهِ، وخطَّ لَكَ بيدِه».((٤))

عن أَبِي مُوسَى–رضِيَ اللَّهُ عنه–«ت: ٤٤ هـ»: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ–صلى الله عليه وسلم:– «إِن اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَيْلِ حَتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».((٥))

عن أبي هُرَيْرَةَ–رضِيَ اللَّهُ عنه–«ت: ٥٩ هـ»، أنَّ النَّبِيَّ–صلى الله عليه وسلم–في حديث الشفاعة: قال: »«فيأتونَ آدمَ فيقولونَ: أنتَ أبو البشرِ، خلقَكَ اللَّهُ بيدِهِ ونفخَ فيكَ من روحِهِ، وأمرَ الملائِكةَ فسجدوا لَكَ، اشفع لنا إلى ربِّكَ».((٦))

عن عَبْدِاللَّهِ بن مسعود–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–«ت: ٣٢ هـ» قال: جاء حَبرٌ إلى رسولِ اللهِ صلى

---

(١) رواه البخاري «٤٦٨٤»، ومسلم «٩٩٣»، والترمذي «٣٠٤٥» واللفظ له.

(٢) رواه البخاري «٦٥٢٠»، ومسلم «٢٧٩٢».

(٣) رواه البخاري «١٤١٠»، ومسلم «١٠١٤» واللفظ له.

(٤) رواه مسلم «٢٦٥٢».

(٥) رواه مسلم «٢٧٥٩».

(٦) رواه البخاري «٤٧١٢»، ومسلم «١٩٤».

الله عليه وسلم، فقال: «يا محمدُ، إنَّ اللهَ يَضَعُ السماءَ على إصبعٍ، والأرضَ على إصبَعٍ، والجبالَ على إصبَعٍ، والشجرَ والأنهارَ على إصبعٍ، وسائرَ الخلقِ على إصبَعٍ، ثم يقولُ بيدِه: أنا الملِكُ، فضحِك رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وقال: «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ». [(١)]

عن أبي هُرَيْرَةَ رضِيَ اللهُ عنه–«ت: ٥٩ هـ»، أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال» :يقبِضُ اللهُ الأرضَ، ويَطوي السَّماواتِ بيَمينِه، ثمَّ يقولُ: أنا الملِكُ، أين مُلوكُ الأرضِ؟». [(٢)]

عن عمر–رضِيَ اللهُ عنه–«ت: ٢٣ هـ»، أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ اللهَ عز وجل خلق آدمَ، ثم مسح ظهرَه بيمينِه، فاستخرج منه ذريةً». [(٣)]

عن عبد الله بن عمرو–رضِيَ اللهُ عنهما–«ت: ٦٥ هـ»: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا». [(٤)]

عن ابْنِ عباس–رضِيَ اللهُ عنهما–«ت: ٦٨ هـ»، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ–صلى الله عليه وسلم– قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقَلَمُ، وَأَخَذَهُ بِيَمِينِهِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ». [(٥)]

عن أبي سعيد الخدري–رضي الله عنه–«ت: ٧٤ هـ»، قال: قال النبي–صلى الله عليه وسلم–: «إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك». [(٦)]

عن عبد الله بن عمرو–رضي الله عنهما–«ت: ٦٥ هـ»، قال: رأيت رسول الله–صلى الله

---

(١) رواه البخاري «٧٤٥١» واللفظ له، ومسلم «٢٧٨٦».

(٢) رواه البخاري «٤٨١٢» واللفظ له، ومسلم «٢٧٨٧».

(٣) رواه أبوداود «٤٧٠٣»، والترمذي «٣٠٧٥»، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» «٣٠٧٦».

(٤) رواه مسلم «١٨٢٧».

(٥) رواه الآجري في «الشريعة» «٥٤٢» «٢/٩٤٧» بهذا السياق، قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» «٣١٣٦»: إسناده صحيح، وله شواهد متفرقة.

(٦) رواه البخاري «٧٥١٨»، ورواه مسلم «٢، ٤/ ٢١٧٦ رقم: ٩».

عليه وسلم-على المنبر وهو يقول: «يأخذ الجبار عز وجل، سماوته وأرضيه بيديه».[(١)]

د-الأدلة النقلية على إثبات الكف والأصابع والأنامل لله عز وجل:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ-رضِيَ اللَّهُ عنه-«ت: ٥٩ هـ»: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم-: «مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ».[(٢)]

عن عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما-«ت: ٦٥ هـ»، قال: جاء حَبرٌ إلى رسولِ اللهِ-صلى الله عليه وسلم-فقال: «يا محمدُ، إنَّ اللهَ يَضَعُ السماءَ على إصبَعٍ، والأرضَ على إصبَعٍ، والجبالَ على إصبَعٍ، والشجرَ والأنهارَ على إصبَعٍ، وسائرَ الخلقِ على إصبَعٍ، ثم يقولُ بيدِه: أنا الملِكُ، فضحِك رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وقال: «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ».[(٣)]

عن عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما-«ت: ٦٥ هـ»، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم-يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم-: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ».[(٤)]

عَنْ مُعَاذِ بْنَ جَبَلٍ-رضِيَ اللَّهُ عنه-«ت: ١٨ هـ»، قَالَ: احْتَبَسَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم-ذَاتَ غَدَاةٍ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ، حَتَّى كِدْنَا نَتَرَاءَى قَرْنَ الشَّمْسِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم سَرِيعًا، فَثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ، وَصَلَّى وَتَجَوَّزَ فِي صَلَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ، قَالَ: «كَمَا أَنْتُمْ عَلَى مَصَافِّكُمْ كما أنتم»، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: «إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ مَا حَبَسَنِي عَنْكُمْ الْغَدَاةَ، إِنِّي قُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي، فَنَعَسْتُ فِي صَلَاتِي حَتَّى اسْتَيْقَظْتُ، فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَتَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: لَا

---

(١) رواه مسلم «٤/ ٢١٤٩ رقم: ٢٦».

(٢) رواه مسلم «١٦٩٠».

(٣) رواه البخاري «٧٤٥١»، ومسلم «٢٧٨٦».

(٤) رواه مسلم «٢٦٥٤».

أَدْرِي يَا رَبِّ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي رَبِّ، فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ صَدْرِي، فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الْكَفَّارَاتِ، قَالَ: وَمَا الْكَفَّارَاتُ؟ قُلْتُ: نَقْلُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْجُمُعَاتِ، وَجُلُوسٌ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عِنْدَ الْكَرِيهَاتِ، قَالَ: وَمَا الدَّرَجَاتُ؟ قُلْتُ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَلِينُ الْكَلَامِ، وَالصَّلَاةُ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، قَالَ: سَلْ، قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ، وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّهَا حَقٌّ فَادْرُسُوهَا وَتَعَلَّمُوهَا». ((١))

هـ-أقوال السلف في إثبات صفة اليدين لله-عزو جل-.

لفظ اليد ورد متواترًا في القرآن، والسنة، وفي كلام الصحابة والتابعين:

قال الإمام الشافعي-رحمه الله-«ت: ٢٠٤ هـ»: "لله تبارك وتعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه صلى الله عليه وسلم أمَّته...، وأن له يدين بقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: الآية: ٦٤]، وأن له يمينًا بقوله: ﴿وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: الآية: ٦٧]." ((٢))

قال أبو الحسَن الأشعَري-رحمه الله-«ت: ٣٢٤ هـ»: "وأجمعوا على أنه عزَّ وجلَّ يَسْمَعُ ويَرَى، وأن له تعالى يدين مبسوطتَيْن". ((٣))

قال أبو عيسى الترمذي-رحمه الله-«ت: ٢٧٩ هـ»: "قال أهل العلم في أحاديث الصفات مثل حديث النزول، وذكر الرجل، والقدم، واليدين: نؤمن بهذا كله ولا يقال: كيف، ولا لم، مع اعتقاد التمجيد ونفي التشبيه والتمثيل، وينسبون من أنكرها إلى الجهمية، والصحيح إمرارها كما جاءت، وبه قال مالك والشافعي، والثوري، وابن عيينة، وابن المبارك وجميع المحدثين وأهل

---

(١) رواه أحمد «٥/ ٢٤٣»، والترمذي «٣٢٣٥»، وصححه والألباني.

(٢) «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى «١/ ٢٨٢».

(٣) انظر: «رسالته إلى أهل الثغر»، ص «٢٢٥».

العلم من السنة والجماعة، وأما الجهمية فقالوا: هذا تشبيه ثم تأولوه".[(١)]

قال ابن خزيمة-رحمه الله-«ت: ٣١١ هـ»: "باب ذكر إثبات اليد للخالق البارئ جل وعلا والبيان أنَّ الله -تعالى- له يدان كما أعلمنا في محكم تنزيله ...".

ثم قال: باب ذكر البيان من سنة النبي صلى الله عليه وسلم: على إثبات يد الله-جل وعلا-، موافقاً لما تلونا من تنزيل ربنا لا مخالفاً"، ثم ذكر عدداً من النصوص الدالة على ذلك.[(٢)]

وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع، والبصر، والعين، والوجه، والعلم، والقوة، والقدرة، والعزة، والعظمة، والإرادة، والمشيئة، والقول والكلام، والرضا والسخط، والحياة، واليقظة، والفرح، والضحك، وغيرها من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله-تعالى-، وقاله رسوله-صلى الله عليه وآله وسلم-من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه، ولا تكييف له ولا تشبيه، ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير، ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب، وتضعه عليه بتأويل منكر، ويجرونه على الظاهر، ويكلون علمه إلى الله تعالى، ويقرون بأن تأويله لا يعلمه إلا الله، كما أخبر الله عن الراسخين في العلم أنهم يقولونه في قوله-تعالى-: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: الآية: ٧].

وقال أبو الحسن الأشعري-رحمه الله-«ت: ٣٢٤ هـ»: "وأجمعوا على أنه عزَّ وجلَّ يسمع ويرى، وأنَّ له تعالى يدين مبسوطتين".[(٣)]

وقال أبو بكر الإسماعيلي-رحمه الله-«ت: ٣٧٠ هـ»، -فيما ذكره عن اعتقاد أئمة الحديث-: "ويعتقدون أنَّ الله -تعالى-مدعو بأسمائه الحسنى، وموصوف بصفاته التي سمى ووصف بها نفسه، ووصفه بها نبيه-صلى الله عليه وسلم-، خلق آدم بيده، ويداه مبسوطتان

---

(١) انظر الجامع للترمذي ٣/ ٥٠-٥١، مستخرج الطوسي ٣/ ٣٦٧، وراجع العلو رقم «٤٧٧».

(٢) كتاب التوحيد ١/ ١١٨-١٢٥.

(٣) «رسالة إلى أهل الثغر» «ص ٢٢٥».

ينفق، كيف يشاء، بلا اعتقاد كيف يداه إذ لم ينطق كتاب الله- تعالى -فيه بكيف".[(١)]

وقال أبو بكر الإسماعيلي -رحمه الله- «ت: ٣٧٠ هـ»: "وخلق آدم عليه السلام بيده، ويداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء، بلا اعتقاد كيف يداه، إذ لم ينطق كتاب الله تعالى فيه بكيف".[(٢)]

وقال السمعاني -رحمه الله- «ت: ٤٨٩ هـ»: "وأما اليد: صفة الله -تعالى- بلا كيف، وله يدان ...".[(٣)]

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي -رحمه الله- «ت: ٣٩٢ هـ»: "وأما الكلام في الصفات؛ فما روي في السنن الصحاح؛ فمذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظاهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها، والأصل في هذا أن الكلام في صفات فرع على الكلام في الذات، وإذا كان معلوما أن إثبات رب العالمين إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فكذلك إثبات صفاته فإنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فإذا قلنا: يد وسمع وبصر؛ فإنما هو إثبات صفات أثبتها الله لنفسه، ولا نقول: إن معنى اليد: القدرة، ولا نقول: إن معنى السمع والبصر: العلم، ولا نقول: إنها جوارح وأدوات الفعل".[(٤)]

وقال البغوي -رحمه الله- «ت: ٥١٦ هـ»: "... وكذلك كل ما جاء من هذا القبيل في الكتاب والسنة كاليد، والإصبع ... فالإيمان بها فرض، والامتناع عن الخوض فيها واجب، فالمهتدي من سلك فيها طريق التسليم، والخائض فيها زائغ، والمنكر معطل، والمكيف مُشبه، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ...".[(٥)]

وقال الأصبهاني -رحمه الله- «ت: ٥٣٥ هـ»: "والإيمان بما ورد في القرآن من صفات الله-

---

(١) اعتقاد أئمة الحديث ٤٩-٥١.

(٢) «اعتقاد أئمة الحديث» «ص ٥١».

(٣) تفسير القرآن ٢/ ٥١.

(٤) انظر رسالته في الصفات ص ٦٤-٦٥، ونقله عنه ابن قدامه في ذم التاويل ص: ١٥.

(٥) شرح السنة ١٥/ ٢٥٧-٢٥٨.

تعالى-، كاليد وإمرارها على ما جاءت لا تكيّف، ولا تتأول". ((١))

وقرر ابن قدامة المقدسي-رحمه الله-«ت: ٦٠٠ هـ» ثبوت صفة اليد الله، فقال: "ومن صفاته- سبحانه- الواردة في كتابه العزيز، الثابتة عن رسوله المصطفى الأمين اليدان فلا نقول يد كيد ولا نكيف ولا نشبه". ((٢))

وقال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "إنَّ لله تعالى يدين مختصتين به، ذاتيتين له، كما يليق بجلاله". ((٣))

وقال الذهبي-رحمه الله-«ت: ٧٤٨ هـ»: "فإن قيل: لا تكون اليد حقيقة إلا جارحة وجسما.

قيل: فما تقولون في يدي الله تعالى؟ فإن قالوا: نقول: بمعنى القدرة.

قيل: فالقدرة لا تكون [إلا] عرضا، ولا تُعقل إلا عرضًا.

فإن قالوا: إنما تكون عرضًا فينا.

قلنا: إنما تكون جارحة فينا ...

ولِمَ قلتم أيضًا: إن اليد إنما تكون حقيقة هذه الجارحة، بل إنما اليد لفظ مشترك، وهي بحسب ما تضاف إليه ومن جنس ما توصف بها، فإن كان الموصوف بها حيواناً كانت جارحة، وإن كان تمثالاً من صفراء وحجر كانت صفراء وحجر، وإن كان تمثالاً عرضاً في حائط كانت عرضاً في حائط، وإن كان ليس كمثله شيء وليس بجسم كانت ليس كمثلها شيء وليست بجسم ...

فنقول: لله تعالى يد حقيقة تليق به، ولا يلزم من ذلك محذور من تشبيه أو تجسيم". ((٤))

وصف إحدى يدي الله جل وعلا بالشمال على قولَيْن لأهل العلم:

١-القائلون بأنَّ كلتا يدي الله يَمِين لا شمال ولا يسار فيهما، ومنهم: الإمام ابن خزيمة-

(١) الحجة في بيان المحجة ٢/ ٣١١.

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد ص: ١١٢-١١٧.

(٣) «مجموع الفتاوى» «٦/ ٢٦٣».

(٤) رسالة في إثبات صفة اليد «ص: ٤٢، ٤٦» [ضمن مجموع رسائل بتحقيق: عبد الله البراك].

رحمه الله-«ت: ٣١١ هـ» في «كتاب التوحيد»، والإمام أحمد-رحمه الله-«ت: ٢٤١ هـ»، والبيهقي-رحمه الله-«ت: ٤٥٨ هـ».

واستدلوا بحديث عبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما-«ت: ٦٥ هـ»، مرفوعًا: «إنَّ المقسطين عند الله على منابر من نور عن يَمِين الرحمن عزَّ وجلّ، وكلتا يديه يَمِين...».[(١)]

وأهل السنة والجماعة يُثبتون صفة الأصابع لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل:

قال الإمام الشافعي-رحمه الله-«ت: ٢٠٤ هـ»: "لله تبارك وتعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيُّه صلى الله عليه وسلم أمته ... وأن له إصبعًا بقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: «ما من قلبٍ إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن عزَّ وجلّ».[(٢)]

قال إمام الأئمة ابن خزيمة-رحمه الله-«ت: ٣١١ هـ» في كتاب «التوحيد»: «باب إثبات الأصابع لله عَزَّ وجَلّ»، وذكر بأسانيده ما يثبت ذلك.

وقال أبو بكر الآجري-رحمه الله-«ت: ٣٦٠ هـ» في كتاب «الشريعة»: «باب الإيمان بأن قلوب الخلائق بين إصبعين من أصابع الرب-عَزَّ وجَلَّ-، بلا كيف».

وقال البغوي-رحمه الله-«ت: ٥١٦ هـ»: "والإصْبع المذكورة في الحديث صفةٌ من صفات الله عَزَّ وجَلَّ، وكذلك كلُّ ما جاء به الكتاب أو السنَّة من هذا القبيل من صفات الله تعالى؛ كالنَّفس، والوجه، والعين، واليد، والرِّجل، والإتيان، والمجيء، والنُّزُول إلى السماء الدنيا، والاستواء على العرش، والضحك، والفرح".[(٣)]

وأهل السنة والجماعة يُثْبِتُون صفة الكف لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غَيْر تكْييف ولا تمثيل:

قال قَوَّام السُّنَّة الأصبهاني-رحمه الله-«ت: ٥٣٥ هـ» بعد سرده لجملة من أحاديث الصفات: "وقوله: «إنَّ أحدكم يأتي بصدقته فيضعها في كف الرحمن»، وقوله: «يضع

---

(١) رواه مسلم «١٨٢٧».

(٢) «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى «١/ ٢٨٢».

(٣) «شرح السنة» «١/ ١٦٨».

السماوات على إصبع والأرضين على إصبع».. وأمثال هذه الأحاديث، فإذا تدبَّره متدبر، ولم يتعصب بانَ له صحة ذلك، وأنَّ الإيمان به واجب، وأنَّ البحث عن كيفية ذلك باطل". [(١)]

وقال رحمه الله: "وللكف معانٍ، وليس يحتمل الحديث شيئًا من ذلك، إلا ما هو معروف في كلام العرب، فهو معلوم بالحديث، مجهول الكيفية". [(٢)]

وقال صديق حسن خان-رحمه الله-«ت: ١٣٠٧ هـ»: "ومن صفاته سبحانه: اليد والإصبع والكف". [(٣)]

وأهل السنة والجماعة يُثبتون صفة الأنامل لله تعالى كما يَلِيق بجلاله، من غَيْر تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل:

ويدل على هذه الصفة حديث معاذ بن جبل-حديث اختصام الملأ الأعلى-وفيه: «أَتَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي يَا رَبِّ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي رَبِّ، فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ صَدْرِي». [(٤)]

واستدل رحمه الله بهذا الحديث على إثبات صفة الأنامل لله تعالى على الوجه الذي يليق بجلاله وعظيم سلطانه. [(٥)]

المسألة الثانية: أقوال المخالفين في صفة اليد لله-عز وجل-.

انقسم المبتدعة المخالفون لمنهج السلف في إثبات صفة اليد الله وعمل إلى طائفتين [(٦)]

الطائفة الأولى: المعطلة النفاة:

---

(١) «الحجة» «٢/ ٢٥٩».

(٢) «الحجة» «٢/ ٢٦٢».

(٣) «قطف الثمر» «٦٦».

(٤) رواه أحمد «٥/ ٢٤٣»، والترمذي «٣٢٣٥»، وصحَّحه والألباني.

(٥) انظر: «نقض أساس التقديس» «٥٢٤-٥٢٦».

(٦) المصدر: بحث صفة اليد لله تعالى والرد على المخالفين، نوره بنت محمد الجاسر، مجلة الدراسات الإسلامية والبحوث الأكاديمية العدد «٨٣» من ص: ٢٤٠-٢٤٧.

أنكر المعطلة ثبوت صفة اليد الله–عز وجل–حقيقة واحتجوا بأنَّ وصفه بذلك يعني وصفه–عز وجل–بالجوارح، والأعضاء، والأدوات والأبعاض، وهذا يقتضي كونه جسماً مركباً متبعضاً متجزئاً محدوداً، وهذا يستلزم تشبيه الخالق–عز وجل–بالمخلوق، والله–تعالى–منزه عن ذلك، ولا يشبه المخلوق.[(١)]

وما ذهب إليه هؤلاء المعطلة غير صحيح والجواب عنه من وجوه:

الأول: أنَّ ظاهر هذا اللفظ ونحوه إذا أطلق على المخلوق كان عرضاً وجسماً؛ لأنَّ ذات المخلوق كذلك، لكن إذا أطلق على الله–عز وجل–فلا يكون ظاهره إلا ما يليق بجلاله–عز وجل–ويناسب نفسه.[(٢)]

الثاني: أنَّ إثبات هذه الصفة الله–عز وجل–وإنما يمتنع لو كانت اليد التي وصف الله بها أيدي المخلوقين، أما إذا كانت يداً تناسب ذاته عز وجل، وتليق بعظمته، فإنَّ هذا لا يمتنع[(٣)]، والسلف–رحمهم الله–يثبتون اليد الله وعلى وجه يليق بجلاله وعظمته دون تشبيه بيد المخلوق.

الثالث: أنَّ هؤلاء المعطلة قد فروا من إثبات تلك الصفة الله–عز وجل–حقيقة، خشية التشبيه والتمثيل، والتجسيم، والتركيب، وهذا المحذور لازم لهم فيما أثبتوه من صفات، فيلزمهم لذلك أن ينفوا ما أثبتوه من الصفات، خشية الوقوع في المحذور.[(٤)]

الرابع: أن لفظ التجسيم، والتركيب، والتحديد ... إلخ من الألفاظ المجملة، التي تحتمل معنى حقًّا ومعنى باطلاً، ومنهج السلف فيها، التفصيل في معناها، فإن أريد بها معنى حق قبلت، وإن أريد بها معنى باطل ردت.[(٥)]

فإن كان المراد بالجسم المنفي الجسد أو البدن الكثيف، الذي لا يسمى في اللغة جسم

---

(١) ينظر: متشابه القرآن: عبد الجبار الهمذاني، ١/ ٢٣٠– ٢٣١، أصول الدين: البغدادي، ص: ١١١، الأسماء والصفات: البيهقي، ٢/ ١٧٢، العقيدة النظامية: الجويني، ص: ١٠٥، التفسير الكبير: الرازي، ٢٦/ ٢٠١.

(٢) ينظر الفتاوى الكبرى ابن تيمية، ٦/ ٤٧٢.

(٣) ينظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري: الغنيمان، ١/ ٣٢٩.

(٤) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، ٢/ ٤٠٩.

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى شيخ الإسلام، ١/ ١١٠، ١٢/ ١١٤.

سواه، فقولهم حق.

وإن كان المراد به الجسم المركب من الجواهر المفردة، أو من المادة والصورة، فهذا أيضاً حق.

أما إذا كان المراد به ما يقوم به-عز وجل-من الصفات، فقولهم باطل، فإنَّ هذه المعاني ثابتة لله-عز وجل-وهو موصوف بها.[(١)]

ومثل لفظ الجسم بقية الألفاظ يستفصل في معناها، فإن أريد بها معنى حق قبلت، وإن أريد بها معنى باطل ردت.

ولما رأى المعطلة استحالة وصف الله-عز وجل-باليد حقيقة، قاموا بتأويل هذه الصفة لله-عز وجل-بجملة من التأويلات، من أشهرها ما يلي:

التأويل الأول: قيل المراد باليد النعمة؛ لأنَّ اليد تطلق في اللغة بمعنى النعمة، يقال: لفلان علي يد، أي: نعمة ومنة.[(٢)]

وأجابوا عن معنى التثنية الوارد في بعض النصوص بما يأتي:

الأول: أنّ الله إنما ثنى اليد مبالغة في الرد على اليهود ونفي البخل عنه، وإثباتاً لغاية الجود والسخاء، فإنَّ غاية ما يبذل السخي من ماله أن يعطيه بيديه جميعاً.[(٣)]

الثاني: أنَّها تثنية جنس لا تثنية واحد مفرد، فيدخل تحت كل واحد من الجنسين أنواع لا نهاية لها.[(٤)]

فقد يكون المراد بالتثنية باعتبار نعمة الدنيا ونعمة الآخرة[(٥)]، أو نعمة النفع ونعمة الدفع

---

(١) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، ١/ ١٣٢، ٢/ ٤٠٩.

(٢) ينظر: متشابه القرآن عبد الجبار الهمذاني، ١/ ٢٣٢، البحر المحيط: أبو حيان، ٣/ ٥٢٤، التفسير الكبير: الرازي، ١٢/ ٣٧.

(٣) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، ١/ ١٣٢، ٢/ ٤٠٩.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: الرازي، ١٢/ ٣٧، الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ٦/ ٢٢٦.

(٥) ينظر: متشابه القرآن عبد الجبار المعتزلي ١/ ٢٣، التفسير الكبير: الرازي، ١٢/ ٣٧، ٢٦/ ٢٠١.

[(١)]، أو نعمة الشدة ونعمة الرخاء[(٢)]، أو نعمة المطر والنبات[(٣)]، أو نعمة الظاهر ونعمة الباطن.[(٤)]

الثالث: أنَّ من عادة العرب أن تضع المثنى مكان المفرد.[(٥)]

التأويل الثاني: قيل المراد باليد القوة والقدرة؛ لأنَّ اليد يعبر بها في اللغة عن القوة والقدرة، يقال: هذا الشيء في يد فلان وتحت يد فلان، أي: تحت قدرته وقوته[(٦)]، واحتج على ذلك بقوله–تعالى–: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَهَا بِأَيْيدٍ﴾ [الذاريات: الآية: ٤٧]، أي بقوة.[(٧)]

وأجابوا عن معنى التثنية الوارد في بعض النصوص بما يأتي:

– الأول: أنَّ الله–عز وجل–وإنما ثنى اليد باعتبار قوة الثواب وقوة العقاب.[(٨)]

– الثاني: أنَّ من عادة العرب أن تأتي بالمثنى بمعنى الواحد.[(٩)]

وما ذهب إليه هؤلاء المعطلة من تأويل اليد بمعنى النعمة أو القدرة والقوة يعد تأويلاً باطلاً، والجواب عنه من وجوه:

الأول: أنَّ الأصل في الكلام الحقيقة، ولا ينصرف عنها إلى المجاز إلا بقرينة، ولا قرينة هنا، فدعوى المجاز مخالفة للأصل.[(١٠)]، وقد تكرر التصريح بذكر اليد لله–عز وجل–في العديد من النصوص، وهي لا تحتمل التأويل بحال، ولا يمكن حمل اليد فيها إلا على الحقيقة، ومن لم

---

(١) ينظر: التفسير الكبير: الرازي ١٢/ ٣٧.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: الرازي ١٢/ ٣٧.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن القرطبي؛ ٦/ ٢٢٦، البحر المحيط: أبو حيان، ٣/ ٥٢٤.

(٤) ينظر متشابه القرآن عبد الجبار الهمذاني، ١/ ٢٣١، التفسير الكبير: الرازي، ١٢/ ٣٧، ٢٦/ ٢٠١.

(٥) ينظر: شرح الأصول الخمسة: عبد الجبار الهمذاني، ص: ٢٢٨، إكمال المعلم: القاضي عياض، ١/ ٥٦٨.

(٦) ينظر: التمهيد الباقلاني، ص: ٢٩٦–٢٩٧، مشكل الحديث ابن فورك ص: ١٨٩،١٨٨،١٨٤، ٢٢٤.

(٧) ينظر: الإبانة: الأشعري: ص: ٥٥، دفع شبه التشبيه: ابن الجوزي، ص: ٣٣.

(٨) ينظر النكت والعيون الماوردي، ١/٥١، الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ٦/ ٢٢٦.

(٩) ينظر: إكمال المعلم: القاضي عياض، ١/ ٥٦٨.

(١٠) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، ٢/٤٠١.

يحملها على الحقيقة فهو معطل لها.[(١)]

الثاني: أنّ هذا التأويل مخالف لإجماع السلف وطريقتهم-رحمهم الله-؛ حيث إنّهم مجمعون على إثبات اليد لله-عز وجل-حقيقة على الوجه اللائق به دون تعطيل و تأويل.[(٢)]

الثالث: أنَّ هذه المعاني اللغوية لليد إذا جازت في حق المخلوق، فإنَّها لا تجوز في حق الخالق-عز وجل-؛ لأن هذا لا يليق بصفاته-عز وجل-.

الرابع: أنَّ هذه الصفة لله-عز وجل-قد تصرفت تصرفاً يمنع هذا التأويل.[(٣)] الخامس: أنَّ هذا التأويل مخالف للغة العرب التي نزل بها القرآن، إذ لا يوجد في كلام العرب، ولا العجم أيضاً، أنَّ فصيحاً يقول: فعلت هذا بيدي إلا يكون قد فعله بيديه حقيقة، ولا يصح أن يكون لا يد له أو أن يكون له يد، والفعل يقع بغيرها.[(٤)]

السادس: أنَّ مثل هذا التأويل لا يستعمل إلا مفرداً أو مجموعاً، كقولك: له عندي يد يجزيه الله بها، وله عندي آياد، أما إذا جاء بلفظ التثنية، لم يعرف استعماله قط إلا في اليد الحقيقية.[(٥)]

السابع: أنَّ لفظ «اليدين» بصيغة التثنية لم يستعمل في النعمة ولا في القدرة؛ لأنَّ من لغة القوم استعمال الواحد في الجمع، كقوله – تعالى –: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: الآية: ٢]، ولفظ الجمع في الواحد، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاس﴾ [آل عمران: الآية: ١٧٣]، ولفظ الجمع في الاثنين، كقوله تعالى: ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُما﴾ [التحريم: الآية: ٤]، أمَّا استعمال لفظ الواحد في الاثنين، أو الاثنين في الواحد فلا أصل له؛ لأن هذه الألفاظ عدد، وهي نصوص في معناها لا يتجوز بها.[(٦)]

---

(١) ينظر: شرح لمعة الاعتقاد: ابن عثيمين، ص: ٥٠.

(٢) ينظر: شرح لمعة الاعتقاد: ابن عثيمين، ص: ٥٠، شرح العقيدة الواسطية: ابن عثيمين، ١/ ٢٤٣، ٣٠٦

(٣) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، ٢/ ٤١٥.

(٤) ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ٦/ ٣٦٦.

(٥) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، ٢/ ٤٠٣.

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ٦/ ٣٦٥.

الثامن: أنَّ هؤلاء المعطلة لما رأوا أنَّ اليد قد تطلق في بعض المواضع على النعمة والقدرة، ظنوا أنَّ كل سياق وتركيب صالح لذلك، فوهموا وأوهموا.[(١)]

التاسع: أنَّ هذا التركيب المذكور في قوله تعالى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَى﴾ [ص: الآية: ٧٥] يأبى حمل الكلام على القدرة؛ لأنه نسب الخلق إلى نفسه سبحانه، ثم عدى الفعل إلى اليد، ثم ثناها، ثم أدخل عليها الباء التي تدخل على قولك: كتبت بالقلم، ومثل هذا النص صريح لا يحتمل المجاز.[(٢)].

العاشر: أنه لو صح تأويل اليد بالنّعمة لاستلزم ذلك أن تكون النعمة من الله ول نعمتين فقط، وهذا باطل؛ لأنَّ نعم الله وعمل أكثر من أن تحصى، قال – تعالى-: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: الآية: ٣٤].[(٣)]

الحادي عشر: أنَّ نعم الله وحادثة مخلوقة؛ لذلك لايصح تأويل اليد بالنعمة، لاستحالة خلق المخلوق بمخلوق مثله.[(٤)]

الثاني عشر: لو كان المراد باليد القوة أو القدرة لاستلزم ذلك أن تكون القوة قوتان، والقدرة قدرتان، والقدرة والقوة عند السلف–رحمهم الله–صفة واحدة لا تتعدد، والنفاة لا يثبتون قدرة واحدة فكيف يثبتون قدرتين.[(٥)]

الثالث عشر: الاستدلال بقوله–تعالى-: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: الآية: ٤٧]، أي: بقوة، لا حجة فيه؛ لأنَّ لفظ «أييد» هنا ليس جمع يد، وإنما مصدر أدَّ الرجل يئيد أيداً، أي قوي وعلى هذا فإنَّ الآية ليست صفة الله–عز وجل-.[(٦)]

---

(١) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، ٢/ ٤٠٢- ٤٠٣.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، ٢/ ٤٠٤.

(٣) ينظر: كتاب التوحيد ابن خزيمة، ١/ ١٩٨-١٩٧، الاقتصاد في الاعتقاد المقدسي، ص: ١١٨، مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ٦/ ٣٦٥..

(٤) ينظر: شرح صحيح البخاري: ابن بطال، ١٠/ ٤٣٧، فتح الباري: ابن حجر، ١٣/ ٣٩٤.

(٥) ينظر: الإبانة: الأشعري، ص: ٥٥ شرح صحيح البخاري: ابن بطال ١٠/ ٤٣٦، مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ٦/ ٣٦٥.

(٦) ينظر: كتاب التوحيد: لابن خزيمة ١/ ١٩٩، الكليات: الكفوي ص: ٩٨٤.

التأويل الثالث: قيل المراد باليد: الرزق. [(١)]

وقد أبطل الدارمي -رحمه الله- «ت: ٢٨٠ هـ» هذا التأويل، وبيَّن أنَّه يُعَدُّ كذباً محالاً، فضلاً عن أن يكون كفراً، وذكر أنَّ القائلين بذلك قد خرجوا بهذا التأويل من لغات العرب والعجم، ثم استدل -رحمه الله- بعدد من النصوص التي ورد فيها ذكر اليد لله -عز وجل-، وبين أنها تدل دلالة واضحة على ثبوت اليد لله -عز وجل- حقيقة، وأنها لا تصح أن تفسر بالرزق. [(٢)]

التأويل الرابع: قيل المراد باليد: الملك، بكسر الميم. [(٣)]

وهذا التأويل باطل أيضاً، ولا يجوز؛ لتثنية اليد والله -عز وجل- ليس له ملكان. [(٤)]. التأويل الخامس: قيل: قد يكون المراد باليد في قوله -تعالى-: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَى﴾ [ص: الآية: ٧٥] التأكيد والصلة، والمعنى: أنَّه خلق آدم فحسب. [(٥)]

وهذا التأويل أيضاً باطل؛ لأنَّ اليد لو كانت بمعنى الصلة، لكان لإبليس أن يقول: إن كنت قد خلقته فقد خلقتني"، [(٦)] فتبين مما سبق بطلان قول المعطلة النفاة، وبطلان التأويلات التي ذكروها.

الطائفة الثانية المشبهة والممثلة أثبت المشبهة صفة اليد لله -عز وجل- حقيقة، لكن على وجه يماثل يد المخلوق؛ حيث قالوا: يد الله -عز وجل- كيد المخلوق. [(٧)] وهؤلاء لم يوفقوا للصواب في قولهم؛ حيث إنهم غلوا في إثبات هذه الصفة الله، فجعلوا يد الله -عز وجل- كيد المخلوق، والله -عز وجل- يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية:

---

(١) ينظر: نقض الدارمي على المريسي، ١/ ٢٤١-٢٩٩، الرد على الجهمية: الدارمي، ص: ٢٠١.

(٢) ينظر: النقض على المريسي، ١/ ٢٤٢-٢٥٥، ٢٩٩، الرد على الجهمية، ص: ٢٠١.

(٣) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن الشريف الرضي، ص: ٢٨١، ٢٩٦ - إكمال المعلم: القاضي عياض، ١/ ٥٦٧، التفسير الكبير: الرازي، ١٢/ ٣٧.

(٤) ينظر الحجة في بيان المحجة: الأصبهاني، ٢/ ٢٧٦.

(٥) ينظر: أصول الدين: البغدادي، ص: ١١١، الأسماء والصفات: البيهقي، ٢/ ١٢٧.

(٦) ينظر: الإتقان السيوطي، ٢/ ٧-٨.

(٧) ينظر: مجموع الفتاوى ٤/ ٣٦٦.

١١]، فنفى الله -عز وجل- في هذه الآية مشابهته لخلقه.

وبناءً على ما سبق يتبيّن بطلان قول كلتا الطائفتين ومدى مخالفتهم لإجماع السلف وطريقتهم -رحمهم الله- الذين نصوا على إثبات هذه الصفة الله -عز وجل-، حقيقة، من غير تمثيل ولا تشبيه بيد المخلوق، ومن غير تعرض لتأويلها بما يخالف الظاهر والحقيقة.

المسألة الثالثة: أن القدر حجة في المصائب لا في المعايب.

وقول المصنف: «ونهاه عن شجرة قد نفذ قضاؤه عليه بأكلها، ثم ابتلاه بما نهاه عنه منها، ثم سلَّط عليه عدوه فأغواه عليها، وجعل أكله لها إلى الأرض سبباً فما وجد إلى ترك أكلها سبيلاً، ولا عنه لها مذهباً»

الشرح

فيه أن القدر حجة في المصائب لا في المعايب.

والناس في الشرع والقدر على " أربعة أنواع "

الصنف الأول: فشر الخلق من يحتج بالقدر لنفسه ولا يراه حجة لغيره يستند إليه في الذنوب والمعايب ولا يطمئن إليه في المصائب كما قال بعض العلماء: أنت عند الطاعة قدري وعند المعصية جبري أي مذهب وافق هواك تمذهبت به.

الصنف الثاني: وبإزاء هؤلاء خير الخلق الذين يصبرون على المصائب ويستغفرون من المعايب كما قال تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ**﴾ [غافر: الآية: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ [الحديد: الآيات: ٢٢ - ٢٣]، وقال تعالى ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [التغابن: الآية: ١١]، قال بعض السلف: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من

عند الله فيرضى ويسلم. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: الآية: ١٣٥]. وقد ذكر الله تعالى عن آدم عليه السلام أنه لما فعل ما فعل قال ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: الآية: ٢٣]، وعن إبليس أنه قال ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: الآية: ٣٩]، فمن تاب أشبه أباه آدم ومن أصر واحتج بالقدر أشبه إبليس.

والحديث الذي في الصحيحين في احتجاج آدم وموسى عليهما السلام لما قال له موسى. **«أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وعلمك أسماء كل شيء لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه وخط لك التوراة بيده فبكم وجدت مكتوبا علي قبل أن أخلق ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [طه: الآية: ١٢١]، قال: بكذا وكذا سنة قال فحج آدم موسى».**

وهذا الحديث في الصحيحين من حديث **أبي هريرة –رضي الله عنه–«ت: ٥٧ هـ»** وقد روي بإسناد جيد من حديث **عمر–رضي الله عنه–«ت: ٢٣ هـ»**. فآدم عليه السلام إنما حج موسى لأن موسى لامه على ما فعل لأجل ما حصل لهم من المصيبة بسبب أكله من الشجرة لم يكن لومه له لأجل حق الله في الذنب. فإن آدم كان قد تاب من الذنب كما قال تعالى ﴿**فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ**﴾ [البقرة: الآية: ٣٧]، وقال تعالى ﴿**ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ**﴾ [طه: الآية: ١٢٢]، وموسى–ومن هو دون موسى–عليه السلام يعلم أنه بعد التوبة والمغفرة لا يبقى ملام على الذنب وآدم أعلم بالله من أن يحتج بالقدر على الذنب وموسى عليه السلام أعلم بالله تعالى من أن يقبل هذه الحجة فإن هذه لو كانت حجة على الذنب لكانت حجة لإبليس عدو آدم وحجة لفرعون عدو موسى وحجة لكل كافر وفاجر وبطل أمر الله ونهيه؛ بل إنما كان القدر حجة لآدم على موسى لأنه لام غيره لأجل المصيبة التي حصلت له بفعل ذلك وتلك المصيبة كانت مكتوبة عليه. وقد

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: الآية: ١١].

وقال أنس–رضي الله عنه–«ت: ٩٣ هـ»: »**خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي: أف قط ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: لم لا فعلته؟ وكان بعض أهله إذا عاتبني على شيء يقول دعوه فلو قضي شيء لكان**».[(١)]

وفي الصحيحين **عن عائشة–رضي الله عنها–«ت: ٥٧ هـ»**، قالت «**ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادما ولا امرأة ولا دابة ولا شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا نيل منه شيء قط فانتقم لنفسه إلا أن تنتهك محارم الله فإذا انتهكت محارم الله لم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم لله**».[(٢)]

وقد قال صلى الله عليه وسلم «**لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**».[(٣)]

ففي أمر الله ونهيه يسارع إلى الطاعة ويقيم الحدود على من تعدى حدود الله ولا تأخذه في الله لومة لائم وإذا آذاه مؤذ أو قصر مقصر في حقه عفا عنه ولم يؤاخذه نظرا إلى القدر.

فهذا سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وهذا واجب فيما قدر من المصائب بغير فعل آدمي كالمصائب السماوية أو بفعل لا سبيل فيه إلى العقوبة كفعل آدم عليه السلام فإنه لا سبيل إلى لومه شرعا–لأجل التوبة–ولا قدرا؛ لأجل القضاء والقدر. وأما إذا ظلم رجل رجلا فله أن يستوفي مظلمته على وجه العدل وإن عفا عنه كان أفضل له كما قال تعالى ﴿**وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ**﴾ [المائدة: الآية: ٤٥].

---

(١) أخرجه البخاري «٦٠٣٨»، ومسلم «٢٣٠٩».

(٢) أخرجه البخاري «٣٥٦٠»، ومسلم «٢٣٢٧».

(٣) أخرجه البخاري «٣٤٧٥».

وأما "الصـــنف الثالث": فهم الذين لا ينظرون إلى القدر لا في المعايب ولا في المصـائب التي هي من أفعال العباد بل يضيفون ذلك كله إلى العبد وإذا أساءوا استغفروا وهذا حسن؛ لكن إذا أصابتهم مصيبة بفعل العبد لم ينظروا إلى القدر الذي مضى به عليهم ولا يقولون لمن قصر في حقهم دعوه فلو قضي شيء لكان لا سيما وقد تكون تلك المصيبة بسبب ذنوبهم فلا ينظرون إليها وقد قال تعالى ﴿**أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [آل عمران: الآية: ١٦٥]، وقال تعالى ﴿**وَمَا أَصَـابَكُم مِّن مُّصِـيبَةٍ فَبِمَا كَسَـبَتْ أَيْدِيكُمْ**﴾ [الشـورى: الآية: ٣٠]، وقال تعالى ﴿**وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ**﴾ [الشورى: الآية: ٤٨].

ومن هذا قوله تعالى ﴿**أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَـيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا**﴾ [النسـاء: الآية: ٧٨]، ﴿**مَّا أَصَـابَكَ مِنْ حَسَـنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَـابَكَ مِن سَـيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِـكَ**﴾ [النسـاء: الآية: ٧٩]. فإن هذه الآية تنازع فيها كثير من مثبتي القدر ونفاته: هؤلاء يقولون الأفعال كلها من الله لقوله تعالى: ﴿**قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ**﴾ [النساء: الآية: ٧٨]. وهؤلاء يقولون: الحسنة من الله والسيئة من نفسك لقوله ﴿**مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ**﴾ [النساء: الآية: ٧٩]. وقد يجيبهم الأولون بقراءة مكذوبة ﴿**فَمِن نَّفْسِكَ**﴾ بالفتح على معنى الاستفهام وربما قدر بعضهم تقديرا: أي أفمن نفسك؟ وربما قدر بعضهم القول في قوله تعالى ﴿**مَّا أَصَـــابَكَ**﴾ فيقولون: تقدير الآية ﴿**فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا**﴾ [النسـاء: الآية: ٧٨]، يقولون فيحرفون لفظ القرآن ومعناه ويجعلون ما هو من قول الله–قول الصـــدق–من قول المنافقين الذين أنكر الله قولهم ويضـــمرون في القرآن ما لا دليل على ثبوته، بل ســـياق الكلام ينفيه؛ فكل من هاتين الطائفتين جاهلة بمعنى القرآن وبحقيقة المذهب الذي تنصره.

وأما القرآن فالمراد منه هنا بالحسنات والسيئات النعم والمصائب؛ ليس المراد الطاعات والمعاصي وهذا كقوله تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: الآية: ١٢٠]، وكقوله: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ [التوبة: الآية: ٥٠]، ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾ [التوبة: الآية: ٥١]، الآية.

ومنه قوله تعالى ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: الآية: ١٦٨]، كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٣٥]، أي بالنعم والمصائب. وهذا بخلاف قوله ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: الآية: ١٦٠]، وأمثال ذلك فإن المراد بها الطاعة والمعصية وفي كل موضع ما يبين المراد باللفظ فليس في القرآن العزيز بحمد الله تعالى إشكال؛ بل هو مبين. وذلك أنه إذا قال: ﴿مَّا أَصَابَكَ﴾ [النساء: الآية: ٧٩]، وما ﴿مسك﴾ ونحو ذلك كان من فعل غيرك بك كما قال: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: الآية: ٧٩]. وكما قال تعالى ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ [التوبة: الآية: ٥٠]، وقال تعالى ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [النساء: الآية: ٧٨].

وإذا قال ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ [الأنعام: الآية: ١٦٠]، كانت من فعله لأنه هو الجائي بها فهذا يكون فيما فعله العبد لا فيما فعل به. وسياق الآية يبين ذلك فإنه ذكر هذا في سياق الحض على الجهاد وذم المتخلفين عنه فقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا﴾ [النساء: الآية: ٧١] وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: الآية: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا

لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [النســـاء: الآية: ٧٣]. فأمر ســـبحانه بالجهاد وذم المثبطين وذكر ما يصيب المؤمنين تارة من المصيبة فيه وتارة من فضل الله فيه كما أصابهم يوم أحد مصيبة فقال: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: الآية: ١٦٥]. وأصابهم يوم بدر فضل من الله بنصره لهم وتأييده كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: الآية: ١٢٣].ثم إنه ســبحانه قال: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النســاء: الآية: ٧٤] ،﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ [النســـاء: الآية: ٧٥]، -إلى قوله- ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ﴾ [النســـاء: الآية: ٧٩]، فهذا من كلام الكفار والمنافقين إذا أصابهم نصر وغيره من النعم قالوا هذا من عند الله وإن أصابهم ذل وخوف وغير ذلك من المصائب قالوا: هذا من عند محمد بسبب الدين الذي جاء به، فإن الكفار يضيفون ما أصابهم من المصائب إلى فعل أهل الإيمان.

وقد ذكر نظير ذلك في قصـــة موســـى وفرعون قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف الآية: ١٣٠]، ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ [الأعراف الآية: ١٣٠]. ونظيره قوله تعالى في ســورة يس ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس الآية: ١٦]، ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [يس الآية: ١٧] ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يس الآية: ١٨]، فأخبر الله تعالى أن الكفار كانوا يتطيرون بالمؤمنين فإذا أصابهم بلاء جعلوه بسبب أهل الإيمان وما أصابهم من الخير جعلوه لهم من الله عز وجل فقال تعالى ﴿فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ

يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا﴾ [النســاء الآية: ٧٨]، والله تعالى نزل أحســن الحديث فلو فهموا القرآن لعلموا أن الله أمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر أمر بالخير ونهى عن الشــر فليس فيما بعث الله به رسله ما يكون سببا للشر بل الشر حصل بذنوب العباد فقال تعالى **﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾** [النساء الآية: ٧٩]، أي ما أصابك من نصر ورزق وعافية فمن الله نعمة أنعم بها عليك وإن كانت بسبب أعمالك الصالحة فهو الذي هداك وأعانك ويسرك لليسرى ومن عليك بالإيمان وزينه في قلبك وكره إليك الكفر والفسوق والعصيان. وفي آخر الحديث الصــحيح الإلهي حديث أبي ذر عن النبي صــلى الله عليه وســلم فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى «**يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفســـه**». [(١)] وفي الحديث الصــحيح «**ســيد الاســتغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما اســتطعت أعوذ بك من شــر ما صــنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي؛ فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. من قالها إذا أصــبح موقنا بها فمات من يومه ذلك دخل الجنة ومن قالها إذا أمسى موقنا بها فمات من ليلته دخل الجنة**». [(٢)] ثم قال تعالى **﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ﴾** [النســاء الآية: ٧٩]، من ذل وخوف وهزيمة كما أصابهم يوم أحد **﴿فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾** أي بذنوبك وخطاياك وإن كان ذلك مكتوبا مقدرا عليك فإن القدر ليس حجة لأحد لا على الله ولا على خلقه، ولو جاز لأحد أن يحتج بالقدر على ما يفعله من الســيئات لم يعاقب ظالم ولم يقاتل مشــرك ولم يقم حد ولم يكف أحد عن ظلم أحد؛ وهذا من الفساد في الدين والدنيا المعلوم ضرورة فساده للعالم بصريح المعقول المطابق لما جاء به الرسول.

فالقدر يؤمن به ولا يحتج به،

---

(١) أخرجه مسلم «٢٥٧٧».

(٢) أخرجه البخاري «٦٣٠٦».

فمن لم يؤمن بالقدر ضارع المجوس.

ومن احتج به ضارع المشركين.

ومن أقر بالأمر والقدر وطعن في عدل الله وحكمته كان شبيها بإبليس.

فإن الله ذكر عنه أنه طعن في حكمته وعارضــه برأيه وهواه وأنه قال ﴿**بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [الحجر: الآية: ٣٩]". [(١)]

(١) مجموع الفتاوى ٨/ ١٠٨ - ١١٥.

٦- أعمال أهل الجنة والنار

[٦]- قال المصنف رحمه الله: ثم خلق للجنة من ذريته أهلاً، فهم بأعمالها بمشيئته عاملون، وبقدرته وبإرادته ينفذون. وخلق من ذريته للنار أهلاً؛ فخلق لهم أعينًا لا يبصرون بها، وآذاناً لا يسمعون بها، وقلوباً لا يفقهون بها، فهم بذلك عن الهدى محجوبون وبأعمال أهل النار بسابق قدره يعملون.

الشرح

مسألة: قد علم الله عدد أهل الجنة ومن يدخلها، وعدد أهل النار ومن يدخلها

يذكر غير واحد من العلماء هذه المسألة بعينها في كتب الاعتقاد ومن هؤلاء الإمام الطحاوي حيث يقول: "وقد علم الله تَعَالَى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة، وعدد من يدخل النار، جملة واحدة، فلا يزاد في ذلك العدد ولا ينقص منه، وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه"[(١)].

قَالَ ابن أبي العز شارح العقيدة الطحاوية-رحمه الله تعالى-:

"قال الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: الآية: ٧٥]. ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ [الأحزاب: الآية: ٤٠] فالله تَعَالَى موصوف بأنه بكل شيء عليم أزلا وأبداً، لم يتقدم علمه بالأشياء جهالة ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً﴾ [مريم: الآية: ٦٤] وعن عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِب-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قال: "كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رَسُول الله-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة، فنكس رأسه فجعل ينكت بمخصرته ثُمَّ قَالَ: «ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنَّار وإلا قد كُتبت شقية أو سعيدة»، قَالَ: فَقَالَ

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية «١/ ٣١٧».

رجل: يا رَسُول الله أفلا نمكث عَلَى كتابنا وندع العمل؟ فقَالَ: «من كَانَ من أهل السعادة فسيصير إِلَى عمل أهل السعادة، ومن كَانَ من أهل الشقاوة فسيصير إِلَى عمل أهل الشقاوة، ثُمَّ قَالَ: اعملوا فكل ميسَّر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة، ثُمَّ قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى *فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: الآيات: ٥-١٠]». ((١))

وقد أنكر الفلاسفة علم الله بالجزئيات قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: "وَقَدْ يَقُولُونَ: إنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ الْكُلِّيَّاتِ دُونَ الْجُزْئِيَّاتِ؛ فَإِنَّهُ إنَّمَا يَعْلَمُهَا عَلَى وَجْهٍ كُلِّيٍّ وَيَقُولُونَ مَعَ ذَلِكَ: إنَّهُ يَعْلَمُ نَفْسَهُ وَيَعْلَمُ مَا يَفْعَلُهُ.

وَقَوْلُهُمْ يَعْلَمُ نَفْسَهُ وَمَفْعُولَاتِهِ حَقٌّ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ لَكِنْ قَوْلُهُمْ مَعَ ذَلِكَ: إنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْأَعْيَانَ الْمُعَيَّنَةَ جَهْلٌ وَتَنَاقُضٌ فَإِنَّ نَفْسَهُ الْمُقَدَّسَةَ مُعَيَّنَةٌ وَالْأَفْلَاكُ مُعَيَّنَةٌ وَكُلُّ مَوْجُودٍ مُعَيَّنٌ.

فَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ الْمُعَيَّنَاتِ لَمْ يَعْلَمْ شَيْئًا مِنْ الْمَوْجُودَاتِ إذْ الْكُلِّيَّاتُ إنَّمَا تَكُونُ كُلِّيَّاتٍ فِي الْأَذْهَانِ لَا فِي الْأَعْيَانِ فَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ إلَّا الْكُلِّيَّاتِ لَمْ يَعْلَمْ شَيْئًا مِنْ الْمَوْجُودَاتِ. تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا."((٢))

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهؤلاء المتفلسفة الدهرية عندهم أن الله لا يفعل شيئًا بمشيئته ولا يجيب دعاء الداعي بل ولا يعلم الجزئيات ولا يعرف هذا الداعي من هذا الداعي ولا يعرف إبراهيم من موسى من محمد وغيرهم بأعيانهم من رسله بل منهم من ينكر علمه مطلقا كأرسطو وأتباعه ومنهم من يقول إنما يعلم الكليات كابن سينا وأمثاله". ((٣))

(١) شرح العقيدة الطحاوية «١/ ٣١٧».
(٢) مجموع الفتاوى «١٢/ ٥٩٥».
(٣) الجواب الصحيح «١/ ١١٤».



٧- الإيمان

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الإيمان

المسألة الثانية: دخول العمل في مسمى الإيمان

المسألة الثالثة: زيادة الإيمان ونقصانه.

المسألة الخامسة: ثمرة الخلاف في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه.



[٧]- قال المصنف رحمه الله: والإيمان قول وعمل، وهما سِيان ونظامان وقرينان، لا نفرق بينهما، لا إيمان إلا بعمل ولا عمل إلا بإيمان. والمؤمنون في الإيمان يتفاضلون، وبصالح الأعمال هم متزايدون، ولا يخرجون بالذنوب من الإيمان، ولا يكفرون بركوب معصية ولا عصيان، ولا نوجب لمحسنهم الجِنان بعد من أوجب له النبي ﷺ ولا نشهد على مسيئهم بالنار.

الشرح

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الإيمان

هذه المسألة يوردها العلماء ضمن مسائل الأسماء، ويحسن تناول هذه المسألة من خلال الجوانب الآتية:

الجانب الأول: الجانب اللغوي.

أ-المعنى اللغوي لكلمة "آمن":

الإيمان مصدر آمن يؤمن إيمانا فهو مؤمن

أ-فيرى جمع من أهل اللغة أن الإيمان في اللغة معناه: التصـــديق وقد حكوا الإجماع على ذلك قال الأزهري-رحمه الله-«ت: ٣٧٠ هـ»: "واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق"((١)).

واستدلوا لذلك بقوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف لأبيهم ﴿**وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ**﴾ [يوسف: الآية: ١٧]، فقالوا: معناه ما أنت بمصدق لنا.((٢))

٢-أما علماء السلف((٣)) فيقولون إن الإيمان يأتي في اللغة لمعنيين هما:

أ-بمعنى صـدق به وذلك إذا عدي بالباء كما في قوله تعالى ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ**

(١) تهذيب اللغة «٥/ ٥١٣».

(٢) لسان العرب لابن منظور، مادة آمن «١٣/ ٢٣».

(٣) شرح العقيدة الأصفهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية «ص: ١٤٣».

مِن رَّبِّهِ...﴾ [البقرة: الآية: ٢٨٥]، أي صدق الرسول.[(١)]

ب-وبمعنى أقر له وذلك إذا عدي باللام كما في قوله تعالى ﴿**وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ**﴾ [يوسف: الآية: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿**فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ**﴾ [العنكبوت: الآية: ٦].

وقد اعترض السلف على حصر بعض أهل اللغة لمعنى الإيمان بالتصديق فقط وقالوا: "إن الإيمان وإن كان يتضمن التصديق فليس هو مجرد التصديق، وإنما هو الإقرار[(٢)] والطمأنينة أيضا"[(٣)] واستدل السلف لقولهم بالأمور التالية:

: إن الترادف التام ممتنع بين التصديق والإيمان من عدة وجوه،

١-إن كلمة آمن تتعدى بالباء وباللام وقد تقدم التمثيل لذلك.

-أما كلمة "صدق" فلا تتعدى باللام فلا يقال "صدق له" إنما يقال "صدق به" فهي تتعدى بالباء وبنفسها فيقال صدقه.

٢-إن كلمة آمن تتضمن ثلاثة معان هي: الأمن، والتصديق، والأمانة.

---

(١) تفسير القرطبي «٣/ ٤٢٥».

(٢) الإقرار: متضمن لمعنيين هما: قول القلب الذي هو التصديق. وعمل القلب الذي هو الانقياد. مجموع الفتاوى «٧/ ٦٣٨-٦٣٩».

(٣) الصارم المسلول لابن تيمية «ص: ٥١٩».

ومن الأقوال الواردة في تفسير الإيمان بمعنى الطمأنينة ما يلي:

يقول الفيروزآبادي-رحمه الله-«ت: ٨١٧ هـ»: "آمَنَ بِهِ: صَدَّقَهُ، وبِهِ: وثِقَ بِهِ وأَمِنَ عليهِ"القاموس المحيط، «١/ ٧٨».

وقال الراغب الأصفهاني-رحمه الله-«ت: ٥٠٢ هـ»: "الإيمان: هو التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان... وأصل الكلمة من الأمن الذي هو الطمأنينة"المفردات في غريب القرآن، «ص: ٢٤».

وقال الفيومي-رحمه الله-«ت: ٧٧٠ هـ»: "آمن به: صدقه، وبه: وثق به واطمأن إليه"المصباح المنير، «١/ ٢٩».

وقال الجوهري-رحمه الله-«ت: ٣٩٣ هـ»: "آمن به: صدقه، وأمن به: وثق به واطمأن إليه"الصحاح في اللغة، «١/ ٧٨».

وقال الأزهري-رحمه الله-«ت: ٣٧٠ هـ»: "آمن يؤمن إيمانًا: صدق، والطمأنينة التي تصحب التصديق"تهذيب اللغة، «١/ ١٣٤».

وقال الزمخشري «ت: ٥٣٨ هـ»: "الإيمان في اللغة هو التصديق والاطمئنان"الكشاف، «١/ ٢٥».

وقال الزبيدي-رحمه الله-«ت: ١٢٠٥ هـ»: "الإيمان: التصديق... وهو مأخوذ من الأمن الذي هو الطمأنينة." تاج العروس، «١/ ٢٥».

قال نشوان الحميري-رحمه الله-«ت: ٥٧٣ هـ»: "آمن به: صدقه، وأمن به: وثق به واطمأن إليه"شمس العلوم، «١/ ٧٨».

وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي-رحمه الله-«ت: ١٧٤ هـ»: "الإيمان: التصديق بالقلب، والاطمئنان"العين، «١/ ٢٥».

-أما كلمة صدق فلا تتضمن معنى الأمن والأمانة.

٣-إن لفظ الإيمان لا يستعمل إلا في الخبر عن الغائب لأن فيه أصل معنى الأمن والائتمان وهذا إنما يكون في الخبر عن الغائب، فلا يقال لمن قال طلعت الشمس آمنا له وإنما يقال صدقناه ولهذا لم يأت في القرآن وغيره لفظ آمن له إلا في الخبر عن الغائب.

-أما لفظ التصديق فيستعمل في كل مخبر عن مشاهد أو غيب، فمن قال السماء فوقنا، قيل له: صدقت.

٤-إن لفظ الإيمان ضده الكفر، والكفر لا يختص بالتكذيب فقط، بل هو أعم منه، إذ يمكن أن يكون مخالفة ومعاداة بلا تكذيب ومع ذلك يسمى كفرا كما لو قال شخص: أنا أعلم أنك صادق، ولكن لا أتبعك، بل أعاديك وأبغضك وأخالفك، فهذا كفر أعظم.

-أما لفظ التصديق ضده التكذيب فقط.

وبهذا يتبين عدم الترادف التام بين اللفظين، وأن الإيمان ليس التصديق فقط[(١)] كما أن الكفر ليس التكذيب فقط.

ثانيًا: من المعلوم أن كلام الله وشرعه إنما هو خبر وأمر.

فالخبر: يستوجب تصديق الخبر.

والأمر يستوجب الانقياد له والاستسلام، وهو عمل في القلب، جماعه: الخضوع والانقياد للأمر، وإن لم يفعل المأمور به.

فإذا قوبل الخبر بالتصديق، والأمر بالانقياد، فقد حصل أصل الإيمان في القلب وهو "الطمأنينة والإقرار" فإن اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار والطمأنينة، وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد. فلو فُسِّر الإيمان بالتصديق فقط، كما قال أهل اللغة، فإن التصديق إنما يعرض للجزء الأول من الشرع فقط الذي هو الخبر، ولا يعرض للجزء الثاني وهو الأمر، لأن الأمر ليس فيه تصديق من حيث هو أمر.

ومن المعلوم أن إبليس لم يكفر بسبب عدم تصديقه، فإنه سمع أمر الله فلم يكذب رسولا، ولكن لم ينقد للأمر ولم يخضع له، واستكبر عن الطاعة فصار كافرا، قال تعالى: ﴿**إِلَّآ إِبْلِيسَ**

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية «ص: ٣٨٠-٣٨١».

أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: الآية: ٣٤]، فسماه الله كافرا وسلب عنه وصف الإيمان لاستكباره وعدم انقياده لأمر الله له بالسجود لآدم.

لازم القول بأن الإيمان مجرد التصديق فقط.

وهذا موضع زاغ فيه خلق من الخلف تخيل لهم أن الإيمان ليس في الأصل إلا التصديق، ثم يرون مثل إبليس وفرعون مما لم يصدر عنه تكذيب أو صدر عنه تكذيب باللسان لا بالقلب وكفره من أغلظ الكفر فيتحيرون.

ومثل هؤلاء القوم لو أنهم هُدوا لما هُدي إليه السلف الصالح لعلموا أن الإيمان قول وعمل أعني في الأصل قولا في القلب، وعملا في القلب، فإن الإيمان بحسب كلام الله ورسالته-وكلام الله ورسالته يتضمن أخباره وأوامره-فيصدق القلب أخباره تصديقا يوجب حالا في القلب بحسب المصدق به، والتصديق هو من نوع العلم والقول، وينقاد لأمره ويستسلم، وهذا الانقياد والاستسلام هو من نوع الإرادة والعمل، ولا يكون مؤمنا إلا بمجموع الأمرين فمتى ترك الانقياد كان مستكبرا فصار من الكافرين وإن كان مصدقا، لأن الكفر أعم من التكذيب، فالكفر يكون تكذيبا وجهلا، ويكون استكبارا وظلما، ولهذا لم يوصف إبليس إلا بالكفر والاستكبار دون التكذيب، ولهذا كان كفر من يعلم مثل اليهود ونحوهم من جنس كفر إبليس، وكان كفر من يجهل مثل النصارى ونحوهم ضلالا وهو "الجهل" ألا ترى أن نفرا من اليهود جاءوا إلى النبي ﷺ وسألوه عن أشياء، فأخبرهم، فقالوا: نشهد أنك نبي، ولم يتبعوه، وكذلك هرقل وغيره، فلم ينفعهم هذا العلم وهذا التصديق.

ألا ترى أن من صدق الرسول بأن ما جاء به هو رسالة الله، وقد تضمنت خبرا وأمرا، فإنه يحتاج إلى مقام ثان، وهو تصديق خبر الله وانقياده لأمر الله، فإذا قال: "أشهد أن لا إله إلا الله" فهذه الشهادة تتضمن تصديق خبره والانقياد لأمره. "وأشهد أن محمدا رسول الله" تضمنت تصديق الرسول فيما جاء به من عند الله.

فبمجموع هاتين الشهادتين يتم الإقرار.

فلما كان التصديق لا بد منه في كلا الشهادتين-وهو الذي يتلقى الرسالة بالقبول-ظن من ظن أنه أصل لجميع الإيمان وغفل عن أن الأصل الآخر لا بد منه وهو الانقياد، وإلا فقد يصدق الرسول، ظاهرا وباطنا ثم يمتنع من الانقياد للأمر، إذ غايته في تصديق الرسول أن

يكون بمنزلة من سمع الرسالة من الله سبحانه كإبليس"[(١)]

ثالثًا: ما اســـتدل به أهل اللغة على أن معنى الإيمان في قوله تعالى ﴿**وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ**﴾ [يوسف: الآية: ١٧]، هو التصديق غير مسلم.

إذ يرى علماء السلف أن تفسيرها بـــ "أقررت" أقرب من تفسيرها بـــ " صدقت " وذلك لأن لفظ "آمن" متى عُدّي باللام يكون بمعنى "أقر" وليس بمعنى "صــدق"، إذ لا يكون بمعنى صدق إلا إذا عُدّي بالباء أو بنفسه.

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "وأصل الإيمان في اللغة: التصديق، والطمأنينة، كما يقول العرب: أمن الرجل أمانة وأمناً: إذا صار ذا أمن"[(٢)]

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "فإن الإيمان في لغة العرب مأخوذ من الأمن الذي هو الطمأنينة، كما قال أهل العلم باللغة"[(٣)]

وقال أيضًا: "وأصل الإيمان في اللغة: التصديق والطمأنينة"[(٤)]

الجانب الثاني: المعنى الشرعي للإيمان:

تتحدد دلالة اسم "الإيمان" في الشرع بحسب سياق الكلام الذي تستعمل فيه هذه اللفظة فلفظ "الإيمان" إما أن يستعمل:

أ–مطلقا: أي يذكر مطلقا عن لفظ "العمل" و"الإسلام".

٢–أو مقيدا: فتارة يقرن بالعمل الصالح، وتارة يقرن بالإسلام.

الحال الأول: فإذا اســتعمل مطلقا: "فجميع ما يحبه الله ورســوله من أقوال العبد وأعماله الباطنة والظاهرة، يدخل في مسمى الإيمان عند عامة السلف والأئمة–من الصحابة والتابعين وتابعيهم–الذين يجعلون الإيمان قولا وعملا، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصـــية، ويدخلون جميع

---

(١) الصارم المسلول «ص: ٥١٩–٥٢٠» بتصرف.

(٢) كتاب الإيمان، «ص: ٢٢» بتصرف.

(٣) مجموع الفتاوى، «٧/ ٦٣٣». بتصرف.

(٤) مجموع الفتاوى، «٧/ ٦٤٢». بتصرف.

الطاعات-فرضها ونفلها-في مسماه"[(١)]

ويلاحظ هنا أن لفظ "الإيمان" على هذا الاستعمال يكون مرادفا للفظ "العبادة" والعبادة كما هو معروف هي: اسـم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة.

ومن استعمال الشارع للفظ الإيمان بهذا المعنى ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان».[(٢)]

فالإيمان في هذا الحديث شمل جميع أمور الدين بما في ذلك أمور الإسلام. ومن هذا الاستعمال أيضًا ما جاء في حديث عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما-«ت: ٦٨ هـ»: أن وفد عبد القيس لما أتوا النبي-ﷺ-أمرهم بأربع ونهاهم عن أربع: «أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم خمس...». الحديث [(٣)]

فلفظ الإيمان استعمل في الحديث مطلقا فدخل فيه الأمور الظاهرة مع أنها من أمور الإسلام كما جاء في حديث جبريل المشهور.

قال الطحاوي-رحمه الله-«ت: ٣٢١ هـ»: "الإيمان والإسلام هما دين الله تعالى، وكل منهما إذا ذكر منفردًا دخل فيه الآخر"[(٤)]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "فإن الإسلام إذا أطلق دخل فيه الإيمان،

---

(١) مجموع الفتاوى «٧/ ٦٤٢».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أمور الدين. انظر: فتح الباري «١/ ٥١» «ح: ٩»، وأخرجه مسلم-واللفظ له-كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان «١/ ٤٦».

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له: كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان. انظر: فتح الباري «١/ ١٢٩» «ح: ٥٣»، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه «١/ ٣٥-٣٦».

(٤) العقيدة الطحاوية «ص: ٥٥».

وكذلك الإيمان إذا أطلق دخل فيه الإســـلام؛ فإذا اجتمعا كان الإســـلام الأعمال الظاهرة والإيمان الأعمال الباطنة"[(١)]

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "الإســـلام إذا أطلق شمل الدين كله، وإذا اجتمع مع الإيمان افترقا، فيكون الإسلام الأعمال الظاهرة والإيمان الأعمال الباطنة"[(٢)]

قال النووي-رحمه الله-«ت: ٦٧٦ هـ»: "الإســـلام إذا أطلق دخل فيه الإيمان، وكذلك الإيمان إذا أطلق دخل فيه الإسلام. فإذا اجتمعا كان لكل واحد منهما معنى يخصه"[(٣)]

قال ابن حجر العسقلاني-رحمه الله-«ت: ٨٥٢ هـ»: "إذا ذكر الإسلام وحده دخل فيه الإيمان، وإذا ذكر الإيمان وحده دخل فيه الإســـلام. وإذا اجتمعا افترقا، فيكون الإيمان هو التصديق القلبي والإسلام هو الأعمال الظاهرة"[(٤)]

قال الشـاطبي-رحمه الله-«ت: ٥٩٠ هـ»: "إذا أطلق لفظ الإسـلام شمل الدين كله، وإذا قرن بالإيمان تميز عنه، فكان الإسلام الأعمال الظاهرة والإيمان الأعمال الباطنة"[(٥)]

قال القرطبي-رحمه الله-«ت: ٦٧١ هـ»: "الإســـلام إذا أطلق دخل فيه الإيمان، وكذلك الإيمان إذا أطلق دخل فيه الإسلام؛ فإذا اجتمعا كان لكل واحد منهما معنى يخصه"[(٦)]

قال البيضـاوي-رحمه الله-«ت: ٦٨٥ أو ٦٩١ هـ»: "إذا أطلق لفظ الإسلام وحده شمل الدين كله من اعتقادات وأعمال، وإذا قرن بالإيمان تميز عنه"[(٧)]

قال السـعدي-رحمه الله-«ت: ١٣٧٦ هـ»: "إذا ذكر الإسـلام وحده شمل كل ما يتعلق

(١) مجموع الفتاوى، «٧/ ٦٢١».

(٢) مدارج السالكين، «١/ ٣٣٧».

(٣) شرح صحيح مسلم، «١/ ١٤٦».

(٤) فتح الباري، «١/ ٩٠».

(٥) الموافقات، «١/ ١٠٦».

(٦) الجامع لأحكام القرآن، «١/ ١١٨».

(٧) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، «١/ ١١٠».

بالدين من تصديق بالقلب وأعمال الجوارح، وإذا قرن بالإيمان تميز عنه"([١])

الحال الثاني: وأما إذا استعمل اسم الإيمان مقيدا: كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: الآية: ٧٧]، وقوله ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: الآية: ٦٣].

وقول النبي -ﷺ- في حديث جبريل المشهور: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره».([٢])

فهنا قد يقال: إنه متناول لذلك وإن عطف ذلك عليه من باب عطف الخاص على العام كقوله تعالى: ﴿وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة: الآية: ٩٨]، وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: الآية: ٧].

وقد يقال إن دلالة الاسم تنوعت بالإفراد والاقتران كلفظ الفقير والمسكين، فإن أحدهما إذا أفرد تناول الآخر، وإذا جمع بينهما كانا صنفين: كما في آية الصدقة، ولا ريب أن فروع الإيمان مع أصوله كالمعطوفين، وهي مع جميعه كالبعض مع الكل"([٣])

قلت: إن القول بأن عطف ذلك عليه من باب عطف الخاص على العام ينطبق على الآية وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: الآية: ٧٧]، وقوله ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: الآية: ٦٣]..

والقول بأن دلالة الاسم تنوعت بالإفراد والاقتران ينطبق على حديث جبريل حيث ذكر الإسلام والإيمان فأصبح كل واحد منهما يختص بأمور معينة فالإسلام اختص بالأمور الظاهرية، والإيمان اختص بالأمور الاعتقادية الباطنية.

"فلفظ الإسلام والإيمان إذا أفرد كل واحد من الاسمين دخل في مسمى الآخر إما تضمنا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، «١/ ٩٥».

(٢) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله «١/ ٢٩». والحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل بلفظ: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث"انظر: فتح الباري «١/ ١١٤»، «ح: ٥٠».

(٣) الفتاوى «٧/ ٦٤٧ ـ ٦٤٨».

وإما لزوما، ودخوله فيه تضمنا أظهر، وكون أحدهما لا يدخل في الآخر عند الاقتران لا يدل على أنه لا يدخل فيه عند انفراد الآخر، وهذه قاعدة جليلة من أحاط بها زالت عنه إشكالات كثيرة أشكلت على كثير من الناس"[(١)]

خلاصة القول:

إن اسم الإيمان إذا أفرد: تناول جميع أمور الدين الظاهرة والباطنة كما في حديث الشعب.

وإذا اقترن اسم الإيمان مع الإسلام دل الإيمان على الأمور الباطنة ودل الإسلام على أمور الدين الظاهرة كما في حديث جبريل.

وإذا اقترن العمل مع الإيمان: فهو من باب عطف الخاص على العام[(٢)] كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ [البقرة: الآية: ٧٧].

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "الإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا. فالإيمان إذا أطلق دخل فيه الإسلام، وكذلك الإسلام إذا أطلق دخل فيه الإيمان"[(٣)]

٢. قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "الإسلام هو الاستسلام والانقياد،

---

(١) مجموع الفتاوى «٧/ ٦٤٧ -٦٤٨».

(٢) قال شارح الطحاوية: "اعلم أن عطف الشيء على الشيء يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع الاشتراك في الحكم الذي ذكر لهما، والمغايرة على مراتب:

١-أعلاها: أن يكونا متباينين ليس أحدهما هو الآخر، ولا جزءا منه، ولا بينهما تلازم، كقوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: الآية: ١]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: الآية: ٣]، وهذا هو الغالب.

٢-ويليه: أن يكون منهما تلازم، كقوله تعالى: ﴿وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [المائدة: الآية: ٩٢].

٣-الثالث: عطف بعض الشيء عليه كقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: الآية: ٢٣٨]، وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة: الآية: ٩٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ﴾ [الأحزاب: الآية: ٧]، وفي مثل هذا وجهان: أحدهما: أن يكون داخلا في الأول، فيكون مذكورا مرتين. والثاني: أن عطفه عليه يقتضي أنه ليس داخلا فيه هنا وإن كان داخلا فيه منفردا كما قيل في لفظ "الفقراء والمساكين" ونحوهما، تتنوع دلالته بالإفراد والاقتران.

٤-الرابع: عطف الشيء على الشيء لاختلاف الصفتين، كقوله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: الآية: ٣]"شرح العقيدة الطحاوية «ص: ٣٨٧-٣٨٨».

(٣) مجموع الفتاوى، «٧/ ٦٢١».

والإيمان تصـــــديق وإقرار، فإذا اجتمعا كان الإســـلام الأعمال الظاهرة والإيمان الأعمال الباطنة"[(١)]

٣. قال النووي–رحمه الله–«ت: ٦٧٦ هـ»: "الإسلام هو الاستسلام والانقياد الظاهري، والإيمان هو التصـديق القلبي، فإذا اجتمعا كان لكل واحد منهما معنى يخصـه، وإذا افترقا دل أحدهما على الآخر"[(٢)]

٤. قال ابن حجر العســقلاني–رحمه الله–«ت: ٨٥٢ هـ»: "الإســلام والإيمان يجتمعان ويفترقـان، فـإذا اجتمعـا في الـذكر افترقـا في المعنى، وإذا انفرد أحـدهمـا في الـذكر دخـل فيـه الآخر"[(٣)]

٥. قال الشــاطبي–رحمه الله–«ت: ٥٩٠ هـ»: "الإســلام في الظاهر هو الاســتســلام للأحكام، والإيمان في الباطن هو التصديق والإقرار"[(٤)]

٦. قال الفيروزآبادي–رحمه الله–«ت: ٨١٧ هـ»: "الإسلام هو الانقياد الظاهر للأحكام الشرعية، والإيمان هو التصديق الباطني"[(٥)]

المسألة الثانية: دخول العمل في مسمى الإيمان

تنوعت عبارات السلف في تعريف الإيمان:

١–فتارة يقولون: الإيمان قول وعمل.

٢–وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية.

٣–وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية واتباع سنة.[(٦)]

٤– وتارة يقولون: "قول وعمل ومعرفة"

---

(١) مدارج السالكين، «١/ ٣٣٧».

(٢) شرح صحيح مسلم، «١/ ١٤٦».

(٣) فتح الباري، «١/ ٩٠».

(٤) الموافقات، «١/ ١٠٦».

(٥) بصائر ذوي التمييز، «١/ ٣٤».

(٦) هذه التعريفات الثلاثة أوردها شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الإيمان. انظر «ص: ١٦٢».

٥- وتارة يقولون: الإيمان: قول اللســـان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[(١)].

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ» -بعد أن أورد التعريفات الثلاثة الأول-: "وكل هذا صحيح"[(٢)] وعلل ذلك بقوله[(٣)]:

"فمن قال إن الإيمان قول وعمل فمرداه قول اللسان والقلب وعمل القلب والجوارح".

وقول اللسان وعمل الجوارح معروفان.

وأما المقصود من قول القلب: فهو إقراره ومعرفته وتصديقه.

وأما عمله: فهو انقياده لما صدق به.

ومن عبر عن الإيمان بهذا التعريف ليس مراده كل قول أو عمل وإنما المراد ما كان مشروعا من الأقوال والأعمال.

كما أن تعبير بعض الســـلف بهذه العبارة في تعريف الإيمان إنما جاء في معرض الرد على المرجئة.[(٤)] الذين جعلوه قولا فقط، فقال بعض السلف ردا عليهم: بل قول وعمل.[(٥)]

وأما من عرفه بقوله هو قول وعمل ونية، فمقصـــوده بزيادة لفظ "ونية": أن القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان.

---

(١) مجموع الفتاوى «٧/ ٦٤٢».

(٢) كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية «ص: ١٦٢».

(٣) كلام شيخ الإسلام نقلته بتصرف من كتابه الإيمان «ص: ١٦٢-١٦٣».

(٤) المرجئة هم الذين أرجأوا العمل عن مسمى الإيمان وهم خمس طوائف سيأتي ذكرهم.

(٥) قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "الناس لهم في مسمى الكلام والقول عند الإطلاق أربعة أقوال:

١-فالذي عليه السلف والفقهاء والجمهور أنه يتناول اللفظ والمعنى جميعا.

٢-وقيل: بل مســـماه اللفظ، والمعنى ليس جزء مســـماه، بل هو مدلول مســـماه، وهذا قول كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم وطائفة من المنتسبين الى السنة، وهو قول النحاة لأن صناعتهم متعلقة بالألفاظ.

٣-وقيل: مسماه هو المعنى وإطلاق الكلام على اللفظ مجاز لأنه دال عليه وهذا قول ابن كلاب ومن اتبعه.

٤-وقيل: بل هو مشترك بين اللفظ والمعنى وهو قول بعض المتأخرين من الكلابية ولهم قول ثالث يروى عن أبي الحسن أنه مجاز في كلام الله حقيقة في كلام الآدميين"كتاب الإيمان «ص: ١٦٢».

وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك.[(١)]

وأما من عرفه بأنه قول وعمل ونية واتباع سنة، فقد زاد لفظة "واتباع سنة" لأن ذلك كله لا يكون محبوبا لله إلا باتباع السنة.[(٢)]

قال ابن تيمية -رحمه الله- «ت: ٧٢٨ هـ»: "وقد سئل **سهل بن عبد الله التستري -رحمه الله- «ت: ٢٨٣ هـ»** عن الإيمان ما هو؟، فقال: قول وعمل ونية واتباع سنة.

لأن الإيمان إذا كان قولا بلا عمل فهو كفر.

وإذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق.

وإذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة"[(٣)]

وأجمع التعاريف الواردة وأشملها هو: أن الإيمان قول اللسان واعتقاد بالجنان وعمل الجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وهذا التعريف هو الذي يميز قول السلف في مسمى الإيمان عن قول غيرهم من الفرق.[(٤)]

---

(١) كتاب الإيمان «ص: ١٦٣».

(٢) كتاب الإيمان «ص: ١٦٣».

(٣) كتاب الإيمان «ص: ١٦٣».

(٤) الذين خالفوا السلف في مسمى الإيمان هم:

أ-المرجئة بطوائفهم الخمس:

١-الجهمية: وقالوا الإيمان هو معرفة القلب فقط: أي المعرفة الفطرية التي هي المعرفة بربوبية الله.

٢-الأشاعرة: وقالوا الإيمان هو التصديق فقط أي التصديق بما جاء به النبي ﷺ من عند الله.

٣-الماتريدية: وقولهم في الإيمان مثل قول الأشاعرة.

٤-الكرامية: قالوا الإيمان قول باللسان فقط.

٥-مرجئة الأحناف «أو مرجئة الفقهاء» قالوا: الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان. وهو قول الكلابية. وكل هذه الطوائف الخمسة أخرجت العمل عن الإيمان.

ب-الخوارج: قالوا الإيمان قول واعتقاد وعمل، ولكنهم يكفرون من أخل بشيء من هذه الثلاثة ويقولون بأنه كافر في الدنيا وفي الآخرة خالد في النار.

ج-المعتزلة: وقالوا بقول الخوارج إلا أنهم يقولون إنه في الدنيا في منزلة بين منزلتين بمعنى أنه ليس بمؤمن ولا كافر، واتفقوا معهم في باقي الأمور.

=

ولهذا كان هذا التعريف هو أجمع التعاريف الواردة عن السلف وأكثرها دقة في بيان قولهم.

فإن الناظر إلى هذا الإنســـان باعتبار ما يجب عليه تجاه ما أخبر الله به وما أمر الله تعالى به؛ فنصوص الشرع لا تخرج عن أمرين: إما أخبارٌ وإما أوامر، فالأخبار حقها التصديق بأن تُصـدق بها، والأوامر حقها أن تعمل بها، كما جاء في الحديث "إذا أمرتكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن نهيٍ فانتهوا"((١))

فأنت مأمور بأن تتبع، وأن تعمل بهذه الأوامر بحســـب ما يأتي من حكمٍ عليها، فهذه الأمور أي الوحي تأتي لهذا الإنســـان، وأول ما تأتي إليه في باطنه؛ لأنه لابد وأن يعلم أن الصـــلاة مثلاً ركنٌ من أركان الإســـلام، ثم إذا جئت إلى الصـــلاة تجد أن منها فرائض ومنها نوافل، ثم أن هذه النوافل منها سنن رواتب ومنها غير ذلك، فهذا أول ما يقابله بالعلم.

فإذاً هذا الإيمان سيخاطب هذا الباطن في الإنسان، وأول ما يخاطب أن يصدق بما أخبر الله به.

والثاني: أن ينقاد لأمر الله، فلابد أن يحصل الانقياد والتسليم لأوامر الله، فليس لك حق الاعتراض أن تقول: لا بدل خمس صلوات نجعلها ثلاثة أو نجعلها ستة، فهي خمس صلوات في اليوم الليلة لابد من أدائها في أوقاتها، فأصبح عليه أن يصدق وعليه أن ينقاد.

ومعلوم أن هنا ثلاثة أحوال:

القلب، والقلب يشمل أمرين:

يشمل جانب العلم، ويشمل جانب الإرادة هذا القلب.

والجانب الثاني: جانب اللسان.

والجانب الثالث: جانب الجوارح.

فهناك قول القلب، وعمل القلب، وقول اللســـان، وعمل اللســـان، وهناك عمل الجوارح فهذه خمسة، فإذا جئت إلى قول القلب فهذا هو العلم الذي هو التصديق فعليه أن يعلم هذه الأشـياء ويصـدق بها، هذا الواجب الأول على القلب، والقلب هو الباطن، والباطن مجموع

انظر تفاصيل هذه الأقوال: في كتاب الإيمان لابن تيمية، والجزء السابع من مجموع الفتاوى، وشرح العقيدة الطحاوية «ص: ٣٧٣-٣٩٢» وكتاب النبوات «ص: ١٩٩».

(١) رواه البخاري «٤/ ٤٢٢» ومسلم «٧/ ٩١» وأحمد «٢/ ٢٥٨».

الأمرين وهذه هي العقيدة.

لذلك قال المصـــنف: "الإيمان قولٌ وعمل"، فالقول هنا هو العلم والتصـــديق، تعلم وتصدق، هذا واجبٌ على الإنسان لكي يكون مؤمناً، وهذا وحده لا يكفي فلو قال قائل: أنا أعلم أن الصـلوات خمس وهي كذا وكذا وهيئتها كذا لكن لن أصـلي، فهو بهذا لا يكون مؤمناً إذ لابد من الجانب الثاني.

والجانب الثاني: هو انقياد القلب، فهذه الإرادة لابد أن تنقاد لهذه الأخبار وهذه الأوامر، ولـذلـك يأتي عمـل القلـب، والقلـب أعمـالـه كثيرة، منهـا مثلاً الإخلاص، والمحبـة، والخوف، والرجـاء، والتوكـل، والإنابـة، والخشــــيـة، والتقوى، ولـذلـك النبي ﷺ لما ذكر التقوى قـال: «**التقوى هاهنا التقوى هاهنا التقوى هاهنا وأشــار بيده على صــدره**».[(١)]، فهذه أعمال القلوب، وهي التي تنطلق إلى سائر الجوارح

وأما قول اللسـان وعمل اللسـان، فقول اللسـان جعله العلماء النطق بالشـهادتين لأن هذا هو الفيصـل بين الإسـلام والكفر، «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشــهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**».[(٢)]، فأول ما يدخل الإنسان في الإسلام يُطالب بعد تطهره يطالب بالنطق بالشهادتين، فهذا يسميه العلماء: قول اللسان، فجعلوه في النطق بالشهادتين.

وأما عمل اللسان: فمنه قراءة القرآن وتلاوته، وذكر الله عز وجل، والتسبيح، والتهليل هذا كله عمل اللسان.

وأما أعمال الجوارح، فمنها الركوع والســجود والصــوم والجهاد وغض البصــر وغيرها فهذه أعمال الجوارح، وهذا بكله هو الذي يُسمى إيماناً عند أهل السنة.

وقول المصنف: «والمؤمنون في الإيمان يتفاضلون، وبصالح الأعمال هم متزايدون»

المسألة الثالثة: زيادة الإيمان ونقصانه.

أهل السنة يؤمنون أن الإيمان يزيد وينقص، ومن الأدلة على ذلك:

---

(١) رواه مسلم «٢٥٦٥»، وأحمد «٧٦٧٠».

(٢) رواه البخاري «٢٥»، ومسلم «٢٥».

أولًا: أدلة زيادة الإيمان ونقصانه من القرآن.[(١)]

لقد جاء في كتاب الله عز وجل نصوص كثيرة تدل على زيادة الإيمان ونقصانه وأن أهله متفاضلون فيه بعضهم أكمل إيماناً من بعض، فمنهم السابق بالخيرات، ومنهم المقتصد، ومنهم الظالم لنفسه، منهم المحسن، ومنهم المؤمن، ومنهم المسلم، ليسوا في الدين سواء في مرتبة واحدة، بل فضل الله بعضهم على بعض ورفع بعضهم فوق بعض درجات.

وقبل الشروع في ذكر هذه الأدلة القرآنية الدالة على زيادة الإيمان ونقصانه أودّ التنبيه على نقطة هامة، وهي:

أن كل دليل دلّ على زيادة الإيمان فهو يدل على نقصانه، وكذا العكس، فما دل على نقصان الإيمان فهو يدل على زيادته، فالآيات التي أوردها هنا وظاهرها الدلالة على زيادة الإيمان فقط، فهي تدل على نقص الإيمان باللزوم، وذلك لأن الزيادة تستلزم النقص، ولأن ما جاز عليه الزيادة جاز عليه النقص، ولأن الزيادة لا تكون إلا عن نقص.

ولهذا فإنا نجد أهل العلم كثيراً ما يستشهدون بأدلة زيادة الإيمان على نقصانه وكذا العكس للأسباب المتقدمة، وتأمل-مثالاً على ذلك-صنيع البخاري في صحيحه فقد أورد بعض الآيات المصرحة بزيادة الإيمان في باب زيادة الإيمان ونقصانه مستدلاً بها على الزيادة والنقصان معاً.

قال الإمام أحمد-رحمه الله-«ت: ٢٤١ هـ»: "إن كان قبل زيادته-أي الإيمان-تاماً فكما يزيد كذا ينقص"[(٢)]

فمن الأدلة:

- قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾ [آل عمران: الآية: ١٧٣].
- وقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ [الأنفال: الآية: ٢].

---

(١) المصدر: كتاب زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه للدكتور عبد الرزاق البدر «ص: ٣٥»

(٢) رواه الخلال في السنة «٢/ ٦٨٨، ح: ١٠٣٠».

● وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: الآية: ١٢٤].

● وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً﴾ [الأحزاب: ٢٢].

● وقوله تعالى :﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: الآية: ٤].

● وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً﴾ [المدثر: الآية: ٣١].

● وقوله تعالى :﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ﴾ [محمد: الآية: ١٧].

ثانياً: الأدلة من السنة على زيادة الإيمان ونقصانه:

● حديث **أبي هريرة–رضي الله عنه–«ت: ٥٧ أو ٥٨ هـ»**، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن**».[(١)]

● حديث **أبي هريرة–رضي الله عنه–«ت: ٥٧ أو ٥٨ هـ»**، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**».[(٢)]

ففي هذا الحديث "بيان أن الإيمان الشرعي اسم لمعنى ذي شعب وأجزاء، له أعلى وأدنى، فالاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق–بكلها، والحقيقة تقتضي جميع شعبها وتستوفي جملة أجزائها، كالصلاة الشرعية لها شعب وأجزاء، والاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها، والحقيقة تقتضي جميع أجزائها وتستوفيها"[(٣)]

وهذه الشعب متفاوتة ليست على درجة واحدة في الفضل، بل بعضها أفضل من بعض،

---

(١) أخرجه البخاري «٥/ ١١٩، ١٠/ ٣٠، ١٢/ ٥٨، ١٢/ ١٤ فتح»، ومسلم «٢/ ٤١ نووي».

(٢) أخرجه البخاري «١/ ٥١ فتح» ومسلم «٢/ ٦ نووي» وهذا لفظ مسلم.

(٣) معالم السنن للخطابي «٧/ ٤٤،٤٣».

كما هو ظاهر لفظ الحديث في قوله: "أعلاها "وقوله: "أدناها"، فشعب الإيمان منها ما يزول الإيمان بزوالها إجماعاً كشعبة الشهادتين، ومنها ما لا يزول بزوالها إجماعاً كترك إماطة الأذى عن الطريق، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً منها ما يقرب من شعبة الشهادتين، ومنها ما يقرب من شعبة إماطة الأذى"(١)

وقال ابن سعدي–رحمة الله–«ت: ١٣٧ هـ» –بعد ذكره لحديث أبي هريرة–: "وهذا صريح في أن الإيمان يزيد وينقص بحسب زيادة هذه الشرائع والشعب، واتصاف العبد بها أو عدمه، ومن المعلوم أن الناس يتفاوتون فيها تفاوتًا كثيرًا، فمن زعم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص فقد خالف الحس، مع مخالفته لنصوص الشرع كما ترى"(٢)

● حديث **أنس بن مالك–رضي الله عنه–«ت: ٩٠ وقيل ٩٣ هـ»**، قال: قال رسول الله–ﷺ–: **«لا إيمان لمن لا أمانة له»**.(٣)

فهذا الحديث دليل على أن من لا أمانة له، فقد نقص فيه شيء من واجبات هذا الدين، فيذهب عنه كمال الإيمان الواجب وتمامه، ويكون بذلك مؤمناً ناقص الإيمان.(٤)

يوضح الاستدلال بهذا الحديث ويبينه ما جاء **عن عروة بن الزبير–رحمه الله–«ت: ٩٤ هـ»**، أنه قال: "ما نقصت أمانة عبد قط إلا نقص إيمانه"(٥)، فنقص الأمانة في العبد دليل على نقص الإيمان وضعفه فيه

● ولهذا لما سئل الإمام أحمد–رحمه الله–«ت: ٢٤١ هـ» مرة عن نقصان الإيمان احتج بهذا، قال الفضل بن زياد سمعت أبا عبد الله وسئل عن نقص الإيمان فقال: حدثنا وكيع عن

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز «ص: ٣٢٢».

(٢) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان «ص: ١٤».

(٣) أخرجه أحمد في المسند «٣/ ١٣٥»، وابن أبي شيبة في مصنفه «١١/ ١١» وفي الإيمان «ص: ٥»، وابن حبان في صحيحه «١/ ٢٠٨ الإحسان»، والبغوي في شرح السنة «١/ ٧٥»؛ وقال البغوي: "هذا حديث حسن"؛ وصححه الألباني في تحقيقه للإيمان لابن أبي شيبة.

(٤) انظر الفتاوى «١١/ ٦٥٣».

(٥) رواه ابن أبي شيبة في المصنف «١١/ ١٢»، وفي الإيمان «ص: ٦»، وعبد الله في السنة «١/ ٣٦٨» والخلال في السنة «ق: ١٥٩/ ب» والآجري في الشريعة «ص: ١١٨» والبيهقي في الشعب «١/ ١٩٧»، وابن بطة في الإبانة «برقم:١١٤١».

سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه قال: "ما انتقصت أمانة رجل إلا نقص إيمانه"([١]).

- حديث **أبي سعيد الخدري**–رضي الله عنه–«**ت: ٧٤ هـ**»، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**».([٢])

فبين النبي–ﷺ–في هذا الحديث مراتب إنكار المنكر، وأنه حسب الاستطاعة فإما أن يغير باليد أو باللسان أو بالقلب، بمعنى يكرهه بقلبه، وهذه المراتب الثلاث للإنكار يقوم بها المكلف على قدر استطاعته، ولا شك أن المرتبة الأخيرة باستطاعة جميع المكلفين، فمن رأى المنكر ولم يكرهه بقلبه وهو يعلم أنه منكر فإن هذا يكون علامة على ضعف إيمانه.

وقد احتج بهذا الحديث على زيادة الإيمان ونقصانه وتفاضل أهله فيه النسائيُ–رحمه الله–«٣٠٣ هـ»، في سننه فبوب له بـ"باب تفاضل أهل الإيمان"([٣]).

وابن منده–رحمه الله–«ت: ٣٩٦ هـ» في كتابه الإيمان فقال: "ذكر خبر يدل على أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالأركان يزيد وينقص"([٤]) ثم ذكر حديث أبي سعيد–رضي الله عنه–.

وبوب له النووي في شرحه لمسلم بـــ "باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص..."([٥]).

ثانيًا: أقوال السلف الصالح في زيادة الإيمان ونقصانه([٦])

جاء عن السلف الصالح آثار كثيرة قرروا فيها ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله–ﷺ–من حجج ودلالات على زيادة الإيمان ونقصانه، فبينوا رحمهم الله أن الإيمان قول وعمل، يزيد

---

(١) رواه الخلال في السنة «برقم: ٧٨٩»، والآجري في الشريعة «ص: ١١٨»، وابن بطة في الإبانة «برقم: ١١٤٨».

(٢) رواه مسلم «٢/ ٢٢ نووي».

(٣) سنن النسائي «٨/ ١١».

(٤) الإيمان لابن منده «٢/ ٣٤١».

(٥) شرح صحيح مسلم للنووي «٢/ ٢١» وانظر مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية «٣/ ٣٤٣».

(٦) المصدر: ت: كتاب زيادة الإيمان ونقصانه «ص: ١٠٦ ـ ١٠٧».

وينقص، يزيد بالطاعة وكثرة العبادة والمداومة عليها، وينقص باللهو والغفلة والمعصية والتقصير في فعل الطاعة، بل لقد حكى إجماعهم واتفاقهم على ذلك غير واحد من أهل العلم.

عن عمير بن حبيب الخطمي–رضـــي الله عنه–قال: "الإيمان يزيد وينقص، فقيل: وما زيادته ونقصـــانه؟ قال: إذا ذكرنا الله عز وجل وحمدناه وســـبحناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا، فذلك نقصانه"([١])

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "وأقدم من روي عنه زيادة الإيمان ونقصانه من الصحابة عمير بن حبيب الخطمي"([٢])

وعن أبي الدرداء عويمر الأنصـاري–رضـي الله عنه–«ت: ٣٢ هـ»، أنه قال: "الإيمان يزداد وينقص"([٣])

وروي عنه رضـــي الله عنه أنه قال: "من فقه العبد أن يعلم أمزداد هو أو منتقص، وإن من فقه العبد أن يعلم نزغات الشيطان أنى تأتيه"([٤])

وعن علقمـة بن قيس النخعي–رحمـه الله–«ت: ٦٢ هـ»، أنـه كـان يقول لأصحابه: "امشوا بنا نزدد إيمانا"([٥])

١٢ – وكتب عمر بن عبد العزيز –رحمه الله–«ت: ١٠١ هـ»، إلى عدي بن عدي–رحمه الله–«ت: ١٢٠ هـ»، –أحد عماله على الجزيرة–: "أما بعد: فإن للإيمان حدودًا وشـــرائع وفرائض، من استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان".

---

(١) رواه عبدا لله بن أحمد في السنة «١/ ٣٣٠» «٦٨٠»، والآجري في الشريعة «ص: ١٠٨»، والخطابي في الغنية «ص: ٤٥»، وأبو أحمد الحاكم في شعار أصحاب الحديث «ص: ٨».

(٢) تهذيب السنن «٧/ ٥٦».

(٣) رواه ابن ماجه بعد حديث رقم: «٧٢»، والبيهقي في الشـعب «١/ ٧٦» «٥٤». وقال الألباني في ضـعيف سـنن ابن ماجه: ضعيف.

(٤) رواه ابن بطة في الإبانة «٢/ ٨٤٩» «١١٤٠»، وذكره شـيخ الإسـلام في كتاب الإيمان «ص: ٢١١». وإسـناده ضـعيف لإبهام شيخ حريز.

(٥) رواه ابن أبي شـــيبة «١١/ ٢٥» وفي الإيمان «ص: ٣٤» وأبو نعيم في الحلية «٢/ ٩٩» والبيهقي في شـعب الإيمان «١/ ٧٧» «٥٧». وحسن الألباني إسناده في الإيمان لابن أبي شيبة.

علقه البخاري-رحمه الله-«ت: ٢٥٦ هـ» في كتاب الإيمان من صحيحه [(١)]، وقال ابن حجر مبينا سبب ذكر البخاري له: "والغرض من هذا الأثر أن عمر بن عبد العزيز كان ممن يقول بأن الإيمان يزيد وينقص، حيث قال: استكمل ولم يستكمل" [(٢)].

قال الإمام الأوزاعي-رحمه الله-«ت: ١٥٧ هـ»: "الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص"[(٣)]

قال الإمام مالك-رحمه الله-«ت: ١٧٩ هـ»: "الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية"[(٤)]

قال يحيى بن سعيد القطان-رحمه الله-«ت: ١٩٨ هـ»: "ما أدركت أحداً من أصحابنا، إلا على سنتنا في الإيمان، ويقولون: الإيمان يزيد وينقص[(٥)].

قال الإمام الشافعي «ت: ٢٠٤ هـ»: "الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية"[(٦)]

وقال الإمام عبد الرزاق الصنعاني-رحمه الله-«ت: ٢١١ هـ»: "لقيت اثنين وستين شيخًا،... فذكر عددًا منهم ثم قال: كلهم يقولون: "الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص"[(٧)]

وقال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام-رحمه الله-«ت: ٢٢٤ هـ»: "هذه تسمية من كان يقول الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص،... فسمى أكثر من مائة وثلاثين رجلًا من أهل العلم من الصحابة وغيرهم.. ثم قال: هؤلاء كلهم يقولون الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص،

---

(١) البخاري معلقا بصيغة الجزم قبل حديث «٨»، ووصله ابن أبي شيبة «١١/ ٤٨»، وفي «الإيمان» «ص: ٤٥» والبيهقي في «شعب الإيمان» «١/ ١٩٧» والبغوي في «شرح السنة» «١/ ٤٠». قال ابن الملقن في شرح البخاري «٢/ ٤٤٠»: إسناده صحيح.

(٢) فتح الباري «١/ ٤٧»..

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، «٤/ ٧٥١».

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، «٩/ ٢٣٨».

(٥) رواه ابن هاني في مسائل الإمام أحمد «٢/ ١٦٢» وذكر نحوه الذهبي في السير «٩/ ١٧٩» في ترجمة يحيى بن سعيد.

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، «٤/ ٧٤٩».

(٧) رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد «٥/ ٩٥٨ ح: ١٧٣٧».

وهو قول أهل السنة، والمعمول به عندنا"((١))

قال الإمام أحمد بن حنبل–رحمه الله–«ت: ٢٤١ هـ»: "الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية"((٢)).

وقال إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل–رحمه الله–«ت: ٢٤١ هـ»: "أجمع سبعون رجلاً من التابعين وأئمة المسلمين وفقهاء الأمصار على أن السنة التي توفي عليها رسول الله ﷺ. فذكر أموراً منها: الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية"((٣))

وقال أمير المؤمنين في الحديث أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري–رحمه الله–«ت: ٢٥٦ هـ»: "لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدًا يختلف في أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص"((٤))

وقال الإمام البخاري–رحمه الله–«ت: ٢٥٦ هـ» في صحيحه: "الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص"((٥))

وقال عبد الله بن المبارك–رحمه الله–«ت: ١٨١ هـ»: "الإيمان قول وعمل، والإيمان يتفاضل"((٦))

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "وبعضهم أي: السلف عدل عن لفظ الزيادة والنقصان إلى لفظ التفاضل. فقال أقول: الإيمان يتفاضل ويتفاوت، ويروى هذا عن ابن المبارك، وكان مقصوده الإعراض عن لفظ وقع فيه النزاع إلى معنى لا ريب في ثبوته"((٧))

---

(١) رواه ابن بطة في الإبانة «٢/ ٨١٤ برقم: ١١١٧» وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الإيمان «ص: ٢٩٣-٢٩٥».

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، «٤/ ٧٥٠».

(٣) رواه ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد «ص: ٢٢٨» وابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة «١/ ١٣٠» بلفظ أجمع تسعون...إلخ.

(٤) ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح «١/ ٤٧»، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين «٢/ ٢٥٦» وعزواه للالكائي في السنة، وصححا إسناده، قلت: وهو في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي "المطبوع" «٥/ ٨٨٩ رقم: ١٥٩٧» بنحوه، وليس فيه "ويزيد وينقص"، فلعل هذه اللفظة سقطت من المطبوع، أو أن الحافظ والزبيدي اطلعا على نسخة اشتملت على ما حكياه.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه.

(٦) رواه عبد الله في السنة «١/ ٣١٦» «٦٣١»، واللالكائي في شرح الاعتقاد «٥/ ٩٦١» «١٧٤٦».

(٧) الفتاوى «٧/ ٥٠٦».

وعن **محمد بن أبان**–رحمه الله–«**ت: ٢٤٤ آو ٢٤٥ هـ**»، قال قلت **لعبد الرحمن بن مهدي**–رحمه الله–«**ت: ١٩٨ هـ**»: الإيمان قول وعمل؟ قال: نعم. قلت: يزيد وينقص؟ قال يتفاضل كلمة أحسن من كلمة"[(١)]

المسألة الرابعة: الأقوال المخالفة لقول أهل السنة والجماعة في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه.

أولًا: الأقوال في المسألة عمومًا

اختلف الناس في مسألة مسمى الإيمان:

فهناك من قال: "إن الإيمان قول واعتقاد وعمل يزيد وينقص"[(٢)] .

وهناك من قال: "إن الإيمان قول واعتقاد وعمل لكن لا يزيد ولا ينقص"[(٣)] .

وهناك من قال: "إن الإيمان هو المعرفة"[(٤)] .

وهناك من قال: "إن الإيمان قول اللسان"[(٥)] .

وهناك من قال: "إن الإيمان هو التصديق"[(٦)] .

وهناك من قال: "إن الإيمان هو التصديق والقول"[(٧)] .

هذه جملة أقوال، والمسألة تحتاج إلى شيءٍ من البيان والتوضيح والبسط.

ثانيًا: الأقوال المخالفة لقول أهل السنة والجماعة في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه.

---

(١) السنة «٣/ ٥٨٠» «١٠٠٥».

(٢) انظر كتاب الإيمان للقاسم بن سلام صفحة «١٠» و «٤٤».

(٣) انظر كتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع صفحة «٤٣»، وكتاب الملل والنحل، الجزء الأول، صفحة «١٤١».

(٤) انظر كتاب السنة لعبد الله بن أحمد الجزء الأول صفحة «٣٠٥».

(٥) انظر كتاب الإيمان لابن تيمية صـــــفحة «٣٠٣»، وكتاب الرَّوضُ البَاسِمْ في الذِّبِّ عَنْ سُنَّةِ أبي القَاسِم الجزء الأول، صفحة «٢٤٠».

(٦) انظر كتاب رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت صفحة «٢٧٣».

(٧) انظر كتاب الفقه الأكبر صفحة «٥٥»، وكتاب لوامع الأنوار البهية الجزء الأول، صفحة «٤١٦».

القول الأول: قول من قال الإيمان يزيد وتوقف في النقصان.

جاء عن **الإمام مالك-رحمه الله-«ت: ١٧٩ هـ»** في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه روايتان، قال في إحداهما: إن الإيمان يزيد أما النقصان فتوقف فيه وطلب من السائل أن يكف عن السؤال عنه، لأنه لم يجد عليه دليلاً من كتاب الله.

أما الرواية الأخرى: فقد جاءت عنه من طرق متعددة صحيحة، قال فيها: إن الإيمان يزيد وينقص، كقول أهل السنة والجماعة سواء([١]).

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "وكان بعض الفقهاء من أتباع التابعين لم يوافقوا في إطلاق النقصان عليه. لأنهم وجدوا ذكر الزيادة في القران، ولم يجدوا ذكر النقص، وهذا إحدى الروايتين عن مالك"([٢])

القول الثاني: قول من قال الإيمان يزيد ولا ينقص.

وهذا قول طائفة من الأشاعرة، رواية **عن أبي حنيفة-رحمه الله-«ت: ١٥٠ هـ»**، والغسانية، النجارية، الإباضية.

أما قول الطائفة من الأشاعرة: فقد أشار إليه البغدادي في "أصول الدين" فقال: "وأما من قال: إنه التصديق ([٣]) بالقلب فقد منعوا من النقصان فيه، واختلفوا في زيادته فمنهم من منعها ومنهم من أجازها"([٤])

وأما الرواية عن أبي حنيفة-رحمه الله-«ت: ١٥٠ هـ»: أن الإيمان يزيد ولا ينقص، فقد ذكرها غير واحد ممن كتب في المقالات، من طريق غسان وغيره عن أبي حنيفة-رحمه الله-.

قال الأشعري-رحمه الله-«ت: ٣٢٤ هـ»: "فأما غسان وأكثر أصحاب أبي حنيفة فإنهم يحكون عن أسلافهم أن الإيمان هو الإقرار والمحبة لله والتعظيم له والهيبة منه وترك

---

(١) انظر: كتاب زيادة الإيمان ونقصانه «ص: ٢٧٧-٢٩٠» وقد ناقش هذا القول بالتفصيل.

(٢) الفتاوى «٧/ ٥٠٦».

(٣) القول بأن الإيمان هو التصديق هو قول الأشاعرة.

(٤) أصول الدين «ص: ٢٥٢».

الاستخفاف بحقه وأنه يزيد ولا ينقص"[(١)].

وقال الزبيدي-رحمه الله-«ت: ١٢٠٥ هـ»: "وحكى غسان وجماعة من أصحاب أبي حنيفة أنه يزيد ولا ينقص"[(٢)]

وأما الغسانية: فقد ذكر **البغدادي-رحمه الله-«ت: ٤٢٩ هـ»** عن الغسانية، وهم أتباع غسان المرجئ أن من أقوالهم إن الإيمان يزيد ولا ينقص، ثم قال: "وزعم غسان هذا في كتابه أن قوله في هذا الكتاب كقول أبي حنيفة"[(٣)]

وأما النجارية: فلهم أصول باطلة جانبوا فيها الحق وفارقوه منها: قولهم إن الإيمان يزيد ولا ينقص، وقد حكى ذلك عنهم غير واحد ممن كتب في مقالات الفرق كالأشعري والإسفراييني والبغدادي وغيرهم.[(٤)]

وأما الأباضيه: فقد ذكر أبو محمد عبد الله بن حميد السالمي «ت: ١٣٣٢ هـ» من الأباضية في كتابه مشارق أنوار العقول: "الإيمان بالمعنى الشرعي الذي هو أداء الواجبات مطلقاً ليس ينقص نظراً إلى إيمان كل مؤمن، فإنه في ذاته غير متفاوت بالنسبة إلى إيمان غيره"[(٥)]

القول الثالث: قول من قال الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

لقد قال بهذا القول طوائف كثيرة من أهل الكلام والإرجاء، والتجهم، وممن نسب له هذا القول:

أبو حنيفة وأصحابه:

لقد اشتهر عن الإمام أبي حنيفة-رحمه الله تعالى وغفر له-أنه يقول بأن الإيمان لا يزيد ولا

---

(١) مقالات الإسلاميين «ص: ١٣٩».

(٢) إتحاف السادة المتقين «٢/ ٢٥٦».

(٣) الفرق بين الفرق «ص: ٢٠٣». وانظر: انظر مقالات الإسلاميين للأشعري «ص: ١٣٩»، والتبصير في الدين للإسفراييني «ص: ٩٨»، والفرق بين الفرق للبغدادي «ص: ٢٠٣».

(٤) انظر مقالات الإسلاميين «ص: ١٣٦» والتبصير في الدين «ص: ١٠١»، والفرق بين الفرق «ص: ٢٠٨» والفتاوى لابن تيمية «٧/ ٥٤٦».

(٥) مشارق الأنوار «ص: ٣٥-٣٦».

ينقص، واستفاض هذا عنه، بحيث لا يدع مجالاً للشك أو التردد في نسبته إليه، ويمكن أن أبرز أهم الأسباب المؤكدة لصحة نسبة هذا القول إليه في النقاط التالية:

١-إن عامة كتب الفرق والمقالات تنسب هذا القول إليه، كالمقالات لأبي الحسن الأشعري، والفَرْق بين الفِرَق للبغدادي، والمِلَلْ والنِحَلْ للشهرستاني، وغيرها.[(١)]

٢-إن الكتب المؤلفة في العقيدة والمنسوبة إلى أبي حنيفة رحمه الله تذكر هذا القول، كالفقه الأكبر، وكتاب العالم والمتعلم، والوسيطين الصغير والكبير والوصية ورسالته إلى البتي.[(٢)]

وهذه الكتب إن لم يصح نسبتها جميعاً إليه، فلا بد أن يصح نسبة بعضها أو واحد منها على أقل تقدير إليه، وعلى كل إن لم يصح لا هذا ولا ذاك فإن هذه الكتب مطبوعة متداولة، وقد احتفى بها الأحناف شرحاً ونشراً ونقلاً، فهي عند عامتهم مسلم بما فيها، وقد شرح بعضها شروح مطولة عديدة، ونقل منها نقولٌ متكاثرة، واعتمد على ما فيها من عقائد.[(٣)]

وممن قال بهذا القول: الجهمية.

ومن مقولاتهم الفاسدة وآرائهم المنحرفة زعمهم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ولا يتفاضل أهله فيه.

قال الأشعري-رحمه الله-«ت: ٣٢٤ هـ»: "وزعمت الجهمية أن الإيمان لا يتبعض ولا يتفاضل أهله فيه"[(٤)]

وقال الشهرستاني-رحمه الله-«٥٤٨ هـ»: "قال أي الجهم: والإيمان لا يتبعض أي لا ينقسم إلى عقد وقول وعمل، قال: ولا يتفاضل أهله فيه، فإيمان الأنبياء وإيمان الأمة على نمط واحد، إذ المعارف لا تتفاضل"[(٥)]

وجهم وأتباعه إنما قالوا بهذا القول لأن الإيمان عندهم مجرد التصديق، فمن صدق بقلبه

---

(١) المقالات «ص: ١٣٩»، الفَرْق بين الفِرَق «ص: ٢٠٣»، ونقله عنه الزبيدي في الإتحاف «٢/ ٢٦٥»، الملل والنحل «١/ ١٤١».

(٢) انظر: فيض الباري للكشميري «١/ ٥٩».

(٣) انظر كتاب زيادة الإيمان ونقصانه «ص: ٣١٨-٣١٩».

(٤) المقالات «ص: ١٣٢».

(٥) الملل والنحل «١/ ٨٨».

فهو عندهم مؤمن كامل الإيمان وإن تكلم بالكفر، وسب الله ورسوله ﷺ وسخر بالدين، وأحل المحرمات، وفعل غير ذلك من الأمور التي هي كفر بواح.

والتصديق عندهم يتساوى فيه العباد، ولا يقبل الزيادة والنقصان فهو إما أن يعدم وإما أن يوجد، ولا يقبل التبعض، فإذا ذهب بعضه ذهب كله، ولا يتفاضل الناس فيه، فإيمان الملائكة والأنبياء والصديقين وإيمان فساق الأمة وأهل الخنا والفجور سواء"([١])

ومن قال بهذا القول: الخوارج والمعتزلة:

ذهبت الخوارج والمعتزلة مذهب أهل السنة والجماعة في تعريف الإيمان من حيث إنه شامل للأعمال والأقوال والاعتقادات، إلا أنهم فارقوا أهل السنة والجماعة بقولهم إن الإيمان كل واحد لا يتجزأ إذا ذهب بعضه ذهب كله، وأنه لا يقبل التبعض.

ومن هنا كان الإخلال بالأعمال وارتكاب الكبائر عندهم مخرجاً من الإيمان كلية، على خلاف بينهم في تسميته كافراً، فالخوارج قطعوا بكفره، ونازعهم المعتزلة في الاسم وقالوا نحن لا نسميه مؤمناً ولا كافراً، وإنما هو في منزلة بين المنزلتين أي: بين منزلة الإيمان والكفر، وإن كانوا قد اتفقوا جميعاً أنه يوم القيامة خالد مخلد في نار جهنم.([٢])

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "قالت الخوارج والمعتزلة قد علمنا يقينًا أن الأعمال من الإيمان فمن تركها فقد ترك بعض الإيمان، وإذا زال بعضه زال جميعه؛ لأن الإيمان لا يتبعض ولا يكون في العبد إيمان ونفاق، فيكون أصحاب الذنوب مخلدين في النار إذ كان ليس معهم من الإيمان شيء"([٣])

وأصل غلط هؤلاء ومنشأ ضلالهم كما **قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»**: "أنهم ظنوا أن الشخص الواحد لا يكون مستحقًا للثواب والعقاب والوعد والوعيد والحمد والذم، بل إما لهذا وإما لهذا فأحبطوا جميع حسناته بالكبيرة التي فعلها، وقالوا: "الإيمان هو الطاعة فيزول بزوال بعض الطاعة، ثم تنازعوا هل يخلفه الكفر على القولين ووافقتهم المرجئة

(١) انظر: مجموع الفتاوى «٧/ ٥٨٢».

(٢) انظر الفتاوى «٧/ ٢٢٣، ٢٥٧» وشرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية «ص: ١٣٧».

(٣) الفتاوى «١٣/ ٤٨».

والجهمية على أن الإيمان يزول كله بزوال شيء منه، وأنه لا يتبعض ولا يتفاضل فلا يزيد ولا ينقص وقالوا إن إيمان الفساق كإيمان الأنبياء والمؤمنين"(١)

فهذه الشبهة هي التي أفسدت على هؤلاء قولهم، بل وعلى جميع المرجئة، كما قال شيخ الإسلام: "وإنما أوقع هؤلاء كلهم أي المرجئة بأقسامهم-ما أوقع الخوارج والمعتزلة في ظنهم أن الإيمان لا يتبعض، بل إذا ذهب بعضه ذهب كله، ومذهب أهل السنة والجماعة أنه يتبعض وأنه ينقص ولا يزول جميعه"(٢)

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "وجماع شبهتهم في ذلك أن الحقيقة المركبة تزول بزوال بعض أجزائها كالعشرة فإنه إذا زال بعضها لم تبق عشرة، وكذلك الأجسام كالسكنجبين(٣) إذا زال أحد جزئيه خرج عن كونه سكنجبين، قالوا فإذا كان الإيمان مركبًا من أقوال وأعمال ظاهرة وباطنة لزم زواله بزوال بعضها"(٤)

ومِمن قال بهذا القول: الأشاعرة والماتريدية:

لقد ذهب جمهور الأشاعرة وجميع الماتريدية إلى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، لشبه عقلية وأدلة نظرية، وذهب بعض الأشاعرة إلى أن الإيمان يزيد وينقص"(٥)

قال الزبيدي-رحمه الله-«ت: ١٢٠٥ هـ»: "وقال أبو حنيفة وأصحابه لا يزيد الإيمان ولا ينقص واختاره أبو منصور الماتريدي ومن الأشاعرة إمام الحرمين وجمع كثير"(٦)

وقال ابن أبي شريف الحنفي-رحمه الله-«ت: ٩٠٦ هـ»: "وهذا القول-أي أن الإيمان

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية «ص: ١٣٧، ١٣٨»، وانظر الفتاوى «٧/ ٤٠٤».

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية «ص: ١٤٣، ١٤٤».

(٣) السكنجبين: شراب مركب من حامض وحلوا-معرب-فارسيته: سركا انكبين انظر المعجم الوسيط «١/ ٤٤٠».

(٤) مجموع الفتاوى «٧/ ٥١١».

(٥) انظر شرح مسلم للنووي «١/ ١٤٨»، وفتح الباري لابن حجر «١/ ٤٦»، وعمدة القاري للعيني «١/ ١٣٦» وتحفة القاري "للكاندهلوي" «ص: ٤٤» مجموع "شروح البخاري" «١/ ١١٢»، النبراس شرح العقائد «ص: ٤٠٢»، المسامرة شرح المسايرة «ص: ٣٦٧»، أصول الدين للبغدادي «ص: ٢٥٢»، وأصول الدين للبزدوي «ص: ١٥٣»، والاقتصاد للغزالي «ص: ٢٠٨»، والمواقف للإيجي «ص: ٣٨٨»، والإنصاف للباقلاني «ص: ٨٦»، والإرشاد للجويني «ص: ٣٣٥» وغيرها.

(٦) إتحاف السادة المتقين «٢/ ٢٥٦».

لا يزيد ولا ينقص-اختاره من الأشـــاعرة أمام الحرمين وجمع كثير، وذهب عامتهم أي أكثر الأشاعرة إلى زيادته ونقصانه"(1)

وقال الفرهاري-رحمه الله-«ت: ١٢٣٩ هـ»: "مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله والمتكلمين من أهل السنة أنه لا يزيد ولا ينقص"(2).

فالماتريدية لهم قول واحد في المســألة وهو أن الإيمان غير قابل للزيادة والنقصـــان، وأما الأشـــاعرة فلهم في المســألة قولان: فجمهورهم على أنه لا يقبل الزيادة والنقصــان، وذهب بعضهم إلى أنه يقبلهما، والأشاعرة يعرفون الإيمان بأنه التصديق وحده، فلا يدخل فيه القول والعمل، فبحثهم هنا هو في التصديق هل يقبل الزيادة والنقصان أو لا؟

فالذين قالوا لا يزيد ولا ينقص فبناء على أن الإيمان هو التصـــديق اليقيني الغير قابل للتفاوت، فإن نقص فنقصه شك وكفر، ولشبه أخرى.

ومن قال منهم يزيد وينقص فللقطع بأن تصـــديق آحاد الأمة ليس كتصـــديق النبي ﷺ، واختاره النووي وعزاه التفتازاني في شرح العقائد لبعض المحققين وقال في المواقف إنه الحق(3)

المسألة الخامسة: ثمرة الخلاف في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه.

فمســـائل الأسماء لها تناول معين لدى الفرق، ومســـائل الأحكام لها تناول معين لدى الفرق، وهذه مسائل يطول شرحها لكن لعل ما أشرنا إليه يُبين ما مدى صفاء عقيدة أهل الســـنة وأن والإيمان عندهم قولٌ واعتقادٌ وعمل يزيد وينقص، زيادته بالطاعات ونقصـــانه بالمعاصي.

وزيادة الإيمان ونقصـــانه أمر يراه الإنســـان من نفســـه، فقد يكون حاله اليوم من الإيمان أحســـن من حاله في الأمس، أو قد يكون حاله في الأمس أحســـن من حاله في هذا اليوم، فالإيمان فيه زيادة ونقص، فيزيد إلى ما شـــاء الله، وينقص أحياناً حتى يزول هذا الإيمان ولا يبقى منه شيء، ويُصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافرا.

---

(1) المسامرة «ص: ٣٦٧».

(2) النبراس شرح العقائد «ص: ٤٠٢».

(3) انظر شرح مسلم للنووي «١/ ١٤٢» وشرح العقائد النسفية للتفتازاني «ص: ١٢٦» والمواقف للأيجي «ص: ٣٨٨» وانظر إرشاد الساري للقسطلاني «١/ ١١٢» ضمن مجموع شروح البخاري.

والقول إن الإيمان يزيد وينقص في اعتقاد أهل السنة والجماعة، يترتب عليه أمور كثيرة في مسائل الأحكام، فهذه المسألة مرتبطة بمسألتين:

الأولى: حكم مرتكب الكبيرة.

فالقول بزيادة الإيمان ونقصانه له تعلق بمسألة حكم مرتكب الكبيرة، فأهل السنة لا يرون تكفير مرتكب الكبيرة دون الشرك الأكبر، ويقولون إن صاحب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بمعصيته فلا يسلبون عنه اسم الإيمان بالكلية.

والمسألة الثانية: مسألة مراتب الدين.

أي ما يتعلق بدخول الإنسان إلى هذا الدين متى ينتقل في مراتب الدين؛ لأن مراتب الدين ثلاثة: الإسلام، الإيمان، الإحسان، فهي عبارة عن ثلاث دوائر أول دائرة فيه هي الإسلام، ثم هناك دائرة أضيق منها هي الإيمان، ويعني هذا الضيق أن من هو مؤمن هو مسلم، ولكن ليس بالضرورة من كان مسلماً أن يكون مؤمنا، ثم تأتي الدائرة الأضيق هي دائرة الإحسان؛ لأن الإحسان فحواه ومعناه أن تُتقن الظاهر والباطن.

فعندما أقول أحسنت بمعنى أتقنت فالإحسان إتقان الظاهر والباطن، فإذا أُتقن الظاهر والباطن فهذه مرتبة عليا، فكل مسلم مؤمن مسلم، ولكن ليس كل مؤمن محسن، قد يكون محسن وقد لا يكون محسنا، فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة في هذه المسألة.

كما أنه مرتبط بتفاضل الناس في إيمانهم وتفاضل درجاتهم في الآخرة إلى غير ذلك من المسائل ذات الصلة.



لا يخرج المؤمن من الإيمان بذنب

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: أقسام الذنوب

المسألة الثانية: الفرق بين الصغائر والكبائر.

المسألة الثالثة: هل للكبائر عدد يحصرها.



وقول المصنف: «ولا يخرجون بالذنوب من الإيمان، ولا يكفرون بركوب معصية ولا عصيان»

وفيه مسائل

المسألة الأولى: أقسام الذنوب.[(١)]

القول الأول: أن الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر وأدلته:

ذهب جمهور العلماء إلى تقسيم المعاصي إلى صغائر وكبائر، بل إن الصغائر والكبائر تتفاوت مراتبها في ذاتها، فهناك كبائر، وهناك أكبر الكبائر، وهناك صغيرة أدنى من صغيرة أخرى وهكذا بحسب تفاوت مفاسدها، قال ابن حجر -رحمه الله-«ت: ٨٥٢ هـ»: "ثُمَّ إِنَّ مَرَاتِبَ كُلٍّ مِنَ الصَّغَائِرِ وَالْكَبَائِرِ مُخْتَلِفٌ بِحَسَبِ تَفَاوُتِ مَفَاسِدِهَا"[(٢)]

وحكى الإمام ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ» الإجماع على ذلك حيث قال: "والذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر بنص القرآن والسنة وإجماع السلف وبالاعتبار"[(٣)]

وقال الإمام النووي-رحمه الله-«ت: ٦٧٦ هـ»: "... وذهب الجماهير من السلف، والخلف من جميع الطوائف إلى انقسام المعاصي إلى صغائر وكبائر، وهو مروي عن ابن عباس-رضي الله عنهما-، وقد تظاهر على ذلك دلائل من الكتاب والسنة واستعمال سلف الأمة وخلفها"[(٤)]

أولًا: أدلة الكتاب.

١ - قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا

---

(١) المصدر: إيقاظ الضمائر للتفريق بين الصغائر والكبائر، تأليف: علي ونيس.

(٢) فتح الباري «٥/ ٢٦٣»؛ لابن حجر.

(٣) مدارج السالكين «١/ ٣٤٢»، وانظر: الجواب الكافي «ص: ١٨٦».

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي «٢/ ٨٥».

كَرِيمًا﴾ [النساء: الآية: ٣١]،

وجه الدلالة: تدل هذه الآية بمقتضى المقابلة أن من الذنوب صغائر وكبائر، وأن اجتناب الكبائر مكفر للصغائر التي سميت في الآية سيئات، ولا شك في أن تسميتها بذلك يعطيها وصف الذنب

وحقيقته، فتكفر السيئات المشروط باجتناب كبائر ما نُهُو عنه يقتضي أنها ليست من الكبائر، وقد سماها الله تعالى سيئات، فهي ذنوب وليست بكبائر قطعاً.

قال صاحب تهذيب الفروق عقب هذه الآية: "فيها صراحة في انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر"[(١)]

وقد ورد هذا التفسير عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فيما ذكره السيوطي -رحمه الله- «ت: ٩١١ هـ» إذ يقول: "أخرج النسائي -رحمه الله- «ت: ٣٠٣ هـ»، وابن ماجه -رحمه الله- «ت: ٢٧٣ هـ»، وابن جرير -رحمه الله- «ت: ٣١٠ هـ»، وابن خزيمة -رحمه الله- «ت: ٣١١ هـ»، وابن حبان -رحمه الله- «ت: ٣٥٤ هـ»، والحاكم -رحمه الله- «ت: ٤٠٥ هـ» وصححه، والبيهقي -رحمه الله- «ت: ٤٥٨ هـ» في سننه عن أبي هريرة «ت: ٥٧ هـ» وأبي سعيد «ت: ٧٤ هـ» -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- جلس على المنبر ثم قال: «والذي نفسي بيده ما من عبد يصلي الصلوات الخمس، ويصوم رمضان، ويؤدي الزكاة، ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يوم القيامة حتى أنها لتصطفق»[(٢)]، ثم تلا: ﴿إن تجتنبوا كَبَائِر مَا تنهون عَنهُ﴾.[(٣)]

---

(١) تهذيب الفروق «١/ ١٣٤»؛ لمحمد علي بن حسين المكي المالكي.

(٢) . أي: تتحرك وتضطرب، كناية عن شدة التزاحم عليها. وصفق الْبَاب مصراعه وَهُوَ الْآن «الدرفة» يُقَال بَابه صفقٌ وَاحِد أَو صفقان مصراعان يضم أَحدهمَا إِلَى الآخر ليغلق. ينظر: المعجم الوسيط، مادة: صفق.

(٣) الدر المنثور «٢/ ٤٩٨»؛ للسيوطي، وقال الأعظمي في تحقيقه لصحيح ابن خزيمة في الحديث رقم: «٣١٥»: "إسناده ضعيف صهيب تفرد نعيم المجمر بالرواية عنه مقبول من الرابعة"، وضعفه الألباني في "صحيح ابن خزيمة" برقم: «١٧٤٨»، وصححه الحاكم في الحديث رقم «٧١٩»، «٢٩٤٣»، ووافقه الذهبي.

فهذا تفسير منه -صلى الله عليه وسلم- للآية الكريمة وتبيين للمراد منها من أن من الذنوب صغائر يكفرها الله تعالى باجتناب الكبائر وليس بعد تفسير رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تفسير، ولا بعد قوله قول لقائل".

وقال القرطبي-رحمه الله-«ت: ٦٧١ هـ»: "لما نهى تعالى في هذه السورة عن آثام هي كبائر وعد على اجتنابها التخفيف من الصغائر، دل هذا على أن في الذنوب كبائر وصغائر وعلى هذا جماعة أهل التأويل وجماعة الفقهاء"((١))

وقال ابن كثير-رحمه الله-«ت: ٧٧٤ هـ»: "إذا اجتنبتم كبائر الآثام التي نُهيتم عنها كفرنا عنكم صغائر الذنوب، وأدخلناكم الجنة"((٢))

وقال الإمام الشوكاني-رحمه الله-«ت: ١٢٥٠ هـ» في الآية: "أي إن تجتبوا كبائر الذنوب التي نهاكم الله عنها نكفر عنكم سيئاتكم أي ذنوبكم التي هي صغائر، وحمل السيئات على الصغائر هنا متعين لذكر الكبائر قبلها وجعل اجتنابها شرطاً لتكفير السيئات"((٣))

٢-قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى «٣١» الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى «٣٢»﴾ [النجم: ٣١ - ٣٢].

وجه الدلالة: تدل هذه الآية بمقتضى بيان قوله: ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ في الآية قبلها على أن المحسنين بأعمالهم من المكلفين هم ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ فاستثناء اللمم من كبائر الإثم والفواحش يدل بمقتضى قاعدة الاستثناء -وهي أنه يخرج من سابقه ما لولاه لدخل فيه-على أن اللمم ليس من كبائر الإثم والفواحش، فهو من

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي «٥/ ١٥٨».

(٢) تفسير ابن كثير «٢/ ٢٧١».

(٣) فتح القدير «١/ ٤٥٧، ٤٥٨».

الصغائر، وقد جاء تفسيره بذلك عن ابن عباس فيما رواه البخاري.

وقد نبه الله تعالى في هذه الآية الكريمة بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِــعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ على أن إخراج اللمم واستثناءه من حكم المؤاخذة ليس لخلوه من الذنب فِي نفسه، بل لسعة المغفرة الربانية وفي عطف الفواحش هنا على كبائر الإثم ما في نظيره في آية الشورى.

على أن العلماء اختلفوا في المقصود باللمم على قولين مشهورين، قال الإمام ابن القيم –رحمه الله–: "فأما اللمم فقد روي عن جماعة من السلف: أنه الإلمام بالذنب مرة، ثم لا يعود إليه، وإن كان كبيرًا: قال البغوي –رحمه الله– «ت: ٣١٧ هـ» [(١)]: هذا قول أبي هريرة –رضي الله عنه– «ت: ٥٧ هـ»، ومجاهد –رحمه الله– «ت: ١٠٤ هـ»، والحسن –رحمه الله– «ت: ١١٠ هـ»، ورواية عطاء –رحمه الله– «ت: ١١٤ هـ» عن ابن عباس –رضي الله عنهما– «ت: ٦٨ هـ». والجمهور على أن اللمم ما دون الكبائر، وهو أصح الروايتين عن ابن عباس –رضي الله عنهما– «ت: ٦٨ هـ»، كما في «صحيح البخاري». [(٢)]، من حديث طاووس –رحمه الله– «ت: ١٠٦ هـ» عنه قال: ما رأيت أشبه باللمم مما قاله أبو هريرة –رضي الله عنه– «ت: ٥٧ هـ» عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه» "إلى أن قال رحمه الله: "والصحيح: قول الجمهور: أن اللمم صغائر الذنوب، كالنظرة، والغمزة، والقبلة، ونحو ذلك. هذا قول جمهور الصحابة ومن بعدهم، وهو قول أبي هريرة –رضي الله عنه– «ت: ٥٧ هـ»، وعبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– «ت: ٣٢ هـ»، وابن عباس –رضي الله عنهما– «ت: ٦٨ هـ»، ومسروق –رحمه الله– «ت: ٦٢ أو ٦٣ هـ»، والشعبي –رحمه الله– «ت: ١٠٣ هـ»، ولا ينافي هذا قول أبي هريرة –رضي الله عنه– «ت: ٥٧ هـ»، وابن عباس –رضي الله عنهما– «ت: ٦٨ هـ» في الرواية الأخرى: «إنه يلم بالكبيرة ثم لا

(١) تفسير البغوي «٤/ ٣١١».

(٢) رواه البخاري «٦٢٤٣».

يعود إليها» فإن «اللمم» إما أنه يتناول هذا وهذا ويكون على وجهين، كما قال الكلبي، أو أن أبا هريرة وابن عباس ألحقا من ارتكب الكبيرة مرة واحدة–ولم يصر عليها، بل حصلت منه فلتة في عمره–باللمم، ورأيا أنها إنما تتغلظ وتكبر وتعظم في حق من تكررت منه مراراً عديدة، وهذا من فقه الصحابة – رضي الله عنهم – وغور [(١)] علومهم، ولا ريب أن الله يسامح عبده المرة والمرتين والثلاث، وإنما يخاف العنت على من اتخذ الذنوب عادته، وتكرر منه مراراً عديدة "[(٢)]

٣ ـــ قوله عز وجل: ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: الآية: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ [القمر: الآية: ٥٣]. [(٣)]

٤ ـ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: الآية: ٧].

وجه الدلالة: "جَعَلَ الْفُسُوقَ وَهُوَ الْكَبَائِرُ تَلِي رُتْبَةَ الْكُفْرِ، وَجَعَلَ الصَّغَائِرَ «العصيان» تَلِي رُتْبَةَ الْكَبِيرَةِ"[(٤)]

قال الرازي–رحمه الله–«ت: ٦٠٦ هـ»: "وَهَذَا صَرِيحٌ فِي أَنَّ الْمَنْهِيَّاتِ أَقْسَامٌ ثَلَاثَةٌ: أَوَّلُهَا: الْكُفْرُ، وَثَانِيهَا: الْفُسُوقُ. وَثَالِثُهَا: الْعِصْيَانُ، فَلَا بُدَّ مِنْ فَرْقٍ بَيْنَ الْفُسُوقِ وَبَيْنَ الْعِصْيَانِ لِيَصِحَّ العطف، وما ذلك إِلَّا لِمَا ذَكَرْنَا مِنَ الْفَرْقِ بَيْنَ الصَّغَائِرِ وَبَيْنَ الْكَبَائِرِ، فَالْكَبَائِرُ هِيَ الْفُسُوقُ، وَالصَّغَائِرُ هِيَ الْعِصْيَانُ"[(٥)]

---

(١) أي: عمق علمهم، فغور كل شيء: قعره. يقال: فلانٌ بعيد الغَوْرِ. ينظر "الصحاح" للجوهري مادة: غور. وهو كناية عن الفهم الذي يبعد عن أكثر الناس، ولا يصل إليه إلا من اجتهد فصار بينه وبين غيره من الكسالى بون شاسع في العلم، فكأن ما علمه المجتهد في العلم في عمق لا يمكن الوصول إليه بسهولة كالماء في قعر البئر العميق.

(٢) مدارج السالكين «١/ ٣٤٣–٣٤٥»، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير «٤/ ٢٥٥، ٢٥٦».

(٣) ذكر ابن تيمية في مجموع الفتاوى «١١/ ٦٥٩» هذه الآية والتي قبلها مستدلًا بهما على هذا التقسيم للذنوب.

(٤) البحر المحيط «٦/ ١٥٢، ١٥٣»؛ للزركشي.

(٥) مفاتيح الغيب للفخر الرازي «١٠/ ٦٠».

ثانيا: الأدلة من السنة.

١ ــــ ما جاء عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من أن بعض أعمال البر والصلاة تكفر الذنوب ما اجتنبت الكبائر، ومنها قوله–صلى الله عليه وسلم–: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر». [(١)]

قال النووي–رحمه الله–«ت: ٦٧٦ هـ»: "وتنقسم –أي المعاصي– باعتبار ذلك إلى ما تكفره الصلوات الخمس، أو صوم رمضان، أو الحج، أو العمرة، أو الوضوء، أو صوم عرفة، أو صوم عاشوراء، أو فعل الحسنة، أو غير ذلك مما جاءت به الأحاديث الصحيحة، وإلى ما لا يكفره ذلك كما ثبت في الصحيح ما لم يغش كبيرة فسمى الشرع ما تكفره الصلاة ونحوها صغائر ومالا تكفره كبائر"[(٢)]

ومما جاء عن النبي–صلى الله عليه وسلم–في معنى هذا الحديث قوله–صلى الله عليه وسلم–: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة وذلك الدهر كله». [(٣)]

وعن أبي هريرة–رضي الله عنه–«ت: ٥٧ هـ»، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر». [(٤)].

٢ ــــ الأحاديث التي خص فيها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الكبائر وأكبر الكبائر بالذكر. [(٥)] ومنها: قوله–صلى الله عليه وسلم–: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ...».

---

(١) رواه مسلم برقم «٢٣٣». من حديث أبي هريرة–رضي الله عنه–.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي «٢/ ٨٥».

(٣) رواه مسلم «٢٢٨». من حديث عثمان–رضي الله عنه–.

(٤) رواه مسلم: «٢٣٣».

(٥) إرشاد الفحول «١/ ١٤٥»؛ للشوكاني.

وعن أنس بن مالك-رضـــي الله عنه-«ت: قيل ٩٠ أو ٩١ أو ٩٣ هـ»، قال: "ذكر رسول الله-صلى الله عليه وسلم-الكبائر-أو سئل عن الكبائر-فقال: «الشرك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين»، فقال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟»، قال: «قول الزور -أو قال: شهادة الزور»، قال شعبة-رحمه الله-«ت: ١٦٠ هـ»: وأكثر ظني أنه قال: «شهادة الزور». [(١)]

وعن عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما-«ت: ٦٥ هـ»، قال قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه. قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه». [(٢)]

وغير ذلك من الأحاديث.

قال ابن حجر الهيتمي-رحمه الله-«ت: ٩٧٤ هـ» بعد سرد مجموعة من هذه الأحاديث: "فخص الكبائر ببعض الذنوب، ولو كانت الذنوب كلها كبائر لم يسغ ذلك"[(٣)]

٣ ــ أن بعض الأحاديث ذكر فيها عدد من الذنوب سماها النبي -صلى الله عليه وسلم- كبائر جوابًا عن سؤال سائل من أصحابه الكرام-رضي الله عنهم-.

ومنها ما رواه البخاري ومسلم -واللفظ للبخاري- عن أنس بن مالك-رضـي الله عنه- «ت: قيل ٩٠ أو ٩١ أو ٩٣ هـ»، قال: "سئل النبي-صلى الله عليه وسلم-عن الكبائر فقال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس وشهادة الزور».

ثالثًا: ما ورد في الآثار.

ورد عن الصحابة والتابعين آثار كثيرة تفوق الحصر، ومن أمثلة ما ورد عنهم في ذلك:

عن أنس بن مالك-رضـي الله عنه-«ت: قيل ٩٠ أو ٩١ أو ٩٣ هـ»: "لم أر مثل الّذي

---

(١) صحيح البخاري «٥٩٧٧».

(٢) صحيح البخاري «٥٩٧٣».

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر «ص: ٥».

بلغنا عن ربّنا لم نخرج له، عن كلّ أهلٍ ومالٍ أن تجاوز لنا عمّا دون الكبائر فما لنا ولها، قول الله: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾"[(١)]

وعن علي–رضـــي الله عنه–«ت: ٤٠ هـ»، قال: "الكبائر الإشـــراك بالله، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، والتعرب بعد الهجرة، والسحر، وعقوق الوالدين، وأكل الربا، وفراق الجماعة، ونكث الصفقة"

وعن ابن مسـعود–رضـي الله عنه–«ت: ٣٢ هـ»، قال: "الكبائر الإشـراك بالله، والقنوط من رحمة الله، والإياس من روح الله، والأمن من مكر الله"[(٢)]

وعن ابن مسعود–رضي الله عنه–«ت: ٣٢ هـ»، قال: "أكبر الكبائر الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله"[(٣)]

عن عبد الله بن طاوس–رحمه الله–«ت: ١٣٢ هـ» عن أبيه–رحمه الله–«ت: ١٠٦ هـ»، قال: قيل لابن عباس الكبائر سبع قال: "هي إلى السبعين أقرب"[(٤)].

عَبْدُ اللهِ بنُ وَهْبٍ المِصْرِيُّ–رحمه الله–«ت: ١٩٧ هـــ»: "وقال عبد الله بن عياش–رحمه الله–«ت: ١٧٠ هـ»: وقال زيد بن أســـلم–رحمه الله–«ت: ١٣٦ هـ»، في قول الله: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَـــيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾، فمن الكبائر: الشرك، والكفر بآيات الله ورسله، والسحر، وقتل الأولاد، ومن دعا لله ولدا أو صاحبة، ومثل ذلك من الأعمال، والقول الذي لا يصلح معه عملٌ"[(٥)]

عن الحسـن–رحمه الله–«ت: ١١٠ هـ» في قوله تعالى ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾:

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة «١٩/ ٢٣٦». كشف الأستار عن زوائد البزار: «٣/ ٤٤».

(٢) تفسير الطبري «تفسير سورة النساء: الآية: ٣١».

(٣) تفسير عبد الرزاق: «١/ ١٥٥».

(٤) تفسير عبد الرزاق: «١/ ١٥٥».

(٥) الجامع في علوم القرآن: «١/ ٥٨».

"الكبائر الإشـــراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وأكل الربا وقذف المحصـــنة وأكل مال اليتيم واليمين الفاجرة والفرار من الزحف"[(١)]

والذنوب تتفاوت مفاسدها، وإذا تفاوتت مفاسدها تفاوتت مراتبها؛ فيكون منها صغائر وكبائر، قال الطوفي: "وَإِنَّمَا انْقَسَمَتِ الْأَفْعَالُ إِلَى صَغَائِرَ وَكَبَائِرَ بِاعْتِبَارِ اشْتِمَالِهَا عَلَى مَفَاسِدَ صَغَائِرَ وَكَبَائِرَ"[(٢)]

القول الثاني: إنكار تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر.

أولًا: القائلين به:

ذهب بعض الأشـاعرة إلى إنكار تقسـيم الذنوب إلى صـغائر وكبائر، وقالوا: إن سـائر المعاصي كبائر، ومنهم أبو إسحاق الإسفرائيني-رحمه الله-«ت: ٤١٨ هـ»، والباقلاني-رحمه الله-«ت: ٤٠٣ هـ»، وإمام الحرمين-رحمه الله-«ت: ٤١٩ هـ»، وأبي نصـــر عبد الرحيم القشيري-رحمه الله-«ت: ٥١٤ هـ»، والتقي السبكي-رحمه الله-«ت: ٧٥٦ هـ»، بل حكاه ابن فورك-رحمه الله-«ت: ٤٠٦ هـ» عن الأشـاعرة واختاره في «تفسـيره»[(٣)]، ونسـبه ابن بطال-رحمه الله-«ت: ٤٤٩ هـ» إلى الأشـــعرية، وحكاه القاضـــي عياض-رحمه الله-«ت: ٥٤٤ هـ» عن المحققين[(٤)] ونسـب هذا القول إلى الخوارج القاضـي عبد الجبار «ت: ٤١٥ هـ»[(٥)].

قال ابن حجر-رحمه الله-«ت: ٨٥٢ هـ»: "ذهـب الجمهور إلى أن من الـذنوب كبـائر ومنها صـغائر، وشـذت طائفة منهم الأسـتاذ أبو إسـحاق الإسـفرائيني-رحمه الله-«ت: ٤١٨

(١) تفسير عبد الرزاق: «١/ ١٥٤».

(٢) شرح مختصر الروضة، للطوفي «٣/ ٤٧٦»؛.

(٣) ينظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر «ص: ٥».

(٤) انظر: فتح الباري «١٠/ ٤٠٩»، وشرح صحيح مسلم للنووي «٢/ ٨٥».

(٥) انظر: شرح الأصول الخمسة «ص: ٦٣٢».

هـ» فقال ليس في الذنوب صغيرة، بل على ما نهى الله عنه كبيرة.

ونقل ذلك عن ابن عباس–رضـي الله عنهما–«ت: ٦٨ هـ»، وحكاه القاضـي عياض–رحمه الله–«ت: ٥٤٤ هـ»، عن المحققين واحتجوا بأن كل مخالفة لله فهي بالنسـبة إلى جلاله كبيرة. ونسبه ابن بطال–رحمه الله–«ت: ٤٤٩ هـ» إلى الأشعرية فقال: انقسام الذنوب إلى صـغائر وكبائر هو قول عامة الفقهاء وخالفهم من الأشـعرية أبو بكر بن الطيب–رحمه الله–«ت: ٤٠٣ هـ» وأصحابه فقالوا: المعاصي كلها كبائر وإنما يقال لبعضها صغيرة، بالإضافة إلى ما هو أكبر منها كما يقال القلة المحرمة صـغيرة بإضافتها إلى الزنا وكلها كبائر. قالوا: ولا ذنب عندنا يغفر واجبا باجتناب ذنب آخر، بل كل ذلك كبيرة. ومرتكبه في المشـيئة غير الكفر لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: الآية: ٤٨]، وأجابوا عن الأية التي احتج أهل القول الأول بها–وهي قوله تعالى ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [النساء: الآية: ٣١]، أن المراد الشرك، ثم قال: وقالوا وجواز العقاب على الصـغيرة كجوازه على الكبيرة. قال النووي وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسـنة إلى القول الأول، وقال الغزالي–رحمه الله–«ت: ٥٠٥ هـ» في البسيط" إنكار الفرق بين الصغيرة والكبيرة لا يليق بالفقيه. ثم قـال ابن حجر–رحمه الله–«ت: ٨٥٢ هـ»: قـد حقق إمام الحرمين–رحمه الله–«ت: ٤١٩ هـ» المنقول عن الأشـاعرة واختاره وبين أنه لا يخالف ما قاله الجمهور فقال في "الإرشاد": المرتضى عندنا أن كل ذنب يعصى الله به كبيرة، فرب شيء يعد صـغيرة بالإضـافة إلى الأقران، ولو كان في حق الملك لكان كبيرة والرب أعظم من عصـي، فكل ذنب بالإضـافة إلى مخالفته عظيم، ولكن الذنوب وإن عظمت فهي متفاوتة في رتبها، وظن بعض الناس أن الخلاف لفظي فقال: التحقيق أن للكبيرة اعتبارين: فبالنسبة إلى مقايسة بعضـها لبعض فهي تختلف قطعًا، وبالنسـبة إلى الأمر الناهي فكلها كبائر. والتحقيق أن الخلاف معنوي"[(١)]

---

(١) فتح الباري لابن حجر «١٠/ ٤٠٩، ٤١٠».

أدلة هذا الرأي

ممن بين أدلة أصحاب هذا القول بأخصر ما يمكن وأوفاه ابن بطال-رحمه الله-«ت: ٤٤٩ هـ» حيث قال: "انقسام الذنوب إلى صغائر وكبائر هو قول عامة الفقهاء، وخالفهم من الأشعرية أبو بكر بن الطيب وأصحابه فقالوا: المعاصي كلها كبائر، وإنما يقال لبعضها صغيرة بالإضافة إلى ما هو أكبر منها، كما يقال القبلة المحرمة صغيرة بإضافتها إلى الزنا وكلها كبائر."

قالوا: ولا ذنب عندنا يغفر واجباً باجتناب ذنب آخر بل كل ذلك كبيرة، ومرتكبه في المشيئة، غير الكفر لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: الآية: ٤٨] وأجابوا عن الآية التي احتج أهل القول الأول بها وهي قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾ [النساء: الآية: ٣١]، أن المراد الشرك وقد قال الفراء: من قرأ كبائر فالمراد بها كبير، وكبير الإثم هو الشرك، وقد يأتي لفظ الجمع والمراد به الواحد كقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: الآية: ١٠٥]، ولم يرسل إليهم غير نوح، قالوا: وجواز العقاب على الصغيرة لجوازه على الكبيرة. [(١)] واستدلوا أيضاً بقول ابن عباس: "كل ما نهى الله عنه كبيرة"[(٢)]

وقد نظر أصحاب هذا القول إلى جلال الله وعظمته سبحانه فمنعهم ذلك من تسمية أي معصية لله تعالى باسم "صغيرة" فهي كلها بالنسبة إلى عظم المخالف كبيرة من الكبائر، وإن اتفقوا على أن منها ما يوجب العقوبة والذم أكثر من غيره، فالخلاف لفظي في جواز التسمية لا في المعنى، والجمهور على إطلاق الصغيرة والكبيرة اصطلاحياً كما سبق أن نقلنا عن العلماء.

---

(١) نقلاً عن فتح الباري «١٠/ ٤٠٩»، وانظر: تفسير القرطبي «٥/ ١٥٩».

(٢) رواه الطبري في تفسيره «٨/ ٢١٤»، والبيهقي في شعب الإيمان» «١/ ٢٧٣»، قال ابن حجر في فتح الباري «١٠/ ٤١٠» أخرجه إسماعيل القاضي والطبري بسند صحيح على شرط الشيخين إلى ابن عباس.

يقول القرافي صــاحب "تهذيب الفروق"-رحمه الله-«ت: ٦٨٤ هـ»: "اختلفوا أولاً في أن إطلاق لفظ صــغيرة على معصـــية الله تعالى هل يمنع إجلالا له وتعظيماً لحدوده إلا في محل تبيين تفاوت الذم والعقاب إن نفذ الوعيد، أو يجوز مطلقا"[(١)]

وقال الزركشـــي-رحمه الله-«ت: ٧٩٤ هـ»: "وَلَعَلَّ أَصْــحَابَ هَذَا الْوَجْهِ كَرِهُوا تَسْــمِيَةَ مَعْصِــيَةِ اللَّهِ صَــغِيرَةً؛ إجْلَالًا لِلَّهِ وَتَعْظِيمًا لِأَمْرِهِ، مَعَ أَنَّهُمْ وَافَقُوا فِي الْجَرْحِ أَنَّهُ لَا يَكُونُ بِمُطْلَقِ الْمَعْصِيَةِ"[(٢)]

وحجتهم في هذا ما روي عن ابن عباس-رضــي الله عنهما-«ت: ٦٨ هـ»، من أن جميع المعاصـي كبائر بالنسـبة إلى أنها معصـية لله لوجهين: أَحَدُهُمَا: كَثْرَةُ نِعَمِ مَنْ عَصَــى. وَالثَّانِي: إجْلَالُ مَنْ عَصَــى، فَإِنِ اعْتَبَرْنَا الْأَوَّلَ فَنِعَمُ اللَّهِ غَيْرُ مُتَنَاهِيَةٍ، كَمَا قَالَ: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُـوها﴾ [النحل: الآية: ١٨] وَإِنِ اعْتَبَرْنَا الثَّانِي فَهُوَ أَجَلُّ الْمَوْجُودَاتِ وَأَعْظَمُهَا، وَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ عِصْيَانُهُ فِي غَايَةِ الْكِبَرِ، فَثَبَتَ أَنَّ كُلَّ ذَنْبٍ فَهُوَ كَبِيرَةٌ. [(٣)]

جواب الجمهور على هذه الاستدلالات.

١ – من قال: إنها سميت كبائر بالنسبة لما دونها، أو كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة يقتضي أن الذنوب في نفسها لا تنقسم إلى صغائر وكبائر، وهذا فاسد، لأنه خلاف النصوص الدالة على تقسـيم الذنوب إلى صـغائر وكبائر. [(٤)] وقد دلت النصــوص الصــريحة على التقســيم السابق.

وعورض مـا روي عن ابن عبـاس-رضـــي الله عنهمـا-«ت: ٦٨ هـ»، في ذلـك: بأنـه . سبحانه وتعالى ــ أرحم الراحمين وأغنى الأغنياء عن طاعات المطيعين، وكل ذلك يوجب خفة

(١) تهذيب الفروق هامش "الفروق" للقرافي «١/ ١٣٤».

(٢) البحر المحيط للزركشي «٦/ ١٥٢-١٥٣»؛.

(٣) تفسير النيسابوري «٢/ ٤٠٣-٤٠٤»؛ للحسن بن محمد النيسابوري. وينظر: مفاتيح الغيب للفخر الرازي «١٠/ ٦٠».

(٤) شرح الطحاوية «ص: ٤١٩»، وانظر: مجموع الفتاوى «١١/ ٦٥٧»، مفاتيح الغيب للفخر الرازي «١٠/ ٦٠».

الذنب وإن سلم أن الذنوب كلها كبائر من حيث إنها ذنوب، ولكن بعضها أكبر من بعض وذلك يوجب التفاوت. [(١)]

٢ - أما قولهم: لا ذنب عندنا يغفر واجباً باجتناب ذنب آخر، بل كل ذلك كبير، غير الشرك، وتأويلهم قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾ [النساء: الآية: ٣١] أن المراد الشرك لقراءة «كبير» فيقال لهم: وماذا عن قوله-صلى الله عليه وسلم-: «ما اجتنبت الكبائر»، [(٢)] «ما لم تغش الكبائر». [(٣)]

وماذا يجاب عن النصوص الصريحة في التفريق بين الصغائر والكبائر مثل قوله عز وجل: ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: الآية: ٤٩].

٣ - أما استدلالهم بقول ابن عباس-رضي الله عنهما-«ت: ٦٨ هـ»: "كل ما نهى الله عنه كبيرة"، فيجاب عنه بأنه قد ورد أيضًا عن ابن عباس-رضي الله عنهما-«ت: ٦٨ هـ» أنه قال: "كل ما توعد الله عليه بالنار كبيرة" [(٤)]، فالأولى أن يكون المراد بقوله: "نهى الله عنه" محمولاً على نهي خاص وهو الذي قرن به وعيد، فيحمل مطلق كلامه ـ رضي الله عنه ـ على مقيده جمعاً بين قوليه. [(٥)]

وقال البيهقي-رحمه الله-«ت: ٤٥٨ هـ» في تعليقه على رواية ابن عباس-رضي الله عنهما-«ت: ٦٨ هـ»: "كل ما نهى الله عنه كبيرة": "فيحتمل أن يكون هذا في تعظيم

---

(١) تفسير النيسابوري «٢/ ٤٠٣-٤٠٤»؛ للحسن بن محمد النيسابوري. وينظر: مفاتيح الغيب للفخر الرازي «١٠/ ٦٠».

(٢) رواه مسلم «٢٣٣».

(٣) رواه مسلم «٢٣٣»، من حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-.

(٤) ذكر هذا الأثر ابن حجر في فتح الباري «١٠/ ٤١٠» وقال: وأخرج-ابن أبي حاتم-من وجه آخر متصل لا بأس برجاله.

(٥) انظر: فتح الباري «١٠/ ٤١٠».

حرمات الله والترهيب عن ارتكابها، فأما الفرق بين الصـــغائر والكبائر فلابد منه في أحكام الدنيا والآخرة"[(١)]

وطعن القرطبي في الرواية من جهة المتن. فقال: "ما أظنه يصـح عن ابن عباس–رضـي الله عنهما–«ت: ٦٨ هـ»: "أن كل ما نهى الله عز وجل عنه كبيرة"؛ لأنه مخالف لظاهر القرآن في الفرق بين الصغائر والكبائر" ثم ذكر الآيات الدالة على تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر، إلى أن قال: "فكيف يخفى ذلك على حبر القرآن؟"[(٢)]

الراجح:

وبعد ذكر هذا الخلاف المشهور في تقسيم الذنوب والمعاصي، وذكر أدلة كل من الفريقين تبين لنا أن تقسـيم الذنوب إلى صـغائر وكبائر هو الموافق لأدلة الكتاب والسـنة، التي ذكرنا طرفا منها آنفا، كما أنه الأوفق لقواعد الشريعة وأصولها العقدية والفقهية العامة التي دلتنا على تفاوت أهل الجنة في الدرجات، وأهل النار في الدركات، كما أن المعاصـــي التي في حق الله وحق العباد عقوباتها الدنيوية متفاوته في شـــدتها وخفتها وانعدامها أحيانا، إذ ليس كل ذنب يترتب عليه حد أو تعزير، وليس كل ذنب يترتب عليه حد يساويه الذنب الآخر الذي يترتب عليه حد أيضا، فحد الزنى والسرقة وشرب الخمر والقذف وغيرها تختلف في قدرها ونوعها.

وهذا كله يدل على التفريق بين الذنوب من حيث كونها كبائر وصـغائر، هذا فضـلا عن النصـوص المصـرحة بسـرد بعض الكبائر بأسمائها مما يدل على هذا التفريق، وقد مضـى ذكر هذه النصوص.

فلا يمكننا العدول عن هذه النصـوص الصـريحة من القرآن الكريم والسـنة المطهرة، وأقوال السلف في التفرقة بين الذنوب بجعل بعضـها صـغائر وبعضـها كبائر وتأويلها بالتعسف إلى ما يفيد أنه لا صـغيرة من الذنوب؛ إذ الأخذ بصـريح الآيات القرآنية الكريمة والأحـاديث النبوية

---

(١) شعب الإيمان «٢/ ٩٤».

(٢) ينظر: فتح الباري «١٠/ ٤١٠».

الصحيحة وآثار جمهور الصحابة والتابعين الدالة على انقسام الذنوب إلى صغائر وكبائر خير من تأويلها بما ينبو عنه ظاهرها وأسلم من ثنيها عن دلالتها. [(١)]

بل اعتبر ابن حجر-رحمه الله-«ت: ٨٥٢ هـ» القول الذي لم يفرق بين الصغائر والكبائر شاذًا حيث قال: "وقد اختلف السلف، فذهب الجمهور إلى أن من الذنوب كبائر وصغائر، وشذت طائفة منهم الأستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني-رحمه الله-«ت: ٤١٨ هـ» فقال: ليس في الذنوب صغيرة، بل كل ما نهى الله عنه كبيرة"[(٢)].

قال البيهقي: "فأما الفرق بين الصغائر والكبائر فلابد منه في أحكام الدنيا والآخرة على ما جاء به الكتاب والسنة"[(٣)]

وقال الإمام الغزالي-رحمه الله-«ت: ٥٠٥ هـ»: "إنكار الفرق بين الصغيرة والكبيرة لا يليق بالفقيه"[(٤)]

ـ خطر القول بأن جميع الذنوب كبائر:

مهما بلغ المرء منا من التقى والذل لله تعالى والخشوع له والانقطاع لعبادته تعالى، فلن يستطع التنزه من لمم الذنوب، وهناتها فلو أجزنا القول بأن جميع معاصي الله تعالى كبائر لحكمنا على جميع المؤمنين باقتراف الكبائر، واستباحة حمى الله تعالى، وانتهاك محارمه فضلاً عن تركنا صريح النصوص سيراً مع تأويلات لا يعضدها دليل. [(٥)]

القول الثالث: أن الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر وفواحش.

ذَهَبَ الْحليمي-رحمه الله-«ت: ٤٠٣ هـ» من الشافعية إلى أنَّ الْمَعَاصِي تَنْقَسِمُ إِلَى

---

(١) "آيات عتاب المصطفى-صلى الله عليه وسلم-في ضوء العصمة والاجتهاد" «ص: ٦٢»؛ تأليف: د. عويد بن عيَّاد بن عايد المطرَفي.

(٢) فتح الباري «١/ ٤٠٩».

(٣) شعب الإيمان للبيهقي «١/ ٤٦٤».

(٤) شرح مسلم للنووي «٢/ ٨٥»؛ وفتح الباري «١٠/ ٤٠٩»؛ عن كتاب البسيط للغزالي.

(٥) آيات عتاب المصطفى – صلى الله عليه وسلم – في ضوء العصمة والاجتهاد، «ص: ٦٣».

ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

صَغِيرَةٌ، وَكَبِيرَةٌ، وَفَاحِشَةٌ؛ فَقَتْلُ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ كَبِيرَةٌ، فَإِنْ قَتَلَ ذَا رَحِمٍ لَهُ فَفَاحِشَةٌ، فَأَمَّا الْخَدْشَةُ وَالضَّرْبَةُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ فَصَغِيرَةٌ وَجَعَلَ سَائِرَ الذُّنُوبِ هَكَذَا.[(١)]

ويرى الحليمي أيضا أن الصغيرة قد تنقلب كبيرة أو فاحشة بحسب ما يقترن بها من حال، قال ابن حجر-رحمه الله-«ت: ٨٥٢ هـ»: "وَقَالَ الْحَلِيمِيُّ-رحمه الله-«ت: ٤٠٣ هـ» فِي الْمِنْهَاجِ: مَا مِنْ ذَنْبٍ إِلَّا وَفِيهِ صَغِيرَةٌ وَكَبِيرَةٌ وَقَدْ تَنْقَلِبُ الصَّغِيرَةُ كَبِيرَةً بِقَرِينَةٍ تُضَمُّ إِلَيْهَا وَتَنْقَلِبُ الْكَبِيرَةُ فَاحِشَةً كَذَلِكَ إِلَّا الْكُفْرَ بِاللَّهِ فَإِنَّهُ أَفْحَشُ الْكَبَائِرِ، وَلَيْسَ مِنْ نَوْعِهِ صَغِيرَةٌ، قُلْتُ: وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ يَنْقَسِمُ إِلَى فَاحِشٍ وَأَفْحَشَ"[(٢)]

ثُمَّ ذَكَرَ الْحَلِيمِيُّ أَمْثِلَةً لِمَا قَالَ: فَالثَّانِي كَقَتْلِ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَإِنَّهُ كَبِيرَةٌ فَإِنْ قَتَلَ أَصْلًا أَوْ فَرْعًا أَوْ ذَا رَحِمٍ أَوْ بِالْحَرَمِ أَوْ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ فَهُوَ فَاحِشَةٌ، وَالزِّنَا كَبِيرَةٌ فَإِنْ كَانَ بِحَلِيلَةِ الْجَارِ أَوْ بِذَاتِ رَحِمٍ أَوْ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ أَوْ فِي الْحَرَمِ فَهُوَ فَاحِشَةٌ، وَشُرْبُ الْخَمْرِ كَبِيرَةٌ فَإِنْ كَانَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ نَهَارًا أَوْ فِي الْحَرَمِ أَوْ جَاهَرَ بِهِ فَهُوَ فَاحِشَةٌ، وَالْأَوَّلُ كَالْمُفَاخَذَةِ مَعَ الْأَجْنَبِيَّةِ صَغِيرَةٌ فَإِنْ كَانَ مَعَ امْرَأَةِ الْأَبِ أَوْ حَلِيلَةِ الِابْنِ أَوْ ذَاتِ رَحِمٍ فَكَبِيرَةٌ، وَسَرِقَةُ مَا دُونَ النِّصَابِ صَغِيرَةٌ فَإِنْ كَانَ الْمَسْرُوقُ مِنْهُ لَا يَمْلِكُ غَيْرَهُ وَأَفْضَى بِهِ عَدَمُهُ إِلَى الضَّعْفِ فَهُوَ كَبِيرَةٌ.

وَأَطَالَ فِي أَمْثِلَةِ ذَلِكَ وَفِي الْكَثِيرِ مِنْهُ مَا يُتَعَقَّبُ لَكِنَّ هَذَا عُنْوَانُهُ وَهُوَ مَنْهَجٌ حَسَنٌ لَا بَأْسَ بِاعْتِبَارِهِ وَمَدَارُهُ عَلَى شِدَّةِ الْمَفْسَدَةِ وَخِفَّتِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ ".

وهذا الذي نقله ابن حجر عن الحليمي يوافق النصوص والقواعد والأصول؛ وذلك أن الذنوب الكبيرة تتفاوت في كبرها، كما أن الصغيرة تتفاوت فيما بينها، وقد ذكرنا النصوص التي تدل على وجود كبائر وأكبر الكبائر، وغير ذلك.

---

(١) إرشاد الفحول" للشوكاني «١/ ١٤٥».

(٢) فتح الباري لابن حجر «٢/ ١٨٤».

المسألة الثانية: الفرق بين الصغائر والكبائر.

أولًا: تعريف الصغائر

الذّنوب هي ترك ما أمر الله–تعالى–به من أوامر، وفعل ما حذّر منه –سبحانه– ممّا جاء الأمر بفعله أو النّهي عن تركه في الأحكام الشرعيّة، سواءً كان قولاً أو فعلاً، ظاهراً كان أو باطناً. [(١)]

وتُقسَم الذّنوب في الإسلام إلى قسمين؛ صغائر وكبائر، ولكلٍّ منهما مفهوم خاصّ كالآتي:

أ–التعريف اللغوي:

الصغيرة لغة: جمع صغيرة، من صغر الشيء فهو صغير وجمعه صغار، والصغيرة صفة وجمعها صغار أيضا، ولا تجمع على صغائر إلا في الذنوب والآثام. [(٢)].

ب–التعريف الشرعي:

اختلفت عبارات العلماء في تعريف الصغيرة وإن اتفق الأكثر على مضمونها، فقال بعضهم: الصغيرة ما ليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة. [(٣)]. بمقابلة تعريف البعض للكبيرة.

وقال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "أقل الأقوال [(٤)]، في هذه المسألة القول المأثور عن ابن عباس–رضي الله عنهما–«ت: ٦٨ هـ»، وذكره أبو عبيد–رحمه الله–«ت:

---

(١) مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع لمحمد زينو، «٢/ ٢٦٣»، بتصرّف.

(٢) لسان العرب، المصباح المنير، المعجم الوسيط مادة «صغر».

(٣) شرح العقيدة الطحاوية «ص: ٥٢٦».

(٤) هذه المسألة تسمى عند العلماء بمسألة "أقل ما قيل" ويذكرها العلماء غالبا في كتاب الإجماع؛ لأن موضع استعمالها هو إثبات أن أقل ما قيل يعتبر إجماعا، وأحيانا تدرج في باب الأدلة المختلف فيها؛ لأنها من مسائل الإجماع المختلف فيها، وهذا صنيع كثير من المصنفين. ينظر: "البحر المحيط" «٨/ ٢٦، وما بعدها»؛ للزركشي، "المهذب في أصول الفقه" «٢/ ٩٤١، وما بعدها»؛ للدكتور/ عبد الكريم النملة.

٢٢٤ هـ»، وأحمد بن حنبل –رحمه الله– «ت: ٢٤١ هـ»، وغيرهما وهو: أن الصـــغيرة ما دون الحدين حد الدنيا وحد الآخرة، وهو معنى قول من قال: ما ليس فيها حد في الدنيا وهو معنى قول القائل: كل ذنب ختم بلعنة أو غضب أو نار فهو من الكبائر، ومعنى قول القائل: وليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة"[(١)]

وقال ابن النجار –رحمه الله– «ت: ٦٤٣ هـ»: "والصـــغائر هي: كل قول أو فعل محرم لا حد فيه في الدنيا ولا وعيد في الآخرة"[(٢)]

صـــغائِر الذّنوب: كلّ ذنب عدا الكبائر؛ بمعنى أنّه لم يقترن بوعيد شـــديد، أو عذاب، أو دخول النار، وتُعرَّف صغائر الذنوب أيضاً بأنّها ما دون الحدّين: حدّ الدنيا، وحدّ الآخرة.

ثانيًا: تعريف الكبيرة

أ–التعريف اللغوي:

الكبائر: جمع كبيرة، والكبيرة في اللغة تعني: الشـــيء العظيم، وتقول: أَكْبَرْت الشـــيءَ أي استعظمته، والتكبير: التعظيم، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ [يوسف: الآية: ٣١]، أي: أعظمنه، على قول أكثر المفسرين.[(٣)]

قال الفيروزآبادي –رحمه الله– «ت: ٨١٧ هـ»: "الكبيرة في اللغة: مفرد كبيرات وكبائر، مؤنث الكبير، وهو: الإثم الكبير"[(٤)].

قال ابن منظور –رحمه الله– «ت: ٧١١ هـ»: "الكبيرة هي الفعلة القبيحة من الذنوب المنهي عنها شرعا لعظيم أمرها كالقتل والزنا والفرار من الزحف"[(٥)].

---

(١) مجموع الفتاوى «١١/ ٦٥٠».

(٢) شرح الكوكب المنير «٢/ ٣٨٨».

(٣) انظر: لسان العرب «١٢/ ١٣»، وتفسير الطبري «١٢/ ٢٠٤»، وتفسير ابن كثير «٢/ ٤٧٧».

(٤) انظر: القاموس المحيط «٢/ ١٢٤»، ولسان العرب «٣/ ٢١٢».

(٥) انظر: لسان العرب «٣/ ٢١٢٩، وانظر القاموس المحيط «٢/ ١٢٤».

فالمقصود بالكبائر إذًا: الذنوب العظام.

المسألة الثالثة: هل للكبائر عدد يحصرها أم لا.

وقد اتفق جمهور الناس على انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر، ثم اختلفوا في الكبائر بعد ذلك: هل لها عدد يحصرها أم لا، على قولين: [(١)]

الأول: قول الذين ذهبوا إلى القول بحصرها في عدد محدد، وهؤلاء اختلفوا في عددها:

فقيل: هي أربعة. [(٢)]

وقيل: سبعة، وقيل: تسعة.

وقيل: هي إحدى عشرة.

وروي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- «ت: ٦٨ هـ»، أنه قال: "هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع. [(٣)]

وقيل: هي سبعمائة. [(٤)]

وقيل غير ذلك، والصحيح أنه لا دليل من الكتاب والسنة يفيد الحصر.

الثاني: قول الذين لم يحصروها بعدد معين،

ب-التعريف الشرعي:

اختلفوا في حدِّها، وفي الضابط الذي يفرقون به بين الكبيرة والصغيرة على أقوال منها:

أولاً: أن الكبائر هي كل ما اتفقت جميعُ الشـــرائع على تحريمه، وما كان تحريمه في شـــريعة

---

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي «ص: ١٠٣٣-١٠٤٣»، والجواب الكافي لابن القيم «ص: ٨٧».

(٢) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة «ص: ١٩٢٢».

(٣) أخرجه الطبري في التفسير «٥/٤١»، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة «ص: ١٩١٧، ١٩١٨».

(٤) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة «ص: ١٩١٩».

دون شـريعة فهو صـغيرة [(١)]، وهذا يَرِد عليه أن التزوج ببعض المحارم، أو المحرمات بالرضـاعة ليس من الكبائر، إذ لم تتفق على تحريمه كل الشـــرائع، كما أن "الفرق بين ما اتفقت عليه الشرائع واختلفت لا يُعلم إن لم يمكن وجودُ عالم بتلك الشرائع على وجهها، وهذا غير معلوم لنا"[(٢)]

ثانيًا: أن كل ما عصـي الله به فهو من الكبائر، وهذا القول مروي عن ابن عباس-رضـي الله عنهما-«ت: ٦٨ هـ»[(٣)].

قال البيهقي-رحمه الله-«ت: ٤٥٨ هـ»: "يحتمل أن يكون هذا في تعظيم حرمات الله، والترهيب عن ارتكابها، فأما الفرقُ بين الصـغائر والكبائر فلا بد منه في أحكام الدنيا والآخرة على ما جاء به الكتاب والسنة"[(٤)].

ثالثًا: أن الذنوب كلها بالنسـبة إلى الجراءة على الله والتوثّب على حقه والاسـتهانة به تعدّ من الكبائر. [(٥)]. وهذا يقتضـي أن الذنوب لا تنقسـم في نفسـها إلى صـغائر وكبائر، وهو فاســـد؛ لأنه خلاف النصـــوص، كما أن هذا الحدّ لا يمكن من خلاله التفريقُ بين الكبائر والصغائر.

رابعًا: أن الكبائر ذنوب العَمْد، والصغائر هي: الخطأ، والنسيان، وما أكره عليه، وحديث النفس؛

قال ابن القيم-رحمه اله-«ت: ٧٥١ هـ»: "هذا من أضـعف الأقوال طردًا وعكسًـا؛ فإن الخطأ والنسـيان والإكراه لا يدخل تحت جنس المعاصـي حتى يكون أحد قسـميها، والعمد

---

(١) انظر: الجواب الكافي «ص: ٨٨».

(٢) مجموع الفتاوى «١١/ ٦٥٥».

(٣) شعب الإيمان للبيهقي «٢٩٢»، وانظر: مدارج السالكين «١/ ٣٢١».

(٤) شعب الإيمان «١/ ٢٧٣».

(٥) انظر: الجواب الكافي «ص: ٨٩».

نوعان: نوع كبائر، ونوع صغائر. [(١)]"

خامسًا: الكبائر ذنوب المستحلين مثل ذنب إبليس، والصغائر ذنوب المستغفرين مثل ذنب آدم، وهذا القول ضعيف أيضًا؛ لأن المستحل ذنبُه دائر بين الكفر والتأويل، فإنه إن كان عالما بالتحريم فكافر، وإن لم يكن عالما به فمتأول أو مقلد، وأما المستغفر فإن استغفاره الكامل يمحو كبائره وصغائره، فلا كبيرة مع استغفار"[(٢)]

سادسًا: أن الكبائر الشرك وما يؤدي إليه، والصغائر ما عدا الشرك من ذنوب أهل التوحيد، واحتج أصحاب هذه المقالة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، وبقوله - صلى الله عليه وسلم - فيما يرويه عن ربه - عز وجل -: «ومن لَقِيَني بقُراب الأرض خطيئةً لا يشرك بي شيئًا، لَقِيتُه بمثلها مغفرةً» [(٣)]، ولا حجة لهم في الآية؛ لأن غايتها التفريق بين الشرك وغيره، إذ إن الشرك لا يغفر إلا بالتوبة منه، وأما ما دون الشرك فهو موكول إلى المشيئة، ولكنها لا تدل على أن كل ما دون الشرك فهو صغيرة في نفسه.

ومن أوعبها وأبعدها عن الاعتراض ما عرفها به ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»؛ فقال: "الكبائر: هي ما فيها حد في الدنيا أو في الآخرة: كالزنا، والسرقة، والقذف، التي فيها حدود في الدنيا.

وكالذنوب التي فيها حدود في الآخرة وهو الوعيد الخاص: مثل الذنب الذي فيه غضب الله، ولعنته، أو جهنم، ومنع الجنة: كالسحر، واليمين الغموس، والفرار من الزحف، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، وشرب الخمر ونحو ذلك.

هكذا روي عن ابن عباس-رضي الله عنهما-«ت: ٦٨ هـ»، وسفيان بن عيينة-رحمه

---

(١) مدارج السالكين «١/ ٣٢٣».

(٢) مدارج السالكين «١/ ٣٢٣».

(٣) أخرجه مسلم «٢٦٨٧» من حديث أبي ذر الغفاري-رضي الله عنه.-

الله-«ت: ١٩٨ هـ»، وأحمد بن حنبل-رحمه الله-«ت: ٢٤١ هـ»، وغيرهم من العلماء"[(١)]

ما روي عن ابن عباس-رضي الله عنهما-«ت: ٦٨ هـ»، أنه قال: الكبيرة: هي كل ذنب ختمه الله بنار، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب"[(٢)]

وقال القرطبي-رحمه الله-«ت: ٦٧١ هـ»: "الكبيرة: هي كل ذنب عظم الشـــارع التوعد عليه بالعقاب وشدده أو عظم ضرره في الوجود"[(٣)].

وقال ابن أبي العز-رحمه الله-«ت: ٧٩٢ هـ» -في شـرحه للطحاوية-: "واختلف العلماء في الكبائر على أقوال:

فقيل: سبع.

وقيل: سبع عشرة.

وقيل: ما اتفقت الشرائع على تحريمه.

وقيل: ما يسد باب المعرفة بالله.

وقيل: ذهاب الأموال والأبدان.

وقيل: سميت كبائر بالنسبة والإضافة إلى ما دونها.

وقيل: لا تعلم أصلا. أو: أنها أخفيت كليلة القدر.

وقيل: إنها إلى السبعين أقرب.

وقيل: كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة.

وقيل: إنها ما يترتب عليها حد أو توعد عليها بالنار، أو اللعنة، أو الغضـــب، وهذا أمثل الأقوال.

واختلفت عبارة قائليه:

---

(١) مجموع الفتاوى «١١/ ٦٥٨».

(٢) تفسير الطبري «٥/ ٢٧»، وتفسير القرطبي «٥/ ١٥٩»، شرح صحيح مسلم للنووي «٢/ ٥٨».

(٣) تفسير القرطبي »٣/ ١٦٠ – ١٦١«.

منهم من قال: الصغيرة ما دون الحدين: حد الدنيا وحد الآخرة.

ومنهم من قال: كل ذنب لم يختم بلعنة أو غضب أو نار.

ومنهم من قال: الصغيرة ما ليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة، والمراد بالوعيد: الوعيد الخاص بالنار أو اللعنة أو الغضب، فإن الوعيد الخاص في الآخرة كالعقوبة الخاصة في الدنيا، أعني المقدرة، فالتعزير في الدنيا نظير الوعيد بغير النار أو اللعنة أو الغضب.

وهذا الضابط يسلم من القوادح الواردة على غيره، فإنه يدخل فيه كل ما ثبت بالنص أنه كبيرة، كالشرك، والقتل، والزنا، والسحر، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، ونحو ذلك، كالفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس، وشهادة الزور، وأمثال ذلك.

وترجيح هذا القول من وجوه:

أحدها: أنه هو المأثور عن السلف، كابن عباس-رضي الله عنهما-«ت: ٦٨ هـ»، وابن عيينة «ت: ١٩٨ هـ»، وابن حنبل «ت: ٢٤١ هـ» -رضي الله عنهم-، وغيرهم.

الثاني: أن الله تعالى قال: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما﴾ [النساء: ٣١]. فلا يستحق هذا الوعد الكريم من أوعد بغضب الله ولعنته وناره، وكذلك من استحق أن يقام عليه الحد لم تكن سيئاته مكفرة عنه باجتناب الكبائر.

الثالث: أن هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله من الذنوب، فهو حد متلقى من خطاب الشارع.

الرابع: أن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر،

بخلاف تلك الأقوال، فإن من قال: سبع، أو سبع عشرة، أو إلى السبعين أقرب -: مجرد دعوى.

ومن قال: ما اتفقت الشرائع على تحريمه دون ما اختلفت فيه -: يقتضي أن شرب الخمر، والفرار من الزحف، والتزوج ببعض المحارم، والمحرم بالرضاعة والصهرية، ونحو ذلك - ليس من الكبائر! وأن الحبة من مال اليتيم، والسرقة لها، والكذبة الواحدة الخفيفة، ونحو ذلك

-: من الكبائر! وهذا فاسد.

ومن قال: ما سـد باب المعرفة بالله، أو ذهاب الأموال والأبدان -: يقتضـي أن شـرب الخمر، وأكل الخنزير والميتة والدم، وقذف المحصنات - ليس من الكبائر! وهذا فاسد.

ومن قال: إنها سميت كبائر بالنسـبة إلى ما دونها، أو كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة -: يقتضـي أن الذنوب في نفسـها لا تنقسـم إلى صـغائر وكبائر! وهذا فاسـد، لأنه خلاف النصوص الدالة على تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر.

ومن قال: إنها لا تعلم أصـلا، أو إنها مبهمة -: فإنما أخبر عن نفسـه أنه لا يعلمها، فلا يمنع أن يكون قد علمها غيره. والله أعلم"((١))

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز »ص: ٥٢٥-٥٢٨.«



الشهادة لمعين بجنة أو نار

وقول المصنف: «ولا نوجب لمحسنهم الجِنان بعد من أوجب له النبي ﷺ ولا نشهد على مسيئهم بالنار»

الشرح

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: أقسام الشهادة.

يقسم أهل السنة الشهادة إلى قسمين عامة وخاصة:

فالعامة: أَنَّهُمْ يَجْزِمُونَ بِالنَّجَاةِ لِكُلِّ مَنِ اتَّقَى اللَّهَ، كَمَا نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ.

والخاصة: هي المعلقة بشخص، مثل أن نشهد لشخص معين بأنه في الجنة أو لشخص معين بأنه في النار، فلا نعيّن إلا ما عيّنه الله أو رسوله-ﷺ-.

قال شيخ الإسلام ابنن تيمية: "اعْتِقَادُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّهُمْ يَجْزِمُونَ بِالنَّجَاةِ لِكُلِّ مَنِ اتَّقَى اللَّهَ، كَمَا نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ. وَإِنَّمَا يَتَوَقَّفُونَ فِي الشَّخْصِ الْمُعَيَّنِ لِعَدَمِ الْعِلْمِ بِدُخُولِهِ فِي الْمُتَّقِينَ، فَإِنَّهُ إِذَا عُلِمَ أَنَّهُ مَاتَ عَلَى التَّقْوَى عُلِمَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. وَلِهَذَا يَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ الرَّسُولُ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] وَلَهُمْ فِيمَنِ اسْتَفَاضَ فِي النَّاسِ حُسْنُ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ قَوْلَانِ"((١)).

قال الشيخ ابن عثيمين: "الشهادة بالجنة أو بالنار ليس للعقل فيها مدخل فهي موقوفة على الشرع فمن شهد له الشارع بذلك؛ شهدنا له، ومن لا؛ فلا، لكننا نرجو للمحسن، ونخاف على المسيء، وتنقسم الشهادة إلى قسمين عامة وخاصة:

فالعامة: هي المعلقة بالوصف، مثل أن نشهد لكل مؤمن بأنه في الجنة، أو لكل كافر بأنه في النار، أو نحو ذلك من الأوصاف التي جعلها الشارع سببًا لدخول الجنة.

---

(١) منهاج السنة «٣/ ٤٩٦-٤٩٧».

والخاصة: هي المعلقة بشخص، مثل أن نشهد لشخص معين بأنه في الجنة أو لشخص معين بأنه في النار، فلا نعيّن إلا ما عيّنه الله أو رسوله. "اهـ[(١)]

المسألة الثانية: مسألة الشهادة لمعين بجنة أو نار.

من معتقد أهل السنة والجماعة أن من كان من أهل القبلة لا يشهد له بالجنة ولا يشهد له بالنار، لكن نرجو للمحسن ونخاف على المسيء، إلا من شهد له الرسول -ﷺ-.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إِنَّمَا قَدْ نَقِفُ فِي الشَّخْصِ الْمُعَيَّنِ؛ فَلَا نَشْهَدُ لَهُ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ إلَّا عَنْ عِلْمٍ، لِأَنَّ حَقِيقَةَ بَاطِنِهِ وَمَا مَاتَ عَلَيْهِ لَا نُحِيطُ بِهِ، لَكِنْ نَرْجُو لِلْمُحْسِنِ وَنَخَافُ عَلَى الْمُسِيءِ.

وأهل السنة لَهُمْ فِي الشَّهَادَةِ بِالْجَنَّةِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

القول الأول: مِنْهُمْ مَنْ لَا يَشْهَدُ بِالْجَنَّةِ لِأَحَدٍ إلَّا لِلْأَنْبِيَاءِ. وَهَذَا قَوْلُ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ وَالْأَوْزَاعِيِّ.

وَالقول الثَّانِي: أَنَّهُ يَشْهَدُ بِالْجَنَّةِ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ جَاءَ فِيهِ نَصٌّ. وَهَذَا قَوْلُ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ"[(٢)]

وقد استدل لهذا القول:

-حديث الصحيحين أن رسول الله-ﷺ-قال: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة»، .[(٣)]

وهذا في حديث الذي قتل نفسه بعد أن أثنى عليه الناس.

-الحديث الآخر: "إن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق

---

(١) شرح اللمعة «ص: ١٤٤».

(٢) انظر المسألة في منهاج السنة: «٣/ ٤٩٧-٥٠٠».

(٣) أخرجه البخاري «٤٢٠٧»، ومسلم «١١٢».

عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة"[(١)]. والشاهد من هذه الأحاديث أن خاتمة السوء لا تؤمن فكيف يقطع للرجل بالجنة؟

-حديث أبي هريرة في الصحيح قال خرجنا مع رسول الله-ﷺ-يوم خيبر فلم نغنم ذهبًا ولا فضة إلا الأموال والثياب والمتاع فأهدى رجل من بني الضبيب يقال له رفاعة بن زيد لرسول الله-ﷺ-غلاما يقال له مدعم فوجه رسول الله-ﷺ-إلى وادي القرى حتى إذا كان بوادي القرى بينما مدعم يحط رحلًا لرسول الله-ﷺ-إذا سهم عائر فقتله فقال الناس هنيئًا له الجنة فقال رسول الله-ﷺ- كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا"[(٢)]

فهذا مع شهادة الناس له بالجنة بين النبي-ﷺ-أن حقيقة حاله على خلاف ما شهد له به.

-حديث أم العلاء في البخاري قالت: "سكن عندنا عثمان بن مظعون فاشتكى فمرضناه حتى إذا توفي وجعلناه في ثيابه دخل علينا رسول الله-ﷺ-فقلت رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال لي النبي ﷺ «وما يدريك أن الله أكرمه». فقلت لا أدري بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقال رسول الله-ﷺ-«أما عثمان فقد جاءه والله اليقين وإني لأرجو له الخير والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل به». قالت فوالله لا أزكي أحدا بعده أبدا وأحزنني ذلك قالت فنمت فأريت لعثمان عينا تجري فجئت إلى رسول الله-ﷺ-فأخبرته فقال: «ذاك عمله».[(٣)]،

والشاهد من الحديث نص وإقرار، أما النص فالقصة وما وجه به النبي-ﷺ-فيها، وأما

---

(١) أخرجه البخاري: «٣٢٠٨»، ومسلم:«٢٦٤٣».

(٢) أخرجه البخاري: «٦٣٢٩.»

(٣) أخرجه البخاري: «٢٥٤١».

الإقرار فلقولها لا أزكي أحداً بعده.

وهذا كالصريح في النهي، قال ابن كثير: "وفي هذا وأمثاله دلالة على أنه لا يقطع لمعين بالجنة إلا الذي نص الشارع على تعيينهم كالعشرة، وابن سلام، والعميصاء، وبلال، وسراقة، وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر، والقراء السبعين الذين قتلوا ببئر معونة، وزيد بن حارثة، وجعفر، وابن رواحة، وما أشبه هؤلاء-رضي الله عنهم-"[(١)]. ومثله قال العيني في العمدة.

وقد بوب عليه البيهقي: "باب لا يشهد لأحد بجنة ولا نار إلاّ لمن شهد له رسول الله-ﷺ-بها"[(٢)].ه

هذا مع أن عثمان بن مظعون «أبو السائب»-رضي الله عنه-، بدري قال الله له اصنع ما شئت فقد غفرت لك، وهو أول من دفن بالبقيع ومع ذلك يقول: "وما يدريك؟! وإني لأرجو له الخير والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل به".

وممن نقل عنه القول في هذه المسألة من العلماء:

ما روي عن الإمام سفيان بن عيينة في اعتقاده قوله: السنة عشرة فمن كن فيه فقد استكمل السنة ومن ترك منها شيئًا فقد ترك السنة: إثبات القدر وتقديم أبي بكر وعمر والحوض والشفاعة والميزان والصراط والإيمان قول وعمل والقرآن كلام الله وعذاب القبر والبعث يوم القيامة ولا تقطعوا بالشهادة على مسلم.[(٣)]

ونقل عن الإمام أحمد فيمن خرج عليه اللصوص والخوارج قال: "وإن قتل هذا في تلك الحال وهو يدفع عن نفسه وماله رجوت له الشهادة كما جاء في الأحاديث[(٤)].

وقال الإمام أحمد: "ولا نشهد على أهل القبلة بعمل يعمله بجنة ولا نار، نرجو للصالح

---

(١) تفسير ابن كثير:«٤/ ١٥٦».

(٢) السنن الكبرى «٤/ ٧٦».

(٣) رواه الإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة «١/ ١٥٦»

(٤) اعتقاد الإمام أحمد «١/ ١٦١»

ونخاف عليه ونخاف على المسيء المذنب، ونرجو له رحمة الله". اهـ[(١)]

وهي عين كلمة علي بن المديني كما وروى عن سفيان الثوري قوله: "يا شعيب بن حرب لا ينفعك ما كتبت لك حتى لا تشهد لأحد بجنة ولا نار إلا للعشرة الذين شهد لهم رسول الله وكلهم من قريش". اهـ[(٢)]

وقال الإمام أبو عمرو الداني: "ومن قولهم: أن لا ينزل أحد من أهل القبلة جنة ولا نارا إلا من ورد التوقيف بتنزيله، وجاء الخبر من الله تبارك وتعالى، ورسوله عن عاقبة أمره".[(٣)]

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب: "لا أحد يشهد لأحد بالجنة أو النار إلا من ثبت له ذلك. وأهل السنة والجماعة لا يشهدون لِمُعَيَّنٍ بالجنة إلا لمن شهد له رسول الله ﷺ بأنه من أهل الجنة، كالعشرة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، الذين ثبتت الأحاديث في تعيينهم أنهم من أهل الجنة. وأما مَنْ سواهم فلا يشهدون له بذلك، ولكنهم يرجون لجميع المؤمنين دخول الجنة، ويخافون على مَنْ أذنب من النار، ولا يقطعون لمعين بأنه من أهل الجنة أو من أهل النار إلا من ثبت له ذلك". اهـ[(٤)].

فهذا مذهب جمهور أهل السنة كما ترى.

وَالقول الثَّالِثُ: يَشْهَدُ بِالْجَنَّةِ لِهَؤُلَاءِ وَلِمَنْ شَهِدَ لَهُ الْمُؤْمِنُونَ. كَمَا قَالَ النَّبِيُّ-ﷺ-: «أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ». وَقَالَ: " «يُوشِكُ أَنْ تَعْلَمُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ». قَالُوا: بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ وَالثَّنَاءِ السَّيِّئِ» "[(٥)] فَأَخْبَرَ أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُعْلَمُ بِهِ أَهْلُ الْجَنَّةِ

---

(١) أصول السنة «ص: ٥٠»

(٢) اعتقاد أهل السنة للالكائي «١/ ١٦٢».

(٣) الرسالة الوافية «ص: ٩٦»

(٤) جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية «٢٠٦».

(٥) الْحَدِيثُ مَعَ اخْتِلَافٍ فِي الْأَلْفَاظِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-

- فِي الْبُخَارِيِّ «٣/ ١٦٩» «كِتَابُ الشَّهَادَاتِ، بَابُ تَعْدِيلِ كَمْ يَجُوزُ»، ٢/ ٩٧ «كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَى

=

وَأَهْلُ النَّارِ. وَكَانَ أَبُو ثَوْرٍ يَقُولُ: "أَشْهَدُ أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ فِي الْجَنَّةِ " وَيَحْتَجُّ بِهَذَا"[(١)] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وَالْقَوْلُ بِكَوْنِ الرَّجُلِ الْمُعَيَّنِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ قَدْ يَكُونُ سَبَبُهُ: إِخْبَارَ الْمَعْصُومِ، فأَهْلَ السُّنَّةِ يَشْهَدُونَ أَنَّ الْعَشَرَةَ فِي الْجَنَّةِ[(٢)]، وَيَشْهَدُونَ «أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِأَهْلِ بَدْرٍ: " «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»[(٣)]، بَلْ يَقُولُونَ: إِنَّهُ " «لَا يَدْخُلُ النَّارَ

الْمَيِّتِ».

- مُسْلِمٍ «٢/ ٦٥٥ -٦٥٦» «كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ فِيمَنْ يُثْنَى عَلَيْهِ خَيْرٌ أَوْ شَرٌّ مِنَ الْمَوْتَى».
- سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ «٢/ ٢٦١» «كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الثَّنَاءِ الْحَسَنِ عَلَى الْمَيِّتِ»، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: وَفِي الْبَابِ عَنْ عُمَرَ وَكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ.
- سُنَنِ النَّسَائِيِّ «٤/ ٤١»، «كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ الثَّنَاءِ».
- سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ «١/ ٤٧٨» «كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الثَّنَاءِ عَلَى الْمَيِّتِ». وَجَاءَ حَدِيثٌ آخَرُ بِمَعْنَاهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-
- فِي سُنَنِ النَّسَائِيِّ
- وَسُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ فِي الْمَوْضِعَيْنِ السَّابِقَيْنِ،
- وَهُوَ فِي: سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ «٣/ ٢٩٦» «كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابٌ فِي الثَّنَاءِ عَلَى الْمَيِّتِ»،
- الْمُسْنَدِ «ط. الْمَعَارِفِ» «١٣/ ٢٧٧-٢٧٨» وَفِي مَوَاضِعَ أُخْرَى

(١) منهاج السنة «٥/ ٢٩٥».

(٢) وَرَدَ حَدِيثَانِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-يَدُلَّانِ عَلَى أَنَّ الْعَشَرَةَ فِي الْجَنَّةِ: الْأَوَّلُ قَالَ فِي أَوَّلِهِ النَّبِيُّ-ﷺ-: اثْبُتْ حِرَاءُ، إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ. الْحَدِيثُ، وَهُوَ فِي: سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ «٤/ ٢٩٤ -٢٩٥» «كِتَابُ السُّنَّةِ، بَابٌ فِي الْخُلَفَاءِ ٩«»، سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ «٥/ ٣١٥ -٣١٦» «كِتَابُ الْمَنَاقِبِ، بَابُ مَنَاقِبِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ»، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ؛ سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ «١/ ٤٨» «الْمُقَدِّمَةُ، فَضَائِلُ الْعَشَرَةِ»، الْمُسْنَدِ «ط. الْمَعَارِفِ»، «ج [٠-٩] الْأَرْقَامُ ١٦٢٩، ١٦٣٠، ١٦٣٨، ١٦٤٤، ١٦٤٥»، وَالْحَدِيثُ الثَّانِي أَوَّلُهُ: عَشَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ. وَهُوَ فِي: سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَسُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ فِي الْمَوْضِعَيْنِ السَّابِقَيْنِ، وَفِي الْمُسْنَدِ «ط. الْمَعَارِفِ» ج [٥-٩] الْأَرْقَامُ ١٦٣١، ١٦٣٧، وَصَحَّحَ الْأَلْبَانِيُّ الْحَدِيثَ فِي: صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ «٤-٣٥».

(٣) هَذَا جُزْءٌ مِنْ حَدِيثٍ طَوِيلٍ عَنْ عَلِيٍّ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-فِي: الْبُخَارِيِّ «٥/ ٧٧-٧٨» «كِتَابُ الْمَغَازِي، بَابُ فَضْلِ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا»، «٦/ ١٤٩» «كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، سُورَةُ الْمُمْتَحِنَةِ»، مُسْلِمٍ «٤/ ١٩٤١-١٩٤٢» «كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابٌ: مِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ بَدْرٍ»؛ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ «٣/ ٦٤-٦٥» «كِتَابُ الْجِهَادِ، بَابٌ فِي حُكْمِ الْجَاسُوسِ إِذَا كَانَ مُسْلِمًا»، سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ «٥/ ٨٢-٨٤» «كِتَابُ التَّفْسِيرِ، سُورَةُ الْمُمْتَحِنَةِ»، الْمُسْنَدِ «ط. الْمَعَارِفِ» «٢/ ٣٦-٣٧». وَجَاءَ الْحَدِيثُ مُخْتَصَرًا بِمَعْنَاهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي: سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ «٤/ ٢٩٦» «كِتَابُ السُّنَّةِ، بَابٌ فِي الْخُلَفَاءِ»، الْمُسْنَدِ «ط. الْمَعَارِفِ» «١٥/ ٨٣-٨٤».

أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ» "، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ-ﷺ-[(١)]. فَهَؤُلَاءِ أَكْثَرُ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ إِمَامٍ لِأَهْلِ السُّنَّةِ، يَشْهَدُونَ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَهِيَ شَهَادَةٌ بِعِلْمٍ كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.

وَقَدْ يَكُونُ سَبَبُهُ تَوَاطُؤَ شَهَادَاتِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ هُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ. كَمَا فِي الصَّحِيحِ «عَنِ النَّبِيِّ-ﷺ-أَنَّهُ مُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا فَقَالَ: «وَجَبَتْ وَجَبَتْ». وَمُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا: شَرًّا فَقَالَ: «وَجَبَتْ وَجَبَتْ». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا قَوْلُكَ: وَجَبَتْ وَجَبَتْ؟ قَالَ: «هَذِهِ الْجِنَازَةُ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقُلْتُ: وَجَبَتْ لَهَا الْجَنَّةُ. وَهَذِهِ الْجِنَازَةُ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهَا شَرًّا، فَقُلْتُ: وَجَبَتْ لَهَا النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ».[(٢)]

وَفِي الْمُسْنَدِ «عَنِ النَّبِيِّ-ﷺ-أَنَّهُ قَالَ: «يُوشِكُ أَنْ تَعْلَمُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ». قَالُوا: بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ وَالثَّنَاءِ السَّيِّئِ».[(٣)]

---

(١) الْحَدِيثُ عَنْ أُمِّ مُبَشِّرٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-فِي مُسْلِمٍ «٤/ ١٩٤٢» «كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابٌ: مِنْ فَضَائِلِ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ»، وَنَصُّهُ فِيهِ: أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ-ﷺ-يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: لَا يَدْخُلُ النَّارَ-إِنْ شَاءَ اللَّهُ-مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدُ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا " قَالَتْ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَانْتَهَرَهَا. فَقَالَتْ حَفْصَةُ: وَإِنْ مِنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا [سُورَةُ مَرْيَمَ: ٧١]، فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: فَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا [سُورَةُ مَرْيَمَ: ٧٢]، وَالْحَدِيثُ عَنْهَا أَيْضًا فِي الْمُسْنَدِ «ط. الْحَلَبِيِّ» «٦/ ٣٦٢، ٤٢٠»، وَعَنْ حَفْصَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-فِي: سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ «٢/ ١٤٣١» «كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ ذِكْرِ الْبَعْثِ».

(٢) الْحَدِيثُ مَعَ اخْتِلَافٍ فِي الْأَلْفَاظِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-فِي الْبُخَارِيِّ «٣/١٦٩» «كِتَابُ الشَّهَادَاتِ، بَابُ تَعْدِيلِ كَمْ يَجُوزُ»، «٢/٩٧» «كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَى الْمَيِّتِ»، مُسْلِمٍ «٢/٦٥٥-٦٥٦» «كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ فِيمَنْ يُثْنَى عَلَيْهِ خَيْرٌ أَوْ شَرٌّ مِنَ الْمَوْتَى»، سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ «٢/٢٦١» «كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الثَّنَاءِ الْحَسَنِ عَلَى الْمَيِّتِ»، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: وَفِي الْبَابِ عَنْ عُمَرَ وَكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ، سُنَنِ النَّسَائِيِّ «٤/ ٤١»، «كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ الثَّنَاءِ»، سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ «١/ ٤٧٨» «كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الثَّنَاءِ عَلَى الْمَيِّتِ»، وَجَاءَ حَدِيثٌ آخَرُ بِمَعْنَاهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-فِي سُنَنِ النَّسَائِيِّ وَسُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ فِي الْمَوْضِعَيْنِ السَّابِقَيْنِ، وَهُوَ فِي: سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ «٣/ ٢٩٦» «كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابٌ فِي الثَّنَاءِ عَلَى الْمَيِّتِ»، الْمُسْنَدِ «ط. الْمَعَارِفِ» «١٣/ ٢٧٧-٢٧٨» وَفِي مَوَاضِعَ أُخْرَى.

(٣) الْحَدِيثُ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ الثَّقَفِيِّ عَنْ أَبِيهِ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-فِي: سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ «٢/ ١٤١١» «كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ الثَّنَاءِ الْحَسَنِ»، وَقَالَ الْمُعَلِّقُ فِي الزَّوَائِدِ: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، رِجَالُهُ ثِقَاتٌ، وَلَيْسَ لِأَبِي زُهَيْرٍ هَذَا عَنِ ابْنِ مَاجَهْ سِوَى هَذَا الْحَدِيثِ، وَلَيْسَ لَهُ شَيْءٌ فِي بَقِيَّةِ الْكُتُبِ السِّتَّةِ، وَالْحَدِيثُ فِي الْمُسْنَدِ «ط. الْحَلَبِيِّ» «٣/ ٤١٦»، «٦/ ٤٦٧».

وَقَدْ يَكُونُ سَبَبُ ذَلِكَ تَوَاطُؤُ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ النَّبِيَّ-ﷺ-قَالَ: " «لَمْ يَبْقَ بَعْدِي مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ الصَّالِحُ أَوْ تُرَى لَهُ».((١))

«وَسُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [سُورَةُ يُونُسَ: ٦٤] قَالَ: «هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوْ تُرَى لَهُ».((٢))

وَقَدْ فَسَّرَهَا أَيْضًا بِثَنَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، «فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلُ يَعْمَلُ لْعَمَلَ لِنَفْسِهِ فَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ. فَقَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ».((٣))

وَالرُّؤْيَا قَدْ تَكُونُ مِنَ اللَّهِ، وَقَدْ تَكُونُ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ، وَقَدْ تَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَوَاطَأَتْ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَمْرٍ كَانَ حَقًّا، كَمَا إِذَا تَوَاطَأَتْ رِوَايَاتُهُمْ أَوْ رَأْيُهُمْ فَإِنَّ الْوَاحِدَ قَدْ يَغْلَطُ أَوْ يَكْذِبُ، وَقَدْ يُخْطِئُ فِي الرَّأْيِ، أَوْ يَتَعَمَّدُ الْبَاطِلَ، فَإِذَا اجْتَمَعُوا لَمْ يَجْتَمِعُوا عَلَى ضَلَالَةٍ، وَإِذَا تَوَاتَرَتِ الرِّوَايَاتُ أَوْرَثَتِ الْعِلْمَ، وَكَذَلِكَ الرُّؤْيَ قَالَ: النَّبِيُّ-ﷺ-: " «أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ عَلَى أَنَّهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُتَحَرِّيهَا، فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ

---

(١) الْحَدِيثُ-مَعَ اخْتِلَافٍ فِي الْأَلْفَاظِ-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-فِي: الْبُخَارِيِّ «٩/ ٣١» «كِتَابُ التَّعْبِيرِ، بَابُ الْمُبَشِّرَاتِ»، وَجَاءَ جُزْءٌ مِنْ حَدِيثٍ آخَرَ بِنَفْسِ الْمَعْنَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-فِي مُسْلِمٍ ١/٣٤٨ «كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابٌ فِي الدُّعَاءِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ»، سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ «١/ ٣٢١» «كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابٌ فِي الدُّعَاءِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ»، سُنَنِ النَّسَائِيِّ «٨/ ١٤٨»، «كِتَابُ التَّطْبِيقِ، بَابُ تَعْظِيمِ الرَّبِّ فِي الرُّكُوعِ»، سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ «٢/ ١٢٨٣» «كِتَابُ تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا، بَابُ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ»، الْمُسْنَدِ «ط. الْمَعَارِفِ» «٣/ ٢٧٥».

(٢) الْحَدِيثُ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَعُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ «٣/ ٣٦٤-٣٦٥» «كِتَابُ الرُّؤْيَا، بَابُ ذَهَبَتِ النُّبُوَّةُ وَبَقِيَتِ الْمُبَشِّرَاتُ»، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ: وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. وَتَكَرَّرَ هَذَا الْحَدِيثُ: «٤/٣٥٠» «كِتَابُ التَّفْسِيرِ، وَمِنْ سُورَةِ يُونُسَ»، سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ «٢/ ١٢٨٣» «كِتَابُ تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا، بَابُ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ»

(٣) الْحَدِيثُ-مَعَ اخْتِلَافٍ فِي الْأَلْفَاظِ-عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-فِي مُسْلِمٍ «٤/ ٢٠٣٤-٢٠٣٥» «كِتَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ إِذَا أُثْنِيَ عَلَى الصَّالِحِ فَهِيَ بُشْرَى وَلَا تَضُرُّ»، سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ «٢/ ١٤١٢» «كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ الثَّنَاءِ الْحَسَنِ»، الْمُسْنَدِ «ط. الْحَلَبِيِّ» «٥/ ١٥٦، ١٥٧، ١٦٨».

الْأَوَاخِرِ».[(١)] [(٢)]"

كما قال ابن عثيمين رحمه الله تعالى[(٣)]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكذلك من أجمعت الأمة على الثناء عليه فإننا نشهد له بالجنة فمثلا الإمام أحمد–رحمه الله–الشافعي أبو حنيفة مالك سفيان الثوري سفيان بن عيينة وغيرهم من الأئمة أجمعت الأمة على الثناء عليهم فنشهد لهم بأنهم من أهل الجنة. شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله–أجمع الناس بالثناء عليه إلا من شذ ومن شذ، شذ في النار يشهد له بالجنة على هذا الرأي." اهـ [(٤)] والله أعلم.

وقد أجيب على أدلة هذا القول بأن الحديث الأول يفيد أن شهادة المؤمنون لبعضهم بالخير والصلاح توجب نفعه وصلاحه في الآخرة، ولا يجزم بها على العموم، فإحسان الظن بالمسلمين هو الأصل ولكن هذا لا يبنى عليه يقين بمآله.

وهنا فائدة مهمة على قوله وجبت وجبت: وهي على الصحيح من التحقيق والجزم، فقيل أنها من خصائصه ﷺ، ولا يجزم بها لغيره لأنها غيب، ولعل نبينا اطلع على ذلك بطريق الوحي. واختار هذا القول ابن التين.

ويرده قول عمر لها أيضا لجنازة مرت عليه، كما في الصحيح.

وفي معناها أيضا قال الإمام الطحاوي: "وجه ذلك عندنا والله أعلم أن الشهادة بالخير لمن

---

(١) الْحَدِيثُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا –، فِي الْبُخَارِيِّ «٣/ ٤٦» «كِتَابُ فَضْلِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، بَابُ الْتِمَاسِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ»، مُسْلِمٍ «٢/ ٨٢٢» «كِتَابُ الصِّيَامِ، بَابُ فَضْلِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ»، الْمُوَطَّأ «١/ ٣٢١» «كِتَابُ الِاعْتِكَافِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ»، الْمُسْنَدِ «ط. الْمَعَارِفِ» «٦/ ٢٣١».

(٢) منهاج السنة: «٣/ ٤٩٧ . ٥٠٠».

(٣) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين «٣/ ١١٧».

(٤) لعل شيخنا العثيمين رحمه الله تعالى ذكره بالمعنى وهذا نصه قال ابن تيمية: "وَمَعَ هَذَا يُمكن الْعلم بذلك للْوَلِيّ نَفسه وَلغيره وَلكنه قَلِيل وَلَا يجوز لَهُم الْقطع على ذَلِك فَمن ثبتَتْ ولَايَته بِالنَّصِّ وَأَنه من أهل الْجنَّة كالعشرة وَغَيرهم فعامة أهل السّنة يشْهدُونَ لَهُ بِمَا شهد لَهُ بِهِ النَّص، وَأما من شاع لَهُ لِسَان صدق فِي الْأمة بِحَيْثُ اتّفقت الْأمة على الثَّنَاء عَلَيْهِ فَهَل يشْهد لَهُ بذلك هَذَا فِيهِ نزاع بَين أهل السّنة وَالْأَشْبَه أَن يشْهد لَهُ بذلك هَذَا فِي الْأَمر الْعَام». دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية «٢/ ٢٢١».

شهد له به ستر من الله عز وجل عليه في الدنيا ومن ستره الله عز وجل في الدنيا لم يرفع عنه ستره في الآخرة". اهـ [(١)]

ومما قيل في معناها أيضا: أن انطلاق الألسنة بالثناء الحسن علامة على وجوب الجنة للمثنى عليه به، وليست جزما على الغيب. والله أعلم.

أما الحديث الثاني: فهو أصرح في بيان المقصود لقوله: «يوشك» وقوله: «بالثناء الحسن والثناء السيئ» يعني ما هو إلا ثناء على الظاهر لا يجزم له على الحقيقة بالجنة أو النار، فيخلص من هذا أن الكلمة على الرجاء والتمني وليست على التحقيق والتألي.

ومن الخلاف: هل هذا خاص بزمن الصحابة أم أنه عام للمؤمنين في كل زمان؟

الصحيح المختار: أنه عام ولكن في غير زمن الصحابة يحتاج إلى الإجماع.

وعليه فرأي الجمهور هو الصواب، وهو أنه لا يشهد لأحد بأنه من أهل الجنة أو من أهل النار إلا إذا ورد نص أو إجماع.

وأعني بالإجماع هنا ما يراد به حكم الجماعة المسلمة في وقت ما على المعين بأنه من أهل الجنة، فهو من أهل الجنة إن شاء الله تعالى حسب الظاهر للمسلمين وقتئذ ولا يقطع به جزما لأنه ضرب من الغيب، لذلك نصوب من يقول: هو من أهل الجنة إن شاء الله تعالى.

وعلى هذا: لا يصح الاستثناء للمعين بالشهادة فنقول هو شهيد إن شاء الله، للنهي الوارد فيما ذكرنا أعلاه، وإنما نقول نرجو له الشهادة أو نقول كما علمنا عمر: من فعل كذا فهو شهيد عن عُمَرَ أَنَّهُ خَطَبَ فَقَالَ تَقُولُونَ فِي مَغَازِيكُمْ فُلَانٌ شَهِيدٌ وَمَاتَ فَلَانٌ شَهِيدًا وَلَعَلَّهُ قَدْ يَكُونُ قَدْ أَوْقَرَ رَاحِلَتَهُ أَلَا لَا تَقُولُوا ذَلِكُمْ وَلَكِنْ قُولُوا كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ قُتِلَ فَهُوَ شَهِيدٌ" [(٢)].

وخلاصة القول: هذه المسألة من مسائل الأسماء والأحكام، فليس لك أن تشهد لمعين أنه

---

(١) بيان مشكل الآثار «٨/ ١٠٨»

(٢) انظر فتح الباري لابن حجر «٦/٩٠».

من أهل الجنة أو من أهل النار، لأنك لا تدري ماذا يُختم له، فقد يُصبح المرء مسلماً ويُمسي كافراً يمسي كافراً ويصبح مؤمناً، فلا يُدرى ما هي خاتمة كل أحدٍ منا، ولذلك كان من الدعاء: اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك.

فقد ترى الرجل على معصية وعلى شر، وعلى حالٍ لا يرضي الله عز وجل لكن قد يُختم له بخاتمة حسنة، فقد يتوب فيتوب الله عليه، فلذلك لا نشهد لأحدٍ بعينه بجنة أو نار، لكن نرجو للمحسن الخير ونخاف على المسيء، فإنك لا تدري بما يُختم له عند الموت ترجو له رحمة الله وتخاف عليه ذنوبه، فترجو إذا كان على خير أن يُختم له بخير، وإن كان على شر أن يُختم له إن شاء الله تعالى بتوبة.

٨- القرآن كلام الله عز وجل

المسألة الأولى: أهمية صفة الكلام.

المسألة الثانية: الأقوال في صفة الكلام.

المسألة الثالثة: قول أهل السنة في القرآن وأنه كلام الله.



[٨]– قال المصنف رحمه الله: والقرآن كلام الله عز وجل، ومن لدُنه، وليس بمخلوق فيبيد

الشرح

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: أهمية صفة الكلام.

هذه مسألة من كبريات مسائلِ باب الصفات؛ فأكبرُ مسألتين في باب الأسماء والصفات رَكَّز عليها أعداءُ الإسلام تركيزاً شديداً

- مسألةُ العلو.
- ومسألةُ الكلام.

لأنهم إذا أبطلوا كونَ القرآن كلام الله أبطلوا حقيقةَ الوحي،

وإذا أبطلوا علوَّ الله تعالى أبطلوا وجوده،

فهذه غايتهم وهدفهم الذي يريدون أن يصلوا إليه.

ذلك لأن أعظم ركيزتين تقوم عليهما المبادئ الفلسفية لدى الفلاسفة هما:

١. أن العلمَ مصدره الإنسان. وفي هذا تكذيب للوحي.
٢. وأن المعلومات والعلوم محصورةٌ في المحسوس المشاهَد. وفي هذا إنكار للغيب وأعظم الغيب هو الله.

فتسلَّط أعداءُ الله على باب الصفات من أجلِ أن يشكِّكُّوا في كلامِ الله وذلك بإنكارهم بأن يكون القرآن كلامُ الله حقيقة.

وأن يشكِّكُّوا في وجودِ الله بإنكارهم لعلو الله عز وجل.

فلذلك وقفوا وقفةً خبيثة، وهجموا هجمةً شرسة ضد هاتين الصفتين، فإذا كنا نقول إنهم يزعمون أن العلوم مصدرها الإنسان، ونحن نقول إن العلم الشرعي مصدره الوحي فلمَّا هؤلاء

يلغونَ أن الله تكلم حقيقة، ويشــكَّكُّون في أن هناك وحي وقالوا: هذه عبارة محمد؛ أو عبارة جبريـل، وأن الله مـا تكلم حقيقـة. لأنهم إذا أســـقطوا الوحي وقطعوا عليـك طريق الوحي فسيتساوى قولُ محمد مع قولِ أي بشرٍ من الناس.

صفة الكلام تأتي–من حيث الأهمية–مع صفة العُلو لله سبحانه وتعالى؛ لذلك اهتم بهما أئمة السلف، وأكدوا على ثُبوتهما لله تعالى حقيقة، وأوردوا في ذلك أدلة كثيرة.

وبالنسـبة لصـفة الكلام التي هي موضـوع حديثنا هنا فإن علماء أهل السـنة بينوا الحق في هذه المســـألة ووقفوا موقفاً عظيماً صـــلباً حتى إنه كما هو معلوم في زمن فتنةَ القولِ بخلقِ القرآن، فقام المأمون وهو كان من المعتزلة ويتبنَّى قول المعتزلة، فعذَّب مَن عذَّب من العلماء وفصَلَهم عن وظائفهم وسـجنهم وقام بتعذيبهم لأجلِ أن يرفعَ هذا الشـعار؛ أن القرآنَ مخلوق وأنه ليس كلامُ الله حقيقة.

فدفع أهل السنة شبهات المعطلة من الجهمية والمعتزلة ومَن دَار في فَلَكهم القائلين بأنَّ الله خلق القرآن في غيره، وردوا كذلك على الكلَّابية الذين قالوا: القرآن حكاية عن كلام الله، وردوا–أيضًا–على الأشاعرة الذين قالوا: القرآن عبارة عن كلام الله.

فالمعطلة أرادوا بقولهم هذا: إسقاط قيمة الوحي؛ ليصبح لدى الناس خلل في اتباع الوحي، فأهل السـنة يؤمنون بأن أول مصـدر للتشـريع هو وحي الله تعالى إلى رسوله ﷺ، أي: كلامه بحروفه ومعانيه، وأن الله تعالى قاله بحرف وصوت.

وأوَّل مَن عُرف أنه قال: مخلوق الجعد بن درهم وصاحبه الجهم بن صفوان.

وأول مَن عُرف أنه قال: هو قديم عبد الله بن ســـعيد بن كلاب، «ت: ٢٤١ هـ»، ثم افترق الذين شـــاركوه في هذا القول؛ فمنهم مَن قال: الكلام معنى واحد قائم بذات الرَّبِّ، ومعنى القرآن كله والتوراة والإنجيل وســـائر كتب الله وكلامه هو ذلك المعنى الواحد الذي لا يَتعدد ولا يتبعض، والقرآن العربي لم يتكلم الله به، بل هو مخلوق خلقه في غيره.

وقال جمهور العقلاء: هذا القول معلوم الفساد بالاضـطرار؛ فإنَّه مِن المعلوم بصـريح العقل أن معنى «آية الكرسي» ليس معنى «آية الدَّيْن»، ولا معنى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:

الآية: ١]، معنى ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: الآية: ١]؛ فكيف بمعاني كلام الله كله في الكتب المنزلة وخطابه لملائكته وحسابه لعباده يوم القيامة وغير ذلك من كلامه؟!

ومنهم مَن قال: هو حروف، أو حروف وأصـــوات قديمة أزلية لازمة لذاته لم يَزل ولا يزال موصوفًا بها.

وكلا الحزبين يقول: إن الله تعالى لا يتكلم بمشـــيئته وقدرته، وإنه لم يزل ولا يزال يقول: يا نوح، يا إبراهيم، يا أيها المزمل، يا أيها المدثر، ولم يقل أحد من الســـلف بواحد من القولين، ولم يقل أحدٌ من الســـلف: إنَّ هذا القرآن عبارة عن كلام الله، ولا حكاية له، ولا قال أحد منهم: إن لفظي بالقرآن قديم أو غير مخلوق، فضـلًا عن أن يقول: إن صـوتي به قديم أو غير مخلوق؛ بل كانوا يقولون بما دلَّ عليه الكتاب والســـنة من أن هذا القرآن كلام الله، والناس يَقرءونه بأصواتهم، ويكتبونه بمدادهم، وما بين اللوحين كلام الله، وكلام الله غير مَخلوق"[(١)]

وأما المعتزلة والجهمية فقالوا: القرآن كلام الله مخلوق؛ فهم أضـــافوا الكلام إلى الله من باب إضافة الوصف على حد قولهم: «ناقة الله».

ومن المتفلسفة مَن يزعم أن المعاني والحروف تأليفه؛ لكنها فاضت عليه كما يفيض العلم على غيره من العلماء.

المسألة الثانية: الأقوال في كلام الله.[(٢)]

---

(١) «مجموع الفتاوى» «١٢/ ٣٠١، ٣٠٢».

(٢) لخص شارح العقيدة الطحاوية أقوال المخالفين في صفة الكلام فقال: "وقد افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال: أحدها: أن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من معاني، إما من العقل الفعال عند بعضـــهم، أو من غيره، وهذا قول الصـــابئة والمتفلســـفة. وثانيها: أنه مخلوق خلقه الله منفصـــلا عنه، وهذا قول المعتزلة. وثالثها: أنه معنى واحد قائم بذات الله، هو الأمر والنهي والخبر والاســـتخبار، وإن عبر عنه بالعربية كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبريه كان توراة، وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه، كالأشـــعري =

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "مسألة كلام الله تعالى، والناس فيها مضطربون، وقد بلغوا فيها إلى تسعة أقوال: وعامة الكتب المصنفة في الكلام وأصول الدين لم يذكر أصحابها إلا بعض هذه الأقوال إذ لم يعرفوا غير ما ذكروه، فمنهم من يذكر قولين، ومنهم من يذكر ثلاثة، ومنهم من يذكر أربعة، ومنهم من يذكر خمسة، وأكثرهم لا يعرفون قول السلف.

- **أحدها**: قول من يقول: إن كلام الله ما يفيض على النفوس من المعاني التي تفيض: إما من العقل الفعال عند بعضهم، وإما من غيره.

وهذا قول الصابئة والمتفلسفة الموافقين لهم كابن سينا وأمثاله، ومن دخل مع هؤلاء من متصوفة الفلاسفة ومتكلميهم كأصحاب وحدة الوجود. وفي كلام صاحب الكتب "المضنون بها على غير أهلها" «بل "المضنون الكبير والمضنون الصغير"» ورسالة "مشكاة الأنوار" وأمثاله ما قد يشار به إلى هذا، وهو في غير ذلك من كتبه يقول ضد هذا، لكن كلامه يوافق هؤلاء تارة وتارة يخالفه، وآخر أمره استقر على مخالفتهم ومطالعة الأحاديث النبوية.

وثانيها: قول من يقول: إنه مخلوق خلقه الله منفصلا عنه.

وهذا قول هذا الإمامي وأمثاله من الرافضة المتأخرين، والزيدية، والمعتزلة، والجهمية.

وثالثها: قول من يقول: إنه معنى واحد قديم قائم بذات الله هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة.

وغيره.

ورابعها: أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل، وهذا قول طائفة من أهل الكلام ومن أهل الحديث. وخامسها: أنه حروف وأصوات، لكن تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلما، وهذا قول الكرامية وغيرهم. وسادسها: أن كلامه يرجع إلى ما يحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته، وهذا يقوله صاحب المعتبر، ويميل إليه الرازي في المطالب العالية. وسابعها: أن كلامه يتضمن معنى قائما بذاته هو ما خلقه في غيره، وهذا قول أبي منصور الماتريدي. وثامنها: أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات، وهذا قول أبي المعالي ومن تبعه. وتاسعها: أنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديما، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة". شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٧٢-١٧٤.

وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه كالأشعري وغيره.

ورابعها: قول من يقول: إنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل.

وهذا قول طائفة من أهل الكلام وأهل الحديث. ذكره الأشعري في " المقالات " عن طائفة. وهو الذي يذكر عن السالمية ونحوهم. وهؤلاء

قال طائفة منهم: إن تلك الأصوات القديمة هي الصوت المسموع من القارئ، أو هي بعض الصوت المسموع من القارئ.

وأما جمهورهم مع جمهور العقلاء فأنكروا ذلك، قالوا: هذا مخالف لضرورة العقل.

وخامسها: قول من يقول: إنه حروف وأصوات لكن تكلم به بعد أن لم يكن متكلما، وكلامه حادث في ذاته كما أن فعله حادث في ذاته بعد أن لم يكن متكلما ولا فاعلا. وهذا قول الكرامية وغيرهم.

وهو قول هشام بن الحكم وأمثاله من الشيعة. وهؤلاء منهم من يقول: هو حادث وليس بمحدث، ومنهم من يقول: بل هو محدث أيضا. وقد ذكر القولين الأشعري عنهم في "المقالات" وذكر الخلاف بين أبي معاذ التومني وبين زهير الأثري. والكرامية يقولون: حادث لا محدث.

وسادسها: قول من يقول: إنه لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء بكلام يقوم به وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام أزلي قديم، م وإن لم يجعل نفس الصوت المعين قديما.

وهذا هو المأثور عن أئمة الحديث والسنة.

وسابعها: قول من يقول: كلامه يرجع إلى ما يحدث من علمه وإرادته القائم بذاته. ثم من هؤلاء من يقول: لم يزل ذاك حادثا في ذاته، كما يقوله أبو البركات صاحب "المعتبر" وغيره، ومنهم من لا يقول بذلك، وأبو عبد الله الرازي يقول بهذا القول في مثل " المطالب العالية ".

وثامنها: قول من يقول: كلامه يتضمن معنى قائما بذاته وهو ما خلقه في غيره. ثم من

هؤلاء من يقول في ذلك المعنى بقول ابن كلاب، وهذا قول أبي منصور الماتريدي.

ومنهم من يقول بقول المتفلسفة وهذا قول طائفة من الملاحدة الباطنية متشيعهم ومتصوفيهم.

وتاسعها: قول من يقول: كلام الله مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات. وهذا قول أبي المعالي ومن اتبعه من متأخري الأشعرية"[(١)]

وفصل ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ» هذه الأقوال فقال: "فصل: اختلف أهل الأرض في كلام الله تعالى،

[مذهب الاتحادية]

فذهب الاتحادية القائلون بوحدة الوجود أن كل كلام في الوجود كلام الله: نظمه ونثره وحقه وباطله سحره وكفره والسب والشتم والهجر والفحش، وأضداده كله غير كلام الله تعالى القائم به كما قال عارفهم:

وكل كلام في الوجود كلامه ... سواء علينا نثره ونظامه

وهذا المذهب مبني على أصلهم الذي أصلوه، وهو أن الله سبحانه هو عين هذا الوجود، فصفاته هي صفات الله، وكلامه هو كلام الله، وأصل هذا المذهب إنكار مسألة المباينة والعلو، فإنهم لما أصلوا أن الله تعالى غير مباين لهذا العالم المحسوس صاروا بين أمرين لا ثالث لهما إلا المكابرة.

أحدهما: إنه معدوم لا وجود له، إذ لو كان موجودا لكان إما داخل العالم وإما خارجا عنه، وهذا معلوم بالضرورة، فإنه إذا كان قائما بنفسه، فإما أن يكون مباينا للعالم أو محايثا له، إما داخلا فيه وإما خارجا عنه.

الأمر الثاني: أن يكون هو عين هذا العالم، فإنه يصح أن يقال فيه حينئذ أنه لا داخل العالم

---

(١) «منهاج السنة النبوية» «٢/ ٣٥٨ – ٣٦٣».

ولا خارجه، ولا مباينا له ولا حالا فيه، إذ هو عينه، والشيء لا ينافي نفسه ولا يحايثها، فرأوا أن هذا خير من إنكار وجوده وبالحكم عليه بأنه معدوم، ورأوا أن الفرار من هذا إلى إثبات موجود قائم بنفسه، لا داخل العالم ولا خارجا، ولا متصل به ولا منفصل عنه ولا مباين له ولا محايث ولا فوقه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا خلفه ولا أمامه، فرارا إلى ما لا يسيغه عقل ولا تقبله فطرة ولا تأتي به شريعة. ولا يمكن أن يقر برب هذا شأنه إلا على أحد وجهين لا ثالث لهما.

أحدهما: أن يكون ساريا فيه حالا فيه، فهو في كل مكان بذاته، وهو قول جميع الجهمية الأقدمين.

الوجه الثاني: أن يكون وجوده في الذهن لا في الخارج، فيكون وجوده سبحانه وجودا عقليا، إذ لو كان موجودا في الأعيان لكان إما عين هذا العالم أو غيره، ولو كان غيره لكان إما بائنا عنه أو حالا فيه، كلاهما باطل، فثبت أنه عين هذا العالم، فله حينئذ كل اسم حسن قبيح، وكل صفة كمال ونقص، وكل كلام حق وباطل، نعوذ بالله من ذلك.

[مذهب الفلاسفة المتأخرين]

المذهب الثاني: مذهب الفلاسفة المتأخرين أتباع أرسطو، وهم الذين يحكي ابن سينا والفارابي والطوسي قولهم: إن كلام الله فيض فاض من العقل الفعال على النفوس الفاضلة الزكية بحسب استعدادها، فأوجب لها ذلك الفيض تصورات وتصديقات بحسب ما قبلته منه، لهذه النفوس عندهم ثلاث قوى: قوة التصور وقوة التخييل وقوة التعبير، فتدرك بقوة تصورها من المعاني ما يعجز عنه غيرها، وتدرك بقوة تخيلها شكل المعقول في صورة المحسوس، فتتصور المعقول صورا نورانية تخاطبها وتكلمها بكلام تسمعه الآذان، وهو عندهم كلام الله ولا حقيقة له في الخارج، وإنما ذلك كله من القوة الخيالية الوهمية، قالوا وربما قويت هذه القوة على إسماع ذلك الخطاب لغيرها، وتشكيل تلك الصور العقلية لعين الرائي فيرى الملائكة ويسمع خطابهم، وكل ذلك من الوهم والخيال لا في الخارج.

فهذا أصل هؤلاء في إثبات كلام الرب وملائكته وأنبيائه ورسله، والأصل الذي قادهم إلى

هذا عدم الإقرار بالرب الذي عرفت به الرسل ودعت إليه، وهو القائم بنفسه المباين العالي فوق سماواته فوق عرشه الفعال لما يريد بقدرته ومشيئته، العالم بجميع المعلومات، القادر على كل شيء، فهم أنكروا ذلك كله.

[مذهب المعتزلة]

المذهب الثالث: مذهب الجهمية لصفات الرب تعالى أن كلامه مخلوق ومن بعض مخلوقاته، فلم يقم بذاته سبحانه، فاتفقوا على هذا الأصل واختلفوا في فروعه، قال الأشعري في كتاب المقالات: اختلفت المعتزلة في كلام الله، هل هو جسم أو ليس بجسم، وفي خلقه على ستة أقاويل:

فالفرقة الأولى: منهم يزعمون أن كلام الله جسم، وأنه مخلوق، وأنه لا شيء إلا جسم.

والفرقة الثانية: زعموا أن كلام الخلق عرض وهو حركة؛ لأنه لا عرض عندهم إلا الحركة وأن كلام الخالق جسم، وأن ذلك الجسم صوت متقطع مؤلف مسموع، وهو فعل الله وخلقه، وهذا قول أبي الهذيل وأصحابه، وأحال النظام أن يكون كلام الله في أماكن كثيرة أو مكانين في وقت واحد، وزعم أنه في المكان الذي خلق فيه.

والفرقة الثالثة: من المعتزلة تزعم أن القرآن مخلوق لله وأنه عرض وأنه يوجد في أماكن كثيرة في وقت واحد إذا تلاه قال فهو يوجد مع تلاوته، وإذا كتبه وجد مع كتابته، وإذا حفظه وجد مع حفظه، وهو يوجد في الأماكن بالتلاوة والحفظ والكتابة ولا يجوز عليه الانتقال والزوال.

والفرقة الرابعة: يزعمون أن كلام الله عز وجل عرض وأنه مخلوق وأحالوا أن يوجد في مكانين في وقت واحد، وزعموا أن المكان الذي خلقه الله تعالى فيه محال انتقاله وزواله منه ووجوده في غيره، وهذا قول جعفر بن حرب وأكثر البغداديين.

والفرقة الخامسة: أصحاب معمر يزعمون أن القرآن عرض، والأعراض عندهم قسمان: قسم منهما يفعله الأحياء وقسم منهما يفعله الأموات، ومحال أن يكون ما يفعله الأموات فعلا للأحياء، والقرآن مفعول وهو عرض، ومحال أن يكون الله فعله في الحقيقة، لأنهم يحيلون أن تكون الأعراض فعلا لله، وزعموا أن القرآن فعل للمحل الذي يسمع منه، إذ سمع من الشجرة،

فهو فعل لها حيث سمع، فهو فعل المحل الذي حل فيه.

والفرقة السادسة: يزعمون أن كلام الله عرض مخلوق، وأنه يوجد في أماكن كثيرة في وقت واحد، وهذا قول الإسكافي.

واختلفت المعتزلة في كلام الله هل يبقى؟ فقالت فرقة منهم: يبقى بعد خلقه، وقالت فرقة أخرى: لا يبقى إنما يوجد في الوقت الذي خلقه الله ثم يعدم بعد ذلك، وهذا المذهب هو من فروع الأصل الباطل المخالف لجميع كتب الله ورسله، ولصريح المعقول والفطر، من جحد صفات الرب وتعطيل حقائق أسمائه ونفي قيام الأفعال به، فلما أصلوا أنه لا يقوم به وصف ولا فعل كان من فروع هذا الأصل أنه لم يتكلم بالقرآن ولا بغيره، وأن القرآن مخلوق، وطرد ذلك إنكار ربوبيته وإلهيته، فإن ربوبيته سبحانه إنما تتحقق بكونه فعالا مدبرا متصرفا في خلقه، يعلم ويقدر ويريد ويسمع ويبصر، فإذا انتفت أفعاله وصفاته انتفت ربوبيته، إذا انتفت عنه صفة الكلام انتفى الأمر والنهي ولوازمها وذلك ينفي حقيقة الإلهية، فطرد ما أصلوه أن الله سبحانه ليس برب العالم ولا إله، فضلا عن أن يكون لا رب غيره ولا إله سواه.

[مذهب الكلابية]

المذهب الرابع: مذهب الكلابية، أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب، أن القرآن معنى قائم بالنفس لا يتعلق بالقدرة والمشيئة، وأنه لازم لذات الرب كلزوم الحياة والعلم، وأنه لا يسمع على الحقيقة، والحروف والأصوات حكاية له دالة عليه وهي مخلوقة، وهو أربع معان في نفسه: الأمر والنهي والخبر والاستفهام، فهي أنواع لذلك المعنى القديم الذي لا يسمع، وذلك المعنى هو المتلو المقروء، وهو غير مخلوق، والأصوات والحروف هي تلاوة العباد وهي مخلوقة، وهذا المذهب أول من يعرف أنه قال به ابن كلاب، وبناه على أن الكلام لا بد أن يقوم بالمتكلم، والحروف والأصوات حادثة فلا يمكن أن تقوم بذات الرب تعالى لأنه ليس محلا للحوادث، فهي مخلوقة منفصلة عن الرب، والقرآن اسم ذلك المعنى وهو غير مخلوق.

[مذهب الأشعري]

المذهب الخامس: مذهب الأشعري ومن وافقه أنه معنى واحد قائم بذات الرب، وهو صفة

قديمة أزلية ليس بحرف ولا صوت، ولا ينقسم ولا له أبعاض ولا له أجزاء ولا عين الأمر وعين النهي وعين الخبر وعين الاستخبار، الكل من واحد وهو عين التوراة والإنجيل والقرآن والزبور، وكونه أمرا ونهيا، وخبرا واستخبارا صفات لذلك المعنى الواحد، وأنواع له، فإنه لا ينقسم بنوع ولا جزء، وكونه قرآنا وتوراة وإنجيلا تقسيم للعبارات عنه لا لذاته، بل إذا عبر عن ذلك المعنى بالعربية كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان اسمه إنجيلا، والمعنى واحد، وهذه الألفاظ عبارة عنه ولا يسميها حكاية، وهي خلق من المخلوقات، وعنه لم يتكلم الله بهذا الكلام العربي، ولا سمع من الله وعنده ذلك المعنى سمع من الله حقيقة، ويجوز أن يرى ويشم، ويذاق ويلمس، ويدرك بالحواس الخمس، إذ المصحح عنده لإدراك الحواس هو الوجود، فكل وجود يصح تعلق الإدراكات كلها به كما قرره في مسألة رؤية من ليس في جهة من الرائي، وأنه يرى حقيقة وليس مقابلا للرائي.

هذا قولهم في الرؤية وذلك قولهم في الكلام.

والبلية العظمى نسبة ذلك إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه جاء بهذا ودعا إليه الأمة، وأنهم أهل الحق، ومن عداهم أهل الباطل، وجمهور العقلاء يقولون: إن تصور هذا المذهب كاف في الجزم في بطلانه، وهو لا يتصور إلا كما تتصور المستحيلات الممتنعات، وهذا المذهب مبني على مسألة إنكار قيام الأفعال والأمور الاختيارية بالرب تعالى ويسمونها مسألة حلول الحوادث، وحقيقتها إنكار أفعاله وربوبيته إرادته ومشيئته.

[مذهب الكرامية]

المذهب السادس: مذهب الكرامية، وهو أنه متعلق بالمشيئة والقدرة قائم بذات الرب تعالى، وهو حروف وأصوات مسموعة، وهو حادث بعد أن لم يكن، فهو عندهم متكلم بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن متكلما، كما يقوله سائر فرق المتكلمين أنه فعل بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن فاعلا، كما ألزموا به الكرامية في مسألة الكلام، فهو لازم لهم في مسألة الفعل، والكرامية أقرب إلى الصواب منهم، فإنهم أثبتوا كلاما وفعلا حقيقة قائمين بذات المتكلم الفاعل، وجعلوا لهما أولا، فرارا من القول بحوادث لا أول لها، ومنازعون أبطلوا حقيقة الكلام والفعل،

وقالوا لم يقم به فعل ولا كلام البتة، وأما من أثبت منهم معنى قائما بنفسه سبحانه، فلو كان ما أثبته مفعولا لكان من جنس الإرادة والعلم لم يكن شيئا خارجا عنهما، فهم لم يثبتوا له كلاما ولا فعلا وأما الكرامية فإنهم جعلوه متكلما بعد أن لم يكن متكلما، كما جعله خصومهم فاعلا بعد أن لم يكن فاعلا.

[مذهب السالمية] ((١))

المذهب السابع: مذهب السالمية ومن وافقهم من أتباع الأئمة الأربعة وأهل الحديث أنه صفة قائمة بذات الرب تعالى لم يزل ولا يزال، لا يتعلق بقدرته ومشيئته، ومع ذلك هو حروف وأصوات، وسور وآيات سمعه جبرائيل منه، وسمعه موسى بلا واسطة، ويسمعه سبحانه من يشاء، وإسماعه نوعان: بواسطة وبغير واسطة ومع ذلك فحروفه وكلماته لا يسبق بعضها بعضا، بل هي مقترنة الباء مع السين مع الميم في آن واحد، لم تكن معدومة في وقت من الأوقات ولا تعدم، بل لم تزل قائمة بذاته سبحانه قيام صفة الحياة والسمع والبصر، وجمهور العقلاء قالوا: تصور هذا المذهب كاف في الجزم ببطلانه.

والبراهين العقلية والأدلة القطعية شاهدة ببطلان هذه المذاهب كلها، وأنها مخالفة لصريح العقل والنقل، والعجب أنها هي الدائرة بين فضلاء العالم لا يكادون يعرفون غيرها.

المسألة الثالثة: قول أهل السنة في القرآن وأنه كلام الله

صفة الكلام من الصفات التي لها تشعبات كثيرة متعددة يحسن عند عرضها أن يكون العرض لها مفصلًا بحسب تلك التفريعات التي سأضع لها عناوين جانبية مما يساعد من جهة على التعرف على قول أهل السنة بشكل أدق، والتعرف على أقوال المخالفين حين عرضها

---

(١) "جماعة ينسبون إِلَى مَذْهَب أبي الحسن مُحَمَّد بن أَحمد بن سالم السالمي فِي الْأُصُول يُقَال لَهُم السالمية وَهُوَ مَذْهَب مَشْهُور بِالْبَصْرَةِ وسوادها". «اللباب في تهذيب الأنساب» «ج٢ص٩٣». وقال الذهبي عن أبي الحسن البصري هذا: "وَلَهُ أَصْحَابُ يُسَمَّوْنَ السَّالِمِيَّة، هجرهُمُ النَّاسُ لأَلْفَاظِ هُجنَةٍ أطلقُوهَا وَذَكَرُوهَا ... وَمَاتَ ابْنُ سَالِمٍ وَقَدْ قَاربَ التَّسْعِيْنَ سَنَةَ بضع وَخَمْسِيْنَ وَثَلَاثِ مِائَةٍ" – «سير أعلام النبلاء – ط الرسالة «١٦/ ٢٧٣».

في تلك الجزئيات من جهة أخرى.

أولًا: إثبات صفة الكلام لله عز وجل.

يثبت أتباع الرسل صفة الكلام لله عز وجل كما أثبتوا له سائر الصفات، ومحال قيام هذه الصفة بنفسها كما يقوله بعض المكابرين أنه خلق الكلام لا في محل، ومحال قيامها بغير الموصوف بها كما يقوله المكابر الآخر أنه خلق في محل فكان هو المتكلم به دون المحل، قالوا والكلام الحقيقي هو الذي يوجد بقدرة المتكلم وإرادته قائما به، لا يعقل غير هذا، وأما ما كان موجودا بدون قدرته ومشيئته وإن سمع منه فإنه ليس بكلام له، وإنما هو مخلوق خلقه الله فيه، فلو كان ما قام بالرب تعالى من الكلام غير متعلق بمشيئته بل يتكلم بغير اختياره لم يكن هذا هو الكلام المعهود، بل هذا شيء آخر غير ما يعرفه العقل ويشهد به الشرع، قالوا: ولو لم يكن هناك ألفاظ مسموعة حقيقة السمع لم يكن ثم صفة كلام البتة، ولو كان عاجزا عن الكلام في الأزل لم يصر قادرا عليه فيما لم يزل، فإنه إذا كانت حاله قبل وبعد سواء وهو لم يستفد صفة الكلام من غيره، فمن المستحيل أن تجدد له هذه الصفة بعد أن كان فاقدا لها بالكلية.

وكذلك إثبات قدم عين كل فرد من أنواع الكلام وبقائه أزلا وأبدا واقتران حروفه بعضها ببعض بحيث لا يسبق شيء منها لغيره، لا يسيغه عقل ولا تقبله فطرة وقد دلت النصوص النبوية أنه متكلم إذا شاء بما شاء، وأن كلامه يسمع، وأن القرآن العزيز الذي هو سور وآيات وحروف وكلمات عين كلامه حقا، لا تأليف ملك ولا بشر، وأنه سبحانه الذي قاله بنفسه: ﴿**المص**﴾ [الأعراف: الآية: ١]، ﴿**حم عسق**﴾ [الشورى: الآية: ١]، ﴿**كهيعص**﴾ [مريم: الآية: ١].

وأن القرآن جميعه، حروفه ومعانيه نفس كلامه الذي تكلم به، وليس بمخلوق ولا بعضه قديما، وهو المعنى وبعضه مخلوق، وهو الكلمات والحروف، ولا بعضه كلامه وبعضه كلام غيره، ولا ألفاظ القرآن وحروفه ترجمة ترجم بها جبرائيل أو محمد عليهما السلام عما قام بالرب من المعنى من غير أن يتكلم الله بها، بل القرآن جميعه كلام الله، حروفه ومعانيه، تكلم الله به حقيقة،

والقرآن اسم لهذا النظم العربي الذي بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم عن جبرائيل عن رب العالمين.

فللرسولين منه مجرد التبليغ والأداء، لا الوضع والإنشاء، كما يقول أهل الزيغ والاعتداء، فكتاب الله عندهم غير كلامه، كتابه مخلوق وكلامه غير مخلوق، والقرآن إن أريد به الكتاب كان مخلوقا، وإن أريد به الكلام كان غير مخلوق، وعندهم أن الذي قال السلف هو غير مخلوق هو عين القائم بالنفس وأما ما جاء به الرسول وتلاه على الأمة فمخلوق، وهو عبارة عن ذلك المعنى، وعندهم أن الله تعالى لم يكلم موسى، وإنما اضطره إلى معرفة المعنى القائم بالنفس من غير أن يسمع منه كلمة واحدة، وما يقرؤه القارئون ويتلوه التالون فهو عبارة عن ذلك المعنى، وفرعوا على هذا الأصل فروعا: منها: أن كلام الله لا يتكلم به غيره، فإنه عين القائم بنفسه، ومحال قيامه بغيره فلم يتل أحد قط كلام الله ولا قرأه.

ومنها: أن هذا الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ليس كلام الله إلا على سبيل المجاز.

ومنها: أنه لا يقال إن الله تكلم ولا يتكلم ولا قال ولا يقول ولا خاطب ولا يخاطب، فإن هذه كلها أفعال إرادية تكون بالمشيئة، وذلك المعنى صفة أزلية لا يتعلق بالمشيئة.

ومنها: أنهم قالوا لا يجوز أن ينزل القرآن إلى الأرض، فألفاظ النزول والتنزيل لا حقيقة لشيء منها عندهم.

ومنها: أن القرآن القديم لا نصف له ولا ربع ولا خمس ولا عشر ولا جزء له البتة.

ومنها: أن معنى الأمر هو معنى النهي، ومعنى الخبر والاستخبار، وكل ذلك معنى واحد بالعين.

ومنها: أن نفس التوراة هي نفس القرآن ونفس الإنجيل والزبور، والاختلاف في التأويلات فقط.

ومنها: أن هذا القرآن العربي تأليف جبرائيل أو محمد أو مخلوق خلقه الله تعالى في اللوح المحفوظ، فنزل به جبرائيل من اللوح لا من الله على الحقيقة كما هو معروف من أقوالهم.

ومنها: أن ذلك العين القديم يجور أن تتعلق به الإدراكات الخمس فيسمع ويرى ويشم ويذاق ويلمس إلى غير ذلك من الفروع الباطلة سمعا وعقلا وفطرة.

وقد دل القرآن وصريح السنة والمعقول وكلام السلف على أن الله سبحانه يتكلم بمشيئته، كما دل على أن كلامه صفة قائمة بذاته، وهي صفة ذات وفعل قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾ [النحل: الآية: ٤٠] ، وقوله: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾ [يس: الآية: ٨٢] فإذا: تخلص الفعل للاستقبال «وأن» كذلك «ونقول» فعل دال على الحال والاستقبال «وكن» حرفان يسبق أحدهما الآخر، فالذي اقتضته هذه الآية هو الذي في صريح العقول والفطر.

وكذلك قوله: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً**﴾ [الإسراء: الآية: ١٦] الآية، سواء كان الأمر هاهنا أمر تكوين أو أمر تشريع فهو موجود بعد أن لم يكن، وكذلك قوله: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ**﴾ [الأعراف: الآية: ١١] وإنما قال لهم اسجدوا بعد خلق آدم وتصويره.

وكذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي**﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣] الآيات كلها، فكم من برهان يدل على أن التكلم هو الخطاب وقع في ذلك الوقت.

وكذلك قوله: ﴿**فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ**﴾ [القصص: الآية: ٣٠]، والذي ناداه هو الذي قال له: ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي**﴾ [طه: الآية: ١٤]، وكذلك قوله: ﴿**وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ**﴾ [القصص: الآية: ٦٢]، وقوله: ﴿**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ**﴾ [سبأ: الآية: ٤٠] وقوله: ﴿**يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ**﴾ [ق: الآية: ٣٠] الآية، ومحال أن يقول سبحانه لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد قبل خلقها ووجودها.

وتأمل نصوص القرآن من أوله إلى آخره ونصوص السنة، ولا سيما أحاديث الشفاعة

وحديث المعراج وغيرها، كقوله:" «**أتدرون ماذا قال ربكم الليلة**».[(١)]، وقوله: " «**إن الله يحدث من أمره ما يشاء، وإن مما أحدث ألا تكلموا في الصلاة**».[(٢)]، وقوله: " «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حاجب**».[(٣)].

وقد أخبر الصادق المصدوق أنه يكلم ملائكته في الدنيا فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي، ويكلمهم يوم القيامة، ويكلم أنبياءه ورسله وعباده المؤمنين يومئذ ويكلم أهل الجنة في الجنة ويسلم عليهم في منازلهم، وأنه كل ليلة يقول: «**من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له، من يقرض غير عديم ولا ظلوم**».[(٤)]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن الله أحيا أباك وكلمه كفاحا**».[(٥)]، ومعلوم أنه في ذلك الوقت كلمه وقال له: تمن علي.

إلى أضعاف أضعاف ذلك من نصوص الكتاب والسنة التي إن دفعت دفعت الرسالة بأجمعها، وإن كانت مجازا كان الوحي كله مجازا، وإن كانت من المتشابه كان الوحي كله من المتشابه، وإن وجب أو ساغ تأويلها على خلاف ظاهرها ساغ تأويل جميع القرآن والسنة على خلاف ظاهره، فإن مجيء هذه النصوص في الكتاب وظهور معانيها وتعدد أنواعها واختلاف مراتبها أظهر من كل ظاهر، وأوضح من كل واضح، فكم جهد ما يبلغ التأويل والتحريف والحمل على المجاز.

هب أن ذلك يمكن في موضع واثنين وثلاثة وعشرة، أفيسوغ حمل أكثر من ثلاثة آلاف وأربعة آلاف موضع كلها على المجاز وتأويل الجميع بما يخالف الظاهر؟ ولا تستبعد قولنا أكثر من ثلاث آلاف، فكل آية وكل حديث إلهي وكل حديث فيه الإخبار عما قال الله تعالى أو

---

(١) أخرجه البخاري «٨٤٦»، ومسلم «٧١» باختلاف يسير.

(٢) أخرجه أبو داود «٩٢٤» واللفظ له، والنسائي «١٢٢١» باختلاف يسير. وأخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم قبل حديث «٧٥٢٢» مختصراً.

(٣) أخرجه البخاري «٧٤٤٣»، ومسلم «١٠١٦» باختلاف يسير.

(٤) أخرجه البخاري «١١٤٥» بنحوه، ومسلم «٧٥٨» باختلاف يسير.

(٥) أخرجه الترمذي «٣٠١٠» واللفظ له، وابن ماجه «١٩٠» باختلاف يسير، وأحمد «١٤٨٨١» مختصراً.

يقول، وكل أثر فيه ذلك، إذا استقرئت زادت على هذا العدد، ويكفي أحاديث الشفاعة وأحاديث الرؤية وأحاديث الحساب، وأحاديث تكليم الله لملائكته وأنبيائه ورسله وأهل الجنة، وأحاديث تكليم الله لموسى، وأحاديث تكلمه عند النزول الإلهي، وأحاديث تكلمه بالوحي، وأحاديث تكليمه للشهداء، وأحاديث تكليم كافة عباده يوم القيامة بلا ترجمان ولا واسطة، وأحاديث تكليمه للشفعاء يوم القيامة حين يأذن لهم في الشفاعة، إلى غير ذلك، إذ كل هذا وأمثاله وأضعافه مجاز لا حقيقة له، سبحانك هذا بهتان عظيم، بل نشهدك ونشهد ملائكتك وحملة عرشك وجميع خلقك أنك أحق بهذه الصفة وأولى من كل أحد، وأن البحر لو أمده من بعده سبعة أبحر، وكانت أشجار الأرض أقلاما يكتب بها ما تتكلم به، لنفدت البحار والأقلام ولم تنفد كلماتك، وأنك لك الخلق والأمر، فأنت الخالق حقيقة"((١))

قال ابنُ تَيميَّةَ–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "الرب تعالى لم يزل ولا يزال موصوفا بصفات الكمال، منعوتا بنعوت الجلال والإكرام، وكماله من لوازم ذاته، فيمتنع أن يزول عنه شيء من صفات كماله، ويمتنع أن يصير ناقصا بعد كماله. وهذا الأصل عليه قول السلف وأهل السنة: أنه لم يزل متكلما إذا شاء، ولم يزل قادرا، ولم يزل موصوفا بصفات الكمال، ولا يزال كذلك"((٢))

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "ولا نزاع بين العلماء أن كلام الله تعالى لا يفارق ذات الله، ولا يباينه كلامه، ولا شيء من صفاته، بل ليس صفة شيء من موصوف تباين موصوفها وتنتقل عنه إلى غيره. فكيف يتوهم عاقل أن كلام الله يباينه، وينتقل إلى غيره"((٣))

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "وقد دل القرآن وصريح السنة والمعقول

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ٤٩٤-٥٠٣.

(٢) يُنظر: «مجموع الفتاوى» «٦/ ٢٥٠».

(٣) مجموع الفتاوى ١٢/ ٥٢، مجموعة الرسائل والمسائل ٣/ ٣٥.

وكلام السـلف على أن الله سـبحانه يتكلم بمشـيئته، كما دل على أن كلامه صـفة قائمة بذاته، وهي صفة ذات وفعل"[(١)]

فصـفة الكلام صـفة ذاتية فعلية [(٢)]. فكلام الله عز وجل باعتبار أصـله ونوعه: صـفة ذات، وباعتبار آحاد الكلام وأفراده: صفة فعل"[(٣)]

وقال السعدي–رحمه الله–«ت: ١٣٧٦ هـ»: "يصفونه بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من الصفات الذاتية؛ كالحياة الكاملة، والسمع والبصر، وكمال القدرة، والعظمة والكبرياء، والمجد والجلال والجمال، والحمد المطلق، ومن صـفات الأفعال المتعلقة بمشـيئته وقدرته؛ كالرحمة، والرضـا، والسـخط، والكلام، وأنه يتكلم بما يشـاء كيف يشاء، وكلماته لا تنفد، ولا تبيد"[(٤)]

أ–الأدلة من القرآن.

وقد أثبت الله الكلام لنفسه، خلافًا لما يعتقده الضالون،

١ – قال تعالى: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ**﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٣].

٢ – وقالَ عزَّ وجلَّ: ﴿**وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**﴾ [النساء: الآية: ١٦٤].

٣ – وقال تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ**﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣].

٤ – وقال تعالى: ﴿**وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى. إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**﴾ [طه: الآيات: ١٣ – ١٤].

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ص: ١٣١٨.

(٢) "الصفات الفعلية من حيث قيامها بالذات تسمى: صفات ذات، ومن حيث تعلقها بما ينشأ عنها من الأقوال والأفعال تسمى: صفات أفعال، ومن أمثلة ذلك: صفة الكلام". يُنظر: «القواعد المثلى» لابن عثيمين «ص: ٢٥».

(٣) يُنظر: «القواعد المثلى» لابن عثيمين «ص: ٢٥»

(٤) يُنظر: «القول السديد» «ص: ٨». يُنظر: «القواعد المثلى» لابن عثيمين «ص: ٢٥».

٥ - وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: الآية: ٣٠].

٦ - وقالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: الآية: ٤٠].

- وقال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: الآية: ١٠٩].

٨ - وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الأنعام: الآية: ١١٥].

٩ - وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ﴾ [الفتح: الآية: ١٥].

١٠ - وقال تعالى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية: ٧٥].

١١ - وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة: الآية: ٦].

وأمَّا الأدلَّةُ على حِرْمانِ أقوامٍ من تكليمِ الله لهم، فمنها:

١ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ «١٧٤» أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: الآيات: ١٧٤ - ١٧٥].

٢ - وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: الآية: ٧٧].

والأيات في ذلك كثيرةٌ جدًا.

ب–الأدلة من السنة.

١– **حديث أبي هريرة–رضـــي الله عنه–«ت: ٥٧ هـ»**، عن النبي –صـــلى الله عليه وسلم– قال: «**احتجّ آدمُ وموسى، فقالَ له موسى: يا آدم، أنتَ أبونا، خَيَّبْتَنا وأخرَجْتَنا من الجنَّة، قال له آدم: يا موســى، اصـــطفاكَ الله بكلامِهِ، وخطَّ لكَ [التوراةَ] بيدهِ، أتلومُني على أمْرٍ قدَّرهُ الله عليَّ قبلَ أن يخلقَني بأربعينَ سنةً؟ فحَجَّ آدمُ موسى، فحَجَّ آدمُ موسى –ثلاثًا–**».[(١)]

٢– **حديث جابر بن عبد الله–رضـــي الله عنه–«ت: ما بين ٧٣ إلى ٧٧ هـ»**، قال: "كانَ النبيُّ–صلى الله عليه وسلم–يَعْرِضُ نفسَه على الناس بالموقفِ فيقول: «**هلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُني إلى قومِهِ؟ فإنَّ قريشًا قدْ مَنعوني أن أبلِّغَ كلامَ رَبِّي عَزَّ وجلَّ**». الحديث.[(٢)].

٣ – **حديث أبي هريرة–رضـــي الله عنه–«ت: ٥٧ هـ»**، عن النبي –صـــلى الله عليه وسلم– قال: "فضلُ كلامِ الله على سائرِ الكلامِ كفَضْلِ الله على سائرِ خلقِه"[(٣)]

٤–**حديث أبي أمامةَ–رضي الله عنه–«ت: ٨١ أو ٨٦ هـ»** أنَّ رجلاً أتى النبيَّ–صلى الله عليه وســـلم–قال: يا نبيَّ الله، أنبيّاً كانَ آدمُ؟ قالَ: «**نَعَمْ، مُكَلَّمًا**». قَالَ: كم بينَه وبينَ نُوحٍ؟ قالَ: «**عَشرةُ قُرون**».[(٤)]

---

(١) أخرجه البخاري ٥/ ١٦٠، ٩/ ٣٨٨، ١١/ ٥٤٨ – ٥٤٩، ومسلم رقم «١٢٧».

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٣٩٠، وأبو داود «٤٧٣٤»، والترمذي رقم «٢٩٢٥»، وابن ماجة رقم «٢٠١»، والدارمي رقم «٣٣٥٧»، والنسائي في "الكبرى" –كما في "تحفة الأشراف" ٢/ ١٧٥ –، والبخاري في "خلق أفعال العباد" رقم «٨٦، ٢٠٥»، وعثمان الدارمي في "الرد على الجهمية" رقم «٢٨٤»، والحاكم ٢/ ٦١٢ – ٦١٣، وأبو نعيم في "دلائل النبوة" رقم «٢١٧»، واللالكائي في "السنة" رقم «٥٥٤، ٥٥٥»، والبيهقي في "الاعتقاد" ص: ١٠٠، و"الأسماء والصفات" ص: ١٨٧، و"دلائل النبوة" ٢/ ٤١٣، وإسماعيل بن الفضل الأصبهاني في "الحجة" ق ٤٨/ أ – ب من طرق عن إسرائيل: حدثنا عثمان ابن المغيرة عن سالم بن أبي الجعد عن جابر به.

(٣) أخرجه عثمان الدارميُّ في "الرَّدِّ على الجَهْميَّة" رقم «٢٨٧، ٣٤٠»، واللالكائي رقم «٥٥٧»، والترمذي رقم «٢٩٢٦»، والدارمي رقم «٣٣٥٩»..

(٤) أخرجه الدارمي في "الرد على الجهمية" رقم «٢٩٩»، وابن حبان رقم «٢٠٨٥ – == موارد»، والطبراني في "الكبير" ٨/ ١٣٩ –

=

٥-**حديث النعمان بن بشـير-رضـي الله عنه-«ت: ٦٥ هـ»**، عن النبي -صـلى الله عليه وسلم- قال: «إنَّ الله كَتَبَ كتابًا قبلَ أن يخلق السماواتِ والأرضَ بألفَي عام، فأنزلَ منه آيتين ختمَ بِهما سورةَ البقرةِ، فلا تقْرآنِ في "دارٍ ثلاثَ ليالٍ فيقرَبُها شَيْطانٌ».[(١)]

٦-**حديث أبي هريرة-رضـي الله عنه-«ت: ٥٧ هـ»**، قال: سمعتُ رسـول الله -صـلى الله عليه وسـلم- يقول: «**يَقبِضُ الله الأرضَ، ويَطْوي السَّـماواتِ بيمينه، ثمَّ يقول: أنا المَلِكُ؛ أينَ مُلوكُ الأرضِ؟ " وفي لفظ: "يَقبِضُّ الله الأرضَ يوم القيامة ...**».[(٢)]

٧- **وحديث عَدِىّ بنِ حاتِمٍ-رضـي الله عنهما-«ت: ٦٦ أو ٦٩ هـ»**، قالَ: قالَ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-:

«**ما مِنْكمْ من أحَدٍ إلا سـيكلِّمُهُ الله، ليسَ بينَه وبينَه تُرْجُمانٌ، فينظُرُ أيْمَنَ منه فلا يَرى إلاَّ ما قدَّم، وينظُرُ بينَ يدَيْهِ فَلَا يَرى إلاَّ النَّارَ تِلقاءَ وَجْهِهِ، فاتَّقوا النَّارَ ولو بشِقِّ تَمْرةٍ**».

وفي لَفْظٍ: «**ما مِنْكُمْ من أحْدٍ إلاَّ سَـيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، ليسَ بينَه وبينَه تُرْجُمانٌ ولا حِجَابٌ يَحْجُبُه**».[(٣)]

وبوَّب البخاري في «صحيحه» على ذلك فقال: «باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة»[(٤)]، وقال لأهل النار: ﴿**اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ**﴾ [المؤمنون: الآية: ١٠٨].

ثانيًا: أن الله تعالى لم يَزل متكلِّمًا، إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء.

١٤٠، و"الأوسط" رقم «٤٠٥»، والحاكم ٢/ ٢٦٢، والبيهقي في "الأسماء والصفات" ص: ٢٠٦، وابن عساكر ٢/ ٣٢٥/ ب، وقال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم". وأقرّه الذهبي، وابن كثير في "البداية والنهاية" ١/ ١٠١. وقال الهيثمي في "المجمع" ١/ ١٩٦ و٨/ ٢١٠: "رجاله رجال الصحيح" زاد في الموضع الثاني: "غير أحمد بن خُليد الحلبي وهو ثقة".

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٢٧٤، والترمذي رقم «٢٨٨٢»، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" رقم «٩٦٧»، والدارمي رقم «٢٢٩٠»، وابن حبان رقم «١٧٢٦ - موارد»، والحاكم ١/ ٥٦٢ أو البيهقي في "الأسماء والصفات" ص: ٢٣١ - ٢٣٢.

(٢) أخرجه البخاري ٨/ ٥٥١ و١١/ ٣٧٢ و١٣/ ٣٦٧ ومسلم رقم «٢٧٨٧».

(٣) أخرجه أحمد ٤/ ٢٥٦ والبخاري ١١/ ٤٠٠ و١٣/ ٤٢٣، ٤٧٤، ومسلم ٢/ ٧٠٣ - ٧٠٤.

(٤) «صحيح البخاري» «٩/ ١٥١».

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "منشـــأ النزاع بين الطوائف أن الرب تعالى هل يتكلم بمشيئته أم كلامه بغير مشيئته على قولين،

فقالت طائفة: كلامه بغير مشيئته واختياره، ثم انقسم هؤلاء أربع فرق،

١–قالت فرقة: هو فيض فاض منه بواسـطة العقل الفعال على نفس شـريفة فتكلمت به كما يقول ابن سينا وأتباعه وينسبونه إلى أرسطو.

٢–وفرقة قالت: بل هو معنى قائم بذات الرب تعالى هو به متكلم، وهو قول الكلابية ومن تبعهم، وانقسم هؤلاء فريقين،

فرقة قالت: هو معان متعددة في أنفســـها أمر ونهي وخبر واســـتخبار، ومعنى جامع لهذا الأربعة، وفرقة قالت: بل هو معنى واحد بالعين لا ينقسم ولا يتبعض.

وفرقة قالت: كلامه هو هذه الحروف والأصـــوات، خلقها خارجة عن ذاته، فصـــار بها متكلما، وهذا قول المعتزلة وهو في الأصـــل قول الجهمية تلقاه عنهم أهل الاعتزال فنســـب إليهم.

٣–وفرقة قالت: يتكلم بقدرته ومشـــيئته كلاما قائما بذاته ســـبحانه كما يقول به ســـائر أفعاله لكنه حادث النوع، وعندهم أنه صـــار متكلما بعد أن لم يكن متكلما كما قاله من لم يصـفهم من المتكلمين أنه صـار فاعلا بعد أن لم يكن، فقول هؤلاء في الفعل المتصـل كقول أولئك في الفعل المنفصل، وهذا قول الكرامية.

٤–وفرقة قالت: يتكلم بمشـــيئته، وكلامه ســـبحانه هو الذي يتكلم به الناس كله حقه وباطله وصدقه وكذبه، كما يقوله طوائف الاتحادية.

وقال أهل الحديث والسنة: إنه لم يزل سبحانه متكلما إذا شاء ويتكلم بمشيئته ولم تتجدد له هذه الصفة، بل كونه متكلما بمشيئته هو من لوازم ذاته المقدسة، وهو بائن عن خلقه بذاته وصفاته وكلامه، وليس متحدا بهم ولا حالا فيهم"[(١)]

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ص: ٥٢٧–٥٢٨.

قال الإمام أحمد بن حنبل-رحمه الله-«ت: ٢٤١ هـ»: "بل نقول: إن الله لم يزل متكلما إذا شاء ولا نقول: إنه كان ولا يتكلم حتى خلق الكلام. ولا نقول: إنه قد كان لا يعلم حتى خلق علما فعلم، ولا نقول: إنه قد كان ولا قدرة له حتى خلق لنفسه القدرة، ولا نقول: إنه كان قد كان ولا نور له حتى خلق لنفسه نورا، ولا نقول: إنه قد كان ولا عظمة له حتى خلقه لنفسه عظمة"[(١)]

وقال عبد المغني المقدسي-رحمه الله-«ت: ٦٠٠ هـ»: "مذهب أهل الحق أن الله عز وجل لم يزل متكلما بكلام مسموع مفهوم مكتوب"[(٢)]

وقال ابن أبي العز الحنفي-رحمه الله-«ت: ٧٩٢ هـ»: "والحق أن التوراة والإنجيل والزبور والقرآن من كلام الله حقيقة، وكلام الله تعالى لا يتناهى؛ فإنه لم يزل يتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء، ولا يزال كذلك ... كلام الله محفوظ في الصدور، مقروء بالألسنة، مكتوب في المصاحف"[(٣)]

قال عبد الباقي المواهبي الحنبلي-رحمه الله-«ت ١٠٧١ هـ»: "قال الأئمة: إن الله سبحانه وتعالى يتكلم بمشيئته وقدرته، بمعنى أنه لم يزل متكلما إذا شاء، فإن الكلام صفة كمال، ومن يتكلم أكمل ممن لم يتكلم، ومن يتكلم بمشيئته وقدرته، أكمل ممن يكون الكلام ممكنا له"[(٤)]

ثالثًا: القرآن كلام الله.

من أركان الإيمان السِّتة: الإيمانُ بالكُتُبِ التي أنزلها اللهُ، كما دلَّ على ذلك قولُه سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ**

(١) كتاب الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد ص: ١٣٩.

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد ١/ ١٣٠.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٢.

(٤) كتاب العين والأثر في عقائد أهل الأثر ص: ٦٨.

الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النســـاء: الآية: ١٣٦]، وكذلك جاء في حديث جبريل عليه الســـلام، وفيه: «الإيمان»، قال: «**أن تُؤمن باللهِ، ومَلائكتِه، وكُتُبِه، ورُسُـلِه، واليومِ الآخِر، وتُؤمن بالقَدَرِ؛ خَيْرِه وشَرِّه**».[(١)]

ومن الإيمانِ بالكتب: الإيمانُ بِأَنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ.

والقرآنُ في الأصـل: مصـدر قرأ قراءة وقرآنًا؛ قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**﴾ [القيامة: ١٧]، أي: قراءته، فهو مَصـــدر على وزن فُعلان–بالضـــم– كالغُفران والشُّكران.[(٢)]

وفي الاصـــطلاح هو: «كلام الله المنَزَّل على خاتم الأنبياء والمرســـلين محمد ﷺ، المعجز بلفظه ومعناه، المكتوب في المصـــاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بســـورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس"[(٣)]

والقرآنُ كلامُ الله، وهو صِفَةٌ مِن صِفَاتِهِ عز وجل؛ قال تَعَالى: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْـمَعَ كَلَامَ اللَّهِ**﴾ [التوبة: الآية:٦]، وروي عن **جابر بن عبد الله– رضـــي الله عنهما–«ت: ما بين ٧٣ إلى ٧٧ هـ»** أنه قَالَ: "كَانَ رســـولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُ نَفسَهُ فِي المَوْسِمِ؛ فَيَقُولُ: «**أَلَا رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ؛ لِأُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي**».[(٤)]

وقال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "إنَّ سلفَ الأمَّةِ وأئمَّتَها كانوا على الإيمان الذي بعثَ الله به نبيَّه –صلى الله عليه وسلم–، يصِفون الله بما وصَف به نفسَه، وبما وصَفَه به

---

(١) أخرجه البخاري «٥٠» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم «٨» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «لسان العرب» «١/ ١٢٩»، و«مناهل العرفان» للزرقاني «١/ ٧».

(٣) انظر: «مناهل العرفان» «١/ ١٠–١٣»، و«مباحث في علوم القرآن» لمناع القطان «ص ٢٠–٢١»، ط٥، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٤) أخرجه أبو داود «٤٧٣٤»، والترمذي «٢٩٢٥»، وابن ماجه «٢٠١»، والحاكم «٢/ ٦٦٩» وصححه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال في «المجمع» «٦/ ٣٥»: «رجاله ثقات».

رسولُهُ من غير تحريفٍ، ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ، ويقولون: إنَّ القرآنَ كلامُ الله تعالى، ويصفونَ الله بما وصفَ به نفسَهُ، من التكليمِ، والمناجاة، والمناداةِ، وما جاءت به السُّنَنُ والآثارُ موافقةً لكتاب الله تعالى"[(١)]

رابعًا: القرآن غير مخلوق.

الذِي عَلَيهِ إجماعُ السَّلفِ الصَّالحِ مِنَ الصَّحابةِ-رضي الله عنهم-وَالتَّابعِينَ لَهم بإِحسَانٍ: أَنَّ القرانَ كلامُ اللهِ غَيرُ مَخلوقٍ؛ حُرُوفه وَمَعَانِيه، مُنَزَّلٌ مِن عِندِ اللهِ؛ نَزَلَ بِهِ جِبريلُ عليه السلام إِلَى نَبِيّنَا ﷺ. فكلامُ الله تعالى صفةٌ من صفاتهِ غيرُ مَخلوقٍ كسائر صِفاتِه، سَواء كان القرآن العربيَّ، أوِ التَّوراةَ العِبريَّةَ، أو غيرَ ذلك من كلامِهِ تعالى، ممَّا وقَعَ من كلامِهِ، وممَّا لَم يقع بَعْدُ.

ولَقَدْ كانَ السَّلفُ في صَدْرِ الإسلام في غِنًى عن إطلاقِ لفظِ «غير مخلوق» لأنَّه كانَ من المسَلَّمِ عندهم أنَّ كلامَ الله صفةٌ مِن صفاتِهِ، وصفاتُهُ غيرُ مَخلوقةٍ، حتى ظَهَرت الجَهميةُ، فنفَتْ صفةَ الكلامِ عن الله تعالى، لكنْ لما كانَ هذا القولُ منكَراً شَنيعاً، تَنفرُ منه قلوبُ الناسِ، وتقشَعِرُّ منه جلودُهم، ويرفُضُهُ إيمانُهُمْ، أبدَلوهُ بقَوْلِهِم: كلامُ الله مَخْلوقٌ، فتظاهَروا بإثباتِ الكلامِ، وأبطلُوهُ بقولهم: مخلوقٌ.

فلمَّا كانَ حقيقةُ قَوْلِهِم إبطالَ صفةِ الكلامِ وتَعطيلَها قابَلهم السَّلَفُ برفْضِ هذهِ البدعةِ وإنكارِها، والتَّشديدِ عليهم في ذلكَ، بل وتكفيرهم، لأنَّ حقيقةَ قولهم الكفرُ، لِما تضمَّنَ من تكذيبِ القرآنِ، وإثبات النَّقْصِ للرَّحمنِ، فقالَ السَّلَفُ حينئذٍ: «كلامُ الله -كالقرآن وغيره- غيرُ مخلوقٍ».

ولقَدْ كانَتْ لهذه العقيدةُ مبنيَّةً على أسُسٍ متينةٍ وقَواعدَ عظيمةٍ من الكتابِ والسُّنَّةِ، والمعقولِ الصَّريحِ، ونُصوصِ السَّلَفِ وكَلامِهم، خِلافًا لما يحسَبُه الجاهلونَ.

أ-الأدلة من القرآن الكريم:

١ - قالَ الله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ**

---

(١) «مجموع الفتاوى» «٦/٥١٨».

اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤].

والاحتجاجُ بهذه الآيةِ من وَجْهَيْن:

الأول: أنَّه تعالى فرَّقَ بين الخَلْقِ والأمْرِ، وهما صِفَتان من صِفاتِهِ، أضافَهما إلى نفسهِ، أمَّا الخَلْقُ فَفِعْلُهُ، وأمَّا الأَمرُ فقولُهُ، والأصْلُ في المتعاطفين التَّغايُرُ إلاَّ إذا قامَتِ القرينةُ على عَدمِ إرادَة ذَلكَ، وهنا قد قامتِ القرائنُ على توكيدِ الفَرْقِ بَيْنَهُما، ومنها الوجهُ الآتي.

والثاني: أنَّ الخَلْقَ إنَّما يكونُ بالأمْرِ، كما قال تعالى: **﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾** [يس: الآية: ٨٢].

فقوله تعالى: ﴿كُنْ﴾ هو أمْرُهُ، فلو كانَ مَخْلوقاً لاحتاجَ خلقُهُ إلى أمْرٍ، والأمْرُ إلى أمرٍ، إلى ما لا نِهاية، وهذا باطلٌ.

وقد احَتجَّ الإمامُ أحمدُ–رحمه الله–«ت: ٢٤١ هـ» على الجَهْمِيَّة المعْتزلةِ بهذه الآية.

قال رحمه الله: "قلتُ: قال الله: **﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ والأمْرُ﴾** [الأعراف: الآية: ٥٤]، ففرَّقَ بين الخَلْقِ والأمْرِ"[(١)]

وقال لهم: "قال الله: **﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ ...﴾** [النحل: الآية: ١] فأمْرُهُ كلامُه واستطاعَتُهُ ليسَ بمخلوقٍ، فلا تَضْربوا كِتابَ الله بعضَهُ بِبعضٍ"[(٢)]

وقالَ فيما كتَبَهُ للمتوكِّل حينَ سألَهُ عن مَسألةِ القرآنِ: "وقَدْ قالَ الله تعالى: **﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ...﴾** [التوبة: الآية: ٦]، وقَالَ: **﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾** [الأعراف: الآية: ٥٤]، فَأخبَرَ بالخَلْقِ، ثُمَّ قَالَ: **﴿وَالأمْرُ﴾**، فأخبرَ أنَّ الأمرَ غَيْرُ مَخلوقٍ"[(٣)]

---

(١) رواه حنبل في "المحنة" ص: ٥٣ عن أحمد.

(٢) رواه حنبل في "المحنة" ص: ٥٤ عنه.

(٣) رواه صالح ابنه في "المحنة" روايتة ص: ١٢٠ – ١٢١.

وقد سبَقَ الإمامَ أحمد إلى هذا الاحتجاج شيخُه الإمامُ **سفيانُ بن عُيَيْنَةَ الهِلاليُّ**–**الحافظُ الثِّقَةُ الحُجَّةُ**–«**ت: ١٩٨ هـ**»، فقالَ رَحمه الله: "ما يَقولُ هذا الدُّوَيْبَّةُ؟ " –يعني بشرًا المريسِيّ–

قالوا: يا أبا محمَّدٍ، يزعُمُ أنَّ القُرآنَ مَخلوقٌ،

فقالَ: "كَذَبَ، قال الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿**أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأمْرُ**﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤]، فالخَلْقُ خَلْقُ الله تبارك وتعالى، والأمْرُ القرآنُ"(١)

قال الحافظُ هبةُ الله ابنُ الطَّبَرِيّ–**رحمه الله**–«**ت: ٤١٨ هـ**»، عقبَ هذا: "وكذلكَ قالَ أحمدُ بن حنبل «ت: ٢٤١ هـ»، ونُعَيْمُ بن حمَّادٍ «ت: ٢٢٨ هـ»، ومحمَّدُ بن يحيى الذُّهْليُّ «ت: ٢٥٨ هـ»، وعَبْدُ السَّلام بن عاصمٍ الرازيُّ، وأحمدُ بن سِنانٍ الواسطيُّ «ت: ٢٥٦ هـ»، وأبو حاتِمٍ الرازيُّ «ت: ٢٧٧ هـ»"(٢)

٢ – وقالَ تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ**﴾ [الرحمن: الآيات: ١ – ٣].

ففرَّقَ تعالى بينَ عِلمهِ وخَلْقِهِ، فالقرآنُ عِلْمُهُ، والإنسانُ خلقُهُ، وعِلْمُهُ تعالى غيرُ مَخلوقٍ.

قالَ تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: الآية: ١٤٠].

وقالَ تعالى: ﴿... **وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [البقرة: الآية: ١٤٥].

وقالَ تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ**﴾ [الرعد: الآية: ٣٧].

(١) رواه الآجري في "الشريعة" ص: ٨٠ وابن الطبري في "السنة" رقم «٣٥٨» والخطيب في "تاريخ بغداد" ٩/ ٨٨ – ٨٩ بسند جيد عنه.

(٢) ابن الطبري في "السنة" رقم «٣٥٨».

فسمَّى الله تعالى القرآنَ عِلْماً، إذْ هو الذي جاءَه مِنْ رَبِّهِ؟ وهو الذي عَلَّمهُ الله تعالى إيَّاه -صلى الله عليه وسلم-، وعِلْمُهُ تعالى غيرُ مَخلوقٍ، إذ لو كانَ مخلوقًا لاتَّصَفَ تعالى بِضدِّهِ قبلَ الخَلْقِ، تعالى الله عن ذلك وتنزَّه وتقدَّس.

وبهذا احتجَّ **الإمامُ أحمدُ**-رحمه الله-«**ت: ٢٤١ هـ**»، على الجَهْمِيةِ فيما كتبَهُ للمتوكِّلِ في مسألة القرآنِ.

قالَ-رحمه الله-: "قالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾، فَأخبرَ تَعالى أنَّ القرآنَ مِنْ عِلْمِهِ" ثمَّ احتجَّ بالآياتِ الثلاثِ المذكوراتِ، ثمَّ قال: "فالقرآنُ من علم الله تعالى، وفي هذه الآيات دليلٌ على أنَّ الذي جاءَه -صلى الله عليه وسلم- هو القرآنُ، لقولِهِ: ﴿**وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ**﴾ [البقرة: الآية: ١٢٠]"(١)

وقالَ-رحِمَه الله-في حكايةِ مُناظرتِهِ للجَهْمِيةِ في مَجْلس المعتصِم: "قالَ لي عبدُ الرَّحمن القزّازُ(٢): كانَ اللهُ ولا قرآنَ، قلتُ له: فكانَ الله ولا عِلْم! فأمْسَكَ، ولَوْ زعَمَ أنَّ اللهَ كانَ ولا عِلْم لكفَرَ باللهِ"(٣)

وقيلَ له-رحِمَه الله-: قومٌ يقولونَ: إذا قال الرَّجُلُ: كلامُ الله ليسَ بمخلوقٍ، يقولون: مَنْ إمامُكَ في هذا؟ ومِنْ أيْنَ قلتَ: ليس بمخلوقٍ؟ قال:

"الحجَّة قولُ الله تبارك وتعالى: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ**﴾ [البقرة: الآية: ١٢٠]، فما جاءَه غيرُ القرآن".

قال: "القرآنُ من عِلْمِ الله، وعلمُ الله ليسَ بمخلوقٍ، والقُرْآنُ كلامُ الله ليسَ بمخلوقٍ، ومثلُ

(١) رواه صالح في "المحنة" ص: ١٢١ وعبد الله في "السنة" رقم «١٠٧» عن أبيهما به.

(٢) أحدُ مناظِري الإمام بحضرة المعتصم.

(٣) رواه حنبل في "المحنة" ص: ٤٥ عنه.

هذا في القرآنِ كثيرٌ"[(١)]

وقالَ رحِمَه الله: "القُرآنُ علمٌ مِنْ عِلمِ الله، فمَنْ زعَمَ أنَّ عِلمَ الله مخلوقٌ فهو كافرٌ"[(٢)]

٣ – وقالَ تعالى: ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً**﴾ [الكهف: الآية: ١٠٩].

وقالَ تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [لقمان: الآية: ٢٧].

فأخبرَ تعالى –وقولُهُ الحَقُّ– أنَّ كَلِماتِهِ غيرُ مُتَناهِيَةٍ، فَلو أنَّ البحارَ التي خَلَقَ الله كانتْ مِدادًا تُكْتَبُ به، والشَّجَرَ الذي خلقَ الله أقلاماً تُخَطُّ بِهِ، لَنَفِدَ مِدادُ البُحورِ، وَلَفَنِيَت الأقْلاَمُ، ولم تَفْنَ كَلِماتُ الله.

وإنَّمَا في هذه الإبانةُ عن عَظَمَةِ كَلَامِهِ تعالى، وأنَّه وَصْفُهُ وَعِلْمُهُ، وهذا لا يُقاسُ بالكلامِ المخلوقِ الفاني، إذ لَوْ كان مخلوقًا لَفَنِيَ من قبلِ أنْ يَفنى بَحْرٌ من البُحورِ، ولكنَّ الله تعالى إنَّما كَتَبَ الفناءَ على المخلوقِ لا عَلَى نفسِهِ وصفَتِهِ.

٤ – أسماءُ الله تعالى في القُرآنِ، كـ «الله، الرحمن، الرحيم، السميع، العليم، العفور، الكريم ...» وغيرها من أسمائِهِ الحُسْنى، وهي من كلامِهِ، إذ هو الذي سَمَّى بها نفسَه، بألفاظِها وَمَعانِيها.

وقد ساوى الله تعالى بين تَسبيحِ نَفْسِهِ وتسبيحِ أسمائِهِ، فقال تعالى: ﴿**وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾ [الأحزاب: الآية: ٤٢]، وقال: ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**﴾ [الأعلى: الآية: ١]، وقال: ﴿**فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ**﴾ [الواقعة: الآيات: ٧٤، ٩٦ والحاقة: الآية: ٥٢].

وساوى تعالى بين دُعائِهِ بنفسهِ ودُعائِهِ بأسمائِهِ، فقال: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً**﴾ [الأعراف: الآية: ٥٥] وقال: ﴿**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ**

---

(١) رواه صالح في "المحنة" ص: ٦٩ عنه.

(٢) رواه ابن هانئ في "المسائل" ٢/ ١٥٣، ١٥٤عنه.

﴿الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: الآية: ١١٠] وقال: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: الآية: ١٨٠].

وكذلك ساوى تعالى بين ذِكْرِهِ بنفسهِ وذِكْرِهِ بأسمائِهِ، فقالَ: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: الآية: ٢٠٥] وقال: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الإنسان: الآية: ٢٥].

وهذا التَّسبيحُ والدُّعاءُ والذِّكْرُ إنْ كانَ يَقَعُ لِمخلوقٍ كان كُفْراً بالله.

فإنْ قيلَ: إنَّ كلامَه تعالى مَخلوقٌ، كانتْ أسماؤُهُ داخِلةً في ذلكَ، ومَنْ زعَمَ ذلك فقَدْ كَفَرَ لِما ذكرنا، ولأنَّ معنى ذلكَ أنَّ الله تعالى لم تكن لَه الأسماءُ الحُسنى قبل خَلْقِ كلامِهِ، ولَكانَ الحالفُ باسْم من أسمائِهِ مُشْرِكاً لأنه حلَفَ بمَخلوقٍ، والمخلوقُ غيرُ الخالقِ، وقد قالَ النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم-: «**مَن حَلَفَ بغير الله فقد أشركَ**».[(١)]

وبهذه الحُجَّةِ احتجَّ جماعةٌ من السَّلفِ والأئمَّةِ على كَوْنِ القرآنِ غيرَ مخلوقٍ، منهم:

١» الإمام الحُجَّة سُفيان بن سَعيد الثوريّ -رحمه الله- «ت: ١٦١ هـ».

قال: "مَنْ قالَ: إنَّ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: الآيات: ١-٢] مخلوقٌ، فهو كافِر"[(٢)]

٢» ناصرُ السُّنَّة أبو عبد الله محمَّد بن إدريسَ الشَّافعي -رحمه الله- «ت: ٢٠٤ هـ».

قال: "مَنْ حَلَفَ باسمٍ مِن أسماءِ الله فحنَثَ فعليه الكفَّارة، لأنَّ اسمَ الله غيرُ مَخلوقٍ، ومن حلَفَ بالكعبةِ، أو بالصَّفا والمرْوةِ، فليسَ عليه الكفَّارةُ، لأنَّهُ مَخلوقٌ، وذاكَ غيرُ مَخْلوقٍ".[(٣)]

---

(١) أخرجه أحمد رقم «٤٩٠٤، ٦٠٧٢»، وأبو داود رقم «٣٢٥١»، والترمذي رقم «١٥٣٥»، وابن حِبّان رقم «١١٧٧ - موارد»، والحاكم ١/ ١٨ و٤/ ٢٩٧، وآخرون من حديث عبد الله بن عمر به. وحسّنه الترمذي، وصححه الحاكم وأقرّه الذهبي.

(٢) أخرجه عبد الله في "السنة" رقم «١٣».

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في "آداب الشافعي" ص: ١٩٣ وأبو نعيم ٩/ ١١٣ والبيهقي في "السنن" ١٠/ ٢٨ و"الأسماء والصفات" ص: ٢٥٥ - ٢٥٦ و"المناقب" ١/ ٤٠٥ بإسناد صحيح.

٣» إمامُ أهل السُّنَّة أحمدُ بن حَنبل –رحمه الله–«ت: ٢٤١ هـ».

قال: "مَنْ قالَ: القرآن مخلوق فهو عندنا كافرٌ، لأنَّ القُرآن من عِلْمِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وفيه أسماءُ الله عَزَّ وَجَلَّ"((١))

وقالَ: "وأسماءُ الله في القُرْآنِ، والقُرْآنُ من عِلْمِ الله، فمَنْ زَعَمَ أنَّ القرآنَ مخلوقٌ فهو كافرٌ، ومن زعَمَ أنَّ أسْمَاءَ الله مخلوقةٌ فقدْ كَفَرَ"((٢))

وذَكَرَ لَه رَجُلٌ أنَّ رَجُلاً قالَ: إنَّ أسماءَ الله مخلوقةٌ، والقرآنُ مخلوقٌ، فقال أحمدُ: "كُفْرٌ بَيِّنٌ"((٣))

وقالَ: "أسْماءُ الله في القرآنِ، والقرآنُ من عِلْم الله، وعِلْمُ الله ليس بمخلوقٍ، والقرآنُ كلامُ الله ليسَ بمخلوقٍ على كلِّ وجهٍ، وعلى كلِّ جهةٍ، وعلى أيِّ حالٍ"((٤))

وكما أنَّه تعالى لا يوصَف بصفةٍ مخلوقةٍ، فلا يسمَّى باسم مَخلوقٍ.

٥ – أخبرَ تعالى عن تَنزيلِه منه وإضافته إليه، كما قالَ: ﴿**تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [السجدة: الآية: ٢]، وقالَ: ﴿**وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ**﴾ [الأنعام: الآية: ١١٤]، وقال: ﴿**قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ**﴾ [النحل: الآية: ١٠٢]، ولَم يُضِف شيئًا مِّمَّا أنزلَه إلى نفسِه غير كلامِهِ((٥))، ممَّا دَلَّ على الاختصاصِ بمَعنى، فليسَ هو كإنزالِ المطَر والحديد وغير ذلك، فإنَّ هذه الأشياءَ أخبرَ عن إنزالِها، لكنَّه لم يُضِفْها إلى نفسِهِ، بخِلافِ كلامِهِ تعالى، والكلامُ صِفَةٌ، والصِّفَةُ إنَّمَا تُضافُ إلى مَن اتَّصَفَ بها لا إلى غيرِهِ، فلو كانت مخلوقةً لفارقت الخالقَ، ولم تصلحْ وَصْفاً له، لأنَّه تعالى

---

(١) رواه ابنه عبد الله في "السنة" رقم.

(٢) رواه ابنه صالح في "المحنة" ص: ٥٢، ٦٦ – ٦٧.

(٣) رواه أبو داود في "المسائل" ص: ٢٦٢ عنه.

(٤) رواه ابنه صالح في "المحنة" ص: ٦٩.

(٥) انظر: "مجموع الفتاوى": ١٢/ ٢٤٧، ٢٩٧.

غَنِيٌّ عن خَلقِهِ، لا يَتَّصفُ بشيءٍ منه.

ب– الأدلة السنة:

١ – **حديث خَوْلَةَ بنت حَكيم السُّلميَّة–رضي الله عنها–**، قالَتْ: سَمِعْتُ رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم– يقول:

«مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً ثُمَّ قَالَ: أعوذُ بِكَلِماتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ، لم يَضُرَّهُ شَيْءٌ حتَّى يرتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذلكَ».[(١)]

وحديثُ أبِي هُرَيْرَةَ–رضي الله عنه–«ت: ٥٧ هـ»، قالَ: جاء رجلٌ إلى النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم–، فقال: يا رَسُولَ الله، ما لَقِيتُ مِنْ عَقْربٍ لَدَغَتْني البارحةَ، قال:

«أما لَو قُلْتَ حين أمْسَيْتَ: أعوذ بكلماتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ لم تَضُرَّكَ». [(٢)]

وفي سياق آخرَ عنه قال: قال النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم–:

«مَنْ قالَ إذَا أمْسى ثَلاثَ مَرَّاتٍ: أعوذُ بكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ من شَرِّ ما خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّهُ حُمَةٌ تلكَ اللَّيْلة».

قال: فكان أهلُنا قد تعلَّمُوها، فكانوا يقولونَها، فلُدِغَتْ جاريةٌ منهم، فلم تَجِدْ لها وَجَعاً"[(٣)]

وحَديثُ عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما–«ت: ٦٨ هـ»، أنَّ رَسولَ الله –صلى الله عليه وسلم– كانَ يُعَوِّذُ حَسَنًا وحُسَيْنًا، يقولُ:

"أعيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيطانٍ وهامَّةٍ، ومِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ".

---

(١) أخرجه أحمد ٦/ ٣٧٧، ٤٠٩ ومسلم ٤/ ٢٠٨٠ والترمذي رقم «٣٤٣٧»، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" رقم «٥٦٠، ٥٦١» وابن ماجة رقم «٣٥٤٧» من حديث سعد بن أبي وقاص عن خولة به. وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح غريب".

(٢) أخرجه مالك ٢/ ٩٥١ وأحمد ٢/ ٣٧٥ ومسلم ٤/ ٢٠٨١ والنسائي في "عمل اليوم والليلة" رقم «٥٨٥ – ٥٨٩، ٥٩١ – ٥٩٢» وابن ماجة رقم «٣٥١٨».

(٣) أخرجه أحمد ٢/ ٢٩٠ والنسائي في "عمل اليوم والليلة" رقم «٥٩٠».

وكانَ يقولُ: "**كانَ إبْراهيمُ أبي يُعَوِّذُ بهما إسْماعيلَ وإسحاقَ**"[(١)].

فأثبتَ النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم- بما ذكَرْناهُ عنه شرعيَّةَ الاستعاذةِ بكلماتِ الله، فلو كانَتْ كلماتُهُ مخلوقةً لكانت الاستعاذةُ بها شِرْكًا، لأنَّها استعاذةٌ بمَخلوقٍ، ومن المعلوم أنَّ الاستعاذةَ بغير الله تعالى وأسمائِهِ وصفاتِهِ شِرْكٌ، فكيفَ يَصِحُّ أن يُعلِّمَ النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم- أمَّتَه ما هو شركٌ ظاهرٌ، وهو الذي جاءهم بالتَّوحيدِ الخالصِ؟

فدلَّ هذا على أنَّ كلماتِ الله تعالى غيرُ مخلوقةٍ.

وقالَ نُعَيْمُ بن حمَّاد «شيخُ البخاري، ومن أئمَّة السُّنَّة»: "لا يُستعاذُ بالمخلوقِ، ولا بكلامِ العباد والجنّ والإنسِ والملائكةِ".

وقال البخاري عَقِبَهُ: "وفي هذا دَليلٌ أنَّ كلامَ الله غيرُ مخلوقٍ، وأنَّ سواه خَلْقٌ" [(٢)]. ثمَّ احتجَّ البخاريُّ لذلك بما ذكرنا.

واعترضَ بعضُ أهلِ البدَعِ على هذه الحُجَّة بقوله -صلى الله عليه وسلم-: "**اللَّهمَّ أعوذُ بِرِضاكَ من سَخَطِكَ، وبمُعافاتِك من عُقوبَتِك** ... " الحديث [(٣)]، فقالوا: فاستعاذَ النبي -

---

(١) أخرجه أحمد رقم «٢١١٢، ٢٤٣٤»، والبخاري ٦/ ٤٠٨، وأبو داود رقم «٤٧٣٧»، والترمذي رقم «٢٠٦٠»، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" رقم «١٠٠٦، ١٠٠٧»، وابن ماجة رقم «٣٥٢٥»، من طريق منصور بن المعتمر عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به. وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح"..

(٢) "خلق أفعال العباد" ص: ١٤٣.

(٣) حديث صحيح.

مرويٌّ من حديث عائشة وعلي، رضي الله عنهما.

أما حديث عائشة، فأخرجه أحمد ٦/ ٥٨، ٢٠١، ومسلم رقم «٤٨٦»، وأبو داود رقم «٨٧٩»، والنسائي ١/ ١٠٢ و ٢/ ٢١٠، وابن ماجة رقم «٣٨٤١» من طريق عُبَيْد الله ابن عمر عن محمد بن يحيى بن حَبَّان عن الأعرج عن أبي هريرة عن عائشة قالت: فَقَدْتُ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- ليلة من الفراش، فالتمسْتُهُ، فوقعَتْ يَدِي على بطنِ قَدَمَيْه وهو في المسجد، وهما منصوبتان «زاد في بعض الطرق: وهو ساجد» وهو يقولُ: «اللَّهمَّ أعوذُ برضاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وبمعافاتك من عقوبتِكَ، وأعوذُ بكَ منكَ، لا أحصي ثناءً عليك، أنتَ كما أثنيتَ على نفسِك».

وأخرجه مالك ١/ ٢١٤، والترمذي رقم «٣٤٩٣»، والنسائي ٢/ ٢٢٢، عن يحيى ابن سعيد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن عائشة

=

صلى الله عليه وسلم- بالرِّضا والمعافاة وهما مَخلوقان.

والجوابُ: أن هذا الاعتراضَ من فاسدِ الفهْم الذي أدخلَه عليهم الشيطانُ -لعنه الله- وذلك أنَّهم حَسِبوا أنَّ الرِّضا والمعافاةَ من خَلْقه تعالى، جَرْياً على سُنَّتِهم في أنَّ الله تعالى لا يقوم به اختيارٌ ولا مَشيئة، والرِّضا والمعافاةُ إنَّما يتعلَّقان بالمشيئةِ، وكلُّ ما تعلَّقَ بالمشيئة فهو مخلوقٌ.

وهذا الأصل الفاسِدُ جرَّهم إلى الوقوع في تعطيل جميعِ الصفاتِ الاختيارية، كالرِّضا، والغَضبِ، والرَّحْمةِ، والرَّأفةِ، والحُبِّ، والبُغْضِ، والإِنْعام، والانتقامِ، وغيرِها مما يتعلَّقُ بمشيئتهِ تعالى واختياره.

والحَقُّ الأبلجُ الذي يبهَرُ أبصارَ أهلِ البِدَع أنَّه تعالى تقومُ به الصِّفاتُ الاختياريةُ، والاستعاذة بالرِّضا والمعافاةِ، استعاذةٌ بصفته تعالى، إذ رضاهُ تعالى صفتهُ التي يرضى بها عمَّنْ شاءَ من عبادهِ، ومعافاتُهُ صفَتُهُ التي يُعافي بها من شاءَ من عبادِهِ، والمخلوق إنَّما هو العافيةُ الموجودةُ في الناس، والتي كانت بمعافاتِهِ تبارك وتعالى، فتأمَّل هذا رحِمَكَ الله ترشَد إن شاءَ الله.

بنحوه.

قلت: وهذا سند منقطع، محمد بن إبراهيم لم يسمَع من عائشةَ، وقد حسَّن الترمذي هذه الطريق لمجيء الحديث من غير هذا الوجه عن عائشة.

وللحديث طريق ثالثة.

أخرجها النسائي ٨/ ٢٨٣ - ٢٨٤ من حديث مسروق بن الأجدع عن عائشة به نحوه.

قلت: لكن إسناده ضعيف، لحال العلاء بن هلال أحد رجال الإسناد فإنَّه منكر الحديث جداً.

أما حديث علي رضـــي الله عنه. فأخرجه أحمد رقم «٧٥١، ٩٥٧»، وأبو داود رقم «١٤٢٧»، والترمذي رقم == «٣٥٦٦»، والنسائي ٣/ ٢٤٨ — ٢٤٩، وابن ماجة رقم «١١٧٩» من طرق عن حماد بن سلمة عن هشام بن عمرو عن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن عليّ أنَّ النَّبيَّ -صلى الله عليه وسلم- كان يقولُ في آخر وتره: "اللَّهم إنِّي أعُوذُ برضاكَ من سَخَطِكَ، وأعُوذُ بمعافاتِكَ من عقوبتِكَ، وأعوذُ بكَ منكَ، لا أحصي ثناءً عليك، أنتَ كما أثنيْتَ على نفسِكَ".

قال الترمذي: "حديث حسنٌ غريبٌ من حديث عليّ، لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه، من حديث حماد بن سلمة".

قلت: إسناده صحيح، وهشام هذا هو الفَزاري معروف برواية هذا الحديث، وهو ثقة.

وقد رواه عن عليّ أيضاً إبراهيم بن عبد الله بن عَبْدٍ القاري.

أخرجه النسائي في "عمل اليوم والليلة" رقم «٨٩١، ٨٩٢».

وإسناده منقطع، إبراهيم عن علي مرسل.

٢ - **حديث أبي هريرة**–رضي الله عنه–«**ت: ٥٧ هـ**»، عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: «**فَضْلُ كلامِ الله على سائرِ الكلامِ كفَضْلِ الله على سائرِ خلقِهِ**».[(١)]

تضمَّن هذا الحديث إثباتَ عقيدةِ السَّلَفِ «القرآن كلام الله غيرُ مخلوق» وذلك من وجهين:

الأوَّل: التفريق بين كلام الله وما سِواه من الكلام، والكلامُ إما كلامُ الله الذي هو صفته، أو الكلامُ المخلوق الذي يقَعُ من خلقِهِ، فأضافَ ما كانَ صفةً لله إلى الله، وعمَّمَ ما سِواهُ، ليشمَلَ كلَّ كلام سوى ما أضافه إلى الله، ولو كان الجميعُ مَخْلوقاً لِما كانت هناك حاجة إلى التفريق.

والثاني: جعلَ الفَرْقَ بينَ كلام الله وكلام غيره كالفَرْقِ بينَ ذاتِ الله وذاتِ غيره، فجعلَ كلامَه مساوياً لذاتِهِ، وكَلاَمَ المخلوقِ مساوياً لذات المخلوقِ، ولو كان كلامُهُ مخلوقاً لم يساوِه بذاتِهِ، فإنَّ الله تعالى ليسَ يُساويه شيءٌ غيرُ صفاتِهِ وأسمائِهِ.

وقد احتجَّ بهذا الإمام عثمان بن سعيد الدَّارِميُّ في "الردِّ على الجهمية" فقال بعدَما ذكَر الأحاديثَ في هذا المعنى:

"ففي هذه الأحاديث بيانُ أنَّ القرآنَ غير مخلوقٍ, لأنَّه ليس شيءٌ من المخلوقينَ من التفاوت في فَضْلِ ما بينهما كما بين الله وبينَ خلقِهِ في الفَضْلِ, لأنَّ فَضْلَ ما بين المخلوقين يُسْتَدْرَك، ولا يُسْتدركُ فَضْلُ الله على خلقِهِ، ولا يُحْصِيهِ أحَدٌ، وكذلك فَضْلُ كلامهِ على كلام المخلوقين، ولو كانَ مخلوقاً لم يكن فضْلُ ما بينَه وبين سائر الكلام كفضْلِ الله على خلقهِ، ولا كَعُشْرِ عُشْرِ جُزْءٍ من ألفِ ألفِ جُزْءٍ، ولا قريباً فافْهَموه، فإنَّه ليسَ كمثله شيءٌ, فليسَ كَكَلامِهِ كلامٌ، ولن يُؤْتى بمثلِهِ أبداً"[(٢)]

ج–الأدلة من المعقول الصريح:

وذلك من وجهين:

---

(١) أخرجه عثمان الدارمي في " الرد على الجهمية " رقم: «٢٨٧، ٣٤٠»، واللالكائي رقم: «٥٥٧».

(٢) "الرد على الجهمية" ص: ١٦٢ – ١٦٣.

الأول: أنَّ كلامَ الله إنْ كانَ مخلوقاً، فلا يخلو من أحَدِ حالَيْن:

الأولى: أنْ يكونَ مخلوقاً قائماً بذاتِ الله.

والثانية: أنْ يكونَ منفصلاً عن الله بائناً عنه.

وكلا الحالين باطلٌ، بل كفرٌ شنيعٌ.

أمّا الأولى فيَلزَمُ منها أن يقوم المخلوقُ بالخالقِ، وهو باطلٌ في قولِ أهلِ السُّنَّةِ، وعامَّةِ أهلِ البِدَعِ، فإنَّ الله تعالى مُستغنٍ عن خلقهِ من جميع الوجوهِ.

وأمّا الثانية فيلزَمُ تعطيلُ صفَةِ الكلام للباري تعالى، إذْ أنَّ الصفةَ إنَّما تقومُ بالموصوف -كما سبق تقريرهُ- لا تقومُ بسِواه، فإنْ قامَتْ بغير الموصوف كانت وصفاً لمن قامتْ به، وهذا معناه أنَّ الرَّبَّ تعالى غيرُ متكلّمٍ، وهو كفرٌ بَيّنٌ، كما بَيَّنا الدلالةَ عليه.

والثاني: علمتَ أنَّ الصفةَ لا تقومُ بنفسِها، فإن كانتْ صفةً للخالق قامت به، وإن كانتْ صفةً للمخلوقِ قامتْ به ولا بدَّ، فالحركةُ، والسُّكونُ، والقيامُ، والقعودُ، والقدرةُ، والإرادةُ، والعلمُ، والحياةُ، وغيرُها من الصِّفاتِ، إن أضيفت لشيءٍ كانت وصفاً لهُ، وهي تابعةٌ لمن قامَتْ به، فهذه صفاتٌ تُضاف للمخلوقِ، فهي صفات له حيث أضيفتْ له، ومنها ما يُضافُ إلى الخالق، كالقُدْرةِ والإرادةِ والعلمِ والحياةِ وغيرِ ذلك، فهي صفاتٌ له حيثُ أضيفت له، وحيثُ أضيفت للمخلوقِ فهي مخلوقةٌ، وحيثُ أضيفت للخالقِ فهي غير مخلوقةٍ.

فصفةُ الكلامِ كغيرها من الصِّفاتِ، لا بدَّ أن تقومَ بمَحَلٍّ، فإذا قامت بمَحَلٍّ كانت صفةً لذلك المحَلِّ، لا صفةً لغيرِه، فإنْ هى أضيفت إلى الخالق تعالى فهيَ صفتُهُ، وإنْ أضيفتْ إلى غيرِهِ فهي صفةٌ لذلك الغيرِ، وصفةُ الخالقِ غير مخلوقةٍ كنفسهِ، وصفةُ المخلوقِ مخلوقةٌ كنفسهِ.

فلمَّا أضافَ الله لنفسه كلاماً، ووصَفَ نفسَهُ به، كان كلامُهُ غيرَ مخلوقٍ، لأنَّه تابعٌ لنفسِهِ، ونفسُهُ تعالى غيرُ مخلوقةٍ، والكلامُ في الصِّفات فَرْعٌ عن الكلامِ في الذاتِ.

فإنْ قيلَ: هو مخلوقٌ، قُلْنَا: إذاً يتنزَّهُ الله عن الاتّصافِ بمخلوقٍ، وأنتم تنزهونه تعالى بزَعْمِكُمْ عن قيام الحوادث به، فحيثُ نزّهتم ربَّكم تعالى عن ذلك فإنَّه يلزمُكُم أن لا تضيفوا إليه كلاماً، وبهذا تكذّبون السَّمْعَ والعقل الشاهِدَيْنِ على أنَّ لله تعالى صفةَ الكلام، كما قدْ بيَّناه فيما

مضى.

لكنَّهم أبَوُا الإقرار بأنَّ كلامَ الله تعالى غيرُ مخلوقٍ بأدهى ممَّا سبَقَ من الباطل، فقالوا: نُثْبِتُ أنَّ الله متكلمٌ بكلامٍ قائمٍ في غيرِه، فكلَّم الله تعالى موسى بكلامٍ مَخلوقٍ قائمٍ بالشَّجَرة، لا بِهِ تعالى، فنحن نزَّهناه عن قيام الحوادث بِهِ.

قُلْنا: جعلتُمُ الكلامَ إذاً صفةً للمَحَلِّ الذي قامَ به، وهو على قولِكم الشَّجَرَةُ، فكانت الشجرةُ بهذا هي القائلةُ لموسى: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: الآية: ٣٠]، فانتفى حينئذ الفرقُ بين قولِ الشَّجرةِ وقول فرعونَ اللَّعين: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: الآية: ٢٤]؛ لأنَّ كلامَ الشجرةِ صفَتُها لا صفةُ الله، وكلامَ فرعونَ صفتُهُ، وكلٌّ ادَّعى الربوبيَّة، فلم يكن موسى إذاً محِقّاً في إنكارِهِ قولَ فرعونَ وقبولِهِ قولَ الشجرةِ.

سُبحان الله! كم تجُرُّ البدعُ على أهلِها من المحاذير؟

تأمَّل رحِمَكَ الله لهذا الكُفْرَ الصُّراح، الَّذي أوقعَ أهلَه فيه الابتداعُ المشِينُ، وعدَمُ الرِّضا والتَّسليم لحَقائق التَّنزيلِ، واستبدالُ الوحي الشريفِ بزُبالاتِ الأذْهانِ التي تُصَرِّفها الأهواءُ كيف شاءَت.

ولقد كانتْ هذه الحجَّةُ العَقْليَّة ممَّا احتجَّ به الإمامُ أحمدُ رحمه الله على الجَهْميةِ المعتزلةِ حين ناظرَهم بحضْرَة المعتصِم، قال رحمه الله:

"وهذه قصَّةُ موسى، قال الله في كتابِهِ حكاهُ عن نفسِهِ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى﴾ [النساء: الآية: ١٦٤]، فأثبتَ الله الكلامَ لموسى كرامةً منه لموسى، ثمَّ قالَ بعدَ كلامهِ له ﴿تَكْلِيمًا﴾ تأكيداً للكلامِ، قالَ الله تعالى: يَا مُوسَى ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [طه: الآية: ١٤]، وَتُنْكرونَ هذا، فتكونُ هذه الياءُ تَرِدُ على غير الله، ويكونُ مخلوقٌ يدَّعِي الرُّبوبية؟! ألَا هو الله عَزَّ وجَلَّ"(١).

وكذا احتجَّ بهذه الحُجَّة من أئمَّة السَّلَفِ

(١) رواه حنبل في "المحنة" ص: ٥٢ عنه.

الثِّقةُ المأمونُ أبو أيوب سليمانُ بن داودَ الهاشميُّ–رحمه الله–«ت: ٢١٩ هـ»، فقال: "مَنْ قالَ: القرآن مخلوقٌ فهو كافرٌ، وإن كانَ القرآنُ مخلوقاً كما زعمها فَلِمَ صارَ فرعونُ أولى بأنْ يُخَلَّدَ في النَّارِ، إذْ قالَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: الآية: ٢٤]، وزعَموا أنَّ هذا مخلوقٌ، والذي قال: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: الآية: ١٤]، هذا أيضاً قد ادّعى ما ادّعى فرعونُ، فَلِمَ صارَ فرعونُ أولي بأن يُخَلَّدَ في النَّارِ من هذا، وكلاهُما مخلوقٌ؟ ".

قال البُخاريُّ–رحمه الله–«ت: ٢٥٦ هـ»: فأخْبِرَ بذلكَ أبو عُبَيْد [(١)] فاستحسَنه وأعجَبه. [(٢)].

د–كلام أئمه السلف في إثبات هذه العقيدة:

١–**عمرو بن في دينار–رحمه الله–«ت: مابين: ١٢٥إلى ١٢٩ هـ»** «من خيار أئمَّةِ التَّابعينَ»:

قال: "أدركتُ أصحابَ النَّبي –صلى الله عليه وسلم– فَمَن دونَهم منذ سبعينَ سنة، يقولون: الله الخالقُ، وما سِواه مخلوق، والقرآن كلام الله، منه خَرجَ وإليه يعودُ"[(٣)]

٢–**قال إسحاقُ بن راهوَيْهِ–رحمه الله–«ت: ٢٣٨ هـ»:**

"وقد أدْرَكَ عَمْرُو بن دينارٍ أجلّةَ أصحابِ رسولِ الله –صلى الله عليه وسلم–، من البَدْريينَ، والمهاجِرينَ، والأنصار، مثل: جابر بن عبد الله، وأبي سعيدٍ الخُدْري، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عبَّاس، وعبد الله بن الزبير، وأجلّة التابعين، وعلى هذا مضى صدرُ هذه الأمَّةِ"[(٤)]

٣–**جَعفر بن محمَّد بن عليّ بن الحُسَين المَعروف بـ "الصادق"–رحمه الله–«ت: ١٤٨**

(١) أبو عُبَيد هو القاسم بن سلاَّم–رحمه الله–«ت: ٢٢٤ هـ» لغويُّ أهلِ الحديث.

(٢) "خلق أفعال العباد" رقم «٥٩» عن سليمان به.

(٣) أخرجه الدارمي في " الردّ على الجهمية" رقم «٣٤٤» و"النقض على المريسي" ص: ١١٦ والبيهقي في "السنن" ١٠/ ٢٠٥.

(٤) قول إسحاق هذا زاده البيهقي في "السنن" ١٠/ ٢٠٥ و"الأسماء والصفات" ص: ٢٤٥ عقب قول عمرو بن دينار، وسنده صحيح.

هـ» «إمامٌ ثقَةٌ سُنِّيٌّ»:

قال معاويةُ بن عمَّارٍ الدُّهْنِيُّ–رحمه الله–«ت: ١٧٥ هـ»: قلْتُ لجَعْفر –يعني ابنَ محمد– إنَّهم يسألون عن القرآنِ: مخلوقٌ هو؟ قال:

"ليس بخالِقٍ ولا مَخلوقٍ، ولكنَّه كلامُ الله"[(١)].

٤–مالك بن أنس–رحمه الله–«ت: ١٧٩ هـ» «إمام دار الهجرة»:

قال عبد الله بن نافع–رحمه الله–«ت: ١٨٦ هـ»: كان مالكٌ يقول: "كلَّم الله موسى –صلى الله عليه وسلم– " ويقول: "القرآنُ كلامُ الله" ويستفظِع قولَ من يقول: القرآن مخلوق.[(٢)].

٥–سفيان بن عُيَيْنَة–رحمه الله–«ت: ١٩٨ هـ» «إمامٌ حُجَّةٌ»:

سئل عن القرآن؟ فقال: "كلامُ الله، وليس بمخلوقٍ"[(٣)].

٦–عبد الله بن المبارك–رحمه الله–«ت: ١٨١ هـ» «ذاكَ العَلَم»:

قال: "القرآنُ كلامُ الله عَزَّ وَجَلَّ، ليسَ بخالقٍ ولا مَخلوقٍ"[(٤)].

٧–أبو عبد الله الشَّافعيُّ الإمامُ–رحمه الله–«ت: ٢٠٤ هـ»:

قالَ الرَّبيعُ بن سُلَيْمان–رحمه الله–«ت: ٢٧٠ هـ» صاحبهُ وتلميذُهُ حاكياً المناظرةَ التي جَرَتْ بينَهُ وبينَ حفْصٍ الفَرْدِ في القرآن:

فسألَ الشَّافعيَّ، فاحتجَّ عليه الشافعيُّ وطالَت فيه المناظرةُ، فأقامَ الشَّافعيُّ الحُجَّةَ عليهِ بأنَّ القرآنَ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، وكفَّر حَفْصاً الفَرْدَ.

---

(١) أخرجه البخاري في "خلق أفعال العباد" رقم «١٠٩» والدارمي في "الرد على الجهمية" رقم «٣٤٥» و"النقض على المريسي" ص: ١١٦ وعبد الله بن أحمد في "السنة" رقم «١٣٢ – ١٣٤» وأبو داود في "المسائل" ص: ٢٦٥ والآجري في "الشريعة" ص: ٧٧ البيهقي في "الأسماء" ص: ٢٤٦ – ٢٤٧ و"الاعتقاد" ص: ١٠٧ من طريق معاوية به.

(٢) رواه صالح بن أحمد في "المحنة" ص: ٦٦ بسند صحيح عنه.

(٣) أخرجه أبو داود في "المسائل" ص: ٢٦٥ بسند جيد عنه.

(٤) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم «١٤٤» وسنده صحيح، وكذا رواه اللالكائي رقم «٤٢٦».

قال الرَّبِيعُ:

فلقيتُ حفْصاً الفَرْدَ في المجْلسِ بَعْدُ، فقال: أرادَ الشَّافعيُّ قَتْلي.((١))

٨-**وكيعُ بن الجرَّاح**-رحمه الله-«**ت: ١٩٧ هـ**» «أحدُ كبارِ الحُفَّاظ»:

قال: "القرآنُ كلامُ الله عزَّ وجَلَّ ليسَ بالمخلوقِ"((٢))

٩- **يحيى بن سعيد القطَّان**-رحمه الله-«**ت: ١٩٨ هـ**» «رأسٌ في الحَديثِ وعِلَلِهِ»:

قال الحافظُ أبو الوليد الطَّيالِسيُّ-رحمه الله-«ت: ٢٢٧ هـ»: قالَ لي يحيى بن سعيدٍ: "كيف يصْنَعونَ بـ ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص: ١]؟ كيف يَصْنَعونَ بهذه الآية: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾؟ يكونُ مخلوقاً؟"((٣))

١٠-**يزيد بن هارون**-رحمه الله-«**ت: ٢٠٦ هـ**» «من كبار أئمَّةِ الحَديثِ»:

قال: "مَنْ قالَ: القرآنُ مخلوقٌ فهو كافرٌ"((٤))

١١-**عبد الله بن إدريس**-رحمه الله-«**ت: ١٩٢ هـ**» «ثقَةٌ ثَبْتٌ»:

قال: "القرآنُ كلامُ الله، ومِنَ الله، وما كانَ مِنَ الله عَزَّ وجَلَّ فليسَ بمخلوقٍ"((٥))

١٢-**أبو الوليد الطَّيالِسي: هشامُ بن عبد الملك**-رحمه الله-«**ت: ٢٢٧ هـ**» «ثِقَةٌ حافِظٌ»:

قال: "القرآنُ كلامُ الله، وكلامُ الله ليسَ بمَخلوقٍ"((٦))

١٣-**سليمان بن حَرْبٍ**-رحمه الله-«**ت: ٢٢٤ هـ**» «ثقَةٌ جَبَلٌ صاحبُ سُنَّة»:

---

(١) رواه عبد الرحمن بن أبي حاتم في "آداب الشافعي" ص: ١٩٤ - ١٩٥ وسنده صحيح..

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم «١٥١» بسند صحيح.

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في "السـنة" رقم «١٥٧» بسـند صـحيح. وكذا أخرجه البخاري في "خلق أفعال العباد" رقم «٣٠» عن الطيالسي نحوه.

(٤) رواه أبو داود في "المسائل" ص: ٢٦٨ بسند صحيح.

(٥) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم «١٦١» بسند صحيح.

(٦) رواه أبو داود في "المسائل" ص: ٢٦٦ بسند صحيح.

قال عباسُ بن عبد العظيم–رحمه الله–«ت: ٢٤٦ هـ»، –وكان ثِقَةً– سمعتُ سُليمانَ بن حَرْبٍ قال:

"القرآنُ ليسَ بمَخلوقٍ".

فقلت له: إنَّكَ كنتَ لا تقولُ هذا، فما بَدا لكَ؟

قالَ: "استَخْرَجْتُهُ من كتاب الله عَز وجَل: ﴿**لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ**﴾ [آل عمران: الآية: ٧٧] فالكلام والنظرُ واحدٌ"[(١)]

١٤–الإمام أحمدُ بن حَنبل–رحمه الله–«ت: ٢٤١ هـ» إمام أهل السُّنَّة:

النَّقْلُ عنه في ذلك متواترٌ، والناقلونَ عنه لا يُحصيهم العدُّ، وكَفى ما كان منه في المِحْنَةِ مع الجهميةِ المعتزلةِ القائلين بخلقِ القرآن، وقد تقدَّم ذكرُ بعضِ النقلِ عنه، وسيأتي بعض ذلك متناثِراً.

ومِمَّا يَحْسُنُ ذكرُهُ هنا ما قالَه الإمام أحمدُ جواباً لسؤالِ المتوكّلِ عن مسألة القرآنِ:

"وقد رُويَ عن غير واحدٍ مِمَّن مَضى من سَلَفِنا رحمهم الله أنَّهم كانوا يقولون: القرآنُ كلام الله عَزَّ وجَلَّ، وليس بمخلوقٍ، وهو الذي أذْهَبُ إلَيهِ، ولسْتُ بصاحبِ كلامٍ، ولا أرى الكلامَ في شَيْءٍ من هذا، إلاَّ ما كانَ في كتابِ الله عَزَّ وجَلَّ، أو في حديثٍ عن النبي –صلى الله عليه وسلم–، أو عن أصحابِهِ، أو عنِ التابعينَ، فأمَّا غير ذلك فإنَّ الكلامَ فيه غيرُ مَحْمودٍ"[(٢)]

وقال حنبلٌ: سمعتُ أبا عبد الله يقولُ:

"لم يَزَلِ الله –عَزَّ وَجَلَّ– متكلِّماً، والقرآنُ كلامُ الله –عَزَّ وَجَلَّ– غيرُ مخلوقٍ، وعلى كلِّ جِهَةٍ، ولا يوصَفُ الله بشَيْءٍ أكثرَ مِمَّا وصفَ به نَفْسَهُ –عَزَّ وَجَلَّ– "[(٣)]

١٥ –يحيى بن مَعين–رحمه الله–«ت: ٢٣٣ هـ» «إمامُ الجَرْحِ والتَّعديلِ» وأبو خيثمة زُهَيْر

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم «١٦٩» عن عباس عنه به.

(٢) رواه صالح في "المحنة" ص: ١٢٢ وعبد الله في "السنة" رقم «١٠٨» عن أبيهما.

(٣) رواه حنبل في "المحنة" ص: ٦٨ وانظر ص: ٧٤.

بن حَرْب–رحمه الله–«ت: ٢٧٩ هـ» «حافظٌ إمامٌ ناقِدٌ»:

قالا: "القرآنُ كلام الله –عَزَّ وَجَلَّ–، وهو غيرُ مَخْلوقٍ"[(١)]

١٦–أبو بكر بن أبي شَيْبَة–رحمه الله–«ت: ٢٣٥ هـ» «حافظٌ إمامٌ مُصَنِّفٌ»:

قال له رجُلٌ من أصحابِهِ: القرآنُ كَلامُ الله وليسَ بمَخلوقٍ، فقال أبو بكر:

"مَنْ لَمْ يَقُلْ هذا فهو ضالٌّ مُضِلٌّ مُبْتَدِعٌ"[(٢)]

١٧–**عثمان بن أبي شَيْبَةَ–رحمه الله–«ت: ٢٣٩ هـ»** «ثِقَةٌ حافِظٌ»:

قال: "القرآنُ كلامُ الله وليسَ بمَخلوقٍ"[(٣)]

١٨–جماعةٌ من شُيوخِ أبي داودَ السِّجِستاني صاحب "السُّنن":

قال أبو داود–رحمه الله–«ت: ٢٧٥ هـ»:

سمعتُ إسحاقَ بن إبراهيمَ بن راهُوَيهِ–رحمه الله–«ت: ٢٣٨ هـ»، وهَنَّادَ بن السَّريّ–رحمه الله–«ت: ٢٤٣ هـ»، وعبدَ الأعلي بنَ حَمَّادٍ–رحمه الله–«ت: ٢٣٧ هـ»، وعُبيدَ الله بن عُمَر بنِ مَيسرةَ القواريريَّ–رحمه الله–«ت: ٢٣٥ هـ»، وحكِيم بن سيفٍ الرَّقيَّ–رحمه الله–«ت: ٢٣٥ هـ»، وأيوبَ بن محمَّدٍ–رحمه الله–«ت: ٢٤٦ هـ»، وسَوّارَ بنَ عبد الله–رحمه الله–«ت: ٢٤٥ هـ»، والرَّبِيعَ بن سليمان–رحمه الله–«ت: ٢٧٠ هـ»–صاحبَ الشَّافعيّ–، وعبدَ الوهّابِ بن الحَكَم–رحمه الله–«ت: ٢٥١ هـ»، ومحمَّدَ بن الصَبّاح بنِ سُفيانَ–رحمه الله–«ت: ٢٤٠ هـ»، وعُثمانَ بن أبي شَيْبَةَ–رحمه الله–«ت: ٢٣٩ هـ»، ومحمَّدَ بنَ بَكّارِ بنِ الرَّيَّانِ–رحمه الله–«ت: ٢٣٨ هـ»، وأحمدَ بن جَوَّاس الحَنَفيَّ–رحمه الله–«ت: ٢٣٨ هـ»، ووَهْبَ بن بَقِيَّةَ–رحمه الله–«ت: ٢٣٩ هـ»، ومَن لا أُحْصيهم من عُلمائِنا، كلُّ هؤلاءِ سَمِعْتُهم يقولونَ:

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم «١٧٣» بسند صحيح، وانظر "تاريخ يحيى" رواية الدوري ٣/ ٣٣٥.

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم «١٦٢» عنه به.

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم «١٦٣» عنه به.

"القُرْآنُ كلامُ الله ليسَ بمَخلوقٍ".

وبعضهُم [قال: "القرآنُ] غيرُ مخلوقٍ"[(١)]

قلتُ: وجميعُ هؤلاءِ الشيوخِ من أئمَّة الحديثِ، وكلُّهم ثِقاتٌ، سِوى حَكيم بن سَيْف فإنَّه صالحٌ لا بأس به.

١٩-**عليُّ بن المديني-رحمه الله-«ت: ٢٣٤ هـ»** «صَيْرفيّ الحَديثِ وأهلِهِ».

قال محمَّدُ بن عثمانَ بن أبي شَيْبة-رحمه الله-«ت: ٢٩٧ هـ»: سمعتُ عليَّ بن المديني يقولُ قبلَ أن يموتَ بشَهرين:

"القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، ومَن قالَ: مخلوقٌ، فهو كافرٌ"[(٢)]

٢٠-**أبو يعقوب البُويْطيّ-رحمه الله-«ت: ٢٣١ هـ»** «تلميذُ الشافعي وخرّيجُهُ»:

قال:"مَنْ قالَ: القرآنُ مخلوقٌ، فهو كافرٌ"[(٣)]

٢١-**المُزَنيُّ: إسماعيل بن يحيى-رحمه الله-«ت: ٢٦٤ هـ»** «إمامٌ فَقيهٌ، من أخَصّ أصحابِ الشافعي به»:

قال: "القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، ومَن قالَ: إنَّ القرآنَ مخلوقٌ، فهو كافرٌ"[(٤)]

٢٢-**البخاريّ: محمَّد بن إسماعيل-رحمه الله-«ت: ٢٥٦ هـ»** «إمامُ المحدّثين»:

قال: "القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ"[(٥)].

٢٣-**أبو حاتِمٍ-رحمه الله-«ت: ٢٧٧ هـ» وأبو زُرْعَة-رحمه الله-«ت: ٢٨٩ هـ»**

---

(١) "المسائل" لأبي داود ص: ٢٦٦.

(٢) أخرجه ابن الطبري في "السنة" رقم «٤٥٣» والخطيب في "تاريخ بغداد" ١١/ ٤٧٢ بسند صحيح، وانظر "مسائل ابن أبي شيبة لابن المديني" نص: «١١٣».

(٣) رواه أبو داود في "المسائل" ص: ٢٦٨بسند صحيح عنه.

(٤) رواه البيهقي في "الأسماء والصفات" ص: ٢٥٢ بسند صحيح، ورواه هو وابن الطبري بإسنادين آخرين عنه.

(٥) "خلق أفعال العباد" ص: ٣٧.

الرّازيانِ «عالمانِ حافظانِ، من كبارِ أئمَّةِ الحديثِ»:

قال عبدُ الرَّحمن بن أبي حاتِمٍ -رحمه الله- «ت: ٣٢٧ هـ»:

سألتُ أبي وأبا زُرْعةَ عن مَذاهبِ أهل السُّنَّة في أصولِ الدّينِ، وما أدركا عليه العلماءَ في جميع الأمصارِ، وما يَعْتَقِدان من ذلك؟

فقالا: "أَدْرَكْنَا العُلَماءَ في جَميع الأمصار: حِجازاً، وعِراقاً، وشاماً، ويَمَناً، فكان من مذهبهم: الإيمان قولٌ وعَمَلٌ يَزيدُ وينقصُ، والقرآنُ كلامُ الله غير مخلوقٍ بجميع جهاتِهِ"[(١)]

فهؤلاءِ بِضْعةٌ وثلاثونَ من الأئمَّةِ، قد سمّيناهم، عامّتهم ممَّن يُقْتَدى بهم، وجميعهم من أهلِ القُرونِ المفَضَّلَة التي هي خيرُ القرون.

٢٤-قال الإمام أبو عثمانَ الصابونيُّ-رحمه الله-«ت: ٤٤٩ هـ»:

"ويشهَد أصحابُ الحديث، ويعتقدونَ: أنَّ القرآنَ كلام الله وكتابُه، وخِطابُه، ووحيُهُ، وتنزيلُهُ، غيرُ مخلوقٍ، ومَنْ قالَ بِخَلْقِهِ واعتقدَه فهو كافرٌ عندهم"[(٢)]

ولو أَرَدْنا استيعاب ما بلَغنا من أقوالهم في إثباتِ هذه العقيدةِ «القرآنُ كلامُ الله غيرُ مَخْلوقٍ» لاحتاجَ ذلك إلى تصنيفٍ مُستقلٍّ.

وقد ساقَ الإمامُ أبو القاسِم هبةُ الله بن الحَسَن الطَّبريُّ اللَّالكائي-رحمه الله-«ت: ٤١٨ هـ» في كتابه العَظيم «شرحِ أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» أو «كتاب السنة» القولَ بذلك عن خَمْسِ مِئَةٍ وخَمسينَ نَفْساً من علماءِ الأمَّةِ وسَلَفِها، كلُّهُم يقولونَ: "القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، ومَن قال: مخلوقٌ، فهو كافرٌ".

قال رحمه الله: "فهؤلاء خَمْسُ مِئَةٍ وخمسونَ نَفْساً أو أكثر، من التَّابعينَ، وأتباع التَّابعينَ، والأئمةِ المرْضيِّينَ، سوى الصحابة الخيّرين، على اختلاف الأعصارِ، ومُضِيّ السّنين والأعوامِ، وفيهم نحوٌ من مِئة إمامٍ، ممَّن أخذَ الناسُ بقَوْلهم، وتَديَّنوا بمَذاهبهم، ولو اشتغلتُ بنقلِ قولِ

---

(١) أخرجه ابن الطبري في "السنة" ١/ ١٧٦ بسند صحيح.

(٢) "رسالته في السُّنَّة" نص/٦.

المحَدِّثينَ لبلَغتْ أسماؤهم ألوفاً كثيرةً"[(١)].

قلتُ: وفيما ذُكر كفايةٌ لإثباتِ الحَقِّ البيّن الصَّريحِ الذي أطبقَ على اعتقادهِ سادةُ علماءِ الأمَّة، فهو إجماعُ أهلِ السُّنَّة الَّذي لا يقعُ فيهِ امتراءٌ، والله أعلم.[(٢)]

هـ–مسألة القائلين بالتوقف.

أما مَسْألة السُّكوتُ عن القولِ: القرآنُ مَخلوقٌ، أو غيرُ مَخلوقٍ، والاكتفاء بالقول: إنَّه كلامُ الله.

فقد سُئِلَ الإمامُ أحمدُ–رحمه الله–«ت: ٢٤١ هـ»: هَلْ لهم رُخْصَةً أنْ يقولَ الرجلُ: القرآن كلام الله تعالى ثمَّ يَسْكت؟ فقالَ: "ولِمَ يسكُت؟ لولا ما وقَعَ فيه الناس كان يسَعُهُ السُّكوتُ، ولكن حيثُ تكلَّموا فيما تكلَّموا لأيِّ شيءٍ لا يتكلَّمون؟ "[(٣)]

قال الحافظ أبو بكر الآجُريُّ–رحمه الله–«ت: ٣٦٠ هـ»:"معنى قول أحمدَ بن حنبل في هذا المعنى، يقول: لم يختلفْ أهلُ الإيمان أنَّ القرآنَ كلامُ الله عَزَّ وجَلَّ، فلمَّا جاءَ جَهْمٌ فأحْدَثَ الكُفْرَ بقولِهِ: إنَّ القرآن مخلوقٌ، لم يسَع العلماءَ إلاَّ الرَّدُّ عليه بأنَّ القرآنَ كلامُ الله عَزَّ وجَلَّ غيرُ مخلوقٍ بلا شكٍّ ولا تَوقُّفٍ فيهِ، فمَنْ لم يَقُلْ: غيرُ مخلوقٍ، سُمِّيَ واقفيّاً شاكاً في دينه"[(٤)]

وقال أحمدُ أيضاً: "كنا نرى السُّكوتَ عن هذا قبلَ أن يخوضَ فيه هؤلاء، فلمَّا أظهروهُ لم نَجِدْ بُدّاً من مُخالفتهم والرَّدِّ عليهم"[(٥)]

والأئمةُ جميعاً على إنكارِ مَسْلَكِ هؤلاءِ، والتَّشديد عليهم، وتَبْدِيعهم، وأبو عبد الله أحمد

(١) كتاب "السنة" رقم «٤٩٣».

(٢) المصدر: كتاب العقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبد الله بن يوسف الجديع.

(٣) رواه أبو داود في "المسائل" ص: ٢٦٣ – ٢٦٤ومن طريقه: الآجري ص: ٨٧ وإسماعيل بن الفضل ق ١١٤/أ.

(٤) "الشريعة" للآجري ص: ٨٧.

(٥) ذكره عنه عثمان الدارمي في "النقض على المريسي" ص: ١١٠.

بن حنبل أشدُّهم إنكاراً.

قال أبو داود السِّجِستانيُّ-رحمه الله-«ت: ٢٧٥ هـ»: سمعتُ أحمدَ ذَكَرَ رَجُلينِ كانا وَقَفا في القرآنِ، ودَعَوَا إليه، فجعَلَ يَدعو علَيْهما، وقالَ لِي: هذا لأحدِهما فِتْنةٌ، وجعَلَ يذكرهما بالمكْروهِ.((١))

وقالَ: رأيتُ أحمدَ سلَّمَ عليه رجلُ من أهْلِ بغداد ممَّن وقَفَ-فيما بلَغني-فقال: "اغْرُبْ، لا أرَيَنَّكَ تَجِيءُ إلى بابِي-في كلام غَليظ-" ولَمْ يرُدَّ عليه السَّلامَ، وقالَ لَهُ:

"ما أحوَجَكَ إلى أنْ يُصْنَعَ بك ما صنَعَ عُمَرُ بصَبِيغٍ".

قال أبو داودَ: فهَّمَني بصَبيغ بعضُ ولَد أحمدَ - [فدخَلَ بيتَه وردَّ البابَ].((٢))

وقالَ أبو طالب: سألتُ أبا عبد الله عمَّن أمسكَ، فقال: لا أقولُ ليسَ هو مخلوقاً، إذا لَقِيَني بالطريقِ وسلَّمَ عليَّ، أسَلِّمُ عليه؟

قال: "لا تُسَلِّمْ عليه، ولا تكلِّمْهُ، كيفَ يعرفُه الناسُ إذا سلَّمتَ عليْهِ؟ وكيفَ يعرفُ هو أنَّك مُنكرٌ عليه، فإذا لَمْ تُسَلِّم عليه عَرَفَ الذّلَّ، وعرفَ أنك أنكرتَ عليه، وعرفهُ النَّاسُ"((٣))

وقال أبو داودَ: سمعتُ أحمدَ وقيلَ له: ما ترى في الصَّلاةِ خَلْفَ من يقولُ في القرآنِ: كلامُ الله، ويَقِفُ؟ قال: "يُعْجِبُني أنْ يُجْفَوا"((٤))

وقال الإمامُ أحمدُ-رحمه الله-«ت: ٢٤١ هـ»: "افترقَت الجَهميَّةُ على ثَلَاثِ فِرَق: فِرْقَةٍ قالوا: القرآنُ مخلوقٌ، وفرقةٍ قالوا: كلامُ الله وتسْكُتُ، وفرقةٍ قالوا: لفظُنا بالقرآنِ مخلوقٌ"((٥))

---

(١) رواه أبو داود في "المسائل" ص: ٢٦٤ ومن طريقه الآجري ص: ٨٧.

(٢) رواه أبو داود في "المسائل" ص: ٢٦٤ومن طريقه: الآجري ص: ٨٧. وصَبيغ هذا بصريٌّ قَدِم على عُمَر فكان يجادل في متشابه القرآن، فجلَده عمر رضي الله عنه لذلك، وقصته صحيحة مشهورة، رويت موصولةً بسند صحيح عند ابن عساكر ٨/ ١١٧/أوغيره، ورويت مرسلةً من وجوه متعددة..

(٣) رواه الآجري ص: ٨٨ بسند صحيح.

(٤) رواه أبو داود في "المسائل" ص: ٢٦٤.

(٥) رواه صالح في "المحنة" ص ٧٢ عن أبيه به.

ومقالاتُ الإمام أحمدَ فيهم كثيرةٌ مُستفيضةٌ، وكذا عن غيرِه من أئمَّةِ السُّنَّة، فمِنْ ذلك:

١ - **قال مُهَنّا أبو عبد الله السُّلَميّ -رحمه الله- «ت: ٢٦٠ هـ تقريبًا» «وكان من خيار أصحاب أحمد»:**

سألتُ أحمدَ بن حنبل بعدَ ما أخْرِجَ من السِّجنِ بسنتين: ما تقول في القرآنِ؟ فقَالَ: "كلامُ الله غيرُ مخلوق" وقال: "مَن رَوى عنّي غيرَ هذا القولَ فهو مُبْطِل" قلتُ له: إنَّ بعضَ مَن ذكَرَ عنك أنَّك قلتَ له: هو كلام الله، لا مَخلوق ولا غيرُ مخلوق، ولكن هو كلام الله، فقال أحمد: "أبْطَلَ، ما قلتُ هذا، ولكنَّه هو كلامُ الله غير مخلوقٍ"[(١)]

٢ - **وقالَ سلَمةُ بن شَبيب -رحمه الله- «ت: ٢٤٦ هـ»:** دخلتُ على أحمد بن حنبل فقلتُ: ما تقول فيمن يقول: القرآن كلامُ الله؟ فقال أحمد: "مَنْ لم يَقُلْ: القرآن كلامُ الله غيرُ مخلوق فهو كافرٌ".

ثمَّ قالَ: "لا تَشُكَّنَّ في كُفْرِهم، فإنَّ مَن لم يَقُلِ: القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوق فهو يقول: مخلوقٌ، ومَن قال: هو مخلوقٌ، فهو كافر بالله عزَّ وجَلَّ".

قال سلمَةُ: وقلتُ لأحمدَ: الواقفة كفّارٌ؟ فقال:"كفّارٌ"[(٢)]

٣ - **وقال عبد الله بن أحمدَ -رحمه الله- «ت: ٢٩٠ هـ»:** سمعتُ أبي -وسُئلَ عن الواقفة- فقال أبي:

"مَن كانَ يُخاصِمُ ويُعرَفُ بالكلام فهو جَهْميٌّ، ومن لم يُعرَف بالكلام يُجانَب حتى يَرْجِعَ، ومَن لم يكن له عِلمٌ يَسأل"[(٣)]

وقال مرَّةً في الواقِفَة:"هُمْ شَرٌّ مِن الجهميَّةِ"[(٤)]

---

(١) رواه عبد الله في "السنة" رقم «٥٢٩» عن مهنّا عن أحمد.

(٢) رواه ابن الجوزي في "مناقب الإمام أحمد" ص: ١٥٧ بسند جيد.

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم «٢٢٣».

(٤) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم «٢٢٥».

قلتُ: لخَفاءِ أمرِهم.

٤ – **وقال إسحاقُ بن راهُوَيْهِ–رحمه الله–«ت: ٢٣٨ هـ»** «الإمامُ الفقيةُ الحافِظُ»:

"مَنْ قالَ: لا أقولُ: القرآنُ مخلوقٌ، ولا غيرُ مخلوقٍ، فهو جَهميٌّ"((١))

٥ – **وقال قُتَيبةُ بن سعيد–رحمه الله–«ت: ٢٤٠ هـ»** «وهو ثِقَةٌ ثَبْتُ حافِظٌ»:

"هؤلاءِ –يعني الواقفة– شَرٌّ مِنْهم، مِمَّن قالَ: القرآنُ مخلوقٌ"((٢))

٦ – **وقال الحافظُ الإمامُ أبو الوليد الطَّيالِسيُّ–رحمه الله–«ت: ٢٢٧ هـ»**:

"مَن لم يَعْقِدْ قلبَه على أنَّ القرآنَ ليسَ بمخلوقٍ فهو خارجٌ من الإسلام"((٣))

٧ – **وقال عثمانُ بن أبي شيبة–رحمه الله–«ت: ٢٣٩ هـ« «ثِقَةٌ حافِظٌ»**:

"هؤلاء الذين يقولونَ: كلامُ الله ويسكُتونَ، شَرٌّ من هؤلاء –يعني ممن قالَ: القرآنُ مخلوقٌ"((٤))

٨ – **وقال أبو داودَ: سألتُ أحمدَ بن صالح المِصْريَّ–رحمه الله–«ت: ٢٤٨ هـ»** «الحافظ الإمام» عمَّن يقول: القرآن كلامُ الله، ولا يقول: مخلوقٌ، ولا غيرُ مخلوقٍ؟ قال: "لهذا شاّكٌّ"((٥))

٩ – **وقال أبو خَيْثَمة–رحمه الله–«ت: ٢٧٩ هـ» «ثِقَةٌ حافِظٌ» –وسأل يَحيى بن مَعِين–رحمه الله–«ت: ٢٣٣ هـ»**، فقال:

إنَّهم يقولون: إنّكَ تقولُ: القرآنُ كلامُ الله، وتَسْكُت، ولا تقولُ: مخلوقٌ، ولا غيرُ مَخلوقٍ، قال: "لا" فعاوَدتهُ، فقال: "مَعاذَ الله، القرآنُ كلامُ الله غيرُ مَخْلوقٍ، ومَن قالَ غير لهذا فعليه لعنةُ

---

(١) رواه أبو داود في "المسائل" ص: ٢٧٠ ومن طريقه الآجري في "الشريعة" ص: ٨٨.

(٢) رواه أبو داود في "المسائل" ص:٢٧٠ ومن طريقه الآجري ص: ٨٨.

(٣) رواه أبو داود في "المسائل" ص: ٢٦٦ بسند صحيح.

(٤) رواه أبو داود في "المسائل" ص: ٢٧١ ومن طريقه الآجري ص: ٨٨.

(٥) رواه أبو داود ص: ٢٧١ وعنه الآجري ص: ٨٨.

الله"[(١)]

١٠ - وقالَ أبو حاتِمٍ -رحمه الله- «ت: ٢٧٧ هـ»، وأبو زُرْعةَ -رحمه الله- «ت: ٢٨٩ هـ» الرّازيان الحافظان:

"ومَن شَكَّ في كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، فوقَفَ شاكّاً فيه، يقولُ: لا أدْري، مَخْلوقٌ أو غير مَخلوقٍ، فهو جَهميّ، ومَن وقَفَ جاهلاً عُلِّمَ، ويُدّعَ ولَم يُكَفَّر"[(٢)]

وكذا ذكَر الإمامُ هِبَةُ الله ابنُ الطَّبريّ -رحمه الله- «ت: ٤١٨ هـ» نحوَ ما ذُكِرَ من الإنكار عن نَحْوِ مِئَةٍ من المحدِّثينَ والفُقَهاء.[(٣)] [(٤)].

خامسًا: مسألة أنه منه بدأ وإليه يعود.

الجانب الأول: «منه بدأ».

يَعْتَقِدُ السَّلَفُ أنَّ القرآنَ كلامُ الله تعالى، منه خرجَ وبدأ، تكلَّمَ به بحُروفِهِ ومَعانيهِ، فأسمَعَهُ جبريلَ عليه السَّلام، ونَزل به جبريلُ على قلبِ نبيّنا صلى الله عليه وسلم، وهو هذا اللِّسانُ العربيُّ المبِينُ، النّازلُ بلغةِ قُرَيْشٍ.

الأدلة على ذلك:

وهذا مُبَيَّن في غيرِ مَوْضع من كتاب الله تعالى، فمِنْ ذلك:

١ - قولُه تعالى: ﴿**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾ [هود: ١].

٢ - وقولُه -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿**تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى**﴾ [طه: الآية: ٤].

---

(١) رواه ابن الطبري في "السنة" رقم «٤٥٦» بسند صحيح.

(٢) رواه ابن الطبري ١/ ١٧٨ بسند صحيح.

(٣) كتاب "السنة" ٢/ ٣٢٣ - ٣٢٩.

(٤) المصدر: كتاب العقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبد الله بن يوسف الجديع.

٣ – وقولهُ تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: الآية: ٦].

٤ – وقولُه تعالى: ﴿الم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ [السجدة: الآيات: ١ – ٣].

٥ – وقولُه جلَّ وَعَلا: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ...﴾ [الزمر: الآيات: ١ – ٢].

٦ – وقولُه تعالى: ﴿حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [فصّلت: الآيات: ١ – ٤].

٧ – وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: الآيات: ٤١ – ٤٢].

فأخبرَ تعالى في هذه الآيات وما يشبَهُها أنَّ القرآنَ العربيَّ الذي هو كلامهُ، إنَّما هو تنزيلُه، نَزلَ منهُ، فمنه بدَأ وَخرَجَ لا مِنْ سِواه.

٨ – وقولُه تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: الآيات: ١٠١ – ١٠٣].

فأنبأ تعالى في هذه الآياتِ أنَّ القرآنَ العربيَّ نزَلَ به رُوحُ القُدُس منه، ورُوحُ القُدُس هو جبريلُ عليه السَّلام، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: الآية: ٩٧].

فليسَ هو كلامَ محمَّدٍ –صلى الله عليه وسلم– كما زعَمَ الكفَّارُ– ولا كلامَ جبريلَ عليه السَّلام –كما زعمَه بعضُ أهلِ البِدَع– وإنَّما هو كلامُ الله تعالى، منه بدأ وخَرَجَ، وهو الذي أنزلَه بواسطةِ رسولهِ الملَك جبريلَ، فمن قال غير هذا فقدْ كَفرَ، لأنَّه كذَّبَ الله في قولِهِ، وجَحدَ ما أنبأتْ به رسلُه، وإنِ ادّعى الإسلامَ وانتسبَ إليه، فالإسلامُ يَبْرأ منه.

والله تعالى لم يُضِف شيئاً مِمَّا أنزله إلى نفسِهِ غيرَ كلامِهِ، وذلك لأنَّه صفتُهُ.

تنبيه:

ويجب أن يُعلَمَ أنَّه ليسَ معنى قولهم «منه خَرَجَ» أنَّ صفةَ الكلام فارَقَتْهُ تعالى، وحلَّتْ في غيرِهِ، وأنَّ ما تكلَّم به نُسِبَ إلى غيرِه، وصارَ وصفاً لذلك الغَيْر -كما قد وَسْوَسَ به بعضُ أهل البدَع- فإنَّ هذا المعنى لا يُعقَل في حَقّ الإنسانِ المخلوقِ الضَّعيفِ، إذا تكلَّمَ بكلام تزولُ عنهُ صفةُ الكَلام بذلك وتفارقُه إلى غيرِهِ، فإنَّ من كانَ كذلكَ لم يمكِنْه الكلامُ إلاَّ مرّةً واحدةً، فإذا تكلَّمَ هذه المرَّة فارقَتْهُ صفتُهُ، لأنَّ الكلامَ خرَجَ منه وفارقَهُ، وبمفارقته زالتْ عنه الصّفة ولَحِقَتْ غيرَهُ، هذا كلامٌ لا يقوله مَن يَدري ما يقولُ، فإنَّ مَنْ وُصِفَ بالكلام على هذا المعنى موصوفٌ بالعَجْز عنه، وهو غيرُ متصوَّرٍ في حقّ الناطق المخلوق على ضَعْفه، فكيف تصوَّرَهُ هؤلاء الضُّلاَّلُ في حقّ الله الذي ليسَ كمثلهِ شيءٌ، فإنَّه تعالى وصفَ نفسَه بأنَّه متكلمٌ بكلامٍ متعلقٍ بمَشيئته وقُدْرتهِ، يُسْمِعُه من شاءَ من خلقهِ، متى شاءَ، وأنَّ كلماتِهِ تعالى لا تَنْفَدُ، ومن كان هذا وصْفُهُ لم تفارقْهُ صفَتُهُ بتكلّمهِ مرَّةً أو مرَّاتٍ، وكانَ كلُّ ما تكلَّمَ به منسوباً إليه لا إلى غيرِهِ.

قالَ الإمام الحافظُ أبو الوليد الطَّيالِسيُّ -رحمه الله- «ت: ٢٢٧ هـ»: "القُرْآنُ كلامُ الله ليسَ ببائنٍ من الله"[(١)]

وقال ابن تيمية -رحمه الله- «ت: ٧٢٨ هـ»: "وإنَّ قولَ السَّلَف: «منه بدأ» لم يُريدوا به أنه فارقَ ذاتَهُ، وحَلَّ في غيره، فإنَّ كلامَ المخلوقِ، بل وسائرَ صفاتهِ لا تفارقُه وتَنْتَقِلُ إلى غيرِهِ، فكيفَ يجوزُ أنْ يفارقَ ذاتَ الله كلامُه أو غيرُهُ من صفاتِهِ"[(٢)]

قالَ الله تعالى: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ**﴾ **[التوبة: الآية: ٦]** فالَّذي يسمَعُهُ المشرك المستجيرُ من القارئ إنَّما هو كلامُ الله المضافُ إليه

---

(١) رواه أبو داود في "المسائل" ص: ٢٦٦ بسند صحيح عنه.

(٢) "مجموع الفتاوى" ١٢/ ٢٧٤ وانظر: ١٢/ ٥١٧ - ٥١٨، ٥٥٠،٥٦١.

لا إلى غيرِهِ، فلو أن كلامَه بانَ منه وفارقَه لَما صَحَّتْ إضافَتُهُ إليه إضافةَ الصِّفَةِ إلى الموصوفِ.

وهذا الكلامُ بعَيْنِهِ هو الذي في مَصاحفِ المسلمينَ بلا شَكٍّ ولا ريبٍ، خِلافاً لِلَّفظيةِ من الأشعريةِ وغيرهم القائلينَ بأنَّ ما في المصاحفِ دلالةٌ على كلام الله، وليسَ هو كلامَ الله، وقد قالَ الله تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الواقعة: الآيات: ٧٧-٨٠]، فأبان أنَّ كلامَه الذي هو وحيُهُ وتنزيلُهُ يكونُ في الكتاب المكنونِ، فكذلك كونُه في المصاحفِ، ونحنُ لا نعلَمُ القرآنَ إلاَّ هذا العربيَّ المنزَلَ، وهو الذي سمَّاه الله تعالى كلامَه.

وقَدْ قالَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم–: »لا تُسافِروا بالقرآن إلى أرْضِ العَدُوّ، فإنِّي أخافُ أن ينالَهُ العدوُّ«.[(١)]

ولا خِلافَ في أنَّ النَّهيَ عن السَّفر بالقرآن، إنَّما هو النَّهْيُ عن السَّفَرِ بالمصاحفِ، لأنَّ القرآنَ إنَّما يكونُ فيها، وهي التي تُحْمَلُ وتُنْقَلُ، ولا نعلَمُ القرآنَ إلاَّ كلامَ الله المنزَلَ على الحقيقةِ.

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "وممَّا كانَ أحمدُ أنكرَه من قولِ الجهميَّةِ قولُ من زعَمَ أنَّ القرآنَ ليسَ في الصُّدورِ، ولا في المصاحفِ"[(٢)]

الجانب الثاني: «إليه يعود»

وقد اختلف العلماء في تفسير معنى قوله: وإليه يعود.

القول الأول: وقد تأوَّلَهُ بعضُ أهلِ السُّنَّة بعَودِ تلاوته وقراءته التي هي كَسْبُ العبدِ.

وهذا المعنى حَق، فإنَّه تعالى: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾ [فاطر:

---

(١) أخرجه مالك٢/ ٤٤٦, والشـــافعي رقم «١١٤٩، ١١٥٠»، وأحمد رقم «٤٥٠٧، ٤٥٢٥، ٤٥٧٦، ٥١٧٠، ٥٢٩٣»، والبخاري ٦/ ١٣٣، ومسلم رقم «١٨٦٩»، وأبو داود رقم «٢٦١٠»، والنسائي في "فضائل القرآن" –من "الكبرى"– رقم «٨٥»، وابن ماجة رقم «٢٨٧٩، ٢٨٨٠»، من طرق عن نافع عن ابن عمر به مرفوعاً.

وتابع نافعاً عليه عبد الله بن دينار، أخرجه أحمد رقم «٦١٢٤» وابن أبي داود في "المصاحف" ص: ١٨٣ بسند صحيح عنه.

وكذا تابعه سالم عن أبيه، أخرجه ابن أبي داود ص: ١٧٩ – ١٨٠ بسند صالح في المتابعات.

(٢) المصدر: كتاب العقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبد الله بن يوسف الجديع.

الآية: ١٠]

القول الثاني: يعود إليه نسبة.

أي أنه يعود إلى الله تعالى وصفا، فهو الموصوف به سبحانه وتعالى لا يوصف به أحد سوى الرب سبحانه وتعالى.

قال ابن النجار الفتوحي–رحمه الله–«ت ٩٧٢ هـ»: "قال أحمد: كلام الله من الله ليس ببائن منه. وقد جاء في الأحاديث والآثار "أنه منه بدأ، ومنه خرج، وإليه يعود" نصا منه، ومن غيره عليه.

ومعنى ذلك: أنه هو المتكلم به، أو الذي يخرج منه، ولا يقتضي ذلك أنه يباينه وانتقل عنه.[(١)]

وقال: ومعلوم أن كلام المخلوق لا يباين محله.[(٢)]

قال أحمد: منه بدأ وإليه يعود.[(٣)]

وقال: منه بدأ علمه، وإليه يعود حكمه.[(٤)]

وقال تارة: منه خرج، وهو المتكلم به، وإليه يعود، وهو القرآن"[(٥)]

القول الثالث: يُسرى به من الأرض في آخر الزمان، كما روي في بعض الآثار أنه إذا لم يعمل الناس بالقرآن، أي: أطبقت الأرض على عدم العمل به، ينزه الله كتابه فيرفعه من صدور الناس ومن مدادهم.

---

(١) ينظر: فتاوى ابن تيمية ١٢/ ٥٢، مجموعة الرسائل والمسائل ٣/ ٣٥.

(٢) ينظر: مسائل الإمام أحمد ص ٢٦٦.

(٣) ينظر: فتاوى ابن تيمية ٢/ ٥١٧.

(٤) ينظر: ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة ٢/ ٥١٨.

(٥) ينظر: الفتوحي، شرح الكوكب المنير شرح مختصر التحرير ٢/ ٨٨.

وبهذا جاء الخبرُ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وغيرِه من أصحابه.

فأمَّا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

١-**عن حذيفة بن اليمان «ت: ٣٦ هـ»، وأبي هريرة-«ت: ٥٧ هـ»-رضي الله عنهما-**، قالا: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «يسرى على كتاب الله ليلا، فيصبح الناس ليس في الأرض ولا في جوف مسلم منه آية». ((١))

٢ - عن أبي هريرة-رضي الله عنه-«ت: ٥٧ هـ»، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنه قال:

«يسرى على كتاب الله عز وجل فيرفع إلى السماء؛ فلا يصبح في الأرض آية من القرآن ولا من التوراة والإنجيل ولا الزبور، وينتزع من قلوب الرجال فيصبحون ولا يدرون ما هو». ((٢))

ومما ورد من الآثار ((٣)):

١-**وعن شَدَّاد بن مَعْقِل-رحمه الله-أنَّ عبد الله بن مسعودٍ-رضي الله عنه-«ت: ٣٢ هـ»**، قال:

"لَيُنْتَزَعَنَّ هذا القرآنُ من بين أظْهُرِكُمْ".

قال: قلتُ: يا أبا عبد الرَّحمن! كيفَ يُنْتَزَعُ وقد أَثْبَتْنَاهُ في صُدورِنا، وأثبتناهُ في مَصاحِفنا؟

قالَ: "يُسْرى عليهِ في ليلةٍ، فلا يَبقى في قَلْبِ عَبْدٍ منه، ولا مُصحَفٍ منه شَيْءٌ، ويُصْبِحُ الناسُ فُقَراءَ كالبَهائم".

ثمَّ قرأ عبد الله: **﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾**

---

(١) أورده الديلمي في الفردوس ٥/ ٤٨٨ «٨٨٤٨» عن أبي هريرة. وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ، وابن مردويه.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك برقم: ٨٥٤٤، وقال الإمام الذهبي في التلخيص: صحيح على شرط الإمام مسلم.

(٣) كما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفًا، أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٣/ ٣٦٢، وابن أبي شيبة في المصنف ١٠/ ٥٣٤، والبخاري في خلق أفعال العباد، رقم ٣٨١، ٣٨٢، وسعيد بن منصور في السنن ٢/ ٣٣٥، وابن جرير الطبري في التفسير ١٥/ ١٥٨، والبيهقي في السنن ٦/ ٢٨٩.

[الإسراء: الآية: ٨٦]"[(١)]

٢-**عن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-«ت: ٣٢ هـ»**، من طريق زر بن حبيش- قال: "ليسرين على القرآن في ليلة، فلا تترك آية في قلب رجل ولا مصحف إلا رفعت"[(٢)]

٣-**عن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-«ت: ٣٢ هـ»**، من طريق عبد الله بن عتبة بن مسعود- قال: "اقرءوا القرآن قبل أن يرفع، فإنه لا تقوم الساعة حتى يرفع. قالوا: هذه المصاحف ترفع، فكيف بما في صدور الناس؟ قال: يعدى عليه ليلا فيرفع من صدورهم، فيصبحون فيقولون: لكأنا كنا نعلم شيئا. ثم يقعون في الشعر"[(٣)]

٤-**عن حذيفة بن اليمان-رضي الله عنه-«ت: ٣٦ هـ»**، من طريق ربعي بن حراش- قال: "يوشك أن يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، ويقرأ الناس القرآن لا يجدون له حلاوة، فيبيتون ليلة ويصبحون وقد أسري بالقرآن وما قبله من كتاب، حتى ينتزع من قلب شيخ كبير وعجوز كبيرة، فلا يعرفون وقت صلاة ولا صيام ولا نسك، حتى يقول القائل منهم: إنا سمعنا الناس يقولون: لا إله إلا الله. فنحن نقول: لا إله إلا الله"[(٤)]

٥-**عن أبي هريرة-رضي الله عنه-«ت: ٥٧ هـ»**، من طريق أبي حازم- قال: "يسرى على كتاب الله، فيرفع إلى السماء، فلا يبقى في الأرض آية من القرآن ولا من التوراة والإنجيل والزبور، فينزع من قلوب الرجال، فيصبحون في الضلالة، لا يدرون ما هم فيه"[(٥)]

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» «٨٥٣٨» وصحَّحه، وأخرجه الطبراني «٨٧٠٠»، وله طُرُقٌ مرفوعةٌ وموقوفةٌ، ذَكَرَ تخريجَها الشوكانيُّ في «فتح القدير» «٣/ ٣٥٨ . ٣٥٩».

(٢) أخرجه يحيى بن سلام ١/ ١٦١. وعزاه السيوطي إلى ابن أبي داود في المصاحف.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان «٢٠٢٦».

(٤) أخرجه الخطيب في تاريخه ١/ ٤٠٠.

(٥) أخرجه الحاكم ٤/ ٥٠٦. وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

٦-**عن عبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما-«ت: ٦٥ هـ»**، قال: "لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل، له دوي حول العرش كدوي النحل، يقول: أتلى ولا يعمل بي"[(١)]

٧-**عن علي بن أبي طالب-رضي الله عنه-«ت: ٤٠ هـ»**: "يذهب الناس حتى لا يبقى أحد يقول لا إله إلا الله، فإذا فعلوا ذلك ضرب يعسوب الدين ذنبه فيجتمعون إليه من أطراف الأرض كما يجمع قرع الخريف. ثم قال علي: إني لأعرف اسم أميرهم ومناخ ركابهم، يقولون: القرآن مخلوق. وليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله، منه بدأ وإليه يعود"[(٢)]

٨-**عن عكرمة-رحمه الله-«ت: ١٠٥ هـ» قال: كان ابن عباس-رضي الله عنهما-«ت: ٦٨ هـ»**، في جنازة، فلما وضع الميت في لحده قام رجل فقال: "اللهم رب القرآن اغفر له. فوثب إليه ابن عباس فقال: "مه، القرآن منه" زاد الصهبي في حديثه فقال ابن عباس: "القرآن كلام الله ليس بمربوب، منه خرج وإليه يعود"[(٣)]

٩-**عن شمر بن عطية-رحمه الله-«ت: في ولاية خالد القسري»**، قال: "يسرى على القران في ليلة، فيقوم المتهجدون في ساعاتهم فلا يقدرون على شيء، فيفزعون إلى مصاحفهم فلا يقدرون عليها، فيخرج بعضهم إلى بعض فيلتقون، فيخبر بعضهم بعضا بما قد لقوا"[(٤)]

١٠-**عن عمرو بن دينار-رحمه الله-«ت: ١٢٦ هـ»**، يقول: "أدركت مشايخنا والناس منذ سبعين سنة يقولون: القرآن كلام الله، منه بدأ وإليه يعود"[(٥)]

---

(١) عزاه السيوطي إلى محمد بن نصر في كتاب الصلاة.

(٢) أخرجه اللالكائي في أصول الاعتقاد ٢/ ٢٥٤ عن علي رضي الله عنه موقوفًا.

(٣) أخرجه اللالكائي في أصول الاعتقاد ٢/ ٢٥٦.

(٤) عزاه السيوطي إلى ابن أبي داود، وابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه اللالكائي في أصول الاعتقاد ٢/ ٢٦٠. وذكر الحافظ ضياء الدين المقدسي في "اختصاص القرآن" فقرة [٦] عشرة أنفس من الصحابة أدركهم عمرو بن دينار فيهم: عبد الله بن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، وجابر بن عبد الله، وغيرهم.

١١- سفيان الثَّوْري-رحمه الله-«ت: ١٦١ هـ».

قال: "القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، منه بَدَأ وإليه يعودُ، مَنْ قال غيرَ هذا فهو كُفْرٌ".

١٢- أبو بكر بن عيَّاش «ت: ١٩٣ هـ».

قال: "القرآنُ كلامُ الله، ألقاه إلى جبرائيلَ، وألقاهُ جِبرائيلُ إلى محمَّدٍ -صلى الله عليه وسلم-، منه بدَأ، وإليه يعودُ"[(١)]

١٣-سفيان بن عُيَيْنَة-رحمه الله-«ت: ١٩٨ هـ».

سأله رجُلٌ: يا أبا محمَّدٍ، ما تقولُ في القرآنِ؟ فقال: "كَلامُ الله، مِنْهُ خَرجَ وإليه يَعودُ".

١٤- الإمام أحمدُ بن حنبل-رحمه الله-«ت: ٢٤١ هـ».

قال: "لقيتُ الرِّجالَ، والعُلَماءَ، والفُقَهاءَ، بمكَّةَ، والمدينةِ، والكُوفةِ، والبَصْرةِ، والشامِ، والثُّغورِ، وخُراسانَ، فرأيتُهم على السُّنَّة والجَماعَة، وسألتُ عنها -يعني هذه اللفظة- الفُقَهاءَ؟ فكلٌّ يقولُ: القرآنُ كلامُ الله غيرُ مَخْلوق، منه بدَأ، وإليه يعودُ"[(٢)]

وقالَ: "لم يَزَلِ الله عالماً متكلّماً، نعبُدُ الله لصِفاتهِ، غير محدودَةٍ ولا مَعلومةٍ إلَّا بما وصَفَ به نفسه، ونردُّ القرآن إلى عالمِهِ تبارك وتعالى، إلى الله، فهو أعلَمُ به، منه بَدَأ وإليه يَعودُ"[(٣)]

١٥- أبو جعفر أحمد بن سِنان الواسطي «ت: ٢٥٦ هـ».

قال: "مَن زَعَمَ أنَّ القرآنَ شَيْئَين أو أنَّ القرآنَ حِكايةٌ، فهو والله الذي لا إله إلاَّ هو، زِنديقٌ كافرٌ بالله، هذا القُرْآنُ هو القُرآنُ الذي أنزله الله على لسانِ جبريلَ على محمَّد -صلى الله عليه وسلم-، لا يغيَّر ولا يُبَدَّل: ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ [فصلت: الآية: ٤٢]، كما قال الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ** ...﴾ [الإسراء: الآية: ٨٨]، ولو أنَّ رجلاً حلفَ لا

---

(١) جميع هذه الآثار الأربعة صحيحة، انظر تخريجها في التعليق على "اختصاص القرآن" وأثر عمرو قد سبق ذكره.

(٢) ذكر هذا النص الحافظ الضياء في "اختصاص القرآن" عن المرّوذى عن أحمد، فقرة «٩».

(٣) رواه حنبل فى "المحنة" ص: ٤٥ عنه به.

يتكلَّمُ اليومَ، ثمَّ قرأ القرآنَ، أو صلَّى وقرأ القرآنَ، أو سلَّمَ في الصَّلاةِ، لم يحنَثْ، لا يُقاسُ بكَلام الله شَيْءٌ، القرآنُ كلامُ الله، منه بَدَأ وإليه يَعودُ، ليس من الله تعالى شَيْءٌ مخلوقٌ، ولا صِفاتُهُ، ولا أسماؤُهُ، ولا عِلْمُهُ"(١)

وقال ابن قدامة–رحمه الله–«ت: ٦٢٠ هـ»: "من كلام الله سبحانه القرآن العظيم، وهو كتاب الله المبين، وحبله المتين، وصراطه المستقيم، وتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود"(٢)

ونقلَ ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»، اتِّفاقَ السَّلَفِ والأئمَّةِ على ذلك في غيرِ موضع من كلامه.(٣)

فبهذا يظهرُ لكَ معنى قولِ من قال من السَّلَفِ: "القرآنُ كلامُ الله، مُنْزَلٌ غيرُ مَخْلوقٍ، منه بدّأ وإليه يَعودُ".

وقال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "فقالوا: «منه بدأ» ردّاً على الجَهْميةِ الذين يقولون: بدأ من غيرِهِ، ومقصودُهُم أنَّه هو المتكلِّمُ به، كما قالَ تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: الآية: ١]، وقالَ تعالى: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ...﴾ [السجدة: الآية: ١٣]، وأمثال ذلك"(٤)

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "وأمَّا «إليه يَعودُ» فإنه يُسْرى به في آخرِ الزَّمانِ، من المصاحفِ والصُّدور، فلا يبقى في الصُّدور منه كلمةٌ، ولا في المصاحف منه حرفٌ"(٥)

---

(١) أخرجه الضياء في "اختصاص القرآن" رقم «١٦».

(٢) لمعة الاعتقاد ص: ١٨.

(٣) انظر: "مجموع الفتاوى": ٦/ ٥٢٨، ١٢/ ١٦٤.

(٤) "درء التعارض"٢/ ١١٣.

(٥) "مجموع الفتاوى" ٣/ ١٧٤ – ١٧٥ عن المناظرة في الواسطية.

وقال ابن تيمية -رحمه الله- «ت: ٧٢٨ هـ»: "وَالَّذِي اتَّفَقَ عَلَيْهِ السَّلَفُ وَالأَئِمَّةُ: أَنَّ القُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَإِنَّمَا قَالَ السَّلَفُ: «مِنْهُ بَدَأَ» لِأَنَّ الجَهْمِيَّةَ -مِن المعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ- كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّهُ خَلَقَ الكَلَامَ فِي المحَلِّ. فَقَالَ السَّلَفُ: «مِنْهُ بَدَأَ». أَيْ: هُوَ المتَكَلِّمُ بِهِ؛ فَمِنْهُ بَدَأَ، لَا مِنْ بَعْضِ المخْلُوقَاتِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾ [الزمر: الآية:١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾ [السجدة: الآية: ١٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾ [سبأ: الآية: ٦]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿**قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ**﴾ [النحل: الآية: ١٠٢].

وَمَعْنَى قَوْلِهِمْ: «إِلَيْهِ يَعُودُ»: أَنَّهُ يُرْفَعُ مِن الصُّدُورِ وَالمصَاحِفِ؛ فَلَا يَبْقَى فِي الصُّدُورِ مِنْهُ آيَةٌ وَلَا مِنْهُ حَرْفٌ، كَمَا جَاءَ فِي عِدَّةِ آثَارٍ"((١)) ((٢))

سادسًا: أن الله تكلم بالقرآن بحرف وصوت مسموعين.

أولًا: إثبات الحرف.

ومن اعتقادِ السَّلَف في كلامِ الله تعالى أنَّ كلامَه جَلَّ وعَزَّ مؤلَّفٌ من الحُروفِ، إنْ شاءَ جَعَلَها عَربيَّةً، وإن شاءَ جعلَها عِبْرانيَّةً، وإن شاء جعَلها غيرَ ذلك، فهو المتكلِّمُ بحُروفِ القرآنِ، والتَّوراةِ، والإنجيلِ، وغيرِها من كلامِه.

قالَ تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**﴾ [إبراهيم: الآية: ٤].

وقال تعالى: ﴿**الم * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ**﴾ [آل عمران: الآيات:١ - ٤].

---

(١) «مجموع الفتاوى» «٦/٥٢٨، ٥٢٩».

(٢) المصدر: كتاب العقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبد الله بن يوسف الجديع.

فأخْبَرَ تعالى أنه أنْزَل الكُتُبَ: القرآنَ، والتَّوراةَ والإنجيلَ، وإنَّما ذلك بلُغاتِ الرُّسل الذين أنْزَل عَلَيهم، وبلُغات أقوامِهم، لأجْلِ أن تقومَ الحُجَّةُ عليهم به، إذ لوكانَ بغيرِ لُغتهم ما فَقِهُوهُ.

قال تعالى: ﴿**الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [يوسف: الآيات: ١ – ٢]

وقال تعالى: ﴿**حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾ [الزخرف: الآيات: ١ – ٤]

وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**﴾ [النحل: الآية: ١٠٣].

وقال جَلَّ وَعَزَّ ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ * وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ * أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ * وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ**﴾ [الشعراء: الآيات: ١٩٢ – ١٩٩]

وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾ [الزمر: ٢٧ – ٢٨].

وقال سُبحانه: ﴿**حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ**﴾ [فصلت: الآيات: ١ – ٤].

وقال تعالى: ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ...**﴾ [فصلت: الآية: ٤٤].

فأخبرَ تعالى أنَّ القرآنَ الذي نزلَ به جِبريلُ عليه السَّلامُ منهُ تبارك وتعالى وحيُهُ وتنزيلُهُ، وهو هذا القرآنُ العربيُّ الذي أنْزلَ على محمَّد –صلى الله عليه وسلم– بلغةِ قومِهِ، ليفقَهوهُ ويَعْقِلُوهُ ويعْلَمُوهُ.



وقولُه: ﴿**لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**﴾ أي: بلغةِ العربِ.

فالله تعالى تكلَّمَ به كذلك، بحروفِهِ العربيَّةِ، كالألفِ والباءِ والتَّاءِ، ليسَ شَيْءٌ من ذلك قولَ أحَدٍ سِواهُ، وإنّما بلَّغَهُ جبريلُ عليه السَّلامُ عنه، وبلَّغَهُ محمَّدٌ -صلى الله عليه وسلم- عن جِبريل، وهو الذي أعجزَ الكفَّارَ أنْ يأتوا بمثلِه، بَلْ تحدَّى الله تعالى الإنسَ والجنَّ أنْ يأتوا بمثلِهِ، كما قالَ تعالى: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ [الإسراء: الآية: ٨٨].

فكونُهُ مؤلَّفًا من الحُروفِ ظاهرٌ لا يَحْتاجُ إلى استدلالٍ، إذْ أنَّ كُلَّ أحَدٍ يعلَم أنَّ ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ آيةٌ، وهي أربَعُ كَلِمَاتٍ، كلُّ كلمةٍ مؤلَّفةٌ من حَرْفيْنِ أو أكثر، وهي كَلِماتٌ عَرَبيَّةٌ، وحروفٌ عربيَّةٌ.

ولكنَّ بعضَ أهْلِ البدَعِ نازعَ في إطلاقِ لفظِ «الحَرْف» وأنَّه يَحتاجُ إطلاقُهُ إلى دليلٍ.

وهذا المنازِع لا يَخْلو من أحَدِ حالَيْنِ:

إمّا أنْ يكونَ مُكابِرًا -كما هي سِمَة أهلِ البِدَعِ-.

وإمَّا أنْ يكونَ غَبيّاً جاهلًا.

وذلك أنَّ كُلَّ أحَدٍ يُبصِرُ «آلَمَ. آلمر. كهيعص. حم. طه. يس» لا يخطرُ ببالهِ غيرُ أنَّها حُروفٌ، وليسَ لها تسميةٌ إلاَّ هذهِ.

ونحن معَ ذلك نزيدُهُ حُجَجاً على صِحَّةِ إطلاقٍ لهذه التَّسْميةِ من السُّنَّة وآثارِ السَّلَفِ، لنكْسِرَ أنفَ كِبْرِهِ، أو نَمْحُو جَهْلَ فِكْرِهِ، فمِنْ ذلك:

١ - **حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- «ت: ٦٨ هـ»**، قال: بينَما جِبريلُ قاعِدٌ عندَ النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- سَمِعَ نقيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فرفَعَ رأسَه فقال:

«**هذا بابٌ منَ السَّماءِ فُتِحَ اليومَ لم يُفْتَح قطّ إلاَّ اليوم، فَنَزَلَ منه مَلَكٌ، فقال: هذا مَلَكٌ نَزَلَ إلى الأرضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إلاَّ اليَوْم، فسَلَّمَ وقالَ: أبْشِرْ بنورَين أوتيتَهما لم يؤتَهُما**

نبيٌّ قبلَكَ: فاتحةِ الكتابِ، وخَواتيمِ سُورَةِ البقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأ بحَرْفٍ منهما إلاَّ أعْطِيتَه».[(١)]

٢ - **حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- «ت: ٣٢ هـ»**، قال:

«تعلَّموا القرآنَ، فإنَّه يُكْتَبُ بكلِّ حرفٍ منه عشرُ حسناتٍ، ويُكَفَّرُ به عَشْرُ سيّئاتٍ، أمَا إني لا أقول: ﴿الم﴾ ولكن أقولُ: ألفٌ عَشْرٌ، ولامٌ عَشْرٌ، وميمٌ عَشْرٌ».[(٢)]

٣ - **وقول ابن عبَّاس -رضي الله عنهما- «ت: ٦٨ هـ»**:

"ما يمنَعُ أحدَكُم إذا رَجَعَ من سُوقِهِ، أو منْ حاجَتِهِ، إلى أهْلِهِ، أنْ يَقْرَأ القرآنَ فيكونَ لَه بكلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَناتٍ"[(٣)]

٤ - **وقالَ شُعَيْبُ بن الحَبْحاب -رحمه الله- «ت: ١٣٠ أو ١٣١ هـ»** «ثِقَةٌ منْ صِغار التَّابعينَ»:

كانَ أبو العاليةِ -رحمه الله- «ت: ٩٠ هـ»، إذا قَرَأَ عنده رَجُلٌ لم يَقُلْ: ليس كما يَقرأ، وإنَّما يَقولُ: أمَّا أنا فأقرأ كذا وكَذا، قال: فذكَرْتُ ذلك لإبراهيمَ النَّخعيّ، فقالَ: أرى صاحِبَك قَدْ سَمِعَ: "أنَّ مَنْ كَفَرَ بحَرْفٍ منهُ، فقد كَفَرَ به كُلِّه"[(٤)]

مسألة الفرق بين الحروف التي يتكلم بها الله، والحروف التي يتكلم بها المخلوق.

الأول: الفَرْقُ بين الحُروفِ التي يتكلَّمُ الله بها، والحُروفِ التي يتكلَّمُ بها المخلوق.

تنازع الناسُ في حُروف المعجم: هَلْ هي مخلوقةٌ؟ أو غيرُ مخلوقة؟

وليس في تحقيق ذلك كبيرُ فائدةٍ، وليس فيه نصٌّ عن معصومٍ يُصار إليه، وإنَّما يَجِبُ الكَفُّ عن إطلاقِ القَوْلِ بالخَلْقِ لئلاَّ يتوهّم متوهّمٌ أنَّ الحروفَ التي تكلَّم الله بها مخلوقةٌ.

وذكَرَ ابن تيمية -رحمه الله- «ت: ٧٢٨ هـ» في غير مَوْضِعٍ أنَّ الإمامَ أحمدَ -رحمه الله-

(١) أخرجه مسلم رقم «٨٠٦».

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ١٠/ ٤٦١.

(٣) رواه ابن المبارك في "الزهد" رقم «٨٠٧» وسنده جيد.

(٤) رواه ابن أبي شيبة ١٠/ ٥١٣ - ٥١٤ وابن جرير في "التفسير" رقم «٥٦» وسنده صحيح.

«**ت: ٢٤١ هـ**»، أنكَرَ الإطلاقَ، لأنَّهُ مَسْلَكٌ إلى البِدْعَةِ، وإلى القَوْلِ بأنَّ القرآنَ مخلوقٌ.(١)

وكما يُمْنَع مِن إطلاق القَوْلِ بأنَّ الحروفَ مخلوقةٌ، يُمْنَع أيضاً إطلاقُ القَوْل بأنَّ الحُروفَ غيرُ مخلوقةٍ، لئلا يتوهَّمَ متوهِّم أنَّ الحُروفَ التي هي مَباني كَلام الناس غيرُ مخلوقةٍ، والذي يجرُّ إلى القول بأنَّ ما يتكلَّمُ به العبادُ مِن كلام أنفُسهم هو نفسُه كلامُ الله، فيتحقَّقُ حينئذ للمَلاحِدَة كابن عربي الطائي وأمثاله صِحَّةُ قولِهم:

وكلُّ كَلامٍ في الوجودِ كلامُهُ ... سَواء علينا نَثْرُه ونِظامُهُ

وهذا القولُ من أفحَش الباطِل، وأكفَر الكُفْرِ، إذ مَعْناه أنَّ كلَّ ما تلفِظُ به الخَلائق من الصِّدْق والكَذِبِ، والزُّورِ، والبُهْتان، وألفاظِ الخَنا والفُجور والكُفْر، كلامُ الله.

وحينئذ لا يتميَّزُ حَقٌّ من باطلٍ، ولا صِدْقٌ من كَذبٍ ولا كفرٌ من إيمانٍ.

وإنَّما الحَقُّ والصَّوابُ أن يُقالَ:

إنَّ الحَرْفَ المجرَّد الَّذي هو جزءٌ من اللفظ، مثل: «ز» من كلمة: «زيد» لا يُقالُ فيه مخلوقٌ ولا غيرُ مخلوق، لأنَّ الحرْفَ المجرَّدَ ليس كَلاماً، وإنَّما يقَع الكلام فيما ألّفَ من الحروفِ فأفادَ مَعنًى، ككلمةِ «زيد» اسمُ عَلَمٍ مَعْروفٌ.(٢)

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" ١٢/ ٤١، ٨٤ - ٨٥، ٤٤٢.

(٢) فإن اعترض معترض بقوله تعالى: «الم»، «الر»، «ص»، «ن»، وما يشبهها مما جاء في أوائل بعض السور، وقال: إنَّها حروف، ونطلق أنَّها غيرُ مخلوقة لأنَّها كلام الله، فالجواب: أنَّ هذه ليست حروفاً مجردة، كحروف كلمة «زيد» وغيرها من الكلام المؤلف، وإنَّما هي أسماء للحروف، ألا ترى أنَّك تقرؤها: «ألف، لام، ميم ...»؟ فلو كان حرفاً مجرداً لقلت: «أ. لْ. مْ» فهي على ما تُلْفَظ وتُسْمَع لا على ما تُكْتب وترسم، وقد نقل شيخ الإسلام أنَّ الخليل بن أحمد -إمام العربية- سأل == أصحابَه: كيف تنطقون بالزاء مِن «زيد»؟ قالوا: نقول: «زا» قال: جئتم بالاسم، وإنَّما يقال: «زه» - "مجموع الفتاوى" ١٢/ ٤٤٨ -.

والكلامُ المؤلَّفُ من الحُروف الذي يُفيد معنًى يُفَصَّل فيه: فإنْ كانَ كلاماً لله تعالى كانَ غيرَ مخلوقٍ، وإنْ كان كلاماً للعبد يُنْشِئُهُ من تِلقاء نفسهِ، ولا يُريدُ به قِراءةَ كلام الله فهو مَخلوقٌ، فقوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا** ....﴾ [الأحزاب: الآية: ٣٧] غيرُ مخلوق، وقولك: «جاءَني زيدٌ فأكرمتُهُ» مخلوقٌ، لأنَّ الأوَّل كلامُ الله تعالى نظمه وحروفه، والثانيَ كلامُكَ نظمه وحروفه.

ولو قالَ قائلٌ: «محمَّدٌ رسولُ الله» أو: «ألف، لام، ميم» لم يصحّ فيه إطلاق أنَّه مخلوقٌ، أو غيرُ مخلوق، حتى يُسْتَفْصَل منه، فإنْ أرادَ بهِ قِراءةَ كلامِ اللهِ كانَ غيرَ مخلوقٍ، وإنْ كان أنشأهُ مبتدِئاً مِن نفسهِ، أو يُبَلِّغُهُ عن غيرهِ، وهو من إنشاءِ ذلكَ الغيرِ سِوى الله تعالى، كانَ مخلوقاً.

وقد سألَ **الحافظُ الثِّقَةُ أحمدُ بن الحَسن الترمذيُّ –رحمه الله–«ت: غير معروف»** الإمامَ أحمَدَ فقال:

قلتُ لأحمدَ بن حنبل: إنَّ الناسَ قد وقَعوا في أمرِ القرآنِ، فكيف أقولُ؟

قال: "أليسَ أنت مخلوق؟ ".

قلتُ: نعَمْ.

قال: "فكلامُكَ منك مخلوقٌ؟ ".

قلت: نعم.

قال: "أوَلَيسَ القرآنُ من كلامِ الله؟ ".

قلت: نعم.

قال: "وكلامُ الله؟ ".

قلت: نعم.

قال: "فيكون من الله شيءٌ مَخلوق؟ "(١).

فتأمَّل هذا القولَ الموجَز فإنَّه من أسَدِّ الكلام وأحسَنِهِ، فرَّق الإمامُ أحمدُ فيه بَيْنَ كلامِ الله

(١) رواه اللالكائي في "السُّنَّة" رقم «٤٥١» بسند صحيح.

وكلامِ المِخلوق، بأنَّ كلامَ الله هو الذي قالَه مبتدئاً، وكلامَ المخلوق هو الذي قالَه مبتدئاً، فلمَّا كان كلامُ الله ابتدأ منه كانَ غيرَ مخلوقٍ، لأنَّه ليسَ من الله شيءٌ مخلوق، ولما كانَ كلامُ المخلوقِ ابتدأ منه -بمعنى أنه هو الذي أنشَأه- كانَ مخلوقاً، لأنَّ العبدَ بأفعاله جميعاً مخلوقٌ.

ثانيًا: إثبات الصوت.

أ- حد الصوت.

قال المرداوي: "وحد الصوت: ما يتحقق سماعه، فكل متحقق سماعه صوت، وكل ما لا يتأتى سماعه البتة ليس بصوت، وحجة الحد كونه مطردا منعكسا.

وقول من قال: إن الصوت هو الخارج من هواء بين جرمين، فغير صحيح، لأنه يوجد سماع الصوت من غير ذلك، كتسليم الأحجار، وتسبيح الطعام والجبال، وشهادة الأيدي والأرجل، وحنين الجذع،

وقد قال الله تعالى: ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**﴾ [الإسراء: الآية: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿**يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ**﴾ [ق: الآية: ٣٠]، وما لشيء من ذلك منخرق بين جرمين"((١))

ب-الأدلة على إثبات الصوت

وأمَّا كلامُهُ تعالى بصَوْتٍ، فقد قامت الدَّلائلُ القَواطِعُ على إثباتِهِ، وهو كسائِرِ صفاتِهِ تعالي، كلما أنَّها لا تَشْبَهُ صفاتِ المِخلوقينَ، فصوتُهُ تعالى لا يشبَهُ أصواتَهم، وقياسُ الخالِقِ على المِخلوقِ تَشْبيهٌ، والله تعالى ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [الشورى: الآية: ١١]، في ذاتِهِ، وجَميعِ صفاتِهِ.

والأدلَّةُ على إثباتِ كلامِ الله تعالى بصَوْتٍ كثيرةٌ، منها:

أولًا: الأدلة من القرآن:

١ - تكليمُهُ تعالى لموسى عليه السَّلام، فإنَّه قالَ له: ﴿**فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ**﴾ [طه: الآية:

(١) التحرير شرح التحبير ٣/ ١٣٤٦-١٣٤٥.

١٣].

فَدَلَّ هذا على أنَّهُ سَمِعٍ كلامَ الله تعالى، ولا يُسْمَعُ إلاَّ الصَّوْتُ، وربُّنا تعالى قَدْ خاطَبَنا باللِّسانِ العَرَبِيِّ الذي نفْهَمُهُ، وليسَ فيه سَماعٌ يحصَل من غير صَوْتٍ.[(١)]

وسبق أنْ بيّنّا أنَّ كلامَ الله لموسى كانَ أعلى درجاتِ التَّكليمِ، وليس هو من جنسْ الإلهاماتِ، وإنَّما هو كلامٌ مسموعٌ بالآذانِ.

وقد **قالَ عبد الله بن أحمَدَ بن حَنْبل**–«**ت: ٢٩٠ هـ**»: سألْتُ أبي رحمه الله عن قومٍ يقولونَ: لما كلَّمَ الله موسى لم يتكلَّمْ بصَوْتٍ؟ فقال أبي:

"بَلَى، إنَّ ربَّكَ–عَزَّ وَجَلَّ–تَكَلَّمَ بصَوْتٍ، هذه الأحاديثُ نَرْويها كما جاءت"[(٢)]

واحتجَّ لذلكَ بحديث ابن مَسعودٍ الآتي.

وقالَ الإمام أبو بكر المَرُّوذِيُّ–رحمه الله–«**ت: ٢٧٥ هـ**» صاحبُ الإمام أحمَدَ: سمعتُ أبا عبد الله –يعني أحمدَ– وقيل له: إنَّ عبْدَ الوهّاب قَدْ تكلَّم وقالَ: مَنْ زعَمَ أنَّ الله كلَّمَ موسى بلا صَوْتٍ فهو جَهميٌّ عدُوُّ الله وعدوُّ الإسلام، فتبسَّمَ أبو عبد الله وقال: "ما أحسَنَ ما قال، عافاه الله"[(٣)]

وقال عبدُ الله بن أحمَدَ–رحمه الله–«**ت: ٢٩٠ هـ**» أيضًا: قلتُ لأبي: إنَّ ههُنا مَنْ يقولُ: إنَّ الله لا يتكلَّمُ بصوتٍ، فقال: "يا بُنيَّ، هؤلاء جَهْميَّةٌ زنادِقَةٌ، إنَّما يَدوُرونَ على التَّعطيل" وذكرَ الآثارَ في خِلافِ قَوْلهم.[(٤)]

٢ – إخبارُه تعالى عن ندائِهِ لموسى عليه السَّلام، ولعبادِهِ يومَ القيامةِ.

---

(١) انظر: "درء تعارض العقل والنقل" ٢/ ٩٣.

(٢) رواه عبد الله في "السنة" رقم «٥٣٣» عنه.

(٣) رواه الخلاّل عن المرّوزي به –كما في "درء التعارض ٢/ ٣٨ – ٣٩.

(٤) ذكر هذا النَّص شيخ الإسلام –كما في "مجموع الفتاوى" ١٢/ ٣٦٨ – ونسبه إلى "كتاب السنة" لعبد الله، ولم أقف عليه فيه، فلعله وقع له في نسخة.

وذلك في عدَّةِ مَواضِعَ مِن كتابِهِ، منها:

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [النازعات: الآيات: ١٥، ١٦]

وقوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: الآية: ٥٢].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى﴾ [طه: الآية: ١١].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: الآية: ٦٥].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: الآيات: ٦٢، ٧٤].

والنِّداءُ: **قال الجوهريّ** –رحمه الله– «**ت: ٣٩٣ هـ**»: "الصَّوْتُ، وقد يُضَمّ، مثل: الدُّعاء، والرُّغاء، وناداه مُناداةً، ونِداءً، أي: صاحَ به"[(١)]

وفي "اللسان": النِّداءُ –ممدودٌ– الدُّعاءُ بأرفَعِ الصَّوْت، وقد نادَيْتُه.[(٢)]

وقال ابن تيمية –رحمه الله– «**ت: ٧٢٨ هـ**»: "والنِّداء في لغة العَرَب: هو صوتٌ رَفيعٌ، لا يُطلَق النِّداء على ما ليسَ بصوتٍ، لا حَقيقةً ولا مَجازًا"[(٣)]

وما قالَه ابن تيمية مُوافق لِما ذكر عن أهلِ اللغةِ من أنَّ النداءَ الصَّوتُ الرَّفيعُ.

فإذا عُلِمَ هذا ثَبَتَ أنَّ الله تعالى نادى موسى بصَوْتٍ، ويُنادِي بصَوتٍ عبادَه يومَ القيامةِ.

ثانيًا: الأدلة من السنة.

١– **حديثُ عبد الله بن أنيسٍ** –رضي الله عنه– «**ت: ٥٤ هـ**»، قال: سمعتُ رسولَ الله –صلى الله عليه وسلم– يقول:

«يَحْشُرُ اللهُ العبادَ –أو الناسَ– عُراةً غُرْلًا بُهْمًا".

(١) "الصحاح" مادة «ندا». نِداءً" «٣٠». (١).

(٢) "اللسان" مادة «ندي».

(٣) "مجموع الفتاوى" ٦/ ٥٣١.

قلنا: ما بُهْماً؟ قال:

"ليسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، فَيُناديهم بصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ -أحسَبُه قالَ: كما يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ-: أنا المَلِكُ، أنا الدَّيَّانُ ...». الحديث.[(١)]

وهذا الحديثُ صَريحٌ في إثْباتِ كلامِ الرَّبِّ تعالى بصَوْتٍ، وقَد احْتجَّ به على ذلك **إمامُ أهل الحديث محمَّدُ بن إسماعيل البُخاريُّ-رحمه الله-«ت: ٢٥٦ هـ»**، فقال:

"وإنَّ الله -عَزَّ وَجَلَّ- ينادي بِصَوْتٍ، يَسْمَعُه مَنْ بَعُدَ كما يَسْمَعه من قَرُبَ، فليسَ هذا لغير الله جَلَّ ذكرُه، وفي هذا دليلٌ أنَّ صوتَ الله لا يشبَهُ أصواتَ الخَلْقِ، لأنَّ صوتَ الله جلَّ ذكرُهُ يُسْمَع من بُعْدٍ كما يُسْمَع من قُرْبٍ ... " ثُمَّ أسنَدَ الحديثَ.[(٢)]

٢- **حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-«ت: ٥٧ هـ»**، أنَّ نبيَّ الله -صلى الله عليه وسلم-قال: «**إذا قَضى اللهُ الأمرَ في السَّماءِ ضَرَبَتِ المَلَائِكَةُ بأجْنِحَتِها خُضْعانًا لقولِهِ، كأنَّه سلْسِلَةٌ على صَفْوانٍ، فإذا فُزِّعَ عن قُلوبِهم قالوا: ماذا قالَ**».[(٣)]

ولقد أبى بعضُ أهل البدع الاحتجاجَ بهذا الحديث على إثبات الصوت لله تعالى، وأوَّلَه بأنَّه من مَجاز الحذف، والتقدير: يأمر من ينادي.

- وهذا باطلٌ من أوجهٍ:

الأول: أنَّ الأصلَ في الإطلاق الحقيقة، وهذا ربَّما وافقنا فيه المبتدع في مواضع أُخرى.

والثاني: أنَّ التقدير إنَّما يُصار إله في أحد حالين:

- دلالة القرينة.

- عدم استقامة السياق.

وكلاهما منتفٍ هُنا، فلا قرينةَ تدعو إلى هذا التقدير سِوى التنزيه في دعوى المبتدع، وهو

---

(١) أخرجه البخاري معلقا بصيغة التمريض مختصراً قبل حديث «٧٤٨١»، وأخرجه موصولاً أحمد «١٦٠٤٢» مطولا باختلاف يسير.

(٢) "خلق أفعال العباد" ص: ١٤٩.

(٣) أخرجه البخاري «٤٨٠٠».

عندنا غير مُنتفٍ، وشأنها كسائر صفات الباري تعالى، نُثْبِتُها مع التنزيه.

وأمَّا السياق فهو مستقيمٌ لا اضطرابَ فيه، ويؤكّده الوجهُ الآتي.

والثالث: أنَّه خُروجٌ عن الظاهر بغير برهان، بلْ إنَّ البرهانَ ضِدُّه، ألا تَراه قال: "أنا الملِكُ، أنا الديّان ... "؟ فهل يُناسبُ أن يكون هذا كلاماً لغير الله مِن مَلَكٍ أو غيرِه؟ ربُّكُم؟ قالوا للَّذي قال: الحَقَّ، وهو العليُّ الكبيرُ"[(١)]

وفي لفظ: «**إنَّ الله إذا قضى أمْراً في السَّماءِ، ضَرَبتِ الملائكةُ بأجْنحتِها جَميعاً، ولقولِهِ صَوْتٌ كصَوْتِ السِّلْسِلةِ على الصَّفا الصَّفوانِ، فذلكَ قوله: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾** [سبأ: الآية: ٢٣]».[(٢)]

ووجه الاستدلال بهذا اللَّفظ ظاهرٌ، وذلكَ أنَّ قولَه: "ولقوله صوتٌ كصوتِ السِّلْسِلَة" صَريحٌ في أنَّ قولَه تعالى وكلامَه يكون بصوتٍ.

وأمَّا اللفظُ الأوَّل فإنَّ الضَّميرَ في قوله: "كأنَّه سِلْسِلة" عائدٌ إلى أقرب مذكورٍ، وهو قوله: "لقولِه" فقوله: "سِلْسِلَة على صَفْوان" تضمَّنَ إثباتَ الصَّوتِ للمُخْبَرِ عنه الذي هو القولُ، فيظهرُ بهذا إثباتُ قولِهِ تعالى وكلامِهِ بصَوْتٍ.

ولكنَّ بعضَ أهل البِدَع أبَوْا ذلك من أجْلِ أنْ يُبْطلوا تَكَلُّمَ الرَّبِّ تعالى بصَوْتٍ، فقالوا: الضَّميرُ في قوله: "كأنَّه" عائدٌ على أجنحةِ الملائكةِ، فالصَّوتُ صَوْتُ أجْنِحةِ الملائكةِ.

ولهذا ظاهرُ البُطلانِ لوَجهين:

الأول: أنَّ الضَّميرَ في الأصْل يعودُ إلى أقرَب مذكورٍ.

والثاني: أنَّه ضميرُ مذكَّرٍ، ولو كان عائداً على أجنحةِ الملائكة لكانَ مؤنَّثاً.

فإن قيلَ: هذان الوجهان تصرفهُما القَرائن!

قلنا: نعَمْ، إن وُجِدتْ، لكنَّها هنا مُنْتفية، يؤَكِّدُ نفْيَها اللَّفظُ الثاني

---

(١) أخرجه البخاري ٨/ ٣٨٠، ٥٣٧ و١٣/ ٤٥٣.

(٢) أخرجه ابن جرير في "التفسير" ٢٢/ ٩١.

لحَديث أبي هُرَيْرَة كما تَراه.

والحديثُ مِمَّا احتجَّ به البخاريُّ-رحمه الله-«ت: ٢٥٦ هـ»، لإِثباتِ تَكَلُّم الرَّبِّ تعالى بِصَوْتٍ.[(١)]

٣- **حديث عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-«ت: ٣٢ هـ»** قال:

"إنَّ الله إذا تكلَّمَ بالوَحْي، سَمِعَ أهلُ السماواتِ للسَّماءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسلةِ على الصَّفا، فيُصْعَقونَ، فلا يزالونَ كذلك حتى يأتيَهم جِبريلُ، فإذا جاءَهم جِبْريلُ فُزِّعَ عن قُلوبِهم، قال: فيقولونَ: يا جبريلُ، ماذَا قالَ رَبُّكَ؟ قال: الحَقَّ"[(٢)]

وفي لفظٍ عن عبد الله قال:

"إذا تكلَّمَ الله -عَزَّ وَجَلَّ- بالوحْيِ سَمِعَ صوتَهُ أهلُ السَّماءِ، فَيَخِرّونَ سُجْداً ﴿**حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ**﴾ [سبأ: الآية: ٢٣]، قال: سُكِّنَ عنْ قُلُوبِهِم -نادى أهلُ السَّماءِ: ﴿**مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: الْحَقَّ** ...﴾ [سبأ: الآية: ٢٣]، قال: كَذا وكَذا"[(٣)]

وهذا الحديث مما احتجّ به الإمامُ أحمد لإثبات كلام الربّ تعالى بصوتٍ.

قال ابنُه عبد الله، قال أبي رحمه الله:

"**حديث ابن مسعود-رضي الله عنه-«ت: ٣٢ هـ»**: إذا تكلَّم الله عَزَّ وَجَلَّ سُمِعَ له صَوْتٌ كَجَرّ السِّلْسِلة على الصَّفْوان".

قال أبي: "وهذا الجهميةُ تُنْكِرُهُ".

وقال أبي: هؤلاء كُفَّارٌ، يُريدونَ أن يُمَوِّهوا على النَّاسِ، مَنْ زَعَمَ أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لم يتكلَّمْ

---

(١) "خلق أفعال العباد" ص: ١٥١.

(٢) أخرجه ابن خزيمة في "التوحيد" ص: ١٤٦، ١٤٧ وابن جرير ٢٢/ ٩٠ وعبد الله بن أحمد في "السُّنَّة" رقم «٥٣٧» والبيهقي في "الأسماء والصفات".

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في "السُّنَّة" رقم «٥٣٦» والخَلاَّل -كما في "درء التعارض" ٢/ ٣٨ - عن الإمام أحمد.

فهو كافرٌ، إلاَّ أنَّا نروي هذه الأحاديث كما جاءَت"[(١)]

ثالثًا: أقوال العلماء في إثبات الصوت.

قال البخاري–رحمه الله–«ت: ٢٥٦ هـ»، في إثبات الصوت: "وأن الله عز وجل ينادي بصوت يسمعه من بعُد كما يسمعه من قرب، فليس هذا لغير الله جل ذكره.

قال أبو عبد الله: وفي هذا دليل على أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق؛ لأن صوته جل ذكره يسمع من بعد كما يسمع من قرب وأن الملائكة يصعقون من صوته، فإذا تنادى الملائكة لم يَصعقوا"[(٢)]

وقال الحافظُ أبو نَصْرٍ السِّجْزيُّ–رحمه الله–«ت: ٤٤٤ هـ»: "وليسَ في وجود الصَّوْتِ من الله تعالى تَشبيهٌ بمَنْ يوجَد الصَّوْتُ منه من الخَلْق، كما لَم يكنْ في إثباتِ الكلامِ له تشبيهٌ بمَنْ له كلامٌ من خلقِهِ"[(٣)]

وقال الإمام ابن قدامة–رحمه الله–«ت: ٦٢٠ هـ»: "ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم يسمعه منه من شاء من خلقه، سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة، وسمعه جبريل عليه السلام، ومن أذن له من ملائكته ورسله، وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه، ويأذن لهم فيزورونه، قال الله تعالى: ﴿**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**﴾ [النساء: الآية: ١٦٤] وقال سبحانه: ﴿**يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي**﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٤] وقال سبحانه: ﴿**مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ**﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٣] وقال سبحانه: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ**﴾ [الشورى: الآية: ٥١] وقال سبحانه: ﴿**فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى – إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ**

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في "السُّنَّة" رقم «٥٣٤»، ونحوه روى الخلاَّلُ عن يعقوب بن بختان –أحد الثقات من أصحاب أحمد–عن أحمد–كما في "درء التعارض" ٢/ ٣٨.

(٢) "خلق أفعال العباد"، للبخاري، ص١٤٩. (٢).

(٣) "درء تعارض العقل والنقل" ٢/ ٩٣.

الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: الآية: ١١ - ١٢] وقال سبحانه: **﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾** [طه: الآية: ١٤] وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه–«ت: ٣٢ هـ»: " إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء "، روى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عبد الله بن أنيس عن النبي–صلى الله عليه وسلم–أنه قال: «**يحشر الله الخلائق يوم القيامة عراة حفاة غرلا بهما فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان**»، رواه الأئمة واستشهد به البخاري"((١))

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "واستفاضت الأثار عن النبيّ –صلى الله عليه وسلم–، والصَّحابةِ، والتابعين، ومَن بعدَهم من أئمَّةِ السُّنَّة، أنَّه سبحانه يُنادي بصَوْتٍ، نادى موسى، ويُنادي عِبادَه يومَ القيامةِ بصَوْتٍ، ويتكلَّمُ بالوحي بصَوتٍ، ولم يُنْقَل عن أحدٍ من السَّلَفِ أنه قال: إنَّ الله يتكلَّمُ بلا صَوْتٍ، أو بِلا حَرْفٍ، ولا أنَّهُ أنْكَرَ أنْ يَتَكَلَّمَ الله بصَوْتٍ، أو بحَرْفٍ"((٢))

وقال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "وليسَ في الأئمَّة والسَّلَف من قالَ: إنَّ الله لا يتكلَّمُ بصَوْتٍ، بل قَدْ ثبَتَ عن غير واحدٍ من السَّلَفِ والأئمَّة أنَّ الله يتكلَّمُ بصَوْتٍ، وجاءَ ذلك في آثارٍ مشهورةٍ عن السَّلَفِ والأئمَّةِ، وكانَ السَّلَفُ والأئمةُ يذكرونَ الآثارَ التي فيها ذكرُ تَكلُّمِ الله بالصَّوْتِ ولا يُنْكِرُها منهم أحدٌ"((٣))

وقال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: " قول الجمهور وأهل الحديث وأئمتهم: إن الله تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء وأنه يتكلم بصوت كما جاءت به الآثار، والقرآن وغيره من الكتب الإلهية كلام الله تكلم الله به بمشيئته وقدرته ليس ببائن عنه مخلوقا. ولا يقولون إنه صار

(١) "لمعة الاعتقاد" ص١٥. "خلق أفعال العباد"، للبخاري، ص١٤٩. (١).

(٢) "مجموع الفتاوى" ١٢/ ٣٠٤ - ٣٠٥.

(٣) "مجموع الفتاوى" ٦/ ٥٢٧، وانظر: ٢٤٤.



متكلما بعد أن لم يكن متكلما "[(١)]

وقال ابن أبي العز الحنفي-رحمه الله-«ت: ٧٩٢ هـ»: " أنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديما، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة"[(٢)]

الأقوال في مسألة الصوت.

والذين قالوا: إن الله يتكلم بصوت أربع فرق:

فرقة قالت: يتكلم بصوت مخلوق منفصل عنه، وهم المعتزلة.

وفرقة قالت: يتكلم بصوت قديم لم يزل ولا يزال، وهم السالمية والاقترانية.

وفرقة قالت: يتكلم بصوت قديم حادث في ذاته بعد أن لم يكن، وهم الكرامية.

وقال أهل السنة والحديث: لم يزل الله متكلما بصوته إذا شاء.

والذين قالوا: لا يتكلم بصوت فرقتان:

١-أصحاب الفيض،

٢-والقائلون إن الكلام معنى قائم بالنفس"[(٣)]

أصل الخلاف في مسألة الصوت:

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "أول ما ظهر إنكار أن الله سبحانه يتكلم بصوت في أثناء المائة الثالثة، فإنه لما ظهرت الجهمية المعطلة في إمارة أبي العباس المأمون «ت: ٢١٨ هـ»، وأدخلته في آرائها بعد أن كانوا أذلاء مقموعين، وهؤلاء كان عندهم أن الله لا يتكلم أصلا بحرف، ولا صوت ولا معنى ولا يرى، ولا هو مستو على عرشه، ولا علم ولا حياة ولا إرادة ولا حكمة تقوم به فلما وقعت المحنة وثبت الله خلفاء الرسل وورثة الأنبياء على ما

---

(١) "مجموع الفتاوى" «١٢/١٧٣».

(٢) "شرح الطحاوية" «١/١٧٤».

(٣) مختصر الصواعق المرسلة ص: ٥٢٨-٥٢٩.

ورثوه عن الأنبياء والمرسلين، وعلموا أن باطل أولئك هو نفاق مشتق من أقوال المشركين والصابئين الذين هم أعداء الرسول وسوس الملك، وظهر للأمة سوء مذاهب الجهمية وما فيها من التعطيل ظهر حينئذ عبد الله بن سعيد بن كلاب البصري «ت: ٢٤١ هـ» وأثبت الصفات موافقة لأهل السنة، ونفى عنها الخلق ردا على الجهمية والمعتزلة، ولم يفهم لنفي الخلق عنها معنى إلا كونها قديمة قائمة بذاته سبحانه، فأثبت قدم العلم والسمع والبصر والكلام وغيرها، ورأى أن القديم لا يتصور أن يكون حروفا وأصواتا لما فيها من التعاقب وسبق بعضها بعضا، فجعل كلام الله القديم الذي ليس بمخلوق هو مجرد معنى أو معان محصورة، وسلك طريقة خالف فيها المعتزلة، ولم يوافق فيها أهل الحديث في كل ما هم عليه، فلزم من ذلك أن يقول إن الله لم يتكلم بصوت وحرف وتبعه طائفة من الناس.

وأنكر ذلك الإمام أحمد وأصحابه كلهم، والبخاري صاحب الصحيح، فقال عبد الله بن أحمد في كتاب السنة: قلت لأبي: يا أبت إن قوما يقولون إن الله لم يتكلم بصوت، فقال: يا بني هؤلاء الجهمية إنما يدورون على التعطيل يريدون أن يلبسوا على الناس، بلى تكلم بصوت"[(١)]

مسألة الصوت المسموع من القارئ.

الصَّوْتُ المسموعُ من القارئ وهو يتلو كلامَ الله، هو صَوْتُ القارئ، لا صَوْت الله تعالى، كما نصَّ عليه الأئمَّةُ كأحمدَ وغيرِهِ.[(٢)]

وذلكَ أنَّ صوتَ العبْدِ إنَّما هو فعلُه القائمُ به، وأفعاله جميعاً مضافة إليه مخلوقةٌ كخَلقهِ، لكنَّ المسموعَ بصَوْتهِ، الذي نطَقَ به لسانُهُ، وتحرَّكَتْ به شفَتاهُ، كلامُ الله تعالى.

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ص: ٥٢٥-٥٢٦.

(٢) ذكر ذلك شيخ الإسلام في "درء التعارض" ٢/ ٤٠.

والدَّليلُ على ذلكَ قولُ النَّبيّ –صلى الله عليه وسلم–: "زيّنوا القرآنَ بأصواتِكم"[(١)] فأضافَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– الأصواتَ إلى القُرّاء، لأنَّها اكْتِسابُهُمْ وفعلهُمْ، وفرَّقَ بينها وبينَ القرآن الذي هو كلامُ الله ووحيُهُ وتنزيلُهُ، الذي لا يكونُ من التالي سِوى قراءتِهِ وأدائِه وتبليغهِ.

فالقرآنُ كلامُ الله مُضافٌ إليه تعالى لأنَّه منهُ، لا يُضافُ للتالي لأنَّه أدّاه بصَوتِهِ وحَرَكَتهِ، شأن كلّ كلامٍ سواه يُبلِّغهُ الواحدُ مِنَّا، فإنَّهُ إنَّما يُضافُ إلى مَن قالَه مُبتدئاً.

فقولُكَ: "إنَّمَا الأعمالُ بالنّياتِ، وإنَّما لكلّ امرئٍ ما نَوى" [(٢)] تُبلّغُه أنتَ بصَوْتِكَ وحَرَكَتِكَ، وليسَ لك من نظْمِهِ شيْءٌ، إنَّما هو كلامُ النَّبي –صلى الله عليه وسلم– بلفظِهِ ومعناه، ولو قلتَ: هو كلامي، لكذّبكَ مَن يسمَعُك، إذ ليسَ لك من ذلك إلاَّ التبليغُ والأداءُ.

فكذلكَ كلامُ الله تعالى إذا تلاه التالي، وقرأه القارئ.

قال الله تعالى: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ** ...﴾ [التوبة: الآية: ٦] فأضافَ الكلام إلى نفسِهِ، لأنَّه هو الذي ابتدأ نَظْمَهُ بحُروفِهِ ومعانيهِ، يسمَعُه المشرك بأذُنَيْهِ بصَوْتِ القارئ، فإنَّه إنَّما يسمَع كلامَ الله مِنَ القارئ.[(٣)]

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٦، ٣٠٤، وأبو داود رقم «١٤٦٨»، والنَّسائي ٢/ ١٧٩ وفي "فضائل القرآن" –من "الكبرى"– رقم «٧٥»، وابن ماجة رقم «١٣٤٢»، والبخاري في "خلق أفعال العباد" رقم «٢٥٠ – ٢٥٤، ٢٥٦» والدارمي رقم «٣٥٠٣»، وابن حبان رقم «٧٣٧»، والحاكم ١/ ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤. ٥٧٥.

(٢) خرجه الشيخان في "صحيحيهما" من حديث عمر رضي الله عنه.

(٣) ممن ألف في مسألة الحرف والصوت: ١– : رسالة في إثبات الاستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد لعبد الله بن يوسف بن محمد الجويني–رحمه الله–«ت: ٤٣٨ هـ». ٢–رسالة عبيد الله السجزي «ت: ٤٤٤ هـ»، إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، وهي رسالة مطبوعة. ٣–كتب أبو يعلى–رحمه الله–«ت: ٤٥٨ هـ»، جزءا سماه ايضاح البيان في مسألة القرآن، وهو مفقود، وهذا الكتاب نقل منه شيخ الإسلام في عدة مواطن من كتبه انظر: شرح العقيدة الأصفهانية ص ٣٢، مجموع الفتاوى ٦/ ١٥٨، درء تعارض العقل والنقل ٢/ ٧٤. ٤–كما ألف ابن عقيل «ت: ٥١٣ هـ»، كتابا في مسألة الحرف والصوت وقد طبع بعنوان جزء في الأصول أصول الدين مسألة القرآن أو الرد على الأشاعرة العزال وإثبات الحرف والصوت في كلام الكبير المتعال أما ابن قدامه–رحمه الله–«ت: ٦٢٠ هـ»، فله ثلاثة كتب لهذا الغرض وهي مطبوعة: ٥–الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم ٦–

=

سابعًا: أن الله سبحانه وتعالى أسمعه جبريل، وجبريل أبلغه محمد صلى الله عليه وسلم.

وقالَ ابن تيمية رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "وَمَذْهَبُ سَلَفِ الأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا وَخَلَفِهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ الْقُرْآنَ مِنْ جِبْرِيلَ، وَجِبْرِيلُ سَمِعَهُ مِن اللَّهِ عز وجل"[(١)]

يؤمنُ أهل الســـنة بأن القرآن كلامُ الله عز وجل، منه بدأ وإليه يعود، وأن هذا كلام الله بحرفٍ وصوتٍ مسموعين وأن الله سبحانه وتعالى أسمعه جبريل، وجبريل أبلغه محمد صلى الله عليه وسلم، وأن الكلام هو كلام الله عز وجل.

ومذهب أئمَّة الحديث والسنَّة: أن الله تعالى لم يَزل متكلِّمًا، إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، وهو يتكلَّمُ بصوت يُسمَع، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعين قديمًا.

ثم قال: "الآثار مُتواترة عنهم-أي: عن الصـــحابة والتابعين-بأنهم كانوا يقولون: القرآن كلام الله، ولما ظهر مَن قال: إنه مخلوق، قالوا ردًّا لكلامه: إنه غير مخلوق، ولم يريدوا بذلك أنه مُفترى، كما ظنه بعض الناس؛ فإن أحدًا من المســـلمين لم يَقل: إنه مفترى، بل هذا كفر ظاهر يَعلمه كل مسلم، وإنَّما قالوا: إنه مخلوق خلقه الله في غيره، فرَدَّ السلف هذا القول، كما تواترت الآثار عنهم بذلك، وصنفوا في ذلك مصنفات متعددة، وقالوا: «منه بدأ وإليه يعود».

ونصوصُ القرآن واضحة بأنه كلامه سبحانه وتعالى ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْـــمَعَ كَلاَمَ اللّهِ**﴾ [التوبة: الآية:٦] فهذا الكلام كلامه ســبحانه وتعالى، منه

والبرهان في بيان القرآن

٧-وكتاب حكاية المناظرة في القرآن.

٨-كما جمع محمد بن عبد الواحد المقدسي-رحمه الله-«ت: ٦٤٣ هـ» جزء في الأحاديث الواردة في هذه المسألة سماه جزء أحاديث الحرف والصوت وهو مفقود.

٩-كتاب "غاية المرام في مسألة الكلام" للشيخ أبي العباس أحمد بن الحسن الأرموي الشافعي. وقد طبعت رسالة بعنوان "جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات" ونسبت للنووي، ولكن جاء في ص: ٦٩ عبارة: "وهذا الذي ذكرناه جميعه من كلام الشيخ أبي العباس الأرموي رحمه الله".

١٠-كتاب طرف الطرف في مسألة الصوت والحرف تأليف الشيخ أبي العباس أحمد ابن يحي الحنبلي-رحمه الله-«ت: ٩٤٨ هــ» وهو مطبوع..

(١) «مجموع الفتاوى» «٥/٢٣٣».

بدأ، تكلم به حقيقةً، ونثبتُ صفة الكلام لله عز وجل كما أثبتها لنفسه وكما أثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن الله سبحانه وتعالى لكلامه صوت كما جاءَ في النصوص، وأنه بحرف وصوت مسموعين، وأنه سبحانه وتعالى يتكلم بما شاء متى شاء كيف شاء سبحانه وتعالى، وأن القرآن كلامُ الله تعالى غيرُ مخلوق.

فالقرآن كلام الله، ليس ككلام البشر، وقد توعَّد الله من وصَف القرآن بأنه ككلام البشر، توعَّده بالنار فقال تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: الآيات: ٢٥، ٢٦]، فإن كان كلام البشر مخلوقًا لهم، فكلام الله ليس مخلوقًا له، إنما هو صفةٌ من صفاته سبحانه.

الأقوال في سماع كلام الله

قال ابن القيم –رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "واختلفت الفرق هل يسمع كلام الله على الحقيقة؟

فقالت فرقة: لا يسمع كلامه على الحقيقة إنما يسمع حكايته والعبارة عنه، وهذا قول الكلابية ومن تبعهم،

وقالت بقية الطوائف، بل يسمع كلامه حقيقة، ثم اختلفوا

فقالت فرقة: يسمعه كل أحد من الله، وهذا قول الاتحادية،

وقالت فرقة: بل لا يسمع إلا من غيره، وعندهم يسمع كلام الله منه، فهذا قول الجهمية والمعتزلة.

وقال أهل السنة والحديث يسمع كلامه سبحانه منه تارة بلا واسطة كما سمعه موسى وجبرائيل وغيره، وكما يكلم عباده يوم القيامة، ويكلم أهل الجنة، ويكلم الأنبياء في الموقف، ويسمع من المبلغ عنه كما سمع الأنبياء الوحي من جبرائيل تبليغا عنه، وكما سمع الصحابة القرآن من الرسول صلى الله عليه وسلم عن الله، فسمعوا كلام الله بواسطة المبلغ، وكذلك نسمع نحن بواسطة التالي.

فإذا قيل: المسموع مخلوق أو غير مخلوق؟ قيل إن أردت المسموع عن الله فهو كلامه غير

مخلوق،

وإن أردت المسموع من المبلغ ففيه تفصيل، فإن سألت عن الصوت الذي روي به كلام الله فهو مخلوق،

وإن سألت عن الكلام المؤدى بالصوت فهو غير مخلوق"[(١)]

ثامنًا: مسألة: هل اللفظ بالقرآن مخلوق أو لا؟

وهل يجوز أن يقول القائل: لفظي بالقرآن مخلوق؟

واللفظ يأتي بمعنى: التلفظ، ويأتي بمعنى الملفوظ؛ هل هو الملفوظ الخارج، أو حركة اللسان التلفظ؟

فمعلوم أنه إن أريد الأول وهو التلفظ: فالتلفظ من أفعال العبد، وأفعال العباد مخلوقة.

وإن عُني باللفظ الملفوظ فالملفوظ هو القرآن.

لهذا صـــارت الكلمة محتملة، واســـتعمال المحتملات في العقيدة بدعة؛ فإنه لا يجوز أن تستعمل مثل هذه العبارة التي قد تحتمل شيئًا آخر؛ فيفهم الناس منها فهمًا غير سليم.

ولهذا كان **الإمام أحمد**–رحمه الله–«**ت: ٢٤١ هـ**» يقول: "مَن قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع، ومن قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع أيضًـــا"؛ لأنها تحتمل هذه وهذه، وقد سـكت السـلف عن الإطلاق؛ لأنَّ الألفاظ المحتملة فيما يتصـل بذات الله جل وعلا أو صفاته أو أفعاله أو أمور العقيدة والغيبيات لا يجوز استعمالها، وينهى عنها.

وقال ابن تيمية–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**»: "أئمة أهل الســـنة وأهل الحديث من أصحاب الإمام أحمد بن حنبل وغيرهم ينكرون على من يجعل لفظ العبد بالقرآن أو صوته به أو غير ذلك من صــفات العباد المتعلقة بالقرآن- غير مخلوقة، ويأمرون بعقوبته بالهجر وغيره، وقد جمع بعض كلامهم في ذلك أبو بكر الخلال في «كتاب الســـنة»، ومن المشـــهور في «كتاب صـــريح الســـنة» لمحمد بن جرير الطبري وهو متواتر عنه، لما ذكر الكلام في أبواب

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ص: ٥٢٨.

السنة قال: وأما القول في ألفاظ العباد بالقرآن، فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي مضى، ولا عن تابعي قفا إلا عمن في قوله الشـفاء والغناء، وفي اتباعه الرشـد والهدى، ومن يقوم لدينا مقام الأئمة الأولى: أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، فإن أبا إسماعيل الترمذي حدثني قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل يقول: اللفظية جهمية، يقول الله: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ﴾ [التوبة: الآية: ٦] ، ممن يسمع؟! **قال ابن جرير-رحمه الله-«ت: ٣١٠ هـ»**: وسمعت جماعة من أصحابنا -لا أحفظ أسماءهم- يحكون عنه أنه كان يقول: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق، فهو مبتدع. قال ابن جرير: ولا قول في ذلك عندنا يجوز أن نقوله غير قوله؛ إذ لم يكن لنا إمام نأتم به سـواه، وفيه الكفاية والمقنع، وهو الإمام المتبع" [(١)]

ولهذا **قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»**:

وَعَلَيْكَ بِالتَّفْصِيلِ وَالتَّبْيِينِ فَالْـ *** إِطْلاَقُ وَالإِجْمَالُ دُونَ بَيَانِ

قَدْ أَفْسَدَا هَذَا الوُجُودَ وَخَبَّطَا الـ *** أَذْهَانَ وَالآرَاءَ كُلَّ زَمَانِ"[(٢)]

وقد رأي الإمام أحمد وبعض الأئمة أنه لا يُقال: اللفظ بالقرآن مخلوق، ولا يقال: غير مخلوق؛ لأن الكلام هنا محتمل، فعندما يقول القائل: لفظي بالقرآن مخلوق، فهل يقصد به القرآن الذي هو كلام الله تعالى، أو يقصد فعل المخلوق؟

فإن قال: اللفظ بالقرآن غير مخلوق، فقد لا يقصد هنا كلام الله تعالى، وإنما يقصد كلامه هو، وهذا خطأ؛ لأن نطق الإنسان مخلوق، فالمسألة تكون محتملة، فمن هذا الباب باب منع الإمام أحمد والأئمة من أهل السـنة أن يُقال: لفظي القرآن مخلوق أو غير مخلوق؛ لأن هذا اللفظ محتمل.

قال أبو القاسم التيمي الأصـبهاني-رحمه الله-«ت: ٥٣٥ هـ»: "وأول من قال

---

(١) مجموع الفتاوى ١٢/ ٤٢٢-٤٢٣.

(٢) انظر: «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» لابن القيم.

باللفظ، وقال: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة: حسـين الكرابيسـي «ت: ٢٥٦ هـ». فبدعه أحمد بن حنبل، ووافقه على تبديعه علماء الأمصـار...." ثم سمّى طائفة كثيرة من علماء الأمصـار، ثم قال: "فمذهبهم ومذهب أهل السـنة جميعاً أن القرآن كلام الله آية آية، وكلمة كلمة، وحرفاً حرفاً في جميع أحواله، حيث قرئ وكتب وسمع"[(١)]

بينما ينص الإمام البخاري وبعض أهل السـنة على أن اللفظ بالقرآن الذي هو نطق الإنسان مخلوق، فإذًا فَصَّلوا وبيَّنوا أنه إذا قصد النطق فهذا مخلوق، وإذا قصد الأصل الذي هو كلام الله سبحانه وتعالى الملفوظ، فهذا غير مخلوق.

وحدثت في هذه المسـألة فتنة للبخاري، أثارها عليه شـيخه محمد بن يحيى الذهلي-رحمه الله-«ت: ٢٥٨ هـ»، ودافع عنه ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ» في كتابه «الصواعق»، وقال: «إن البخاري في هذه المسـألة أقعد وبيَّن ووضَّح وفصَّل في هذه المسـألة، وتشـنيع الذهلي عليه هذا من باب الغيرة والحسـد الذي بين الشـيخ وتلميذه؛ لأن البخاريَّ تفوق عليه.

فالمسـألة محل خلاف، مثل مسـألة الاسـم والمسـمَّى؛ لأن المخرج فيهما واحد؛ لأن كِلا المسألتين تعودان إلى صفة الكلام، والكلام: صفة من صفات الله سبحانه وتعالى غير مخلوق، وبناء على ذلك ترتَّب خلاف في مسـألة اللفظ وفي مسـألة الاسـم والمسـمى؛ لأن أسماء الله تعالى من كلامه، والقرآن من كلامه عز وجل، فحصـل خلاف في هذه المسـألة بناءً على ذلك.

أصل النزاع في المسألة:

مسـألة خلق القرآن حدثت في زمن محنة الجهمية والفتنة المشـهورة فهي وليدة هذه الفتنة ومنها نشأ النزاع فيها هل الإيمان مخلوق أم لا؟

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ» لما سئل: هل الإيمان مخلوق أم غير مخلوق؟

---

(١) الحجة في بيان المحجة ١/ ٣٧٠.

"فالجواب أن هذه المسألة نشأ النزاع فيها لما ظهرت محنة الجهمية في القرآن هل هو مخلوق أم غير مخلوق؟ وهي محنة الإمام أحمد وغيره من علماء المسلمين، وقد جرت بها أمور يطول وصفها هنا، لكن لما ظهر القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأطفأ الله نار الجهمية المعطلة.

صارت طائفة يقولون: إن كلام الله الذي أنزله مخلوق، ويعبرون عن ذلك باللفظ، فصاروا يقولون ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، أو تلاوتنا أو قراءتنا مخلوقة، وليس مقصودهم مجرد كلامهم وحركاتهم، بل يدخلون فيه نفس كلام الله الذي نقرؤه بأصواتنا وحركاتنا.

وعارضهم طائفة أخرى فقالوا: ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة.

فرد الإمام أحمد على الطائفتين وقال: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع. وتكلم الناس حينئذ بالإيمان فقالت طائفة: الإيمان مخلوق وأدرجوا في ذلك ما تكلم الله به من الإيمان مثل «قول لا إله إلا الله»، فصار مقتضى قولهم إن هذه الكلمة مخلوقة، ولم يتكلم الله بها، فبدع الإمام أحمد هؤلاء، وقال: قال النبي –صلى الله عليه وسلم-: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها: قول لا إله إلا الله**». [(١)] أفيكون قول لا إله إلا الله مخلوقا؟

ومراده أن من قال: إن ألفاظنا وتلاوتنا وقراءتنا للقرآن مخلوقة، كان مقتضى كلامه أن الله لم يتكلم بالقرآن الذي أنزله. وأن القرآن المنزل ليس هو كلام الله"[(٢)]

وقال رحمه الله: "وإذا قال: الإيمان مخلوق أو غير مخلوق؟ قيل له: ما تريد «بالإيمان»؟ أتريد شيئا من صفات الله وكلامه، كقول «لا إله إلا الله» و«إيمانه» الذي دل عليه اسمه المؤمن، فهو غير مخلوق. أو تريد شيئا من أفعال العباد وصفاتهم فالعباد كلهم مخلوقون، وجميع أفعالهم وصفاتهم مخلوقة، ولا يكون للعبد المحدث المخلوق صفة قديمة غير مخلوقة، ولا يقول

(١) رواه البخاري «٩»، ومسلم «٣٥».

(٢) مجموع الفتاوى ٧/ ٦٥٥

هذا من يتصور ما يقول، فإذا حصل الاستفسار والتفصيل ظهر الهدى وبان السبيل، وقد قيل أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشـــتراك الأسماء، وأمثالها مما كثر فيه تنازع الناس بالنفي والإثبات إذا فصل فيها الخطاب، ظهر الخطأ من الصواب.

والواجب على الخلق أن ما أثبته الكتاب والسنة أثبتوه، وما نفاه الكتاب والسنة نفوه، وما لم ينطق به الكتاب والسنة لا بنفي ولا إثبات استفصلوا فيه قول القائل: فمن أثبت ما أثبته الله ورسوله، فقد أصاب، ومن نفى ما نفاه الله ورسوله فقد أصاب، ومن أثبت ما نفاه الله أو نفى ما أثبته الله فقد لبس دين الحق بالباطل، فيجب أن يفصـــل ما في كلامه من حق أو باطل، فيتبع الحق ويترك الباطل، وكل من خالف الكتاب والسـنة فإنه مخالف أيضا لصـريح المعقول، فإن العقل الصـــريح لا يخالف النقل الصـــحيح، كما أن المنقول عن الأنبياء عليهم السلام لا يخالف بعضه بعضا، ولكن كثيرا من الناس يظن تناقض ذلك، وهؤلاء من الذين اختلفوا في الكتاب ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ**﴾ [البقرة الآية: ١٧٦]، ونسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا"[(١)]

قال الإمام أحمد–رحمه الله–«ت: ٢٤١ هـ»: "من قال: الإيمان مخلوق كفر، ومن قال: غير مخلوق ابتدع. فقيل: بالوقف مطلقا، وقيل: أقواله قديمة وأفعاله مخلوقة.

قال ابن حمدان–رحمه الله–«ت: ٦٩٥ هـ» في نهاية المبتدئين: وهو أصـــح، ونقله عن ابن أبي موســـى وغيره. ونقل الإمام **الحافظ ابن رجب–رحمه الله–«ت: ٧٩٥ هـ»** في طبقات الأصحاب في ترجمة الحافظ عبد الغني المقدسي–رحمه الله–«ت: ٦٠٠ هـ»، ما لفظه قال: روي عن إمامنا أحمد–رضي الله عنه–«ت: ٢٤١ هـ»، أنه قال: من قال: الإيمان مخلوق فهو كافر، ومن قال: قديم فهو مبتدع.

قال الحافظ عبد الغني–رحمه الله–«ت: ٦٠٠ هـ»: "وإنما كفر من قال بخلقه؛ لأن

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ٦٦٤

الصلاة من الإيمان، وهي تشتمل على قراءة وتسبيح وذكر الله-عز وجل-ومن قال بخلق ذلك كفر، وتشـــتمل على قيام وقعود وحركة وســـكون ومن قال بقدم ذلك ابتدع. انتهى بحروفه، والله-تعالى-الموفق"[(١)]

قال الإمام أحمد-رحمه الله-«ت: ٢٤١ هـ»: "لسـنا نشـك أن أسماء الله عز وجل غير مخلوقة، لسـنا نشـك أن علم الله عز وجل غير مخلوق، فالقرآن من علم الله وفيه أسماء الله فلا نشك أنه غير مخلوق، وهو كلام الله عز وجل ولم يزل به متكلما"[(٢)]

وقال الإمام أحمد-رحمه الله-«ت: ٢٤١ هـ»: "من زعم أن أسماء الله مخلوقة فهو كافر"[(٣)]

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "وأما مســـألة تكلم العباد بالقرآن فقد اشتبهت على كثير من الناس،

فقالت طائفة: إن الله يخلق كلامه عند تلاوة كل تال، فيجري كلامه المخلوق على لسـان التالي، وفعل التالي هو حركة اللســان فقط وهي القراءة: فالقراءة صـنع العبد عندهم، والمقروء صـنع الله وخلقه، فالمسـموع عندهم مخلوق بين صـنعين: صـنع الرب وصـنع العبد، وهذا قول أبي هذيل والإسكافي وأصحابه.

وقالت فرقة أخرى: إن العبد هو المحدث لأفعاله وتلاوته، والله تعالى خلقه في مكان واحد لا ينتقل عنه ولا يفارقه إلى غيره، فهذا المســموع هو صـنع التالي ألفاظه وتلاوته، وهذا قول أكثر البغداديين من المعتزلة، وقول جعفر بن حرب.

وقالت فرقة: إن القرآن لم يخلقه الله تعالى في الحقيقة ولا هو فعله، فإنه عرض وهم يحيلون أن تكون الأعراض فعلا لله، قالوا فهو فعل المحل الذي قام به، وهذا قول معمر وأصحـابه من

---

(١) لوامع الأنوار البهية ١/ ٤٤٦

«٣» نقله عنه الأشعري في كتاب الإبانة عن أصول الديانة «ص٨٨»

«٤» انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي «٢/ ٢١٤».

المعتزلة.

وقالت فرقة: إن الله ســـبحانه خلق كلامه في اللوح المحفوظ ثم مكن جبرائيل أن يأخذه منه نقلا ويعلمه رسـوله صـلى الله عليه وسـلم، فجبرائيل إذا نطق به كان نطقه بمنزلة من يقرأ كتاب غيره، لكن الحروف والأصــوات في الحقيقة لجبرائيل لم تقم بذات الرب حروف القرآن ولا ألفاظه، ولا سمعه جبرائيل من الله تعالى، وإنما نزل به من المحل الذي خلق فيه، وهذا قول كثير من الكلابية، فعندهم أن المسموع قول الرسول الملكي حقيقة سمعه منه الرسول البشري فأداه كما سمعه، فالرســول الملكي ناقل لما في اللوح المحفوظ غير ســامع له من الله، والرســول البشري ناقل له عن جبرائيل قوله وألفاظه.

ومن هؤلاء من يقول: بل الله تعالى ألهم جبرائيل معانيه، فعبر عنها جبرائيل بعبارته، فهذه الألفاظ كلام جبرائيل في الحقيقة لا كلام الله.

ومنهم من يقول: جبرائيل علم رســول الله نص معانيه وألقاها في روعه، ومحمد رســول الله صـلى الله عليه وسـلم أنشـأ ألفاظها وعبر بها من عنده دلالة على ذلك المعنى الذي ألقاه إليه الملك، فالقرآن العربي على قولهم قول محمد–صـــلى الله عليه وســـلم–أو قول جبرائيل–عليه السلام–، وهذا قول من لا نسـميهم لشـهرتهم، وإن حرفوا العبارة وزينوا له الألفاظ، فهو قولهم الذي يناظرون عليه ويكفرون من خالفهم فيه يقولون فيه: قال أهل الحق كذا، وقالت ســـائر فرق أهل الزيغ بخلافه.

وقالت فرقة أخرى: بل لســان التالي مظهر للكلام القديم، فيســمع منه عند التلاوة كما سمع موســى كلام الله من الشــجرة، فلســان التالي كالشــجرة محل ومظهر للكلام، فإذا قال التالي ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الفاتحة: الآية: ٢] كان المسموع كله حروفه وأصواته غير كلام الله القائم به من غير حلول في القارئ ولا اتحاد به، كما أن الله ســـبحانه لم يحل في الشجرة ولا اتحد بها، وسمع موسى كلامه منها.

واختلفت هذه الفرقة في الصوت الذي يسمع من القارئ على قولين:

أحدهما: إنه عين صوت الله بالقرآن ظهر عند تلاوة التالي، فكانت التلاوة مظهرة له.

وقالت فرقة أخرى منهم: ما لا بد منه من الصوت في الأداء ولا يتأدى الكلام بدونه، فهو الصوت القديم، وما زاد عليه من قوة الاعتماد والرفع فمحدث.

قالوا: وقد اقترن القديم بالمحدث على وجه معسر التمييز بينهما جدا، فلما ورد عليهم أن الحس شاهد بأن هذا الصوت موجود بعد أن كان معدوما ومعدوما بعد وجوده وهذا مستحيل على القديم، أجابوا بأن الذي وجد بعد عدمه ثم عدم بعد وجوده هو ظهور الصوت القديم لا نفسه، فالمحدث وقع على الإدراك لا على المدرك، كما إذا سمع كلامه سبحانه منه بعد أن لم يسمع، ثم عدم السمع فالحدوث واقع على السمع لا على المسموع، وهذا قول جماعة ممن ينسب إلى الإمام أحمد-رحمه الله-«ت: ٢٤١ هـ».

وأصحابه المتقدمون بريئون من هذا المذهب المخالف للحس والعقل والفطرة، ونصوص أحمد إنما تدل على خلافه، فقد نص في رواية جماعة من أصحابه على أن الصوت صوت العبد، فقال في قول النبي-صلى الله عليه وسلم- «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**».[(١)]، قال يجهر به ويحسنه بصوته ما استطاع، وقد نص على ذلك الأئمة كالبخاري وغيره.

قال البخاري-رحمه الله-«ت: ٢٥٦ هـ» في صحيحه: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**الماهر بالقرآن مع الكرام البررة**».[(٢)]، «**وزينوا القرآن بأصواتكم**».[(٣)] ثم احتج بحديث **أبي هريرة-رضي الله عنه-«ت: ٥٧ هـ»**، عن النبي-صلى الله عليه وسلم- «**ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به**».[(٤)]، فأضاف الصوت إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ ثم ساق حديث **البراء-رضي الله عنه-«ت: ٧٢**

(١) أخرجه البخاري «٧٥٢٧».

(٢) أخرجه البخاري «٤٩٣٧» بلفظ مقارب، ومسلم «٧٩٨» باختلاف يسير.

(٣) رواه الإمام أحمد ٤/ ٨٣، وأبو داود «١٤٦٨»، وابن ماجه «١٣٤٢»، والنسائي ٢/ ١٧٩، وصححه ابن حبان ٣/ ٢٥ «٧٤٩»، والحاكم ١/ ٥٧١. وعلقه البخاري قبل حديث «٧٥٤٤» كلهم من حديث البراء بن عازب وصححه الألباني في "صحيح أبي داود" «١٣٢٥» وقال: هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير عبد الرحمن بن عوسجة وهو ثقة.

(٤) أخرجه البخاري «٧٥٥٤»، ومسلم «٧٩٢».

هـ»، «**أن النبي صـلى الله عليه وسـلم قرأ في العشـاء بالتين والزيتون، ما سمعت صـوتا أحسـن منه**».[(١)]، فأضـاف الصـوت إليه ثم ذكر حديث **ابن عباس**–**رضـي الله عنهما**– «**ت: ٦٨ هـ**»، «**أن النبي صـلى الله عليه وسـلم كان متواريا بمكة وكان يرفع صـوته بالقرآن، فإذا سمع المشـركون سـبوا القرآن ومن جاء به، فأنزل الله تعالى:** ﴿**وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا**﴾ [الإسراء: الآية: ١١٠]».[(٢)] ثم قال: باب قراءة الفاجر والمنافق وأصـواتهم وتلاوتهم لا تجاوز تراقيهم، وذكر في الباب حديث **أبي سـعيد الخدري**–**رضـي الله عنه**–«**ت: ٧٤ هـ**» «**يخرج أناس من قبل المشرق يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم**».[(٣)]، ومعلوم أن المراد التلاوة والأداء وما قام بهم من الأصـوات، وأنها لم تجاوز حناجرهم، وكان البخاري قد امتحن بهذه الفرقة، فتجرد للرد عليهم وبالغ في ذلك في كتاب «خلق أفعال العباد» فإنه بناه على ذلك وأن أصـوات العباد من أفعالهم أو متولدة عن أفعالهم فهي من أفعالهم، فالصوت صوت العبد حقيقة، والكلام كلام الله حقيقة، أداه العبد بصوته كما يؤدي كلام الرسـول وغيره بصـوته، فالعبد مخلوق وصـفاته مخلوقة وأفعاله مخلوقة وصـوته وتلاوته مخلوقة، والمتلو المؤدى بالصوت غير مخلوق.

واحتج البخاري في الصـحيح في «خلق أفعال العباد» على ذلك بنصـوص التبليغ، كقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ**﴾ [المائدة: الآية: ٦٧] وقوله: ﴿**إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ**﴾ [الشـورى: الآية: ٤٨] وقوله: ﴿**لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي**﴾ [الأعراف: الآية: ٧٩] وهذا من رسوخه في العلم، فإن ذلك يتضمن أصلين ضل فيهما أهل الزيغ:

أحدهما: أن الرسـول ليس له من الكلام إلا مجرد تبليغه، فلو كان هو قد أنشـأ ألفاظه لم يكن مبلغا، بل منشئا مبتدئا، ولا تعقل الأمم كلها من التبليغ سوى تأدية كلام الغير بألفاظه

(١) أخرجه البخاري «٧٥٤٦»، ومسلم «٤٦٤».

(٢) أخرجه البخاري «٤٧٢٢»، ومسلم «٤٤٦» باختلاف يسير.

(٣) أخرجه البخاري «٧٥٦٢».

ومعانيه ولهذا يضاف الكلام إلى المبلغ عنه لا إلى المبلغ.

وأيضا فالتبليغ والبلاغ هو الإيصال، وهو معدى من بلغ إذا وصل، والإيصال حقيقة أن يورد إلى الموصل إليه ما حمله إياه غيره، فله مجرد إيصاله.

الأصل الثاني: أن التبليغ فعل المبلغ وهو مأمور به مقدور له، وتبليغه هو تلاوته بصوت نفسه، فلو كان الصوت والتلاوة وصوت المتكلم به أزليا وتلاوته لم يكن فعلا مأمورا به مضافا إلى المأمور، وبالجملة فالتبليغ هو صوت المبلغ القائم به.

قال البخاري–رحمه الله–«ت: ٢٥٦ هـ»: باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾ [المائدة: الآية: ٦٧]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: " «بلغوا عني ولو آية وليبلغ الشاهد الغائب وأن الوحي قد انقطع».[(١)]، فتأمل مقصوده بقوله: وإن الوحي قد انقطع فلو كانت أصواتنا بالقرآن هي نفس الصوت القديم الذي تكلم الله تعالى به لم يكن الوحي قد انقطع، بل هو متصل ما دامت أصوات العباد مسموعة بالتلاوة، فالقائلون إن هذا الصوت القديم ظهر عند تلاوة التالي، وهو الصوت الذي أوحى الله به الوحي إلى رسوله، وهو غير منقطع لزمه لزوما بينا أن الوحي متصل غير منقطع.

قال البخاري–رحمه الله–«ت: ٢٥٦ هـ»: في كتاب «خلق أفعال العباد» ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يحب أن يكون الرجل خفت الصوت، ويكره أن يكون رفيع الصوت، وأن الله سبحانه ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، فليس هذا لغير الله تعالى.

قال أبو عبد الله: وفي الدليل أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق؛ لأن صوت الله يسمع من بعد كما يسمع من قرب، وأن الملائكة يصعقون من صوته، فإذا نادى جبرائيل الملائكة لم

(١) خلق أفعال العباد ص: ٨٨.

يصعقوا، ثم ساق في الباب أحاديث تكلم الله بالصوت محتجا بها.[(١)]

قال البخاري-رحمه الله-«ت: ٢٥٦ هـ»: وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم كتابا فيه «بسم الله الرحمن الرحيم»[(٢)]. فقرأه ترجمان قيصر على قيصر وأصحابه، ولا يشك في قراءة الكفار أهل الكتاب أنها أعمالهم، وأما المقروء فهو كلام العليم المنان ليس بخلق، فمن حلف بأصوات قيصر أو بنداء المشركين الذين يقرون بالله لم تكن عليه يمين دون الحلف بالله لقول النبي-صلى الله عليه وسلم- «لا تحلفوا بغير الله».[(٣)]. وليس للعبد أن يحلف بالخواتيم والدراهم البيض وألواح الصبيان التي يكتبونها ثم يمحونها المرة بعد المرة، وإن حلف فلا يمين عليه لقوله تعالى: ﴿**فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: الآية: ٢٢].[(٤)]

قال البخاري-رحمه الله-«ت: ٢٥٦ هـ»: وقال النبي-صلى الله عليه وسلم-: «بينا أنا في الجنة سمعت صوت رجل بالقرآن»[(٥)]. فبين أن الصوت غير القرآن.

قلت: ونظيره إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن.

قال أبو عبد الله: ويقال له صفة الله وكلامه، وعلمه وأسمائه وعزه وقدرته بائنة من الله أم لا، وقولك وكلامك بائن من الله أم لا.

قال أبو عبد الله: قال الله تعالى: ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ**﴾ [النجم: الآيات: ٣٩-٤٠]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ**﴾ [نوح: الآية: ١] والإنذار من نوح وهو نذير مبين يأمرهم بطاعة الله، وأما الغفران فإنه من الله يقول ﴿**يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ**﴾ [نوح: الآية: ٤] ، ثم قال: ﴿**رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ**

---

(١) خلق أفعال العباد ص: ٩٨.

(٢) خلق أفعال العباد ص: ٩٨.

(٣) خلق أفعال العباد ص: ٩٨.

(٤) خلق أفعال العباد ص: ١٠٢.

(٥) خلق أفعال العباد ص: ١٠٩.

قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [نوح: الأية: ٥] فذكر الدعاء سرا وعلانية من نوح، وقال ابن مسعود- رضي الله عنه-«ت: ٣٢ هـ»، قال النبي صلى الله عليه وسلم لقوم كانوا يقرءون القرآن فيجهرون به «**خلطتم علي القرآن يقول علت أصواتكم صوتي**» [(١)]، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يرفع بعضهم على بعض صوته، ولم ينه عن القرآن ولا عن كلام الله.

قال البخاري-رحمه الله-«ت: ٢٥٦ هـ»: واعتل بعضهم فقال حتى يسمع كلام الله، قيل له إنما قال حتى يسمع كلام الله لا كلامك ونغمتك وصوتك، إن الله فضل موسى بكلامه، ولو كان يسمع الخلق كلهم كلام الله كما سمع موسى لم يكن لموسى عليك فضل، ومعنى هذا أن هذا الصوت المسموع من القارئ لو كان هو الصوت الذي سمعه موسى لكان كل من سمع القرآن بمنزلة موسى في ذلك"[(٢)]

(١) أخرجه البخاري في "القراءة خلف الإمام " «٢٥٤»، وفي خلق أفعال العباد ص: ١١١.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة ٥٠٣-٥٠٨.



٩- قرب الله تعالى من خلقه وعلوه على عرشه

المسألة الأولى: قرب الله تعالى من خلقه.
المسألة الثانية: دلالة القرآن على علو الله.
المسألة الثالثة: دلالات السنة على علو الله.
المسألة الرابعة: دلالة الإجماع على علو الله.
المسألة الخامسة: دلالة الفطرة على علو الله بذاته.
المسألة السادسة: دلالة العقل على علو الله.
المسألة السابعة: الفرق بين العلو والاستواء.
المسألة الثامنة: الأقوال في صفة العلو.

[٩]- قال المصنف رحمه الله: وكلمات الله، وقدرة الله، ونعته وصفاته، كاملات غير مخلوقات، دائمات أزليات، وليست بمحدَثات فتبيد، ولا كان ربنا ناقصًا فيزيد، جلَّت صفاته عن شبه صفات المخلوقين، وقصرت عنه فطن الواصفين، قريب بالإجابة عند السؤال، بعيد بالتعزُّز لا يُنال، عال على عرشه، بائن من خلقه، موجود وليس بمعدوم ولا بمفقود.

الشرح

قول المصنف رحمه الله: «وكلمات الله، وقدرة الله، ونعته وصفاته، كاملات غير مخلوقات، دائمات أزليات، وليست بمحدَثات فتبيد، ولا كان ربنا ناقصًا فيزيد، جلَّت صفاته عن شبه صفات المخلوقين، وقصرت عنه فطن الواصفين»

تقدم الكلام على صفات الله وكمالها في الفقرة «١»

وقول المصنف رحمه الله: «قريب بالإجابة عند السؤال، بعيد بالتعزُّز لا يُنال، عال على عرشه، بائن من خلقه، موجود وليس بمعدوم ولا بمفقود»

الشرح

المسألة الأولى: قرب الله تعالى من خلقه.

ذكرَ المصنفُ رحمه الله هنا الجمعَ بينَ الإيمانِ بعلوِّ اللهِ وقُرْبِهِ ومَعِيَّتِهِ؛ لِئَلَّا يَظُنَّ الظَّانُّ أنَّ ذَلِكَ مثل صفاتِ المخلوقينَ، وأنَّهُ إذا قِيلَ: إِنَّهُ عليٌّ فوقَ خلقِهِ كيفَ يكونُ مَعَهُم قريبًا منهم؟ فأجابَ بما تضمنَّهُ هذا الأصلُ الثابتُ في الكتابِ والسنَّةِ وإجماعِ الأمَّةِ، وَهُو أَنَّ اللهَ- تَعَالَى- ليسَ كَمِثلِهِ شيءٌ في جميعِ نُعُوتِهِ، وَمِن نُعُوتِهِ اللازِمَةِ: العلوُّ المطلَقُ والقُرْبُ العامُّ والخاصُّ، وأنَّ القُرْبَ والعلوَّ في حقِّه يجتمعانِ لِعَظَمَتِهِ وَكِبرِيَائِهِ وَإِحَاطَتِهِ مِن كُلِّ وجهٍ، فَهُوَ العليُّ فِي دُنُوِّه، القريبُ في عُلُوِّه[(١)].

(١) «التنبيهات اللطيفة» «٦٦، ٦٧».

وصفة العلو صفة لازمة لله سبحانه وتعالى لا تنفك عنه، ولا تعارض بين عُلوه وقُربه جل وعلا؛ فهو يقرب من خلقه كيف يشاء.

وَهَكَذَا القولُ فِي أَحَادِيثِ النُّزولِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنيا، فَإِنَّهُ مِن نَوعِ قُرْبِ الرَّبِّ مِن دَاعِيهِ وسائليهِ ومُستغفريهِ.

وقال مالك عن حديث النزول: «ولهذا أمضِ الحديث كما ورد بلا كيف ولا تحديد إلا بما جاءت به الآثار، وبما جاء به الكتاب، قال الله تعالى: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ [النحل: ٧٤]: ينزل كيف شاء بقدرته وعلمه وعظمته، أحاط بكل شيء.

وقال بشر بن السري لحماد بن زيد: ينزل ربنا إلى السماء الدنيا؛ يتحول من مكان إلى مكان؟ فسكت حمَّادٌ، ثم قال: هو مكانه يَقرب من خلقه كيف شاء[(١)].

فمَا ذُكِرَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ -مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِه- لَا يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفوْقِيَّتِهِ، فَإِنَّهُ -سُبْحَانَهُ- لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ، ولا ينبغي أن نسأل عن كيفية ذلك؛ لأن الله قد حجب ذلك عنا.

قالَ ابنُ القيّم رحمه الله: «فَإِنَّ عُلُوَّهُ -سُبْحَانَهُ- عَلَى سَمَاوَاتِهِ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ، فَلَا يَكُونُ قَطُّ إِلَّا عَالِيًا، وَلَا يَكُونُ فَوْقَهُ شَيْءٌ البَتَّة، كَمَا قَالَ أَعْلَمُ الخَلق: «أَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٍ»، وَهُوَ -سُبْحَانَهُ- قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ، عَالٍ فِي قُرْبِهِ، كَمَا فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيّ قَال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّه ﷺ فِي سَفَرٍ فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا بِالتَّكْبِيرِ فَقَال: «أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ».

وَأَخْبَرَ أَنَّهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ، مُطَّلِعٌ عَلَى خَلقِهِ؛ يَرَى أَعْمَالَهُمْ، وَيَعْلَمُ مَا فِي بُطُونِهِمْ، وَهَذَا حَقٌّ لَا يُنَاقِضُ أَحَدُهُمَا الآخَر.

وَالَّذِي يُسَهِّلُ عَلَيْكَ فَهْمَ هَذَا: مَعْرِفَةُ عَظَمَةِ الرَّبِّ، وَإِحَاطَتِهِ بِخَلقِهِ، وَأَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ فِي يَدِهِ كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ العَبْدِ، وَأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ- يَقْبِضُ السَّمَاوَاتِ بِيَدِهِ وَالأَرْضَ بِيَدِهِ الأُخْرَى، ثُمَّ يَهُزُّهُن.

---

(١) انظر «مختصر الصواعق» لابن القيّم «ص ٤٦٨».

فَكَيْفَ يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّ مَنْ هَذَا بَعْضُ عَظَمَتِهِ: أَنْ يَكُونَ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَيَقْرُبُ مِنْ خَلْقِهِ كَيْفَ شَاءَ وَهُوَ عَلَى العَرْشِ»(١).

وقربُ الله من خلقه لا يعني البتة أنه مختلط بهم، فالله عالٍ على خلقه مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه وخلقه بائنون منه، وقُرب الله ليس كمعيته، فالقرب لم يرد إلا خاصًّا.

قالَ ابنُ القيّمِ: «قربُ الربِّ- تَعالى- إِنَّمَا وَرَدَ خَاصًّا لَا عَامًّا، وَهُوَ نوعانِ:

النوع الأول: قُرْبُهُ مِن دَاعِيه بالإجابةِ.

النوع الثاني: وَمِن مُطِيعِهِ بِالإثابةِ.

ولم يَجِئِ القربُ كَمَا جاءَت المعيَّةُ خاصَّةٌ وَعامَّةٌ، فَلَيسَ فِي القرآنِ ولا في السُّنَّةِ أنَّ اللهَ قريبٌ من كُلِّ أَحَدٍ، وَأَنَّهُ قريبٌ مِنَ الكافرِ والفاجرِ، وَإِنَّمَا جاءَ خاصًّا، كَقولِهِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة : ١٨٦] ، فَهَذَا قُربُهُ مِن دَاعِيهِ وسائله بِهِ، وَقَالَ تَعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف : ٥٦]

والأصلُ: أنَّ اللهَ قريبٌ منَ المحسنينَ، وَرَحمتُهُ قريبةٌ منهم، فيكونُ أخبر عن قُرْب ذاتِه وقُرب ثوابِه من المحسنين، واكتفى بالخبر عن أحدهما عن الآخر»(٢).

وقد أُورد على شيخِ الإسلام ابنِ تيميَّة وتلميذِه ابنِ القيّم قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق : ١٦] ، وأن المرادَ بالإنسانِ كلُّ إنسانٍ، وَلِهَذَا قَالَ فِي آخرِ الآيةِ: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق : ٢٢] ، إلى أن قال: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [ق : ٢٤] [ق: ٢٤]، فهو شاملٌ.

وأُورِدَ عليهما- أيضًا- قولُه تَعالَى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ «٨٣» وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ «٨٤» وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٥] ثمَّ قَسَّمَ هؤلاءِ الذينَ بَلَغَت أرواحُهم الحلقومَ إِلَى ثلاثةِ أَقسامٍ، وَمِنهُمُ الكافرُ(٣)، وَأَنَّ هَذِهِ الآياتِ تدلُّ عَلَى أَنَّ

---

(١) «مختصر الصَّواعق» «ص٤٦٠».

(٢) «مختصر الصَّواعق» «٤٥٨-٤٥٩».

(٣) «شرح الواسِطيَّة» لابن عُثيمين «ص٤٦٠- ٤٦١».

قُربَ اللهِ يكونُ عامًّا.

فأجابَ شيخُ الإسلامِ وتلميذُهُ ابنُ القيِّمِ بأنَّ القربَ هنا هوَ قربُ الملائكةِ، معَ إقرارِهِمَا أنَّ طائفةً مِنَ السَّلفِ والخلفِ قالوا: إنَّ المقصودَ بالقربِ قربُ اللهِ بعلمِهِ وإحاطتِهِ وقُدرتِهِ.

قال شيخُ الإسلام: «قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] هُوَ قُرْبُ ذَوَاتِ المَلَائِكَةِ وَقُرْبُ عِلمِ اللَّهِ؛ فَذَاتُهُمْ أَقْرَبُ إِلَى قَلبِ العَبْدِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ؛ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَعْضُهُمْ أَقْرَبَ إِلَى بَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ؛ وَلِهَذَا قَالَ فِي تَمَامِ الآيَةِ: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ «١٧» مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧-١٨] وهذا، كقوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

فقوله: ﴿إِذْ﴾ ظرف، فأخبر أنَّهم: ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] حين يَتَلَقَّى المتلقيان ما يقول: ﴿عن اليمين﴾ قَعِيدٌ، ﴿وعن الشمال قعيد﴾، ثُمَّ قال: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]؛ أي: شاهدٌ لا يُغيب. فهذا كله خبر عن الملائكة»[(١)].

فسياق الآيتين يدلُّ على أنَّ المرادَ هنا: الملائكةُ، فإنَّهُ قَالَ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ «١٦» إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ «١٧» مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٦-١٨]

فقيدُ القربِ بِهَذَا الزَّمَانِ وَهُوَ زَمان تَلَقِّي المتَلَقِّيَين؛ قعيد عنِ اليمينِ، وقعيد عنِ الشِّمالِ، وهما الملَكَانِ الحافظانِ اللذانِ يَكتبانِ، كَمَا قَالَ: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]

ومعلومٌ: أنَّهُ لو كانَ المرادُ قربَ ذاتِ الربِّ لم يختصَّ ذلكَ بهذِهِ الحالِ، ولم يكن لِذِكرِ القَعيدينِ والرَّقيب والعَتيد معنى مناسب.

وَكَذَلِكَ قوله في الآيةِ الأخرى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ «٨٣» وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ «٨٤» وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٥].

فلو أرادَ قربَ ذاتِه لم يخصَّ ذلكَ بهذِهِ الحالِ، ولا قالَ: ﴿وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾، فإنَّ هذا

---

(١) «مجموع الفتاوى» «٥/٢٣٦».

إنَّما يقالُ إذا كانَ هناكَ مَن يجوزُ أَن يُبصرَ في بعضِ الأحوالِ، ولكن نحنُ لا نبصرُهُ، والربُّ- تعالى- لا يراهُ في هذِهِ الحالِ ولا الملائكةِ ولا البَشر.

وأيضًا، فإنه قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾، فأخبرَ عمَّن هُوَ أقربُ إلى المحتضرِ مِنَ النَّاسِ الذينَ عندَهُ في هذِهِ الحالِ[(١)].

المسألة الثانية: دلالة القرآن على علو الله

قد تَنَوَّعَتْ دلالةُ القرآنِ على عُلُوِّ الله على وجوهٍ كثيرةٍ، منها:

١. التَّصْرِيحُ بِالفَوْقِيَّةِ مَقْرُونَةٌ بأداةِ «مِنْ» المعَيِّنَةِ لِفَوْقِيَّةِ الذَّاتِ، نحو ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾[النحل: ٥٠].

٢. التصريح بالفوقيَّة مُجَرَّدَة عن الأداة، كقوله: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام: ١٨].

٣- التَّصْرِيح بالعروج إليه؛ نحو ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ [المعارج:٤].

٤- التصريح بالصُّعود إليه؛ كقوله: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾[فاطر: ١٠].

٥- التَّصريح برفعه بعضَ المخلوقاتِ إليه؛ كقوله: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ [النساء: ١٥٨]، وقوله: ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ [آل عمران: ٥٥].

٦- التَّصريح بالعُلُوِّ المطلقِ الدَّالِّ على جميع مراتب العلو، ذاتًا وقدرًا وشرفًا، كقوله: ﴿وهو العلي العظيم﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وهو العلي الكبير﴾ [سبأ: ٢٣]،﴿إنه علي حكيم﴾[الشورى: ٥١].

٧- التَّصريح بتنزيل الكتاب منه، كقوله: ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ [الزمر: ١]، ﴿تنزيل من حكيم حميد﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿قل نزله روح القدس من ربك﴾ [النحل: ١٠٢]، وهذا يدل على شيئين:

الأول: على أنَّ القرآنَ ظَهَرَ منه لا من غيره، وأَنَّهُ الذي تكلم به، لا غيره.

الثاني: على عُلُوِّهِ على خَلْقِهِ، وأنَّ كلامَه نزل به الرُّوح الأمين من عنده من أعلى مكان

(١) انظر «مختصر الصواعق» لابن القيّم «ص٤٥٧- ٤٥٨».

إلى رسوله.

٨- التَّصريحُ باخْتِصَاصِ بعضِ المخلوقات بأنها عنده، وأنَّ بَعْضَهَا أَقْرَبُ إليه من بعضٍ، كقوله: ﴿إن الذين عند ربك﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، وقوله: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء : ١٩]ففرَّق بين من له عمومًا، ومن عنده من مماليكه وعبيده خصوصًا.

٩- التَّصريح بأنه سبحانه في السَّماء، وهذا عند أَهْلِ السُّنَّة على أحد وجهين:

إما أن تكون «في» بمعنى «على».

وإما أن يراد بالسَّماء العلو، لا يختلفون في ذلك، ولا يجوز حملُ النَّصِّ على غيره.

١٠- التَّصريح بالاستواء مقرونًا بأداة «على» مختصًّا بالعرش، الذي هو أعلى المخلوقات، مصاحبًا في الأكثر لأداة «ثُمَّ» الدَّالَّة على الترتيب والمهلة، وهو بهذا السِّياق صريحٌ في معناه الذي لا يفهم المخاطبون غيره من العُلُوِّ والارتفاع، ولا يحتمل غيره البتَّة.

١١- إخباره سبحانه عن فرعون أنه رَامَ الصُّعُودَ إلى السماء؛ لِيَطَّلِعَ إلى إله موسى، فيُكذبه فيما أخبر به من أنه فوق السماوات؛ فقال: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ «٣٦» أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ [غافر : ٣٦ - ٣٧] فكذَّب فرعونُ موسى في إخباره إيَّاه بأن ربَّه فوق السماء[(١)].

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لله وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾- بيَّن أن الملائكة أقرب إليه من غيرهم من خلقه.

وكذلك قوله: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، إلى غير ذلك من ألفاظ متنوعة ومتعددة تدل دلالة واضحة على أن الله عال على خلقه مُستو على عرشه.

أما دلالة السُّنَّة على العلو، فقد قال شيخ الإسلام: «وأما الأحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين فلا يُحصيها إلا الله تعالى»[(٢)].

---

(١) انظر: «إعلام الموقعين» «٢/٣١٤- ٣١٧».

(٢) «مجموع الفتاوى» «٥/١٦٦».

المسألة الثالثة: دلالات السُّنة على علو الله:

فالسُّنَّةُ قد دلَّت على عُلُوِّ الله بدلالاتها الثلاث: «القولية، والفعلية، والتقريرية».

أما السُّنَّة القولية فمنها:

١- ما رواه أنس رضي الله عنه في حديث الخَوَارِجِ: أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «ألا تَأْمَنُونِي، وأَنا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ؟!»[(١)].

٢- ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله تعالى طَيِّبٌ لا يقبل إلا طَيِّبًا...»، إلى أن قال: «ثم ذكر الرجلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ومَشْرَبُهُ حَرَامٌ ومَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالحَرَامِ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السماء: يا رب، يا رب، فَأَنَّ يُسْتَجَابُ لِذَلِك؟»[(٢)].

٣- ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يَتعاقَبُونَ فيكم ملائكةٌ باللَّيْلِ وملائكةٌ في النهار، ويجتمعون في صلاة الصُّبحِ وصلاةِ العصرِ، ثم يَعْرُجُ الذين باتوا فيكم، فيسألهم الله وهو أعلم بهم: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فيقولون: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»[(٣)].

وأما أدلة السُّنَّة الفِعلية فمنها:

١- ما رواه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه في حديث حَجَّةِ الوَدَاعِ، وفيه: أن رسول الله ﷺ خَطَبَ النَّاسَ، فقال: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا...»، إلى أن قال جابر رضي الله عنه: «فقال بإصبعه السَّبَّابَة يَرْفَعُهَا إلى السَّماء وَيَنْكُتُهَا إلى الناس: اللهم اشْهَدْ، اللهُمَّ اشْهَدْ»[(٤)].

قال العَلَّامة ابن القَيِّم رحمه الله مُعَلِّقًا على هذا الحديث: «ليشهد الجميعُ أن الرَّبَّ الذي

(١) أخرجه البخاري «٤٣٥١» ومسلم «١٠٦٤».

(٢) أخرجه مسلم «١٠١٥».

(٣) أخرجه البخاري «٥٥٥» ومسلم «٦٣٢».

(٤) أخرجه مسلم «١٢١٨».

أرسله ودعا إليه واستشهده هو الذي فوق سماواته على عرشه»[(١)].

٢- ما في الصَّحيحين في رفعه ﷺ يديه إلى السماء قائلًا: «اللهم اسقنا»[(٢)]. وهكذا رفعه يديه في الاستسقاء وغير ذلك.

ومن أدلة السُّنَّة التقريريَّة وأشهرها:

ما رواه معاوية بن الحَكَم السُّلَمِي رضي الله عنه قال: «كانت لي جاريةٌ تَرْعَى غَنَمًا قِبَلَ أُحُدٍ والجوَّانيَّة، فاطَّلَعْتُ ذات يومٍ فإذا بالذئب قد ذهب بشاةٍ مِن غَنَمِهَا، وأنا رجلٌ من بني آدم، آسَفُ كما يَأْسَفُونَ لكني صَكَكْتُهَا، فأتيتُ رسول الله ﷺ فعظَّم ذلك عليَّ، قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: «ائتني بها»، فأتيتُه بها، فقال لها: «أين الله؟». قالت: في السماء، قال: «ومَن أنا؟». قالت: رسول الله، قال: «أَعْتِقها؛ فإنَّها مؤمنة»[(٣)].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «ثم عن السَّلف في ذلك من الأقوال ما لو جُمِعَ لَبَلَغَ مِئِينَ أَوْ أُلُوفًا.

ثُمَّ لَيْسَ في كتاب الله ولا في سُنَّةِ رسوله ﷺ ولا عن أحدٍ من سلف الأمة، لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف- حرفٌ واحدٌ يخالف ذلك لا نَصًّا ولا ظاهرًا، ولم يقل أحد منهم قط: إنَّ الله ليس في السماء، ولا إنه ليس على العرش، ولا إنه بذاته في كل مكان، ولا إن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولا إنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا إنه لا متصل ولا منفصل، ولا إنه لا تجوز الإشارة الحسيَّة إليه بالأصابع ونحوها»[(٤)].

المسألة الرابعة: دلالة الإجماع على علو الله

(١) «إعلام الموقعين» «٢/٣١٦».

(٢) أخرجه البخاري «١٠١٣» ومسلم «٨٩٥».

(٣) أخرجه مسلم «٥٣٧».

(٤) «مجموع الفتاوى» «٥/ ١٥».

وأما دلالة الإجماع: فقد قال شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فالسَّلَفُ والأَئِمَّةُ يقولون: إن الله فوق سماواته مُسْتَوٍ على عرشه بَائِنٌ مِن خَلْقِهِ، كما دَلَّ على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وكما عُلِمَ المبَايَنَةُ والعُلُوُّ بالمعقولِ الصَّريح الموافق للمنقول الصحيح، وكما فَطَرَ اللهُ على ذلك خَلْقَهُ»[(١)].

إجماع السلف من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم منعقد على إثبات علو الله، واستوائه على عرشه، وقد نقل غير واحد من السلف هذا الإجماع عنهم، ومن ذلك ما رواه البيهقي-رحمه الله-«ت: ٤٥٨ هـ» بإسناد صحيح عن الأوزاعي-رحمه الله-«ت: ١٥٧ هـ» أنه قال: "كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله-تعالى-ذكره-فوق عرشه، ونؤمن بما وردت فيه السنة من صفاته".[(٢)]

وقال أبو نصر السجزي-رحمه الله-«ت: ٤٤٤هـ»: "فأئمتنا كسفيان الثوري-رحمه الله-«ت: ١٦١ هـ»، ومالك-رحمه الله-«ت: ١٧٩ هـ»، وسفيان ابن عيينة-رحمه الله-«ت: ١٩٨ هـ»، وحماد بن سلمة-رحمه الله-«ت: ١٦٧ هـ»، وحماد بن زيد-رحمه الله-«ت: ١٧٩ هـ»، وعبد الله بن المبارك-رحمه الله-«ت: ١٨١ هـ»، وفضيل بن عياض-رحمه الله-«ت: ١٨٧ هـ»، وأحمد بن حنبل-رحمه الله-«ت: ٢٤١ هـ»، وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي-رحمه الله-«ت: ٢٣٨ هـ»: متفقون على أن الله-سبحانه-بذاته فوق العرش، وأن علمه بكل مكان، وأنه يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش".[(٣)]

وقال أبو نعيم الأصبهاني-رحمه الله-«ت: ٤٣٠ هـ» في عقيدته المشهورة: "وطريقتنا طريقة السلف المتبعين للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، فما اعتقدوه اعتقدناه، فمما اعتقدوه أن الأحاديث التي تثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في العرش والاستواء عليه يقولون بها، ويثبتونها من غير تكييف ولا تشبيه، وأن الله بائن من خلقه، والخلق بائنون منه، لا يحل فيهم،

---

(١) «مجموع الفتاوى» «٢/٢٩٧».

(٢) "الأسماء والصفات": «ص: ٥١٥».

(٣) "درء تعارض العقل والنقل": «٦/ ٢٥٠».

ولا يمتزج بهم، وهو مستو على عرشه في سمواته من دون أرضه"[(١)]

وكلام السلف من الصحابة والتابعين، من تبعهم في إثبات العلو كثير جدًا ولا يتسع المقام ههنا لذكره، وقد نقل ابن قدامة-رحمه الله-«ت: ٦٢٠ هـ» في كتاب "إثبات صفة العلو"، وكذلك نقل ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ» في الفتوى الحموية وغيرها الكثير من تلك النصوص الواردة عنهم، وبين إجماعهم على إثبات ذلك، [(٢)] وكذلك فعل تلميذه ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ» في كتابه "اجتماع الجيوش الإسلامية"، وكذلك الذهبي-رحمه الله-«ت: ٧٤٨ هـ» في كتابيه "العلو" و"العرش".

المسألة الخامسة: دلالة الفِطْرَةِ على عُلُوِّ الله بذاته:

قال إمام الأئمة محمد بن خزيمة رحمه الله: «باب ذكر البيان أن الله عز وجل في السماء، كما أخبرنا في مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ وعلى لسان نبيه عليه السلام، وكما هو مفهوم في فطرة المسلمين علمائهم وجُهَّالِهِمْ وأَحْرَارِهِمْ وَمَمَالِيكِهِمْ ذُكْرَانِهِمْ وَإِنَاثِهِم بَالِغِيهِم وأَطْفَالِهِم، كل مَن دعا الله جل وعلا فإنه يرفع رأسَه إلى السماء ويمد يدَيْه إلى الله إلى أعلاهُ، لا إلى أسفل»[(٣)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأمَّا كونه عاليًا على مخلوقاته بائنًا منهم، فهذا أمرٌ معلومٌ بالفطرةِ الضروريةِ التي يشترك فيها جميع بني آدم.

وكُلُّ مَن كان بالله أعرفَ وله أَعْبَدَ ودُعَاؤُهُ له أكثرَ وقَلْبُهُ له أَذْكَرَ كان علمُه الضروريُّ بذلك أقوى وأكملَ، فالفطرة مُكَمَّلَةٌ بالفطرة المنزَّلة؛ فإن الفطرةَ تعلم الأمر مُجْمَلًا والشريعة تُفَصِّلُهُ وتُبَيِّنُهُ وتَشْهَدُ بما لا تَسْتَقِلُّ الفطرة به، فهذا هذا، والله أعلم»[(٤)].

فالله تعالى فطر القلوب على إثبات علوه عز جل، ولذلك لما تكلم أبو المعالي الجويني في

---

(١) "درء تعارض العقل والنقل": «٦/ ٢٥٠».

(٢) انظر: "مجموع الفتاوى": «٥/ ٦».

(٣) «التوحيد» «١/ ٢٥٤».

(٤) «مجموع الفتاوى» «٤/ ٤٥».

إنكار صفة العلو؛ وقال على المنبر: كان اللهُ ولا عَرْشَ، فقال له أبو جعفر الهمداني: يا أستاذ دَعْنَا مِن ذكر العرش- يعني لأن ذلك إنما جاء في السَّمْعِ- أَخْبِرْنَا عن هذه الضرورة التي نَجِدُهَا في قلوبنا، فإنه ما قال عارف قَطُّ «يا الله» إلا وَجَدَ مِنْ قَلْبِهِ ضَرُورَةً تَطْلُبُ العُلُوَّ، لا تلتفت يَمْنَةً ولا يَسْرَةً، فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا؟ قال: فلطم أبو المعالي على رأسه، وقال: حَيَّرَنِي الهمذانيُّ، حَيَّرَنِي الهمدانيُّ، ونزل[(١)].

فالله سبحانه وتعالى فطر هذه القلوب على إثبات علوه عز وجل فأنت في كل أحوالك إذا سألت الله اتَّجهت إلى جهة واحدة، وهي جهة العلو، فلا تلتفت يمنة ولا يسرة؛ لأن الله سبحانه وتعالى فطر القلوب على معرفته، ومن ذلك جواب الجارية على النبي ﷺ لما سألها الجارية: «أين الله؟». فقالت: «في السَّماء». فقال ﷺ: «أَعْتِقها؛ فإنَّها مؤمنة»[(٢)].

ومن المعلوم أن الفطرة السليمة قد جبلت على الاعتراف بعلو الله سبحانه وتعالى، ويظهر هذا الأمر عندما يجد الإنسان نفسه مضطراً إلى أن يقصد جهة العلو ولو بالقلب حين الدعاء، وهذا الأمر لا يستطيع الإنسان دفعه عن نفسه فضلاً عن أن يرد على قائله وينكر هذا الأمر عليه.

ومن أجل ذلك لم يجد الجويني -إمام الحرمين-جواباً حين سأله الهمداني محتجاً عليه بها، فقد ذكر محمد بن طاهر المقدسي-رحمه الله-«ت: ٥٠٧ هـ» أن الشيخ أبا جعفر الهمداني-رحمه الله-«ت: ٥٣١ هـ» حضر مجلس الاستاذ أبا المعالي الجويني المعروف بإمام الحرمين-رحمه الله-«ت: ٤٧٨ هـ»، وهو يتكلم في نفي صفة العلو ويقول: "كان الله ولا عرش، وهو الآن على ما كان"، فقال الشيخ أبو جعفر: "يا أستاذ دعنا من ذكر العرش -يعني لأن ذلك إنما جاء في السمع-أخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا، فإنه ما قال عارف قط: يا ألله، إلا وجد من قلبه ضرورة تطلب العلو لا يلتفت يمنه ولا يسره، فكيف تدفع هذه الضرورة

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» «٤/٤٤».

(٢) أخرجه مسلم «٥٣٧»، وقد تقدَّم قريبًا.

على قلوبنا؟

قال: فلطم أبو المعالي على رأسه، وقال: حيرني الهمداني، حيرني الهمداني"[(١)]

وقال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "علو الخالق على المخلوق وأنه فوق العالم، أمر مســـتقر في فطر العباد، معلوم لهم بالضـــرورة، كما اتفق عليه جميع الأمم، إقراراً بذلك، وتصـــديقاً من غير أن يتواطؤوا على ذلك ويتشـــاعروا، وهم يخبرون عن أنفســـهم أنهم يجدون التصديق بذلك في فطرهم.

وكذلك هم عندما يضـــطرون إلى قصـــد الله وإرادته، مثل قصـــده عند الدعاء والمســـألة، يضطرون إلى توجه قلوبهم إلى العلو، فكما أنهم مضطرون إلى أن يوجهوا قلوبهم إلى العلو إليه، لا يجدون في قلوبهم توجهاً إلى جهة أخرى، ولا استواء الجهات كلها عندها وخلو القلب عن قصد جهة من الجهات، بل يجدون قلوبهم مضطرة إلى أن تقصد جهة علوهم دون غيرها من الجهات.

فهذا يتضـــمن بيان اضـــطرارهم إلى قصـــده في العلو وتوجههم عند دعائه إلى العلو، كما يتضمن فطرتهم على الإقرار بأنه في العلو والتصديق بذلك"[(٢)]

المسألة السادسة: دلالة العقل على علو الله

وأَمَّا دَلَالَةُ العَقْلِ على إثبات العُلُوِّ لله، فقد قال العَلَّامة ابن عثيمين رحمه الله، فقال: «وأما العقلُ فقد دَلَّ على وجوب صفة الكمالِ لله تعالى، وتنزيهِه عن النقصِ، والعُلُوُّ صفةُ كمالٍ، والسُّفْلُ نَقْصٌ، فوجب لله تعالى صفة العلو وتنزيهه عن ضده»[(٣)].

وكذلك العلو ثابت بالعقل، ولذلك يقول الإمام أحمد: «يقال للجهمي: إنَّ الله إذا كان معنا بعظمة نفسه. فقل له: هل يغفر الله لكم فيما بينه وبين خلقه؟ فإن قال: نعم. فقد زعم

(١) مجموع الفتاوى «٤/ ٤٤، ٦١»، وشرح العقيدة الطحاوية «ص: ٣٢٥-٣٢٦».

(٢) انظر درء تعارض العقل والنقل «٧/ ٥» بتصرف.

(٣) «القواعد المثْلى» «ص٦٧».

أن الله بائن مِن خلقه، وأن خلقه دونه. وإن قال: لا، كفر. وإذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله حين زعم أنه في كل مكان، ولا يكون في مكان دون مكان. فقل له: أليس كان الله ولا شيء؟ فيقول: نعم. فقل له: حين خلق الشيء خلقه في نفسه، أو خارج عن نفسه؟ فإنه يصير إلى ثلاثة أقاويل لا بد له من واحد منها: إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه، فقد كفر حين زعم أنه خلق الخلق والشياطين وإبليس في نفسه، وإن قال: خلقهم خارجًا من نفسه، ثم دخل فيهم، كان هذا أيضًا كفر، حين زعم أنه دخل في كل مكان وحش وقذر. وإن قال: خلقهم خارجًا من نفسه، ثم لم يدخل فيهم، رجع عن قوله كله أجمع، وهو قول أهل السنة»[(١)].

ونحن نُنَزِّه الله أن يُذكر في الخلاء فضلًا عن أن يكون هو- سبحانه وتعالى- في هذا المكان.

فالله عال على خلقه، مستو على عرشه، بائن من خلقه، وهم بائنون منه.

ومقصود أهل السنة بإثبات صفة العلو: أنه ليس بعد هذا العالم إلا الله.

وإثبات الاستواء جاء في القرآن في سبعة مواضع؛ في ستة مواضع: ﴿ثم استوى على العرش﴾ وفي واحد منها: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾؛ فأخبر باستوائه في هذه المواضع.

وذِكر العرش جاء في واحد وعشرين موضعًا، وهو أكبر مخلوقات الله سبحانه وتعالى، وأثقلها وزنًا وأعظمها خلقًا، وهو- كما يقولون-: سقف الجَنَّة.

فإثبات العلو والاستواء أمرٌ جاءت به النصوص، ولا تعارض بين نصوص العلو والاستواء ونصوص المعية.

أما الأدلة العقلية فهي كثيرة وسأورد ههنا ثلاثة منها:

الدليل الأول: قول الإمام أحمد-رحمه الله-«ت: ٢٤١ هـ»: "إذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله تعالى حين زعم أنه في كل مكان ولا يكون في مكان دون مكان

فقل له: أليس كان الله ولا شيء؟

فسيقول: نعم.

فقل له: حين خلق الشيء هل خلقه في نفسه؟ أم خارجاً عن نفسه؟

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» «١/ ٤٠».

فإنه يصير إلى ثلاثة أقوال:

واحد منها: إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه، كفر حين زعم أنه خلق الجن والشياطين وإبليس في نفسه.

وإن قال: خلقهم خارجا عن نفسـه ثم دخل فيهم، كان هذا أيضًا كفر حين زعم أنه في كل مكان وحش قذر رديء.

وإن قال: خلقهم خارجاً عن نفسه ثم لم يدخل فيهم، رجع عن قوله كله أجمع"[(١)]

الدليل الثاني: قول ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "إن كل من أقر بوجود رب للعالم مدبر له، لزمه الإقرار بمباينته لخلقه وعلوه عليهم.

فمن أقر بالرب، فإما أن يقر بأن له ذاتاً وماهية مخصوصة أو لا؟

فإن لم يقر بذلك، لم يقر بالرب، فإن رباً لا ذات له ولا ماهية له هو والعدم سـواء، وإن أقر بأن له ذاتاً مخصوصة وماهية، فإما أن يقر بتعينها أو يقول إنها غير معينة؟

فإن قيل إنها غير معينة كانت خيالاً في الذهن لا في الخارج، فإنه لا يوجد في الخارج إلا معيناً، لا سيما وتلك الذات أولى من تعيين كل معين فإنه يستحيل وقوع الشركة فيها، وأن يوجد لها نظير، فتعيين ذاته سبحانه واجب.

وإذا أقر بأنها معينة لا كلية، والعالم مشـهود معين لا كلي، لزم قطعاً مباينة أحد المتعينين للآخر، فإنه إذا لم يباينه لم يعقل تميزه عنه وتعينه.

فإن قيل: هو يتعين بكونه لا داخلاً فيه ولا خارجاً عنه.

قيل: هذا -والله أعلم-حقيقة قولكم، وهو عين المحال، وهو تصريح منكم بأنه لا ذات له ولا ماهية تخصه، فإنه لو كان له ماهية يختص بها لكان تعينها لماهيته وذاته المخصوصة، وأنتم إنما جعلتم تعيينه أمراً عدمياً محضاً ونفياً صرفاً وهو كونه لا داخل العالم ولا خارجا عنه، وهذا التعيين لا يقتضي وجوده مما به يصح على العدم المحض.

---

(١) الرد على الزنادقة والجهمية «ص٩٥-٩٦».

وأيضاً فالعدم المحض لا يعين المتعين، فإنه لا شيء وإنما يعينه ذاته المخصوصة وصفاته، فلزم قطعاً من إثبات ذاته تعيين تلك الذات، ومن تعيينها مباينتها للمخلوقات، ومن المباينة العلو عليها لما تقدم من تقريره"[(١)]

الدليل الثالث: أنه قد ثبت بصريح المعقول أن الأمرين المتقابلين إذا كان أحدهما صفة كمال والآخر صفة نقص، فإن الله يوصف بالكمال منهما دون النقص، فلما تقابل الموت والحياة، وصف بالحياة دون الموت، ولما تقابل العلم والجهل، وصف بالعلم دون الجهل، ولما تقابل القدرة والعجز، وصف بالقدرة دون العجز، ولما تقابل المباينة للعالم والمداخلة له، وصف بالمباينة دون المداخلة، وإذا كان مع المباينة لا يخلو إما أن يكون عالياً على العالم أو مسامتا له، وجب أن يوصف بالعلو دون المسامتة، فضلاً عن السفول.

والمنازع يسلم أنه موصوف بعلو المكانة وعلو القهر، وعلو القهر، وعلو المكانة معناه أنه أكمل من العالم، وعلو القهر مضمونة أنه قادر على العالم، فإذا كان مبايناً للعالم كان من تمام علوه أن يكون فوق العالم، ولا محاذياً له ولا سافلا عنه.

ولما كان العلو صفة كمال، وكان ذلك من لوازم ذاته، فلا يكون مع وجود غيره إلا عالياً عليه، ولا يكون قط غير عالٍ عليه"[(٢)]

وبهذه النماذج التي أوردناها عن الأدلة العقلية يتضح لنا مدى دلالة المعقول الصريح على إثبات علو الله ومباينته لخلقه وكذلك مدى مخالفة أقوال المعطلة والحلولية لصريح المعقول وصحيح المنقول.

المسألة السابعة: الفرق بين العلو والاستواء:

١- العُلُوُّ مِن الصِّفَات المعلومة بالسَّمع مع العقل، وأما الاستواء فمن الصفات المعلومة

(١) مختصر الصواعق «١/ ٢٧٩-٢٨٠».

(٢) درء تعارض العقل والنقل «٧/ ٥-٦».

بالسَّمع دون العقل[(١)].

٢- أنَّ العُلُوَّ صفةٌ ذاتيةٌ، والاستواء صفة فعلية؛ فالاستواء علو خاص، خَصَّه الله بالعرش.

أما العلو فإنَّ الله سبحانه وتعالى عالٍ على جميع خلقه بما في ذلك العرش الذي خصه الله سبحانه وتعالى بالاستواء عليه.

ومعنى استوى: علا وارتفع.

لأن استوى إمَّا أن تَرِد مُطلقة وإمَّا أن ترد مقيدة، فإذا أطلقت مثل أن تقول: استوى الطعام، أو استوى النبات، والمعنى: كمل وتم.

وإذا قيدت فإمَّا أن تقيد بإلى أو تقيد بعلى أو تقيد بواو «مع»، فإذا قيدت بإلى فقد جاءت في القرآن- بالنسبة إلى الله سبحانه وتعالى- في موضعين؛ في قوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى الله فسواهن سبع سماوات﴾. وقوله: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾.

وإذا قيدت بإلى فقد قال العلماء في معانيها: إنها بمعنى «عمد وقصد وأقبل وعلا، وصعد»، وهي من لوازم علا.

أما إذا قيدت بعلى فليس لها في لغة العرب إلا معنى واحدًا، وهو علا وارتفع، وآيات الاستواء كلها قُيِّدت بعلى: وهي قوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾، وقوله: ﴿ثم استوى على العرش﴾.

أمَّا إذا قيدت بواو «مع» فهي تعني المساواة مثل أن تقول: استوى الماء والخشب، أو استوى فلان وفلان في النتيجة، فمعناها المساواة.

والعرب لا تعرف من معاني «استوى»: استولى.

فمن فَسَّر استوى بالاستيلاء فليس من لغة العرب في شيء.

المسألة الثامنة: الأقوال في صفة العلو

أولًا: قول أهل السنة والجماعة ومن وافقهم.

يؤمن أهل السنة بعلو الله على خلقه واستوائه على عرشه، وأنه بائن من خلقه وهم بائنون

---

(١) انظر «مجموع الفتاوى» «٤٩/٣»، «١٢٢/٥، ١٥٢، ٢٢٧».

منه.

وقد وافقهم على قولهم في إثبات العلو عامة الصفاتية، كأبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب -رحمه الله- «ت: ٢٤١ هـ» وأتباعه، وأبي العباس القلانسي -رحمه الله- «ت: في العشر الثاني من القرن الرابع هـ»، [(١)] وأبي الحسن الأشعري -رحمه الله- «ت: ٣٢٤ هـ» والمتقدمين من أصحابه.

وهو قول الكرامية ومتقدمي الشيعة الإمامية. [(٢)]

وقد استدل أهل السنة والجماعة على إثبات صفة العلو بالقرآن، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة كما تقدم في المسائل الأولى والثانية والثالثة والرابعة.

ثانيًا: أقوال المخالفين في صفة العلو.

القول الأول: قول المعطلة من الفلاسفة [(٣)]، والجهمية [(٤)]، والمعتزلة [(٥)]، ومتأخري الأشاعرة [(٦)]، والقرامطة الباطنية [(٧)].

وهؤلاء جميعًا ينفون علو الله وارتفاعه فوق خلقه، وكل ذلك تحت دعوى التوحيد والتنزيه ونفي التشبيه، فهم يزعمون أن إثبات العلو لله تعالى فيه إثبات للجهة، والمحايثة، والحد، والحركة، والانتقال، وهذه الأمور على زعمهم تستلزم، الجسمية، والأجسام، حادثة، والله منزه

---

(١) قال عنه ابن عساكر في تبيين كذب المفتري «ص: ٢٩٨»: «أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن خالد القلانسي الرازي، من معاصري أبي الحسن الأشعري رحمه الله لا من تلاميذه، كما قال الأهوازي، وهو من جلة العلماء الكبار الأثبات، واعتقاده موافق لاعتقاده في الإثبات «أي موافق لاعتقاد الأشعري».».

(٢) انظر مجموع الفتاوى «٢/ ٢٩٧»، ونقض تأسيس الجهمية «١/ ١٢٧، «٢/ ١٤».

(٣) النجاة لابن سينا «ص٣٧».

(٤) مجموع الفتاوى «٢/ ٢٩٧-٢٩٨»، «٥/ ١٢٢».

«٣» مجموع الفتاوى «٢/ ٢٩٧-٢٩٨»، «٥/ ١٢٢».

(٦) تأويل مشكل الحديث لابن فورك «ص٦٣»، الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي «ص: ٢٩، ٣٤».

(٧) درء تعارض العقل والنقل «٥/ ١٧٨»، والقرامطة من الباطنية وهم ينتسبون إلى حمدان بن الأشعث الذي كان يلقب بقرمط لقرمطة في خطه أو خَطْوِه، انظر الفرق بين الفرق «ص: ٢٨١، ٢٩٣»، المنتظم لابن الجوزي «٥/ ١١٠، ١١١».

عن الحوادث فمن أجل ذلك نفوا العلو، وأولوا النصـــوص الثابتة فيه بأن المراد بها علو القهر والغلبة.

وقد انقسم الجهمية المعطلة النافون لعلو الله إلى فريقين في هذه المسألة:

الفريق الأول: وهم الذين يقولون إن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوقه ولا تحته ولا هو مباين له ولا محايث له.

وهذا القول هو ما يذهب إليه النظار والمتكلمون من هؤلاء المعطلة، [(١)] وهم بقولهم هذا قد نفوا الوصفين المتقابلين اللذين لا يخلو موجود منهما، وذلك خشية منهم أن يشبهوا، فهم قالوا بهذه المقالة هرباً منهم –على حد زعمهم–من إثبات الجهة والمكان والحيز، لأن فيها كما يدعون تجسيماً وهو تشبيه، فقالوا: يلزمنا في الوجود ما يلزم مثبتي الصفات فنحن نسد الباب بالكلية.

وقد اسـتند أصـحاب هذا القول في قولهم هذا على حجج زعموا أنها عقلية أسـسـوها وابتدعوها وجعلوها مقدمة كل نص، وليس لهؤلاء أي دليل من القرآن أو السـنة على صـحة قولهم هـذا، وفي ذلـك يقول ابن تيميـة–رحمـه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "وجميع أهـل البـدع قـد يتمسكون بنصوص، كالخوارج والشيعة والقدرية والمرجئة وغيرهم إلا الجهمية، فإنهم ليس معهم عن الأنبياء كلمة واحدة توافق ما يقولونه في النفي"[(٢)]. وسـأتي بعد ذكر القول الثاني إلى ذكر بعض تلك الحجج التي زعمها هؤلاء.

الفريق الثاني: وهم الذين يقولون بأن الله بذاته في كل مكان.

وهذا القول هو ما يذهب إليه النجارية [(٣)]، وكثير من الجهمية وبخاصة عبادهم وصوفيتهم

---

(١) الرسالة الأضحوية «نقلا عن مختصر الصواعق ١/ ٢٣٧»، والاقتصاد في الاعتقاد «ص: ٣٤»، تأويل مشكل الحديث «ص: ٦٣-٦٤»، مجموع الفتاوى «٢/ ٢٩٧-٢٩٨، ٥/ ١٢٢-١٢٤»، نقض التأسيس «١/ ٦-٧».

(٢) مجموع الفتاوى «٥/١٢٢».

(٣) هم أتباع حسـين بن محمد بن عبد الله بن النجار، وقد كان أكثر معتزلة الري ومن حولها على مذهبه، وقد نقل الشـهرسـتاني في

=

وعوامهم وأهل المعرفة والتحقيق منهم. [(١)]

ويحتج هؤلاء ببعض الحجج العقلية المزعومة بالإضافة إلى بعض الآيات القرآنية الدالة على المعية والقرب.

وقد يجمع كثير من هؤلاء المعطلة بين القولين، فهو في حالة نظره وبحثه يقول بسلب الوصفين المتقابلين كليهما، فيقول لا هو داخل العالم ولا خارجه.

وفي حالة تعبده و تألهه يقول بأنه في كل مكان ولا يخلو منه شيء. [(٢)]

شبهة المعطلة العقلية:

إن جل ما اعتمد عليه هؤلاء المعطلة من أدلة على نفي صفة العلو وغيرها من الصفات إنما هو عبارة عن حجج عقلية مزعومة ومبتدعة بناها هؤلاء المعطلة على أصول فلسفية كانوا قد تأثروا بها وليس لهؤلاء المعطلة في نفيهم هذا أساس من كتاب الله أو سنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم–.

وقد جعل هؤلاء المعطلة لتلك الحجج حكم الأمر المحكم الذي يجب اتباعه واعتقاد موجبه والتسليم به، وقد بلغ من تقديسهم لها أنهم جعلوها مقدمة على الكتاب والسنة فإذا ورد النص من الكتاب أو السنة عرضوه على تلك الأسس العقلية، فإن وافقها احتجوا به اعتضادا لا اعتمادا، وإن خالفها فهم يحرفون الكلم عن مواضعه فيؤولون نصوص القرآن ويطعنون في نصوص السنة، وكل ذلك تحت دعوى التنزيه والتوحيد ونفي التشبيه.

وقد أفرط هؤلاء المعطلة في هذا الجانب –أي جانب نفي التشبيه–فجعلوا من قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: الآية: ١١] جنة يتترسون بها لنفي علو الله سبحانه فوق

الملل والنحل «١/ ١١٣–١١٤» عن الكعبي قوله: «إن النجار كان يقول: إن الباري بكل مكان وجودا لا معنى العلم والقدرة».

وانظر مقالات الإسلاميين «١/ ١٣٥–١٣٧، ٢٨٣–٢٨٥»، والفرق بين الفرق «ص: ١٢٦–١٢٧»، وأصول الدين للبغدادي «ص: ٣٣٤»، والتبصير في الدين «ص: ١٠١، ١٠٢، ١٠٣».

(١) انظر نقض التأسيس «١/ ٧».

(٢) انظر نقض التأسيس «١/ ٧».

عرشه وتكليمه لرسله وإثبات صفات كماله، وغير ذلك مما أخبر الله به عن نفسه، أو أخبر به رسوله-صلى الله عليه وسلم-، حتى إنه قد آل ببعض هؤلاء المعطلة إلى نفي ذاته خشية التشبيه فقالوا: هو وجود محض لا ماهية له، ونفى آخرون وجوده بالكلية خشية التشبيه - على حد زعمهم-حيث قالوا: يلزمنا في الوجود ما يلزم مثبتي الصفات والكلام والعلو فنحن نسد الباب بالكلية. ((١))

وسوف نتعرض لبعض أسس تلك الشبه العقلية المزعومة التي جعلها هؤلاء المعطلة مستندا لهم في نفي صفة العلو وغيرها من الصفات، ونبين ما فيها من مخالفة لكتاب الله وسنة نبيه محمد-صلى الله عليه وسلم-مع بيان ما في تلك الأسس من تناقض وبخاصة من الناحية العقلية.

ونظراً لتعدد مذاهب المعطلة واختلاف بعضها عن بعض في القول والرأي، فسوف نعرض شبهة كل فرقة من الفرق السابقة الذكر على حدة فنبدأ أولاً بـ:

١. شبهة الفلاسفة ((٢)):

الفلاسفة ينفون صفة العلو وباقي صفات الباري عز وجل -كما سبق وأن ذكرنا-تحت دعوى التوحيد والتنزيه عن مشابهة المخلوقين، فابن سينا «ت: ٤٢٧ هـ» يقول: "إن واجب الوجود بذاته واحد بسيط لا تكثر فيه بوجه من الوجوه فهو ليس بجسم ولا صورة جسم ولا مادة معقولة لصورة معقولة، ولا صورة معقولة في مادة معقولة، ولا له قسمة في الكلم ولا في المبادئ المقومة له، ولا في قول الشارح ولا غير ذلك مما ينافي وحدة واجب الوجود وبساطته المطلقة"((٣))

والمتأمل لهذه العبارات التي أوردها ابن سينا يعرف أنها إنما هي مجرد اصطلاحات

---

(١) مختصر الصواعق «١/ ٢٨٥».

(٢) أقصد بهم الفلاسفة المنتسبين للمسلمين كابن سينا والفارابي.

(٣) النجاة لابن سينا «ص: ٣٧».

اصطلحها هو وأمثاله من الفلاسفة الذين تأثروا بفلسفة اليونان، فجعلوا من تلك العبارات المبتدعة ما أسموه بالتوحيد، وادعوا أن ما تضمنته هو التنزيه، مع أنها في الحقيقة متضمنة لنفي جميع الصفات بما فيها العلو والاستواء، فقوله: "إن واجب الوجود بذاته واحد بسيط لا تكثر فيه بوجه من الوجوه"، يعني به أنه ليس لله تعالى صفة ولا قدر، لأن ذلك على رأيه يستلزم التجسيم والتجزئة والتركيب فيلزم نفيه، لأنه يلزم من ذلك الحدوث والافتقار وذلك ينافي واجب الوجود.

فابن سينا وأمثاله من الفلاسفة يعتمدون في نفي الصفات على حجة التركيب والتي هي: "أنه لو كان له صفة لكان مركباً والمركب يفتقر إلى جزئيه وجزءاه غيره والمفتقر إلى غيره لا يكون واجباً بنفسه"، وهم بهذا الكلام تجدهم قد نفوا صفات الباري جميعها.

ولو توقفنا عند العبارة السابقة وهي قوله: "أن واجب الوجود بذاته واحد بسيط ..."، من أجل بيان ما فيها من مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله-صلى الله عليه وسلم-وحتى مخالفتها للعقل الذي يقدمه هؤلاء على كل شيء.

لوجدنا هذه العبارة هي تفسير للواحد بما لا أصل له في الكتاب أو السنة، بل هو تفسير باطل شرعاً وعقلاً ولغة.

أما في اللغة:

فإن أهل اللغة مطبقون على أن هذا القول ليس هو معنى الواحد في اللغة، إذ القرآن ونحوه من الكلام العربي متطابق على ما هو معلوم بالاضطرار في لغة العرب وسائر اللغات أنهم يصفون كثيراً من المخلوقات بأنه واحد ويكون ذلك جسماً، إذ المخلوقات إما أجسام وإما أعراض عند من يجعلها غيرها أو زائدة عليها.

وإذا كان أهل اللغة متفقين على تسمية الجسم الواحد واحداً، امتنع أن يكون في اللغة معنى الواحد الذي لا ينقسم إذا أريد بذلك أنه ليس بجسم وأنه لا يشار إلى شيء منه دون شيء، ولا يوجد في اللغة اسم الواحد الاعلى ذي صفة ومقدار لقوله تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: الآية: ١]، ومعلوم أن النفس الواحدة المراد بها هنا آدم عليه

السلام، وحواء خلقت من ضلع آدم، فمن جسده خلقت لا من روحه حتى لا يقول القائل: الوحدة هي باعتبار النفس الناطقة التي لا تركيب فيها، وإذا كانت حواء خلقت من جسد آدم، وجسد آدم جسم من الأجسام التي سماها الله نفساً واحدة علم أن الجسم قد يوصف بالوحدة، وأبلغ من ذلك ما ذكره الإمام أحمد وغيره من قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: الآية: ١١]، فإن الوحيد مبالغة في الواحد فإذا وصف البشر الواحد بأنه وحيد في صفة فإنه واحد من باب أولى، ومع هذا فهو جسم من الأجسام.

وأما في العقل:

فإن الواحد الذي وصفوه يقول لهم فيه أكثر العقلاء وأهل الفطر السليمة إنه أمر لا يعقل، ولا له وجود في الخارج، وإنما هو أمر مقدر في الذهن، فليس في الخارج شيء موجود لا يكون له صفات ولا قدر ولا يتميز من شيء عن شيء بحيث يمكن أن يرى ولا يدرك ولا يحاط به وإن سماه المسمى جسماً.

وأما في الشرع:

فنقول إن مقصود المسلمين أن الأسماء المذكورة في القرآن والسنة وكلام المؤمنين المتفق عليه بمدح أو ذم، تعرف مسميات تلك الأسماء حتى يعطوها حقها، ومن المعلوم بالاضطرار أن اسم «الواحد» في كلام الله لم يقصد به سلب الصفات وسلب إدراكه بالحواس ولا نفي الحد والقدر ونحو ذلك من المعاني التي ابتدعها هؤلاء. [(١)].

وأما حجة التركيب التي اعتمد عليها هؤلاء الفلاسفة في نفي الصفات وهي قولهم: "إنه لو كان صفة لكان مركبا والمركب يفتقر إلى جزئية وجزءاه غيره، والمفتقر إلى غيره لا يكون واجباً بنفسه" فهي تتكون من ألفاظ مجملة بمعنى أن كل لفظة منها تحتمل عدة معان فلا بد من توضيح المراد من كل لفظ أولاً حتى يتكلم فيه.

فلفظ "المركب" مثلًا: قد يراد به ما ركبه غيره، أو ما كان مفترقًا فاجتمع، أو ما يقبل

---

(١) انظر: نقض التأسيس «١/ ٤٨٢، ٤٨٤، ٤٨٨».

التفريق، والله منزه عن هذه المعاني باتفاق.

وأما الذات الموصوفة بصفاتها اللازمة لها فإذا سميتم هذا تركيباً كان ذلك اصطلاحًا لكم، وليس هو المفهوم من لفظ المركب ولن تستطيعوا أيها الفلاسفة إقامة الدليل على نفيه.

وأما قولهم: "لكان مركبًا" فإن أرادوا لكان غيره ركبه، أو لكان مجتمعًا بعد افتراقه، أو لكان قابلًا للتفريق. فاللازم باطل فإن الكلام إنما هو في الصفات اللازمة للموصوف الذي يمتنع وجوده بدونها.

وإن أراد بالمركب الموصوف أو ما يشبه ذلك فلِما قالوا إن ذلك يمتنع.

وأما قولهم "والمركب مفتقر إلى غيره" فالجواب عنه: أما المركب بالتفسير الأول فهو مفتقر إلى ما يباينه وهذا ممتنع على الله تعالى.

وأما الموصوف بصفات الكمال اللازمة لذاته الذي سميتموه أنتم مركباً فليس في اتصافه هذا ما يوجب كونه مفتقراً إلى مباين له.

وإن قالوا: هي غيره وهو لا يوجد إلا بها وهذا افتقار إليها، قيل لهم: إن أرادوا بقولهم هي غيره أنها مباينة له فذلك باطل.

وإن أرادوا أنها ليست إياه، قيل لهم: إذا لم تكن الصفة هي الموصوف فأي محذور في هذا.

وإذا قالوا: هو مفتقر إليها، قيل: أتريدون بالافتقار أنه مفتقر إلى فاعل يفعله أو محل يقبله، أم تريدون أنه مستلزم لها فلا يكون موجوداً إلا وهو متصف بها.

أما الثاني فأي محذور فيه، وأما الأول فباطل إذ الصفة اللازمة للموصوف لا يكون فاعلاً لها.([1])

أما قولهم: "أنه لو كان صفة لكان مركباً والمركب مفتقر إلى جزئية"، فهذا القول لا يتم إلا عند من يثبت الجوهر الفرد، أما نفاته فعندهم أن الجسم في نفسه واحد بسيط ليس مركباً من الجواهر المنفردة، وهذه المسألة خلافية قد توقف فيها أذكى المتأخرين من الأشعرية وإمامهم

---

(١) انظر منهاج السنة «١/ ١٨٨-١٩٠»، بتصرف.

أبو المعالي الجويني وكذلك أذكى متأخري المعتزلة أبو الحسين البصري وكذلك الرازي فهي مقدمة ممنوعة لا تصلح دليلًا لوجود النزاع فيها حتى بين الفلاسفة أنفسهم. [(١)]

٢. شبهة المعتزلة:

وأما شبهة المعتزلة التي اعتمدوا عليها في نفي صفات الباري -عز وجل- بما فيها صفة العلو فهي ما تسمى بطريقة الأعراض، ذلك أنهم يزعمون أن الصفات إنما هي أعراض، والأعراض لا تقوم إلا بجسم، والأجسام حادثة، والله منزه عن الحوادث، ومن أجل ذلك كان قول المعتزلة في الله: إنه قديم واحد ليس معه في القدم غيره، فلو قامت به الصفات لكان معه غيره. [(٢)] ولكان جسمًا إذ أن ثبوت الصفات يقتضي كثرة وتعددًا في ذاته ويقتضي أنه جسم وذلك خلاف التوحيد.

فهم يزعمون أن توحيد الله وتنزيهه متوقف على أنه ليس بجسم، وكونه ليس بجسم موقوف على عدم قيام الأعراض والحوادث به التي هي الصفات والأفعال، ونفي ذلك عندهم موقوف على ما يدل عليه حدوث الأجسام، والذي دلهم على حدوث الاجسام أنها لا تخلو من الحوادث، وما لا يخلو عن الحوادث لا يسبقها، وما لا يسبق الحوادث فهو حادث.

ويزعمون أيضاً أن الأجسام لا تخلو من الأعراض، والأعراض لا تبقى زمانين فهي حادثة، فإذا لم تخل الأجسام منها لزم حدوثها.

ويزعمون أيضاً أن الاجسام مركبة من الجواهر المفردة، والمركب مفتقر إلى جزئية وجزءاه غيره، وما افتقر إلى غيره لم يكن إلا حادثًا مخلوقًا، فالأجسام متماثلة فكل ما صح على بعضها صح على جميعها، وقد صح على بعضها التحليل والتركيب والاجتماع والافتراق

---

(١) نقض التأسيس «١/٤٩٥-٤٩٦».

(٢) بالإضافة إلى زعم المعتزلة أن الصفات لا تقوم إلا بأجسام، فهم أيضًا يزعمون أن في إثبات الصفات قول بكثرة وتعدد ذات الله، لأنهم يقولون: "إن من أثبت لله صفة أزلية قديمة فقد أثبت إلهين"، كما اعتقدوا أن الصفات لو شاركته في القدم لشاركته في الألوهية. انظر الملل للشهرستاني «١/ ٤٤-٤٦»، مقالات الإسلاميين «١/ ٢٤٥»، منهاج السنة «٢/ ١٦٩».

فيجب أن يصح على جميعها. [(١)]

والمعتزلة يقولون إننا بهذا الطريق أثبتنا حدوث العالم ونفي كون الصانع جسمًا وإمكان المعاد.

الرد عليهم:

مما تقدم نعلم أن المعتزلة إنما بنوا دليلهم في نفي الصفات على أن القديم لا يكون محلا للصفات والحركات فلا يكون جسمًا ولا محيزًا لأن الصفات أعراض وهم يستدلون على حدوث الجسم بحدوث الأعراض والحركات، وأن الجسم لا يخلو منها، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث.

فهم بهذا القول نفوا صفات الباري وجعلوا نفيها يتوقف عليه ثبوت الصانع وحدوث العالم، فإذا جاء في القرآن والسنة ما يدل على إثبات الصفات لم يمكن القول بموجبه.

والمتدبر لحجج المعتزلة يرى فيها الأمور التالية:

أولاً: أنهم يستدلون لأقوالهم بعبارات مبتدعة وفيها الكثير من الاشتباه والاجمال، وذلك كلفظ العرش والجسم والحيز والمركب وغير ذلك، فهم يتكلمون بالمتشابه من الكلام ليخدعوا به جهال الناس بما يشبهون عليهم، وهذه الألفاظ المجملة تتضمن معاني باطلة ومعاني أخرى صحيحة فهم بهذا ينفون كلا المعنيين الحق والباطل.

وقد بين ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ» ما في هذه الألفاظ من معانٍ، وما تدل عليه من عبارات [(٢)]، وكيف استعملها هؤلاء المعطلة في نفي صفات الباري-عز وجل- حيث ادعوا أن هذه الأمور من مستلزمات الجسمية، والله منزه من ذلك، وقد بين ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ» أن استعمال هذه الألفاظ نفيًا وإثباتًا لم يرد عن السلف ولا جاء به أثر صحيح ولم يستعملها الأقدمون بالمعنى الاصطلاحي الذي اتفق عليه هؤلاء، بل

---

(١) انظر مختصر الصواعق «١/ ٢٥٤».

(٢) انظر شرح ابن تيمية لهذه العبارات في نقض التأسيس الجهمية «١/ ٥٠٤، ٥١١»، وفي مجموع الفتاوى «٥/ ٤١٨-٤٣٠».

جميعهم معترفون بأن العلو صفة كمال كما أن السفل صفة نقص، وما ثبت لله من العلو فهو العلو المناسب لكمال ذاته المنزهة عن اعتبارات المحدثين ومماثلتهم.

ومعلوم أن القول بأن العلو يســـتلزم هذه المعاني المبهمة إنما هو مأخوذ من قياس الغائب على الشاهد، ومحاولة تطبيق الاعتبارات الإنسانية على الصفات الإلهية، وهذا قياس خاطئ إذ ليس معنى كونه في السماء أن السماء تحويه وتحيط به وتحصره، أو هي محل وظرف له، بل هو سبحانه محيط بكل شيء وسع كرسيه السماوات والأرض، وهو فوق كل شيء، وعالٍ على كل شيء. [(١)]

ثانيا: أن ما استدل به المعتزلة لا أصل له من الكتاب أو السنة، بل هو مأخوذ من كلام الفلاسفة الذين يزعمون أن للعالم صانعاً ليس بعالم ولا قادر ولا حي. [(٢)]

كما أن مذهب المعتزلة في الذات قريب من مذهب اليونان القائلين بأن ذات الله واحدة لا كثرة فيها بوجه من الوجوه. [(٣)]

ثالثاً: أن أصــل هذه القاعدة التي اعتمد عليها المعتزلة في نفي الصــفات إنما هي مأخوذة من قولهم في دليل حدوث العالم [(٤)] الذي أثبتوا فيه حدوث العالم بحدوث الأجســـام، وهذا الدليل قد بين الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر: أنه دليل محرم في شرائع الأنبياء، ولم يستدل به أحد من الرسل ولا أتباعهم [(٥)]، فهي بهذا طريق يحرم سلوكها لما فيها من الخطر والتطويل وما يلزم عليها من لوازم باطلة لأنها مستلزمة لنفي الصانع بالكلية، وهي مستلزمة لنفي صفاته ونفي أفعاله ونفي المبدأ والمعاد، فهذه الطريق لا تتم إلا بنفي سمع الرب وبصره وقدرته وحياته

---

(١) انظر كتاب موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من قضية التأويل «ص: ٣٨١-٣٨٥».

(٢) مقالات الإسلاميين «٢/ ١٧٧»، وموقف المعتزلة من السنة النبوية «ص: ٥٣».

(٣) موقف المعتزلة من السنة النبوية «ص: ٥٣».

(٤) انظر الكلام على دليل حدوث العالم في مجموع الفتاوى «١٣/ ١٥٣».

(٥) انظر كتاب رسالة إلى أهل الثغر «ص: ١٦٤-١٧٢» تحقيق عبد الله شاكر الجنيدي، رسالة ماجستير من قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية.

وإرادته وكلامه فضــلًا عن نفي علوه على خلقه ونفي الصــفات الخبرية من أولها إلى آخرها، فلو صـحت هذه الطريقة لنفت الصـانع وأفعاله وصـفاته وكلامه وخلقه للعالم وتدبيره له، وما يثبته أصـــحاب هذه الطريقة من ذلك لا حقيقة له بل هو لفظ لا معنى له، وأن الله بذاته في كل مكان، وقال إخوانهم إنه ليس داخل العالم ولا خارج العالم، وقالوا بخلق القرآن إلى غير ذلك من اللوازم الباطلة. [(١)]

٣. شبه متأخري الأشاعرة:

وهم أيضًـا ينفون صـفة العلو لأنها من الصـفات الخبرية [(٢)]، ومعلوم أن مذهب متأخري الأشـاعرة في الصـفات أنهم يثبتون سبع صـفات فقط وهي ما يسـمونها بصـفات المعاني وهي العلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر والكلام، وهم يثبتون لهذه الصفات أربعة أحكام هي:

١ـــ أن هذه الصفات ليست هي الذات، بل زائدة عليها فصانع العالم عندهم عالم بعلم وحي بحياة وقادر وهكذا.

٢ـــ أن هذه الصفات كلها قائمة بذات الله تعالى ولا يجوز أن يقوم شيء منها بغير ذاته لأن الدليل دل على أنه متصـف بها ولا معنى لاتصـافه بها إلا قيامها بذاته، حتى لو قلنا، إنه عالم كان هو بعينه مفهوم قولنا قام بذاته علم فلا تكون الصـــفة لشـــيء إلا إذا قامت به لا بغيره.

٣ـــ أن هذه الصفات كلها قديمة لأنها إن كانت حادثة كان القديم محلاً للحوادث وهذا محال، أو متصف بصفة لا تقوم به وذلك أظهر استحالة.

٤ـــ أن الأسماء المشتقة لله تعالى من هذه الصفات السبع صادقة عليه أزلًا وأبدًا فهو في

---

(١) مختصر الصواعق «١/ ٢٥٦،٢٥٧»، ودرء تعارض العقل والنقل «١/ ٣٨-٤٠».

(٢) الصـفات الخبرية وتسـمى الصـفات السـمعية وهي: ما كان الدليل عليها مجرد خبر الرسـول دون اسـتناد إلى نظر عقلي كالاسـتواء والنزول والمجيء وغير ذلك.

القدم كان حيًا قادرًا عليمًا سميعًا بصيرًا متكلمًا. [(١)]

فهم على قولهم هذا لا يثبتون سوى هذه الصفات السبع فقط لأنها قديمة.

أما باقي الصفات التي يسمونها الصفات الخبرية فهم ينفونها جميعها، بدعوى تنزيه ذات الله عن الحوادث.

ومتأخرو الأشاعرة هؤلاء وإن كانوا يخالفون المعتزلة في جعلهم الصفة غير الذات كما في الحكم الأول فيثبتون الصفات القديمة من هذا الباب، إلا أنهم قد وافقوا المعتزلة في دليلهم المسمى بدليل نفي الحوادث فنفوا باقي الصفات الأخرى، ذلك لأن قولهم في الحكم الثالث من الأحكام الأربعة التي أوردناها إنها لو كانت حادثة لكان القديم محلا للحوادث، هو بعينه ما استدل به المعتزلة على نفي الصفات. [(٢)]

ويقول متأخرو الأشاعرة في دليلهم العقلي على نفي العلو إن إثبات العلو يقتضي إثبات الجهة وإثبات الجهة، يقتضي كونه جسمًا، وكونه جسمًا يقتضي كونه مركبًا، والمركب مفتقر إلى جزئيه، والمفتقر إلى جزئيه لا يكون إلا حادثًا والله سبحانه منزه عن الحوادث. [(٣)]

فعلى قولهم هذا يكونون هم والمعتزلة على دليل واحد، وقد سبق وأن ذكرنا الرد على المعتزلة فيكون الرد على هؤلاء من جنس الرد على أولئك، ويضاف إلى ذلك أن القول في الصفات التي نفاها هؤلاء هو كالقول في الصفات التي أثبتوها فإن كان هذا تجسيماً وقولا باطلاً فهذا كذلك. وإن قالوا: إن إثباتها على الوجه الذي يليق بالرب. قيل لهم: وكذلك هذا. فإن قالوا: نحن نثبت تلك الصفات وننفي التجسيم. قيل لهم: وهذا كذلك، فليس لكم أن تفرقوا بين المتماثلين. [(٤)]

---

(١) انظر الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي «ص: ٨٤-١٠١»، بتصرف.

(٢) مختصر الصواعق «١/ ٢٥٥».

(٣) نقض التأسيس «١/ ٥٠٣».

(٤) مجموع الفتاوى «١٣/ ١٦٥».

١٠- الخلق ميتون بآجالهم

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: الأدلة على ذلك.

المسألة الثانية: النزاع في المسألة.

[١٠]- قال المصنف رحمه الله: والخلق ميتون بآجالهم عند نفاد أرزاقهم، وانقطاع آثارهم.

الشرح

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: الأدلة على ذلك.

الأجل: هو الوقت المضروب المحدود في المستقبل.[(١)]

فأجل الشـــيء هو نهاية عمره، وعمره مدة بقائه، فالعمر مدة البقاء، والأجل نهاية العمر بالانقضاء.[(٢)]

فالله ســـبحانه قدر آجال الخلائق بحيث إذا جاء أجلهم لا يســـتأخرون ســـاعة ولا يستقدمون، فالمقتول ميت بأجله، فعلم الله تعالى وقدر وقضى أن هذا يموت بسبب القتل، وهذا بسبب المرض، وهذا بسبب الهدم، وهذا بسبب الحرق، وهذا بالغرق، إلى غير ذلك من الأسباب، والله سبحانه خلق الموت والحياة وخلق سبب الموت والحياة.[(٣)]

أولًا: الأدلة على ذلك من القرآن.

١-قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: الآية: ٣٤].

٢-قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: الآية ١٥٤].

---

(١) لسان العرب «١١/ ١١».

(٢) مجموع الفتاوى «٨/ ٥١٦».

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية «ص: ١٠١».

٣-قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: الآية: ٢٢] ،

٤-وقال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[النساء: الآية: ٧٨].

٥-وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: الآية: ١٤٥] ،

٦-وقال تعالى: ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ [الحجر: الآية: ٥].

٧-وقال تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [الواقعة: الآية: ٦٠].

ثانيًا: الأدلة على ذلك من السنة

١-عن أبي أمامة-رضي الله عنه-، أن النبي ﷺ قال: «نفث روح القدس في روعي أن نفسا لن تخرج من الدنيا حتى تستكمل أجلها، وتستوعب رزقها، فأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعصية الله، فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته». ((١))

٢-عن ابن مسعود عن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه مَلَكًا، ويؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد...» الحديث. ((٢))

٣-عن ابن مسعود عن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: «فُرِغ إلى ابنِ آدَمَ مِن

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، رقم الحديث: «٧٦٩٤»، وأبو نعيم في الحلية «١٠/ ٢٦»، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: «٢٠٨٥».

(٢) أخرجه البخاري «٣٢٠٨»، ومسلم «٢٦٤٣» باختلاف يسير.

أربَعٍ مِن الخَلْقِ والخُلُقِ والرِّزْقِ والأجَلِ». ((١))

ثالثًا: أقوال العلماء

قال أبو أحمد محمد بن علي بن محمد الفقيه الكرجي القصـــاب–رحمه الله–«عاش إلى حدود ٣٦٠ هـــ»: "رد على المعتزلة والقدرية فيما يزعمون أن المقتول ميت بغير أجله فقوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْــبُوقِينَ﴾ [الواقعة: الآية: ٦٠] حجة عليهم فيما يرون المقتول ميتًا بغير أجله، وهو جهل بين". ((٢))

وقال الإمام الحافظ أبو بكر الإسماعيلي–رحمه الله–«ت: ٣٧١ هـ»: "ويقولون [يعني أهل السـنة] إن الله–عز وجل–أجل لكل حي مخلوق أجلًا هو بالغه، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، وإن مات أو قتل فهو عند انتهاء أجله المسمى له، كما قال الله–عز وجل–: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: الآية: ١٥٤]". ((٣))

قال جمال الدين أبو المظفر يوسف بن محمد بن مسعود السرمري–رحمه الله–«ت: ٧٧٦ هـ»: "مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة: "وكل من مات بمرض أو غرق أو جرف أو هدم أو قتل أو في وباء أو بطاعون أو غير ذلك من أسباب الهلاك، فإنما يموت بأجله، لم يكن ليتأخر عن أجله ولا ليتقدم قبل أجله، والدليل عليه الكتاب والسنة". ((٤))

المسألة الثانية: النزاع في المسألة

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط «٧٣٢٥»، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» «١/ ١٧٩»، والقضاعي في «مسند الشهاب» «٦٠١»، والخطيب في «الموضح» «١/ ٤٧٨» مطولًا باختلاف يسير.

(٢) نُكَت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام «٤/ ٢١٣».

(٣) اعتقاد أئمة أهل الحديث للإسماعيلي «ص: ٧٧».

(٤) كتاب فيه ذكر الوباء والطاعون، «ص: ٧٩ – ٨٤».

وقع النزاع بين أهل السـنة وأهل البدع في هذه المسـألة امتدادا للنزاع في أفعال المخلوقين، واختلفوا بالجواب عن مسـائلها، وهي: إذا كان الله قد قدر لعبد من عباده أجلًا ما فقتل قبل غاية أجله، فهل كانت حياته تمتد به حتى أجلها لو لم يقتل؟ بمعنى هل القاتل خرم على المقتول حياته ولولا القتل لعاش أجله؟ وهل صـحيح لو صـبر القاتل على المقتول لمات لوحده؟.

فقال بعض المعتزلة[(١)]: إنه كان يعيش، وأن المقتول مقطوع عليه أجله، وقالوا: لو كان المقتول قتل بأجله فأين الظلم ممن قد اسـتوفى كل أجله وفنيت حياته، وقال بعض نفاة الأسباب من الجبرية: إنه يموت وجزموا في ذلك [(٢)]، وكلاهما خطأ.

قال أبو الحسن الأشعري: "القول في الآجال: اختلفت المعتزلة في ذلك على قولين:

فقال أكثر المعتزلة: الأجل هو الوقت الذي في معلوم الله سبحانه أن الإنسان يموت فيه أو يقتل فإذا قتل قتل بأجله وإذا مات مات بأجله.

وشـذ قوم من جهالهم: فزعموا أن الوقت الذي في معلوم الله سـبحانه أن الإنسـان لو لم يقتل لبقي إليه هو أجله دون الوقت الذي قتل فيه.

واختلف الذين زعموا أن الأجل هو الوقت الذي في معلوم الله سبحانه أن الإنسان يموت فيه أو يقتل في المقتول الذي لو لم يقتل هل كان يموت أم لا على ثلاثة أقاويل:

فقال بعضهم: إن الرجل لو لم يقتل مات في ذلك الوقت، وهذا قول أبي الهذيل.

وقال بعضهم: يجوز لو لم يقتله القاتل أن يموت ويجوز أن يعيش،

وأحال منهم محيلون هذا القول". [(٣)]

---

(١) قال الزركشي "وذهب الباقون من المعتزلة [فيما عدا الجبائي وابنه] إلى أن القاتل قطع أجله المضروب له، وأنه مات بغير أجله". انظر: تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي «٤/ ٧٧٤».

(٢) انظر: مجموع الفتاوى «٨/ ٥١٧».

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين «ص: ٢٥٦-٢٥٧».

الإجابة على قولهم:

فقد سـئل ابن تيمية–رحمه الله–عن المقتول: هل مات بأجله؟ أم قطع القاتل أجله؟ فأجاب: "المقتول كغيره من الموتى لا يموت أحد قبل أجله ولا يتأخر أحد عن أجله. بل سائر الحيوان والأشجار لها آجال لا تتقدم ولا تتأخر. فإن أجل الشيء هو نهاية عمره وعمره مدة بقائه فالعمر مدة البقاء والأجل نهاية العمر بالانقضاء. وقد ثبت في صحيح مسلم وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء» [(١)] وثبت في صحيح البخاري أن النبي–صلى الله عليه وسلم–، قال: «كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض» – وفي لفظ – «ثم خلق السموات والأرض». [(٢)] وقد قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: الآية: ٣٤].

والله يعلم ما كان قبل أن يكون؛ وقد كتب ذلك فهو يعلم أن هذا يموت بالبطن أو ذات الجنب أو الهدم أو الغرق أو غير ذلك من الأسباب وهذا يموت مقتولا: إما بالسم وإما بالسيف وإما بالحجر وإما بغير ذلك من أسباب القتل. وعلم الله بذلك وكتابته له بل مشيئته لكل شيء وخلقه لكل شيء لا يمنع المدح والذم والثواب والعقاب؛ بل القاتل: إن قتل قتيلا أمر الله به ورسوله كالمجاهد في سبيل الله أثابه الله على ذلك وإن قتل قتيلا حرمه الله ورسوله كقتل القطاع والمعتدين عاقبه الله على ذلك وإن قتل قتيلا مباحا – كقتيل المقتص – لم يثب ولم يعاقب إلا أن يكون له نية حسنة أو سيئة في أحدهما.

والأجل أجلان " أجل مطلق " يعلمه الله " وأجل مقيد " وبهذا يتبين معنى قوله صلى الله

---

(١) أخرجه مسلم «٢٦٥٣».

(٢) أخرجه البخاري «٧٤١٨».

عليه وسلم «من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه». [(١)] فإن الله أمر الملك أن يكتب له أجلا وقال: " إن وصل رحمه زدته كذا وكذا " والملك لا يعلم أيزداد أم لا؛ لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر فإذا جاء ذلك لا يتقدم ولا يتأخر. ولو لم يقتل المقتول فقد قال بعض القدرية: إنه كان يعيش وقال بعض نفاة الأسباب: إنه يموت وكلاهما خطأ؛ فإن الله علم أنه يموت بالقتل فإذا قدر خلاف معلومه كان تقديرا لما لا يكون لو كان كيف كان يكون وهذا قد يعلمه بعض الناس وقد لا يعلمه فلو فرضنا أن الله علم أنه لا يقتل أمكن أن يكون قدر موته في هذا الوقت وأمكن أن يكون قدر حياته إلى وقت آخر فالجزم بأحد هذين على التقدير الذي لا يكون جهل. وهذا كمن قال: لو لم يأكل هذا ما قدر له من الرزق كأن يموت أو يرزق شيئا آخر وبمنزلة من قال: لو لم يحبل هذا الرجل هذه المرأة هل تكون عقيما أو يحبلها رجل آخر ولو لم تزدرع هذه الأرض هل كان يزدرعها غيره أم كانت تكون مواتا لا يزرع فيها وهذا الذي تعلم القرآن من هذا لو لم يعلمه: هل كان يتعلم من غيره؟ أم لم يكن يتعلم القرآن ألبتة ومثل هذا كثير". [(٢)]

وأما القاتل إن كان قتل بغير حق فإنه ظالم لتعديه على الحكم الشرعي.

وأما قول نفاة الأسباب من الجبرية: "لو صبر القاتل على المقتول لمات وحده" فغير صحيح، والصواب عدم القطع، والحكم بالإمكان والجواز.

---

(١) أخرجه البخاري «٢٠٦٧» ومسلم «٢٥٥٧».

(٢) مجموع الفتاوى «٨/ ٥١٦-٥١٨».



١١- فتنة القبر

المسألة الأولى: فتنة القبر.

المسألة الثانية: الأدلة على إثبات عذاب القبر ونعيمه.

المسألة الثالثة: عذاب القبر ونعيمه يقع على الجسد والروح معًا.

المسألة الرابعة: المنكرون لعذاب القبر.



[١١]- قال المصنف رحمه الله: ثم هم بعد الضغطة في القبور مساءلون.

الشرح

المسألة الأولى: فتنة القبر:

ذكر المصنف رحمه الله هنا الإيمان بالدار الآخرة، وتبدأ بأول منازلها بخروج الروح من الجسد، ثم ما يكون في القبر من فتنة، وأحوال الناس فيها بين مُثَبَّت ومُضَل، وما يترتب على هذه الفتنة من نعيم أو عذاب.

فقال شَيخُ الإِسلَامِ رحمه الله: «وَمِنَ الإِيمَانِ بِاليَومِ الآخرِ: الإيمان بِكُلِّ مَا أَخبَرَ بِهِ النَّبيُّ ﷺ مِمَّا يَكونُ بَعدَ الموتِ؛ فَيُؤمِنُونَ بِفِتنَةِ القَبرِ، وَبِعَذَابِ القَبرِ وَنَعِيمِهِ».

واليوم الآخر سُمِّي كذلك؛ لتأخُّرِهِ عَنِ الدُّنيا. وَقِيلَ: لأَنَّهُ لا يومَ بَعدَهُ، فَهُوَ آخرُ المراحِلِ، وسينقسم الناس فيه إلى فريقين؛ فريق في الجنة وفريق في السعير.

وقد اتَّفَقَت جَمِيعُ الشَّرائع السَّمَاوِيَّةِ على الإيمان باليوم الآخر؛ قَالَ الله جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة : ٦٢]

وهذا مما يؤيده العَقلُ السَّليمُ والفِطرَةُ السَّويةُ؛ إذ ما خلق الله هذا الخلق عبثًا، وهو سبحانه وتعالى لن يتركهم هملًا بلا حساب على ما اقترفوه في هذا الحياة، بل من مقتضى عدله جل وعلا أن يجمع الأَوَّلين والآخرين للحساب والعرض، والقصاص من الظالم للمظلوم؛ قال جل جلاله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦]، وقال جل وعلا: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الانبياء: ٤٧].

والإنسانُ بمجرد موتِه يدخل في اليومِ الآخرِ بالنِّسبة له، وَلِهَذَا يُقَالُ: مَن مَاتَ قَامَت قِيَامَتُهُ.

ويبدأ العبد يعاين مصيره من ساعة الاحتضار، كما في حديث البَرَاءِ بن عَازِبٍ رضي الله عنه أنَّه قال: «كُنَّا فِي جنازة فِي بَقِيع الغَرْقَد، فَأَتَانَا النَّبِيُّ ﷺ، فَقعَدَ وقَعَدْنا حوله، كَأَنَّ على

رُءوسنا الطَّير، وَهُوَ يُلحَدُ لَهُ، فَقَالَ: «أعوذُ بِاللَّه من عَذَاب القَبْر»؛ ثَلَاث مَرَّات، ثمَّ قَالَ: «إنَّ العَبْدَ المؤمن إذا كَانَ فِي إقبالٍ من الآخِرَة وَانْقِطَاعٍ من الدُّنْيَا نزلت إِلَيْهِ مَلَائِكَة كَأَنَّ وُجُوهَهم الشَّمْسُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ البَصَر، ثمَّ يَجِيء مَلَكُ الموْت حَتَّى يجلس عِنْد رَأسه، فَيَقُول: أَيَّتُها النَّفْسُ الطَّيِّبَة، اخرجي إِلَى مَغْفرَة من الله ورضوان، قَالَ: فَتخرج تَسِيلُ كَمَا تسيلُ القَطرة من فِيّ السِّقاء، فيأخذها، فَإِذا أَخذهَا لم يَدَعُوها فِي يَدِه طَرْفَة عينٍ حَتَّى يأخذوها، فَيَجعلوها فِي ذَلِك الكَفَنِ وَذَلِكَ الحَنُوطِ، وَيَخرج مِنْهَا كأطيب نَفْحَة مِسْكٍ وُجِدت على وَجهِ الأَرْض، قَالَ: فَيَصْعَدُون بهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بهَا- يعْني: على مَلأٍ من المَلَائِكَة- إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوح الطَّيِّب؟ فَيَقُولُونَ: فلَان ابْن فلَان، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونه فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهوا بهَا إِلَى السَّمَاء الدُّنْيَا، فيَستفتحون لَهُ؛ فيفتح لَهُ، فَيُشَيِّعه من كلِّ سَمَاء مُقَرَّبوها إِلَى السَّمَاء الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يَنْتَهِي بهَا إِلَى السَّمَاء الَّتِي فِيهَا اللهُ تَعَالَى، فَيَقُول اللهُ عز وجل: اكْتُبُوا كِتَاب عَبْدِي فِي عِلِّيين، وأَعِيدُوه إِلَى الأَرْض؛ فإِنِي مِنْهَا خَلَقْتُهمْ، وفيهَا أُعِيدُهم، وَمنها أُخْرِجُهم تَارَة أُخْرَى. قَالَ: فَتُعاد رُوحُه فِي جسده، فيَأتيه مَلَكَان فيُجلسانه، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّك؟ فَيَقُول: رَبِّيَ الله. فَيَقُولُونَ لَهُ: مَا دينُك؟ فَيَقُول: ديني الإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرجلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُم؟ فَيَقُول: هُوَ رَسُولُ الله ﷺ. فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُك بِهَذَا؟ فَيَقُول: قَرَأتُ كِتَابَ الله؛ فآمنتُ بِهِ وصَدَّقْتُ. فيُنادي مُنَاد من السَّمَاء: أَن صَدَقَ عَبْدي. فَأَفْرِشُوه من الجنَّة، وافتحوا لَهُ بَابًا من الجنَّة. قَالَ: فيَأتيه من رِيحِهَا وطِيبِها، ويُفْسَح لَهُ فِي قَبرِه مَدَّ بَصَرِه. قَالَ: ويأتيه رجلٌ حَسَنُ الوَجْه، حَسَنُ الثِّيَاب، طَيِّبُ الرِّيح؛ فَيَقُول: أَبْشِر بِالَّذِي يَسُرُّك؛ هَذَا يَوْمُك الَّذِي كنت تُوعد. فَيَقُول لَهُ: مَن أَنْتَ؟ فَوَجْهُك الوَجْهُ الَّذِي يَجِيء بِالخَير! فَيَقُول: أَنا عَمَلكُ الصَّالح. فَيَقُول: رَبِّ أقِمِ السَّاعَة حَتَّى أَرْجِع إِلَى أَهلِي وَمَالِي.

قَالَ: وَإِنَّ العَبْدَ الكَافِر إذا كَانَ فِي انْقِطَاع من الدُّنْيَا وإقبال من الآخِرَة، نَزَل إِلَيْهِ من السَّمَاء مَلَائِكَة سُود الوُجُوه مَعَهم المسُوح؛ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ البَصَر، ثمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الموْت حَتَّى يَجلس عِنْد رَأسه، فَيَقُول: أَيَّتُها النَّفس الخبيثة اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ من الله وَغَضبٍ، قَالَ: فتتفرق فِي جَسده، فينتزعها كَمَا يُنتَزعُ السَّفُّود من الصُّوف المبلول، فيأخذها، فَإِذا أَخذهَا لم يَدَعُوها فِي يَدِه طَرْفَة عَين حَتَّى يَجعلوها فِي تِلكَ المسُوح، وَيخرج مِنْهَا كأنتنِ رِيح جِيفة وُجِدت على وَجهِ الأرض، فيَصعدون بهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بهَا على مَلأٍ من المَلَائِكَة إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرِّيحُ الخَبيثُ؟

فَيَقُولُونَ: فلَان ابْن فلَان، بأقبح أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهِي بِهِ إِلَى السَّمَاء الدُّنْيَا؛ فيُستفتح لَهُ فَلَا يُفتح، ثمَّ قَرَأَ رَسُولُ الله ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ «٤٠»﴾ [الأعراف : ٤٠]؛ فَيقُول اللهُ عز وجل: اكْتُبوا كِتَابَه فِي سِجِّين فِي الأَرْض السُّفْلى. فَتُطرح رُوحه طَرْحًا، ثمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ «٣١»﴾ [الحج : ٣١]، فتُعاد رُوحه فِي جَسَدِه، ويأتيه مَلَكَان، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَن رَبُّك؟ فَيَقُول: هاه هاه، لَا أدري! فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الذي بُعِثَ فِيكُم؟ فَيَقُول: هاه هاه، لَا أدري! فيُنادي مُنَاد من السَّمَاء: أَن كَذَبَ عَبدِي؛ فَأَفْرِشُوه من النَّار، وافتحوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّار؛ فيَأتيه من حَرِّهَا وسَمُومها، ويُضَيَّق عَلَيْهِ قَبرُه حَتَّى تَخْتَلف فِيهِ أضلاعُه، ويأتيه رجلٌ قَبيحُ الوَجْه، قَبيحُ الثِّيَاب، مُنْتن الرِّيح، فَيَقُول: أَبْشِر بِالَّذِي يسوؤك! هَذَا يَوْمُك الَّذِي كنت تُوعد. فَيَقُول: من أَنْتَ؟ فَوَجْهُك الوَجْهُ الَّذِي يَجِيء بِالشَّرِّ. فَيَقُول: أَنا عَمَلُك الخَبِيثُ. فَيَقُول: رَبِّ لَا تُقِم السَّاعَةَ»(([١])).

قَالَ شَيخُ الإِسلامِ ابن تيميَّة رحمه الله: «وَأَمَّا الفِتْنَةُ فِي القُبُورِ فَهِيَ الِامْتِحَانُ وَالِاخْتِبَارُ لِلمَيِّتِ حِينَ يَسْأَلُهُ الملَكَانِ»(([٢])).

وقَد رَوَت أَسمَاءُ بِنت أَبِي بَكر رضي الله عنها أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ قَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي القُبُورِ قَرِيبًا، أَوْ مِثْل فِتْنَةِ المسِيحِ الدَّجَّالِ»(([٣])).

وعن عثمانَ بن عفَّان رضي الله عنه قالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرغَ مِن دَفنِ الميتِ وَقَفَ عليهِ، فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ؛ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ»(([٤])).

وَعَن أَبِي هُريرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسولُ اللهِ ﷺ يدعُو: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» «٤/ ٢٨٧» «١٨٥٥٧»، وأبو داود «٤٧٥٣»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع » «١٦٧٦».

(٢) «مجموع الفتاوى» «٤/٢٥٧».

(٣) أخرجه البخاري «١٨٤» ومسلم «٩٠٥».

(٤) أخرجه أبو داود «٣٢٢١»، والحاكم في «المستدرك» «١/ ٥٢٦» «١٣٧٢»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» «٣٥١١».

عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المحْيَا وَالممَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المسِيحِ الدَّجَّالِ»((١)).

وعن البراءِ بنِ عَازب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «إِنَّ العَبدَ المؤمِنَ فِي قَبْرِهِ تُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ؛ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِث فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ؛ فَآمَنْتُ بِهِ، وَصَدَّقْتُ به...».

إِلَى أَن قَالَ فِي العَبدِ الكَافِرِ: «فتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاه هَاه، لَا أَدْرِي! فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاه هَاهْ، لَا أَدْرِي! فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِث فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاه هَاه، لَا أَدْرِي»((٢)).

وَغَيرِ ذَلِكَ مِنَ الأَحَادِيثِ التي بَلَغَت مَبلَغَ التَّوَاتُرِ.

قَالَ شَيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّة رحمه الله: «وَقَدْ تَوَاتَرَت الأَحَادِيثُ عَن النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذِهِ الفِتْنَةِ مِنْ حَدِيثِ البَراءِ بْنِ عَازِبٍ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَغَيْرِهِمْ رضي الله عنهم»((٣)).

وَقوله: «مَنْ رَبُّك؟ وَمَا دِينُك؟ وَمَنْ نَبِيُّك؟»- هَذِهِ الأسئلة الثلاثة التِي تُوَجَّهُ للمَيّت فِي قَبرِهِ؛ قال العلَّامةُ ابنُ عُثَيمين رحمه الله: «يَعنِي: مَن رَبُّكَ الذِي خَلَقَكَ وَتعبدُهُ وَتَخصُّهُ بِالعِبَادَةِ؟ لِأَجلِ أَن تَنتَظِمَ هَذِهِ الكَلمةُ توحيد الربوبيَّةِ، وَتوحيد الألوهيَّةِ.

و«المرتاب»: الشَّاكُّ والمنافقُ وشبههمَا، «فَيَقُولُ: هَاه هَاه؛ لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ»، يعني: لم يَلجِ الإيمانُ قلبَهُ، وإنَّمَا كانَ يقولُ كما يقولُ النَّاسُ مِن غيرِ أن يَصِلَ الإيمانُ إلى قلبِهِ.

وَتَأَمَّل قولَهُ: «هاه هاه» كأنَّ شيئًا غَابَ عنهُ يريدُ أن يَتذكرَه، وَهَذا أشدُّ فِي التَّحَسُّرِ أن يتخيَّلَ أنَّهُ يَعْرِفُ الجوابَ، ولكن يُحالُ بينهُ وبينهُ، ويقولُ: «هاه هاه»، ثمَّ يقولُ: «سمعتُ الناسَ يقولونَ شيئًا فقلتُهُ»، وَلَا يقولُ: رَبِّيَ الله، وَلَا ديني الإسلام، وَلَا نَبِيّ محمَّد؛ لأَنَّهُ فِي الدُّنيا مُرتابٌ

---

(١) أخرجه البخاري «١٣٧٧» ومسلم «٥٨٨».

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» «٤/ ٢٨٧» «١٨٥٥٧»، وأبو داود «٤٧٥٣»، وصححه الألباني في «المشكاة» «١٦٣٠».

(٣) «مجموع الفتاوى» «٤/٢٥٧».

شاكٌّ.

هذا إِذَا سُئِلَ فِي قَبرِهِ وَصَارَ أحوج مَا يكونُ إِلَى الجَوَابِ الصَّوَابِ يَعجزُ، وَيَقولُ: «لَا أدري سَمِعتُ النَّاسَ يقولونَ شَيئًا فقلتُهُ».

إذًا؛ إيمانُه قولٌ فَقَط»[(١)].

وقولُ شيخِ الإسلامِ رحمه الله: «فَيُضرِبُ بِمرزَبَّةٍ مِن حديدٍ؛ فيصيحَ صحيةً يسمعهَا كُلُّ شيءٍ إلَّا الإنسان، وَلَو سَمِعَها لصعقَ»- يُشير إلى حديث أنس رضي الله عنه، وفيه: «وأَمَّا المنافق والكافر فيُقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنتُ أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ، ويُضرب بمطارقَ من حديد ضربةً؛ فيَصِيحُ صَيحةً يَسْمَعُهَا مَن يَلِيهِ غَيرَ الثَّقَلينِ»[(٢)]، والثَّقلان: هُم الإنسُ والجنُّ.

قالَ ابنُ عُثَيمين رحمه الله: «فيُضرب»: يَعني الذِي لم يُجِب، سواء كانَ الكافرَ أو المنافقَ، والضارب لَهُ المَلَكَانِ اللذانِ يَسألانِهِ.

والمرزبَّةُ: هِيَ مِطرقةٌ مِن حَدِيدٍ، وَقَد وَرَدَ فِي بعضِ الرواياتِ: أَنَّهُ لَوِ اجتَمَعَ عَلَيهَا أَهلُ مِنى مَا أَقَلُّوها، فَإِذَا ضُرِب يَصيح صيحةً يَسمعها كلُّ شيء إلا الإنسان، أي: صِياحًا مَسموعًا يَسمعه كلُّ شيء يكون حوله مِمَّا يسمع صوته، وليس كلُّ شيء في أقطار الدُّنيا يَسمعه، وأحيانًا يتأثر به ما يسمعه كما مَرَّ النَّبيُّ ﷺ بِأَقْبُرٍ للمُشركين على بَغْلَتِه، فَحَادت به حتى كادت تُلقيه؛ لأنَّها سَمِعت أصواتَهم يُعَذَّبون.

قوله: «إلا الإنسان»، وقد سبق أنَّ في الحديث إلا الثَّقلين. يعني: أنه لا يَسمع هذا الصِّياح، وذلك لحكمٍ عظيمة منها:

أولًا: ما أشار إليه النَّبيُّ ﷺ بقوله: «لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ عَذَابَ القَبْرِ»[(٣)].

ثانيًا: أنَّ في إخفاء ذلك سترًا للميت.

---

(١) انظر: «شرح الواسطِيَّة» «ص٤٨٠- ٤٨٢».

(٢) أخرجه البخاري «١٣٧٤» من حديث أنس **رضي الله عنه**.

(٣) أخرجه مسلم «٢٨٦٨» من حديث أنس **رضي الله عنه**.

ثالثًا: أنَّ فيه عدم إزعاج لأهله؛ لأنَّ أهلَه إذا سَمعوا مَيِّتَهم يُعَذَّب ويَصيح لم يَسْتَقِرَّ لهم قَرَارٌ.

رابعًا: عدم تَخْجِيل أهله؛ لأنَّ النَّاس يقولون: هذا ولدُكم، هذا أبوكم، هذا أخوكم، وما أشبه ذلك.

خامسًا: أننا قد نَهْلِك؛ لأنَّها صيحة ليست هينة، بل صيحة قد تُوجب أن تسقط القلوب من مَعاليقها، فيموت الإنسان، أو يُغشى عليه.

سادسًا: لو سَمِع النَّاسُ صُرَاخ هؤلاء المعَذَّبين لكان الإيمانُ بعذاب القبر من باب الإيمان بالشهادة لا من باب الإيمان بالغيب، وحينئذ تَفُوت مصلحة الامتحان؛ لأنَّ النَّاس سوف يُؤمنون بما شاهدوه قطعًا، لكن إذا كان غائبًا عنهم ولم يعلموا به إلَّا عن طريق الخبر صار من باب الإيمان بالغيب»[(١)].

المسألة الثانية: الأدلة على إثبات عذاب القبر ونعيمه:

وقد دلَّ على سؤال القبر وما يكون فيه من نَعيم أو عذاب- بعض الآيات والسُّنَّة المتواترة وكذلك إجماع أهل السُّنَّة والجَمَاعَة.

أمَّا دلالة القرآن؛ فمنها:

قوله تعالى في قصة آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر : ٤٦]

قال الحافظ ابن كثير: «وهذه الآية أصلٌ كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور»[(٢)].

وقال العلامة الفوزان: «هذا في البرزخ قبل الآخرة؛ يُعرضون على النَّار صباحًا ومساء إلى أن تقوم الساعة، وهذا دليلٌ على عذاب القبر، والعياذ بالله، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] هذه ثلاثة عقوبات:

الأولى: أنَّ الله أغرقهم ومحاهم عن آخرهم في لحظة واحدة.

---

(١) «شرح الواسِطيَّة» «ص٤٨٢، ٤٨٣».

(٢) «تفسير ابن كثير» «٧/ ١٤٦».

الثاني: أنَّهم يُعَذَّبون في البرزخ إلى أن تقوم الساعة.

الثَّالثة: أنهم إذا بعثوا يوم القيامة يدخلون أشد العذاب، والعياذ بالله»[(١)].

ومنها: قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة : ١٠١]

قال ابنُ تيميَّة: «قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِن العُلَمَاءِ: المَرَّةُ الأُولَى فِي الدُّنْيَا، وَالثَّانِيَةُ فِي البَرْزَخِ، ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ فِي الآخِرَةِ»[(٢)].

ومنها: وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾.

وهذا خطابٌ لهم عند المَوت، وقد أخبر الملائكة - وهم الصادقون - أنَّهم حينئذ يُجزون عذاب الهون، ولو تأخَّر عنهم ذلك إلى انقضاء الدنيا؛ لما صَحَّ أن يقال لهم: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾؛ فدل على أنَّ المراد به عذاب القبر[(٣)].

وأمَّا السُّنَّة: فإنها متواترةٌ في ذلك، كما قال الحافظُ ابنُ رَجَب رحمه الله: «وقد تَوَاتَرَت الأحاديثُ في عذاب القبر»[(٤)].

وقال ابنُ أبي العِزِّ رحمه الله: «وقد تواترت الأخبارُ عن رسول الله ﷺ في ثُبوت عذاب القبر ونعيمه لِمَن كان أهلًا»[(٥)].

وأمَّا الإجماعُ، فقد قال ابن تيميَّة رحمه الله: «فَاعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ سَلَفِ الأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا: أَنَّ المَيِّتَ إِذَا مَاتَ يَكُونُ فِي نَعِيمٍ أَوْ عَذَابٍ»[(٦)].

وقال أيضًا: «العَذَابُ وَالنَّعِيمُ عَلَى النَّفْسِ وَالبَدَنِ جَمِيعًا بِاتِّفَاقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ»[(٧)].

---

(١) «شرح الأصول الثلاثة» «ص٥١»، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

(٢) «مجموع الفتاوى» «٤/٢٦٦».

(٣) انظر: «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد» صالح الفوزان «ص ٢٧٥»، دار ابن الجوزي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٤) «أهوال القبور» «ص٤٣».

(٥) «شرح الطَّحاوية» «ص٣٩٩».

(٦) «مجموع الفتاوى» «٤/٢٨٤».

(٧) «مجموع الفتاوى» «٤/ ٢٨٢».

وقال ابن القيِّم رحمه الله: «وَهَذَا كَمَا أنه مُقْتَضى السُّنَّة الصَّحِيحَة فَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَين أهل السُّنَّة.

قَالَ المروزي: قَالَ أَبُو عبد الله: عَذَاب الْقَبْر حقٌّ، لَا يُنكره إِلَّا ضالٌّ أَو مُضِلٌّ»[(١)].

المسألة الثالثة: عذاب القبر ونعيمه يقع على الجسد والروح معًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن العذاب أو النعيم يحصل لروح الميت وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأيضا تتصل بالبدن أحيانا فيحصل له معها النعيم أو العذاب"[(٢)]

وقال ابن القيم-رحمه الله-: وقد سئل شيخ الإسلام عن هذه المسألة، ونحن نذكر لفظ جوابه فقال:

"بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة، تُنعَّم النفس وتعذب منفردة عن البدن وتنعم وتعذب متصلة بالبدن، والبدن متصل بها فيكون النعيم والعذاب عليها في هذه الحال مجتمعين كما تكون على الروح منفردة عن البدن.

مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحياناً ويحصل له معها النعيم أو العذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى"[(٣)]

ويضرب العلماء مثالا لذلك الحلم في المنام فقد يرى الإنسان أنه ذهب وسافر وقد يشعر بسعادة وهو نائم وقد يشعر بحزن وأسى وهو في مكانه وهو في الدنيا فمن باب أولى أن تختلف

---

(١) «الروح» «ص ٥٧».

(٢) الاختيارات الفقهية «ص: ٩٤».

(٣) "الروح" «ص: ٥١-٥٢».

في الحياة البرزخية وهي حياة تختلف كلية عن الحياة الدنيا أو الحياة في الآخرة.

قال النووي-رحمه الله-: "فإن قيل: فنحن نشاهد الميت على حاله في قبره فكيف يُسأل ويُقعد ويضرب بمطارق من حديد ولا يظهر له أثر، فالجواب: أن ذلك غير ممتنع بل له نظر في العادة وهو النائم، فإنه يجد لذة وآلاما لا نحس نحن شيئًا منها، وكذا يجد اليقظان لذة وآلما لما يسمعه أو يفكر فيه ولا يشاهد ذلك جليسه منه، وكذا كان جبرئيل يأتي النبي-صلى الله عليه وسلم-فيخبره بالوحي الكريم ولا يدركه الحاضرون، وكل هذا ظاهر جلي"[(١)]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: "والنائم يحصل له في منامه لذة وألم وذلك يحصل للروح والبدن حتى إنه يحصل له في منامه من يضربه فيصبح والوجع في بدنه، ويرى في منامه أنّه أُطْعِم شيئًا طيبًا فيصبح وطعمه في فمه، وهذا موجود، فإذا كان النائم يحصل لروحه وبدنه من النعيم والعذاب ما يحس به والذي إلى جنبه لا يحس به حتى قد يصيح النائم من شدة الألم أو الفزع الذي يحصل له ويسمع اليقظان صياحه وقد يتكلم إما بقرآن وإما بذكر وإما بجواب واليقظان يسمع ذلك وهو نائم عينه مغمضة ولو خوطب لم يسمع: فكيف ينكر حال المقبور الذي أخبر الرسول أنه «يسمع قرع نعالهم»، وقال: «ما أنتم أسمع لما أقول منهم؟»،

والقلب يشبه القبر، ولهذا قال لما فاتته صلاة العصر يوم الخندق: «ملأ الله أجوافهم وقبورهم نارًا»، وفي لفظ: «قلوبهم وقبورهم نارًا»، وَفرَّق بينهما في قوله: ﴿بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ [العاديات: الآيتان: ٩-١٠]، وهذا تقريب وتقرير لإمكان ذلك.

ولا يجوز أن يقال ذلك الذي يجده الميت من النعيم والعذاب مثلما يجده النائم في منامه، بل ذلك النعيم والعذاب أكمل وأبلغ وأتم وهو نعيم حقيقي وعذاب حقيقي، ولكن يذكر هذا المثل لبيان إمكان ذلك، إذا قال السائل: الميت لا يتحرك في قبره والتراب لا يتغير ونحو ذلك مع أن هذه المسألة لها بسط يطول وشرح لا تحتمله هذه الورقة والله أعلم وصلى الله على محمد

(١) "شرح مسلم" «٢٠١/١٧».

وآله وصحبه وسلم"[(١)]

المسألة الرابعة: المنكرون لعذاب القبر.

قال ابن تيمية-رحمه الله-: "مذهب سائر المسلمين إثبات الثواب والعقاب في البرزخ - ما بين الموت إلى يوم القيامة - هذا قول السلف قاطبة وأهل السنة والجماعة؛ وإنما أنكر ذلك في البرزخ قليل من أهل البدع"[(٢)]

وقال أبو الحسن الأشعري وهو يذكر ما خالف فيه المعتزلة وأهل القدر نهج أهل السنة: وجحدوا عذاب القبر، وأن الكفار في قبورهم يعذبون، وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون رضي الله عنهم أجمعين. [(٣)]

وقد خالف في ذلك الخوارج وضرار بن عمرو وبشر المريسي وجماعة من متأخرى المعتزلة، فقالوا بنفى عذاب القبر؛ وذلك بناء على قولهم أن الروح لا تبقى بعد فراق البدن، وأن البدن لا ينعم ولا يعذب"[(٤)]

قال ابن حزم: "ذهب ضرار بن عمرو الغطفاني أحد شيوخ المعتزلة إلى إنكار عذاب القبر، وهو قول من لقينا من الخوارج، وذهب أهل السنة وبشر بن المعتمر والجبائي وسائر المعتزلة إلى القول به، وبه نقول لصحة الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك" . [(٥)]

وقد نسب أبو الحسن الأشعري نفي عذاب القبر إلى المعتزلة والخوارج،[(٦)]

---

(١) "مجموع الفتاوى" «٤/ ٢٧٥-٢٧٦».

(٢) "مجموع الفتاوى" «٤/ ٢٦٢».

(٣) الإبانة عن أصول الديانة «ص: ١٤».

(٤) مقالات الإسلاميين «٢/ ١١٦»، ودراسات فى الفرق الإسلامية «ص: ١٧٣».

(٥) الفصل في الملل والنحل والأهواء «٤/ ٦٦».

(٦) المقالات «٢/ ١١٦».

كما نسبه البغدادي إلى الجهمية والضرارية،[(١)]

ونسب الملطي إلى جهم بن صفوان إنكار عذاب القبر ومنكر ونكير. [(٢)]

والأرجح بالنسبة للمعتزلة أن جمهورهم على القول بعذاب القبر، كما حكى ذلك عنهم القاضي عبد الجبار، فقد ذكر: "فصل فى عذاب القب" وقال: "بأنه لا خلاف في ذلك بين الأمة، كما أنه قد بين أن ابن الراوندي هو الذي يشنع علي المعتزلة، ويدعى أنهم ينكرون عذاب القبر، ثم أورد الأدلة على إثباته من القرآن والسنة. [(٣)]

وقال أيضًا ما نصه: "إنما أنكر ذلك أولًا: ضرار بن عمرو، لما كان من أصحاب واصل ظن ذلك مما أنكرته المعتزلة وليس الأمر كذلك، بل أكثر شيوخنا يقطعون بعذاب القبر، وإنما ينكرون قول جماعة سنن الجهلة إنهم يعذبون وهم موتى، ودليل العقل يمنع من ذلك. ا. هـ [(٤)]

كذلك فقد قال الزمخشرى عن سورة الملك: "وتسمى: الواقية، والمنجية، لأنها تقى وتنجي قارئها من عذاب القبر "[(٥)]

شبهتهم

والمخالفون الذين خالفوا أهل السنة في هذا الأصل فنفوا القول بإثبات عذاب القبر قد جاء فساد تأصيلهم في أنهم قد حكموا العقل وردوا عالم الغيب إلى عالم الشهادة، فقاسوا الأمور الغيبية على الأمور المشاهدة، وحكموا العقل فيما جاءت به النصوص في أن هذا يعقل، وأن هذا لا يعقل.

فتراهم لا يؤمنون بما يحدث في القبر؛ لأنهم عقلانيون، فيسمون أدلة الشرع ظنية، فأما أدلة

---

(١) أصول الدين «ص: ٢٤٥».

(٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء «ص: ١٢٤».

(٣) "شرح الأصول الخمسة " «ص: ٧٣٠».

(٤) "الاعتزال وطبقات المعتزلة " «ص: ١٦٧».

(٥) الكشاف «٤/ ٥٧٤» والانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار «٣/ ٧١٢» تحقيق سعود بن عبد العزيز الخلف.

العقل عندهم فهي يقينية، وهم في ذلك قد نسوا أو قل تناسوا أن عذاب القبر وفتنة القبر أمر غيبي، والأمور الغيبية مجالها الاعتقاد؛ لأنها لا تدرك بالنظائر ولا تدركها العقول؛ بل تحار فيها العقول، فيجب الإيمان بها والتسليم على نحو ما جاء في الخبر الصادق في الوحي.

ومن شبهاتهم النفاة قالوا: إنا نرى شخص الميت مشاهدة وهو غير معذب، وكذلك فإن الميت ربما تفترسه السباع وتأكله!!

وجوابه:

أن هذا هوس؛ أما مشاهدة الشخص فهو مشاهدة لظواهر الجسم، والمدرك للعقاب جزء من القلب أو من الباطن كيف كان، وليس من ضرورة العذاب ظهور حركة في ظاهر البدن، بل الناظر إلى ظاهر النائم لا يشاهد ما يدركه النائم من اللذة عند الاحتلام ومن الألم عند تخيل الضرب وغيره، ولو انتبه النائم وأخبر عن مشاهداته وآلامه ولذاته من لم يجر له عهد بالنوم لبادر إلى الإنكار اغترارا بسكون ظاهر جسمه.

فتعسا لمن ضاقت حوصلته عن تقدير اتساع القدرة لهذه الأمور المستحقرة بالاضافة إلى خلق السموات والأرض وما بينهما، مع ما فيهما من العجائب.[(١)]

ثم يقال لمن يشكل بعدم تحقق رؤية عذاب القبر بالبصر: أن الله – عزوجل – يبتلى عباده بالتكاليف الشرعية اختبارا وامتحانا لهم، وهذه التكاليف شاملة لباب العلم والعمل:

أ» ففي باب العمل:

يكلفهم بجملة من العبادات الشرعية، والتي منها ما يكون غير معلوم الحكمة، فيجمع لهم بين التكليف بالاستسلام وتكليف القيام بالعمل.

ب» وفي باب العلم:

فقد يختبر الله –تعالى –عباده بالإيمان بالغيبيات التي تتالت النصوص بإثباتها، فيظهر هنا من يؤمن بالغيب ممن هو منه في شك، إذ لو عاين العباد الغيبيات لزالت حكمه التكليف

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي «١١٨».

والإيمان بالغيب، ومن هذا الباب فقدا اقتضت الحكمة أن يكون عذاب القبر خفيًا؛ لأنه لو كان أمرًا ظاهرًا لما كان الإيمان به إيمان بالغيب، والإيمان النافع المنجي إنما هو الإيمان بالغيب.

لذا فقد كان أول ما مدح الله–تعالى–به أهل الإيمان فى كتابه أنهم يؤمنون بالغيب، فقد قال تعالى ﴿الم * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: الآيات: ١ – ٣].

وأضف الي ذلك أنه قد اقتضت حكمة الله –تعالى–أن لا يكون عذاب القبر ظاهرا، إذ لو كان ظاهرا لما تدافن الناس، كما قال صلى الله عليه وسلم: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه».((١))

وأما قولهم بعدم حدوث عذاب القبر لمن أكله سبع أو حرق!!

فجوابه:

فذكر العذاب والحاقه بالقبر إنما خرج على الغالب فلا مفهوم له؛ فالمصلوب والمحروق والغريق ومن أكلته السباع لهم من عذاب البرزخ ونعيمه بحسب ما تقتضيه أعمالهم، وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتهما.

وإلا فسيقال من باب الإلزام بعدم بعث من أكلته السباع أو حرق، ومثل هذا مما لم يقل به نفاة القول بعذاب القبر، فكما قيل فى قوله تعالى ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: الآية: ٥٢] أنه خرج على الغالب، مع إثبات البعث لمن لم يكن له مرقد، كالمحروق ومن أكلته السباع، فكذا يقال بإثبات عذاب القبر ونعيمه لمن لم يقبر.

وقد ورد في حديث أبي هريرة–رضي الله عنه–، عن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: «كان رجل يسرف على نفسه فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا، فلما مات فعل به

(١) أخرجه مسلم «٧١٤٢».

ذلك، فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رب خشيتك، فغفر له».[(١)]

قال ابن القيم: "ومما ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قبر أو لم يقبر، فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رمادًا ونسف في الهواء أو صلب أو غرق في البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور"[(٢)]

ويلخص ما سبق كلام بديع للسمعانى، لما ذكر أمور الغيب من عذاب القبر وسؤال الملكين والحوض والميزان والصراط، قال-رحمه الله-: "وهذه أمور لا ندرك حقائقها بعقولنا، وإنما ورد الأمر بقبولها والإيمان بها، فإذا سمعنا شيئًا من أمور الدين وعقلناه وفهمناه فلله الحمد في ذلك والشكر، ومنه التوفيق، وما لم يمكنا إدراكه وفهمه ولم تبلغه عقولنا آمنا به وصدقنا واعتقدنا أن هذا من قبل ربوبيته وقدرته، واكتفينا في ذلك بعلمه ومشيئته، وقال تعالى في مثل هذا ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.[الإسراء: الآية: ٨٥]"[(٣)]

* تنبيه وتصحيح:

قد ذهب بعض المعتزلة إلى أن الله – سبحانه -يعذب الموتى في قبورهم، ويحدث فيهم الآلام وهم لا يشعرون فإذا حشروا وجدوا تلك الآلام وأحسوا بها، وقالوا بأن سبيل المعذبين من الموتى كسبيل السكران والمغشى عليه لو ضربوا لم يجدوا الآلام، فإذا عاد عليهم العقل أحسوا بألم الضرب.[(٤)]

---

(١) أخرجه البخاري «٣٤٨١»، ومسلم «٢٧٥٦».

(٢) الروح «ص: ٥٨».

(٣) الانتصار لأصحاب الحديث «ص: ٨٢».

(٤) الروح «ص: ٥٨».

*وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية على ذلك، وبين أن الأمر على خلاف ذلك، فقال رحمه الله: "ولا يجوز أن يقال ذلك الذي يجده الميت من النعيم والعذاب مثلما يجده النائم في منامه؛ بل ذلك النعيم والعذاب أكمل وأبلغ وأتم. وهو نعيم حقيقي وعذاب حقيقي، ولكن يذكر هذا المثل لبيان إمكان ذلك إذا قال السائل: الميت لا يتحرك في قبره والتراب لا يتغير، ونحو ذلك. مع أن هذه المسألة لها بسط يطول وشرح لا تحتمله هذه الورقة والله أعلم"[(١)].[(٢)]

---

(١) مجموع الفتاوى «٤/ ٢٧٦».

(٢) المصدر: الأربعين العقدية لأيمن إسماعيل «٢/ ٨٨٥-٨٩٢».



١٢- البعث والنشور والحساب

المسألة الأولى: الأدلة على إثبات البعث.

المسألة الثانية: ثمرات الإيمان بالبعث واليوم الآخر.

المسألة الثالثة: الذين خالفوا في مسألة البعث.

المسألة الرابعة: حكم من أنكر البعث

المسألة الخامسة: الحساب



[١٢]- قال المصنف رحمه الله: وبعد البِلي منشورون، ويوم القيامة إلى ربِّهم محشورون، ولدى العرض عليه محاسبون، بحضرة الموازين، ونشر صحف الدواوين، أحصاه الله ونسوه ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ [المعارج: الآية:٤] لو كان غير الله عز وجل الحاكم بين خلقه، لكنه الله يلي الحكم بينهم بعدله بمقدار القائلة في الدنيا ﴿وهو أسرع الحاسبين﴾ [الأنعام: الآية: ٦٢] كما بدأه لهم من شقاوة وسعادة، يومئذ يعودون، ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ [الشورى:٧]

الشرح

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: الأدلة على إثبات البعث.

أول مراحل الحياة الآخرة حياة البرزخ وعذاب القبر ونعيمه، ثم بعد ذلك يأتي البعث، ويسبق البعث النفخ.

البعث بعد الموت: وهو الاعتقاد الجازم بأن الله سيبعث الناس بعد موتهم، ويُعيد إليهم أرواحهم، وذلك للحساب والجزاء.

دلَّ على ذلك الأدلة المتوافرة من الكتاب والسُّنَّة وإجماع المسلمين، بل واليهود والنصارى وكل الشرائع السماوية السابقة.

عظم الله أمر الإيمان باليوم الآخر وقرنه بالإيمان به، فقال تعالى: «يؤمنون بالله وباليوم الآخر»، فجمع بين الإيمان به عز وجل والإيمان باليوم الآخر لعظيم حقه وهو ركن من أركان الإيمان فنؤمن باليوم الآخر بجميع ما يتعلق به

ومن الأدلة على إثبات البعث

أولًا: من القرآن.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: الآية: ١٧٧].

قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: الآية: ٢٩]

قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ «٢»﴾ [الرعد: ٢].

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الروم: ١١]،

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾ [النور: ٦٤].

ثانيًا: من السنة:

ما جاء في حديث جبريل-عليه السلام-؛ أنه سأل النبي ﷺ عن الإيمان، فقال: «أن تُؤمن باللهِ، ومَلائكتِه، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليومِ الآخِرِ، وتُؤمن بالقَدَرِ؛ خَيْرِه وشَرِّه». [(١)]، وفي رواية: «والبَعْث بعدَ الموْتِ». [(٢)]

عن ابنِ عبَّاس-رضي الله عنهما-، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «أيُّها النَّاس، إنَّكم مَحْشُورُونَ إلى الله حُفَاة عُرَاة غُرْلًا، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: الآية: ١٠٤]، ثُمَّ إنَّ أَوَّلَ مَنْ يُكسى يوم القيامة إبراهيمُ». [(٣)]

ويوم البعث يخرج الإنسان من قبره فيجد ملكًا من قِبَل الله يأخذه ويوقفه في المكان الذي يريده الله له، أو يسوقه إلى موقفه المناسب قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: الآية: ٢١].

---

(١) أخرجه البخاري «٥٠» من حديث أبي هريرة، ومسلم «٨» من حديث ابن عمر.

(٢) أخرجها ابن حبان في صحيحه «١/ ٣٨٩» «١٦٨» وابن أبي شيبة في مصنفه «٦/ ١٧٢» «٣٠٤٤٥»، وصححها الألباني في التعليقات الحسان «١٦٨».

(٣) أخرجه البخاري «٤٧٤٠» ومسلم «٢٨٦٠».

عن ابن عباس–رضي الله عنهما–، قوله: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ قال: "السائق من الملائكة، والشهيد: شاهد عليه من نفسه" .[(١)]

وروي عن الإمام سفيان بن عيينة في اعتقاده قوله: السنة عشرة فمن كن فيه فقد استكمل السنة ومن ترك منها شيئا فقد ترك السنة: إثبات القدر وتقديم أبي بكر وعمر والحوض والشفاعة والميزان والصراط والإيمان قول وعمل والقرآن كلام الله وعذاب القبر والبعث يوم القيامة ولا تقطعوا بالشهادة على مسلم.[(٢)]

ثالثًا: الإجماع.

روي عن الإمام سفيان بن عيينة في اعتقاده قوله: السنة عشرة فمن كن فيه فقد استكمل السنة ومن ترك منها شيئا فقد ترك السنة: إثبات القدر وتقديم أبي بكر وعمر والحوض والشفاعة والميزان والصراط والإيمان قول وعمل والقرآن كلام الله وعذاب القبر والبعث يوم القيامة ولا تقطعوا بالشهادة على مسلم.[(٣)]

قال ابن حزم: "اتفقوا أن البعث حق، وأن الناس كلهم يبعثون في وقت تنقطع فيه سكناهم في الدنيا"[(٤)]

وقال: "البعث حق، والحساب حق،... يجمع الله تعالى يوم القيامة بين الأرواح والأجساد، كل هذا إجماع من جميع أهل الإسلام، من خرج عنه خرج عن الإسلام"[(٥)]

وقال ابن حزم: "اتفق جميع أهل القبلة –على تنابذ فرقهم– على القول بالبعث في القيامة،

(١) انظر تفسير الطبري «٢٢/ ٣٤٨».

(٢) رواه الإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة «١/ ١٥٦»

(٣) رواه الإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة «١/ ١٥٦»

(٤) ينظر: «مراتب الإجماع» «ص: ١٧٥».

(٥) ينظر: «الدرة» «ص: ٣١١».

وعلى تكفير من أنكر ذلك"[(١)]

المسألة الثانية: ثمرات الإيمان بالبعث واليوم الآخر:

أولًا: الحرص على طاعة الله تعالى؛ رغبة في ثواب ذلك اليوم، والبعد عن معصيته، خوفًا من عقاب ذلك اليوم. وذلك بالتزام بما يحبّه الله-تعالى-من الأعمال والأقوال والأحوال وتجنّب ما يُبغضه.

ثانيًا: تسلية المؤمن عما يفوته من نعيم الدنيا، ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها[(٢)]

ثالثًا: عِظَم الأجر والثواب، فإنّ الإيمان بالبعث والحساب من الإيمان بالأمور الغيبيّة، والتي وعد الله أهلها بالاهتداء والرزق الكريم وحسن العاقبة يوم القيامة. الاجتهاد في فعل الطاعات، والرغبة في ملازمة ما يحبّه الله ويرضاه، وامتثال أمره طمعًا بالأجر والثواب وحُسن العاقبة.

رابعًا: الحَذر من المعاصي والنواهي وما أبغضه الله، والحرص على تجنّب ما حذّر منه خوفًا من العقاب والعذاب.

خامسًا: الصبر على الابتلاءات، والرضا بقضاء الله وقدره.

سادسًا: الأخذ بأسباب حُسن الخاتمة، ومن أهمّها: ملازمة الأعمال الصالحة وتجنّب الأعمال السيئة المخالفة للشريعة، وسؤال الله -تعالى- حُسن الخاتمة والموت على ما يحبّه من الأعمال. [(٣)]

المسألة الثالثة: الذين خالفوا في مسألة البعث:

---

(١) ينظر: «الفصل» «٤/٦٦».

(٢) «مجموع رسائل وفتاوى فضيلة الشيخ ابن عثيمين» «٣/ ٢٦٠».

(٣) ثمرات الإيمان باليوم الآخر، للشيخ عبدالله بن صالح القصيِّر، المصدر: موقع الألوكة. بتصرّف.

قال ابن تيمية: "طوائف من الكفار والمشركين وغيرهم ينكرون المعاد بالكلية، فلا يقرون لا بمعاد الأرواح ولا الأجساد، وقد بين الله تعالى في كتابه على لسان رسوله أمر معاد الأرواح والأجساد، ورد على الكافرين والمنكرين لشيء من ذلك بيانا في غاية التمام والكمال.

وأما المنافقون من هذه الأمة الذين لا يقرون بألفاظ القرآن والسنة المشهورة؛ فإنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، ويقولون: هذه أمثال ضربت لنفهم المعاد الروحاني، وهؤلاء مثل القرامطة الباطنية الذين قولهم مؤلف من قول المجوس والصابئة، ... وهؤلاء كلهم كفار يجب قتلهم باتفاق أهل الإيمان؛ فإن محمدا صلى الله عليه وسلم قد بين ذلك بيانا شافيا قاطعا للعذر"[(١)]

فالقرامطة الباطنية والفلاسفة أتباع المشائين، ونحوهم من الملاحدة ينكرون حقائق ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر"[(٢)]

فهذه الطوائف نفت ما دلت عليه نصوص المعاد، من البعث والنشور والجزاء على الأعمال، كما نفت ما دلت عليه نصوص الصفات من نعوت الجلال وأوصاف الكمال، وهذا ضلال صراح وكفر بواح، وهؤلاء هم الغلاة، من القرامطة والباطنية الإسماعيلية، والفلاسفة المشائين.

فالقرامطة معتقدهم في اليوم الآخر: أنهم كلهم أنكروا القيامة، وقالوا: هذا النظام، وتعاقب الليل والنهار، وتولد الحيوانات لا ينقضي أبدا. وأولوا القيامة بأنها رمز إلى خروج الإمام، ولم يثبتوا الحشر ولا النشر ولا الجنة ولا النار. [(٣)]

أما الجهمية والمعتزلة فهم يؤمنون بالبعث مع خلل في بعض مسائل المعاد كمسائل عذاب القبر، وكذلك الشفاعة، وفناء الجنة والنار، وغيرها من المسائل التي تتعلق باليوم الآخر.

وقال الإيجي: "أجمع أهل الملل عن آخرهم على جواز حشر الأجساد ووقوعه، وأنكرهما

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى «٤/ ٣١٣»..

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى «٤/ ٣١٣».

(٣) القرامطة لابن الجوزي «ص: ٦٠».

الفلاسفة"[(١)]

المسألة الرابعة: حكم من أنكر البعث.

قال ابن حزم: "فمن قال: إن الأرواح أعراض فانية، أو قال: إنها تنتقل إلى أجسام أخر؛ فهو منسلخ من إجماع أهل الإسلام؛ لخلافه القرآن والسنن الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم والإجماع، ... وهو قول أهل التناسخ، وهو كفر بلا خلاف، وكذلك من أنكر إحياء العظام والأجساد يوم القيامة، أو أنكر البعث؛ فخارج عن دين الإسلام بلا خلاف من أحد من الأئمة"[(٢)]

وقال ابن عبد البر: "قد أجمع المسلمون على أن من أنكر البعث، فلا إيمان له ولا شهادة، وفي ذلك ما يغني ويكفي، مع ما في القرآن من تأكيد الإقرار بالبعث بعد الموت؛ فلا وجه للإنكار في ذلك"[(٣)]

وقال الغزالي: "فيجب تكفير من يغير الظاهر بغير برهان قاطع؛ كالذي ينكر حشر الأجساد، وينكر العقوبات الحسية في الآخرة بظنون وأوهام، واستبعادات من غير برهان قاطع، فيجب تكفيره قطعيا؛ إذ لا برهان على استحالة رد الأرواح إلى الأجساد، وذكر ذلك عظيم الضرر في الدين؛ فيجب تكفير كل من تعلق"[(٤)]

وقال عياض: "وكذلك نقطع على كفر من قال بتناسخ الأرواح وانتقالها أبد الآباد في الأشخاص، وتعذيبها أو تنعمها فيها بحسب زكائها وخبثها"[(٥)]

---

(١) المواقف في علم الكلام «٣/ ٤٧٤».

(٢) ينظر: «الدرة» «ص: ٣١٥».

(٣) ينظر: «التمهيد» «٩/١١٦».

(٤) ينظر: ««مجموعة رسائل الإمام الغزالي» «ص: ٢٤٦».

(٥)ينظر: «الشفا» «٢/ ٢٨٣».

وقال أيضا: "كذلك من أنكر الجنة أو النار، أو البعث أو الحساب أو القيامة؛ فهو كافر بإجماع؛ للنص عليه، وإجماع الأمة على صحة نقله متواترا، وكذلك من اعترف بذلك، ولكنه قال: إن المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهره، وأنها لذات روحانية، ومعان باطنة، كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة، وزعم أن معنى القيامة الموت أو فناء محض وانتقاض هيئة الأفلاك وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة"[(١)]

المسألة الخامسة: الحساب

الله يجازي الناس بأعمالهم؛ فإمَّا آخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وإمَّا آخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَّراءِ ظَهْرِهِ، ثم يبدأ بعد ذلك الحساب.

فالمؤمن حسابه عرضٌ وتقرير وليس حساب نقاش؛ لأنَّ من نوقش الحساب عذاب؛ كما في حديث عائشة رضي الله عنه، قالت: قال رسول الله ﷺ :«مَن حُوسب يوم القيامة عُذِّب»، فقلت: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿**فسوف يحاسب حسابا يسيرا**﴾ [الانشقاق: الآية: ٨]؟ فقال: «ليس ذاك الحساب، إنَّما ذاك العَرْضُ؛ مَن نوقش الحساب يوم القيامة عُذِّب[(٢)]».

فيُقرر اللهُ العبدَ المؤمنَ بما فعل في الدنيا، كما جاء في الحديث: «إنَّ الله يُدني المؤمن، فيضع عليه كَنَفَه ويَستره، فيقول: أتعرف ذنبَ كذا، أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قَرَّره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتُها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيُعطى كتاب حسناته، وأمَّا الكافر والمنافقون، فيقول الأشهاد: ﴿**هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين**﴾ [هود:الآية: ١٨[(٣)]]".

---

(١) ينظر: «الشفا» «٢/ ٢٩٠».

(٢) أخرجه البخاري «٦٥٣٦» ومسلم «٢٨٧٦».

(٣) أخرجه البخاري «٢٤٤١» ومسلم «٢٧٦٨» من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

أنواعُ الحِسابِ

عن عائِشةَ رَضِيَ الله عنها أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: «ليس أحَدٌ يُحاسَبُ يَومَ القيامةِ إلَّا هَلَك»، فقُلتُ: يا رَســـولَ اللهِ، أليسَ قد قال اللهُ تعالى: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا [الانشقاق: ٧-٨] ، فقال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «إنَّما ذلكِ العَرضُ، وليس أحَدٌ يُناقَشُ الحِسابَ يَومَ القيامةِ إلَّا عُذِّبَ» [(١)] .

قال النَّوَويُّ: «مَعنى «نُوقِشَ» استُقصِيَ عليه. قال القاضي: وقَولُه: «عُذِّبَ» له مَعنيانِ: أحَدُهما: أنَّ نَفسَ المناقَشةِ وعَرْضَ الذُّنوبِ والتَّوقيفَ عليها هو التَّعذيبُ؛ لِما فيه من التَّوبيخِ، والثَّاني: أنَّه مُفضٍ إلى العَذابِ بالنَّارِ، ويُؤَيِّدُه قَولُه في الرِّوايةِ الأخرى: «هَلَك» مَكانَ: «عُذِّبَ» [(٢)] هذا كلامُ القاضي. وهذا الثَّاني هو الصَّحيحُ، ومَعناه أنَّ التَّقصيرَ غالِبٌ في العِبادِ، فمَنِ استُقصِيَ عليه ولَم يُسامَحْ هَلَك ودَخلَ النَّارَ، ولَكِنَّ اللهَ تعالى يَعفو ويَغفِرُ ما دونَ الشِّركِ لِمَن يَشاءُ» [(٣)] .

وقال أبو العَبَّاسِ القُرطُبيُّ: «قَولُه: «إنَّما ذلكِ العَرضُ» يَعني: أنَّ الحِسابَ المذكورَ في الآيةِ إنَّما هو أن تُعرَضَ أعمالُ المؤمِنِ عليه، ويُوقَفَ عليها تَفصيلًا حَتَّى يَعرِفَ مِنَّةَ اللهِ تعالى عليه في سَترِها عليه في الدُّنيا، وفي عَفْوِه عنها في الآخِرةِ» [(٤)] .

قال أبو القاسِمِ الأصبَهانيُّ: «قال بَعضُ العُلَماءِ: يُحاسِبُ اللهُ عِبادَه في القيامةِ ويُناقِشُهم. يُحاسِبُ بالعَرضِ من قَضى له بالمغفِرةِ، ويُناقِشُ بالحِسابِ من قَضى عليه بالعَذابِ» [(٥)] .

فإذَنْ قَسَّمَ اللهُ عِبادَه في الحِسابِ إلى قِسمينِ:

القِسمُ الأوَّلُ: مَن يَكونُ حِسابُه يَسيرًا، وهم أهلُ اليَمينِ

(١) أخرجه البخاري «٦٥٣٧» واللَّفظُ له، ومسلم «٢٨٧٦».

(٢) يُنظر: «إكمال المعلم» «٨/ ٤٠٧».

(٣) يُنظر: «شرح مسلم» «١٧/ ٢٠٨».

(٤) يُنظر: «المفهم» «٧/ ١٥٨».

(٥) يُنظر: «الحجة في بيان المحجة» «٢/ ٥٤٦».

قال اللهُ تعالى: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا [الانشقاق: ٧ - ٨].

قال ابنُ جَريرٍ: «فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا بأن يُنظَرَ في أعمالِه، فيُغفَرُ له سَيِّئُها، ويُجازى على حَسَنِها»((١)).

وقال السَّمعانيُّ: «قَولُه: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا أي: هَيِّنًا، وقيلَ في اليَسيرِ: هو أن يَقبَلَ الحَسَناتِ، ويَتَجاوَزَ عن السَّيِّئاتِ»((٢)).

وقال البَيضاويُّ: «فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا سَهلًا لا يُناقَشُ فيه»((٣)).

وقال السَّعديُّ: «فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وهم أهلُ السَّعادةِ.

فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وهو العَرضُ اليَسيرُ على اللهِ، فيُقَرِّرُه اللهُ بذُنوبِه، حَتَّى إذا ظَنَّ العَبدُ أنَّه قد هَلَك، قال اللهُ تعالى له: إنِّي قد سَتَرتُها عليك في الدُّنيا، فأنا أستُرُها لَك اليَومَ»((٤)).

القِسمُ الثَّاني: مَن يَلقى سوءَ الحِسابِ وهم أهلُ النَّارِ

قال اللهُ سُبحانَه: لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ [الرعد: ١٨].

قال البَغَويُّ: «قال إبراهيمُ النَّخعيُّ: سوءُ الحِسابِ أن يُحاسَبَ الرَّجُلُ بذَنْبِه كُلِّه، لا يُغفَرُ له من شَيءٍ»((٥)).

وقال البَيضاويُّ: «أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ، وهو المناقَشةُ فيه بأن يُحاسَبَ الرَّجُلُ بذَنبِه لا

(١) يُنظر: «تفسير ابن جرير» «٢٤/ ٢٣٦».

(٢) يُنظر: «تفسير السمعاني» «٦/ ١٨٨».

(٣) يُنظر: «تفسير البيضاوي» «٥/ ٢٩٧».

(٤) يُنظر: «تفسير السعدي» «ص: ٩١٧».

(٥) يُنظر: «تفسير البغوي» «٣/ ١٥».

يُغفَرُ منه شَيءٌ»[(١)].

وقال النَّسَفيُّ: «أُوْلَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ المناقَشةُ فيه، في الحَديثِ: «من نُوقِشَ الحِسابَ عُذِّبَ»[(٢)] [(٣)]. أخرجه البخاري «٦٥٣٦» مطولًا من حديثِ عائشة رَضِيَ اللهُ عنه.

وقال ابنُ كثيرٍ: «أُوْلَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ أي: في الدَّارِ الآخِرةِ، أي: يُناقَشونَ على النَّقيرِ والقِطْميرِ، والجَليلِ والحَقيرِ، ومَن نُوقِشَ الحِسـاب عُذِّبَ؛ ولِهذا قال: وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ»[(٤)].

وفي السُّنَّةِ دَلالةٌ على أنَّ المؤمنينَ في الحِسابِ ثَلاثةُ أصنافٍ:

١- صِنفٌ لا يُحاسَبُ، وهؤلاء طائِفةٌ من أمَّةِ مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أخبَرَ عنهم صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وعِدَّتُهم سَبعونَ ألفًا مَعَ زيادةٍ عَظيمةٍ يَدخُلونَ الجَنةَ بلا حِسابٍ.

عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِـيَ الله عنهما قال: خَرجَ علينا النَّبيُّ صـلَّى اللهُ عليه وسـلَّم يَومًا فقال: «عُرِضَـــتْ عليَّ الأُمَمُ، فجَعَل يَمُرُّ النَّبيُّ مَعَه الرَّجُلُ، والنَّبيُّ مَعَه الرَّجُلانِ، والنَّبيُّ مَعَه الرَّهطُ، والنَّبيُّ ليس مَعَه أحَدٌ، ورأيتُ سَـــوادًا كثيرًا سَـــدَّ الأفُقَ، فرَجَوتُ أن يَكونَ أمَّتي، فقيلَ: هذا موسى وقومُه. ثُمَّ قيلَ لي: انظُرْ. فرَأيتُ سَوادًا كثيرًا سَدَّ الأفُقَ، فقيلَ لي: انظُر هَكَذا وهَكَذا. فرَأيتُ سَوادًا كثيرًا سَدَّ الأفُقَ، فقيلَ: هؤلاء أمَّتُك، ومَعَ هؤلاء سَبعونَ ألفًا يَدخُلونَ الجَنَّةَ بغَيرِ حِسابٍ »[(٥)].

وعن أبي أُمامةَ رَضِيَ الله عنه يَقولُ: سَمِعتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم يَقولُ: «وعَدَني رَبي أن يُدخِلَ الجَنَّةَ من أمَّتي سَبعينَ ألفًا لا حِسابَ عليهم ولا عَذابَ، من كُلِّ ألفٍ سَبعونَ

---

(١) يُنظر: «تفسير البيضاوي» «٣/ ١٨٥».

(٢) أخرجه البخاري «٦٥٣٦» مطولًا من حديثِ عائشة رَضِيَ اللهُ عنه.

(٣) يُنظر: «تفسير النسفي» «٢/ ١٥١».

(٤) يُنظر: «تفسير ابن كثير» «٤/ ٤٤٩».

(٥) أخرجه البخاري «٥٧٥٢» واللَّفظُ له، ومسلم «٢٢٠».

ألفًا، وثَلاثُ حَثَيَاتٍ من حَثَيَاتِه »[(١)] [(٢)].

قال السَّفارينيُّ: «ثبَت في عِدَّةِ أخبارٍ عن النَّبيِّ المختارِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ما كَرَّ الليلُ على النَّهارِ، أنَّ طائِفةً من هذه الأمَّةِ بلا ارتيابٍ يَدخُلونَ الجَنةَ بغَيرِ حِسابٍ، فيَدخُلونَ جَناتِ النَّعيمِ قَبلَ وضعِ الموازينِ، وأخذِ الصُّحُفِ بالشِّمالِ واليَمينِ»[(٣)].

وقال ابنُ بازٍ: «هذه الحَثَيَاتُ لا يَعلَمُ مِقدارَها إلَّا اللهُ سُبحانَه وتعالى. والجامِعُ في هذا أنَّ كُلَّ مُؤمِنٍ استقامَ على أمرِ اللهِ وعلى تَركِ مَحارِمِ اللهِ ووَقَفَ عِندَ حُدودِ الله، هو داخِلٌ في السَّبعينَ، داخِلٌ في حُكمِهم بأنَّه يَدخُلُ الجَنَّةَ بغَيرِ حِسابٍ ولا عَذَابٍ»[(٤)].

٢- صِنفٌ لا يُناقَشونَ الحِسابَ، وإنَّما تُعرَضُ أعمالُهم ثُمَّ يُتَجاوَزُ لهم عنها.

عن عائِشةَ رَضِيَ الله عنها كانت لا تَسمَعُ شَيئًا لا تَعرِفُه إلَّا راجَعَت فيه حَتَّى تَعرِفَه، وأنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: «مَن حُوسِبَ عُذِّبَ». قالت عائِشةُ: فقُلتُ: أوليس يَقولُ اللهُ تعالى: فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا؟ [الانشقاق: ٨] قالت: فقال: «إنَّما ذلكِ العَرضُ، ولَكِن من نُوقِشَ الحِسابَ يَهلِكْ »[(٥)].

وعن عَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عنهما قال: سَمِعتُ رَسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَقولُ: «إنَّ اللهَ يُدْنِي المؤمِنَ، فيَضَعُ عليه كَنَفَه ويَستُرُه، فيَقولُ: أتَعرِفُ ذَنْبَ كذا، أتَعرِفُ ذَنْبَ كذا؟ فيَقولُ: نَعَم أيْ رَبِّ. حَتَّى إذا قَرَّرَه بذُنوبِه، ورَأى في نَفسِه أنَّه هَلَك، قال: سَتَرْتُها عليك في الدُّنيا وأنا أغفِرُها لَك اليَومَ، فيُعطى كِتابَ حَسَناتِه، وأمَّا الكافِرُ والمنافِقونَ فيَقولُ الأشهادُ:

(١) قال عياض: «ثلاثُ حَثَياتٍ، ويروى حَفَنات، بفتح الحاء والفاء والثاء، قيل: هو الغَرْفُ ملءَ اليدِ، وقيل: الحَثْيةُ باليدِ الواحِدةِ والحَفنةُ بهما جميعًا». «مشارق الأنوار» «١/ ١٨٠».

(٢) أخرجه الترمذي «٢٤٣٧» واللَّفظُ له، وابن ماجه «٤٢٨٦»، وأحمد «٢٢٣٠٣». صححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» «٤٢٨٦»، وشعيب الأرناؤوط في تخريج «مسند أحمد» «٢٢٣٠٣»، وحسنه الوادعي في «الشفاعة» «١٣٠»، وقوى إسناده الذهبي في «سير أعلام النبلاء» «٤٦٠/١٦»، وجوده ابن كثير في «تفسير القرآن» «٨٢/٢». وقال الترمذي: حسن غريب.

(٣) يُنظر: «لوامع الأنوار البهية» «١٧٧/٢».

(٤) يُنظر: «فتاوى نور على الدرب» «١/ ٧٠».

(٥) أخرجه البخاري «١٠٣» واللَّفظُ له، ومسلم «٢٨٧٦».

هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ [هود: ١٨] »[(١)].

قال المهَلَّبُ: «في هذا الحَديثِ عَظيمُ تَفَضُّلِ اللهِ على عِبادِه المؤمِنينَ وسَتْرِه لذُنوبِهم يَومَ القيامةِ، وأنَّه يَغفِرُ ذُنوبَ من شاءَ منهم بخِلافِ قَولِ من أنفَذَ الوَعيدَ على أهلِ الإيمانِ؛ لأنَّه لَم يَستَثنِ في هذا الحَديثِ عليه السَّلامُ ممَّن يَضَعُ عليه كنَفَه وسِتْرَه أحَدًا إلَّا الكُفَّارَ والمنافِقينَ، فإنَّهم الذينَ يُنادى عليهم على رُؤوسِ الأشهادِ باللَّعنةِ لهم»[(٢)].

وقال القُرطُبيُّ: «قَولُه: «حَتَّى يَضَعَ عليه كنَفَهـ» أي: سِتْرَه ولُطفَه وإكرامَه، فيُخاطَبُ خِطابَ الملاطَفةِ، ويُناجيه مَناجاةَ المصافاةِ والمحادَثةِ، فيَقولُ: هَل تَعرِفُ؟ فيَقولُ: رَبِّ أعرِفُ، فيَقولُ الله تعالى ممتَنًّا عليه ومُظهِرًا فَضْلَه لَدَيه: فإنِّي سَتَرتُها عليك في الدُّنيا، أي: لَم أفضَحْك بها فيها، وأنا أغفِرُها لَك اليَومَ»[(٣)].

وقال ابنُ عُثَيمين: «إنَّه سُبحانَه وتعالى يَضَعُ عليه سِتْرَه؛ بحَيثُ لا يَراه أحَدٌ، ولا يَسمَعُه أحَدٌ، وهذا من فضلِ الله عزَّ وجَلَّ على المؤمِنِ؛ فإنَّ الإنسانَ إذا قَرَّرَك بجِناياتِك أمامَ النَّاسِ وإن سمَحَ عنك؛ ففيه شَيءٌ من الفَضيحةِ، لَكِن إذا كان ذلك وحدَك فإنَّ ذلك سَتْرٌ منه عليك»[(٤)].

وقال أيضًا: «إنَّ المناقَشةَ مَعناها: أن يُحاسَبَ فيُطالَبَ بهذه النِّعَمِ التي أعطاه اللهُ إيَّاها؛ لأنَّ الحِسابَ الذي فيه المناقَشةُ مَعناه: أنَّك كما تأخُذُ تُعطي، ولَكِنَّ حِسابَ اللهِ لعَبدِه المؤمِنِ يَومَ القيامةِ ليس على هذا الوَجهِ، بَل إنَّه مُجَرَّدُ فضلٍ من الله تعالى إذا قَرَّرَه بذُنوبِه، وأقَرَّ واعتَرَفَ قال: «سَتَرْتُها عليك في الدُّنيا، وأنا أغفِرُها لَك اليَومَ»، وكَلِمةُ نُوقِش تَدُلُّ على هذا؛ لأنَّ المناقَشةَ الأخذُ والرَّدُّ في الشَّيءِ، والبَحثُ على دَقيقِه وجَليلِه، وهذا لا يَكونُ بالنِّسبةِ لله عزَّ وجَلَّ مَعَ عَبدِه المؤمِنِ، بَل إنَّ اللهَ تعالى يَجعَلُ الحِسابَ للمُؤمِنينَ مَبنيًّا على الفَضلِ

---

(١) أخرجه البخاري «٢٤٤١» واللَّفظُ له، ومسلم «٢٧٦٨».

(٢) يُنظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال «٦/ ٥٧٠».

(٣) يُنظر: «التذكرة» «١/ ٣٠٣».

(٤) يُنظر: «شرح العقيدة الواسطية» «٢/ ١٥٤».

والإحسانِ، لا على المناقَشةِ والأخذِ بالعَدلِ»[(١)].

وهذا هو الحِسابُ اليَسيرُ كما تَقَدَّم.

ولَعَلَّ من أمثِلةِ ذلك ما جاءَ عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّه قال: قال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «إنَّ اللهَ تعالى يَقولُ يومَ القيامةِ: يا ابنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فلَم تَعُدْني. قال: يا رَبِّ، كيفَ أعودُك وأنتَ رَبُّ العالَمينَ؟ قال: أمَا عَلِمتَ أنَّ عَبدي فُلانًا مَرِضَ فلَم تَعُدْه، أمَا عَلِمتَ أنَّك لَو عُدْتَه لوَجدْتَني عِندَه؟ يا ابنَ آدَمَ، استَطعَمْتُك فلَم تُطعِمْني. قال: يا رَبِّ كيفَ أُطعِمُك وأنتَ رَبُّ العالَمينَ؟ قال: أمَا عَلِمتَ أنَّه استَطعَمَك عَبدي فُلانٌ فلَم تُطعِمْه؟ أمَا عَلِمتَ أنَّك لَو أطعَمْتَه لوَجَدْتَ ذلك عِندي؟ يا ابنَ آدَم، استَسقَيتُك فلَم تَسقِني. قال: يا رَبِّ كيفَ أسقيك وأنتَ رَبُّ العالَمينَ؟ قال: استَسْقاك عَبدي فُلانٌ فلَم تَسقِه، أمَا عَلِمتَ أنَّك لَو سَقيتَه وجَدتَ ذلك عِندي؟ »[(٢)].

قال أبو العَبَّاسِ القُرطُبيُّ: «قَولُه تعالى: «يا ابنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فلَم تَعُدْني، واستَطعَمْتُك فلَم تُطعِمْني، واستَسقَيتُك فلَم تَسقِني»: تَنَزُّلٌ في الخِطابِ، ولُطفٌ في العِتابِ، ومُقتَضاه التَّعريفُ بعَظيمِ فضلِ ذي الجَلالِ، وبِمَقاديرِ ثَوابِ هذه الأعمالِ، ويُستَفادُ منه أنَّ الإحسانَ للعَبيدِ إحسانٌ للسَّادةِ، فيَنبَغي لهم أن يَعرِفوا ذلك، وأن يَقوموا بحَقِّهِ»[(٣)].

وقال المناويُّ: « «إنَّ اللهَ تعالى يَقولُ يومَ القيامةِ: يا ابنَ آدَمَ» خِطابَ مُعاتَبةٍ لا مُناقَشةٍ ومُعاقَبةٍ»[(٤)].

وقال الصَّنعانيُّ: «إنَّ اللهَ تعالى يَقولُ» مُعاتِبًا ومُخاطِبًا «يَومَ القيامةِ: يا ابنَ آدَمَ» خِطابٌ لغَيرِ مُعَيَّنٍ بَل لِمَن يَصلُحُ لذلك العِتابِ، وحينَ كان الموقِفُ مَوقِفَ عَتْبٍ لَم يُشرِّفْه بالإضافةِ إليه تعالى بـ «يا عَبدي»[(٥)].

---

(١) يُنظر: «مجموع فتاوى ابن عثيمين» «٢/ ٣٧».

(٢) أخرجه مسلم «٢٥٦٩».

(٣) يُنظر: «المفهم» «٦/ ٥٥١».

(٤) يُنظر: «فيض القدير» «٢/ ٣١٢».

(٥) يُنظر: «التنوير شرح الجامع الصغير» «٣/ ٤١٨».

٣- صِنفٌ يُناقَشونَ الحِسابَ ويُسألونَ فيه عن أعمالِهم، فيُحاسَبونَ مُحاسَبةَ مَن توزَنُ حَسَناتُه وسيِّئاتُه. قال عَبدُ العَزيزِ السلمان: «بينَ مُحاسَبةِ المؤمِنِ والكافِرِ فرقٌ؛ فإنَّ المؤمِنَ توزَنُ حَسَناتُه وسيِّئاتُه، فمَن رَجَحَت حَسَناتُه بسَيِّئاتِه دَخلَ الجَنَّةَ، ومن خَفَّتْ مَوازينُه بأن رَجَحَت سَيِّئاتُه بحَسَناتِه دَخلَ النَّارَ، وأمَّا من تَساوَتْ حَسَناتُه وسيِّئاتُه فقيلَ: أولَئِك أصحابُ الأعرافِ، وأمَّا الكُفَّارُ فلا يُحاسَبونَ مُحاسَبةَ مَن توزَنُ حَسَناتُه وسيِّئاتُه؛ فإنَّه لا حَسَناتٍ لهم ولَكِنْ تُعَدُّ أعمالُهم فتُحصى فيوقَفونَ عليها ويُقَرَّرونَ بها، قال اللهُ تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ١٨] ، وقال: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] ، وقال: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] ، وقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾ [النور: ٣٩] »[(١)].

ومن أمثِلةِ هذا الصِّنفِ صاحِبُ البِطاقةِ الذي قال فيه النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «إنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا من أمَّتي على رُؤوسِ الخَلائِقِ يَومَ القيامةِ، فيَنشُرُ عليه تِسعةً وتِسعينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقولُ: أتُنكِرُ مِن هذا شَيئًا؟ أظلَمَك كتَبَتي الحافِظونَ؟ فيَقولُ: لا يا رَبِّ، فيَقولُ: أفلَك عُذرٌ؟ فيَقولُ: لا يا رَبِّ، فيَقولُ: بلى إنَّ لَك عِندَنا حَسَنةً فإنَّه لا ظُلمَ عليك اليَومَ، فتُخرَجُ بطاقةٌ فيها: أشهَدُ أنْ لَا إلهَ إلَّا اللهُ وأشهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبدُه ورَسولُه، فيَقولُ: احضُرْ وزنَك، فيَقولُ: يا رَبِّ، ما هذه البِطاقةُ مَعَ هذه السِّجِلَّاتِ؟! فقال: إنَّك لا تُظلَمُ، قال: فتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ في كِفَّةٍ والبِطاقةُ في كِفَّةٍ، فطاشَتِ السِّجِلَّاتُ وثَقُلَتِ البِطاقةُ، فلا يَثقُلُ مَعَ اسمِ اللهِ شَيءٌ »[(٢)].

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه قال: حَدَّثَني رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «أنَّ اللهَ تَبارك وتعالى إذا كان يَومُ القيامةِ يَنزِلُ إلى العِبادِ لِيَقضيَ بينَهم، وكُلُّ أمَّةٍ جاثيةٌ، فأوَّلُ مَن يَدعو به رَجُلٌ جَمعَ القُرآنَ، ورَجُلٌ يَقتَتِلُ في سَبيلِ اللهِ، ورَجُلٌ كثيرُ المالِ، فيَقولُ اللهُ للقارِئِ: ألم أعلِّمْك ما أنزَلتُ على رَسولي؟ قال: بلى يا رَبِّ، قال: فماذا عَمِلْتَ فيما عَلِمتَ؟ قال: كُنتُ أقومُ به

---

(١) يُنظر: «الكواشف الجلية» «ص: ٥٧٦».

(٢) أخرجه الترمذي «٢٦٣٩» واللَّفظُ له، وابن ماجه «٤٣٠٠»، وأحمد «٦٩٩٤» من حديثِ عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عنهما. صحَّحه ابن حبان في «صحيحه» «٢٢٥»، والحاكم على شرط مسلم في «المستدرك» «٤٦/١»، وابن الملقن على شرط مسلم في «شرح البخاري» «٥٩٥/٣٣»

آناءَ الليلِ وآناءَ النَّهارِ، فيَقولُ اللهُ له: كذَبْتَ، وتَقولُ له المَلائكةُ: كذَبْتَ، ويَقولُ اللهُ: بَل أرَدتَ أن يُقالَ: إنَّ فُلانًا قارِئٌ فقد قيلَ ذاك. ويُؤتى بصاحِبِ المالِ فيَقولُ اللهُ له: ألَم أُوسِّعْ عليك حَتَّى لَم أدَعْك تَحتاجُ إلى أحَدٍ؟ قال: بلى يا رَبِّ، قال: فماذا عَمِلْتَ فيما آتيتُك؟ قال: كُنتُ أصِلُ الرَّحِمَ وأتَصَدَّقُ، فيَقولُ اللهُ له: كذَبْتَ، وتَقولُ له المَلائِكةُ: كذَبْتَ، ويَقولُ اللهُ تعالى: بَل أرَدتَ أن يُقالَ: فُلانٌ جَوادٌ، فقد قيلَ ذاك. ويُؤتى بالذي قُتِلَ في سَبيلِ اللهِ، فيَقولُ اللهُ له فيماذا قُتِلْتَ؟ فيَقولُ: أُمِرْتُ بالجِهادِ في سَبيلِك فقاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فيَقولُ اللهُ تعالى له: كذَبْتَ، وتَقولُ له المَلائِكةُ: كذَبْتَ، ويَقولُ اللهُ: بَل أرَدتُ أن يُقالَ: فُلانٌ جَريءٌ، فقد قيلَ ذاك. ثُمَّ ضَربَ رَسولُ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسَلَّمَ على رُكبَتي، فقال: يا أبا هُريرةَ، أولَئِك الثَّلاثةُ أوَّلُ خَلقِ اللهِ تُسَعَّرُ بهِمُ النَّارُ يَومَ القيامةِ! »[(١)] .

وفي رِوايةٍ عن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه قال: سَمِعتُ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَقولُ: «إنَّ أوَّلَ النَّاسِ يُقضى يَومَ القيامةِ عليه: رَجُلٌ استُشهِدَ، فأُتيَ به، فعَرَّفَه نِعَمَه، فعَرَفَها، قال: فما عَمِلْتَ فيها؟ قال: قاتَلْتُ فيك حَتَّى استُشهِدْتُ، فقال: كذَبْتَ، ولَكِنَّك قاتَلت لأن يُقالَ: جَريءٌ، فقد قيلَ، ثُمَّ أُمِرَ به، فسُحِبَ على وَجهِه، حَتَّى ألقيَ في النَّارِ. ورَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلمَ وعَلَّمَه، وقَرَأ القُرآنَ، فأُتِيَ به، فعَرَّفَه نِعَمَه، فعَرَفَها، قال: فما عَمِلْتَ فيها؟ قال: تَعَلَّمتُ العِلمَ وعَلَّمْتُه، وقَرَأتُ فيك القُرآنَ، قال: كذَبتَ، ولَكِنَّك تَعَلَّمتَ العِلمَ لِيُقالَ عالِمٌ، وقَرَأتَ القُرآنَ لِيُقالَ: هو قارِئٌ، فقد قيلَ، ثُمَّ أُمِرَ به، فسُحِبَ على وَجهِه، حَتَّى ألقِيَ في النَّارِ. ورَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عليه، وأعطاه من أصنافِ المالِ كُلِّه، فأُتِيَ به، فعَرَّفَه نِعَمَه، فعَرَفَها، قال: فما عَمِلْتَ فيها؟ قال: ما تَرَكتُ من سَبيلٍ تُحِبُّ أن يُنفَقَ فيها إلَّا أنفَقْتُ فيها لَك، قال: كذَبتَ ولَكِنَّك فعَلْتَ لِيُقالَ: هو جَوادٌ، فقد قيلَ، ثُمَّ أمِرَ به فسُحِبَ على وَجهِه، ثُمَّ ألقِيَ في النَّارِ »[(٢)] .

قال أبو العَبَّاسِ القُرطُبيُّ: «تَقَدَّمَ أنَّ الإخلاصَ في الطَّاعاتِ واجِبٌ، وأنَّ الرِّياءَ يُفسِدُها. وقَولُه: «إنَّ أوَّلَ النَّاسِ يُقضى عليه يَومَ القيامةِ رَجُلٌ استُشهِدَ، ورَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلمَ، ورَجُلٌ

---

(١) أخرجه الترمذي «٢٣٨٢» واللَّفظُ له، وابن حبان «٤٠٨»، والحاكم «١٥٢٧». صحَّحه ابن حبان، والقرطبي في «التفسير» «١٣/٣٩٨»، وابن القيم في «زاد المعاد» «٣/٨٠». وأصل الحديث في صحيح مسلم «١٩٠٥».

(٢) أخرجه مسلم «١٩٠٥».

أنفقَ مالَهـــ»؛ هذا يُخالِفُه: «أوَّلُ ما يُحاسَبُ به العَبدُ المسلِمُ من عَمَلِه صَلاتُه »، الحَديث، وقَولُه: «أوَّلُ ما يُقضـى فيه بينَ النَّاسِ في الدِّماءِ ». قد يَسـبِقُ إلى الوَهمِ أنَّ هذه الأحاديثَ مُتَعارِضـــةٌ من حَيثُ الأوَّليَّةِ المذكورةِ في كُلِّ حَديثٍ منها، وليس كذلك؛ فإنَّه إنَّما كان يَلزَمُ ذلك لَو أريدَ بكُلِّ أوَّلٍ منها أنَّه أوَّلُ بالنِّسـبةِ إلى كُلِّ ما يُسـألُ عنه، ويُقضـى فيه، وليس في شَيءٍ من تلك الأحاديثِ ما يَنُصُّ على ذلك، وإنَّما أرادَ -والله أعلَمُ- أنَّ كُلَّ واحِدٍ من تلك الأوليَّاتِ أوَّلُ بالنِّسبةِ إلى التي في بابِه، فأوَّلُ ما يُحاسَبُ به من أركانِ الإسلامِ الصَّلاةُ، وأوَّلُ ما يُحاسَبُ به من المظالِمِ الدِّماءُ، وأوَّلُ ما يُحاسَبُ به مِمَّا يَنتَشِرُ فيه صِيتُ فاعِلِه تلك الأمورُ. وهذا أوَّلُ ما يُقارِبُه ويُناسِـــبُه، وهَكَذا تَعتَبِرُ ما يَرِدُ عليك من هذا البابِ، والله تعالى أعلَمُ» ((١)).

وقال النَّوَويُّ: «قَولُه صـــلَّى اللهُ عليه وســـلَّم في الغازي والعالِمِ والجَوادِ وعِقابِهم على فِعلِهم ذلك لغَيرِ اللهِ، وإدخالِهِمُ النَّارَ: دَليلٌ على تَغليظِ تَحريمِ الرِّياءِ، وشِدَّةِ عُقوبَتِه، وعلى الحَثِّ على وُجوبِ الإخلاصِ في الأعمالِ، كما قال اللهُ تعالى وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، وفيه أنَّ العُموماتِ الوارِدةَ في فضـلِ الجِهادِ إنَّما هيَ لِمَن أراد اللهَ تعالى بذلك مُخلِصًـا، وكَذلك الثَّناءُ على العُلَماءِ وعلى المنفِقينَ في وُجوهِ الخَيراتِ كُلُّه مَحمولٌ على من فَعلَ ذلك لله تعالى مُخلِصًا» ((٢)).

---

(١) يُنظر: «المفهم» «٣/ ٧٤٦».

(٢) يُنظر: «شرح مسلم» «١٣/ ٥٠».

١٣- الإيمان بالجنة والنار

المسألة الأولى: الأقوال في المسألة.

المسألة الثانية: مكان الجنة والنار.

المسألة الثالثة: الجنة التي أخرج منها آدم عليه السلام.

المسألة الرابعة: أن الله قد علم عدد أهل الجنة ومن يدخلها وعدد أهل النار ومن يدخلها

المسألة الخامسة: أن الجنة والنار باقيتان لا تفنيان.

المسألة السادسة: خلود أهل الجنة والنار.

[١٣]- قال المصنف رحمه الله: وأهل الجنة يومئذ في الجنة يتنعَّمون وبصنوف اللذات يتلذذون وبأفضل الكرامة يُحبَرون.

الشرح

وفي هذا النص مسائل:

المسألة الأولى: الأقوال في المسألة:

القول الأول: قول أهل السنة والجماعة.

أن الجنة والنار الآن مخلوقتان دائمتان لا تفنيان.

قال الإمام ابن القيم: "يذكر السلف في عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان ويذكر من صنف في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لا يختلفون.

فيها قال أبو الحسن الأشعري في كتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: "جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله لا يردّون من ذلك شيئا"...."ويقرون أن الجنة والنار مخلوقتان" قال ابن القيم بعد أن ساق كلام الأشعري "والمقصود حكايته عن جميع أهل السنة والحديث أن الجنة والنار مخلوقتان" ((١)).

أدلتهم:

أ-أدلة وجود الجنة في الحياة الدنيا:

وقد دل على ذلك من القرآن:

- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ [النجم: الآية: ١٣] . وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم سدرة المنتهى ورأى عندها جنة المأوى كما

---

(١) حادي الأرواح: «ص: ١١-١٥».

في الصحيحين من حديث أنس في قصة الإسراء وفي آخره: "ثم أنطلق بي جبريل حتى انتهى إلى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدرى ما هي قال ثم دخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك"[(١)].

- وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى يوم القيامة"[(٢)].

- وفي المسند وصحيح الحاكم وابن حبان وغيرهم من حديث البراء ابن عازب قال خرجنا مع رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، في جنازة رجل من الأنصار فذكر الحديث بطوله وفيه «فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها». [(٣)] وذكر الحديث.

- وفي الصحيحين من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولاَنِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَأَمَّا المُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا». [(٤)]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه «٣١٦٤» ومسلم في صحيحه «١٦٣» واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده «٤/ ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٥، ٢٩٧» وأبو داود «٣٢١٢، ٤٧٥٣، ٤٧٥٤» والنسائي «٤/ ٧٨» وابن ماجه «١٥٤٨» و«١٥٤٩» والحاكم «١/ ٩٣» رقم «١٠٧» وأبو عوانة كما في «إتحاف المهرة» «٢/ ٤٥٩» وابن منده في الإيمان «١٠٦٤» والبيهقي في إثبات عذاب القبر رقم «٢١» و «٤٣» وغيرهم. من طريق زاذان عن البراء بن عازب فذكره. والحديث صححه: أبو عوانة وابن منده والحاكم والبيهقي وابن القيم وغيرهم. قال ابن القيم في الروح، «ص: ٩١»: "هذا حديث ثابت مشهور مستفيض، صححه جماعة من الحفاظ، ولا نعلم أحدا من أئمة الحديث طعن فيه، بل رووه في كتبهم وتلقوه بالقبول، وجعلوه أصلا من أصول الدين في عذاب القبر ونعيمه، ومسألة منكر ونكير، وقبض الأرواح وصعودها إلى بين يدي الله، ثم رجوعها إلى القبر".

(٣) أخرجه البخاري «١٣٠٨»، ومسلم «٢٨٧٠» واللفظ لمسلم.

(٤) أخرجه البخاري «١٣٧٤»، ومسلم «٢٨٧٠» واللفظ للبخاري.

● وفي صحيح أبي عوانة الاسفرايني وسنن أبي داود من حديث البراء بن عازب الطويل في قبض الروح «ثم يفتح له باب من الجنة وباب من النار فيقال هذا كان منزلك لو عصيت الله تعالى أبدلك الله به هذا فإذا رأى ما في الجنة قال رب عجل قيام الساعة كيما أرجع إلى أهلي ومالي فيقال أسكن». [(١)]

● وفي مسند البزار وغيره من حديث أبي سعيد قال شهدنا مع النبي–صلى الله عليه وسلم–جنازة فقال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: «أيها الناس إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فإذا دفن الإنسان وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك في يده مطراق فأقعده فقال ما تقول في هذا الرجل يعني محمدًا–صلى الله عليه وسلم–فإن كان مؤمنا قال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده رسوله فيقولون له صدقت ثم يفتح له باب إلى النار فيقولون هذا كان منزلك لو كفرت بربك فأما إذا آمنت به فهذا منزلك فيفتح له باب إلى الجنة فيريد أن ينهض إلى الجنة فيقولون له اسكن ». [(٢)] . وذكر الحديث.

● وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت خسفت الشمس في حياة رسول الله–صلى الله عليه وسلم–فذكرت الحديث إلى أن قالت ثم قام فخطب الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: «أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتموهما فافزعوا إلى الصلاة». [(٣)]

---

(١) أخرجه أبو عوانة في صحيحه كما في إتحاف المهرة لابن حجر «٢/ ٤٥٩»، وأبو داود برقم: «٤٧٥٣».

(٢) أخرجه أحمد النسخ «٣/ ٣-٤» والبزار كما في «كشف الأستار» رقم: «٨٧٢» وابن أبي عاصم في «السنة» رقم «٨٦٥»، والطبري في تفسيره «١٣/ ٢١٤»، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» رقم: «٣١»، من طريق عباد بن راشد البصري عن داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري فذكره.

وقد تفرد به عباد وهو صدوق له أوهام، عن خاله داود بن أبي هند مرفوعًا.

وقال البزار: "لا نعلمه عن أبي سعيد إلا بهذا الإسناد، وهذا من أغرب ما كان يسأل عنه الحسين وابن معمر".

وقد خولف عباد، خالفه مسلمة بن علقمة فأوقفه.

فرواه عن داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: فذكر نحوا من حديث عباد بن راشد ولم يرفعه.

(٣) رقم: «٩٠١»، وهو عند البخاري أيضا رقم: «٩٩٧، ١١٥٤».

وقال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: «رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم حتى لقد رأيتني آخذ قطفا من الجنة حين رأيتموني أقدم ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها حين رأيتموني تأخرت». [(١)]

- وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن عبد الله بن عباس قال: انخسفت الشمس على عهد رسول الله فذكر الحديث وفيه قال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله ". فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم: رأيناك تناولت شيئا في مقامك ثم رأيناك تكعكعت فقال: "إني رأيت الجنة وتناولت عنقودا ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ورأيت النار فلم أر منظرا كاليوم قط أفظع ورأيت أكثر أهلها النساء. قالوا بم يا رسول قال: " بكفرهن" قيل: أيكفرن بالله قال: "يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط». [(٢)]

- وفي صحيح البخاري عن أسماء بنت أبي بكر عن النبي–صلى الله عليه وسلم–في صلاة الخسوف قال: «قد دنت مني الجنة حتى لو اجترأت عليها لجئتكم بقطاف من قطافها ودنت مني النار حتى قلت أي رب وأنا معهم فإذا امرأة حسبت أنه قال تخدشها هرة قلت ما شأن هذه قالوا حبستها حتى ماتت جوعا لا أطعمتها ولا أرسلتها تأكل». [(٣)]

ب–أدلة وجود النار في الحياة الدنيا:

وجود النار في الحياة الدنيا.

ويدل على ذلك:

من القرآن:

---

(١) أخرجه البخاري «٣٥٨»، ومسلم «٩٠٧».

(٢) أخرجه البخاري «٧١٢».

(٣) أخرجه البخاري «٩٠٤» –«٩».

قد ذكر الله تعالى في كتابه في مواضع كثيرة يتعسر حدها ويفوت عدها ووصفها. وأخبر بها على لسان نبيه، ونعتها فقال عز من قائل[(١)] :

- ﴿فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾ [البقرة: الآية: ٢٤».
- وقال: ﴿واتقوا النار التي أعدت للكافرين﴾ [آل عمران: الآية: ١٣١].
- وقال: ﴿إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها﴾ [الكهف: الآية: ٢٩].
- وقال: ﴿إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا﴾ [الكهف: الآية: ١٠٢].
- وقال: ﴿وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً﴾ [الفرقان: الآية: ١١].
- وقال تعالى: ﴿أغرقوا فأدخلوا ناراً﴾ [نوح: الآية: ٢٠].

ومن السنة:

عن ابن عمر-رضي الله عنهما-، أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة».[(٢)]

وفيهما أيضا: «أن النبي-صلى الله عليه وسلم-رأى في صلاة الكسوف النار فلم ير منظراً أفظع من ذلك».[(٣)]

وعن عمران بن حصين-رضي الله عنه-، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال: «اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء»، وفيه دلالة على وجودها حال اطلاعه[(٤)]، ورواه الترمذي والنسائي أيضا[(٥)].

---

(١) المصدر: يقظة أولي الاعتبار: «ص: ٥١».

(٢) رواه البخاري «١٣٧٩»، ومسلم «٢٨٦٦».

(٣) رواه البخاري «١٠٥٢» «٤٣١»، ومسلم «٩٠٧» عن ابن عباس.

(٤) يقظة أولي الاعتبار «ص: ٥٢».

(٥) هو ضمن الحديث السابق. ورواه البخاري «٣٢٤١، ٥١٩٨، ٦٤٤٩، ٦٥٤٦ رواه الترمذي «٢٦٠٣»، والنسائي في الكبرى «٩٢٥٩»

وعن أبي ذر-رضي الله عنه-، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال: «أبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم».[(١)]

وعن أبي هريرة-رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «اشتكت النار إلى ربها فقالت رب أكل بعضي بعض فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير».[(٢)] أي: من ذلك التنفس.

وعن ابن عباس وابن عمر-رضي الله عنهم-، قال قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء».[(٣)]، وفي رواية «من فور جهنم» رواه عن رافع بن خديج[(٤)].

وكل ذلك يفيد وجود النار الآن[(٥)]،

وعن ابن عمر-رضي الله عنه-: «ولقد أدنيت النار مني حتى جعلت أتقيها خشية أن تغشاكم»، الحديث[(٦)]

وعن أنس-رضي الله عنه-، قال: «لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً، قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: رأيت الجنة والنار».[(٧)]

القول الثاني: المعتزلة.

أنكروا خلقهما الآن، فقالوا: الجنة والنار لم تخلقا بعد، ولكن سوف يخلقهما الله تعالى يوم

---

(١) رواه البخاري «٥٣٩» «٦٢٩» عن أبي ذر.

(٢) ورواه البخاري «٥٣٦، ٥٣٣، ٥٣٤» عن أبي هريرة.

(٣) رواه «٣٢٦٤، ٥٧٢٣» عن ابن عمر.

(٤) رواه «٥٧٢٦, ٣٢٦٢» عن رافع.

(٥) يقظة أولي الاعتبار «ص: ٥٣».

(٦) رواه الإمام أحمد «٢/ ١٥٩»، والنسائي في الكبرى «٣/ ١٣٧ــــ١٣٨»، وابن خزيمة «٩٠١»، وابن حبان«٢٨٣٨» بسند صحيح عن ابن عمر.

(٧) أخرجه مسلم «٤٢٦».

القيامة، أما الآن فلا توجد جنة ولا نار.

شبهتهم: سبب هذا القول إن المعتزلة يعملون عقولهم في مقابلة النصوص، فيعارضون النصوص بعقولهم، وهذا من جهلهم ومن ضلالهم، فهم يقولون: لو قلنا إن الجنة والنار مخلوقتان الآن لصار خلقهما عبثاً؛ لأنهما مخلوقتان وليس فيهما أحد، والعبث محال على الله، فتنزيهاً لله نقول: لا توجد جنة ولا نار الآن؛ لكن يخلقهما الله يوم القيامة حين ينتفع المؤمنون بالجنة ويكون الكفرة في النار.

ويجاب عليهم:

أولاً: قولكم هذا من أبطل الباطل؛ لأن الله تعالى أثبتهما، ونحن نصدق الله ونؤمن بالله، فقد أخبر تعالى أنهما موجودتان، قال عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: الآية: ١٣٣]، وقال عن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: الآية: ٢٤]، فهي مرصدة معدة مهيأة.

ثانياً: أن خلق الجنة وخلق النار الآن وإعدادهما أبلغ في الزجر وأبلغ في التشديد، فإذا علم العاصي أن النار معدة الآن صار أبلغ في الزجر، وإذا علم المطيع أن الجنة معدة صار أبلغ في الشوق.

ثالثاً: نقول: من قال إن خلقهما الآن عبث؟ فالجنة فيها الولدان، وفيها الحور، وأرواح المؤمنين تتنعم في الجنة، وأرواح الشهداء تنعم فيها، كما جاء في الحديث: «أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة وترد أنهارها، وتأكل من ثمارها، حتى يرجعها الله إلى أجسادها»، والمؤمن إذا مات نقلت روحه إلى الجنة على هيئة نسمة طائر يعلق في الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثون.

ونعلم أن المؤمن يفتح له باب إلى الجنة فيأتيه من نعيمها، والكافر يفتح له باب إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها.

إذاً هناك حكمة وفائدة من خلقهما الآن، فهذا من جهل المعتزلة وضلالهم، حيث إنهم عارضوا النصوص بأفهامهم وآرائهم الفاسدة.

المسألة الثانية: مكان الجنة والنار

أولًا: مكان الجنة.

الجنة في السماء السابعة وسقفها العرش، والعرشُ كما جاءَ في النصوصِ والأخبار هو سقف الجنة، كما جاء في الحديث: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسطُ الجنةِ وأعلاها وفوقه عرش الرحمن». [(١)]

فقد دلت الأحاديث على أن العرش مقبب الشكل، وأنه على هذا العالم المكون من السموات والأرض وما فيهما كهيئة القبة، فكون العرش سقفاً للفردوس الذي هو أوسط الجنة وأعلاها يدل على أنه مقبب لأن هذه الصفة لا تكون إلا في المستدير.

ويؤيد وصف هيئة العرش بهذه الصفة ما جاء في حديث الأعرابي الذي جاء فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن عرشه على سمواته وأراضيه هكذا" وأشار بأصابعه مثل القبة. [(٢)]

ثانيًا: مكان النار

وقد اختلف في هذه المسألة على عدة أقوال[(٣)]:

---

(١) انظر صـحيح البخاري كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّـيَرِ، بَابُ دَرَجَاتِ المجَاهِدِينَ فِي سَـبِيلِ اللَّهِ، يُقَالُ: هَذِهِ سَـبِيلِي وَهَذَا سَـبِيلِي، برقم «٢٧٩٠»، والإمام أحمد في المسند مُسْنَدُ الْمُكْثِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ «٨٤١٩».

(٢) سنن أبي داود «٥/ ٩٤-٩٦، ح ٤٧٢٦»، وأخرجه الدارمي في الرد على بشر المريسي «ص٤٤٧». وابن أبي عاصم في السنة «١/ ٢٥٢». وابن خزيمة في التوحيد «١/ ٢٣٩-٢٤٠، ح: ١٤٧». والطبراني في المعجم الكبير «٢/ ١٣٢، برقم ١٥٤٧». وأبو الشيخ في العظمة «٢/ ٥٥٤-٥٥٦، ح: ١٩٨». والدارقطني في الصفات «ص: ٥١، ح: ٣٨». وابن منده في التوحيد «١/ ١٨٨، برقم: ٦٤٣». واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة «٣/ ٣٩٤». والبيهقي في الأسماء والصفات «٢/ ٣١٧-٣١٨، ح: ٨٨٣». وقد تكلم بعض الأئمة على هذا الحديث: فقال الذهبي في العلو «ص: ٣٩»: "هذا الحديث غريب جداً فرد، وابن إسحاق حجة في المغازي إذا أسند، وله مناكير وعجائب، فالله أعلم أقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا أم لا؟ وأما الله فليس كمثله شيء جل جلاله، وتقدست أسماؤه ولا إله غيره" انتهى كلامه. واستغربه الحافظ ابن كثير في تفسير آية الكرسي من تفسيره «١/ ٣١٠». ثم إن في إسناده اختلافاً. هذا وقد تكلم ابن القيم في تهذيب السنن «٧/ ٩٥-١١٧» بكلام طويل نصر فيه تصحيح الحديث، ورد المطاعن التي طعن بها هذا الحديث، وبخاصة عن ابن إسحاق. والصواب أن هذا الحديث بهذا الإسناد ضعيف، ولا سيما أن جبير بن محمد قال فيه الحافظ ابن حجر: "مقبول" يعني إذا توبع ولم يتابع هنا.

(٣) ذكر هذه الأقوال صاحب كتاب يقظة أولي الاعتبار «ص: ٦٢-٦٧».

القول الأول: أن مكانها في الأرض تحت الأرض السابعة.

القول الثاني: أن جهنم على الأرض والله أعلم بموضعها على الأرض.

القول الثالث: أن مكان النار حالياً تحت الأرض السابعة السفلى، ويوم القيامة تبرز وتظهر، قال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾ [النازعات: الآية:٣٦]، أي في السماء السابعة التي تظهر للناس.

القول الرابع: أن مكانها في السماء.

القول الخامس: التوقف في المسألة وأنه لم يرد نص صريح في مكانها

وقد استدل من قال إن مكانها في الأرض:

ما جاء في الحديث: «يُجاء يوم القيامة بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»[(١)]، وتسجر البحار وتكون جزءاً من جهنم، نسأل الله السلامة والعافية.

وقد روى الحاكم وصححه ووافقه الذهبي عن عبد الله بن سلام-رضي الله عنه-، قال: إن أكرم خليقة الله عليه أبو القاسم-صلى الله عليه وسلم-، وإن الجنة في السماء والنار في الأرض[(٢)].

وروى أبو الشيخ في كتابه العظمة: عن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-، قال: "الجنة في السماء السابعة العليا، والنار في الأرض السابعة السفلى".[(٣)]

وقال ابن رجب في التخويف من النار: الباب الخامس في ذكر مكان جهنم: روى عطية عن ابن عباس-رضي الله عنهما-، قال: "الجنة في السماء السابعة ويجعلها الله حيث يشاء يوم القيامة وجهنم في الأرض السابعة". أخرجه أبو نعيم.[(٤)]

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه «٢٨٤٢».

(٢) رواه الحاكم «٤/ ٦١٢»، والحارث «٩٣٠ -بغية» والبيهقي في الشعب «٣٦٦»

(٣) أخرجه أبو الشيخ في العظمة «٦٠٠».

(٤) التخويف من النار «ص: ٦٢».

وخرج ابن منده من حديث أبي يحيى القتات عن مجاهد قال: قلت لابن عباس: أين الجنة؟ قال: فوق سبع سموات. قلت: فأين النار؟ قال: تحت سبع أبحر مطبقة[(١)].

وروى البيهقي بإسناد فيه ضعف عن أبي الذعراء عن ابن مسعود قال: الجنة في السماء السابعة العليا، والنار في الأرض السابعة السفلى، ثم قرأ: إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿المطففين: ١٨﴾ إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿المطففين: ٧﴾. وخرجه ابن مندة، وعنده: فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء،

وقال محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب عن بشر بن شغاف عن عبد الله بن سلام قال: إن الجنة في السماء وإن النار في الأرض. خرجه ابن خزيمة وابن أبي الدنيا، وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن قتادة قال: كانوا يقولون إن الجنة في السموات السبع، وإن جهنم لفي الأرضين السبع.

وروى ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: الآية: ٢٢﴾. قال: الجنة في السماء،

وقد استدل بعضهم لهذا بأن الله تعالى أخبر أن الكفار يعرضون على النار غدواً وعشياً يعني في مدة البرزخ وأخبر أنه لا تفتح لهم أبواب السماء، فدل على أن النار في الأرض، وقال تعالى: ﴿إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ ﴿المطففين: الآية: ٧﴾. اهـ

قال ابن الجوزي في المنتظم: ومما يدل على أن النار في الأرض حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-، قال: كنا عند رسول الله-صلى الله عليه وسلم-يوماً فسمعنا وجبة فقال النبي-صلى الله عليه وسلم-: «أتدرون ما هذا؟» قلنا: الله أعلم. قال: «هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين خريفاً، فالآن انتهى إلى قعرها». انفرد بإخراجه مسلم.

فإن قيل كيف تكون جهنم في الأرض، وقد رآها رسول الله-صلى الله عليه وسلم-ليلة

---

(١) عزاه في الفيض «٣/ ٣٦٠» لابن عباس، وعزاه لابن منده ابن رجب في التخويف من النار «ص: ٧٢».

المعراج فجوابه من وجهين:

أحدهما: أنه رآها في الأرض في طريقه إلى بيت المقدس، وقد روينا عن ابن الصامت أنه رؤي على سور بيت المقدس الشرقي يبكي، فقيل له في ذلك، فقال ههنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا أنه رأى جهنم.

والثاني: أنه لا يمتنع في القدرة أن يرى جهنم في الأرض وهو في السماء، وقد بدى له المقدس وهو بمكة فوصفه للقوم.

المسألة الثالثة: الجنة التي أخرج منها آدم–عليه السلام–:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والجنة التي أسكنها آدم وزوجته عند سلف الأمة وأهل السنة والجماعة هي: جنة الخلد، ومن قال: إنها جنة في الأرض بأرض الهند أو بأرض جدة، أو غير ذلك، فهو من المتفلسفة والملحدين، أو من إخوانهم المتكلمين المبتدعين، فإن هذا يقوله من يقوله من المتفلسفة والمعتزلة.

والكتاب والسنة يرد هذا القول، وسلف الأمة وأئمتها متفقون على بطلان هذا القول، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [البقرة: الآيات: ٣٤، ٣٦]. فقد أخبر سبحانه أنه أمرهم بالهبوط، وأن بعضهم عدو لبعض، ثم قال: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ وهذا يبين أنهم لم يكونوا في الأرض، وإنما أهبطوا إلى الأرض، فإنهم لو كانوا في الأرض وانتقلوا إلى أرض أخرى كانتقال قوم موسى من أرض إلى أرض، لكان مستقرهم ومتاعهم إلى حين في الأرض قبل الهبوط وبعده.

وكذلك قال في الأعراف لما قال إبليس: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف: الآيات: ١٣]. فقوله: ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ يبين اختصاص السماء

بالجنة بهذا الحكم، فإن الضمير في قوله: ﴿مِنْهَا﴾ عائد إلى معلوم غير مذكور في اللفظ، وهذا بخلاف قوله: ﴿اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: الآية: ٦١]. فإنه لم يذكر هناك ما أهبطوا فيه، وقال هنا: ﴿اهْبِطُوا﴾ لأن الهبوط يكون من علو إلى سفل، وعند أرض السراة حيث كان بنو إسرائيل حيال السراة المشرفة على المصر الذي يهبطون إليه، ومن هبط من جبل إلى واد قيل له: هبط.

وأيضاً، فإن بني إسرائيل كانوا يسيرون ويرحلون، والذي يسير ويرحل إذا جاء بلدة يقال: نزل فيها، لأن في عادته أنه يركب في سيره، فإذا وصل نزل عن دوابه، يقال: نزل العسكر بأرض كذا، ونزل القفل بأرض كذا، لنزولهم عن الدواب.

ولفظ النزول كلفظ الهبوط، فلا يستعمل هبط إلا إذا كان من علو إلى سفل، وقوله: ﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * قَالَ اهْبِطُوا﴾ [الأعراف: الآيتان: ٢٣-٢٤].

فقوله هنا بعد قوله: ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ يبين أنهم هبطوا إلى الأرض من غيرها، وقال: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: الآية: ٢٥]. دليل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك بمكان فيه يحيون وفيه يموتون ومنه يخرجون، وإنما صاروا إليه لما أهبطوا من الجنة، والنصوص في ذلك كثيرة، وكذلك كلام السلف والأئمة"[(١)] .

وقال ابن القيم رحمه الله: "أما ما ذكرتموه من كون الجنة التي أهبط منها آدم ليست جنة الخلد، وإنما هي جنة غيرها، فهذا مما قد اختلف فيه الناس، والأشهر عند الخاصة والعامة الذي لا يخطر بقلوبهم سواه أنها جنة الخلد التي أعدت للمتقين، وقد نص غير واحد من السلف على ذلك".[(٢)]

---

(١) مجموع الفتاوى «٤/ ٣٤٦».

(٢) مفتاح دار السعادة «١/ ١٤» وقد ذكر المسألة العلامة ابن القيم في كتابيه «حادي الأرواح، ومفتاح دار السعادة» وأطال فيها.

المسألة الرابعة: أن الله قد علم عدد أهل الجنة ومن يدخلها، وعدد أهل النار ومن يدخلها"

يذكر غير واحد من العلماء هذه المسألة بعينها في كتب الاعتقاد ومن هؤلاء الإمام الطحاوي حيث يقول: "وقد علم الله تَعَالَى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة، وعدد من يدخل النار، جملة واحدة، فلا يزاد في ذلك العدد ولا ينقص منه، وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه"((١)) .

قَالَ ابن أبي العز شارح العقيدة الطحاوية-رحمه الله تعالى-:

"قال الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: الآية: ٧٥]. ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ [الأحزاب: الآية: ٤٠] فالله تَعَالَى موصوف بأنه بكل شيء عليم أزلا وأبداً، لم يتقدم علمه بالأشياء جهالة ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً﴾ [مريم: الآية: ٦٤] وعن عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِب- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قال: "كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رَسُول الله-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة، فنكس رأسه فجعل ينكت بمخصرته ثُمَّ قَالَ: «ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنَّار وإلا قد كُتبت شقية أو سعيدة»، قَالَ: فَقَالَ رجل: يا رَسُول الله أفلا نمكث عَلَى كتابنا وندع العمل؟ فقَالَ: «من كَانَ من أهل السعادة فسيصير إِلَى عمل أهل السعادة، ومن كَانَ من أهل الشقاوة فسيصير إِلَى عمل أهل الشقاوة، ثُمَّ قَالَ: اعملوا فكل ميسَّر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة، ثُمَّ قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى *فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل:

(١) شرح العقيدة الطحاوية «١/ ٣١٧».

الآيات: ٥-١٠]».[(١)]

وقد أنكر الفلاسفة علم الله بالجزئيات قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: "وَقَدْ يَقُولُونَ: إِنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ الْكُلِّيَّاتِ دُونَ الْجُزْئِيَّاتِ؛ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَعْلَمُهَا عَلَى وَجْهٍ كُلِّيٍّ وَيَقُولُونَ مَعَ ذَلِكَ: إنَّهُ يَعْلَمُ نَفْسَهُ وَيَعْلَمُ مَا يَفْعَلُهُ.

وَقَوْلُهُمْ يَعْلَمُ نَفْسَهُ وَمَفْعُولَاتِهِ حَقٌّ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ لَكِنْ قَوْلُهُمْ مَعَ ذَلِكَ: إنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْأَعْيَانَ الْمُعَيَّنَةَ جَهْلٌ وَتَنَاقُضٌ فَإِنَّ نَفْسَهُ الْمُقَدَّسَةَ مُعَيَّنَةٌ وَالْأَفْلَاكُ مُعَيَّنَةٌ وَكُلُّ مَوْجُودٍ مُعَيَّنٌ.

فَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ الْمُعَيَّنَاتِ لَمْ يَعْلَمْ شَيْئًا مِنْ الْمَوْجُودَاتِ إذْ الْكُلِّيَّاتُ إنَّمَا تَكُونُ كُلِّيَّاتٍ فِي الْأَذْهَانِ لَا فِي الْأَعْيَانِ فَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ إلَّا الْكُلِّيَّاتِ لَمْ يَعْلَمْ شَيْئًا مِنْ الْمَوْجُودَاتِ. تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا."[(٢)]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهؤلاء المتفلسفة الدهرية عندهم أن الله لا يفعل شيئًا بمشيئته ولا يجيب دعاء الداعي بل ولا يعلم الجزئيات ولا يعرف هذا الداعي من هذا الداعي ولا يعرف إبراهيم من موسى من محمد وغيرهم بأعيانهم من رسله بل منهم من ينكر علمه مطلقا كأرسطو وأتباعه ومنهم من يقول إنما يعلم الكليات كابن سينا وأمثاله". [(٣)]

المسألة الخامسة: أن الجنة والنار باقيتان لا تفنيان أبدًا

قال ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية: "وَقَوْلُهُ: "لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلَا تَبِيدَانِ "-هَذَا قَوْلُ جُمْهُورِ الْأَئِمَّةِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ. وَقَالَ بِبَقَاءِ الْجَنَّةِ وَبِفَنَاءِ النَّارِ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية «١/ ٣١٧».

(٢) مجموع الفتاوى «١٢/ ٥٩٥».

(٣) الجواب الصحيح «١/ ١١٤».

وَالْخَلَفِ، وَالْقَوْلَانِ مَذْكُورَانِ فِي كَثِيرٍ مِنْ كُتُبِ التَّفْسِيرِ وَغَيْرِهَا.

وَقَالَ بِفَنَاءِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ إِمَامُ الْمُعَطِّلَةِ، وَلَيْسَ لَهُ سَلَفٌ قَطُّ، لَا مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَا مِنَ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَلَا مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ. وَأَنْكَرَهُ عَلَيْهِ عَامَّةُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَكَفَّرُوهُ بِهِ، وَصَاحُوا بِهِ وَبِأَتْبَاعِهِ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ. وَهَذَا قَالَهُ لِأَصْلِهِ الْفَاسِدِ الَّذِي اعْتَقَدَهُ، وَهُوَ امْتِنَاعُ وُجُودِ مَا لَا يَتَنَاهَى مِنَ الْحَوَادِثِ! وَهُوَ عُمْدَةُ أَهْلِ الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ، الَّتِي اسْتَدَلُّوا بِهَا عَلَى حُدُوثِ الْأَجْسَامِ، وَحُدُوثِ مَا لَمْ يَخْلُ مِنَ الْحَوَادِثِ، وَجَعَلُوا ذَلِكَ عُمْدَتَهُمْ فِي حُدُوثِ الْعَالَمِ. فَرَأَى الْجَهْمُ أَنَّ مَا يَمْنَعُ مِنْ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا فِي الْمَاضِي، يَمْنَعُهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ! ! فَدَوَامُ الْفِعْلِ عِنْدَهُ عَلَى الرَّبِّ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مُمْتَنِعٌ، كَمَا هُوَ مُمْتَنِعٌ عِنْدَهُ عَلَيْهِ فِي الْمَاضِي! ! وَأَبُو الْهُذَيْلِ الْعَلَّافُ شَيْخُ الْمُعْتَزِلَةِ، وَافَقَهُ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ، لَكِنْ قَالَ: إِنَّ هَذَا يَقْتَضِي فَنَاءَ الْحَرَكَاتِ، فَقَالَ بِفَنَاءِ حَرَكَاتِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى يَصِيرُوا فِي سُكُونٍ دَائِمٍ، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى حَرَكَةٍ! ! وَقَدْ تَقَدَّمَ الْإِشَارَةُ إِلَى اخْتِلَافِ النَّاسِ فِي تَسَلْسُلِ الْحَوَادِثِ فِي الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ، وَهِيَ مَسْأَلَةُ دَوَامِ فَاعِلِيَّةِ الرَّبِّ تَعَالَى، وَهُوَ لَمْ يَزَلْ رَبًّا قَادِرًا فَعَّالًا لِمَا يُرِيدُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ حَيًّا عَلِيمًا قَدِيرًا. وَمِنَ الْمُحَالِ أَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ مُمْتَنِعًا عَلَيْهِ لِذَاتِهِ، ثُمَّ يَنْقَلِبُ فَيَصِيرُ مُمْكِنًا لِذَاتِهِ، مِنْ غَيْرِ تَجَدُّدِ شَيْءٍ، وَلَيْسَ لِلْأَوَّلِ حَدٌّ مَحْدُودٌ حَتَّى يَصِيرَ الْفِعْلُ مُمْكِنًا لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ الْحَدِّ، وَيَكُونُ قَبْلَهُ مُمْتَنِعًا عَلَيْهِ. فَهَذَا الْقَوْلُ تَصَوُّرُهُ كَافٍ فِي الْجَزْمِ بِفَسَادِهِ. فَأَمَّا أَبَدِيَّةُ الْجَنَّةِ، وَأَنَّهَا لَا تَفْنَى وَلَا تَبِيدُ، فَهَذَا مِمَّا يُعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَ بِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هُودٍ: ١٠٨] أَيْ غَيْرَ مَقْطُوعٍ، وَلَا يُنَافِي ذَلِكَ قَوْلَهُ: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٨] ". (١)

المسألة السادسة: خلود أهل الجنة والنار

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية «٢/ ٦٢٠ ـ ٦٢٢».

عن أبي سعيد الخدري–رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم–: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت. ثم قرأ: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة﴾، وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا ﴿وهم لا يؤمنون﴾ [مريم: الآية: ٣٩]» (١)

وعن ابن عمر–رضي الله عنهما، أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–قال: «يدخل أهل الجنة الجنة، ويدخل أهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم، فيقول: يا أهل الجنة، لا موت، ويا أهل النار، لا موت. كلّ خالد فيما هو فيه». (٢)

وعنه قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وصار أهل النار إلى النار، أتى بالموت، حتى يجعل بين النار والجنة. ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة، لا موت. ويا أهل النار لا موت. فيزداد أهل الجنة فرحا. ويزداد أهل النار حزنا». (٣)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أتى بالموت ملبّبا، فيوقف على السور الذي بين أهل الجنة وأهل النار، ثم يقال: يا أهل الجنة، فيطّلعون خائفين. ثم يقال: يا أهل النار، فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة. فيقال لأهل الجنة وأهل النار: هل تعرفون هذا؟ فيقول هؤلاء وهؤلاء: قد عرفناه، هو الموت الذي وكّل بنا، فيضجع فيذبح ذبحا على السور، قم يقال: يا أهل الجنة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت». (٤)

قال ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية: "وَأَمَّا أَبَدِيَّةُ النَّارِ وَدَوَامُهَا، فَلِلنَّاسِ فِي ذَلِكَ

---

(١) أخرجه البخاري «٤٧٣٠»، ومسلم «٢٨٤٩».

(٢) أخرجه البخاري «٦٥٤٤»، ومسلم «٢٨٥٠».

(٣) أخرجه البخاري «٦٥٤٨»، ومسلم «٢٨٥٠».

(٤) أخرجه البخاري «٦٥٤٥» مختصراً، والترمذي «٢٥٥٧» مطولاً بنحوه، وابن ماجه «٤٣٢٧» بنحوه، وأحمد «٩٤٤٩».

ثَمَانِيَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ مَنْ دَخَلَهَا لَا يَخْرُجُ مِنْهَا أَبَدَ الْآبَادِ، وَهَذَا قَوْلُ الْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ.

وَالثَّانِي: أَنَّ أَهْلَهَا يُعَذَّبُونَ فِيهَا، ثُمَّ تَنْقَلِبُ طَبِيعَتُهُمْ وَتَبْقَى طَبِيعَةً نَارِيَّةً يَتَلَذَّذُونَ بِهَا لِمُوَافَقَتِهَا لِطَبْعِهِمْ! وَهَذَا قَوْلُ إِمَامِ الِاتِّحَادِيَّةِ ابْنِ عَرَبِيٍّ الطَّائِيِّ! !

الثَّالِثُ: أَنَّ أَهْلَهَا يُعَذَّبُونَ فِيهَا إِلَى وَقْتٍ مَحْدُودٍ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنْهَا، وَيَخْلُفُهُمْ فِيهَا قَوْمٌ آخَرُونَ، وَهَذَا الْقَوْلُ حَكَاهُ الْيَهُودُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَكْذَبَهُمْ فِيهِ، وَقَدْ أَكْذَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: " ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ-بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٠-٨١].

الرَّابِعُ: يَخْرُجُونَ مِنْهَا، وَتَبْقَى عَلَى حَالِهَا لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ.

الْخَامِسُ: أَنَّهَا تَفْنَى بِنَفْسِهَا، لِأَنَّهَا حَادِثَةٌ وَمَا ثَبَتَ حُدُوثُهُ اسْتَحَالَ بَقَاؤُهُ! ! وَهَذَا قَوْلُ الْجَهْمِ وَشِيعَتِهِ، وَلَا فَرْقَ عِنْدَهُ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، كَمَا تَقَدَّمَ.

السَّادِسُ: تَفْنَى حَرَكَاتُ أَهْلِهَا وَيَصِيرُونَ جَمَادًا، لَا يُحِسُّونَ بِأَلَمٍ، وَهَذَا قَوْلُ أَبِي الْهُذَيْلِ الْعَلَّافِ.

السَّابِعُ: أَنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ مِنْهَا مَنْ يَشَاءُ، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ، ثُمَّ يُبْقِيهَا شَيْئًا، ثُمَّ يُفْنِيهَا، فَإِنَّهُ جَعَلَ لَهَا أَمَدًا تَنْتَهِي إِلَيْهِ.

الثَّامِنُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُخْرِجُ مِنْهَا مَنْ شَاءَ، كَمَا وَرَدَ فِي السُّنَّةِ، وَيَبْقَى فِيهَا الْكُفَّارُ، بَقَاءً لَا انْقِضَاءَ لَهُ". (١)

وهذا ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، ومن ذلك:

قوله تعالى عن أهل النار: ﴿إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً *إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً﴾ [النساء: الآيات: ١٦٨-١٦٩]

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية «١/ ٦٢٤ ..٦٢٥».

وقوله: ﴿إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً* خالدين فيها أبداً﴾ [الأحزاب: الآيات: ٦٣-٦٥].

وقوله: ﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا﴾ [الجن: الآية: ٢٣]

وقوله: ﴿إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون* لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون﴾ [الزخرف: الآيتان: ٧٤-٧٥]



١٤- رؤية الله

فيه مسائل:

المسألة الأولى: رؤية الله في الدنيا يقظة.

المسألة الثانية: رؤية الله عز وجل في المنام.

المسألة الثالثة: رؤية النبي ﷺ ربه ليلة المعراج.

المسألة الرابعة: رؤية الله عز وجل في الآخرة

المسألة الخامسة: الفرق المخالفة في إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة

المسألة السادسة: خروج عصاة الموحدين من النار.



[١٤]- قال المصنف رحمه الله: فهم حينئذ إلى ربِّهم ينظرون، لا يمارون في النظر إليه ولا يشكون، فوجوههم بكرامته ناضرة، وأعينهم بفضله إليه ناظرة، في نعيم دائم مقيم ﴿لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين﴾ [الحجر: الآية: ٤٨] ﴿أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار﴾ [الرعد: الآية:٣٥] وأهل الجحد عن ربهم يومئذ محجوبون وفي النار يسجرون، ﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون﴾ [المائدة: الآية:٨٠] ﴿لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور﴾ [فاطر: الآية:٣٦]، خلا من شاء من الموحدين إخراجهم منها.

الشرح

تمهيد.

مسـألة رؤية الله يُلحقها العلماء بباب الصِّـفات، مع أن البحث في رؤية العبد لربه وليس العكس، ولكنهم يُلحقونها بباب الصفات.

ويجدر التنبيه على أمور مهمة تتعلق بمسألة الرؤية، فمسألة رؤية الله عز وجل مُتشعبة؛ إذ تشتمل على المسائل الآتية:

- المسألة الأولى: ما يتعلق برؤيته سبحانه وتعالى في الدنيا عيانًا.
- المسألة الثانية: ورؤيته جل وعلا منامًا.
- المسألة الثالثة: ورؤية النبي ﷺ لربّه ليلة المعراج.
- المسألة الرابعة: ورؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة وفي الجنة.
- المسألة الخامسة: الفرق المخالفة في إثبات رؤية الله في الآخرة.

المسألة الأولى: رؤية الله في الدنيا يقظة.

رؤية الله في الدنيا يقظة غير واقعة شـرعًا، وغير مُمكنة، وقد اتفقت الأمةُ على أن الله تعالى لا يراه أحدٌ في الدنيا بعينه، ولم ينازعوا في ذلك إلا ما شَـذَّ من بعض غُلاة الصُّـوفية؛ فقد

زعموا أنه يجوز رؤية الله في الدنيا، وأنه يَزورهم ويَزورونه في الحضـــرة الإلهية ويَرَوْنه [١]، وهؤلاء لا عبرة بخلافهم؛ إذ كله كذب ودجل.

ومَن ادَّعى رؤية الله في الدنيا بعيني رأسه فدعواه باطلة باتفاق أهل السنة والجماعة، وهو ضالٌّ.

قال ابن تيمية-رحمه الله-«**ت: ٧٢٨ هـ**»، في ردِّه على مَن زعم رؤية الله في الدنيا يقظة: "مَن قال من الناس: إن الأولياء أو غيرهم يرى الله بعينه في الدنيا فهو مبتدع ضـــالٌّ، مُخالف للكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة، لا سيما إذا ادَّعوا أنهم أفضل مِن موسى، فإن هؤلاء يُستتابون، فإن تابوا وإلا قُتلوا".[٢]

وقد بَيَّن-رحمه الله-علة عدم إمكان رؤية الله في الدنيا بالعين، حيث قال: "وإنَّما لم نَره في الدنيا لعجز أبصــارنا، لا لامتناع الرؤيا، فهذه الشـمس إذا حدق الرائي البصـر في شـعاعها ضـــعف عن رؤيتها لا لامتناع في ذات المرئي، بل لعجز الرَّائي، فإذا كان في الدار الآخرة أكمل الله قُوى الآدميين حتى أطاقهم رؤيته، ولهذا لما تجلى الله للجبل خَرَّ موسى صعقًا، قال: ســـبحانك! تُبت إليك، وأنا أول المؤمنين بأنَّه لا يراك حيٌّ إلا مات، ولا يابس إلا تَدَهْدَه، ولهذا كان البشـر يَعجزون عن رؤية المَلَك في صـورته إلَّا مَن أيده الله، كما أيَّد نبينا صـلى الله عليه وسلم".[٣]

والأدلة التي استند عليها أهل السنة في إجماعهم على عدم وقوع رؤية الله في الدنيا يقظة-كثيرة؛ منها:

قول النبي-صـلى الله عليه وسـلم-كما في «صـحيح مسـلم»: «**تَعَلَّمُوا أنَّه لن يرى أحدٌ**

---

(١) المِلَل والنِّحَل للشَّهرستاني «١/ ١٠٥».

(٢) مجموع الفتاوى «٧/ ١٠٤».

(٣) «منهاج السنة النبوية» «٢/ ٣٣٢».

مِنكم ربه-عز وجل-حتى يَموت»(١)، فهو صـــريح في عدم وقوع الرؤية البصـــرية لأحد من الناس لله جل وعلا في هذه الدار الدنيا حتى ولو كان نبيًّا؛ لأن الله-جل وعلا-قد مَنع موسى-عليه السلام-مِن أن يَرَاه، وهو أحد أُولي العزم من الرسل، فكيف بمن دونه مِن سائر المؤمنين؟! فإن الله-جل وعلا-لما قال له موسى: ﴿**رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ**﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣] قال: ﴿**لَن تَرَانِي**﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣] فمنعه من أن يراه، وفي قوله: ﴿**فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا**﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣]، أي: لما تجلى الله للجبل تدكدك ولم يَثبت، فكيف يَثبت البشر الضعيف؟!

المسألة الثانية: رؤية الله-عز وجل-في المنام.

ذهب جمهور العلماء إلى جواز رؤية الله في المنام، وأنها قد تقع صحيحة، بل ذكر القاضي عياض-رحمه الله-اتفاق العلماء على هذه المسألة؛ فقال: "ولم يختلف العلماء في جواز صحة رؤية الله في المنام".(٢)

وقال الإمام البَغوي-رحمه الله-«ت: ٥١٠ هـ»: "رؤية الله في المنام جائزة؛ قال معاذ-رضي الله عنه-«**ت: ١٨ هـ**»، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**إني نَعست فرأيت ربِّي**»(٣)، وتكون رؤيته-جَلَّت قُدرته-ظهور العدل والفرج والخصـــب والخير لأهل ذلك الموضـــع، فإن رآه فوعد له جنة، أو مغفرة، أو نجاة من النار، فقوله حق، ووعده صـدق، وإن رآه ينظر إليه فهو رحمته، وإن رآه معرضًا عنه فهو تحذير من الذنوب؛ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ**﴾ [آل عمران: الآية: ٧٧]، وإن أعطاه شيئًا من متاع الدنيا فأخذه، فهو بلاء ومحن وأسقام تصيب بدنه، يَعظم بها أجرُه، لا

---

(١) أخرجه مسلم «٢٩٣١» من حديث عبد الله بن عمر-رضي الله عنه-.

(٢) إكمال المعْلِم بفوائد مُسلم «٧/ ٢٢٠».

(٣) أخرجه أحمد في المسـند «٢١٦٢٨»، والترمذي في العلل الكبير «٤٣٥»، والحاكم في المسـتدرك «١٨٦٩»، والطبراني في الكبير «١٦١٠٣».

يَزال يضطرب فيها حتى يُؤديه إلى الرحمة، وحسن العاقبة".(١)

وقال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "ومن رأى الله-عز وجل-في المنام فإنَّه يراه في صورة من الصور بحسب حال الرَّائي؛ إن كان صالحًا رآه في صورة حسنة، ولهذا رآه النبي صلى الله عليه وسلم في أحسن صورة...".(٢)

وقال في موضع آخر: "وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صورة متنوعة على قدر إيمانه ويقينه، فإذا كان إيمانه صحيحاً لم يره إلا في صورة حسنة، وإذا كان في إيمانه نقص رأى ما يُشبه إيمانه، ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة، ولها تعبير وتأويل لما فيها من الأمثال المضروبة للحقائق...".(٣)

وقال الإمام ابن كثير-رحمه الله-«ت: ٧٧٤ هـ» عند تفسير قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ**﴾ [ص: الآية: ٦٩]: فأمَّا الحديث الذي رواه الإمام أحمد: «... **فإذا أنا بربي-عز وجل-في أحسن صورة، فقال: يا محمد، أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري يا رب». أعادها ثلاثًا، «فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين صدري، فتجلى لي كل شيء وعرفتُ**...»، فهو حديث المنام المشهور، ومَن جعله يقظة فقد غَلط، وهو في السُّنن من طرق".(٤)

المسألة الثالثة: رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة المعراج.

بعد اتفاق أهل السنة والجماعة على أن الله تعالى لا يراه أحد في الدنيا يقظة فقد اختلفوا في رؤية نبينا صلى الله عليه وسلم ربه ليلة المعراج.

قال الإمام ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "حكى عثمان بن سعيد الدارمي-

(١) شرح السنة «١٢/ ٢٢٧، ٢٢٨».

(٢) مجموع الفتاوى «٥/ ٢٥١».

(٣) مجموع الفتاوى «٣/ ٣٩٠».

(٤) تفسير ابن كثير «٧/ ٨١».

رحمه الله-«**ت: ٢٨٠ هـ**» في كتاب «**الرؤية**» له: إجماع الصحابة على أنه لم ير ربه ليلة المعراج، وبعضهم استثنى ابن عباس فيمن قال ذلك، وشيخنا-أي: ابن تيمية-يقول: ليس ذلك بخلاف في الحقيقة، فإن ابن عباس لم يقل: رآه بعيني رأسه، وعليه اعتمد أحمد في إحدى الروايتين حيث قال: إنه-ﷺ صلى الله عليه وسلم -رآه عز وجل، ولم يقل: بعيني رأسه، ولفظ أحمد لفظ ابن عباس-رضي الله عنهما-، ويدل على صحة ما قال شيخنا في معنى حديث أبي ذر-رضي الله عنه- عن النبي-صلى الله عليه وسلم-في الحديث الآخر: «**حجابُه النُّورُ**»(١)، فهذا النور هو-والله أعلم-النور المذكور في حديث أبي ذر-رضي الله عنه-: «**رأيتُ نُورًا**".(٢) (٣)

وهو ما رجَّحه-أيضًا-شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى»، حيث قال-رحمه الله-: "ولم يتنازعوا إلا في النبي-صلى الله عليه وسلم-خاصة مع أن جماهير الأئمة على أنَّه لم يَرَه بعينه في الدنيا، وعلى هذا دَلَّت الآثار الصحيحة الثابتة النبي-صلى الله عليه وسلم-والصحابة وأئمة المسلمين، ولم يثبت عن ابن عباس ولا عن الإمام أحمد وأمثالهما أنهم قالوا: إن محمدًا رأى ربه بعينه، بل الثابت عنهم إمَّا إطلاق الرؤية، وإمَّا تقييدها بالفؤاد، وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة أنه رآه بعينه، وقوله: «**أتاني البارحةَ رَبِّي في أحسن صورة**»(٤) الحديث الذي رواه الترمذي وغيره إنما كان بالمدينة في المنام هكذا جاء مفسرًا".(٥)

فحملوا الآثار المطلقة الواردة في الرؤية؛ كأثر ابن عباس: «**رأى محمدٌ ربَّه**» على الرؤية القلبية، وحملوا الآثار النافية للرؤية؛ كأثر عائشة-رضي الله عنها-على الرؤية البصرية؛ لأنه-

(١) أخرجه مسلم «١٧٩» من حديث أبي موسى-رضي الله عنه-.

(٢) أخرجه مسلم «١٧٨» من حديث أبي ذر-رضي الله عنه-.

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية «١/ ٣».

(٤) أخرجه الترمذي «٣١٥٧»، وأحمد «٣٣٠٤» وغيرهما، وصححه الألباني في صحيح الجامع «٥٩».

(٥) مجموع الفتاوى «١/ ١٦٩».

من خلال التَّتبع-لم يَرِد عن أحد منهم أنه قال: رآه بعينه، وعليه فلا تعارض بين هذه النصوص.

المسألة الرابعة: رؤية الله-عز وجل-في الآخرة.

ورؤية الله تعالى هي أعظم النعيم وأعلاه، وغايته ومنتهاه، وهو لكل مؤمن اصطفاه، فهي أجل مسائل الدين وأشرفه.

قال ابن أبي العز الحنفي-رحمه الله-«ت:٧٩٢ هـ»: "هذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلها، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتنافس المتنافسون، وحرمها الذين هم عن ربهم محجوبون، وعن بابه مردودون".(١)

ومن عقيدة أهل السـنة والجماعة أنهم يؤمنون بأن أهلَ الإيمان يرون ربهم يومَ القيامة كما وردت الأدلة بذلك

أولًا: الأدلة من القرآن:

● قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: الآية: ٢٦]، فقد فسرت الحسنى بالجنة والزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم.

قال أبو بكر الصديق-رضي الله عنه-«ت: ١٣ هـ»: "النظر إلى وجه الله".(٢).

وقال قتادة-رحمه الله-«١١٨ هـ»: "الحسـني الجنة، والزيادة فيما بلغنا النظر إلى وجه الله".(٣)

وقال عامر بن سعد-رحمه الله-٩٦ هـ»: "الزيادة: النظر إلى وجه الرحمن".(٤)

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى-رحمه الله-«ت: ٨٣ هـ»: "إذا دخل أهل الجنة الجنة

(١) شرح الطحاوية للقاضي ابن أبي العز «١/ ٢٠٨».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره «١٢/ ١٥٦ و١٦١» ونسبه السيوطي في الدر المنثور «٣/ ٣٠٦» إلى ابن أبي شيبة، وابن خزيمة، وابن المنذر، وأبي الشيخ، والدارقطني، وابن منده في الرد على الجهمية، واللالكائي والآجري، والبيهقي.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف «٢/ ١٧٤ رقم ١١٥٥».

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره «١٢/ ١٥٧».

قال لهم: إنه قد بقي من حقكم شيء لم تعطوه! قال: فيتجلى لهم. قال: فيصغر عندهم كل شيء أعطوه. قال: ثم قال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: الآية: ٢٦]، قال: ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ الجنة، والزيادة النظر إلى وجه ربهم، ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة بعد ذلك".(١)

قال البغوي-رحمه الله-«ت: ٥١٦ هـ»: "للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسني، وهي الجنة، وزيادة: وهي النظر إلى وجه الله الكريم، هذا قول جماعة من الصحابة، منهم أبو بكر الصديق-رضي الله عنه-«**ت: ١٣ هـ**»، وحذيفة-رضي الله عنه-«**ت: ٣٦ هـ**»، وأبو موسى--رضي الله عنه-«**ت: ٤٢ هـ**»، وعبادة بن الصامت-رضي الله عنه-«**ت: ٣٤ هـ**»، وهو قول الحسن-رحمه الله-«**ت: ١١٠ هـ**»، وعكرمة-رحمه الله-«**ت: ١٠٥ هـ**» وعطاء-رحمه الله-«**ت: ١١٤ هـ**»، ومقاتل-رحمه الله-«**ت: ١٥٠ هـ**»، والضحاك-رحمه الله-«**ت: ٦٤ هـ**»، والسدي-رحمه الله-«**ت: ١٢٨ هـ**»".(٢)

قال القرطبي-رحمه الله-«ت: ٦٧١ هـ»: "للذين أحسنوا العمل في الدنيا لهم الحسني وهي الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم، وهو قول جماعة من التابعين، وهو الصحيح في الباب".(٣)

قال القرطبي-رحمه الله-«ت: ٦٧١ هـ»: "وقد ورد هذا عن أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب في راوية، وحذيفة وعبادة بن الصامت وكعب بن عجرة وأبي موسى وصهيب وابن عباس في رواية، وهو قول جماعة من التابعين، وهو الصحيح في الباب.

وروى مسلم في صحيحه عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله تبارك وتعالى تريدون شيئا أزيدكم فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟!**

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره «١٢/ ١٥٩».

(٢) انظر: تفسير البغوي «٤/ ١٣٠».

(٣) انظر: تفسير القرطبي «٨/ ٨٣٠» باختصار.

ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟! قال فيكشـــف الحجاب فما أعطوا شـيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل. وفي رواية ثم تلا ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: الآية: ٢٦]»[١]"[٢]

● قوله تعالى: ولدينا مزيد **﴿لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾** [ق: الآية: ٣٥] فقد فسر المزيد في هذه الآية بأنه النظر إلى الله تعالى كالآية السابقة،

قال أنس –رضي الله عنه–«ت: ٩٣ هـ»، في قول الله تعالى: **﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾**

قال: "يتجلى لهم كل جمعة".[٣]

وقال الطبري –رحمه الله–«ت: ٣١٠ هـ»: "يقول: وعندنا لهم على ما أعطيناهم من هذه الكرامة التي وصف جل ثناؤه صفتها مزيد يزيدهم إياه وقيل: إن ذلك المزيد: النظر إلى الله جل ثناؤه".[٤]

قال ابن كثير –رحمه الله–«**ت: ٧٧٤ هـ**»: "إن المزيد الذي يتفضـــل الله به على عباده فوق ما يشاءون هو ظهوره تعالى لهم".[٥] وبهذا فسر الآية ابن جرير الطبري والقرطبي وغيرهما ودلالتها عن الرؤية كالآية السابقة.

● قوله تعالى: **﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾** [القيامة: الآيات: ٢٢-٢٣]، ووجه الاستدلال بالآية على الجواز ما نقل أن **﴿نَاظِرَةٌ﴾** أي رائية رؤية بصرية يوم القيامة كما قال أهل السنة والجماعة.

---

(١) رواه مسلم «١٨١».

(٢) تفسير القرطبي «٨/ ٣٣٠».

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في صـــفة الجنة «رقم: ٩٤»، والدارمي في الرد على الجهمية «رقم: ١٩٨»، والبزار في مســـنده «رقم: ٧٥٢٨»، وقال: "وعثمان صـــالح وهذا الحديث لا نعلم رواه عن أنس بهذا اللفظ إلا عثمان بن عمير أبو اليقظان". وبنحوه رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد «٣/ ٥١٩ رقم: ٨١٣». قال ابن تيمية: "إسناده صحيح" مجموع الفتاوى «٦/ ٤١٥».

(٤) انظر: تفسير الطبري «٢١/ ٤٥٤».

(٥) تفسير ابن كثير «٦/ ٤٠٨».

عن عكرمة-رحمه الله-«**ت: ١٠٥ هـ**» قال: "تنظر إلى ربها نظرًا".[١]

وقال عكرمة وإسماعيل بن أبي خالد وأشياخ من أهل الكوفة: "تنظر إلى ربها نظرًا".[٢]

وعن الحسن-رحمه الله-«**ت: ١١٠ هـ**» قال: "تنظر إلى الخالق، وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق".[٣]

قال الواحدي-«**ت: ٤٦٨ هـ**»: "قال ابن عباس-رضي الله عنهما-«**ت: ٦٨ هـ**»، في رواية عطاء-رحمه الله-«**ت: ١١٤ هـ**»: "يريد إلى الله ناظرة ،"وقال في رواية الكلبي: "تنظر إلى الله يومئذ، لا تحجب عنه ،"وقال مقاتل: "تنظر إلى ربها معاينة[٤]

قال الطبري-رحمه الله-«**ت: ٣١٠ هـ**»: "الصواب القول الذي ذكرناه عن الحسن وعكرمة، من أن معنى ذلك تنظر إلى خالقها، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ[٥]

وقال الزجاج-رحمه الله-«**ت: ٣٤٠ هـ**»: "نضرت بنعيم الجنة والنظر إلى ربها[٦]

وقال السمعاني-رحمه الله-«**ت: ٤٢٦ هـ**»: "قوله: ﴿نَاظِرَةٌ﴾ بالضاد أي: مسرورة طلقة هشة بشة، والنضرة: هي النعمة والبهجة في اللغة. وقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ هو النظر إلى الله تعالى بالأعين، وهو ثابت للمؤمنين في الجنة بوعد الله تعالى وبخبر الرسول[٧]

- **قال أبو الحسن الأشعري**-رحمه الله-«**ت: ٣٢٤ هـ**»: "قال الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: الآية: ٢٢]، يعني: «**مشرقة**» إلى ﴿رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: الآية:

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره «٢٣/ ٥٠٧».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره «٢٣/ ٥٠٧».

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره «٢٣/ ٥٠٧».

(٤) انظر: التفسير الوسيط للواحدي «٤/ ٣٩٣ - ٣٩٤».

(٥) انظر: تفسير الطبري «٢٣/ ٥٠٩» بتصرف.

(٦) انظر: معاني القرآن لأبي إسحاق الزجاج «٥/ ٢٥٣».

(٧) انظر: تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني «٦/ ١٠٦».

٢٣] يعني: رائية، ولا يجوز أن يكون بمعنى نظر التفكر والاعتبار لأن الآخرة ليست بدار الاعتبار، ولا يجوز أن يكون عني نظر الانتظار لأن النظر إذا ذكر مع ذكر الوجه فمعناه نظر العينين اللتين في الوجه".(١)

- قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: الآية: ١٥].

قال الحسن -رحمه الله-«ت: ١١٠ هـ»: "في قوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: الآية: ١٥]، قال: يكشف الحجاب، فينظر إليه المؤمنون والكافرون، ثم يحجب عنه الكافرون وينظر إليه المؤمنون. كل يوم غدوة وعشية".(٢)

وعن أشهب بن عبد العزيز -رحمه الله-«ت: ٢٠٤ هـ»، صاحب مالك قال: قال رجل لمالك: يا أبا عبد الله هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة؟ قال: "لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الله الكفار بالحجاب، فقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: الآية: ١٥]".(٣)

وقال الإمام الشافعي -رحمه الله-«ت: ٢٠٤ هـ» في قول الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: الآية: ١٥]، قال: "فلا حجبهم في السخط: كان في هذا دليل على أنهم يرونه في الرضا".(٤)

وقال الربيع بن سليمان -رحمه الله-«ت: ٢٧٠ هـ»: "كنت ذات يوم عند الشافعي -رحمه الله-«ت: ٢٠٤ هـ»، وجاءه كتاب من الصعيد -وهو اسم موضع بمصر- يسألونه عن قول الله جل ذكره: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: الآية: ١٥] الآية. فكتب فيه: لما حجب الله قوما بالسخط، دل على أن قوما يرونه بالرضا. قال

(١) الإبانة عن أصول الديانة «ص: ١٢».

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير «٨/ ٣٥١».

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة «٢/ ٤٦٨ رقم: ٨٠٨».

(٤) انظر: أحكام القرآن للشافعي، جمع الإمام البيهقي «١/ ٤٠».

الربيع: قلت له: أو تدين بهذا يا سيدي؟ فقال: والله لو لم يوقن محمد ابن إدريس أنه يرى ربه في الميعاد لما عبده في الدنيا".[(١)]

وقال الزجاج-رحمه الله-«ت: ٣٤٠ هـ»: "وفي هذه الآية دليل على أن الله يرى في الآخرة، لولا ذلك لما كان في هذه الآية فائدة، ولا خست منزلة الكفار بأنهم يحجبون عن الله-تعالى-وقال تعالى في المؤمنين: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامة: الآيات: ٢٢ - ٢٣] فأعلم الله-تعالى-أن المؤمنين ينظرون إلى الله، وأن الكفار يحجبون عنه".[(٢)]

أما الآيات الكريمة التي ورد فيها ذكر لقيا الله تعالى في الآخرة مثل:

قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ**﴾ [البقرة: الآية: ٢٢٣].

وقوله تعالى: ﴿**قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ**﴾ [البقرة: الآية: ٢٤٩].

وقوله تعالى: ﴿**فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ**﴾ [التوبة: الآية: ٧٧].

وقوله تعالى: ﴿**تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا**﴾ [الأحزاب: الآية: ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [الكهف: الآية: ١١٠].

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "أجمع أهل اللسان على أن اللقاء متي نسب إلى الحي السليم من العمى والمانع اقتضى المعاينة والرؤية ولا ينتقض هذا بقوله تعالى: ﴿**فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ**﴾ [التوبة: الآية: ٧٧] فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن المنافقين يرونه تعالى في عرصات القيامة، بل والكفار أيضا كما

---

(١) انظر مناقب الشافعي للبيهقي «١/ ٤١٩».

(٢) انظر: معاني القرآن لأبي إسحاق الزجاج «٥/ ٢٩٩».

في الصحيحين من حديث التجلي يوم القيامة".[١]

قال أبو العباس أحمد بن يحيى المشـــهور بثعلب-رحمه الله-«ت: ٢٩١ هـ»: في قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَــلَامٌ﴾. [الأحزاب: الآية: ٤٤]. "أجمع أهل اللغة أن اللقاء هاهنا لا يكون إلا معاينة ونظرا بالأبصار".[٢].

ثانيًا: الأدلة من السنة:

١-**حديث عمار بن ياسر-رضي الله عنهما-«ت: ٣٧ هـ»**، حين سمع النبي ﷺ يدعو بهذا الدعاء: «**اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي، اللهم وأســألك خشــيتك في الغيب والشــهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيما لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضاء بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين**»[٣]

٢ - **عن أبي هريرة-رضــي الله عنه-«ت: ٥٩ هـ»**، أن أناسا قالوا: يا رسـول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رســول الله ﷺ: «**هل تضــارون في القمر ليلة البدر؟**». قالوا: لا. قال: «**فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟**». قالوا: لا. قال: «**فإنكم ترون**

---

(١) انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم «١/ ٦٠٨».

(٢) انظر: الإبانة الكبرى لابن بطة «٧/ ٦٢».

(٣) أخرجه النســائي «رقم: ١٣٠٥»، وابن حبان «رقم: ١٩٧١»، والطبراني في كتاب الدعاء «رقم: ٦٢٤»، وابن أبي عاصــم في الســنة «رقم: ٤٢٥»، وابن خزيمة في كتاب التوحيد «١/ ٢٩»، والدارمي في الرد على الجهمية «رقم: ١٨٨»، وتمام الرازي في فوائده «٢/ ١٤٧ رقم: ١٣٨٧»، والدارقطني في كتاب رؤية الله «رقم: ١٥٨»، والحاكم في المســتدرك «رقم: ١٩٢٣» وصــححه، ووافقه الذهبي، واللالكائي في شــرح أصــول اعتقاد أهل الســنة والجماعة «٣/ ٥٤٠ رقم: ٨٤٥»، والبيهقي في الأسماء والصــفات «رقم: ٢٢٧».

ربكم يوم القيامة كذلك. . .»(١)

٣ - **عن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري-رضي الله عنه-«ت: ٤٤ هـ»**: أن رسول الله ﷺ قال: «**جنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب، آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر، على وجهه في جنة عدن**»(٢)

٤ - **عن أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه-«ت: ٧٤ هـ»**، قال: قلنا يا رسول الله: هل نرى ربنا-عز وجل-؟ قال: «**هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة في غير سحاب؟**». قال: قلنا: لا، قال: «**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر في غير سحاب؟**». قال: قلنا: لا، قال: «**فإنكم لا تضارون في رؤيته لك يوم القيامة إلا كما لا تضارون في رؤيتهما**»(٣)

٥-**وعن جرير بن عبد الله-رضي الله عنه-«ت: ٥٤ هـ»**، قال: قال النبي-صلى الله عليه وسلم-: «**إنكم سترون ربكم عيانا**» (٤).

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "وأما الأحاديث عن النبي-صلى الله عليه وسلم-وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة رواها عنه أبو بكر الصديق، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وجرير بن عبد الله البجلي، وصهيب بن سنان الرومي، وعبد الله بن مسعود الهذلي، وعلي بن أبي طالب، وأبو موسى الأشعري، وعدي بن حاتم الطائي، وأنس بن مالك الأنصاري، وبريدة بن الخصيب الأسلمي، وأبو رزين العقيلي، وجابر بن عبد الله الأنصاري،

---

(١) أخرجه البخاري «رقم: ٦٥٧٣»، ومسلم «رقم: ٢٩٩» وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري «رقم: ٤٨٧٨» ومسلم «رقم: ١٨٠» وغيرهما.

(٣) أخرجه البخاري «رقم: ٧٤٣٩» والإمام أحمد في مسنده «رقم: ١١١٢٠» وابن ماجه «رقم: ١٧٩» وابن حبان «رقم: ٧٣٧٧» وابن أبي عاصم في كتاب السنة «رقم: ٤٥٢» وابن منده في كتاب الإيمان «رقم: ٨١٧» والدارقطني في كتاب رؤية الله «رقم: ١٠» وابن النحاس في كتاب رؤية الله «رقم: ٥».

(٤) رواه البخاري «٧٤٣٥».

وأبو أمامة الباهلي، وزيد بن ثابت، وعمار بن ياسر، وعائشة أم المؤمنين، وعبد الله بن عمر، وعمارة بن رويبة، وسـلمان الفارسـي، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص وحديثه موقوف، وأبي بن كعب، وكعب بن عجرة، وفضالة بن عبيد وحديثه موقوف، ورجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم غير مسمى. فهناك سياق أحاديثهم من الصـحاح والمسـانيد والسـنن وتلقها بالقبول والتسـليم، وانشـراح الصـدر لا بالتحريف والتبديل وضـيق الطعن ولا تكذب بها فمن كذب بها لم يكن إلى وجه ربه من الناظرين وكان عنه يوم القيامة من المحجوبين".(١) ثم ذكر بعد ذلك سياق الأحاديث بكاملها.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي–رحمه الله–«ت: ١٣٩٣ هـ»: "تواترت الأحاديث الصحاح في الصحيحين وغيرهما من السنن والمسانيد والأجزاء عن نحو من عشرين صحابيا كراماء فضـــلاء عن النبي ﷺ، أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، ولا يكاد ينازع من له إنصاف في تواتر أحاديث رؤية الله يوم القيامة".(٢)

وقد نظم ذلك بعض العلماء (٣) فقال:

مما تواتر حديث من كذب ... ومن بنى لله بيتا واحتسب

ورؤية شفاعة والحوض ... ومسح خفين وهذى بعض

ثالثًا: دليل الإجماع.

أجمع سلف الأمة وأئمتها من الصحابة–رضي الله عنهم–، ومن بعدهم على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة، رؤية حقيقة بالأبصار عيانا، كما ورد في الكتاب والسنة.

وحكى الإجماع على ذلك غير واحد من الأئمة رحمه الله تعالى.

قال الإمام ابن جرير الطبري–رحمه الله–«ت: ٣١٠ هـ»: "رؤية المؤمنين ربهم لك يوم

(١) حادي الأرواح «ص: ٢٣١».

(٢) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير «٤/ ١٥٠».

(٣) نظم المتناثر من الحديث المتواتر لمحمد بن جعفر الكتاني «ص: ١٨».

القيامة، وهو ديننا الذي ندين الله به، وأدركنا عليه أهل السنة والجماعة، فهو: أن أهل الجنة يرونه على ما صحت به الأخبار عن رسول الله ﷺ".(١)

وقال أبو الحسن الأشعري-رحمه الله-«ت: ٣٢٤ هـ»: "وأجمعوا على أن المؤمنين يرون الله-عزوجل-يوم القيامة بأعين وجوههم على ما أخبر به تعالى في قوله تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامة: الآيات: ٢٢-٢٣] وقد بين معنى ذلك النبي ﷺ ودفع كل إشكال فيه بقوله للمؤمنين: "ترون ربكم عيانا".(٢)

وقال ابن أبي زمنين المالكي-رحمه الله-«ت: ٣٩٩ هـ»: "قول أهل السنة: إن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة وأنه يحتجب عن الكفار والمشركين فلا يرونه".(٣)

وقال ابنُ القيّم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "دلَّ الكتابُ والسنَّةُ المتواترَةُ وَإجماعُ الصَّحابةِ وأئمةُ أهلِ الإسلامِ والحديثِ عَلَى أَنَّ اللهَ يُرى يومَ القيامَةِ بِالأبصارِ عِيَانًا، كَمَا يُرى القَمَرُ ليلةَ البدرِ صَحْوًا، وَكَمَا تُرى الشَّمسُ في الظَّهيرة، فَإِن كَانَ مَا أَخبَرَ به اللهُ وَرَسُوله عنه من ذلك حَقِيقَةً-وإنَّ له والله حقَّ الحقيقة-فَلَا يُمكِنُ أن يَروهُ إلَّا مِن فَوقِهِم؛ لاستِحَالَةِ أَن يَروهُ أسفل منهم، أو مِن خلفهم، أَو أمامهم، وَنَحو ذَلِكَ...، فلَا يَجتَمِعُ فِي قَلبِ العبد بعد الاطلاع عَلَى هَذِهِ الأَحَادِيث وَفَهِمَ مَعنَاهَا إنكارُها والشهادةُ بِأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ أَبَدًا".(٤)

رابعًا: دليل العقل.

العقل لا يمنع رؤية الله تعالى، لأن كل موجود صح وجوده وثبت كانت رؤيته ممكنة، وما كانت رؤيته ممتنعة أو متعذرة فهو المعدوم، وكذلك إذا كانت الرؤية إنها تثبت للشيء لكماله، فالله تعالى أولى بالكمال فتكون الرؤية في حقه تعالى أولى، ورؤيته تعالى في الدنيا

---

(١) انظر: صريح السنة للطبري «ص: ٢٠».

(٢) انظر: رسالة إلى أهل الثغر للأشعري «ص: ١٣٤».

(٣) انظر: أصول السنة لابن أبي زمنين «ص: ١٢٠».

(٤) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح «ص: ٣٤٢».

عيانا ممتنعة لضعف الإنسان وعجزه، أما في الآخرة فهي ثابتة متحققة.

قال النووي-رحمه الله-«ت: ٦٧٦ هـ»: "اعلم أن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا وأجمعوا أيضا على وقوعها في الآخرة وأن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين، ورواها نحو من عشرين صحابية عن رسول الله ﷺ وآيات القرآن فيها مشهورة"[(١)]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "معلوم أن الرؤية تعلق بالموجود دون المعدوم، ومعلوم أنها أمر وجودي محض لا يسيطر فيها أمر علمي وإذا كانت أمرا وجوديا محضا، ولا تتعلق إلا بالموجود فالمصحح لها الفارق بين ما يمكن رؤيته وما لا يمكن رؤيته: إما أن يكون وجودا محضا، أو متضمنا أمرا عدميا. والثاني باطل لأن العدم لا يكون له تأثير في الوجود المحض فلا يكون سببا له، ولا يكون أيضا شرطا أو جزءا من السبب إلا أن يتضمن وجودا فيكون ذلك الوجود هو المؤثر في الوجود ويكون ذلك العدم دليلا عليه ومستلزما له ونحو ذلك، وهذا من الأمور البينة عند التأمل. وإذا كان المقتضي جواز الرؤية، والمصحح للرؤية، والفارق بينما تجوز رؤيته وبينما لا تجوز: إما أن يكون وجودا محضا فلا حاجة بنا إلى تعيينه، سواء قيل هو مطلق الوجود أو القيام بالنفس، أو بالعين بشرط المقابلة والمحاذاة، أو غير ذلك مما يقال إنه مع وجوده تصح الرؤية ومع عدمه تمتنع، لكن المقصود أنه أمور وجودية، وإذا كان كذلك فقد علم أن الله تعالى هو أحق بالوجود، وكماله من كل موجود، إذ وجوده هو الوجود الواجب، ووجود كل ما سواه هو من وجوده، وله الكمال التام في جميع الأمور الوجودية المحضة فإنها هي الصفات التي بها يكون كمال الوجود، وحينئذ فيكون الله – وله المثل الأعلى- أحق بأن تجوز رؤيته لكان وجوده، ولكن لم نره في الدنيا لعجزنا عن ذلك

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي «٣/ ١٥».

وضعفنا كما لا نستطيع التحديق في شعاع الشمس".(١)

وقال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "إن الرؤية أمر وجودي لا يتعلق إلا بموجود، وما كان أكمل وجودا كان أحق بأن يرى، فالباري سبحانه أحق بأن يرى من كل ما سواه؛ لأن وجوده أكمل من وجود كل ما سواه، يوضحه: أن تعذر الرؤية: إما خفاء المرئي، وإما لآفة وضعف في الرائي، والرب سبحانه أظهر من كل موجود، وإنما تعذرت رؤيته في الدنيا لضعف القوة الباصرة عن النظر إليه، فإذا كان الرائي في دار البقاء كانت قوة الباصرة في غاية القوة لأنها دائمة فقويت على رؤيته تعالى، وإذا جاز أن يرى سبحانه فالرؤية المعقولة عند جميع بني آدم عربهم وعجمهم وتركهم وسائر طوائفهم أن يكون المرئي مقابلا للرائي مواجهة له مباينا عنه، لا تعقل الأمم رؤية غير ذلك، وإذا كانت الرؤية مستلزمة لمواجهة الرائي ومباينته للمرئي لزم ضرورة أن يكون مرئيا له من فوقه أو من تحته أو عن يمينه أو عن شماله أو خلفه أو أمامه، وقد دل النقل الصريح على أنهم إنما يرونه سبحانه من فوقهم لا من تحتهم".(٢)

ومسألة رؤية الله عز وجل في الآخرة على أقسام:

القسم الأول: رؤية المؤمنين لربِّهم-جل وعلا:-

فالمؤمنون يرونَهُ سبحانه وتعالى يومَ القيامةِ؛ فَمَنِ لَمْ يُؤمن بِأَنَّهُ-سبحانه-يُرَى يومَ القيامةِ فَقَد رَدَّ أَدِلَّةَ الكتابِ والسُّنَّةِ، وَخَالَفَ مَا عَلَيهِ سَلفُ الأُمَّةِ وَأَئِمَّتها، وَلَم يُؤمن بِاللهِ، وَمَلائكتِهِ، وكتبِهِ، وَرسلِهِ.

فالله سبحانه وتعالى سيخص المؤمنين بمزيد من الإنعام يوم القيامة، وهو رؤيته جل وعلا، فقد روى **أبو هريرة رضي الله عنه-«ت: ٥٧ هـ»** أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربَّنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله: «**هَل تُضَارُّون في رؤية القمر ليلة البدر؟**». قالوا: لا يا

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية «٢/ ٤٣٠ - ٤٣٢» باختصار.

(٢) انظر: الصواعق المرسلة لابن القيم «٤/ ١٣٣٢».

رسول الله. قال: «**هل تُضارون في الشَّمس ليس دونها سحاب؟**». قالوا: لا. قال: «**فإنَّكم ترونه كذلك**...»، الحديث(١)

وسيخصهم في الجنة بأعظم نعمة أنعم عليهم بها؛ ألا وهي تشريفهم وإكرامهم بالنظر إلى وجهه الكريم في جنة عدن، كما قال تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامة: الآيات:٢٢، ٢٣].

وقال تعالى عن الكافرين: ﴿**كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**﴾ [المطففين: الآية: ١٥].

قال الإمامُ الشافعيُّ-رحمه الله-«**ت: ٢٠٤ هـ**»: "فَدَلَّ هذا على أنَّ المؤمنين لا يُحجبون عنه تبارك وتعالى".

وقال جل شأنه: ﴿**لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ**﴾ [ق: الآية: ٣٥].

فالمزيد هنا هو: النَّظر إلى وجه الله عز وجل، كما فسَّره بذلك علي «**ت: ٤٠ هـ**»، وأنس بن مالك «**ت: ما بين ٩٠ و٩٣ هـ**»، -رضي الله عنهما-.

وقال سبحانه: ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ**﴾ [يونس: الآية: ٢٦].

فالحسنى: الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجه الله الكريم، كما فَسَّرها بذلك رسول الله ﷺ بقوله: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ! فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا اعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِم مِن النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ، وهي الزيادة، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾**»(٢)

قال الإمام ابن كثير-رحمه الله-«**ت: ٧٧٤ هـ**»: "وأمَّا السنة، فقد تواترت الأخبار عن أبي سعيد، وأبي هريرة، وأنس، وجرير، وصهيب، وبلال، وغير واحد من الصحابة عن النبي

---

(١) أخرجه البخاري «٦٠٨٨» ومسلم «٢٦٧».

(٢) أخرجه مسلم «٢٦٦» من حديث صُهَيْبٍ-رضي الله عنه-.

ﷺ: أن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة في العرصات، وفي روضات الجنات، جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه. آمين".(١)

القسم الثاني: رؤية الكفار والمنافقين لربّهم جل وعلا.

أَمَّا الكفارُ والمنَافِقِينَ، فَقَد **ذكر ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»** أنَّ الناسَ قد تَنَازَعَوا فِي ذلك على ثَلَاثَةِ أقوالٍ؛ فقال: "فَأَمَّا مَسْأَلَةُ رُؤْيَةِ الكُفَّارِ فَأَوَّلُ مَا انْتَشَرَ الكَلَامُ فِيهَا، وَتَنَازَعَ النَّاسُ فِيهَا-فِيمَا بَلَغَنَا-بَعْدَ ثَلَاثِمائَةِ سَنَةٍ مِن الهِجْرَة، وَأَمْسَكَ عَن الكَلَامِ فِي هَذَا قَوْمٌ مِن العُلَمَاءِ، وَتَكَلَّمَ فِيهَا آخَرُونَ؛ فَاخْتَلَفُوا فِيهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ، مَعَ أَنِّي مَا عَلِمْت أَنَّ أُولَئِكَ المخْتَلِفِينَ فِيهَا تَلَاعَنُوا وَلَا تَهَاجَرُوا فِيهَا؛ إذْ فِي الفِرَقِ الثَّلَاثَةِ قَوْمٌ فِيهِمْ فَضْلٌ، وَهُمْ أَصْحَابُ سُنَّةٍ".

ثم قال رحمه الله: "وَالأَقْوَالُ الثَّلَاثَةُ فِي **«رُؤْيَةِ الكُفَّارِ»**:

أَحَدُهَا: أَنَّ الكُفَّارَ لَا يَرَوْنَ رَبَّهُمْ بِحَالِ؛ لَا المظْهِرُ لِلكُفْرِ، وَلَا المسِرُّ لَه، وَهَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ العُلَمَاءِ المتَأَخِّرِينَ، وَعَلَيْهِ يَدُلُّ عُمُومُ كَلَامِ المتَقَدِّمِينَ، وَعَلَيْهِ جُمْهُورُ أَصْحَابِ الإِمَامِ أَحْمَد وَغَيْرِهِمْ.

الثَّانِي: أَنَّهُ يَرَاهُ مَنْ أَظْهَرَ التَّوْحِيدَ مِنْ مُؤْمِنِي هَذِهِ الأُمَّةِ، وَمُنَافِقِيهَا، وَغَبَرَاتٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، وَذَلِكَ فِي عَرْصَةِ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَحْتَجِبُ عَن المنَافِقِينَ، فَلَا يَرَوْنَهُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَهَذَا قَوْلُ أَبِي بَكْرِ بْنِ خُزَيْمَة مِنْ أَئِمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَقَدْ ذَكَرَ القَاضِي أَبُو يَعْلَى نَحْوَهُ فِي حَدِيثِ إتْيَانِهِ-عز وجل-لَهُمْ فِي المَوْقِفِ؛ الحَدِيث المشْهُور.

الثَّالِثُ: أَنَّ الكُفَّارَ يَرَوْنَهُ رُؤْيَةَ تَعْرِيفٍ وَتَعْذِيبٍ؛ كَاللِّصِّ إذَا رَأَى السُّلطَانَ، ثُمَّ يَحْتَجِبُ عَنْهُمْ؛ لِيَعْظُمَ عَذَابُهُمْ، وَيَشْتَدَّ عِقَابُهُمْ، وَهَذَا قَوْلُ أَبِي الحَسَنِ بْنِ سَالِمٍ وَأَصْحَابِهِ، وَقَوْلِ غَيْرِهِمْ؛ وَهُمْ فِي الأُصُولِ مُنْتَسِبُونَ إلَى الإِمَامِ أَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ، وَإِلَى سَهْل بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّسْتري".(٢)

---

(١) تفسير ابن كثير «٣/ ٣٠٩».

(٢) مجموع الفتاوى «٦/ ٤٨٦».

وممَّن رَجَّحَ رؤيَةَ الكُفَّارِ وَالمنَافِقِينَ للهِ فِي عَرَصَـــاتِ القيامةِ **ابنُ القيِّم**–رحمه الله–«**ت: ٧٥١ هـ**» فِي «حادي الأرواح".(١)

أما أهل الكفر فكما قالَ الله ســـبحانه وتعالى عنهم: ﴿**كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**﴾ [المطفِّفين: الآية: ١٥]، فيُحجبون عن رؤية الله عز وجل، ولا شـك أن أعظم عطاءٍ يُعطاه المؤمن؛ النظرُ إلى وجهه الكريم.

ولذلك أحد الصـــحابة لما سمعَ ذلك قال: "لن نعدِمَ من ربٍ يضـــحكُ خيرا".(٢) فالله سبحانه وتعالى سيتجلَّى لعباده المؤمنين وسيرونه، وهذه الرؤية منها ما يكون في عرصاتِ يوم القيامة، ومنها ما يكون بعد دخولهم الجنة.

فمن عقيدةِ أهلِ السنَّةِ والجماعة أن رؤية الله عز وجل ثابتة بنصوصِ القرآن والسنَّة، فنؤمنُ بها ونصدِّقُ بها كما أخبرت بذلك النصوص.

المسألة الخامسة: الفرق المخالفة في إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة(٣)

أولًا: أقوال المخالفين.

خالف في ذلك فرقتان من فرق الضلال، وقد تفرقوا إلى ثلاث فرق، وهي كما يلي:

الفرقة الأولى: المعطلة من الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والزيدية والمرجئة، ذهبوا إلى نفي رؤية الله تعالى في الآخرة، وحرفوها إلى معنى العلم به ومعرفته تعالى.

قال القاضـــي عبد الجبار المعتزلي «ت: ٤١٥ هـ»: "ومما يجب نفيه عن الله تعالى الرؤية".(٤)

---

(١) حادي الأرواح «ص: ٢٦٢».

(٢) انظر سـنن ابن ماجه برقم «١٨١»، والإمام أحمد في المسـند مُسْـنَدُ الْمَدَنِيِّينَ «١٦١٨٧»، ذكره الشـيخ الالباني في السـلسـلة الصحيحة «٦/ ٧٣٢»، وضعفه الأرنؤوط كما في المسند.

(٣) المصدر: مقدمة تحقيق كتاب صفات رب العالمين لابن المحب الصامت «١/ ١٩٩-٢٥٣».

(٤) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي «ص: ٢٣٢».

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي «ت: ٤١٥ هـ»: "الرؤية بالأبصار على الله تستحيل، والرؤية بالمعرفة والعلم تجوز عليه".(١)

وعندهم أن من زعم أن الله يرى بالأبصار فهو مشبه لله بخلقه، والمشبه عندهم كافر بالله تعالى(٢)

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي «ت: ٤١٥ هـ»: "أعلم أن من خالفنا في هذه المسألة لا يخلو حاله من أحد أمرين: إما أن يحقق الرؤية فيقول: إن الله يرى بلا مقابل لنا أو حالا في المقابل أو في حكم المقابل، أو لا يحقق فيقول: إنه تعالى يري بلا كيف، فمن ذهب إلى المذهب الأول فإنه يكون كافرا؛ لأنه جاهل بالله تعالى، والجهل كفر، والدليل على ذلك إجماع الأمة، وإجماع الأمة حجة. ومن قال: إنه تعالى يري بلا كيف فلا يكفر؛ لأن التكفير إنما يعرف شرعًا، ولا دلالة من جهة الشرع يدل على ذلك".(٣)

الفرقة الثانية: وهم جمهور الأشاعرة المتأخرون، فقد ذهبوا إلى القول بأن الله يرى بلا جهة، فأثبتوا رؤية الله في الآخرة لورود النصوص والإجماع على ذلك، لكنهم جعلوا ذلك إلى غير جهة(٤)

الفرقة الثالثة: وذهب بعض الأشاعرة إلى القول بأن المقصود بالرؤية هو: "نوع إدراك هو كمال ومزيد كشف بالإضافة إلى التخيل".(٥)

فجعلوا حقيقة الرؤية كشف وزيادة علم بالله تعالى.

ثانيًا: شبه المخالفين والرد عليها.

---

(١) انظر: المختصر في أصول الدين للقاضي عبد الجبار المعتزلي «ص: ٣٣٧».

(٢) انظر: الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد «ص: ٦٨».

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي «ص: ٢٧٦ - ٢٧٧».

(٤) انظر: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للباقلاني «ص: ١٧٧ و١٧٨».

(٥) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي «ص: ٤٥».

أولًا: الأدلة الشرعية التي استدل بها المعتزلة ومن وافقهم على نفي رؤية الله تعالى في الدار الآخرة.

استدل المعطلة على مذهبهم بعدة أدلة من القرآن الكريم وهي:

١ - قوله تعالى: ﴿**لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣].

وجه الدلالة: أن الإدراك إذا قرن بالبصر لا يحتمل إلا الرؤية، وثبت أنه تعالى نفي عن نفسه إدراك البصر، ونجد في ذلك تمدحا راجعا إلى ذاته، وما كان من نفيه تمدحا راجعا إلى ذاته كان إثباته نقصا، والنقائص غير جائزة على الله تعالى في حال من الأحوال(١)

وقالوا أيضا: أنه نفى أن يدرك بالأبصار، وقد علمنا أن الإدراك إذا قرن بالبصر أفاد ما تفيده رؤية البصر، وإذا كان إذا أطلق فقد يستعمل بمعنى اللحوق، فيقال: أدرك الغلام إذا بلغ، وأدركت الثمرة إذا نضجت، وأدرك فلان فلانة إذا لحقه، وقال سبحانه: ﴿**حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ**﴾ [يونس: الآية: ٩٠] يعني: لحقه الغرق، وقال سبحانه: ﴿**فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ**﴾ [الشعراء: الآية: ٦١] يعني: لملحوقون، وقد يقال عند الإطلاق: أدركت الحرارة والبرودة وأدركت الصوت، وكل ذلك إنما يصح إذا لم يقرن بالبصر، ومتى قرن به زال الاحتمال عنه، فاختص بفائدة واحدة وهي الرؤية بالبصر، فإذا صح ذلك فيجب أن يكون: ﴿**لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣]، في باب الدلالة على أنه لا يرى، بمنزلة قوله لو قال: "لا تراه الأبصار"، فثبت أنه نفى عن نفسه إدراك البصر فيتناول جميع الأبصار في جميع الأوقات، يبين ما ذكرناه: أنه لا فرق بين قولهم: أدركت ببصري هذا الشخص، وبين قولهم: رأيت ببصري هذا الشخص، أو أبصرت ببصري هذا الشخص، حتى لو قال: أدركت ببصري وما رأيت، أو رأيت وما أدركت لعد متناقضة، ومن علامات اتفاق اللفظين في الفائدة أن يثبتا في الاستعمال معا ويزولا معا، حتى لو أثبت

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي «ص: ٢٣٣».

بأحدهما ونفى بالآخر لتناقض الكلام(١)

قالوا: ومما يؤيد العموم **أن عائشة-رضي الله عنها-«ت: ٥٧ هـ»**، لما أنكرت قول ابن عباس في أن محمدا-صلى الله عليه وسلم-رأى ربه ليلة المعراج تمسكت في نصرة ما ذهبت إليه بهذه الآية، ولو لم تكن هذه الآية مفيدة للعموم بالنسبة إلى كل الأشخاص وكل الأحوال لما تم ذلك الاستدلال، ولا شك أنها من أكثر الناس علما بلغة العرب، فثبت أن هذه الآية دالة على النفي بالنسبة إلى كل الأشخاص وذلك يفيد المطلوب.

وأيضا: إن الباري تعالى تمدح بكونه لا يرى، حيث إن قوله: ﴿**لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣]، وقعت في أثناء المدائح فإن ما قبلها مشتمل على المدح والثناء، وقوله بعدها: ﴿**وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ**﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣]، أيضا مدح وثناء، فيجب أن يكون قوله: ﴿**لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣]، مدحا وثناء، وذلك يوجب الركاكة، وهي غير لائقة بكلام الله تعالى وتقدس، وحينئذ نقول: إن كل ما كان عدمه مدحا ولم يكن ذلك من باب الفعل كان ثبوته نقصا في حق الله تعالى، والنقص على الله تعالى محال،لقوله: ﴿**لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ**﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥] وقوله: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى: الآية: ١١] وقوله ﴿**لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ**﴾ [الإخلاص: الآية: ٣] إلى غير ذلك، فوجب أن يقال: كونه تعالى مرئيا محال(٢)

٢ - قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣].

(١) انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار المعتزلي «٤/ ١٤٤» وشرح الأصول الخمسة له أيضا «ص: ٢٣٤».

(٢) انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار المعتزلي «٤/ ١٥٠»، وشرح الأصول الخمسة له أيضا «ص: ٢٣٥ - ٢٣٧»، وتفسير الرازي «١٣/ ٩٩».

قالوا: دلت هذه الآية على عدم رؤية الله تعالى على التأبيد في الدنيا والآخرة، وأنه مما يمتنع على الله -عز وجل-، وذلك لما يلي:

الوجه الأول: قال تعالى: ﴿لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣]، وكلمة "لن" تفيد النفي على التأبيد، قال الزمخشـــري: "إنها لتأكيد النفي الذي تعطيه لا، وذلك أن "لا" تنفي المســـتقبل، تقول: لا أفعل غدا، فإذا أكدت نفيها قلت: لن أفعل غدا، والمعنى أن فعله ينافي حالي، كقوله تعالى: ﴿لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج: الآية: ٧٣] فقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَـــارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] نفي للرؤية فيها يســـتقبل، و ﴿لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣]، تأكيد وبيان؛ لأن النفي مناف لصفاته.

فإن قلت: كيف اتصـل الاسـتدراك في قوله ﴿وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣]، بما قبله؟

قلت: اتصـــل به على معنى: "أن النظر إلى محال فلا تطلبه، ولكن عليك بنظر آخر وهو أن تنظر إلى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لأجلهم كيف أفعل به وكيف أجعله، دكا بســـبب طلبك الرؤية؛ لتســـتعظم ما أقدمت عليه بما أريك من عظم أثره "كأنه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نســـبة الولد إليه في قوله: ﴿وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ [مريم: الآيات ٩٠-٩١]".[(١)]

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي «ت: ٤١٥ هـ»: "ولن موضوعة للتأبيد، فقد نفى أن يكون مرئيا البتة، وهذا يدل على اسـتحالة الرؤية عليه، فإن قالوا: أليس أنه تعالى قال حاكيا عن اليهود: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: الآية: ٩٥] أي: لا يتمنون الموت، ثم قال حاكيا عنهم: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ [الزخرف: الآية: ٧٧]: فكيف يقال إن لن موضوعة للتأبيد؟

قلنا: إن "لن" موضــوعة للتأبيد، ثم ليس يجب أن لا يصــح اسـتعماله إلا حقيقة، بل لا

(١) انظر: الكشاف للزمخشري «٢/ ١٥٤».

يمتنع أن يستعمل مجازا، وصار الحال فيها كالحال في قولهم: أسد وخنزير وحمار، فكما أن موضعها وحقيقتها لحيوانات مخصوصة ثم تستعمل في غيرها على سبيل المجاز والتوسع، واستعمالهم في غيرها لا يقدح في حقيقتها كذلك ههنا".(١)

الوجه الثاني: قوله تعالى: ﴿**وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي**﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣] ووجه الدلالة: أنه علق الرؤية حال تحركه وتدكدكه لا قبل ذلك.

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي «**ت: ٤١٥ هـ**»: "علق الرؤية باستقرار الجبل فلا يخلو: إما أن يكون علقها باستقراره بعد تحركه وتدكدكه، أو علقها به حال تحركه، لا يجوز أن تكون الرؤية علقها باستقرار الجبل؛ لأن الجبل قد استقر ولم ير موسى ربه، فيجب أن يكون قد علق ذلك باستقرار الجبل بحال تحركه، دالا بذلك على أن الرؤية مستحيلة عليه، كاستحالة استقرار الجبل حال تحركه، ويكون هذا بمنزلة قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ**﴾ [الأعراف: الآية: ٤٠]".(٢)

الوجه الثالث: قوله تعالى: ﴿**وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا**﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣] فلو كانت الرؤية جائزة ممكنة لم يخر موسى صعقا عند طلبه لها.

قال الزمخشري «**ت: ٥٣٨ هـ**»: "وخر موسى صعقا من هول ما رأى، ومعناه: خر مغشيا عليه غشية كالموت، وروي أن الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بأرجلهم ويقولون: يا ابن النساء الحيض أطمعت في رؤية رب العزة".(٣)

الوجه الرابع: قوله تعالى عن موسى: ﴿**فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ**﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣] قالوا: فهذا تنزيه لله تعالى عما لا يجوز عليه وهو الرؤية، فقوله: ﴿**سُبْحَانَكَ**﴾ الكلمة

---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي «ص: ٢٦٤ - ٢٦٥».

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي «ص: ٢٦٥».

(٣) انظر: الكشاف للزمخشري «٢/ ١٥٤».

للتنزيه، فوجب أن يكون المراد منه تنزيه الله تعالى عما تقدم ذكره، والذي تقدم ذكره هو رؤية الله تعالى. فكان قوله: ﴿سُـــبْحَانَكَ﴾ تنزيها له عن الرؤية، فثبت بهذا أن نفي الرؤية تنزيه لله تعالى، وتنزيه الله إنما يكون عن النقائص والآفات وذلك على الله محال فثبت أن الرؤية على الله ممتنعة(١)

قال الزمخشري «**ت: ٥٣٨ هـ**»: "فلما أفاق من صعقته قال: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ أنزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها".(٢)

الوجه الخامس: قوله تعالى: عن موســـى –عليه الســـلام–: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣] قالوا: ولولا أن طلب الرؤية ذنب لما تاب منه، ولولا أنه ذنب ينافي صحة الإسلام لما قال: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣](٣)

قال الزمخشـــري «**ت: ٥٣٨ هـ**»: "تبت إليك من طلب الرؤية ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣]، بأنك لست بمرئي ولا تدرك بشيء من الحواس، فإن قيل: فإن كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم تاب؟ قلت: من إجرائه تلك المقالة العظيمة –وإن كان لغرض صحيح– على لسانه من غير إذن فيه من الله تعالى".(٤)

٣ – أن الله تعالى ما ذكر سؤال الرؤية إلا استعظمه، وذلك في آيات، وهي:

١ – قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النســاء: الآية: ١٥٣] فســمي ذلك ظلما وعاقبهم في الحال، فلو كانت الرؤية جائزة لجرى ســؤالهم لها مجرى من يسأل معجزة زائدة، فإن قلت: أليس إنه–عز وجل–قد أجرى إنزال الكتاب من السماء

(١) انظر: تفسير الرازي «١٤/ ٣٥٧».

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري «٢/ ١٥٥».

(٣) انظر: تفسير الرازي «١٤/ ٣٥٧».

(٤) انظر: الكشاف للزمخشري «٢/ ١٥٥ – ١٥٦» بتصرف يسير.

مجرى الرؤية في كون كل واحد منهما عتوا، فكما أن إنزال الكتاب غير ممتنع في نفسه فكذا سؤال الرؤية؟ قلت: الظاهر يقتضي كون كل واحد منها ممتنعة ترك العمل به في إنزال الكتاب فيبقى معمولا به في الرؤية.

٢ – وقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ**﴾ [البقرة: الآية: ٥٥] فإن الرؤية لو كانت جائزة لكان قولهم: ﴿**لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً**﴾، كقول الأمم لأنبيائهم: "لن نؤمن إلا بإحياء ميت" في أنه لا يستعظم ولا تأخذهم الصاعقة.

٣ – وقوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا**﴾ [الفرقان: الآية: ٢١] فالرؤية لو كانت جائزة وهي عند مجزيها من أعظم المنافع لم يكن التماسها عتوا لأن من سأل الله تعالى نعمة في الدين أو الدنيا لم يكن عاتيا وجرى ذلك مجرى ما يقال: لن نؤمن لك حتى يحيي الله بدعائك هذا الميت، فلو أن الرؤية كانت جائزة لما كان سؤالها عتوا ومنكرا، وذلك ممنوع(١)

٤ – قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾ [الشورى: الآية: ٥١]. ووجه الدلالة: أن الله–عز وجل–حصر تكليمه للبشرة في الوحي إلى الرسل، وتكليمه لهم من وراء حجاب، وإرساله إياهم إلى الأمم ليكلمهم على ألسنتهم، وإذا لم يره من يكلمه في وقت الوحي لم يره في غيره إجماعا، وإذا لم يره هو أصلا لم يره غيره أيضا، إذ لا قائل بالفرق".(٢)

ثانيًا: الرد على شبه المعطلة في استدلالهم بالأدلة الشرعية لنفي رؤية الله تعالى في الدار الآخرة.

---

(١) انظر: تفسير الرازي «٣/ ٥٢٠» باختصار وتصرف، وشرح مواقف الإيجي لعلي الجرجاني «٨/ ١٥٨» ضبطه وصححه: محمود الدمياطي.

(٢) انظر: شرح مواقف الإيجي لعلي الجرجاني «٨/ ١٥٩».

[الرد على حجتهم الأولى]

أن الآية الكريمة حجة عليهم، ولا حجة لهم فيها بأي حال من الأحوال، وذلك للأوجه التالية.

الوجه الأول: أن اســـتدلالهم ذلك كذب على اللغة، ودعوى مجردة عن الدليل؛ لأن الله تعالى إنما نفي الإدراك، والإدراك في اللغة معن زائد على النظر والرؤية، وهو معنى الإحاطة ليس هذا المعنى في النظر والرؤية، فالإدراك منفي عن الله تعالى على كل حال في الدنيا والآخرة، برهان ذلك قول الله -عز وجل-: ﴿**فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ**﴾ [الشعراء: الآية: ٦١] وأخبر تعالى أنه رأى بعضهم بعضا فصحت منهم الرؤية لبني إسرائيل، ونفى الله الإدراك بقول موسى -عليه السلام- لهم: ﴿**قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾ [الشعراء: الآية: ٦٢] فأخبر تعالى أنه رأى أصحاب فرعون بني إسرائيل ولم يدركوهم، ولا شك في أن ما نفاه الله تعالى غير الذي أثبته، فالإدراك غير الرؤية، والحجة لقولنا هو قول الله تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامة: الآيات: ٢٢ - ٢٣](١)

قال ابن تيمية -رحمه الله- «ت: ٧٢٨ هـ»: "الآية حجة عليهم لا لهم؛ لأن الإدراك إما أن يراد به مطلق الرؤية أو الرؤية المقيدة بالإحاطة، والأول باطل لأنه ليس كل من رأى شيئا يقال إنه أدركه، كما لا يقال أحاط به، كما سئل ابن عباس -رضي الله عنهما- عن ذلك فقال: ألست ترى السماء؟ قال: بلى، قال: أكلها ترى؟ قال لا".

ومن رأى جوانب الجيش، أو الجبل، أو البستان، أو المدينة لا يقال إنه أدركها وإنما يقال أدركها إذا أحاط بها رؤية، ونحن في هذا المقام ليس علينا بيان ذلك وإنما ذكرنا هذا بيانا لسند المنع، بل المستدل بالآية عليه أن يبين أن الإدراك في لغة العرب مرادف للرؤية، وأن كل من رأى شيئا يقال في لغتهم أنه أدركه، وهذا لا سبيل إليه، كيف وبين لفظ الرؤية ولفظ الإدراك

---

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم «٣/ ٢-٣»، بتصرف.

عموم وخصوص أو اشتراك لفظي؟! فقد تقع رؤية بلا إدراك، وقد يقع إدراك بلا رؤية، فإن الإدراك يستعمل في: إدراك العلم وإدراك القدرة، فقد يدرك الشيء بالقدرة وإن لم يشاهد: كالأعمى الذي طلب رجلا هاربا منه فأدركه ولم يره، وقد قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾ [الشعراء: الآيات: ٦١ - ٦٢] فنفى موسى الإدراك مع إثبات الترائي، فعلم أنه قد يكون رؤية بلا إدراك، والإدراك هنا هو: إدراك القدرة، أي ملحوقون محاط بنا، وإذا انتفى هذا الإدراك فقد تنتفي إحاطة البصر أيضا.

ومما يبين ذلك: أن الله تعالى ذكر هذه الآية يمدح بها نفسه -عز وجل-، ومعلوم أن كون الشيء لا يرى ليس صفة مدح؛ لأن النفي المحض لا يكون مدح إن لم يتضمن أمرا ثبوتيا، ولأن المعدوم أيضا لا يرى، والمعدوم لا يمدح فعلم أن مجرد نفي الرؤية لا مدح فيه، وهذا أصل مستمر وهو أن العدم المحض الذي لا يتضمن ثبوتا لا مدح فيه ولا كمال".(١)

وقال ابن القيم -رحمه الله- «ت: ٧٥١ هـ»: "فلم ينف موسى -عليه السلام- الرؤية، ولم يريدوا بقولهم: ﴿**إِنَّا لَمُدْرَكُونَ**﴾ إنا لمرئيون؛ فإن موسى صلوات الله وسلامه عليه نفى إدراكهم إياهم بقوله: ﴿**كَلَّا**﴾ وأخبر الله سبحانه أنه لا يخاف دركهم بقوله: ﴿**وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ**﴾ [طه: الآية: ٧٧]. فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يرى ولا يدرك، كما لا يعلم ولا يحاط به، وهذا هو الذي فهمته الصحابة والأئمة من بعدهم من الآية. قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: ﴿**لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣] لا تحيط به الأبصار. وقال قتادة: "هو أعظم من أن تدركه الأبصار". وقال ابن عطية: "ينظرون إلى الله ولا تحيط أبصارهم به من عظمته وبصره يحيط بهم".(٢)

---

(١) انظر: منهاج السنة لابن تيمية «٢/ ٣١٧ - ٣٢٠» باختصار.

(٢) انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم «ص: ٦٢٠».

الوجه الثاني: أن الآية رد عليكم، فهي حجة لأثبات الرؤية لا نفيها، وذلك لأمرين:

الأول: أن معنى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَـــارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] كما جاء عن ابن عباس وجماعة من السلف: أن الإدراك المنفي هنا هو الإحاطة. والمعنى: لا تحيط به الأبصار[١].

والإدراك قد يطلق على الإحاطة كثيرا، كقوله: ﴿أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾ [يونس: الآية: ٩٠]، أي: أحاط به من جميع جهاته. ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: الآية: ٦١] أي: محاط بنا. وعلى هذا فمعنى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ﴾ أي: لا تحيط به الأبصـــار، وإن كانت تراه في الجملة، فالإدراك المنفي هو الإحاطة. والإحاطة لا يستلزم نفيها نفي مطلق الرؤية الثابت في الأحاديث المتواترة والآيات القرآنية.

الثاني: أن معنى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَـــارُ﴾ أي: لا تدركه في دار الدنيا، بدليل قوله: في الآخرة: ﴿وجوه يومئذ ناضـــرة * إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة: الآيات: ٢٢-٢٣]. فلما قيد نظرها إلى ربها بقوله: ﴿يومئـذ﴾ أي: يوم القيامة، عرفنا أن ذلك النظر مقيد بالقيامة، وأن: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَـــارُ﴾ أي: في دار الدنيا. ولو سلمنا من أن الإدراك: الرؤية، وأن الآية عامة: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَـارُ﴾ فعمومها تخصصه آيات أخر بيوم القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِـــرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: الآيات: ٢٢ - ٢٣]، وقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: الآية: ١٥] أي: بخلاف المؤمنين فليسوا بمحجوبين عن ربهم، وقد تقرر في الأصول أن المفهوم يخصص العام، سواء كان مفهوم موافقة، أو مفهوم مخالفة[٢]

الوجه الثالث: قد يقال أيضـــا: إن المراد نفي الرؤية وقد عدم إذن الله تعالى للأبصـــار بالإدراك، والدليل على صحة إرادة هذا القيد أن إرادة الإبصار فعل من أفعال العبيد وكسب من كسبهم، وقد ثبت بغير ما دليل أن العباد لا يقدرون على شيء من المقدورات إلا بإذن

(١) انظر: تفسير الطبري «٩/ ٤٥٩».

(٢) انظر: العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير «٣/ ٥٣ - ٥٤» بتصرف.

الله تعالى ومشـــيئته وتمكينه، فلا تدركه الأبصــــار إلا بإذنه وهو المطلوب. ويؤيد هذا البيان ويشــيد أركانه أن: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَـارُ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣] وقع بعد قوله ســبحانه: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَـيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٢] ووجه التأييد: أن الله تعالى أخبر بأنه على كل شــيء وكيل أي متول لأموره، ومعلوم أن الأبصـــار من الأشــياء وأن إدراكها من أمورها، فهو-عز وجل-متوليها ومتصـرف فيها على حسـب مشـيئته، فيفيض عليها الإدراك ويأذن لها إذا شــاء كيف شــاء وعلى الحد الذي شــاء، ويقبض عنها الإدراك قبضـا كليا أو جزئيا في أي وقت شاء كيف شاء، ولا يخفى على هذا أنه غاية التمدح بالعزة والقهر والغلبة؛ فإن من هو على كل شيء وكيل إذا لم تدركه الأبصار إلا بإذنه مع كونه يدرك الأبصار -ولا تخفى عليه خافية- كان ذلك غاية في عزته وقهره وكونه غالبا على أمره(١)

الوجه الرابع: أن: "تدركه الأبصــــار" موجبة كلية؛ لأن موضـــعها جمع محلي كلية باللام الاستغراقية، وقد دخل عليها النفي فرفعها ورفع الموجبة الكلية سالبة جزئية، وبالجملة فيحتمل قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَـارُ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣] إسـناد النفي إلى الكل، بأن يلاحظ أو لا دخول النفي، ثم ورود العموم عليه فيكون ســالبة جزئية، ومع احتمال المعنى الثاني فلم يبق فيه حجة لكم علينا؛ لأن أبصـــار الكفار لا تدركه إجماعا، هذا ما نقوله لو ثبت أن اللام في الجمع للعموم والاستغراق، وإلا عكسنا القضية وقلنا: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣] سالبة مهملة في قوة الجزئية فالمعنى: لا تدركه بعض الأبصار، وتخصيص البعض بالنفي يدل بالمفهوم على الإثبات للبعض، فالآية حجة لنا لا علينا".(٢)

الوجه الخامس: أن قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَـارُ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣] الآية، وإن عمت في الأشـخاص باسـتغراق اللام، فإنها لا تعم في الأزمان؛ لأنها سـالبة مطلقة لا دائمة،

---

(١) انظر: روح المعاني للألوسي «٤/ ٢٣٢».

(٢) انظر: شرح مواقف الإيجي للجرجاني «٨/ ١٥٦ - ١٥٧»، "اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع" لأبي الحسن الأشعري «ص: ٦٥».

ونحن نقول بموجبه حيث لا يرى في الدنيا [(١)]، وبهذا علمنا أن الوقت الذي قال إنه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣] فيه غير الوقت الذي أخبرنا أنها تنظر إليه فيه[(٢)]

الوجه السادس: ويقال لهم: إذا كان قول الله سبحانه: في: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣] في العموم كقوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣]؛ لأن أحد الكلامين معطوف على الآخر فخبرونا أليس الأبصار والعيون لا تدركه رؤية ولا لمسا ولا ذوقا ولا على وجه من الوجوه؟ فإن قالوا: نعم، فيقال لهم: أخبرونا عن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ أتزعمون أنه يدركها لمسا وذوقا بأن يلمسها؟ فمن قولهم: لا. فيقال لهم: فقد انتقض قولكم: إن قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ في العموم كقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾[(٣)]

الوجه السابع: أما قولهم: "إن الله تمدح بأن لا يرى"، فقول باطل؛ لأن العدم المحض الذي لا يتضمن إثباتا لا مدح فيه ولا كمال.

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣]، إنما نفي الإدراك الذي هو الإحاطة، كما قاله أكثر العلماء. ولم ينف مجرد الرؤية، لأن المعدوم لا يرى، وليس في كونه لا يرى مدح، إذ لو كان كذلك لكان المعدوم ممدوحا، وإنما المدح في كونه لا يحاط به وإن رئي، كما أنه لا يحاط به وإن علم، فكما أنه إذا علم لا يحاط به علما، فكذلك إذا رئي لا يحاط به رؤية.

فكان في نفي الإدراك من إثبات عظمته ما يكون مدحة وصفة كان، وكان ذلك دليلا على إثبات الرؤية لا على نفيها، لكنه دليل على إثبات الرؤية مع عدم الإحاطة، وهذا هو الحق الذي اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها[(٤)]

---

(١) انظر: "شرح المواقف"«٨/ ١٤٠».

(٢) انظر: اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع لأبي الحسن الأشعري «ص: ٦٥».

(٣) انظر: الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري «ص: ٥٩ – ٦٠».

(٤) انظر: التدمرية لابن تيمية «ص: ٥٩».

فتبين بهذا أن قول المعطلة النفاة دعو مجردة عن الدليل، فثبوت المدح في ســياق الكلام ليس لهم فيه حجة على امتناع الرؤية، بل الحجة عليهم في إثبات صــحة الرؤية؛ لأنه يمتنع حصول التمدح بنفي الرؤية، لمشاركة المعدوم في ذلك، وإنما يحصل التمدح بحيث تصح رؤيته، ثم إنه تعالى يحجب الأبصار عن رؤيته.

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "هذه الآية وهي على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها؛ فان الله ســبحانه إنما ذكرها في ســياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال ولا يمدح به، وإنما يمدح الرب–عز وجل– بالعدم إذا تضــمن أمرا وجوديا: كتمدحه بنفي الســنة والنوم المتضــمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضــمن كمال الحياة، ونفي اللغوب والإعياء المتضــمن كمال القدرة، ونفي الشــريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته وإلهيئة وقهره، ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال الصــمدية وغناه، ونفي الشــفاعة عنده بدون إذنه المتضــمن كمال توحيده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم المتظمن كمال عدله وعلمه وغناه، ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته، وفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته، ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمرا ثبوتيا فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل بأمر يشــترك هو والمعدوم فيه، فلو كان المراد بقوله ﴿**لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَــارُ**﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣] أنه لا يرى بحال لم يكن في ذلك مدح ولا كمال؛ لمشــاركة المعدوم له في ذلك فان العدم الصــرف لا يرى ولا تدركه الأبصــار، والرب ﷻ يتعالى إن يمدح بما يشــاركه فيه العدم المحض، فإذا المعنى أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به كما كان المعنى في قوله: ﴿**وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ**﴾ [يونس: الآية: ٦١] أنه يعلم كل شــيء، وفي قوله: ﴿**وَمَا مَسَّــنَا مِن لُّغُوبٍ**﴾ [ق: الآية: ٣٨] أنه كامل القدرة، وفي قوله: ﴿**وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾ [الكهف: الآية: ٤٩] أنه كامل العدل، وفي قوله: ﴿**لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ**﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥] أنه كامل القيومية، فقوله: ﴿**لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣] يدل على غاية عظمته

وأنه أكبر من كل شـــيء وأنه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية".(١)

[الرد على حجتهم الثانية]

الرد على الوجه الأول: أن الآية الكريمة حجة عليهم وأنها تدل على إمكان رؤية الله تعالى، وليس فيها ما يزعمونه من اســـتحالة رؤية الله تعالى وامتناعها، وقولهم ذلك باطل لغة وشرعا، بدليل ما يلي:

أن قولهم: "إن لن موضـــوعة للتأبيد" باطل، ومخالف للغة العرب وما دلت عليه من المعاني. قال أبو القاسم السهيلي:"إن العرب إنما تنفي بـــ "لن" ما كان ممكنا عند الخطاب مظنونا أنه سيكون، فتقول له: "لن

يكون" لما يمكن أن يكون؛ لأن "لن" فيها معنى "أن"، وإذا كان الأمر عندهم على الشك لا على الظن كأنه يقول: أيكون أم لا يكون؟ -قلت: في النفي لا يكون- وهذا كله مقو لتركيبها من "لا" و"أن".(٢)

وبهذا يتبين أن من زعم أن "لن" تفيد النفي على التأبيد المطلق فقوله باطل مردود.

قال جمال الدين بن مالك-رحمه الله-«ت: ٦٢٧ هـ»:

"ومن رأى النفي بلن مؤبدا ... فقوله أردد وخلافه اعضدا".(٣)

وقال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "وقد أكذبهم الله في قولهم بتأبيد النفي بـ "لن" صريحا بقوله: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ [الزخرف: الآية: ٧٧] فهذا تمن للموت، فلو اقتضـــت "لن" دوام النفي تناقض الكلام؛ كيف وهي مقرونة بالتأبيد بقوله: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: الآية: ٩٥] ولكن ذلك لا ينافي تمنيه في

(١) انظر: حادي الأرواح لابن القيم «٢٩٣ - ٢٩٤».

(٢) انظر: نتائج الفكر في النحو لأبي القاسم السهيلي «ص ١٠٣» وأبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي لمحمد إبراهيم البنا «ص: ٣٦١».

(٣) انظر: شرح الكافية الشافية لابن مالك «٣/ ١٥١٥».

النـار؛ لأن التـأبيـد قـد يراد بـه:التـأبيـد المقيـد والتـأبيـد المطلق، فـالمقيـد كـالتـأبيـد بمـدة الحياة، كقولك: "والله لا أكلمه أبدا"، والمطلق كقولك: "والله لا أكفر بربي أبدا"، وإذا كان كذلك فالآية إنما اقتضت نفي تمني الموت أبد الحياة الدنيا، ولم يتعرض للآخرة أصلا؛ وذلك لأنهم لحبهم الحياة وكراهتهم للجزاء لا يتمنون الموت وهذا منتف في الآخرة".(١)

الرد على الوجه الثاني: أنه علقه على اســـتقرار الجبل من حيث هو من غير قيد بحال الســكون أو الحركة، وإلا لزم الإضــمار في الكلام، وأنه -أي اسـتقرار الجبل- من حيث هو ممكن قطعا؛ إذ لو فرض وقوعه لم يلزم منه محال لذاته، وأيضـا فاسـتقرار الجبل عند حركته أي في زمانها ليس بمحال؛ إذ في ذلك الوقت قد يحصل الاستقرار بدل الحركة ولا محذور فيه، إنما المحال هو الاســتقرار مع الحركة في كونهما مجتمعين لا وقوع شــيء منهما في وقت آخر بدل صاحبه(٢)

وقال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "فأخبر ســبحانه أنه تجلى للجبل وأنه لما تجلى له جعله دكا فتجليه له: إما أن يكون مجرد خلق الرؤية فيه كما يقولون إن ذلك هو تجليه لسائر من يراه، أو يكون تجليه هو رفع الحجاب حتى ظهر للجبل؟ فإن كان التجلي هو خلق الرؤية كان قد أخبر أن الجبل أطاق رؤيته وأن الجبل رأى الله، وإذا كان كذلك لم يجب أن يصـير دكا إذا ورد عليه ما يعجز عن مقاومته فإذا كان التجلي ليس هو إلا أن جعل رائيا فمعلوم أنه يكون قادرا على ما جعل فاعلا له فلا يكون دكا ولو كان كذلك لكان العبارة المناســبة أن يقال: فلما رأى الجبل ربه جعله دكا فلما دل القرآن مع ما ورد به الحديث في تفسير هذه الآية أن التجلي هو ظهوره وأنه مع ذلك قد لا يطيق المتجلي له رؤيته لعجزه وأن التجلي ليس هو خلق الرؤية فيه علم أنه قد يتجلى لمن يراه ولمن لا يراه وأن التجلي ليس هو خلق الرؤية فيه عند الاحتجاب فعلم أن هناك حجابا خارجا عن الإنسان وأن التجلي يكون

---

(١) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم «١/ ١٦٨».

(٢) انظر: شرح مواقف الإيجي للجرجاني «٨/ ١٢١».

برفع كل الحجاب".(١)

الرد على الوجه الثالث: أنه ليس فيها دلالة على المنع، بل إن دلالتها على الجواز أقرب؛ فإن الصعق لم يحدث لموسى -عليه السلام- إلا عندما رأى الجبل يتدكدك لما تجلى له الرب -عز وجل- ظهورا، أو على القول أن موسى رأى الله -على ضعفه- فصعق، وهذا يدل على الجواز وإنما كان الصعق نتيجة عدم تحمل موسى رؤية الله تعالى في هذه الدار الفانية.

أما ما ذكره الزمخشري من الأثر المروي عن ابن عباس في "مرور الملائكة على موسى وهو صعق" فباطل؛ لإنه من رواية الواقدي"(٢)، والواقدي متروك لا يحتج به.

وقد احتج برواية باطلة، وترك الأحاديث الكثيرة الصحيحة المتواترة، والتي تثبت رؤية الله تعالى في الدار الآخرة.

وهذه حكاية إنما يوردها من يتعسف لامتناع الرؤية فيتخذها عونا وظهرا على المعتقد الفاسد. والوجه التورك بالغلط على ناقلها، وتنزيه الملائكة -عليهم السلام- من إهانة موسى كليم الله بالوكز بالرجل والغمص في الخطاب".(٣)

على أن هناك رواية أخرى لذلك الأثر، وهي أقل ضعفًا منها من طريق: أبي سعد سعيد بن المرزبان، عن عكرمة -رحمه الله- «**ت: ١٠٥ هـ**»، **عن ابن عباس -رضي الله عنهما- «ت: ٦٨ هـ»** قال: ﴿**وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا**﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣] فمرت به الملائكة وقد صعق، فقالت: يا ابن النساء الحيض لقد سألت ربك أمرا عظيما. فلما أفاق قال: سبحانك لا إله إلا أنت، تبت إليك، وأنا أول المؤمنين، قال: أنا أول من آمن أنه لا يراك أحد من خلقك، يعني في الدنيا".(٤)

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية «٨/ ١٣١-١٣٢».

(٢) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي «٤/ ٢٧٩».

(٣) انظر: الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لأحمد الإسكندري المالكي «٢/ ١١٥» من هامش الكشاف.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره «١٠/ ٤٣٣»، وفيه أبو سعد سعيد بن المرزبان البقال التابعي المقرئ تلميذ ابن عباس، وقد ضعف، وبعضهم يوثقه، على خلاف بينهم فيه، انظر: الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي «٤/ ٤٣٢ - ٤٣٦».

وهي كما ترى لا تنفي الرؤية مطلقا، إنما تمنع منها في الدنيا فقط، وتبين أن المراد بالإيمان به تعالى أي: أنه لا يراه أحد من خلقه في الدنيا.

الرد على الوجه الرابع: أن التسبيح كما أنه تنزيه لله تعالى عن النقائص، فهو كذلك تعظيم وإجلال لله تعالى. والمراد هو تنزيه الله تعالى وتعظيمه وإجلاله عن أن يرى في الدنيا أو أن يتحمل رؤيته مخلوق في هذه الدنيا، بل ثبتت الرؤية لله تعالى في الدار الآخرة عن الله وعن رسوله ﷺ.

والرؤية ليست كما تزعمون من النقائص، فإنها في المخلوق كمال وكل كمال اتصف به المخلوق لا نقص فيه بحال فالله أحق وأولى أن يتصف به، لا سيما وقد أثبتها الله لنفسه، وخص بها أهل جنته، وأثبتها له رسوله ﷺ، بل وسألها موسى -عليه السلام- في الدنيا، ولم يعاتبه الله على ذلك، فكيف يقال بعد ذلك: أنها من النقائص وجميع الأدلة من الكتاب والسنة خلاف ذلك؟

وقد سبق أن بينا أن الذي تمتنع رؤيته بإطلاق هو المعدوم، وأن ذلك لا مدح فيه البتة بأي وجه من الوجوه، وهذا هو الذي يتنزه الله تعالى عنه.

الرد على الوجه الخامس: أن قولكم ذلك لم يقله أحد من سلف الأمة وأئمتها لا من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان. وليست توبة موسى -عليه السلام- بعدما أفاق لذنب قاله أو فعله، وإنما لأنه علم أن رؤية الله في الدنيا غير ممكنة لأحد من البشر، بدليل اندكاك الجبل حينما تجلى الله تعالى له.

قال مجاهد -رحمه الله- «ت: ١٠٤ هـ»: "سبحانك تبت إليك"، أن أسألك الرؤية".[(١)]

وأيضا لم يعاتبه الله تعالى على سؤاله الرؤية، ولم ينهه عن ذلك كما نهى نوحا -عليه السلام- في سؤاله منه تعالى أن ينجي ولده الذي أغرق لأنه من أهله، حينما قال الله تعالى له: ﴿**قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ**

(١) أخرجه الطبري في تفسيره «١٠/ ٤٣٤».

عِلْمٌ ۖ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: الآية: ٤٦]. ولذلك ســـارع نوح–عليه السلام–للاستعاذة بالله من سؤاله ذلك، وبادر بالتوبة وطلب المغفرة والرحمة منه تعالى، كما قال الله تعالى عنه: **﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾** [هود: الآية: ٤٧].

قال الباقلاني–رحمه الله–«٤٠٣ هـ»: "لم يقل جل اسمه أنه تاب من مسألته إياه الرؤية، فيمكن أن يكون ذكر ذنوبا له قد قدم التوبة منها، فجدد التوبة عند ذكرها لهول ما رأى، كما يســـارع الناس إلى التوبة ويجددونها عند مشـــاهدة الأهوال والآيات، ويحتمل أن يكون المعنى في قوله: **﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾** [الأعراف: ١٤٣] من ترك اســـتئذاني لك في هذه المســـألة العظيمة، ومثلها ما لا يكون معه تكليف لمعرفتك والعلم بك.

ويحتمل أن يكون أراد بقوله: **﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾** أي: تبت إليك أن أســـألك الرؤية لهول ما أصـــابني، لا لأنها مســـتحيلة عليك، ولا لأني عاص في ســـؤالي، كما يقول القائل: تبت من كلام فلان ومعاملته، ومن ركوب البحر، ومن الحج ماشـــيا، إذا ناله في ذلك تعب ونصـــب وشـدة، وإن كان ذلك مباحا حسـنا جائزا، والتوبة هي الرجوع عن الشـيء، ومن ذلك سمي الإقلاع عن الذنوب والعود إلى طاعة الله تعالى توبة منها، ومعنى المراد بقوله: **﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾** [التوبة: الآية: ١١٨] أي: رجع بهم إلى التفضل والامتنان ليرجعوا عما كانوا عليه، فقوله: **﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾** أي: رجعت عن ســـؤالي إياك الرؤية، وهذا هو أصـــل التوبة، وليس الرجوع عن الشيء يقتضي كونه عصيانا فبطل تعلقهم بالآية".(١)

وقال الواحدي–رحمه الله–«ت: ٤٦٨ هـ»: "تبت إليك من مسألتي الرؤية، وذلك أنه سألها من غير استئذان من الله، فلذلك تاب".(٢)

وقال الزجاج–رحمه الله–«ت: ٤٠ هـ»: "وقوله: **﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [الأعراف:

---

(١) انظر: التمهيد للباقلاني «ص ٢٧٠ – ٢٧١» عني بتصحيحه: ريتشرد مكارثي اليسوعي. المكتبة الشرقية بيروت. ١٩٥٧ م.

(٢) انظر: تفسير الوسيط للواحدي «٢/ ٤٨٠».

الآية: ١٤٣]. أي: أول المؤمنين بأنك لا ترى في الدنيا".(١)

وقال ابن أبي زمنين-رحمه الله-«ت: ٣٩٩ هـ»: "يعني: المصـــدقين بأنك لا ترى في الدنيا".(٢)

وقال الســـمعاني-رحمه الله-«ت: ٤٢٦ هـ»: " ﴿**تُبْتُ إِلَيْكَ**﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣]، يعني: من سؤال الرؤية قبل الإذن ﴿**وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾، يعني: أنا أول المؤمنين بأن من يراك متجليا في الدنيا لا يســـتقر مكانه، وقيل معناه: أنا أول المؤمنين بأنك لا ترى في الدنيا".(٣)

وقال القرطبي-رحمه الله-«ت: ٦٧١ هـ»: "وأجمعت الأمة على أن هذه التوبة ما كانت عن معصية".(٤)

فإذا كان الجبل العظيم الراســي القوي لم يصـــمد لرؤية الله تعالى، بل تفتت وتدكدك حتى استوى بالأرض، فلا يمكن لبشر بعد ذلك أن يرى الله تعالى في الدنيا عيانا.

بل الملك المخلوق لا أحد يستطع رؤيته في الدنيا على خلقته التي خلقه الله عليها إلا من ثبته الله تعالى من الأنبياء والمرسلين، أما سائر البشر فلا يستطيعون ذلك.

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: " قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣]، قيل: أول المؤمنين بأنه لا يراك حي إلا مات، ولا يابس إلا تدهده، فهذا للعجز الموجود في المخلوق، لا لامتناع في ذات المرئي، بل كان المانع من ذاته، لم يكن إلا لنقص وجوده حتى ينتهي الأمر إلى المعدوم الذي لا يتصـور أن يرى خارج الرائي، ولهذا كان البشـر يعجزون عن رؤية الملك في صـورته إلا من

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج «٢/ ٣٧٤».

(٢) انظر: تفسير ابن أبي زمنين «٢/ ١٤١».

(٣) انظر: تفسير السمعاني «٢/ ٢١٣».

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي «٧/ ٢٧٩».

أيده الله، كما أيد نبينا ﷺ قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: الآيات: ٨ - ٩] قال غير واحد من السلف: هم لا يطيقون أن يروا الملك في صورته، فلو أنزلنا إليهم ملكا لجعلناه في صورة بشر، وحينئذ كان يشتبه عليهم هل هو ملك أو بشر، فما كانوا ينتفعون بإرسال الملك إليهم، فأرسلنا إليهم بشرا من جنسهم يمكنهم رؤيته والتلقي عنه، وكان هذا من تمام الإحسان إلى الخلق والرحمة".(١)

وقد رد **ابن القيم**–رحمه الله–«**ت: ٧٥١ هـ**» عليهم في استدلالهم بهذه الآية ردا مفصلا، فقال–رحمه الله–: "وقد أخبر الله–عز وجل–عن أعلم الخلق به في زمانه وهو كليمه ونجيه وصفيه من أهل الأرض أنه سأل ربه تعالى النظر إليه فقال له ربه–عز وجل–: ﴿لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣]. وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة:

أحدها: أن لا يظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه، بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال.

الوجه الثاني: أن الله–عز وجل–لم ينكر عليه سؤاله، ولو كان محالا لأنكره عليه.

الوجه الثالث: أنه أجابه بقوله: ﴿لَن تَرَانِي﴾ ولم يقل: إني لا أرى، ولا: إني لست بمرئي، ولا تجوز رؤيتي، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله، وهذا يدل على أنه–عز وجل–مرئ، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار؛ لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى يوضحه:

الوجه الرابع: وهو قوله: ﴿وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣] فأعلمه ان الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له في هذه الدار، فكيف بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف؟

---

(١) انظر: منهاج السنة لابن تيمية «٢/ ٣٣٣».

الوجه الخامس: أن الله-عز وجل-قادر على أن يجعل الجبل مستقرا مكانه، وليس هذا بممتنع في مقدوره، بل هو ممكن وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالا في ذاتها لم يعلقها بالممكن في ذاته.

الوجه السادس: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣]. وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته-عز وجل-؛ فإنه إذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامته ويريهم نفسه؟ وأعلم سبحانه موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف.

الوجه السابع: أن ربه سبحانه قد كلمه منه إليه، وخاطبه وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبه كلامه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار الرؤية إلا بإنكار التكليم، وقد جمعت هذه الطوائف بين إنكار الأمرين، وأما قوله تعالى: ﴿لَن تَرَانِي﴾ فإنما يدل على النفي في المستقبل، ولا يدل على دوام النفي ولو قيدت بالتأبيد، فكيف إذا أطلقت؟! قال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: الآية: ٩٥] مع قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: الآية: ٧٧]".(١)

[الرد على الحجة الثالثة]

أما الآية الأولى والثانية: فإن الاستعظام إنما كان لطلبهم الرؤية استخفافا وعنادا وتعنتا وإنكارا لنبوة موسى-عليه السلام-، وليس طلبا للعلم ولا الازدياد منه. قال أبو الحسن الأشعري: "إن بني إسرائيل سألوا رؤية الله-عز وجل-على طريق الإنكار لنبوة موسى ﷺ، وترك الإيمان به حتى يروا الله، لأنهم قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: الآية: ٥٥]، فلما سألوه الرؤية على طريق ترك الإيمان بموسى ﷺ حتى يريهم الله نفسه، استعظم سؤالهم من غير أن تكون الرؤية مستحيلة عليه، كما استعظم الله سؤال أهل الكتاب

---

(١) انظر: حادي الأرواح لابن القيم «ص: ٢٨٥ - ٢٨٧» باختصار.

أن ينزل عليهم كتابا من السماء من غير أن يكون ذلك مستحيلا، ولكن لأنهم أبوا أن يؤمنوا بنبي الله حتى ينزل عليهم من السماء كتابا".(١)

وقال الباقلاني–رحمه الله–«ت: ٤٠٣ هـ»: "لم ينكر الله تعالى مسألة خلاف بني إسرائيل أن ينزل عليهم كتابا من السماء، ومسألة أسلافهم أن يروا الله جهرة لاستحالة ذلك؛ وإنما أنكره لأنهم سألوا ذلك على طريق العناد لموسى ومحمد صلى الله عليهما، والشك في نبوتهما، والتقدم بين أيديهما، والامتناع من فعل ما أوجب عليهم من الإيمان بالله–عز وجل–، حتى يفعل ما يؤثرونه ويقتاتونه".(٢)

ومما يبين ذلك ويوضحه أن الله أكرم بني إسرائيل بكثير من الإكرام ونجاهم من كثير من الهلاك، وأنزل عليهم كثيرا من الآيات، ومع ذلك لم يؤمنوا بذلك كله وطلبوا من موسى أن يروا الله جهرة في الدنيا –مع علمهم بامتناع ذلك– عنادا واستخفافا.

قال الطبري–رحمه الله–«ت: ٣١٠ هـ»: "فأعلم ربنا–عز وجل–الذين خاطبهم بهذه الآيات من يهود بني إسرائيل، الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ أنهم لن يعدوا أن يكونوا –في تكذيبهم محمدا ﷺ وجحودهم نبوته، وتركهم الإقرار به وبما جاء به، مع علمهم به ومعرفتهم بحقيقة أمره– كأسلافهم وآبائهم الذين قص الله علينا قصصهم".(٣)

أما الآية الثالثة: فيقال: أنهم سبق وأن طلبوا إنزال الملائكة ورؤية الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ [الإسراء: الآية: ٩٢] وهم طلبوا قبل ذلك وبعده كثيرا من الآيات تعنتا، وعنادا، واستكبارا، واستخفافا.

قال الزجاج–رحمه الله–«ت: ٣٤٠ هـ»: "فأعلم الله–عز وجل–أن الذين لا يوقنون بالبعث، ولا يرجون الثواب على الأعمال عند لقاء الله طلبوا من الآيات ما لم يأت أمة من

---

(١) انظر: الإبانة عن أصول الديانة للأشعري «ص: ٤٨».

(٢) انظر: التمهيد للباقلاني «ص: ٢٧٣».

(٣) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم «٢/ ٣٠٥».

الأمم، فأعلم الله-عز وجل-أنهم قد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا".(١)

فتبين بهذا أنهم لم يطلبوا ذلك طلب علم لينتفعوا به ويزدادوا منه، وإنما كان ذلك سؤال تحد واستكبار وعتو؛ لأنهم طلبوا ذلك في الدنيا.

قال الواحدي-رحمه الله-«ت: ٤٦٨ هـ»: "وإنما وصفوا بالعتو عند طلب الرؤية؛ لأنهم طلبوها في الدنيا عنادا للحق وإباء على الله ورسوله في طاعتهما".(٢).

ومما يوضحه: "أن أصحاب موسى سألوا موسى رؤية الله في الدنيا إلحافا فقالوا: ﴿**لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً**﴾ [البقرة: الآية: ٥٥]، لم يقولوا: حتى نرى الله في الآخرة، ولكن في الدنيا، وقد سبق من الله القول بأنه: ﴿**لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣] أبصار أهل الدنيا فأخذتهم الصاعقة بظلمهم وسؤالهم ما حظره على أهل الدنيا، ولو قد سألوه رؤيته في الآخرة كما سأل أصحاب محمد ﷺ محمدا ﷺ لم تصبهم تلك الصاعقة ولم يقل لهم إلا ما قال محمد ﷺ لأصحابه إذ سألوه: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «**نعم لا تضارون في رؤيته**» فلم يعبهم الله تعالى ولا رسوله بسؤالهم عن ذلك، بل حسنه لهم وبشرهم بشرى جميلة".(٣)

[الرد على حجتهم الرابعة]

أن دلالة الآية على إثبات الرؤية أدل منها على امتناعها، وذلك لما يلي:

١ - أنه أثبت التكليم من وراء حجاب، ولا يكون حجاب إلا لرؤية(٤).

٢ - أن التكليم من وراء حجاب نوع غير الوحي، ويقتضي وأن المكلم بذلك محجوب أن يرى الله؛ لأن التكليم المسموع قد يكون مع رؤية المستمع للمتكلم، وقد يكون مع كونه

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج «٤/ ٦٣».

(٢) انظر: الوسيط للواحدي «٣/ ٣٣٨».

(٣) انظر: نقض الدارمي على بشر المريسي «١/ ٣٦٧».

(٤) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية «٤/ ٤٥٤».

محجوبا عنه، بخلاف الوحي، فإنه يقع في قلبه(١)

٣ - أن الحجاب عن الرؤية المذكور في الآية الكريمة إنما هو في الدنيا، فلا يمكن لمخلوق أن يرى الله تعالى، أما الآخرة، فالله تعالى يرفع الحجاب عمن شاء من خلقه فيرونه عيانا كما روى عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: "ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان، ولا حجاب يحجبه".(٢)

ثالثًا: الأدلة العقلية التي استدل بها المعطلة لنفي رؤية الله تعالى في الدار الآخرة.

استـدل المعطلة من الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم على مذهبهم بأدلة عقلية، وهي شـبهات إبليسية، جعلوها حجة في معارضتهم للآيات الكريمة والأحاديث الثابتة الصحيحة، وهي كما يلي:

أولا: دليـل الموانع: وهو زعمهم أن الله-عز وجـل-لا يرى لاســـتحالـة رؤيتـه، وليس لامتناعها، ففرق بين النوعين. **قال القاضـــي عبد الجبار المعتزلي «ت: ٤١٥ هـ»**: "ما لا يرى ينقسم إلى: ما لا يرى لمنع، وإلى ما لا يرى لاستحالة الرؤية عليه، والقديم تعالى إنما يرى لاستحالة الرؤية عليه لا لمنع".(٣)

وقال أيضــا: "والموانع المعقولة من الرؤية ســتة: الحجاب، والرقة، واللطافة، والبعد المفرط، وكون المرئي في غير جهة محاذاة الرائي، وكون محله ينقض هذه الأوصـــاف، وشـــيء منها لا يجوز على الله تعالى بحال من الأحوال(٤)

وهذه الشـــروط الســـتة الأخيرة لا يمكن اعتبارها إلا في رؤية الأجســـام، والله تعالى ليس بجســـم، فلا يمكن اعتبار هذه الشـرائط في رؤيته، فعلى هذا ولو صـحت رؤيته لوجب أن لا

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية «١٠/ ٢١٣».

(٢) انظر: أخرجه البخاري «رقم ٦٥٣٩ و٧٥١٢ و٧٤٤٣» واللفظ له، ومسلم «رقم ١٠١٦» وغيرهما.

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي «ص: ٢٥٣».

(٤) انظر: شـرح الأصـول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي «ص: ٢٥٧-٢٥٨» والأربعين في أصـول الدين للرازي «١/ ٢٩٧ - ٢٩٨».

يصير في حصول رؤيته إلا أمران: سلامة الحاسة، وكونه بحيث يصح أن يرى، وهذان الأمران حاصـــلان الآن، فثبت أنه لو صـــحت رؤيته لوجب أن نراه الآن، ولما لم يكن الأمر كذلك وجب أن يقال: إنما لا نراه الآن لأنه لا تصح رؤيته(١)

والموانع على ضربين: أحدهما ما يمنع بنفسه، والثاني: يمنع بشرط.

أما المانع بنفسه فهو: كالحجاب، وكون المرئي في غير جهة محاذاة الرائي.

وأما المانع بشرط فهو على قسمين:

الأول: ما يمنع لأمر يرجع إلى الرائي.

والثاني: ما يمنع لأمر يرجع إلى المرئي.

وما يرجع إلى الرائي: فهو كالرقة واللطافة، فإنه إنما يمنع لأمر يرجع إلى الرائي وهو ضـعف الشـــعاع. وأما ما يرجع إلى المرئي: فنحو البعد المفرط، فإنه إنما لا يرى لبعده، حتى لو قرب لرئي(٢)

ثانيا: دليل المقابلة: وهو أن الرؤية تقتضـــي مقابلة المرئي للرائي، وإذا كان كذلك فتكون الرؤية ممتنعة في حق الله–عز وجل–، قال عبد الجبار المعتزلي: "إن الواحد منا راء بحاســـة، والرائي بالحاسة لا يرى الشيء إلا إذا كان مقابلا أو حالا في المقابل أو في حكم المقابل، وقد ثبت أن الله تعالى لا يجوز أن يكون مقابلا ولا حالا في المقال ولا في حكم المقابل، وهذه الدلالة مبنية على أصول:

أحدها: أن الواحد منا راء بالحاسة.

والثاني: أن الرائي بالحاســة لا يرى الشـــيء إلا إذا كان مقابلا أو حالا في المقابل أو في حكم المقابل.

والثالث: أن القديم تعالى لا يجوز أن يكون مقابلا ولا حالا في المقابل ولا في حكم

(١) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي «١/ ٢٩٧».

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي «ص: ٢٥٩-٢٦٠».

المقابل.

أما الأول: فالذي يدل عليه أن أحدنا متى كان له حاسة صحيحة والموانع مرتفعة والمدرك موجود: يجب أن يرى، ومتى لم يكن كذلك اســـتحالة أن يرى، فيجب أن يكون لصـــحة الحاسة في ذلك تأثير؛ لأن بهذه الطريقة يعلم تأثير المؤثرات من الأسباب والعلل والشروط.

وأما الثاني: فالشـــيء المرئي إذا كان كذلك وجب أن يرى، وإذا لم يكن كذلك لم ير، فيجب أن تكون المقابلة أو ما في حكمها شـــرطا في الرؤية؛ لأنه بهذه الطريقة يعلم تأثير الشروط.

وأما الثالث: فلأن المقابلة والحلول إنما تصـــح على الأجســـام والأعراض والله تعالى ليس بجسم ولا عرض فلا يجوز أن يكون مقابلا ولا حالا في المقابل ولا في حكم المقابل".(١)

ثالثا: دليل الانطباع: وهو: أن كل ما يكون مرئيا فلا بد وأن تنطبع صـــورته ومثاله في العين، والله تعالى يتنزه عن الصورة والمثال، فوجب أن تمتنع رؤيته(٢)

رابعا: أن كل ما كان مرئيا فلا بد له من لون وشـــكل، ودليله الاســـتقراء والله تعالى منزه عن ذلك فوجب ألا يرى(٣)

رابعًا: الرد على شبه المعطلة في استدلالهم بالأدلة العقلية لنفي رؤية الله تعالى في الدار الآخرة.

[الرد على الدليل الأول وهو دليل الموانع]

١ - **قال الرازي–رحمه الله–«ت: ٦٠٦ هـ»**: لا نســـلم أن عند حصـــول الشـــرائط الثمانية يجب حصول الإبصار، ويدل على أنه غير واجب عقلا وجهان:

أولا: أنا نرى الجســـم الكبير من البعد صـــغيرا وإن رأينا جميع أجزائه، وجب أن لا نراه

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي «ص ٢٤٨ - ٢٤٩» والأربعين في أصول الدين للرازي «١/ ٢٩٧ - ٢٩٨».

(٢) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي «١/ ٢٩٨».

(٣) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي «١/ ٢٩٨» والتمهيد للباقلاني «ص ٢٧٨».

صغيرا، بل كبيرا، وإن لم نر شيئا من أجزائه وجب ألا نراه البتة. وإن رأينا بعض أجزائه دون البعض مع أن جميع الأجزاء بالنسبة إلى "القرب والبعد واللطافة والكثافة وعدم الحجاب وسلامة الحاسة وصحة الرؤية" متساوية لزم أن لا يكون الإدراك مع حصول هذه الشروط متساويا.

ولا يقال: إنا إذا أبصرنا شيئا اتصل بطرفيه من العين خطان شعاعيان كساقي المثلث، وصار عرض المرئي كالخط الثالث، فحصل هناك مثلث، ثم يخرج من نقطة الناظر خط آخر إلى وسط المرئي قائم عليه، يقسم ذلك المثلث الأول إلى مثلثين، وكل واحد منهما مثلث قائم الزاوية، وهذا يصلح أن يكون وترا لكل واحد من الزاويتين الحادتين الواقعتين على طرفي المثلث الأول الكبير، والخطان الطرفيان كل واحد منهما وتر للزاويتين القائمتين، ولا شك أن وتر القائمة أعظم من وتر الحادة، فالخطان الطرفيان كل واحد منهما أطول من الخط الوسطي، وإذا كان ذلك كذلك لم تكن أجزاء المرئي بالنسبة إلى الرائي متساوية في القرب والبعد، لأنا نقول: لنفرض أن هذا التفاوت واقع بمقدار شبر، فلو كان المانع من الرؤية هذا القدر من التفاوت في البعد لكنا إذا جعلنا المرئي أبعد مما كان قبل ذلك بمقدار شبر وجب أن لا نراه البتة، لكنا نراه، فعلمنا أنه ليس السبب في عدم رؤية بعض الأجزاء ذلك القدر من التفاوت في البعد".(١)

فإن قيل: لا يلزم من رؤيتنا جميع أجزائه أن نراه كبيرا، وإنما يلزم ذلك أن لو كانت رؤيته صغيرا وكبيرا بحسب رؤية الأجزاء وعدمها وهو ممنوع.

قلنا: وضعفه ظاهر بناء على تركب الأجزاء التي لا تتجزأ، إذ على هذا التقدير إن رأى الأجزاء كلها وجب أن يرى الجسم كما هو في الواقع سواء كان قريبا أو بعيدا، وذلك لأن الرؤية لكل منها أو بعضها أصغر مما هو عليه توجب الانقسام فيما لا يتجزأ لثبوت ما هو أصغر منه، ورؤية كل من الأجزاء أكبر مما هو عليه بمثل أو بأزيد منه توجب ألا يرى إلا

(١) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي «١/ ٣٠١ - ٣٠٢».

ضعفا أو أكبر من ذلك، وهو باطل قطعا، ورؤيته أكبر بأقل من مثل توجب الانقسام، ورؤية بعضـها على ما هو عليه بعضـها أكبر بمثل توجب ترجيحا بلا مرجح، فوجب أن يرى الكل على حاله، فلا تفاوت حينئذ بالصـغر والكبر، فتعين أن يكون التفاوت بحسـب رؤية بعض دون بعض".[(١)]

ثانيـا: إذا نظرنا إلى مجموع كف من التراب، رأينـاه وذلـك الكيف من التراب عبـارة عن مجموع تلك الذوات وتلك الأجزاء الصـغيرة، فإما أن يكون إدراك كل واحد من تلك الذوات مشروطا بإدراك الآخر فيلزم الدور؟ وإما أن لا يكون إدراك شيء منها مشروطا بإدراك الآخر وحينئذ يكون إدراك كل واحد من تلك الذوات حالتي الاجتماع والانفراد على السـوية؟ مع أنا نراها حال الاجتماع ولا نراها حال الانفراد، وحينئذ لا يكون الإدراك واجب الحصـول عند حصـول تلك الشـرائط، وإما أن يكون إدراك البعض مشـروطا بإدراك الباقي ولا ينعكس، وهذا محال، ومع أنه محال فالمقصود حاصل.

أما أنه محال: فلأن الأجزاء متسـاوية فيكون هذا مفتقرا إلى ذلك، مع أن ذلك غني عن هذا، وهذا ترجيح من غير مرجح وهو محال، وأما أن المقصود حاصل، فلأن إدراك أحد تلك الأجزاء إذا كان غنيا عن إدراك الآخر كان حاله عند الاجتماع وعند الانفراد في صـحة الإدراك على السـوية، وحينئذ يعود المحذور، فهذان برهانان قويان في بيان أنه عند حصـول هذه الشرائط فالإدراك غير واجب الحصول.

وقولهم: لو لم يجب الإدراك لجاز أن يكون بحضـرتنا جبال وبوقات ونحن لا نراها ولا نسمعها[(٢)]

قلنا: هذا معارض بجملة العاديات، فإن الأمور العادية تجوز نقائضـها مع جزمنا بعدم وقوعها، ولا سفسطة هاهنا، فكذا الحال في الجبال الشاهقة التي لا نراها، فإنا نجوز وجودها

---

(١) انظر: شرح المواقف للجرجاني «٨/ ١٥٢-١٥٣» باختصار.

(٢) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي «١/ ٣٠٣».

وتجزم بعدمها؛ وذلك لأن الجواز لا يســـتلزم الوقوع ولا ينافي الجزم بعدمه، فمجرد تجويزها لا يكون سفسطة.

ثم نقول: إن كان مأخذ الجزم بعدم الجبل المذكور ما ذكرتم من وجوب الرؤية عند اجتماع شــرائطها لوجب أن لا نجزم به إلا بعد العلم بهذا، واللازم باطل؛ لأنه لا يجزم به من لا يخطر بباله هذه المســـألة؛ ولأنه ينجر إلى أن يكون ذلك الجزم نظريا مع اتفاق الكل على كونه ضروريا(١)

سـلمنا أنه عند حضـور هذه الشـرائط في الشـاهد يكون الإدراك واجب الحصـول، فلم قلتم: أن في حق الله تعالى يجب أن يكون كذلك؟ وتحقيقه هو: أن ذات الله تعالى مخالفة بالحقيقة والماهية لهذه الحوادث، والمختلفان في الماهية لا يجب اســـتواؤهما في اللوازم، فلم يلزم من كون الإدراك واجبا في الشـــاهد عند حضـــور هذه الشـــرائط كونه واجبا في الغائب عند حضورها، ومما يدل عليه: أن الإدراك في الشـاهد مشـروط بشـرائط ثمانية، وفي الغائب نقطع بأنه لا يمكن اعتباره، فكذلك لا يمتنع أن يكون الإدراك في الشـــاهد واجب الحصـــول، وفي الغائب لا يكون واجبا".(٢)

٢ – أن قولكم: إثبات الرؤية يســـتلزم إثبات الجســـمية، وهذا منتف عن الله تعالى، غير صحيح، فلا يلزم من إثبات الرؤية إثبات الجسمية، ثم إن لفظ الجسم لم يرد في الشرع لا نفيا ولا إثباتا.

قـال ابن تيميـة–رحمـه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "نفـاة الرؤيـة –من الجهميـة والمعتزلـة وغيرهم– إذا قالوا: إثباتها يســـتلزم أن يكون الله جســـما، وذلك منتف، وادعوا أن العقل دل على المقدمتين، احتيج حينئذ إلى بيان بطلان المقدمتين، أو إحداهما، فإما أن يبطل نفس التلازم، أو نفي اللازم، أو المقدمتان جميعا.

---

(١) انظر: شرح المواقف للجرجاني «٨/ ١٥٢–١٥٣».

(٢) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي «١/ ٣٠٣».

وهنا افترقت طرق مثبتة الرؤية: فطائفة نازعت في الأولى، كالأشـعري وأمثاله -وهو الذي حكاه الأشعري عن أهل الحديث وأصحاب السنة- وقالوا: لا نسلم أن كل مرئي يجب أن يكون جسما.

فقالت النفاة: لأن كل مرئي في جهة، وما كان في جهة فهو جسم. فافترقت نفاة الجسم على قولين: طائفة قالت: لا نسلم أن كل مرئي يكون في جهة، وطائفة قالت: لا نسلم أن كل ما كان في جهة فهو جسم. فادعت نفاة الرؤية أن العلم الضروري حاصل بالمقدمتين، وأن المنازع فيهما مكابر.

وهذا هو البحث المشهور بين المعتزلة والأشعرية، فلهذا صار الحذاق من متأخري الأشعرية على نفي الرؤية وموافقة المعتزلة، فإذا أطلقوها موافقة لأهل السنة فسروها بما تفسرها به المعتزلة، وقالوا: النزاع بيننا وبين المعتزلة لفظي.

وطائفة نازعت في المقدمة الثانية -وهي انتفاء اللازم- وهي كالهشامية والكرامية وغيرهم، فأخذت المعتزلة وموافقوهم يشنعون على هؤلاء، وهؤلاء وإن كان في قولهم بدعة وخطأ، ففي قول المعتزلة من البدعة والخطأ أكثر مما في قولهم.

ومن أراد أن يناظر مناظرة شرعية بالعقل الصريح فلا يلتزم لفظا بدعيا، ولا يخالف دليلا عقليا ولا شرعيا، فإنه يسلك طريق أهل السنة والحديث والأئمة الذين لا يوافقون على إطلاق الإثبات ولا النفي، بل يقولون: ما تعنون بقولكم: إن كل مرئي جسم؟

فإن فسروا ذلك: بأن كل مرئي يجب أن يكون قد ركبه مركب، أو أن يكون كان متفرقا فاجتمع، أو أنه يمكن تفريقه، ونحو ذلك، منعوا هم المقدمة الأولى، وقالوا: هذه السموات مرئية مشهودة، ونحن لا نعلم أنها كانت متفرقة مجتمعة، وإذا جاز أن يرى ما يقبل التفريق فيما لا يقبله أولى بإمكان رؤيته، فالله تعالى أحق بأن تمكن رؤيته من السموات ومن كل قائم بنفسه، فإن المقتضي للرؤية لا يجوز أن يكون أمرا عدميا، بل لا يكون إلا وجوديا، وكلما كان الوجود أكمل كانت الرؤية أجوز.

وإن قالوا: "مرادنا بالجسم المركب أنه مركب من الجواهر المنفردة، أو من المادة والصورة"،

نازعوهم في هذا، وقالوا: دعوى كون السموات مركبة من جواهر منفردة، أو من مادة وصورة دعوى ممنوعة أو باطلة، وبينوا فساد قول من يدعي هذا، وقول من يثبت الجوهر الفرد أو يثبت المادة والصورة، وقالوا: إن الله خلق هذا الجسم المشهود هكذا، وإن ركبه ركبه من أجسام أخرى، وهو سبحانه يخلق الجسم من الجسم، كما يخلق الإنسان من الماء المهين، وقد رب العظام في مواضعها من بدن ابن آدم، وركب الكواكب في السماء، فهذا معروف.

وأما أن يقال: "إنه خلق أجزاء لطيفة لا تقبل الانقسام ثم ركب منها العالم"، فهذا لا يعلم بعقل ولا سمع، بل هو باطل؛ لأن كل جزء لا بد أن يتميز منه جانب عن جانب، والأجزاء المتصاغرة كأجزاء الماء تستحيل عند تصغرها، كما يستحيل الماء إلى الهواء، مع أن المستحيل يتميز بعضه عن بعض.

والأدلة العقلية بينت جواز الرؤية وإمكانها، وليست العمدة على دليل الأشعري ومن وافقه في الاستدلال؛ لأن المصحح للرؤية مطلق الوجود.

وإن قالوا: "مرادنا أن المرئي لا بد أن يكون معاينا تجاه الرائي، وما كان كذلك فهو جسم"، ونحو هذا الكلام، قالوا لهم: الصادق المصدوق ﷺ قال: "إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر"، وقال: "هل تضامون في رؤية الشمس صحوة ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، قال: فهل تضامون في رؤية القمر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا، قال: فإنكم ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر".

وهذا تشبيه للرؤية، لا للمرئي بالمرئي، وفي لفظ في الصحيح: "إنكم ترون ربكم عيانا" فإذن قد أخبرنا أنا نراه عيانا.

وقد أخبرنا أيضا أنه قد: "استوى على العرش" فهذه النصوص يصدق بعضها بعضا، والعقل أيضا يوافقها، ويدل على أنه سبحانه مباين لمخلوقاته فوق سماواته، وأن وجود موجود لا مباين للعالم ولا محايث له محال في بديهة العقل، فإذا كانت الرؤية مستلزمة لهذه المعاني فهذا حق، وإذا سميتم أنتم هذا قولا بالجهة وقولا بالتجسيم لم يكن هذا القول نافية لما علم

بالشرع والعقل، إذ كان معنى هذا القول -والحال هذه- ليس منتفيا لا بشرع ولا عقل".[(١)]

[الرد على الدليل الثاني وهو دليل المقابلة]

قال الرازي: الجواب عنها من وجهين:

الأول: أن ذكر الدلائل لا بد أن يكون مسبوقا بتعيين محل النزاع، فنقول: محل النزاع: أن الموجود المنزه عن المكان والجهة هل تجوز رؤيته أم لا؟ فإن ادعيتم أن العلم بامتناع رؤيته ضروري [(٢)] فذلك باطل من وجوه:

الأول: أن البديهي متفق عليه بين العقلاء، وهذا غير متفق عليه فلا يكون بديهيا.

الثاني: أنا إذا عرضنا على عقولنا رؤية هذا الموجود، بالتفسير الذي لخصناه، وعرضنا على عقولنا: أن الواحد نصف الإثنين لم نجد القضية الأولى في قوة هذه الثانية.

الثالث: أن حكم الوهم والخيال في معرفة الله تعالى: إما أن يكون مقبولا أو لا يكون مقبولا، فإن كان مقبولا لا يمتنع إثبات ذات منزهة عن الكمية والكيفية والجهة، والمعتزلي يسلم أن ذلك باطل، وإن لم يكن مقبولا لم يكن حكم الوهم بأن ما كان منزها عن الجهة، كان غير مرئي واجب القبول؛ لأن الوهم والخيال لما صار كل واحد منها مردود الحكم في بعض الأحكام لم يبق الاعتماد عليها في شيء من المواضع.

وبالجملة: فإن كان حكم الوهم حقا كان الحق مع المجسم، وإن كان مردودا كان الحق معنا، أما المعتزلي: فإنه يرد حكمه في إثبات الجسم والجهة، ويقبل حكمه في مسألة الرؤية، فكان كلامه متناقضا.

فثبت بما ذكرنا: أن من نفى الرؤية بالوجه الذي ذكرناه لا بد وأن يعول في نفيها على الدليل لا على ادعاء الضرورة[(٣)]

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية «١/ ٢٥٠ - ٢٣٥» بتصرف يسير.

(٢) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي «١/ ٣٠٣».

(٣) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي «١/ ٢٦٧ - ٢٦٨».

وإن ادعيتم أن هذا العلم اســـتدلالي فلا بد فيه من الدليل، وقولكم: "إن كل مرئي لا بد وأن يكون مقابلا" يقرب من أنه إعادة للدعوى؛ لأن المقابل هو الذي يكون مختصــــا بجهة قدام الرائي، فكأنكم قلتم: "الدليل على أن ما لا يكون في الجهة لا يكون مرئية هو أن كل ما كان مرئية يكون في الجهة". والمنطقيون يسـمون هذه القضـية الثانية عكس نقيض القضـية الأولى، وفي الحقيقة لا فرق بين القضـيتين في الظهور والخفاء، فلم يجز جعل أحدهما حجة في صحة الأخرى، بل يقرب هذا من أن يكون إعادة المطلوب بعبارة أخرى.

والوجه الثاني في الجواب: ثبت أن المقابلة شرط للرؤية في الشاهد، فلم قلتم: إنه في الغائب كذلك؟ وتقريره: ما ذكرناه في الجواب عن الشـــبهة الأولى [(١)]، هو أن ذات الله تعالى مخالفة بالحقيقة والماهية لهذه الحوادث، والمختلفان في الماهية لا يجب اســـتواؤهما في اللوازم، فلم يلزم من كون الإدراك واجبا في الشــاهد عند حضـــور هذه الشـــرائط كونه واجبا في الغالب عند حضورها، ومما يدل عليه: أن الإدراك في الشاهد مشروط بشرائط ثمانية هي: سلامة الحاسة، وكون الشيء بحيث أن يكون جائز الرؤية، وأن لا يكون في غاية البعد، وأن لا يكون في غاية القرب، وأن يكون مقابلا للرائي أو في حكم المقابل، وأن لا يكون في غاية اللطافة، وأن لا يكون بين الرائي والمرئي حجاب، وأن لا يكون في غـاية الصـــغر، فلا يمكن اعتبار هـذه الشرائط في رؤيته[(٢)]

وفي الغالب نقطع بأنه لا يمكن اعتباره، فكذلك لا يمتنع أن يكون الإدراك في الشــــاهد واجب الحصول، وفي الغائب لا يكون واجبا[(٣)]

وتمام الكشـــف والتحقيق: أنا ذكرنا في المقدمات: أن المراد من الرؤية أن يحصـــل لنا انكشـاف بالنسـبة إلى ذاته المخصـوصـة، وهو يجري مجرى الانكشـاف الحاصـل عند إبصـار

---

(١) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي «١/ ٣٠٣ - ٣٠٤».

(٢) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي «١/ ٣٠٣».

(٣) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي «١/ ٣٠٣».

الألوان والأضـــواء، وإذا كـان الأمر كـذلك فـإذا الانكشـــاف يجب أن يكون على وفق المكشـــوف، فإن كان المكشـــوف مخصـــوصـــا بالجهة والحيز: وجب أن يكون الانكشـــاف كذلك، وإن كان المكشـــوف منزها عن الجهة: وجب أن يكون انكشـــافه منزها عن الحيز والجهة".(١).

وهذا الجواب الســابق مع ما فيه من حق إلا أنه اشـتمل على باطل وهو: أن الجواب عن دليل المعتزلة بتسليم نفي الجهة والمقابلة عن الله تعالى باطل؛ لأن إثبات رؤية حقيقية بالأبصار عيانا من غير مقابلة أو جهة مكابرة عقلية، لأن الجهة من لوازم الرؤية وإثبات الملزوم ونفي اللازم مغالطة ظاهرة.

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "يقال: هذا المنكر للرؤية المســـتدل على نفيها بانتفاء لازمها وهو الجهة: قولك ليس في جهة، وكل ما ليس في جهة لا يرى، فهو لا يرى، وهكذا جميع نفاة الحق ينفونه لانتفاء لازمه في ظنهم، فيقولون لو رئي للزم كذا، واللازم منتف فينتفي الملزوم.

والجواب العام لمثل هذه الحجج الفاسدة: بمنع إحدى المقدمتين: إما معينة وإما غير معينة، فإنه لا بد أن تكون إحداهما باطلة أو كلتاهما باطلة، وكثيرا ما يكون اللفظ فيها مجملا يصح باعتبار ويفســد باعتبار، وقد جعلوا الدليل هو ذلك اللفظ المجمل، ويســميه المنطقيون الحد الأوسـط، فيصـح في مقدمة بمعنى، ويصـح في الأخرى بمعنى آخر، ولكن اللفظ مجمل، فيظن الظان لما في اللفظ من الإجمال وفي المعنى من الاشـــتباه أن المعنى المذكور في هذه المقدمة هو المعنى المذكور في المقدمة الأخرى، ولا يكون الأمر كذلك.

مثال ذلك في مسألة الرؤية أن يقال له: أتريد بالجهة أمرا وجوديا أو أمرا عدميا؟

فإذا أردت به أمرا وجوديا كان التقدير: كل ما ليس في شـــيء موجود لا يرى. وهذه المقدمة ممنوعة ولا دليل على إثباتها، بل هي باطلة فإن سطح العالم يمكن أن يرى وليس العالم

---

(١) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي «١/ ٣٠٣ – ٣٠٤»، وشرح المواقف للجرجاني «٨/ ١٥٥».

في عالم آخر.

وإن أردت بالجهة أمرا عدميا كمانت المقدمة الثانية ممنوعة، فلا نسلم أنه ليس بجهة بهذا التفسير.

وهذا مما خاطبت به غير واحد من الشيعة والمعتزلة فنفعه الله به، وانكشف بسبب هذا التفصيل ما وقع في هذا المقام من الاشتباه والتعطيل وكانوا يعتقدون أن ما معهم من العقليات النافية للرؤية قطعية لا يقبل في نقيضها نص الرسل، فلما تبين لهم أنها شبهات مبنية على ألفاظ مجملة ومعان مشتبهة، تبين أن الذي ثبت عن الرسول هو الحق المقبول".(١)

وقال أيضا: "يقال لهم: ما تعنون بأن هذا إثبات للجهة والجهة ممتنعة؟ أتعنون بالجهة أمرا وجوديا أو أمرا عدميا؟

فإن أردتم أمرا وجوديا. وقد علم أنه ما ثم موجود إلا الخالق والمخلوق، والله فوق سماواته بائن من مخلوقاته، لم يكن. والحالة هذه في جهة موجودة، فقولكم: إن المرئي لا بد أن يكون في جهة موجودة قول باطل، فإن سطح العالم مرئي، وليس هو في عالم آخر.

وإن فسرتم الجهة بأمر عدمي كما تقولون: إن الجسم في حيز، ولا حيز تقدير مكان، وتجعلون ما وراء العالم حيزا.

فيقال لكم: الجهة. والحيز. إذا كان أمرا عدميا فهو لا شيء، وما كان في جهة عدمية أو حيز عدمي، فليس هو في شيء، ولا فرق بين قول القائل: هذا ليس في شيء وبين قوله: هو في العدم أو أمر عدمي فإذا كان الخالق تعالى مباينا للمخلوقات عاليا عليها، وما ثم موجود إلا الخالق أو المخلوق، لم يكن معه غيره من الموجودات، فضلا عن أن يكون هو سبحانه في شيء موجود يحصره أو يحيط به.

فطريقة السلف والأئمة أنهم يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل، ويراعون أيضا الألفاظ الشرعية، فيعبرون بها ما وجدوا إلى ذلك سبيلا، ومن تكلم بما فيه معني باطل

(١) انظر: منهاج السنة لابن تيمية «٢/ ٣٤٨ - ٣٤٩».

يخالف الكتاب والســـنة ردوا عليه، ومن تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حق وباطلا نســـبوه إلى البدعة أيضا، وقالوا: إنما قابل بدعة ببدعة، وردة باطلا بباطل".(١)

[الرد على الدليل الثاني والثالث]

أن نمنع كون الرؤية بالانطباع إما مطلقا أو في الغائب لاختلاف الرؤيتين(٢).

ونقول أيضـــا: أن الرؤية عبارة عن الانكشـــاف التام، فإن كان الشـــيء له صـــورة كان انكشـافه بانكشـاف صـورته ولونه، وإن كان منزها عن الصـورة واللون كان انكشـافه كذلك أيضا؛ لأن شرط الانكشاف أن يحصل على وفق ماهية المكشوف(٣)

والحكم بأن المرئي لابد وأن تنطبع صـــورته ومثاله في العين، وأنه لا بد وأن يكون ذا لون وشكل مبني على أن هذه الأشياء المشاهدة المحسوسة لا ترى إلا كذلك، ثم قالوا: "لو صح أن يرى الله فلا يرى إلا كذلك" وهو ممنوع في حقه تعالى، والحق أنه تحكم محض وقياس للخالق على المخلوق، وهو باطل قطعا؛ لأنه قياس مع الفارق، فالله تعالى ليس كمثله شيء، ولا يشـبهه شـيء من خلقه، فلا يصـح قياسـه عليه. قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّـــمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآيات: ١-٤]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١](٤)

خامسًا: الأدلة العقلية للأشاعرة القائلين بأن الله تعالى يرى في غير جهة.

استدل الأشاعرة على جواز رؤية الله تعالى بأدلة عقلية، وهي:

١ - دليل الوجود: وهو أن كل موجود مرئي سواء أمكن مشاهدته أم لم يمكن.

قال الجويني: "الدليل على جواز الرؤية عقلا أن الرب-عز وجل-موجود، وكل موجود

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية «١/ ٢٥٣ - ٢٥٤» ومنهاج السنة النبوية له أيضا «٢/ ٣٤٨ - ٣٤٩».

(٢) انظر: شرح للمواقف للجرجاني «٨/ ١٥٥».

(٣) انظر: الأربعين في أصول الدين الرازي «١/ ٣٠٤».

(٤) انظر: رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها لأحمد بن ناصر آل حمد «ص: ٧٢».

مرئي"[١] ويدخل في ذلك جميع الموجودات كالأصوات، والروائح، والملموسات، والطعوم[٢]

٢ - معنى الرؤية ومفهوما والمراد بها. وجميع ذلك هو حقيقة الرؤية.

قال الغزالي-رحمه الله-«ت: ٥٠٥ هـ»: "لا حقيقة لها إلا أنها نوع إدراك هو كمال ومزيد كشف بالاضافة إلى التخيل، إلا أن هذا الكمال في الكشف غير مبذول في هذا العالم، والنفس في شغل البدن وكدورة صفائه، فهو محجوب عنه. وكما لا يبعد أن يكون الجفن أو الستر أو سواد ما في العين سببا بحكم اطراد العادة الامتناع الإبصار للمتخيلات فلا يبعد أن تكون كدورة النفس وتراكم حجب الأشغال بحكم اطراد العادة مانعا من إبصار المعلومات. فإذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور، وزكيت القلوب بالشراب الطهور، وصفيت بأنوع التصفية والتنقية، لم يمتنع أن تشتغل بسببها لمزيد استكمال واستيضاح في ذات الله سبحانه أو في سائر المعلومات، يكون ارتفاع درجته عن العلم المعهود كارتفاع درجة الإبصار عن التخيل، يعبر عن ذلك بلقاء الله تعالى ومشاهدته، أو رؤيته، أو إبصاره، أو ما شئت من العبارات. فلا مشاحة فيها وبعد إيضاح المعاني. وإذا كان ذلك ممكنا بأن خلقت هذه الحالة في العين، كان اسم الرؤية بحكم وضع اللغة عليه أصدق وخلقه في العين غير مستحيل. كما أن خلقها في القلب غير مستحيل فإذا فهم المراد بها أطلقه أهل الحق من الرؤية، علم أن العقل لا يحيله، بل يوجبه، وأن الشرع قد شهد له فلا يبقى للمنازعة وجه إلا على سبيل العناد أو المشاحنة في إطلاق عبارة الرؤية أو القصور عن درك هذه المعاني الدقيقة التي ذكرناها".[٣].

٣ - أن كل مرئي فهو في جهة، وهذا إنما هو حكم الشاهد لا حكم الغائب، وهذا الموضع ليس من المواضع التي يجب فيها نقل حكم الشاهد إلى الغائب، وإنه جائز أن يرى

---

(١) انظر: لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة للجويني «ص: ١١٥».

(٢) انظر: شرح المواقف للجرجاني «ص: ١٣٩».

(٣) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي «ص: ٤٥-٤٦» باختصار.

الإنسان ما ليس في جهة، إذا كان جائزا أن يرى الإنسان بالقوة المبصرة نفسها دون عين(١)

٤ – أنه يمكن رؤية ما ليس في جهة، ومن أنكر ذلك فلا يقدر على انكار رؤية الإنسان نفسه في المرآة، ومعلوم أنه ليس في مقابلة نفسه(٢)

٥ – أن رؤية غير الأجسام ممكنة وذلك لما يلي:

الأول: أن الشيء لا يخلو أن يرى من جهة ما هو ملون، أو من جهة أنه جسم، أو من جهة أنه لون، أو من جهة أنه موجود، وربما من جهات أخر غير هذه الموجودة، وباطل أن يرى من قبل أنه جسم؛ إذ لو كان ذلك كذلك لما رئي ما هو غير جسم، وباطل أن يرى من قبل أنه ملون؛ إذ لو كان كذلك لمارئي اللون، وباطل أن يرى لمكان أنه لون؛ إذ لو كان ذلك كذلك لمارئي الجسم، وإذا بطلت جميع هذه الأقسام التي تتوهم في هذا الباب فلم يبق أن يرى الشيء إلا من قبل أنه موجود.

الثاني: أن الحواس إنما تدرك ذوات الأشياء وما تنفصل به الموجودات بعضها من بعض، وهي أحوال ليست بذوات، فالحواس لا تدركها وإنما تدرك الذات، والذات هي نفس الوجود المشترك لجميع الموجودات، فإذا: الحواس إنما تدرك الشيء من حيث هو موجود(٣)

سادسًا: الرد على أدلة الأشاعرة العقلية القائلين: بأن الله تعالى يرى في غير جهة.

[الرد على الدليل العقلي الأول]

أن قولهم: "أن كل موجود يري" غير صحيح، حيث جعلوا ذلك عاما لكل موجود كالأصوات والروائح والطعوم وغيرها، وهذه مكابرة للعقل، ومناقضة للواقع.

فإن المعاني ونحوها لا يمكن رؤيتها، ومن زعم ذلك فقد قال بالمحال، والتخبط في المقال، وقد اعترف كبار الأشاعرة المخالفين للأشعري نفسه بعدم صحة هذا الدليل، وعدم سلامته

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية «٢/ ٤٣٩».

(٢) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي «ص: ٤٣».

(٣) انظر: مناهج الأدلة لابن رشد «ص: ١٨٧-١٨٩» وبيان تلبيس الجهمية لابن تيمية «٢/ ٤٤٢ و٤٤٥» ودرء تعارض العقل والنقل له «٦/ ٢٣٠ – ٢٣٣».

من الاعتراضات والإشكالات.

قال الرازي-رحمه الله-«ت: ٦٠٦ هـ»: "اعلم أن جمهور الأصحاب عولوا في إثبات أنه تعالى يصح أن يرى على دليل الوجود، وأما نحن فعاجزون عن تمشيه، ونحن نذكر ذلك الدليل، ثم نوجه عليه ما عندنا من الاعتراضات".[(١)]

وقد اعترف الرازي بعد إيراده للاستشكالات والاعتراضات على دليل الوجود بعجزه عن الجواب عنها فقال: "فهذا ما عندي من الأسئلة في هذا الدليل، وأنا غير قادر على الأجوبة عنها. . . اعلم أن الدليل العقلي المعول عليه في هذه المسألة هذا الذي أوردناه وأوردنا عليه هذه الاسئلة واعترفنا بالعجز عن الجواب عنها".[(٢)]

وقال أيضا: "ثبت أن صحة الرؤية حكم مشترك فيه بين الجواهر والأعراض والحكم المشترك فيه لا بد له من علة مشتركة فيها والمشترك بين الجوهر والعرض إما الحدوث أو الوجود والحدوث لا يصلح للعلية لأن الحدوث عبارة عن وجود بعد عدم والقيد العلمي لا يصلح للعلية فوجب أن تكون العلة هي الوجود والله تعالى موجود فوجب القول بصحة رؤيته، وهذا عندي ضعيف".[(٣)]

ولذلك توقف الرازي في القول بالدليل العقلي لعدم صحته عنده وعدم سلامته من الاعتراضات والإشكالات.

قال في كتابه المطالب العالية: "الدلائل التي تمسك بها نفاة الرؤية في غاية الضعف والسقوط، وأما مثبتوا الرؤية فقد عولوا على أن قالوا: "الله تعالى موجود، وكل موجود فإنه تصح رؤيته" ودليلهم في الإثبات: أن كل موجود تصح رؤيته، قد ذكرناه في أحكام الموجودات، وأوردنا عليه اعتراضات قوية لا يمكن دفعها البتة، وإذا عرفت ضعف دلائل

---

(١) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي «١/ ٢٦٨».

(٢) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي «١/ ٢٧٧».

(٣) انظر: معالم أصول الدين للرازي «ص: ٢٦٨».

الفريقين فنقول: بقي هذا البحث في محل التوقف".(١)

وقال الشهرستاني-رحمه الله-«ت: ٥٤٨ هـ»: "وأما جواز الرؤية فالمسلك العقلي ما ذكرناه وقد وردت عليه تلك الإشكالات ولم تسكن النفس في جوابها كل السكون ولا تحركت الأفكار العقلية الى التفصي عنها كل الحركة".(٢)

وقال الآمدي-رحمه الله-«ت: ٦٣١ هـ»: "والواجب البداية بتقديم النظر في طرف الجواز العقلي أولا ثم في وقوعه شرعا ثانيا، وقد سلك المتكلمون في ذلك ومن أهل الحق مسالك لا تقوى: المسلك الأول: وهو ما اشتهر من قولهم: الرؤية تتعلق بالموجودات المختلفة كالجواهر والأعراض. . . " ثم قال عن هذا الدليل: "ومن نظر بعين التحقيق علم أن المتعلق به منحرف عن سواء الطريق".(٣)

وقال أيضا: "ولما تخيل بعض الأصحاب زيغ هذه الطريقة عن الصواب انتهج منهجا آخر فقال: إن الجواهر والأعراض متعلق الرؤية، ولا محالة أن بينهما اتفاقا وافتراقا. . . وهذا الإسهاب أيضا مما لا يشفي غليلا".(٤)

وقال أيضا: "لو سلم أن ما وقع به الافتراق لا يصلح أن يكون مصححا فإن المصحح لا بد وأن يكون أمرا مشتركا فلا بد من بيان أنه لا مشترك إلا "الوجود" والا فمع جواز القول باشتراكها في معنى آخر غير الوجود فيجوز أن يكون هو المصحح أو داخلا في المصحح، وعند ذلك فلا يلزم جواز تعلق الرؤية بواجب الوجود؛ لجواز أن يكون المصحح غير شامل له كما في الوجود، وذلك لا دليل عليه غير البحث والسبر وهو ما لا يرقى إلى ذروة اليقين بل لعله مما يقصر عن إفادة الظن والتخمين. . . ثم إنه لو قدر أنه لا مشترك إلا الوجود فلا بد

---

(١) انظر: المطالب العالية للرازي «٢/ ٨٧».

(٢) انظر: نهاية الإقدام للشهرستاني «ص: ٣٢٩» وغاية المرام في علم الكلام للآمدي «ص: ١٦٢».

(٣) انظر: غاية المرام في علم الكلام للآمدي «ص: ١٤٢-١٤٣».

(٤) انظر: غاية المرام في علم الكلام للآمدي «ص: ١٤٤-١٤٥».

من بيان أن وجود واجب الوجود مجانس للوجود الذي هو متعلق الرؤية شـــاهدا حتى يلزم تعلق الرؤية به وذلك مما يعز ويشق جدا".(١)

وقال في ختام إيراده للاستشكالات والاعتراضـات: "وعلى الجملة فلسنا نعتمد في هذه المسألة على غير المسلك العقلي الذي أوضحناه؛ إذ ما سواه لا يخرج عن الظواهر السمعية والاستبصـارات العقلية، وهي مما يتقاصر عن إفادة القطع واليقين، فلا يذكر إلا على سبيل التقريب واســتدراج قانع بها إلى الإعتقاد الحقيقي، إذ رب شـــخص يكون انقياده إلى ظواهر الكتاب والســـنة واتفاق الأمة اتم من انقياده إلى المســـالك العقلية والطرق اليقينية خشـــونة معركها وقصوره عن مدركها".(٢)

[الرد على الدليل العقلي الثاني]

١ - أن قولهم: "بأن الرؤية هي زيادة علم وكشف". هو نفس قول المعتزلة المنكرين للرؤية، فلا فرق بينهم في ذلك.

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "أئمة أصـــحاب الأشـــعري المتأخرين لما تأملوا ذلك عادوا في الرؤية إلى قول المعتزلة أو قريب منه وفســروها بزيادة العلم كما يفســرها بذلك الجهمية والمعتزلة وغيرهم وهذا في الحقيقة تعطيل للرؤية الثابتة بالنصـــوص والإجماع والمعلوم جوازها بدلائل المعقول، بل المعلوم بدلائل العقول امتناع وجود موجود قائم بنفسه لا يمكن تعلقها به".(٣)

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "نفاة الرؤية من الجهمية والمعتزلة والفلاسفة يتأولون النصوص فيها تارة برؤية أفعال الله، وتارة برؤية القلب الذي هو زيادة العلم".(٤)

---

(١) انظر: غاية المرام في علم الكلام للآمدي «ص: ١٤٧».

(٢) انظر: نفس المصدر «ص: ١٥٤».

(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية «٢/ ٤٣٤ - ٤٣٥» باختصار..

(٤) انظر: جامع المسائل لابن تيمية «٥/ ٧٣».

وقد اعترف بهذا كبار حذاق المتكلمين الأشعرية، وأن قولهم هو نفس قول المعتزلة.

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "وهذا صـــار حذاقهم إلى إنكار الرؤية وقالوا: قولنا هو قول المعتزلة في الباطن؛ فإنهم فسـروا الرؤية بزيادة انكشـاف ونحو ذلك مما لا ننازع فيه المعتزلة".(١)

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "فلهذا صـار الحذاق من متأخري الأشعرية على نفي الرؤية وموافقة المعتزلة، فإذا أطلقوها موافقة لأهل الســنة فســروها بما تفســرها به المعتزلة، وقالوا: النزاع بيننا وبين المعتزلة لفظي".(٢)

٢ - أن تحريفكم لمعنى الرؤية بالكشــف وزيادة العلم قول مبتدع لم يقله أحد من ســلف الأمة وأئمتها، وهو خلاف ما نقل عن الصـادق المصـدوق-صـلى الله عليه وسـلم-حينما أخبرنا عن رؤية الله تعالى فقال: "إنكم سترون ربكم عيانا".(٣)

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "وأما دعواه ودعوى غيره من الجهمية من المعتزلة ونحوهم أن الرؤية التي أخبر بها الرسـول مزيد علم فمن سمع النصـوص علم بالاضـطرار أن الرسول إنما أخبر برؤية المعاينة، وأيضا فإن أدلة المعقول الصريحة تجوز هذه الرؤية".(٤)

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "أما إثبات رؤية الله تعالى بالأبصــــار في الآخرة فهو قول ســلف الأمة وأئمتها، وجماهير المســلمين من أهل المذاهب الأربعة وغيرها، وقـد تواترت فيـه الأحـاديـث عن النبي ﷺ عنـد علمـاء الحـديـث، وجمهور القـائلين بالرؤيـة يقولون: يرى عيانا مواجهة، كما هو المعروف بالعقل".(٥)

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية «١٦/ ٨٥».

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية «١/ ٢٥٠».

(٣) أخرجه البخاري «رقم: ٧٤٣٥».

(٤) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية «٢/ ٤٥٢».

(٥) انظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية «٣/ ٣٤١».

[الرد على الدليل العقلي الثالث]

١ – نقول لهم: تفريقكم في نقل حكم الشـــاهد إلى الغائب بين الرؤية وبين غيرها من الصفات تفريق بين متماثلين، فكما نقلتم حكم الشاهد إلى الغائب في صفة الحياة والعلم، فكذلك يلزمكم في الرؤية.

وهؤلاء اختلط عليهم إدراك العقل مع إدراك البصـــر، فإن العقل هو الذي يدرك ما ليس في جهة –أعني في مكان– وأما إدراك البصـــر فظاهر من أمره أن من شـــرطه أن يكون المرئي منه في جهة –أعني في مكان– ولا في كل جهة فقط بل في جهة ما مخصوصة، ولذلك ليس تتأتى الرؤية بأي وضع اتفق أن يكون البصر من المرئي، بل بأوضاع محدودة وشروط محدودة أيضا، وهي ثلاثة أشياء: "حضور الضوء، والجسم الشفاف المتوسط بين البصر والمبصر، وكون المبصر ذا ألوان ضرورة"، والرد هذه الأمور المعروفة بنفسها في الأبصار هو رد للأوائل المعلومة بالطبع للجميع، وإبطال لجميع علوم المناظر والهندســـة، وقد قال القوم –أعني الأشـــعرية–: "إن أحد المواضـــع التي يجب أن ينقل فيها حكم الشـــاهد إلى الغائب هو الشـــرط، مثل: حكمنا أن كل عالم حي؛ لكون الحياة تظهر من الشـــاهد شـــرطا في وجود العالم"،وإن كان كذلك قلنا لهم: وكذلك يظهر في الشـــاهد أن هذه الأشـــياء هي شـــروط في الرؤية فألحقوا الغائب منها بالشاهد على أصلكم[(١)]

٢ – أن قولكم: "جائز أن يرى الإنســـان ما ليس في جهة" هذا إنما يكون متصـــورا في العقول، أما في الخارج فلا يوجد مرئي إلا وهو في جهة.

٣ – يقال لهم: قولكم: "ما ليس في جهة" هذا اللفظ قول مبتدع لم يرد به الشـــرع إثباتا ولا نفيا، ثم ماذا تقصـــدون به؟ إن قصـــدتم أنه لا داخل العالم ولا خارجه فقد قلتم الباطل والمحال، وإن قصـدتم أنه ليس فوق العرش إله فقد جحدتم رب العالمين، وإن قصـدتم أنه بذاته

(١) انظر: مناهج الأدلة لابن رشـــد «ص: ١٨٦» وبيان تلبيس الجهمية لابن تيمية «٢/ ٤٣٩ – ٤٤٠» والدرء له أيضـــا «٦/ ٢٢٩».

في كل مكان فقد قلتم قولا أعظم من قول النصاري في عيسى -عليه السلام-، وإن قصدتم أنه تعالى لا تحيط به المخلوقات، بل هو بائن عن المخلوقات، فقد أصابتم المعنى وأخطأتم في استعمال اللفظ.

قال ابن تيمية -رحمه الله- «ت: ٧٢٨ هـ»: "من قال: إن الله ليس في جهة، قيل له: ما تريد بذلك؟ فإن أراد بذلك أنه ليس فوق السماوات رب يعبد، ولا على العرش إله، ومحمد لم يعرج به إلى الله تعالى، والأيدي لا ترفع إلى الله تعالى في الدعاء، ولا تتوجه القلوب إليه، فهذا فرعوني معطل جاحد لرب العالمين.

وإن كان معتقدا أنه مقر به، فهو جاهل متناقض في كلامه. ومن هنا دخل أهل الحلول والاتحاد كابن عربي، وقالوا: إن الله بذاته في كل مكان، وأن وجود المخلوقات هو وجود الخالق.

وإن قال: مرادي بقولي: "ليس في جهة" أنه لا تحيط به المخلوقات، بل هو بائن عن المخلوقات، فقد أصاب في هذا المعنى.

وكذلك من قال: إن الله متحيز، أو قال: ليس بمتحيز، إن أراد بقوله: "متحيز" أن المخلوقات تحوزه وتحيط به فقد أخطأ. وإن أراد أنه منحاز عن المخلوقات لا تحويه فقد أصاب. وإن أراد: ليس ببائن عنها، بل هو لا داخل فيها ولا خارج عنها فقد أخطأ.

والناس في ذلك ثلاثة أصناف: أهل الحلول والاتحاد، وأهل النفي والجحود، وأهل الإيمان، والتوحيد، والسنة.

فأهل الحلول يقولون: إنه بذاته في كل مكان، وقد يقولون بالاتحاد والوحدة، فيقولون: وجود المخلوقات وجود الخالق، كما هو مذهب **ابن عربي** «**ت: ٦٣٨ هـ**» صاحب "الفصوص" **وابن سبعين** «**ت: ٦٦٩ هـ**» ونحوهما.

وأما أهل النفي والجحود فيقولون: لا هو داخل العالم ولا خارج عنه، ولا مباين له ولا حال فيه، ولا فوق العالم ولا فيه، ولا ينزل منه شيء ولا يصعد إليه شيء، ولا يتقرب إليه شيء، ولا يدنو منه شيء، ولا يتجلى الشيء ولا يراه أحد، ونحو ذلك.

وهذا قول متكلمة الجهمية، كما أن الأول قول عباد الجهمية. فمتكلمة الجهمية لا يعبدون شيئا، ومتعبدة الجهمية يعبدون كل شيء، وكلاهما مرجعهم إلى التعطيل والجحود الذي هو قول فرعون".(١)

٤ – أن استلزام الرؤية لأن يكون الله بجهة من الرائي ثابت لا محذور فيه، فقد دل العقل الصريح والنقل الصحيح والقياس الصحيح وهو قياس التنبية وقياس الأولى على إثبات ذلك.

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "الوجه الثالث: أن كون الرؤية مستلزمة لأن يكون الله بجهة من الرائي أمر ثبت بالنصوص المتواترة وفيه مع إخباره أنهم يرونه إخبارهم أنه يرونه في جهة منهم من وجوه:

أحدها: أن الرؤية في لغتهم لا تعرف إلا لرؤية ما يكون بجهة منهم، فأما رؤية ما ليس في الجهة فهذا لم يكونوا يتصورونه ولا يعرفونه فضلا عن أن يكون اللفظ يدل عليه.

ولست تجد أحدا من الناس يتصور وجود موجود في غير جهة، فضلا عن أن يتصور أنه يرى، فضلا عن أن يكون اسم الرؤية المشهورة في اللغات كلها يدل على هذه الرؤية الخاصة.

الثاني: أنه شبه لهم رؤيته برؤية الشمس والقمر، وليس ذلك تشبيها للمرئي بالمرئي، ومن المعلوم أنه إذا كانت رؤيته مثل رؤية الشمس والقمر وجب أن يرى في جهة من الرائي، كما أن رؤية الشمس والقمر كذلك، فإنه لو لم يكن كذلك لأخبرهم برؤية مطلقة نتأولها على ما يتأول من يقول بالرؤية في غير جهة، أما بعد أن يستفسرهم عن رؤية الشمس صحوة ورؤية البدر صحوة ويقول: "إنكم ترون ربكم كذلك" فهذا لا يمكن أن يتأول على الرؤية التي يزعمونها، فإن هذا اللفظ لا يحتملها لا حقيقة ولا مجازا.

الثالث: أنه شبه رؤيته برؤية أظهر المرئيات إذا لم يكن ثم حجاب منفصل عن الرائي يحول بينه وبين المرئي، ومن يقول: "إنه يرى في غير جهة" يمتنع عنده أن يكون بينه وبين العباد حجاب منفصل عنهم، إذ الحجاب لا يكون إلا لجسم، ولما يكون في جهة، وهم

(١) انظر: جامع المسائل لابن تيمية «٣/ ٢٠٣-٢٠٤».

يقولون: "الحجاب عدم خلق الإدراك في العين"، والنبي ﷺ مثل رؤيته برؤية هذين النورين العظيمين إذا لم يكن دونها حجاب.

الرابع: أنه أخبر أنهم: **"لا يضـــارون في رؤيته"** وفي حديث آخر: **"لا يضـــامون"** ونفي الضـير والضـيم إنما يكون لإمكان لحوقه للرائي، ومعلوم أنا يسـمونه رؤية وهو "رؤية ما ليس بجهة" من الرائي لا فوقه ولا في شـيء من جهاته لا يتصـور فيها ضـير ولا ضـيم حتى ينفي ذلك، بخلاف رؤية ما يواجه الرائي ويكون فوقه، فإنه قد يلحقه فيه ضيم وضير إما بالازدحام عليه أو كلال البصر لخفائه: كالهلال، وإما لجلائه: كالشمس والقمر.

الوجه الرابع: أن كون الله يرى بجهة من الرائي ثبت بإجماع السلف والأئمة".(١).

[الرد على الدليل العقلي الرابع]

أن قولهم ذلك مغالطة للواقع، فالمرآة في جهة الناظر إليها، وهو إنما ينظر إلى صورته فيها. فإن الذي يبصر هو خيال ذاته فقط، والخيال منه هو في جهة إذا كان الخيال في المرآة، والمرآة في جهة(٢)

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "قال العقلاء هذا تلبيس فإنه إنما يرى خيال صورته وهو عرض منطبع في الجسم الصقيل وهو في جهة منه ولا يرى حقيقة صورته القائمة به".(٣).

[الرد على الدليل العقلي الخامس]

قولكم: أن رؤية غير الأجسـام ممكنة، قول باطل مخالف للعقل الصـريح والواقع، ومكابرة للمعقول والمحسوس.

فأما الوجه الأول في اسـتدلالكم: فالمغالطة في هذا القول بينة؛ فإن المرئي منه ما هو مرئي

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية «٤/ ٤٣٢ - ٤٤٩» باختصار وتصرف.

(٢) انظر: مناهج الأدلة لابن رشد «ص: ١٨٧» وبيان تلبيس الجهمية لابن تيمية «٢/ ٤٤١» والدرء له أيضا «٦/ ٢٣٠».

(٣) انظر: الصواعق المرسلة لابن القيم «٤/ ١٣٣٣».

بذاته ومنه ما هو مرئي من قبل المرئي بذاته، وهذه هي حال اللون والجسم، فإن اللون مرئي بذاته، والجسم مرئي من قبل اللون، ولذلك ما لم يكن له لون لم يبصر، ولو كان الشيء إنما يرى من حيث هو موجود فقط لوجب أن تبصر الأصوات وسائر المحسوسات الخمس، فكان يكون البصر والسمع وسائر الحواس الخمس حاسة واحدة، وهذا كله خلاف ما يعقل، وقد اضطر المتكلمون لمكان هذه المسألة وما أشبهها أن يسلموا أن الألوان ممكنة أن تسمع، والأصوات ممكنة أن ترى، وهذا كله خروج عن الطبع وعما يمكن أن يعقله الإنسان، فإنه من الظاهر أن حاسة البصر غير حاسة السمع، وأن محسوس هذه غير محسوس تلك، وأن آلة هذه غير آلة تلك، وأنه ليس يمكن أن ينقلب البصر سمعا، كما ليس يمكن أن يعود اللون صوتا، وعلى هذا فتكون الأشياء كلها شيئا واحدا حتى المتضادات، وهذا شيء فيها أحسب يسلمه المتكلمون من أهل ملتنا، أو يلزمهم تسليمه -يعني هؤلاء الأشعرية- وهو رأي سوفسطائي لأقوام قدماء مشهورين بالسفسطة.

وأما الوجه الثاني في استدلالكم: ففي غاية الفساد، ومن أبين ما يظهر به فساد هذا القول أنه لو كان البصر إنما يدرك الأشياء لوجودها لما أمكنه أن يفرق بين الأبيض والأسود؛ لأن الأشياء لا تفترق بالشيء الذي تشترك فيه، ولكان بالجملة لا يمكن في الحواس: لا في البصر أن يدرك فصول الألوان، ولا في السمع أن يدرك فصول الأصوات، ولا في الطعم أن يدرك فصول المطعومات، وللزم أن تكون مدارك المحسوسات بالحس واحدا، فلا يكون فرق بين مدرك السمع وبين مدرك البصر، وهذا كله في غاية الخروج عما يعقله الإنسان، والسبب في مثل هذه الحيرة الواقعة في الشريعة حتى ألجأت القائمين بنصرتها في زعمهم إلى مثل هذه الأقاويل الهجينة التي هي ضحكة عند من عني بتمييز أصناف الأقاويل أدنى عناية، هو التصريح في الشرع بما لم يأذن الله ورسوله به، فإذا متى أخذ الشرع في أوصاف الله تعالى على ظاهره لم تعرض فيه هذه الشبهة ولا غيرها لأنه إذا قيل إنه نور وإن له حجابا من نور كما جاء في القرآن والسنن الثابتة ثم قيل إن المؤمنين يرونه في الدار الآخرة كما ترى الشمس لم يعرض في هذا شك ولا شبهة في حق الجمهور ولا في حق العلماء وذلك أنه قد تبرهن عند

العلماء أن تلك الحال مزيد علم لكن متى صرح به للجمهور بطلت عندهم الشريعة كلها أو كفروا المصرح لهم بها، فمن خرج عن منهاج الشريعة في هذه الأشياء فقد ضل عن سواء السبيل".(١)

سابعًا: الأدلة الشرعية للأشاعرة القائلين: بأن الله تعالى يرى في غير جهة.

استدل الأشاعرة بالأدلة الواردة في القرآن والسنة على صحة رؤية الله تعالى في الآخرة، وإمكان وقوعها. ومع قولهم بصحة ذلك إلا أنهم قد حكموا بأن دلالتها على الرؤية ظنية وليست قطعية.

قال الرازي-رحمه الله-«ت: ٦٠٦ هـ»: "المسألة العاشرة: قيل: الدلائل النقلية لا تفيد اليقين؛ لأنها مبنية على نقل اللغات ونقل النحو والتصريف، وعدم الاشتراك، وعدم المجاز، وعدم الإضرار، وعدم النقل، وعدم التقديم والتأخير، وعدم التخصيص، وعدم النسخ، وعدم المعارض العقلي، وعدم هذه الأشياء مظنون لا معلوم، والموقوف على المظنون مظنون، وإذا ثبت هذا ظهر أن الدلائل النقلية ظنية، وأن العقلية قطعية، والظن لا يعارض القطع".(٢)

وقد ذهب جمهورهم ومتأخروهم لذلك إلى عدم إثبات رؤية حقيقة بالأبصار، وإنما يحرفونها ويؤولونها إما مجازا، أو زيادة علم وكشف، ويجعلونها في غير جهة.

ومن الأدلة التي استدلوا بها القرآن الكريم:

١ - قوله تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامة: الآيات: ٢٢-٢٣].

قال الرازي-رحمه الله-«ت: ٦٠٦ هـ»: "والنظر إلى الشيء يوجب رؤيته، فجاز أن يكون المراد من النظر هو الرؤية على سبيل إطلاق اسم السبب على المسبب، وأيضا حكى الله تعالى عن الخليل-عليه السلام-أنه قال: ﴿**إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾ [الصافات:

---

(١) انظر: مناهج الأدلة لابن رشد «ص: ١٨٧-١٩٠» وبيان تلبيس الجهمية لابن تيمية «٦/ ٢٣٠-٢٣٦».

(٢) انظر: معالم أصول الدين للرازي «ص: ٢٥».

الآيات: ٩٩] وليس المراد منه القرب بالجهة، فكذا ههنا".(١).

وقال الغزالي-رحمه الله-«ت: ٥٠٥ هـ»: "وإن حصل له العلوم اليقينية إما على سبيل الحدس وإما على سبيل الفكر، ونزه أخلاقه وحسنها وعمل بموجب الشرع فله الدرجة العليا في السعادة، وله الوصول بلا انفصال وهو النظر الى الجمال الحق والجلال المحض، والكمال الصرف، كما قال الله تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامة: الآيات: ٢٢-٢٣]، فحق العاقل أن يسعى لطلب تلك السعادة ويحترز عن مضادها وعوائقها".(٢).

وقال الجرجاني «ت: ٤٧١ هـ»: "أمثال هذه الظواهر لا تفيد إلا ظنونا ضعيفة جدا، وحينئذ لا تصلح هذه الظواهر للتعديل عليها في المسائل العلمية التي يطلب فيها اليقين".(٣).

٢ - قوله تعالى: ﴿**كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**﴾ [المطففين: الآية: ١٥].

قال الرازي-رحمه الله-«ت: ٦٠٦ هـ»: "يجوز أن يكون المراد من الحجاب عدم الرؤية؛ وذلك لأن الحجاب يقتضي المنع من الرؤية، فكان إطلاق لفظ الحجاب على المنع من الرؤية: مجازة، من باب إطلاق السبب على المسبب".(٤).

وقال الجرجاني «ت: ٤٧١ هـ»: "ذكر ذلك تحقيرًا لشأنهم فلزم منه كون المؤمنين مبرئين عنه، فوجب أن لا يكونوا محجوبين عنه، بل رائين له، وهذا المسلك أيضا من الظواهر المفيدة للظن".(٥).

٣ - قوله تعالى: ﴿**لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣].

---

(١) انظر: تأسيس التقديس للرازي «ص: ٢٠٩».
(٢) انظر: معارج القدس في مدارج معرفة النفس للغزالي «ص: ١٤٥».
(٣) انظر: شرح المواقف للجرجاني «٨/ ١٥٠».
(٤) انظر: نفس المصدر «ص: ٢١٠».
(٥) انظر: شرح المواقف للجرجاني «٨/ ١٥٠».

قال الغزالي-رحمه الله-«ت: ٥٠٥ هـ»: "أي في الدنيا فإذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالكلية وإن كانت متفاوتة في ذلك التلوث فمنها ما تراكم عليها الخبث والصدأ فصارت كالمرآة التي قد فسد بطول تراكم الخبث جوهرها ولا تقبل الاصلاح والتصقيل وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم أبد الآباد، ووقت القيامة مجهول فعند ذلك يستعد بصفائه ونقائه من الكدورات حيث لا يرهق وجهه غبرة ولا قترة لأن يتجلى فيه الحق-جل جلاله-، فيتجلى له تجليا يكون انكشاف تجليه بالإضافة إلى ما عليه كانكشاف تجلي المرئيات بالإضافة إلى ما تخيله، وهذه المشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤية، فإذا الرؤية حق بشرط أن لا تفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص بجهة ومكان، فإن ذلك مما يتعالى عنه رب العالمين علوا كبيرا، بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تصور وتخيل وتقدير شكل وصورة، فتراه في الآخرة كذلك، بل أقول المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الانكشاف والوضوح وتنقلب مشاهدة، فلا يكون بين المشاهدة في الآخرة والمعلوم في الدنيا اختلاف إلا من حيث زيادة الكشف والوضوح، فإذا لم يكن في المعرفة إثبات صورة وجهة فلا يكون في استكمال المعرفة بعينها وترقيها في الوضوح إلى غاية الكشف أيضا جهة وصورة؛ لأنها هي بعينها إلا في زيادة الكشف، كما أن الصورة المرئية هي المتخيلة بعينها إلا في زيادة الكشف، ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية إلا العارفون في الدنيا؛ لأن المعرفة هي البذر الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرة والبذور زرعا ومن لا نواة له فكيف يحصل له نخل فكذلك من لا يعرف الله في الدنيا فكيف يراه في الآخرة".(١)

ومن الأدلة التي استدلوا بها من السنة النبوية:

حديث **عمار بن ياسر-رضي الله عنهما-«ت: ٣٧ هـ»**، حين سمع النبي-صلى الله عليه وسلم-يدعو بهذا الدعاء: «**اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما**

(١) انظر: معارج القدس في مدارج معرفة النفس للغزالي «ص ١٥٧ - ١٥٩» باختصار.

علمت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيما لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضاء بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين»[(١)]

قال الغزالي –رحمه الله–«ت: ٥٠٥ هـ»: "لذة النظر إلى وجه الله الكريم، هذه المعرفة وإن عظمت لذتها، فلا نسبة لها إلى لذة النظر إلى وجه الله الكريم في الدار الآخرة، وذلك لا يتصور في الدنيا لسر. لا يمكن الآن كشفه، ولا ينبغي أن تفهم من النظر ما يفهمه العوام والمتكلمون، فيحتاج في تقديره إلى جهة ومقابلة، فلذلك من نظر من أقعده القصور في بحبوحة عالم الشهادة حتى لم يجاوز المحسوسات التي هي مدركات البهائم، لكن ينبغي أن تفهم أن الحضرة الربوبية تنطبع صورتها وترتيبها العجيب على ما هو عليه من البهاء والعظمة والجلال والمجد في قلب العارف، كما تنطبع مثلا صورة العالم المحسوس في حواسك، فكأنك تنظر إليه وإن غمت عينيك، فإن فتحت العين، وجدت الصورة المبصرة مثل الصورة المتخيلة قبل فتح العين لا تخالفها في شيء، إلا أن الإبصار في غاية الوضوح بالنسبة إلى التخيل، وكذلك ينبغي أن تعلم أن في إدراك ما لا يدخل في الخيال والحس أيضا في درجتين متفاوتين في الوضوح غاية التفاوت، ونسبة الثانية إلى الأولى كنسبة الإبصار إلى التخيل، فتكون الثانية غاية الكشف، فيسمى لذلك مشاهدة ورؤية.

والرؤية لم تسم رؤية لأنها في العين؛ إذ لو خلقت في الجبهة لكانت رؤية، بل لأنها غاية

---

(١) أخرجه النسائي «رقم: ١٣٠٥» وابن حبان «رقم: ١٩٧١» والطبراني في كتاب الدعاء «رقم: ٦٢٤» وابن أبي عاصم في السنة «رقم: ٤٢٥» وابن خزيمة في كتاب التوحيد «١/ ٢٩» والدارمي في الرد على الجهمية «رقم: ١٨٨» وتمام الرازي في فوائده «٢/ ١٤٧ رقم ١٣٨٧» والدارقطني في كتاب رؤية الله «رقم: ١٥٨» والحاكم في المستدرك «رقم: ١٩٢٣» وصححه، ووافقه الذهبي، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد «٣/ ٥٤٠ رقم: ٨٤٥» والبيهقي في الأسماء والصفات «رقم: ٢٢٧».

الكشـــف، فكما أن تغميض الأجفان حجاب عن غاية الكشـــف في المبصـــر، فكدورة الشـــهوات وشـــواغل هذا القالب المظلم حجاب عن غاية المشـــاهدة؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿**لَن تَرَانِي**﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣] وقال تعالى: ﴿**لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣]، فإذا ارتفع هذا الحجاب بعد الموت انقلبت المعرفة بعينها مشـــاهدة، ويكون مشـاهدة كل واحد على قدر معرفته، ولذلك تزيد لذة أولياء الله سـبحانه في النظر على لذة غيرهم، ويتجلى الله تعالى لأبي بكر-رضـي الله عنه-«**ت: ١٣ هـ**» خاصـة، ويتجلى للناس عامة، وكذلك لا يراه إلا العارفون؛ لأن المعرفة بذر النظر، بل هي التي تنقلب مشـــاهدة كما ينقلب التخيل إبصارا، فلذلك لا يقتضي مقابلة ولا جهة".[١]

ثامنًا: الرد على الأشاعرة في تحريفهم للأدلة النقلية.

لقد خالف جمهور الأشـاعرة مخالفة صـريحة ما كان عليه سـلف الأمة وأئمتها من إثبات رؤية الله في الدار الآخرة رؤية حقيقة بالأبصار عيانا، وتناقضوا حينما أثبتوا رؤية في غير جهة، وحقيقة قولهم هو موافقة المعطلة في إنكار الرؤية، والرد عليهم كما يلي:

١ - تفســيرهم لتلك الآيات الكريم، والأحاديث الصــحيحة، إنما هو تحريف للكلم عن مواضـــعه، فلم يقل تلك التحريفات لا رســول الله ﷺ ولا أصـــحابه-رضـــي الله عنهم-ولا التابعون لهم بإحسان، ولا أئمة الإسلام من الأئمة الأربعة ونحوهم.

٢ - أنهم في تحريفهم لأدلة الرؤية عن معانيها الحقيقة الثابتة قد خالفوا إمامهم **الإمام أبا الحسن الأشعري-رحمه الله-«ت: ٣٢٤ هـ»** المنتسبين إليه، وخالفوا كبار أتباعه المتقدمين، وهذا حال جمهور الأشـاعرة الذين ينتسبون للإمام الأشعري، فقد خالفوه في كثير مما تبرأ منه من أقوال الجهمية والمعتزلة، ومنها مسألة الرؤية.

قال أبو الحسن الأشعري-رحمه الله-«ت: ٣٢٤ هـ»: "الباب الأول: الكلام في إثبات رؤية الله سـبحانه بالأبصـار في الآخرة، قال الله عز وجل: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ**﴾ [القيامة:

---

(١) انظر: الأربعين في أصول الدين للغزالي «ص: ٢٥٤-٢٥٥».

الآية: ٢٢]، يعني: «مشـــرقة» ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: الآية: ٢٣]، يعني: رائية؛ لأن النظر إذا ذكر مع ذكر "الوجه" فمعناه نظر العينين اللتين في الوجه، كما إذا ذكر أهل اللسان نظر القلب فقالوا: "أنظر في هذا الأمر بقلبك"، لم يكن معناه نظر العينين، وكذلك إذا ذكر النظر مع "الوجه" لم يكن معناه نظر الانتظار الذي يكون للقلب، وأيضـا فإن نظر الانتظار لا يكون في الجنة؛ لأن الانتظار معه تنغيص وتكدير، وأهل الجنة في "ما لا عين رأت ولا أذن سمعت" من العيش السليم والنعيم المقيم.

وإذا كان هذا هكذا لم يجز أن يكونوا منتظرين؛ لأنهم كلما خطر ببالهم شـــيء أتوا به مع خطوره ببالهم، وإذا كان ذلك كذلك فلا يجوز أن يكون الله -عز وجل- أراد نظر التعطف؛ لأن الخلق لا يجوز أن يتعطفوا على خالقهم، وإذا فسدت الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع من أقســـام النظر، وهو: أن معنى قوله: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: الآية: ٢٣]، أنها رائية ترى ربها -عز وجل-، والرؤية إذا أطلقت إطلاقا ومثلت برؤية العيان لم يكن معناها إلا رؤية العيان، إن المســـلمين اتفقوا على أن الجنة فيها "ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشــر" من العيش الســليم، والنعيم المقيم، وليس نعيم في الجنة أفضـل من رؤية الله تعالى بالأبصار.

وأكثر من عبد الله تعالى عبده للنظر إلى وجهه الكريم -أرانا الله إياه بفضله- فإذا لم يكن بعد رؤية الله -عز وجل- أفضـــل من رؤية نبيه ﷺ، وكانت رؤية نبي الله أفضـــل لذات الجنة كانت رؤية الله -عز وجل- أفضـل من رؤية نبيه ﷺ، وإذا كان ذلك كذلك لم يحرم الله أنبياءه المرسلين، وملائكته المقربين، وجماعة المؤمنين، والصـديقين النظر إلى وجهه الكريم؛ وذلك أن الرؤية لا تؤثر في المرئي؛ لأن رؤية الرائي تقوم به، فإذا كان هذا هكذا، وكانت الرؤية غير مؤثرة في المرئي لم توجب تشـبيها ولا انقلابا عن حقيقة، ولم يسـتحل على الله -عز وجل- أن يري عباده المؤمنين نفسه في جنانه".(١)

---

(١) انظر: الإبانة عن أصول الديانة للأشعري «ص: ٣٥-٥٥» باختصار وتصرف.

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "فهذا كله من كلام الأشـــعري مثل احتجاجه بما ذكره عن المســـلمين جميعا من قولهم: إن الله احتجب بســـبع سموات على أنه فوق العرش، وهو إنما احتجب عن أن يراه خلقه، لم يحتجب عن أن يراهم هو، فعلم أن هذا يحجب العباد عن رؤيته، وهذا يقتضي أنهم يرونه برفع هذه الحجب، وذلك يقتضي أنهم يرونه في الجهة، فإن من يثبت رؤيته في غير جهة من الرائي لا يقول بجواز الحجب المنفصلة أيضا كما تقدم، وكذلك احتجابه بقوله: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾ [الشـورى: الآية: ٥١]، وأن الآية دلت على أن الله يحجب بعض المخلوقات دون بعض فعلم أنه لا يحتجب عن بعضـهم واحتجاجه بذلك على أن الله فوق العرش يقتضـي أن يحتجب عمن يراه ببعض مخلوقاته وهذا يستلزم أنه لا يرى إلا في جهة من الرائي وكذلك احتجاجه في مسألة العلم بأن الله نور وأن ذلك يقتضـي أنه يرى ويقتضـي أن رؤيته توجب علوه وكلام الأشعري في مسـألة الرؤية والعلو يقتضي تلازمهما".(١)

٣ – أنهم يقصـــدون بقولهم: "في غير جهة" نفي علو الله تعالى عن خلقه، وفوقيته على عرشه واستوائه عليه.

قال الرازي–رحمه الله–«ت: ٦٠٦ هـ»: "نقول: قوله: ﴿**الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤] آية محكمة دالة على أن قوله: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ**﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤] من المتشابهات التي يجب تأويلها، وهذه نكتة لطيفة، ونظير هذا أنه تعالى قال في أول سورة الأنعام: ﴿**وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ**﴾ [الأنعام: الآية: ٣] ثم قال بعده بقليل: ﴿**قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ**﴾ [الأنعام: الآية: ١٢] فدلت هذه الآية المتأخرة على أن كل ما في الســـموات فهو ملك الله، فلو كان الله في الســـموات لزم كونه ملكا لنفســـه وذلك محال، فهكذا هاهنا، فثبت بمجموع هذه الدلائل

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية «٤/ ٤٦٢».

العقلية والنقلية أنه لا يمكن حمل قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤]، على الجلوس والاستقرار وشغل المكان والحيز، وعند هذا حصل للعلماء الراسخين مذهبان: الأول: أن نقطع بكونه تعالى متعاليا عن المكان والجهة، ولا نخوض في تأويل الآية على التفصيل، بل نفوض علمها إلى الله، وهو الذي قررناه في تفسير قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ [آل عمران: الآية: ٧] وهذا المذهب هو الذي نختاره ونقول به ونعتمد عليه".(١)

وجعل الرازي القول بنفي الجهة المتسلزمة للعلو والفوقية أمرا بدهيا اتفق عليه العقلاء سوى من شذ عنهم، ولم يشذ عن جميع العقلاء إلا فريقان وهم الحنابلة والكرامية.

قال الرازي–رحمه الله–«**ت: ٦٠٦ هـ**»: "إن العلوم البديهية لا يجوز وقوع الاختلاف فيها للجميع العظيم، فلو كان وقوع هذه المقدمة بديهيا لامتنع إطباق الجمع العظيم على إنكاره، ونرى جمهور الأذكيا من العقلاء متفقين على بطلان هذه المقدمة؛ فإن إثبات الجهة لله تعالى لم يقل به إلا الحنبلية والكرامية، وأما كل من سواهم فهم متفقون على أن ذاته–عز وجل–منزه عن الاختصاص بالحيز والجهة، فظهر أن هذه المقدمة ليس بديهية".(٢)

وقد أخطأ الرازي في ذلك القول خطأ عظيما، وجهل ما كان عليه سلف الأمة وأئمتها من إثبات الرؤية في الآخرة إثباتا حقيقيا بالأبصار عيانا، وقد بين ابن تيمية خطأ الرازي في ذلك وانحرافه عن منهج الأنبياء والمرسلين، وتحريفه لكلام رب العالمين.

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "بل خصومه في هذا الباب جميع الأنبياء والمرسلين وجميع الصحابة والتابعين، وجميع أئمة الدين من الأولين والآخرين، وجميع المؤمنين الباقين على الفطرة الصحيحة –دع ما قد تنازع فيه من ذلك– فإنهم لا يطلقون على الله هذا الإطلاق الذي ذكره، وإن كان فيهم وفي سائر الطوائف من نص بالصفات التي يطلق عليها

(١) انظر: تفسير الرازي «١٤/ ٢٦٩».

(٢) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي «١/ ١٥٢».

هو وأمثاله أنها أجزاء وأبعاض، لكنهم لا يطلقون الألفاظ الموهمة المجملة إلا إذا نص الشــرع، فأما ما لم يرد به الشــرع فلا يطلقونه إلا إذا تبين معناه الصـحيح الموافق للشــرع، ونفي المعنى الباطل وفي لفظ الأجزاء، والأبعاض إجمال وإيهام كما سنذكره إن شاء الله، وما علمت أحدا من الحنابلة من يطلقه من غير بيان، بل كتبهم مصــرحة بنفي ذلك المعنى الباطل، ومنهم من لا يتكلم في ذلك بنفي ولا إثبات.

فلا ريب أن الكتب الموجودة بأيدي الناس، تشــهد بأن جميع الســلف من القرون الثلاثة كانوا على خلاف ما ذكره، وأن الأئمة المتبوعين عند الناس والمشايخ المقتدى بهم، كانوا على خلاف ما ذكره، وهذه أئمة المالكية، والشـــافعية، والحنفية، وأهل الحديث، والصــوفية على ذلك، بل أئمة الصـفاتية من الكلابية والكرامية والأشـعرية على خلاف ما قاله، فهذه كتب ابن كلاب «**كان باقيا قبل الأربعين ومائتين**» إمام طائفته، ثم الحارث المحاسبي «**ت: ٢٤٣ هـ**» ونحوه، ثم أبي الحسـن الأشـعري «**ت: ٣٢٤ هـ**»، وأئمة أصـحابه مثل أبي عبد الله بن مجاهد «**ت: ٣٧٠ هـ**»، وأبي الحسن الطبري «**ت: ٣٦٠ هـ**»، وأبي العباس القلانسي «**ت: ٣٢٨ هـــ**»، وغيره –كما سيأتي إن شاء الله حكاية قوله وقول غيره– والقاضي أبي بكر بن البـاقلاني «**ت: ٣٣٨ هـ**»، وأبي علي بن شـــاذان «**٢٤٦ هـ**»، وغيرهم، كلهم يقولون: بإثبات العلو لله على العرش واستوائه عليه دون ما سواه، ويضللون من يفسر ذلك بالاستيلاء والقهر ونحوه – كما قد حكينا بعض أقوالهم في جواب الاستفتاء، وفي جواب هذه المســائل الموردة عليه وذكرنا أن أبا الحســن الأشــعري ذكر أن هذا قول جميع أهل الســنة والحديث، وبه يقول الرازي وهو قد حكي أيضا في كتبه ذلك عن بعض أئمة أصحابه، وذكر للأشـعري نفسـه قولين –وقد تكلمنا على ذلك– فكيف يزعم أن خصـومه إنما هم الكرامية والحنابلة! بل لم يوافقه إلا فريق قليل من أهل القبلة".(١)

قـال ابن تيميـة–رحمـه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "أكثر طوائف العقلاء يقولون بالعلو،

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية «١/ ٢٣١ – ٢٣٥».

وبامتناع وجود موجود لا داخل العالم ولا خارجه، وأما كلام من نقل مذهب السلف والأئمة فأكثر من أن يمكن سطره. . . **وعن جرير بن عبد الحميد الرازي-رحمه الله-«ت: ١٨٧ هـ»** أنه قال: "كلام الجهمية أوله عسل وآخره سم، وإنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء إله".

وجميع الطوائف تنكر هذا، إلا من تلقى ذلك عن الجهمية، كالمعتزلة ونحوهم من الفلاسفة، فأما العامة من جميع الأمم فلا يستريب اثنان في أن فطرهم مقرة بأن الله فوق العالم، وأنهم إذا قيل لهم: "لا هو داخل العالم ولا خارجه، ولا يصعد إليه شيء، ولا ينزل منه شيء، ولا يقرب إليه شيء، ولا يقرب هو من شيء، ولا يحجب العباد عنه شيء، ولا ترفع إليه الأيدي، ولا تتوجه القلوب إليه طالبة له في العلو" فإن فطرهم تنكر ذلك، وإذا أنكروا هذا في هذه القضية المعينة التي هي المطلوب، فإنكارهم لذلك في القضايا المطلقة العامة التي تتناول هذا وغيره أبلغ وأبلغ، وأما خواص الأمم فمن المعلوم أن قول النفاة لم ينقل عن نبي من الأنبياء، بل جميع المنقول عن الأنبياء موافق لقول أهل الإثبات، وكذلك خيار هذه الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان لم ينقل عنهم إلا ما يوافق قول أهل الإثبات، وأول من ظهر عنه قول النفاة هو الجعد بن درهم «**ت: ١٢٤ هـ**»، والجهم بن صفوان «**ت: ١٢٨ هـ**»، وكانا في أوائل المائة الثانية فقتلهما المسلمون، وأما سائر أئمة المسلمين، مثل: مالك-رحمه الله-«**ت: ١٧٩ هـ**»، والثوري-رحمه الله-«**ت: ١٦١ هـ**»، والأوزاعي-رحمه الله-«**ت: ١٥٧ هـ**»، وأبي حنيفة-رحمه الله-«**ت: ١٥٠ هـ**»، والشافعي-رحمه الله-«**ت: ٢٠٤ هـ**»، وأحمد بن حنبل-رحمه الله-«**ت: ٢٤١ هـ**»، وغيرهم، فالكتب مملوءة بالنقل عنهم لما يوافق قول أهل الإثبات، وكذلك شيوخ أهل الدين، مثل: الفضيل بن عياض-رحمه الله-«**ت: ١٨٧ هـ**»، وبشر الحافي «**ت: ٢٢٧ هـ**»، وأحمد بن أبي الحواري «**ت: ٢٣٠ هـ**»، وسهل بن عبد الله التستري «**ت: ٢٨٣ هـ**»، وعمرو بن عثمان المكي «**ت: ٢٩٧ هـ**»، والحارث المحاسبي «**ت: ٢٤٣ هـ**»، ومحمد بن خفيف الشيرازي «**ت: ٣٧١ هـ**»، وغير

هؤلاء.

وكتب أهل الآثار مملوءة بالنقل عن السـلف والأئمة لما يوافق قول أهل الإثبات، ولم ينقل عن أحد منهم حرف واحد صحيح يوافق قول النفاة، فإذا كان سلف الأئمة وأئمتها وأفضل قرونها متفقين على قول أهل الإثبات، فكيف يقال: "ليس هذا إلا قول الكرامية والحنبلية"؟، ومن المعلوم أن ظهور قول أهل الإثبات قبل زمن أحمد بن حنبل كان أعظم من ظهوره في هذا الزمان، فكيف يضاف ذلك إلى أتباعه؟

وأيضا فعبد الله بن سعيد بن كلاب –رحمه الله–«**ت: ٢٤١ هـ**»، والحارث المحاسبي –رحمه الله–«**ت: ٢٤٣ هـ**»، وأبو العباس القلانسـي –رحمه الله–«**ت: في العشـر الثاني من القرن الرابع هـ**»، وأبو الحسـن بن مهدي الطبري –رحمه الله–«**ت: نحو ٣٨٠ هـ**»، وعامة قدماء الأشـعرية يقولون: إن الله بذاته فوق العرش، ويردون على النفاة غاية الرد، وكلامهم في ذلك كثير مذكور في غير هذا الموضع.

والمقصـود هنا التنبيه على بطلان ما يعارض به النفاة من الحجج العقلية، وأما النفي فلم يكن يعرف إلا عن الجهمية كالمعتزلة ونحوهم، ومن وافقهم من الفلاسـفة، وإلا فالمنقول عن أكثر الفلاسفة هو قول أهل الإثبات، كما نقله ابن رشد الحفيد عنهم، وهو من أعظم الناس انتصارا لهم، وسلوكا لطريقتهم، لا سيما لأرسطو وأتباعه، كما أنه يميل إلى القول بقدم العالم أيضا.

الثاني: من أجوبة قوله: "لو كان بديهيا لامتنع اتفاق الجمع العظيم على إنكاره، وهم ما سوى الحنابلة والكرامية".

هو أن يقال: لم يطبق على ذلك إلا من أخذه بعضـهم عن بعض، كما اخذ النصـارى دينهم بعضهم عن بعض، وكذلك اليهود والرافضة وغيرهم.

فأما أهل الفطر التي لم تغير فلا ينكرون هذا العلم، وإذا كان كذلك فأهل المذاهب الموروثة لا يمتنع إطباقهم على جحد العلوم البديهية، فإنه ما من طائفة من طوائف الضـلال –وإن كثرت– إلا وهي مجتمعة على جحد بعض العلوم الضرورية.

الثالث: أن يقال: ما من طائفة من طوائف الكلام والفلسفة إلا وجمهور الناس يقولون: "إنهم جحدوا العلوم الضرورية". فالقائلون بأن الممكن قد يترجح أحد طرفيه بلا مرجح من القادر أو غيره، يقول جمهور العقلاء: إنهم جحدوا العلوم الضرورية.

والقائلون بأن الأجسام لا تبقى والأعراض لا تبقى، يقول جمهور الناس: إنهم جحدوا العلوم الضرورية.

والقائلون بأن الأصوات المتعاقبة تكون قديمة أزلية الأعيان باقية، وأن الأصوات المسموعة من الآدميين هي قديمة، يقول جمهور العقلاء: إنهم خالفوا العلم الضروري.

والقائلون بأن الكلام هو معنى واحد: هو الأمر بكل ما أمر به، والخبر عن كل ما أخبر به، وأنه وإن عبر عنه بالعربية كان هو القرآن، وإن عبر عنه بالعبرية كان هو التوراة، يقول جمهور العقلاء: إنهم جحدوا العلم الضروري.

والقائلون بأن العالم هو العلم والمعلوم، والعاقل هو العقل والمعقول، والعاشق هو العشق والمعشوق، واللذة هي الملتذ، والعلم هو القدرة، والقدرة هي الإرادة، يقول جمهور العقلاء: إنهم خالفوا العلوم الضرورية.

والقائلون بأن الوجود الواجب وجود مطلق بشرط الإطلاق أو لا بشرط، يقول جمهور العقلاء: إنهم خالفوا العلوم الضرورية.

والقائلون بأن النفس لا تدرك إلا الكليات دون الجزئيات، يقول جمهور العقلاء: إنهم خالفوا العلم الضروري.

والقائلون بأن كل موجود يجوز أن تتعلق به الإدراكات الخمسة، وأن الصوت يرى، والطعم يسمع، واللون يشم، يقول جمهور العقلاء: إنهم خالفوا العلم الضروري.

والقائلون بأنه يحدث إرادة لا في محل، أو يحدث فناء لا في محل، يقول جمهور العقلاء: أن فساد قولهم معلوم بالضرورة.

والقائلون بأن الإرادة تحدث في الإنسان من غير سبب يوجب حدوثها، مما يقول جمهور العقلاء: إن فساد قولهم معلوم بالضرورة.

والقـائلون بأنـه حي عليم قـدير، من غير حيـاة ولا علم ولا قـدرة، ممـا يقول جمهور العقلاء: إن فساد قولهم معلوم بالضرورة.

والقائلون بأن النبي–صـلى الله عليه وسـلم–نص على علي بالخلافة نصـا جليا أشـاعه بين المسلمين، فكتموه ولم يظهروه، يقول جمهور العقلاء: إن قولهم معلوم الفساد بالضرورة.

والقائلون بأن للأمة إماما معصـوما عمره سـنتان –أو ثلاث أو أربع– دخل السـرداب من أكثر من أربعمائة سنة، أو أن عليا لم يمت، وأمثال ذلك، يقول جمهور الناس: إن قولهم معلوم الفساد بالضرورة.

وكذلك قول القائلين بأن الأعراض لا تبقي زمانين، مما يقول جمهور العقلاء: إن فســـاده معلوم بالضرورة.

وكذلك من يقول: إن النبي–صـلى الله عليه وسـلم–كان يسـمي المنافقين مؤمنين، ويجعل إيمانهم كإيمان المؤمنين غير المنافقين، وهم مع ذلك مخلدون في النار، مما يعلم جمهور العقلاء المسلمين فساده بالاضطرار من دين الإسلام.

وكذلك القائلون بأن القرآن العزيز زيد فيه زيادات، ونقص منه أشـياء، مما يعلم بالضـرورة امتناعه في العادة.

وقول النصـارى: إن الكلمة اتحدت بالمسـيح، وإنها ليس هي الآب الجامع للأقانيم، وهي مع ذلـك الرب الـذي يخلق ويرزق، وهي جوهر، والجوهر عنـدهم واحـد ليس إلا الآب، ممـا يقول الناس: إنه معلوم الفساد بالضرورة. ومثل هذا إذا تتبعناه كثير.

فوجود الأقوال التي يقول جمهور الناس: إنها معلومة الفساد بالضرورة في قول طوائف كثيرة من الناس أكثر من أن تسـتوعب، فكيف يقال: "لا يجوز إطباق الجمع الكثير على إنكار ما علم بالبديهة"؟

الوجه الرابع: أن يقـال: هـذا معارض بما هو أبلغ منه، فإن الجموع الكثيرة يقولون: إنهم يجدون في أنفسـهم عند الضـرورة معني يطلب العلو في توجه قلوبهم إلى الله ودعائه، وأنه يمتنع في عقولهم وجود موجود لا داخل العالم ولا خارجه، وأن هذا معلوم لهم بالضـرورة، فإن امتنع

اتفاق الجمع العظيم على مخالفة البديهة، فتجب الحجة المثبتة، فيبطل نقيضـــها، وإن لم تمتنع بطلت حجة النفاة، فيثبت بطلانها على التقديرين".(١)

٤ - أن الذي ورد عن سلف الأمة وأئمتها هو إثبات الجهة، وهي جهة العلو والفوقية لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته، وهو عكس ما ادعوه من نفي الجهة، وعكس ما زعموه من النهي عن إطلاقها أو القول بها.

قال أبو عبد الله القرطبي-رحمه الله-«**ت: ٦٧١ هـ**»: "كان السـلف الأول-رضـي الله عنهم-لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة. وخص العرش بذلك لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته. قال مالك-رحمه الله-: الاستواء معلوم -يعني في اللغة- والكيف مجهول، والسؤال عن هذا بدعة. وكذا قالت أم سـلمة-رضـي الله عنها-. وهذا القدر كاف، ومن أراد زيادة عليه فليقف عليه في موضعه من كتب العلماء".(٢)

المسألة السادسة: خروج عصاة الموحدين من النار.

وقول المصنف رحمه الله: ﴿لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور﴾ [فاطر: الآية:٣٦]، خلا من شاء من الموحدين إخراجهم منها.

الشرح

يقول ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: وهم - أي أهل السـنة - في باب الأسماء والأحكام والوعد والوعيد وسط بين الوعيدية الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار، ويخرجونهم من الإيمان بالكلية، ويكذبون بشفاعة النبي-صلى الله عليه وسلم-. وبين

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية «٦/ ٢٥٠ و٢٦٥-٢٧٢» باختصار وتصرف.

(٢) انظر: تفسير القرطبي «٧/ ٢١٩-٢٢٠» باختصار.

المرجئة الذين يقولون: إيمان الفســاق مثل إيمان الأنبياء.. ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية، فيؤمن أهل السنة والجماعة بأن فساق المسلمين معهم بعض الإيمان وأصله، وليس معهم جميع الإيمان الواجب الذي يســتوجبون به الجنة، وأنهم لا يخلدون في النار، بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان أو مثقال خردلة من إيمان، وأن النبي – صلى الله عليه وسلم – ادخر شفاعته لأهل الكبائر من أمته".[١]

ويقول الطحاوي–رحمه الله–«ت: ٣٢١ هـ»: "وأهل الكبائر من أمة محمد–صلى الله عليه وسلم–في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر عز وجل في كتابه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: الآية: ٤٨]. وإن شاء عذبهم في النار بعدله ثم يخرجهم منها برحمته، وبشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يبعثهم إلى جنته".[٢]

ومن هذه النصوص يتضح: أن أهل السنة وسط في حكم مرتكب الكبيرة الذي مات من غير توبة: فلم يقولوا: بعدم دخوله النار كما قالت المرجئة.

ولم يقولوا بتخليده فيها–كما قالت الخوارج–وإنما قالوا: هو تحت مشيئة الله، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه بقدر ذنبه ثم أخرجه من النار وأدخله الجنة، فلا يخلد في النار.

أدلتهم: وقد أيدوا قولهم بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة، وإيثارا للإيجاز نذكر شيئا منها.

«أ» أدلتهم من الكتاب:

١ – قوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾** [النساء: الآية: ٤٨].

يقول ابن جرير–رحمه الله–«ت: ٣١٠ هـ»: ".. . وقد أبانت هذه الآية أن كل

(١) الفتاوى «٣/ ٣٧٤».

(٢) الطحاوية «مع الشرح» «ص: ٤١٦–٤١٧».

صاحب كبيرة في مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه عليه ما لم تكن كبيرته شركا بالله". [١].

وقال ابن الجوزي-رحمه الله-«**ت: ٥٩٧ هـ**»: والمراد من الآية أن الله لا يغفر لمشرك مات على شركه، وفي قوله: سورة النساء الآية ٤٨ ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ نعمة عظيمة من وجهين، أحدهما: أنها تقتضي أن كل ميت على ذنب دون الشرك لا يقطع عليه بالعذاب وإن مات مصرا. الثاني: أن تعليقه بالمشيئة فيه نفع للمسلمين وهو أن يكونوا على خوف وطمع". [٢]

٢ - ومن الكتاب أيضا: قوله تعالى: ﴿**وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [التوبة: الآية: ١٠٢].

يقول ابن كثير-رحمه الله-«**ت: ٧٧٤ هـ**»-في تفسير هذه الآية-: "لما بين تعالى حال المنافقين المتخلفين عن الغزاة رغبة عنها.. شرع في بيان حال المذنبين الذين تأخروا عن الجهاد كسلا وميلا إلى الراحة مع إيمانهم وتصديقهم بالحق. فقال: ﴿**وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ**﴾ [التوبة: الآية: ١٠٢]. أي أقروا بها واعترفوا فيما بينهم وبين ربهم ولهم أعمال أخرى صالحة خلطوا هذه بتلك، فهؤلاء تحت عفو الله وغفرانه". [٣]

وقال ابن سعدي-رحمه الله-«**ت: ١٣٧٦ هـ**»: ".. فهذه الآية دالة على أن المخلط المعترف النادم الذي لم يتب نصوحا أنه تحت الخوف والرجاء وهو إلى السلامة أقرب". [٤].

وقال أبو بكر الجزائري-رحمة الله-«**ت: ١٤٣٩ هـ**»: "إن من هداية هذه الآية: الرجاء لأهل التوحيد الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا بأن يغفر الله لهم ويرحمهم". [٥]

---

(١) تفسير الطبري «٥/ ٨٠».
(٢) تفسير ابن الجوزي «٢/ ١٠٣-١٠٤».
(٣) تفسير ابن كثير «٣/ ١٤٤-١٤٥».
(٤) تفسير ابن سعدي «٣/ ١٣٨».
(٥) تفسير الجزائري «٣/ ٢٣٤».

«ب»: أدلتهم من السنة: وهي كثيرة منها:

١ - **حديث عبادة بن الصامت-رضي الله عنه-«ت: ٣٤ هـ»** السابق ذكره آنفا.

فإن فيه: «**ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه**».[١]

يقول النووي-رحمه الله-«ت: ٦٧٦ هـ»: وفي هذا الحديث فوائد منها: ".. . الدلالة لمذهب أهل الحق أن المعاصي غير الكفر لا يقطع لصاحبها بالنار إذا مات ولم يتب منها، بل هو في مشيئة الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه..".[٢]

٢ - **حديث أبي ذر-رضي الله عنه-«ت: ٣١ أو ٣٢ هـ»**، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**أتاني آت من ربي فأخبرني أو قال: بشرني أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة. فقلت: وإن زنى وإن سرق، قال: وإن زنى وإن سرق**».[٣]. الحديث.

يقول النووي-رحمه الله-«ت: ٦٧٦ هـ»: "وأما حكمه-صلى الله عليه وسلم -على من مات مشركا بدخول النار، ومن مات غير مشرك بدخوله الجنة: فقد أجمع عليه المسلمون، فأما دخول المشرك النار فهو على عمومه.

وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع له به لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مات مصرا عليها دخل الجنة أولا، وإن كان صاحب كبيرة مات مصرا عليها فهو تحت المشيئة، فإن عفي عنه دخل أولا، وإلا عذب ثم أخرج من النار وخلد في الجنة، والله أعلم.

وأما قوله-صلى الله عليه وسلم-: «وإن زنى وإن سرق» فهو حجة لمذهب أهل السنة أن

---

(١) صحيح البخاري الإيمان «١٨»، صحيح مسلم الحدود «١٧٠٩»، سنن الترمذي الحدود «١٤٣٩»، سنن النسائي البيعة «٤١٦٢»، سنن الدارمي السير «٢٤٥٣».

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي «١١/ ٢٢٣-٢٢٤».

(٣) صحيح البخاري الجنائز «١١٨٠»، صحيح مسلم الزكاة «٩٤»، سنن الترمذي الإيمان «٢٦٤٤»، مسند أحمد بن حنبل «٥/ ١٥٩».

أصـــحاب الكبائر لا يقطع لهم بالنار، وأنهم إن دخلوها أخرجوا منها وختم لهم بالخلود في الجنة".[(١)]

٣ - ما رواه **عبادة**-رضـي الله عنه-«**ت: ٣٤ هـ**»، عن النبي-صـلى الله عليه وسـلم- قال: «من شـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شـريك له وأن محمدًا عبده ورسـوله، وأن عيسـى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل».[(٢)]

قال النووي-رحمه الله-«ت: ٦٧٦ هـ»: "قوله: «**أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**»، هذا محمول على إدخاله الجنة في الجملة، فإن كانت له معاص من الكبائر فهو في المشيئة، فإن عذب ختم له بالجنة".[(٣)]

٤ - كذلك من أدلتهم تحقق الشـفاعة الثابتة بالقرآن والسـنة التي تدل على أن مرتكبي الكبائر لا يخلدون في النار إن دخلوها.

قال تعالى: ﴿**مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ**﴾ [يونس: الآية: ٣].

وقال تعالى: ﴿**يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا**﴾ ﴿طه: الآية: ١٠٩].

فهاتان الآيتان وأمثالهما: فيها إثبات للشـفاعة بالشـروط التي أشـارت إليها الآيتان. وهي: الإذن من الله للشـافع ورضـا الله عن المشـفوع له، والإذن من الله للشـافع يعطيه الصـلاحية للشفاعة، ورضاه سبحانه عن المشفوع له يقتضي أن يكون مسلما موحدا.

---

(١) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم جـ ٢ صـ ٩٧.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾ «٤٧» «٤/ ١٣٩»، ومسلم في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا: «١/ ٢٢٦». أورده ابن القيم في كتاب الصلاة «ص: ٣٠».

(٣) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم «١/ ٢١٧».

وصاحب الكبيرة مسلم موحد". [١]

وعن أبي هريرة–رضـــي الله عنه–«ت: ٥٧ هـ»، قال: قال–صـــلى الله عليه وســـلم–: «**لكل نبي دعوة مستجابة، فتجعل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة–إن شاء الله–من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا**». [٢]

يقول النووي–رحمه الله–«ت: ٦٧٦ هـ»: "وأما قوله–صـــلى الله عليه وســـلم–: «**فهي نائلة – إن شـــاء الله تعالى – من مات من أمتي لا يشـــرك بالله شـــيئا**». [٣]. ففيه دلالة لمذهب أهل الحق أن كل من مات غير مشرك بالله تعالى لم يخلد في النار وإن كان مصرا على الكبائر". [٤]

وعن أبي ســـعيد الخدري–رضـــي الله عنه–«ت: ٧٤ هـ»، عن النبي–صـــلى الله عليه وسلم–قال: «**يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان**». [٥]. الحديث.

وعن أنس بن مالك–رضي الله عنه–«ت: ٩١ أو ٩٢ أو ٩٣ هـ»، عن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**».

فهذه الأحاديث وأمثالها تدل على ثبوت الشـــفاعة لأهل الكبائر، وأنه يخرج بها من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، ومرتكب الكبيرة معه إيمان فهي نائلته – إن شاء الله – وإذا كان كذلك فإنه لا يخلد في النار.

---

(١) انظر: براءة أهل السنة من تكفير عصاة الأمة «ص: ٢٦».

(٢) صحيح البخاري الدعوات «٥٩٤٥»، صحيح مسلم الإيمان «١٩٩»، سنن الترمذي الدعوات «٣٦٠٢»، سنن ابن ماجه الزهد «٤٣٠٧»، مسند أحمد بن حنبل «٢/٤٢٦»، موطأ مالك كتاب النداء للصلاة «٤٩٢»، سنن الدارمي الرقاق «٢٨٠٥».

(٣) صحيح البخاري الجنائز «١١٨٠»، سنن الترمذي الإيمان «٢٦٤٤»، مسند أحمد بن حنبل «٥/ ١٥٩».

(٤) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم «٣/ ٧٥».

(٥) صحيح البخاري الإيمان «٢٢».

وعليه فإن مرتكب الكبيرة يدخل النار إذا لم يشـــأ الله المغفرة له خلافا للمرجئة لكنه لا يخلد فيها خلافا للخوارج.



١٥- طاعة ولي الأمر وتحريم الخروج عليه

[١٥] - قال المصنف رحمه الله: والطاعة لأولي الأمر فيما كان عند الله عز وجل مرضيّاً، واجتناب ما كان عند الله مسخطاً. وترك الخروج عليهم عند تعديهم وجَورهم، والتوبة إلى الله عز وجل؛ كيما يعطف بهم على رعيتهم.

الشرح

مسألة الإمامة الكبرى يذكرها علماء أهل السنة والجماعة في ضمن مسائل الاعتقاد وذلك تحت عنوان الخلافة والإمامة، ومعلوم أن الإمامة على نوعين: صغرى وكبرى، فالصغرى إمامة الصلاة، والعظمى أو الكبرى إمامة المسلمين.

فدونوا هذه القواعد في هذه المسائل في كتب عقائدهم لكي يعرف الإنسان ماذا يجب عليه تجاه ولي أمره، لما في ذلك من المصالح الكبرى والصغرى المتحققة من جراء ذلك

ومن المسائل تحت هذا الباب:

السمع والطاعة في المعروف.

فهذه من الأصول والقواعد المهمة، فالسمع والطاعة للأئمة تكون بالمعروف، ويمكن تناول هذه المسألة من جانبين:

الجانب الأول: وجوب السمع والطاعة لولي الأمر.

فمن عقيدة أهل السنة والجماعة السمع والطاعة للأئمة فيما يُحب الله ويرضى، فالسمع والطاعة إنما يكون في المعروف إذ لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق.

فلابد من السمع والطاعة في المنشط وفي المكره، وفيما تُحب وفيما لا تُحب، بشرط أن يكون ذلك المأمور به ليس فيه معصيةٌ لله عز وجل، فلابد من السمع والطاعة لولاة الأمر من المسلمين

ومن الأدلة على ذلك:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء:٥٩].

وقال عليه الصلاة والسلام: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني»(١).

فمأمورٌ أن تسمع وتطيع حتى وإن كان ذلك الشخص على فجور، وكما قال النبي-صلى الله عليه وسلم-: «أدوا الذي عليكم واسألوا الله الذي لكم»(٢)، ومعلومٌ أن ولاية أمر المسلمين واستتبابها فيه من المصالح العظمى للدين والدنيا ما يعلمه كل عاقل، فمن أول المصالح استتباب الأمن، واستتباب الأمن معنى ذلك أن الشعائر ستُقام، ومعنى ذلك أن الأعراض والأموال والأنفس ستُحفظ، وإذا ضاع أمن الناس فإن الواحد منهم لن يستطيع حتى أن يقيم صلاة الجماعة، ولن يستطيع أن يأمن على نفسه ولا على ماله، ولا على عرضه.

فنعمة الأمن من أعظم النعم، ومن أسباب تحقيقها استقرار الحكم لولي الأمر، ونحن نرى بعض البلدان التي انعدم أمنها بسبب عدم استقرار الحكم فيها، أما البلد الذي استقر فيه الحكم لولي الأمر في ذلك البلد الغالب عليه الأمن والاستقرار.

فكل بلدٍ متى ما كان لها ولي أمر استقر حالها، واستتب أمنها.

وهذا بخلاف أهل البدع، فإنهم لا يسمعون ولا يطيعون لولاة الأمور، كالخوارج، فهم يرون أن ولي الأمر إذا عصى كفر ووجب قتله وخلعه وإزالته من الإمامة، وكذلك المعتزلة فإنهم يرون أنه إذا عصى ولي الأمر وفعل الكبيرة خرج من الإمامة فلا يطيعونه، بل إن من أصول الدين عندهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضمنوه الخروج على ولاة الأمور إذا جاروا

(١) أخرجه البخاري «٢٩٥٧» واللفظ له، ومسلم «١٨٣٥».

(٢) انظر صحيح البخاري كتاب الفتن، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا» برقم «٧٠٥٢»، ومسلم كتاب الإمارة، بَابُ الْأَمْرِ بِالْوَفَاءِ بِبَيْعَةِ الْخُلَفَاءِ، الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ، برقم «١٨٤٣»، والترمذي «٢١٩٠»، والإمام أحمد في المسند مسند المكثرين من الصحابة «٣٦٤١».

وظلموا، والروافض كذلك يرون أنه ليس هناك طاعة إلا للإمام المعصـــوم، وأما ولاة الأمور الموجودين في كل وقت فهم كفرة فســـقة يجب قتلهم وخلعهم وإزالتهم من الإمامة، ولا طاعة إلا للإمام المعصوم، وهم الأئمة الاثنا عشر الذي نص عليهم بزعمهم.

الجانب الثاني: أن السمع والطاعة تكون بالمعروف.

ومن الأدلة على ذلك:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ–صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ–، أَنَّهُ قَالَ: «عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْـلِمِ السَّـمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ». [١]

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: "إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ". [٢].

وحديث عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ الْأَشْـجَعِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُـولَ اللهِ–صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ– يَقُولُ: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَـلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَـلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِـرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُـونَهُمْ وَيُبْغِضُـونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»، قَالُوا: قُلْنَا: يَا رَسُـولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّـلَاةَ، لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّـلَاةَ، أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَآهُ يَأْتِي شَـيْئًا مِنْ مَعْصِـيَةِ اللهِ، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِـيَةِ اللهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ». [٣] ولا يجوز الخروج على ولاة الأمور للمعاصي بل يجب الصبر وعدم الخروج.

وحديث: «لا طاعة لمخلوق في معصية اللهِ عَزَّ وَجَلَّ» [٤].

قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المعْرُوفِ». [٥]

---

(١) رواه مسلم «٣/ ١٤٦٩» «١٨٣٩»

(٢) رواه مسلم «١/ ٤٤٨» «٦٤٨»

(٣) رواه مسلم «٣/ ١٤٨٢» «١٨٥٥»

(٤)أخرجه أحمد في مسنده «١٠٩٥» مِنْ حديثِ عليِّ بن أبي طالبٍ–رضي الله عنه–. وصحَّحه أحمد شاكر في تحقيقه ل: مسند أحمد «٢/ ٢٤٨»، والألبانيُّ في صحيح الجامع «٧٥٢٠».

(٥) أخرجه البخاريُّ في الأحكام بابُ السمعِ والطاعة للإمام ما لم تكن معصيةً «٧١٤٥»، ومسلمٌ في الإمارة «١٨٤٠»، مِنْ حديثِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ–رضي الله عنه–.

أقوال العلماء[(١)]:

قال أبو الحسنِ الأشعريُّ -رحمه الله-وهو يُعدِّدُ ما أَجْمَعَ عليه السلفُ مِنَ الأصول ـــ: "وأجمعوا على السَّمْعِ والطَّاعةِ لأئمَّةِ المسلمين، وعلى أنَّ كُلَّ مَنْ وَلِيَ شيئًا مِنْ أمورهم عن رِضًى أو غَلَبةٍ وامتدَّتْ طاعتُه مِنْ بَرٍّ وفاجرٍ لا يَلْزَمُ الخروجُ عليهم بالسيف، جارَ أو عَدَلَ".[(٢)]

وقال ابنُ تيميَّة -رحمه الله-: "فأهلُ السنَّةِ لا يُطيعون وُلَاةَ الأمورِ مطلقًا، إنما يُطيعونهم في ضِمْنِ طاعةِ الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم، كما قال تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمرِ مِنكُم﴾ [النساء: الآية: ٥٩]»[(٣)]، وقال ـ رحمه الله ـ ـ أيضًا ـ: «ولهذا كان مذهبُ أهلِ الحديث: تَرْكَ الخروجِ بالقتال على الملوك البُغَاة، والصبرَ على ظُلْمِهم إلى أَنْ يَسْتريحَ بَرٌّ أو يُسْتراحَ مِنْ فاجرٍ»[(٤)].

وقال النوويُّ -رحمه الله-: "لا تُنازِعوا وُلَاةَ الأمورِ في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلَّا أَنْ تَرَوْا منهم مُنْكَرًا مُحقَّقًا تعلمونه مِنْ قواعدِ الإسلام، فإذا رأيتم ذلك فأَنْكِروه عليهم وقولوا بالحقِّ حيث ما كنتم، وأمَّا الخروجُ عليهم وقتالُهم فحرامٌ بإجماعِ المسلمين وإنْ كانوا فَسَقَةً ظالمين، وقد تَظاهَرَتِ الأحاديثُ بمَعْنَى ما ذَكَرْتُه، وأَجْمَعَ أهلُ السنَّة أنه لا يَنْعَزِلُ السلطانُ

(١) وللمَزيدِ يمكن مُراجَعةُ المصادرِ التالية: مقالات الإسلاميِّين «١/ ٣٤٨» والإبانة «ص: ٦١» كلاهما للأشعري، الشريعة للآجُرِّي «ص: ٣٨-٤١»، اعتقاد أئمَّة الحديث للإسماعيلي «ص: ٧٥-٧٦»، الشرح والإبانة لابن بطَّة «ص: ٢٧٦-٢٧٨»، الاعتقاد للبيهقي «ص: ٢٤٢-٢٤٦»، العقيدة الواسطية مع شرحها للهرَّاس «ص: ٢٥٧-٢٥٩»، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزِّ «٢/ ٥٤٠ - ٥٤٤».

(٢) رسالةٌ إلى أهل الثغر للأشعري «ص: ٢٩٦».

(٣) منهاج السنَّة لابن تيمية «٢/ ٧٦».

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية «٤/ ٤٤٤».

بالفسق". [١]

فالسمع والطاعة تكون لولاة الأمور في طاعة الله، أما المعاصي فلا يطاع فيها، فإذا أمر الأمير شخصًا بشرب الخمر فلا يطيعه، أو أمره أن يقتل أحدًا بغير حق لا يطيعه، وإذا أمر الوالد ولده بالمعصية فلا يطيعه، وإذا أمر الزوج زوجته بالمعصية فلا تطيعه، وإذا أمر السيد عبده بالمعصية فلا يطيعه، لكن لا يتمرد عليه، فليس للرعية أن يتمردوا على الأمير أو ولي الأمر، بل لا يطيعونه في المعصية وما عدا ذلك فيطيعونه، في الأمور المباحة ويطيعونه في طاعة الله ورسوله.

تحريم الخروج عليهم جاروا أو عدلوا

وقول المصنف رحمه الله: «وترك الخروج عليهم عند تعديهم وجَورهم، والتوبة إلى الله عز وجل؛ كيما يعطف بهم على رعيتهم»

فتنة الخوارج من أعظم الفتن التي أصابت المسلمين، وأشغلتهم بل وتسببت في قتل اثنين من الخلفاء الراشدين، هما عثمان وعلي رضي الله عنهما.

فسفكت الدماء، واستحلت الأموال والأعراض وذلك بسبب فتنة هؤلاء، وهؤلاء ما قامت فتنتهم إلا على أمرين:

الأمر الأول: الخروج على ولي الأمر.

الأمر الثاني: الطعن في العلماء.

فخرجوا على ولي الأمر، وطعنوا في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم علماء الأمة، ولذلك هؤلاء الخوارج في صفاتهم المتقدمة هي عين صفاتهم هذا اليوم، وفي كل زمان، هذا ديدنهم ومعلوم أن استقامة أحوال الناس لا تكون إلا بطاعة لولي الأمر ولزوم العلماء، ولذلك لما ذكر العلماء قول الله-عز وجل-: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾

---

(١) شرح النووي على مسلم «١٢/ ٢٢٩».

[النساء: الآية: ٥٩]، فسروا ولاة الأمر بأنهم الولاة والعلماء.

ففتنة الخوارج دائماً في كل زمان تقوم على الخروج على ولي الأمر، وعلى انتقاص العلماء، وحفظ أحوال الناس لا يكون إلا بحفظ حقوق هذين الأمرين.

ولذلك لما سـئل أبو حنيفة –رحمه الله تعالى–عن قومٍ خرجوا على ولي الأمر وخرجوا على خليفة المسـلمين، وخرجوا بدعوى أنهم يريدون إصـلاح الأمر وما حصـل من الظلم والفسـاد من جهة ذلك الخليفة قال مجيباً عن حال هؤلاء أنهم يفسـدون أكثر مما يصـلحون، فعلينا أن نعرف نعمة الله علينا باسـتقرار أمرنا من خلال وجود ولياً لأمرنا، فعند أهل السـنة قواعد وضـوابط في التعامل مع الحكام تحكمها النصـوص لا تحكمها الأهواء ولا تحكمها نزعات الناس ورغباتهم، إنما يحكمها شـرعٌ بحمد الله تعالى أوجب عليك السـمع والطاعة في السـراء والضراء، وعلى المنشط والمكره، فيما تُحب وفيما لا تُحب، وليس لك أن تشق عصا الطاعة، وليس لك أن تبيت ليلة واحدة وليس في عنقك بيعة لولي الأمر.

ومن هنا يجب على العقلاء من النـاس أن لا يتتبعوا زلات الولاة، أو زلات العلمـاء، وعليهم أن يعرفوا أن حفظ حقوق هؤلاء فيه اسـتقامة لأحوال الناس، واسـتقامة لمعايشـهم ومصـالحهم، وأن من يؤلب الناس على ولي الأمر ويتتبع تلك المسـالك ونحو ذلك فإنما قصـده القضاء على هذه المصالح، وهو بهذا الفعل مصادم لأمر النبي صلى الله عليه وسلم الذي أمرنا به حيث قال: «عليكم بالسـمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد». [(١)]، وفي رواية: «عبد حبشي كأن رأسه زبيبة». [(٢)]، فأمرنا بالسمع والطاعة، وأمرنا بأن نصبر على ولاة أمورنا مهما لقينا، وها هو يوصي الأنصار بأنهم عليهم أن يصبروا حتى يلقوه على الحوض، «اصبروا حتى

---

(١) انظر صحيح مسلم كتاب الإمارة، بَابُ وُجُوبِ طَاعَةِ الْأُمَرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَتَحْرِيمِهَا فِي الْمَعْصِيَةِ، برقم «١٨٣٨»، وأبو داود «١٨٣٤»، والترمذي «١٧٠٦»، وابن ماجه «٢٨٦١»، والنسائي «٤١٩٢»، والإمام أحمد في المسند مسند المدنيين «١٦٦٤٦».

(٢) انظر صحيح البخاري كِتَابُ الأَذَانِ، بَابُ إِمَامَةِ المَفْتُونِ وَالمُبْتَدِعِ، برقم «٦٩٦»، وابن ماجه «٢٨٦٠»، والإمام أحمد في المسند مسند المكثرين من الصحابة «١٢٧٥٢».

تلقوني على الحوض».[(١)]

فأمر النبي-صلى الله عليه وسلم-بالصبر والطاعة ولزوم الأمر ولزوم الجماعة، ولزوم ولي الأمر، وهذا معروفٌ ومقررٌ عند أهل السنة، فبتالي نجد أي مجتمعٍ بحمد الله تعالى السنة فيه قائمة هذه الأمور مستقرة في بلدانهم وأوطانهم، ونرى بحمد الله تعالى الدروس والعبر من حولنا، فكم من بلادٍ لم تستقر بسبب الخروج على ولي أمرها، وحالها أسوأ من الحال الذي كانت عليه عندما كان فيها دولة وحكومة وفي هذا عبرة لمن يعتبر.

وتذكر قول الإمام أبي حنيفة: أن هؤلاء الذين يؤلبون ويخرجون: "إنما يفسدون أكثر مما يصلحون".[(٢)] فقد تكون المصلحة محتملة، لكن الفساد واقعٌ لا محالة، فما قرره العلماء في هذا الجانب إنما هو من منطلق ما جاءت به النصوص الشرعية.

وما نسمعه في كثيرٍ من الأزمان وفي كثيرٍ من البلدان من خروجٍ على ولي الأمر فإنما هو مفسدة متحققة ومتعينة، وما يدعون إليه في كثيرٍ منه ليس بمتحقق ولا يتحقق ولا يمكن تحقيقه، فمن خرج على إمامٍ من أئمة المسلمين فهو خارجي يستحق ما جاء في الوعيد في شأن الخوارج، فأي إنسان خرج على ولي الأمر الذي ارتضاه الناس وبايعوه بأن يكون ولياً عليهم فهذا الذي خرج عليه يُلقب ويقال إنه من الخوارج.

والخوارج لهم أحكام عند أهل السنة، ومعلومٌ أن أوائلهم خرجوا على علي-رضي الله عنه- وانحازوا إلى حروراء، وقاتلوا جيش علي رضي الله عنه، ولما سئل عنهم علي-رضي الله عنه- أكفارٌ هم؟ قال: "من الكفر فروا" قال: ماذا تقول يا أمير المؤمنين؟ قال: "إخواننا بغوا علينا".[(٣)] فعدوا من البغاة، وهم على بدعة، وعلى ضلالة، ولكن لم يُحكم بكفرهم.

---

(١) انظر صحيح البخاري كتاب الجزية، باب مَا أَقْطَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ البَحْرَيْنِ، وَمَا وَعَدَ مِنْ مَالِ البَحْرَيْنِ وَالجِزْيَةِ، وَلِمَنْ يُقْسَمُ الفَيْءُ وَالجِزْيَةُ، برقم «٣١٦٣»، ومسلم كتاب الزكاة، بَابُ إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَتَصَبُّرِ مَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ برقم «١٠٥٩»، والإمام أحمد في المسند مسند المكثرين من الصحابة «١٣٣٤٧».

(٢) انظر الفقه الأكبر صفحة «١٠٨».

(٣) انظر مصنف ابن أبي شيبة «٣٧٩٤٢».

وإذا كان لهم منعة وقوة وشـوكة وانحياز في مكانٍ معين فهؤلاء لا يُقاتلون حتى يُقاتلوا فإذا قاتلوا فيُقاتلون، أما إذا كان منهم أُناس خرجوا على هيئة جماعات ونحو ذلك وكان شـــأنهم كقطاع الطرق فإنهم يُتتبعون ويُقضى عليهم وتستأصل شوكتهم ويُكف عن الناس شرهم.

ومعلوم أن هؤلاء تتطور عقائدهم حتى إنهم كفروا عامة المســـلمين، واســـتباحوا دماء المسـلمين، واسـتباحوا أعراضـهم، ولا يتورعون عن دم مسـلم، فإن أوائلهم بقروا بطن الجارية وأخرجوا منها جنينها وذبحوه، هذا الذي فعلوه في زمن علي رضـــي الله عنها، وهكذا من هم على طريقهم وعلى دربهم وعلى منهجهم، القتل عندهم مبرر بأي وسيلة ومع كائنٍ من كان، فهو مبرر ويعدونه من عقائدهم.

فلا يتورعون عن دم مسـلم، مع أن دم المسـلم عند الله سـبحانه وتعالى أعظم من حرمة الكعبة، لكن هؤلاء بفكرهم المنحرف حكموا بكفر عامة المسلمين وكذلك انطلقوا يعيثون في الأرض فسـادا، فمن خرج على إمامٍ من أئمة المسـلمين فهو عندنا خارجي قد شـق عصـا المسلمين وخالف الآثار وميتته ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان، والخروج عليه وإن جار.

حتى وإن جار الســـلطان ليس لك الخروج إلا أن يُرى كفرًا بواحا عندك من الله فيه سلطان، وحجة بينة واضحة لا تخفى، ويُجمع أئمة علماء المسلمين على ذلك، إما لشبهة أو لجور أو لظلم أو لوقوعٌ في ذنب فهذا يُعد من الخروج الذي لا يحل لإنسان أن يسلك سبيله، وليسـت السـنة قتال السـلطان، فهذا شـأن أهل السـنة، إنما هم عونٌ للسـلطان على ما فيه طاعة لله عز وجل.

ويحل قتال الخوارج إذا عرضـوا المسـلمين في أنفسـهم وأموالهم وأهليهم فإذا هم أعرضـوا وابتعدوا ولم يواجهوا ويحملوا الســـلاح فعند ذلك لا يُقاتلون، لكن إذا بدأوا في القتال يحل قتلهم.

فليس له إذا فارقوه أن يطلبهم، ليس للإمام أن يطلبهم ولا يُجهز على جريحهم، ولا يأخذ فيأهم ولا يقتل أسيرهم ولا يتبع مدبرهم لأنهم بغاة حكمهم حكم البغاة، ليس حكمهم حكم الكفار، فهذا منهج أهل السـنة فيهم، وبحمد الله تعالى من سـار على السـنة بحمد الله تعالى

استقرت بلدانه واستقرت أوطانه، ومن خرج عن السنة نرى ما يكون من حالهم في بلدانهم، وما يكون من فتنهم وشرهم نسأل الله عز وجل العافية والسلامة.

١٦- الإمساك عن تكفير أهل القبلة

فيه مسائل:

المسألة الأولى: أقسام الذنوب

المسألة الثانية: الفرق بين الصغائر والكبائر.

المسألة الثالثة: هل للكبائر عدد يحصرها؟

[١٦]– قال المصنف رحمه الله: والإمساك عن تكفير أهل القبلة

الشرح

المسألة الأولى: أقسام الذنوب. (١)

القول الأول: أن الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر وأدلته:

ذهب جمهور العلماء إلى تقسيم المعاصي إلى صغائر وكبائر، بل إن الصغائر والكبائر تتفاوت مراتبها في ذاتها، فهناك كبائر، وهناك أكبر الكبائر، وهناك صغيرة أدنى من صغيرة أخرى وهكذا بحسب تفاوت مفاسدها، قال ابن حجر –رحمه الله–«ت: ٨٥٢ هـ»: "ثُمَّ إِنَّ مَرَاتِبَ كُلٍّ مِنَ الصَّغَائِرِ وَالْكَبَائِرِ مُخْتَلِفٌ بِحَسَبِ تَفَاوُتِ مَفَاسِدِهَا"(٢)

وحكى الإمام ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ» الإجماع على ذلك حيث قال: "والذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر بنص القرآن والسنة وإجماع السلف وبالاعتبار"(٣)

وقال الإمام النووي–رحمه الله–«ت: ٦٧٦ هـ»: "... وذهب الجماهير من السلف، والخلف من جميع الطوائف إلى انقسام المعاصي إلى صغائر وكبائر، وهو مروي عن ابن عباس–رضي الله عنهما–، وقد تظاهر على ذلك دلائل من الكتاب والسنة واستعمال سلف الأمة وخلفها"(٤)

أولًا: أدلة الكتاب.

١ – قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: الآية: ٣١]،

(١) المصدر: إيقاظ الضمائر للتفريق بين الصغائر والكبائر، تأليف: علي ونيس.

(٢) فتح الباري «٥/ ٢٦٣»؛ لابن حجر.

(٣) مدارج السالكين «١/ ٣٤٢»، وانظر: الجواب الكافي «ص: ١٨٦».

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي «٢/ ٨٥».

وجه الدلالة: تدل هذه الآية بمقتضى المقابلة أن من الذنوب صغائر وكبائر، وأن اجتناب الكبائر مكفر للصغائر التي سميت في الآية سيئات، ولا شك في أن تسميتها بذلك يعطيها وصف الذنب

وحقيقته، فتكفر السيئات المشروط باجتناب كبائر ما نُهُو عنه يقتضي أنها ليست من الكبائر، وقد سماها الله تعالى سيئات، فهي ذنوب وليست بكبائر قطعاً.

قال صاحب تهذيب الفروق عقب هذه الآية: "فيها صراحة في انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر"(١)

وقد ورد هذا التفسير عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فيما ذكره السيوطي -رحمه الله- «ت: ٩١١ هـ» إذ يقول: "أخرج النسائي -رحمه الله- «ت: ٣٠٣ هـ»، وابن ماجه -رحمه الله- «ت: ٢٧٣ هـ»، وابن جرير -رحمه الله- «ت: ٣١٠ هـ»، وابن خزيمة -رحمه الله- «ت: ٣١١ هـ»، وابن حبان -رحمه الله- «ت: ٣٥٤ هـ»، والحاكم -رحمه الله- «ت: ٤٠٥ هـ» وصححه، والبيهقي -رحمه الله- «ت: ٤٥٨ هـ» في سننه عن أبي هريرة «ت: ٥٧ هـ» وأبي سعيد «ت: ٧٤ هـ» -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- جلس على المنبر ثم قال: «والذي نفسي بيده ما من عبد يصلي الصلوات الخمس، ويصوم رمضان، ويؤدي الزكاة، ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يوم القيامة حتى أنها لتصطفق» (٢)، ثم تلا: ﴿إِن تجتنبوا كَبَائِرِ مَا تنهون عَنهُ﴾. (٣)

فهذا تفسير منه -صلى الله عليه وسلم- للآية الكريمة وتبيين للمراد منها من أن من

---

(١) تهذيب الفروق «١/ ١٣٤»؛ لمحمد علي بن حسين المكي المالكي.

(٢) . أي: تتحرك وتضطرب، كناية عن شدة التزاحم عليها. وصفق الْبَاب مصراعه وَهُوَ الْآن «الدرفة» يُقَال بَابه صفقٌ وَاحِد أَو صفقان مصراعان يضم أَحدهمَا إِلَى الآخر ليغلق. ينظر: المعجم الوسيط، مادة: صفق.

(٣) الدر المنثور «٢/ ٤٩٨»؛ للسيوطي، وقال الأعظمي في تحقيقه لصحيح ابن خزيمة في الحديث رقم: «٣١٥»: "إسناده ضعيف صهيب تفرد نعيم المجمر بالرواية عنه مقبول من الرابعة"، وضعفه الألباني في "صحيح ابن خزيمة" برقم: «١٧٤٨»، وصححه الحاكم في الحديث رقم «٧١٩»، «٢٩٤٣»، ووافقه الذهبي.

الذنوب صغائر يكفرها الله تعالى باجتناب الكبائر وليس بعد تفسير رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تفسير، ولا بعد قوله قول لقائل".

وقال القرطبي-رحمه الله-«ت: ٦٧١ هـ»: "لما نهى تعالى في هذه السورة عن آثام هي كبائر وعد على اجتنابها التخفيف من الصغائر، دل هذا على أن في الذنوب كبائر وصغائر وعلى هذا جماعة أهل التأويل وجماعة الفقهاء"[(١)]

وقال ابن كثير-رحمه الله-«ت: ٧٧٤ هـ»: "إذا اجتنبتم كبائر الآثام التي نُهيتم عنها كفرنا عنكم صغائر الذنوب، وأدخلناكم الجنة"[(٢)]

وقال الإمام الشوكاني-رحمه الله-«ت: ١٢٥٠ هـ» في الآية: "أي إن تجتبوا كبائر الذنوب التي نهاكم الله عنها نكفر عنكم سيئاتكم أي ذنوبكم التي هي صغائر، وحمل السيئات على الصغائر هنا متعين لذكر الكبائر قبلها وجعل اجتنابها شرطاً لتكفير السيئات"[(٣)]

٢-قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى «٣١» الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى «٣٢»﴾ [النجم: ٣١ - ٣٢].

وجه الدلالة: تدل هذه الآية بمقتضى بيان قوله: ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ في الآية قبلها على أن المحسنين بأعمالهم من المكلفين هم ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ فاستثناء اللمم من كبائر الإثم والفواحش يدل بمقتضى قاعدة الاستثناء -وهي أنه يخرج من سابقه ما لولاه لدخل فيه-على أن اللمم ليس من كبائر الإثم والفواحش، فهو من الصغائر، وقد جاء تفسيره بذلك عن ابن عباس فيما رواه البخاري.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي «٥/ ١٥٨».

(٢) تفسير ابن كثير «٢/ ٢٧١».

(٣) فتح القدير «١/ ٤٥٧، ٤٥٨».

وقد نبه الله تعالى في هذه الآية الكريمة بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ على أن إخراج اللمم واستثناءه من حكم المؤاخذة ليس لخلوه من الذنب فِي نفسه، بل لسعة المغفرة الربانية وفي عطف الفواحش هنا على كبائر الإثم ما في نظيره في آية الشورى.

على أن العلماء اختلفوا في المقصود باللمم على قولين مشهورين، قال الإمام ابن القيم-رحمه الله-: "فأما اللمم فقد روي عن جماعة من السلف: أنه الإلمام بالذنب مرة، ثم لا يعود إليه، وإن كان كبيرًا: قال البغوي-رحمه الله-«ت: ٣١٧ هـ» [١]: هذا قول أبي هريرة-رضي الله عنه-«ت: ٥٧ هـ»، ومجاهد-رحمه الله-«ت: ١٠٤ هـ»، والحسن-رحمه الله-«ت: ١١٠ هـ»، ورواية عطاء-رحمه الله-«ت: ١١٤ هـ» عن ابن عباس-رضي الله عنهما-«ت: ٦٨ هـ». والجمهور على أن اللمم ما دون الكبائر، وهو أصح الروايتين عن ابن عباس-رضي الله عنهما-«ت: ٦٨ هـ»، كما في «صحيح البخاري». [٢]، من حديث طاووس-رحمه الله-«ت: ١٠٦ هـ» عنه قال: ما رأيت أشبه باللمم مما قاله أبو هريرة-رضي الله عنه-«ت: ٥٧ هـ» عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه» "إلى أن قال رحمه الله: "والصحيح: قول الجمهور: أن اللمم صغائر الذنوب، كالنظرة، والغمزة، والقبلة، ونحو ذلك. هذا قول جمهور الصحابة ومن بعدهم، وهو قول أبي هريرة-رضي الله عنه-«ت: ٥٧ هـ»، وعبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-«ت: ٣٢ هـ»، وابن عباس-رضي الله عنهما-«ت: ٦٨ هـ»، ومسروق-رحمه الله-«ت: ٦٢ أو ٦٣ هـ»، والشعبي-رحمه الله-«ت: ١٠٣ هـ»، ولا ينافي هذا قول أبي هريرة-رضي الله عنه-«ت: ٥٧ هـ»، وابن عباس-رضي الله عنهما-«ت: ٦٨ هـ» في الرواية الأخرى: «إنه يلم بالكبيرة ثم لا يعود إليها» فإن «اللمم» إما أنه يتناول هذا وهذا ويكون على وجهين، كما قال الكلبي، أو

---

(١) تفسير البغوي «٤/ ٣١١».

(٢) رواه البخاري «٦٢٤٣».

أن أبا هريرة وابن عباس ألحقا من ارتكب الكبيرة مرة واحدة-ولم يصر عليها، بل حصلت منه فلتة في عمره-باللمم، ورأيا أنها إنما تتغلظ وتكبر وتعظم في حق من تكررت منه مراراً عديدة، وهذا من فقه الصحابة - رضي الله عنهم - وغور [(١)] علومهم، ولا ريب أن الله يسامح عبده المرة والمرتين والثلاث، وإنما يخاف العنت على من اتخذ الذنوب عادته، وتكرر منه مراراً عديدة "[(٢)]

٣ ـــ قوله عز وجل: ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: الآية: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ [القمر: الآية: ٥٣]. [(٣)]

٤ ـ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: الآية: ٧].

وجه الدلالة: "جَعَلَ الْفُسُوقَ وَهُوَ الْكَبَائِرُ تَلِي رُتْبَةَ الْكُفْرِ، وَجَعَلَ الصَّغَائِرَ «العصيان» تَلِي رُتْبَةَ الْكَبِيرَةِ"[(٤)]

قال الرازي-رحمه الله-«ت: ٦٠٦ هـ»: "وَهَذَا صَرِيحٌ فِي أَنَّ الْمَنْهِيَّاتِ أَقْسَامٌ ثَلَاثَةٌ: أَوَّلُهَا: الْكُفْرُ، وَثَانِيهَا: الْفُسُوقُ. وَثَالِثُهَا: الْعِصْيَانُ، فَلَا بُدَّ مِنْ فَرْقٍ بَيْنَ الْفُسُوقِ وَبَيْنَ الْعِصْيَانِ لِيَصِحَّ العطف، وما ذلك إِلَّا لِمَا ذَكَرْنَا مِنَ الْفَرْقِ بَيْنَ الصَّغَائِرِ وَبَيْنَ الْكَبَائِرِ، فَالْكَبَائِرُ هِيَ الْفُسُوقُ، وَالصَّغَائِرُ هِيَ الْعِصْيَانُ"[(٥)]

ثانيا: الأدلة من السنة.

---

(١) أي: عمق علمهم، فغور كل شيء: قعره. يقال: فلانٌ بعيد الغَوْرِ. ينظر "الصحاح" للجوهري مادة: غور. وهو كناية عن الفهم الذي يبعد عن أكثر الناس، ولا يصل إليه إلا من اجتهد فصار بينه وبين غيره من الكسالى بون شاسع في العلم، فكأن ما علمه المجتهد في العلم في عمق لا يمكن الوصول إليه بسهولة كالماء في قعر البئر العميق.

(٢) مدارج السالكين «١/ ٣٤٣-٣٤٥»، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير «٤/ ٢٥٥، ٢٥٦».

(٣) ذكر ابن تيمية في مجموع الفتاوى «١١/ ٦٥٩» هذه الآية والتي قبلها مستدلًا بهما على هذا التقسيم للذنوب.

(٤) البحر المحيط «٦/ ١٥٢، ١٥٣»؛ للزركشي.

(٥) مفاتيح الغيب للفخر الرازي «١٠/ ٦٠».

١ ــــــ ما جاء عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من أن بعض أعمال البر والصلاة تكفر الذنوب ما اجتنبت الكبائر، ومنها قوله–صلى الله عليه وسلم–: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر». [(١)]

قال النووي–رحمه الله–«ت: ٦٧٦ هـ»: "وتنقسم –أي المعاصي– باعتبار ذلك إلى ما تكفره الصلوات الخمس، أو صوم رمضان، أو الحج، أو العمرة، أو الوضوء، أو صوم عرفة، أو صوم عاشوراء، أو فعل الحسنة، أو غير ذلك مما جاءت به الأحاديث الصحيحة، وإلى ما لا يكفره ذلك كما ثبت في الصحيح ما لم يغش كبيرة فسمى الشرع ما تكفره الصلاة ونحوها صغائر ومالا تكفره كبائر"[(٢)]

ومما جاء عن النبي–صلى الله عليه وسلم–في معنى هذا الحديث قوله–صلى الله عليه وسلم–: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة وذلك الدهر كله». [(٣)]

وعن أبي هريرة–رضي الله عنه–«ت: ٥٧ هـ»، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر». [(٤)].

٢ ــــــ الأحاديث التي خص فيها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الكبائر وأكبر الكبائر بالذكر. [(٥)] ومنها: قوله–صلى الله عليه وسلم–: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ...».

وعن أنس بن مالك–رضي الله عنه–«ت: قيل ٩٠ أو ٩١ أو ٩٣ هـ»، قال: "ذكر

---

(١) رواه مسلم برقم «٢٣٣». من حديث أبي هريرة–رضي الله عنه–.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي «٢/ ٨٥».

(٣) رواه مسلم «٢٢٨». من حديث عثمان–رضي الله عنه–.

(٤) رواه مسلم: «٢٣٣».

(٥) إرشاد الفحول «١/ ١٤٥»؛ للشوكاني.

رسـول الله–صـلى الله عليه وسـلم–الكبائر–أو سـئل عن الكبائر–فقال: «الشـرك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين»، فقال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟»، قال: «قول الزور –أو قال: شهادة الزور»، قال شعبة–رحمه الله–«ت: ١٦٠ هـ»: وأكثر ظني أنه قال: «شـهادة الزور». (١)

وعن عبد الله بن عمرو–رضي الله عنهما–«ت: ٦٥ هـ»، قال قال رسـول الله–صـلى الله عليه وسـلم–: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه. قيل: يا رسـول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه». (٢)

وغير ذلك من الأحاديث.

قال ابن حجر الهيتمي–رحمه الله–«ت: ٩٧٤ هـ» بعد سرد مجموعة من هذه الأحاديث: "فخص الكبائر ببعض الذنوب، ولو كانت الذنوب كلها كبائر لم يسغ ذلك"(٣)

٣ ــ أن بعض الأحاديث ذكر فيها عدد من الذنوب سماها النبي –صلى الله عليه وسلم– كبائر جوابًا عن سؤال سائل من أصحابه الكرام–رضي الله عنهم–.

ومنها ما رواه البخاري ومسـلم –واللفظ للبخاري– عن أنس بن مالك–رضـي الله عنه– «ت: قيل ٩٠ أو ٩١ أو ٩٣ هـ»، قال: "سـئل النبي–صـلى الله عليه وسـلم–عن الكبائر فقال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس وشهادة الزور».

ثالثًا: ما ورد في الآثار.

ورد عن الصحابة والتابعين آثار كثيرة تفوق الحصر، ومن أمثلة ما ورد عنهم في ذلك:

عن أنس بن مالك–رضـي الله عنه–«ت: قيل ٩٠ أو ٩١ أو ٩٣ هـ»: "لم أر مثل الّذي بلغنا عن ربّنا لم نخرج له، عن كلّ أهلٍ ومالٍ أن تجاوز لنا عمّا دون الكبائر فما لنا ولها، قول

---

(١) صحيح البخاري «٥٩٧٧».

(٢) صحيح البخاري «٥٩٧٣».

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر «ص: ٥».

الله: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾"[١]

وعن علي-رضـــي الله عنه-«ت: ٤٠ هـ»، قال: "الكبائر الإشـــراك بالله، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، والتعرب بعد الهجرة، والسحر، وعقوق الوالدين، وأكل الربا، وفراق الجماعة، ونكث الصفقة"

وعن ابن مسـعود-رضـي الله عنه-«ت: ٣٢ هـ»، قال: "الكبائر الإشـراك بالله، والقنوط من رحمة الله، والإياس من روح الله، والأمن من مكر الله"[٢]

وعن ابن مسعود-رضي الله عنه-«ت: ٣٢ هـ»، قال: "أكبر الكبائر الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله"[٣]

عن عبد الله بن طاوس-رحمه الله-«ت: ١٣٢ هـ» عن أبيه-رحمه الله-«ت: ١٠٦ هـ»، قال: قيل لابن عباس الكبائر سبع قال: "هي إلى السبعين أقرب"[٤].

عَبْدُ اللهِ بنُ وَهْبٍ المِصْرِيُّ-رحمه الله-«ت: ١٩٧ هـــ»: "وقال عبد الله بن عياش-رحمه الله-«ت: ١٧٠ هـ»: وقال زيد بن أســـلم-رحمه الله-«ت: ١٣٦ هـ»، في قول الله: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَـــيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾، فمن الكبائر: الشرك، والكفر بآيات الله ورسله، والسحر، وقتل الأولاد، ومن دعا لله ولدا أو صاحبة، ومثل ذلك من الأعمال، والقول الذي لا يصلح معه عمل"[٥]

عن الحسـن-رحمه الله-«ت: ١١٠ هـ» في قوله تعالى ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾: "الكبائر الإشـــراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وأكل الربا وقذف المحصـــنة وأكل مال

---

[١] مصنف ابن أبي شيبة «١٩/ ٢٣٦». كشف الأستار عن زوائد البزار: «٣/ ٤٤».

[٢] تفسير الطبري «تفسير سورة النساء: الآية: ٣١».

[٣] تفسير عبد الرزاق: «١/ ١٥٥».

[٤] تفسير عبد الرزاق: «١/ ١٥٥».

[٥] الجامع في علوم القرآن: «١/ ٥٨».

اليتيم واليمين الفاجرة والفرار من الزحف"[١]

والذنوب تتفاوت مفاسدها، وإذا تفاوتت مفاسدها تفاوتت مراتبها؛ فيكون منها صغائر وكبائر، قال الطوفي: "وَإِنَّمَا انْقَسَمَتِ الْأَفْعَالُ إِلَى صَغَائِرَ وَكَبَائِرَ بِاعْتِبَارِ اشْتِمَالِهَا عَلَى مَفَاسِدَ صَغَائِرَ وَكَبَائِرَ"[٢]

القول الثاني: إنكار تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر.

أولًا: القائلين به:

ذهب بعض الأشاعرة إلى إنكار تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر، وقالوا: إن سائر المعاصي كبائر، ومنهم أبو إسحاق الإسفرائيني-رحمه الله-«ت: ٤١٨ هـ»، والباقلاني-رحمه الله-«ت: ٤٠٣ هـ»، وإمام الحرمين-رحمه الله-«ت: ٤١٩ هـ»، وأبي نصر عبد الرحيم القشيري-رحمه الله-«ت: ٥١٤ هـ»، والتقي السبكي-رحمه الله-«ت: ٧٥٦ هـ»، بل حكاه ابن فورك-رحمه الله-«ت: ٤٠٦ هـ» عن الأشاعرة واختاره في «تفسيره»[٣]، ونسبه ابن بطال-رحمه الله-«ت: ٤٤٩ هـ» إلى الأشعرية، وحكاه القاضي عياض-رحمه الله-«ت: ٥٤٤ هـ» عن المحققين[٤] ونسب هذا القول إلى الخوارج القاضي عبد الجبار «ت: ٤١٥ هـ»[٥].

قال ابن حجر-رحمه الله-«ت: ٨٥٢ هـ»: "ذهب الجمهور إلى أن من الذنوب كبائر ومنها صغائر، وشذت طائفة منهم الأستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني-رحمه الله-«ت: ٤١٨ هـ» فقال ليس في الذنوب صغيرة، بل على ما نهى الله عنه كبيرة.

---

(١) تفسير عبد الرزاق: «١/ ١٥٤».

(٢) شرح مختصر الروضة، للطوفي «٣/ ٤٧٦»؛.

(٣) ينظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر «ص: ٥».

(٤) انظر: فتح الباري «١٠/ ٤٠٩»، وشرح صحيح مسلم للنووي «٢/ ٨٥».

(٥) انظر: شرح الأصول الخمسة «ص: ٦٣٢».

ونقل ذلك عن ابن عباس-رضي الله عنهما-«ت: ٦٨ هـ»، وحكاه القاضي عياض-رحمه الله-«ت: ٥٤٤ هـ»، عن المحققين واحتجوا بأن كل مخالفة لله فهي بالنسبة إلى جلاله كبيرة. ونسبه ابن بطال-رحمه الله-«ت: ٤٤٩ هـ» إلى الأشعرية فقال: انقسام الذنوب إلى صغائر وكبائر هو قول عامة الفقهاء وخالفهم من الأشعرية أبو بكر بن الطيب-رحمه الله-«ت: ٤٠٣ هـ» وأصحابه فقالوا: المعاصي كلها كبائر وإنما يقال لبعضها صغيرة، بالإضافة إلى ما هو أكبر منها كما يقال القلة المحرمة صغيرة بإضافتها إلى الزنا وكلها كبائر. قالوا: ولا ذنب عندنا يغفر واجبا باجتناب ذنب آخر، بل كل ذلك كبيرة. ومرتكبه في المشيئة غير الكفر لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: الآية: ٤٨]، وأجابوا عن الأية التي احتج أهل القول الأول بها-وهي قوله تعالى ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [النساء: الآية: ٣١]، أن المراد الشرك، ثم قال: وقالوا وجواز العقاب على الصغيرة كجوازه على الكبيرة. قال النووي وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة إلى القول الأول، وقال الغزالي-رحمه الله-«ت: ٥٠٥ هـ» في البسيط" إنكار الفرق بين الصغيرة والكبيرة لا يليق بالفقيه. ثم قال ابن حجر-رحمه الله-«ت: ٨٥٢ هـ»: قد حقق إمام الحرمين-رحمه الله-«ت: ٤١٩ هـ» المنقول عن الأشاعرة واختاره وبين أنه لا يخالف ما قاله الجمهور فقال في "الإرشاد": المرتضى عندنا أن كل ذنب يعصى الله به كبيرة، فرب شيء يعد صغيرة بالإضافة إلى الأقران، ولو كان في حق الملك لكان كبيرة والرب أعظم من عصي، فكل ذنب بالإضافة إلى مخالفته عظيم، ولكن الذنوب وإن عظمت فهي متفاوتة في رتبها، وظن بعض الناس أن الخلاف لفظي فقال: التحقيق أن للكبيرة اعتبارين: فبالنسبة إلى مقايسة بعضها لبعض فهي تختلف قطعًا، وبالنسبة إلى الأمر الناهي فكلها كبائر. والتحقيق أن الخلاف معنوي"(١)

أدلة هذا الرأي

---

(١) فتح الباري لابن حجر «١٠/ ٤٠٩، ٤١٠».

ممن بين أدلة أصـــحاب هذا القول بأخصــــر ما يمكن وأوفاه ابن بطال-رحمه الله-«ت: ٤٤٩ هـ» حيث قال: "انقسـام الذنوب إلى صـغائر وكبائر هو قول عامة الفقهاء، وخالفهم من الأشـعرية أبو بكر بن الطيب وأصـحابه فقالوا: المعاصـي كلها كبائر، وإنما يقال لبعضـها صغيرة بالإضافة إلى ما هو أكبر منها، كما يقال القبلة المحرمة صغيرة بإضافتها إلى الزنا وكلها كبائر."

قالوا: ولا ذنب عندنا يغفر واجباً باجتناب ذنب آخر بل كل ذلك كبيرة، ومرتكبه في المشـــيئة، غير الكفر لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْـــرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَـــاءُ﴾ [النســـاء: الآية: ٤٨] وأجابوا عن الآية التي احتج أهل القول الأول بها وهي قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَـــيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾ [النســـاء: الآية: ٣١]، أن المراد الشـــرك وقد قال الفراء: من قرأ كبائر فالمراد بها كبير، وكبير الإثم هو الشـــرك، وقد يأتي لفظ الجمع والمراد به الواحد كقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَـلِينَ﴾ [الشـعراء: الآية: ١٠٥]، ولم يرسـل إليهم غير نوح، قالوا: وجواز العقاب على الصـــغيرة لجوازه على الكبيرة.[1] واســـتدلوا أيضـــاً بقول ابن عباس: "كل ما نهى الله عنه كبيرة"[2]

وقد نظر أصـحاب هذا القول إلى جلال الله وعظمته سـبحانه فمنعهم ذلك من تسـمية أي معصية لله تعالى باسـم "صـغيرة" فهي كلها بالنسـبة إلى عظم المخالف كبيرة من الكبائر، وإن اتفقوا على أن منها ما يوجب العقوبة والـذم أكثر من غيره، فـالخلاف لفظي في جواز التسـمية لا في المعنى، والجمهور على إطلاق الصـغيرة والكبيرة اصـطلاحياً كما سـبق أن نقلنا عن العلماء.

(١) نقلاً عن فتح الباري «١٠/ ٤٠٩»، وانظر: تفسير القرطبي «٥/ ١٥٩».

(٢) رواه الطبري في تفسيره «٨/ ٢١٤»، والبيهقي في شعب الإيمان» «١/ ٢٧٣»، قال ابن حجر في فتح الباري «١٠/ ٤١٠» أخرجه إسماعيل القاضي والطبري بسند صحيح على شرط الشيخين إلى ابن عباس.

يقول القرافي صاحب "تهذيب الفروق"-رحمه الله-«ت: ٦٨٤ هـ»: "اختلفوا أولاً في أن إطلاق لفظ صغيرة على معصية الله تعالى هل يمنع إجلالا له وتعظيماً لحدوده إلا في محل تبيين تفاوت الذم والعقاب إن نفذ الوعيد، أو يجوز مطلقا"(١)

وقال الزركشي-رحمه الله-«ت: ٧٩٤ هـ»: "وَلَعَلَّ أَصْحَابَ هَذَا الْوَجْهِ كَرِهُوا تَسْمِيَةَ مَعْصِيَةِ اللَّهِ صَغِيرَةً؛ إجْلَالًا لِلَّهِ وَتَعْظِيمًا لِأَمْرِهِ، مَعَ أَنَّهُمْ وَافَقُوا فِي الْجَرْحِ أَنَّهُ لَا يَكُونُ بِمُطْلَقِ الْمَعْصِيَةِ"(٢)

وحجتهم في هذا ما روي عن ابن عباس-رضي الله عنهما-«ت: ٦٨ هـ»، من أن جميع المعاصي كبائر بالنسبة إلى أنها معصية لله لوجهين: أَحَدُهُمَا: كَثْرَةُ نِعَمِ مَنْ عَصَى. وَالثَّانِي: إِجْلَالُ مَنْ عَصَى، فَإِنِ اعْتَبَرْنَا الْأَوَّلَ فَنِعَمُ اللَّهِ غَيْرُ مُتَنَاهِيَةٍ، كَمَا قَالَ: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوها﴾ [النحل: الآية: ١٨] وَإِنِ اعْتَبَرْنَا الثَّانِي فَهُوَ أَجَلُّ الْمَوْجُودَاتِ وَأَعْظَمُهَا، وَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ عِصْيَانُهُ فِي غَايَةِ الْكِبَرِ، فَثَبَتَ أَنَّ كُلَّ ذَنْبٍ فَهُوَ كَبِيرَةٌ. (٣)

جواب الجمهور على هذه الاستدلالات.

١ - من قال: إنها سميت كبائر بالنسبة لما دونها، أو كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة يقتضي أن الذنوب في نفسها لا تنقسم إلى صغائر وكبائر، وهذا فاسد، لأنه خلاف النصوص الدالة على تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر. (٤) وقد دلت النصوص الصريحة على التقسيم السابق.

وعورض ما روي عن ابن عباس-رضي الله عنهما-«ت: ٦٨ هـ»، في ذلك: بأنه . سبحانه وتعالى ــ أرحم الراحمين وأغنى الأغنياء عن طاعات المطيعين، وكل ذلك يوجب خفة

(١) تهذيب الفروق هامش "الفروق" للقرافي «١/ ١٣٤».

(٢) البحر المحيط للزركشي «٦/ ١٥٢-١٥٣»؛.

(٣) تفسير النيسابوري «٢/ ٤٠٣-٤٠٤»؛ للحسن بن محمد النيسابوري. وينظر: مفاتيح الغيب للفخر الرازي «١٠/ ٦٠».

(٤) شرح الطحاوية «ص: ٤١٩»، وانظر: مجموع الفتاوى «١١/ ٦٥٧»، مفاتيح الغيب للفخر الرازي «١٠/ ٦٠».

الذنب وإن سلم أن الذنوب كلها كبائر من حيث إنها ذنوب، ولكن بعضها أكبر من بعض وذلك يوجب التفاوت. (١)

٢ – أما قولهم: لا ذنب عندنا يغفر واجباً باجتناب ذنب آخر، بل كل ذلك كبير، غير الشـــرك، وتأويلهم قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَـــيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾ [النســاء: الآية: ٣١] أن المراد الشـــرك لقراءة «كبير» فيقال لهم: وماذا عن قوله–صلى الله عليه وسلم–: «ما اجتنبت الكبائر»، (٢) «ما لم تغش الكبائر». (٣)

وماذا يجاب عن النصوص الصريحة في التفريق بين الصغائر والكبائر مثل قوله عز وجل: ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَـغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَـاهَا﴾ [الكهف: الآية: ٤٩].

٣ – أما استدلالهم بقول ابن عباس–رضـي الله عنهما–«ت: ٦٨ هـ»: "كل ما نهى الله عنه كبيرة"، فيجاب عنه بأنه قد ورد أيضًا عن ابن عباس–رضـي الله عنهما–«ت: ٦٨ هـ» أنه قال: "كل ما توعد الله عليه بالنار كبيرة" (٤)، فالأولى أن يكون المراد بقوله: "نهى الله عنه" محمولاً على نهي خاص وهو الذي قرن به وعيد، فيحمل مطلق كلامه ـ رضي الله عنه ـ على مقيده جمعاً بين قوليه. (٥)

وقال البيهقي–رحمه الله–«ت: ٤٥٨ هـ» في تعليقه على رواية ابن عباس–رضـي الله عنهما–«ت: ٦٨ هـ»: "كل ما نهى الله عنه كبيرة": "فيحتمل أن يكون هذا في تعظيم حرمات الله والترهيب عن ارتكابها، فأما الفرق بين الصـغائر والكبائر فلابد منه في أحكام

---

(١) تفسير النيسابوري «٢/ ٤٠٣–٤٠٤»؛ للحسن بن محمد النيسابوري. وينظر: مفاتيح الغيب للفخر الرازي «١٠/ ٦٠».

(٢) رواه مسلم «٢٣٣».

(٣) رواه مسلم «٢٣٣»، من حديث أبي هريرة–رضي الله عنه–.

(٤) ذكر هذا الأثر ابن حجر في فتح الباري «١٠/ ٤١٠» وقال: وأخرج–ابن أبي حاتم–من وجه آخر متصل لا بأس برجاله.

(٥) انظر: فتح الباري «١٠/ ٤١٠».

الدنيا والآخرة"[١]

وطعن القرطبي في الرواية من جهة المتن. فقال: "ما أظنه يصح عن ابن عباس–رضي الله عنهما–«ت: ٦٨ هـ»: "أن كل ما نهى الله عز وجل عنه كبيرة"؛ لأنه مخالف لظاهر القرآن في الفرق بين الصغائر والكبائر" ثم ذكر الآيات الدالة على تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر، إلى أن قال: "فكيف يخفى ذلك على حبر القرآن؟"[٢]

الراجح:

وبعد ذكر هذا الخلاف المشهور في تقسيم الذنوب والمعاصي، وذكر أدلة كل من الفريقين تبين لنا أن تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر هو الموافق لأدلة الكتاب والسنة، التي ذكرنا طرفا منها آنفا، كما أنه الأوفق لقواعد الشريعة وأصولها العقدية والفقهية العامة التي دلتنا على تفاوت أهل الجنة في الدرجات، وأهل النار في الدركات، كما أن المعاصي التي في حق الله وحق العباد عقوباتها الدنيوية متفاوته في شدتها وخفتها وانعدامها أحيانا، إذ ليس كل ذنب يترتب عليه حد أو تعزير، وليس كل ذنب يترتب عليه حد يساويه الذنب الآخر الذي يترتب عليه حد أيضا، فحد الزنى والسرقة وشرب الخمر والقذف وغيرها تختلف في قدرها ونوعها.

وهذا كله يدل على التفريق بين الذنوب من حيث كونها كبائر وصغائر، هذا فضلا عن النصوص المصرحة بسرد بعض الكبائر بأسمائها مما يدل على هذا التفريق، وقد مضى ذكر هذه النصوص.

فلا يمكننا العدول عن هذه النصوص الصريحة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، وأقوال السلف في التفرقة بين الذنوب بجعل بعضها صغائر وبعضها كبائر وتأويلها بالتعسف إلى ما يفيد أنه لا صغيرة من الذنوب؛ إذ الأخذ بصريح الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الصحيحة وآثار جمهور الصحابة والتابعين الدالة على انقسام الذنوب إلى صغائر وكبائر خير

---

(١) شعب الإيمان «٢/ ٩٤».

(٢) ينظر: فتح الباري «١٠/ ٤١٠».

من تأويلها بما ينبو عنه ظاهرها وأسلم من ثنيها عن دلالتها.[(١)]

بل اعتبر ابن حجر–رحمه الله–«ت: ٨٥٢ هـ» القول الذي لم يفرق بين الصغائر والكبائر شاذًا حيث قال: "وقد اختلف السلف، فذهب الجمهور إلى أن من الذنوب كبائر وصغائر، وشذت طائفة منهم الأستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني–رحمه الله–«ت: ٤١٨ هـ» فقال: ليس في الذنوب صغيرة، بل كل ما نهى الله عنه كبيرة"[(٢)].

قال البيهقي: "فأما الفرق بين الصـــغائر والكبائر فلابد منه في أحكام الدنيا والآخرة على ما جاء به الكتاب والسنة"[(٣)]

وقال الإمام الغزالي–رحمه الله–«ت: ٥٠٥ هـ»: "إنكار الفرق بين الصـــغيرة والكبيرة لا يليق بالفقيه"[(٤)]

ـ خطر القول بأن جميع الذنوب كبائر:

مهما بلغ المرء منا من التقى والذل لله تعالى والخشـــوع له والانقطاع لعبادته تعالى، فلن يســـتطع التنزه من لمم الذنوب، وهناتها فلو أجزنا القول بأن جميع معاصـــي الله تعالى كبائر لحكمنا على جميع المؤمنين باقتراف الكبائر، واســتباحة حمى الله تعالى، وانتهاك محارمه فضـلاً عن تركنا صريح النصوص سيراً مع تأويلات لا يعضدها دليل.[(٥)]

القول الثالث: أن الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر وفواحش.

ذَهَبَ الْحليمي–رحمه الله–«ت: ٤٠٣ هـ» من الشـــافعية إلى أنَّ الْمَعَاصِـــي تَنْقَسِـــمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

---

(١) "آيات عتاب المصطفى–صلى الله عليه وسلم–في ضوء العصمة والاجتهاد" «ص: ٦٢»؛ تأليف: د. عويد بن عيَّاد بن عايد المطرَفِي.

(٢) فتح الباري «١/ ٤٠٩».

(٣) شعب الإيمان للبيهقي «١/ ٤٦٤».

(٤) شرح مسلم للنووي «٢/ ٨٥»؛ وفتح الباري «١٠/ ٤٠٩»؛ عن كتاب البسيط للغزالي.

(٥) آيات عتاب المصطفى – صلى الله عليه وسلم – في ضوء العصمة والاجتهاد، «ص: ٦٣».

صَغِيرَةٌ، وَكَبِيرَةٌ، وَفَاحِشَةٌ؛ فَقَتْلُ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ كَبِيرَةٌ، فَإِنْ قَتَلَ ذَا رَحِمٍ لَهُ فَفَاحِشَةٌ، فَأَمَّا الْخَدْشَةُ وَالضَّرْبَةُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ فَصَغِيرَةٌ وَجَعَلَ سَائِرَ الذُّنُوبِ هَكَذَا. [١]

ويرى الحليمي أيضا أن الصغيرة قد تنقلب كبيرة أو فاحشة بحسب ما يقترن بها من حال، قال ابن حجر -رحمه الله- «ت: ٨٥٢ هـ»: "وَقَالَ الْحَلِيمِيُّ -رحمه الله- «ت: ٤٠٣ هـ» فِي الْمِنْهَاجِ: مَا مِنْ ذَنْبٍ إِلَّا وَفِيهِ صَغِيرَةٌ وَكَبِيرَةٌ وَقَدْ تَنْقَلِبُ الصَّغِيرَةُ كَبِيرَةً بِقَرِينَةٍ تُضَمُّ إِلَيْهَا وَتَنْقَلِبُ الْكَبِيرَةُ فَاحِشَةً كَذَلِكَ إِلَّا الْكُفْرَ بِاللَّهِ فَإِنَّهُ أَفْحَشُ الْكَبَائِرِ، وَلَيْسَ مِنْ نَوْعِهِ صَغِيرَةٌ، قُلْتُ: وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ يَنْقَسِمُ إِلَى فَاحِشٍ وَأَفْحَشَ"[٢]

ثُمَّ ذَكَرَ الْحَلِيمِيُّ أَمْثِلَةً لِمَا قَالَ: فَالثَّانِي كَقَتْلِ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَإِنَّهُ كَبِيرَةٌ فَإِنْ قَتَلَ أَصْلًا أَوْ فَرْعًا أَوْ ذَا رَحِمٍ أَوْ بِالْحَرَمِ أَوْ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ فَهُوَ فَاحِشَةٌ، وَالزِّنَا كَبِيرَةٌ فَإِنْ كَانَ بِحَلِيلَةِ الْجَارِ أَوْ بِذَاتِ رَحِمٍ أَوْ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ أَوْ فِي الْحَرَمِ فَهُوَ فَاحِشَةٌ، وَشُرْبُ الْخَمْرِ كَبِيرَةٌ فَإِنْ كَانَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ نَهَارًا أَوْ فِي الْحَرَمِ أَوْ جَاهَرَ بِهِ فَهُوَ فَاحِشَةٌ، وَالْأَوَّلُ كَالْمُفَاخَذَةِ مَعَ الْأَجْنَبِيَّةِ صَغِيرَةٌ فَإِنْ كَانَ مَعَ امْرَأَةِ الْأَبِ أَوْ حَلِيلَةِ الِابْنِ أَوْ ذَاتِ رَحِمٍ فَكَبِيرَةٌ، وَسَرِقَةُ مَا دُونَ النِّصَابِ صَغِيرَةٌ فَإِنْ كَانَ الْمَسْرُوقُ مِنْهُ لَا يَمْلِكُ غَيْرَهُ وَأَفْضَى بِهِ عَدَمُهُ إِلَى الضَّعْفِ فَهُوَ كَبِيرَةٌ.

وَأَطَالَ فِي أَمْثِلَةِ ذَلِكَ وَفِي الْكَثِيرِ مِنْهُ مَا يُتَعَقَّبُ لَكِنَّ هَذَا عُنْوَانُهُ وَهُوَ مَنْهَجٌ حَسَنٌ لَا بَأْسَ بِاعْتِبَارِهِ وَمَدَارُهُ عَلَى شِدَّةِ الْمَفْسَدَةِ وَخِفَّتِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ ".

وهذا الذي نقله ابن حجر عن الحليمي يوافق النصوص والقواعد والأصول؛ وذلك أن الذنوب الكبيرة تتفاوت في كبرها، كما أن الصغيرة تتفاوت فيما بينها، وقد ذكرنا النصوص التي تدل على وجود كبائر وأكبر الكبائر، وغير ذلك.

المسألة الثانية: الفرق بين الصغائر والكبائر.

---

[١] إرشاد الفحول" للشوكاني «١/ ١٤٥».

[٢] فتح الباري لابن حجر «٢/ ١٨٤».

أولًا: تعريف الصغائر

الذّنوب هي ترك ما أمر الله–تعالى–به من أوامر، وفعل ما حذّر منه –سـبحانه– ممّا جاء الأمر بفعله أو النّهي عن تركه في الأحكام الشـرعيّة، سـواءً كان قولاً أو فعلاً، ظاهراً كان أو باطناً. [١]

وتُقسَـم الذّنوب في الإسـلام إلى قسـمين؛ صـغائر وكبائر، ولكلٍّ منهما مفهوم خاصّ كالآتي:

أ–التعريف اللغوي:

الصـغيرة لغة: جمع صـغيرة، من صـغر الشـيء فهو صـغير وجمعه صـغار، والصـغيرة صـفة وجمعها صغار أيضا، ولا تجمع على صغائر إلا في الذنوب والآثام. [٢].

ب–التعريف الشرعي:

اختلفت عبارات العلماء في تعريف الصـــغيرة وإن اتفق الأكثر على مضـــمونها، فقال بعضـهم: الصـغيرة ما ليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة. [٣]. بمقابلة تعريف البعض للكبيرة.

وقال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "أقل الأقوال [٤]، في هذه المســألة القول المأثور عن ابن عباس–رضـــي الله عنهما–«ت: ٦٨ هـ»، وذكره أبو عبيد–رحمه الله–«ت: ٢٢٤ هـ»، وأحمد بن حنبل–رحمه الله–«ت: ٢٤١ هـ»، وغيرهما وهو: أن الصـــغيرة ما دون

---

(١) مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع لمحمد زينو، «٢/ ٢٦٣»، بتصرّف.

(٢) لسان العرب، المصباح المنير، المعجم الوسيط مادة «صغر».

(٣) شرح العقيدة الطحاوية «ص: ٥٢٦».

(٤) هذه المسألة تسمى عند العلماء بمسألة "أقل ما قيل" ويذكرها العلماء غالبا في كتاب الإجماع؛ لأن موضع استعمالها هو إثبات أن أقل ما قيل يعتبر إجماعا، وأحيانا تدرج في باب الأدلة المختلف فيها؛ لأنها من مسائل الإجماع المختلف فيها، وهذا صنيع كثير من المصنفين. ينظر: "البحر المحيط" «٨/ ٢٦، وما بعدها»؛ للزركشي، "المهذب في أصول الفقه" «٢/ ٩٤١، وما بعدها»؛ للدكتور/ عبد الكريم النملة.

الحدين حد الدنيا وحد الآخرة، وهو معنى قول من قال: ما ليس فيها حد في الدنيا وهو معنى قول القائل: كل ذنب ختم بلعنة أو غضب أو نار فهو من الكبائر، ومعنى قول القائل: وليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة"(١)

وقال ابن النجار-رحمه الله-«ت: ٦٤٣ هـ»: "والصغائر هي: كل قول أو فعل محرم لا حد فيه في الدنيا ولا وعيد في الآخرة"(٢)

صغائِر الذّنوب: كلّ ذنب عدا الكبائر؛ بمعنى أنّه لم يقترن بوعيد شديد، أو عذاب، أو دخول النار، وتُعرَّف صغائر الذنوب أيضاً بأنّها ما دون الحدّين: حدّ الدنيا، وحدّ الآخرة.

ثانيًا: تعريف الكبيرة

أ-التعريف اللغوي:

الكبائر: جمع كبيرة، والكبيرة في اللغة تعني: الشيء العظيم، وتقول: أَكْبَرْت الشيءَ أي استعظمته، والتكبير: التعظيم، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ [يوسف: الآية: ٣١]، أي: أعظمنه، على قول أكثر المفسرين. (٣).

قال الفيروزآبادي-رحمه الله-«ت: ٨١٧ هـ»: "الكبيرة في اللغة: مفرد كبيرات وكبائر، مؤنث الكبير، وهو: الإثم الكبير"(٤).

قال ابن منظور-رحمه الله-«ت: ٧١١ هـ»: "الكبيرة هي الفعلة القبيحة من الذنوب المنهي عنها شرعا لعظيم أمرها كالقتل والزنا والفرار من الزحف"(٥).

فالمقصود بالكبائر إذًا: الذنوب العظام.

---

(١) مجموع الفتاوى «١١/ ٦٥٠».

(٢) شرح الكوكب المنير «٢/ ٣٨٨».

(٣) انظر: لسان العرب «١٢/ ١٣»، وتفسير الطبري «١٢/ ٢٠٤»، وتفسير ابن كثير «٢/ ٤٧٧».

(٤) انظر: القاموس المحيط «٢/ ١٢٤»، ولسان العرب «٣/ ٢١٢».

(٥) انظر: لسان العرب «٣/ ٢١٢٩، وانظر القاموس المحيط «٢/ ١٢٤».

المسألة الثالثة: هل للكبائر عدد يحصرها أم لا.

وقد اتفق جمهور الناس على انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر، ثم اختلفوا في الكبائر بعد ذلك: هل لها عدد يحصرها أم لا، على قولين: [١]

الأول: قول الذين ذهبوا إلى القول بحصرها في عدد محدد، وهؤلاء اختلفوا في عددها:

فقيل: هي أربعة. [٢]

وقيل: سبعة، وقيل: تسعة.

وقيل: هي إحدى عشرة.

وروي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- «ت: ٦٨ هـ»، أنه قال: "هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع. [٣]

وقيل: هي سبعمائة. [٤]

وقيل غير ذلك، والصحيح أنه لا دليل من الكتاب والسنة يفيد الحصر.

الثاني: قول الذين لم يحصروها بعدد معين،

ب-التعريف الشرعي:

اختلفوا في حدِّها، وفي الضابط الذي يفرقون به بين الكبيرة والصغيرة على أقوال منها:

أولاً: أن الكبائر هي كل ما اتفقت جميعُ الشــرائع على تحريمه، وما كان تحريمه في شــريعة دون شــريعة فهو صــغيرة [٥]، وهذا يَرِد عليه أن التزوج ببعض المحارم، أو المحرمات بالرضــاعة ليس من الكبائر، إذ لم تتفق على تحريمه كل الشـــرائع، كما أن "الفرق بين ما اتفقت عليه

---

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي «ص: ١٠٣٣-١٠٤٣»، والجواب الكافي لابن القيم «ص: ٨٧».

(٢) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة «ص: ١٩٢٢».

(٣) أخرجه الطبري في التفسير «٥/٤١»، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة «ص: ١٩١٧، ١٩١٨».

(٤) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة «ص: ١٩١٩».

(٥) انظر: الجواب الكافي «ص: ٨٨».

الشرائع واختلفت لا يُعلم إن لم يمكن وجودُ عالم بتلك الشرائع على وجهها، وهذا غير معلوم لنا"[(١)]

ثانيًا: أن كل ما عصي الله به فهو من الكبائر، وهذا القول مروي عن ابن عباس-رضي الله عنهما-«ت: ٦٨ هـ». [(٢)]

قال البيهقي-رحمه الله-«ت: ٤٥٨ هـ»: "يحتمل أن يكون هذا في تعظيم حرمات الله، والترهيب عن ارتكابها، فأما الفرقُ بين الصغائر والكبائر فلا بد منه في أحكام الدنيا والآخرة على ما جاء به الكتاب والسنة"[(٣)].

ثالثًا: أن الذنوب كلها بالنسبة إلى الجراءة على الله والتوثّب على حقه والاستهانة به تعدّ من الكبائر. [(٤)]. وهذا يقتضي أن الذنوب لا تنقسم في نفسها إلى صغائر وكبائر، وهو فاسد؛ لأنه خلاف النصوص، كما أن هذا الحدّ لا يمكن من خلاله التفريقُ بين الكبائر والصغائر.

رابعًا: أن الكبائر ذنوب العَمْد، والصغائر هي: الخطأ، والنسيان، وما أكره عليه، وحديث النفس؛

قال ابن القيم-رحمه اله-«ت: ٧٥١ هـ»: "هذا من أضعف الأقوال طردًا وعكسًا؛ فإن الخطأ والنسيان والإكراه لا يدخل تحت جنس المعاصي حتى يكون أحد قسميها، والعمد نوعان: نوع كبائر، ونوع صغائر. [(٥)]".

خامسًا: الكبائر ذنوب المستحلين مثل ذنب إبليس، والصغائر ذنوب المستغفرين مثل

---

(١) مجموع الفتاوى «١١/ ٦٥٥».

(٢) شعب الإيمان للبيهقي «٢٩٢»، وانظر: مدارج السالكين «١/ ٣٢١».

(٣) شعب الإيمان «١/ ٢٧٣».

(٤) انظر: الجواب الكافي «ص: ٨٩».

(٥) مدارج السالكين «١/ ٣٢٣».

ذنب آدم، وهذا القول ضـعيف أيضًـا؛ لأن المسـتحل ذنبُه دائر بين الكفر والتأويل، فإنه إن كان عالمًا بالتحريم فكافر، وإن لم يكن عالمًا به فمتأول أو مقلد، وأما المستغفر فإن استغفاره الكامل يمحو كبائره وصغائره، فلا كبيرة مع استغفار"[(١)]

ســادسًــا: أن الكبائر الشــرك وما يؤدي إليه، والصــغائر ما عدا الشــرك من ذنوب أهل التوحيد، واحتج أصــحاب هذه المقالة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْـرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَــاء وَمَن يُشْـرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النســاء: ٤٨]، وبقوله – صلى الله عليه وسلم – فيما يرويه عن ربه – عز وجل –: «ومن لَقِيَني بقُراب الأرض خطيئةً لا يشــرك بي شــيئًا، لَقِيتُه بمثلها مغفرةً» [(٢)]، ولا حجة لهم في الآية؛ لأن غايتها التفريق بين الشــرك وغيره، إذ إن الشـــرك لا يغفر إلا بالتوبة منه، وأما ما دون الشـــرك فهو موكول إلى المشيئة، ولكنها لا تدل على أن كل ما دون الشرك فهو صغيرة في نفسه.

ومن أوعبها وأبعدها عن الاعتراض ما عرفها به ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»؛ فقال: "الكبائر: هي ما فيها حد في الدنيا أو في الآخرة: كالزنا، والسرقة، والقذف، التي فيها حدود في الدنيا.

وكالذنوب التي فيها حدود في الآخرة وهو الوعيد الخاص: مثل الذنب الذي فيه غضـــب الله، ولعنته، أو جهنم، ومنع الجنة: كالســـحر، واليمين الغموس، والفرار من الزحف، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، وشرب الخمر ونحو ذلك.

هكذا روي عن ابن عباس–رضـــي الله عنهما–«ت: ٦٨ هـ»، وســـفيان بن عيينة–رحمه الله–«ت: ١٩٨ هـ»، وأحمد بن حنبل–رحمه الله–«ت: ٢٤١ هـ»، وغيرهم من العلماء"[(٣)]

ما روي عن ابن عباس–رضي الله عنهما–«ت: ٦٨ هـ»، أنه قال: الكبيرة: هي كل ذنب

---

(١) مدارج السالكين «١/ ٣٢٣».

(٢) أخرجه مسلم «٢٦٨٧» من حديث أبي ذر الغفاري–رضي الله عنه.–

(٣) مجموع الفتاوى «١١/ ٦٥٨».

ختمه الله بنار، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب"[١]

وقال القرطبي-رحمه الله-«ت: ٦٧١ هـ»: "الكبيرة: هي كل ذنب عظم الشارع التوعد عليه بالعقاب وشدده أو عظم ضرره في الوجود"[٢].

وقال ابن أبي العز-رحمه الله-«ت: ٧٩٢ هـ» -في شرحه للطحاوية-: "واختلف العلماء في الكبائر على أقوال:

فقيل: سبع.

وقيل: سبع عشرة.

وقيل: ما اتفقت الشرائع على تحريمه.

وقيل: ما يسد باب المعرفة بالله.

وقيل: ذهاب الأموال والأبدان.

وقيل: سميت كبائر بالنسبة والإضافة إلى ما دونها.

وقيل: لا تعلم أصلا. أو: أنها أخفيت كليلة القدر.

وقيل: إنها إلى السبعين أقرب.

وقيل: كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة.

وقيل: إنها ما يترتب عليها حد أو توعد عليها بالنار، أو اللعنة، أو الغضب، وهذا أمثل الأقوال.

واختلفت عبارة قائليه:

منهم من قال: الصغيرة ما دون الحدين: حد الدنيا وحد الآخرة.

ومنهم من قال: كل ذنب لم يختم بلعنة أو غضب أو نار.

ومنهم من قال: الصغيرة ما ليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة، والمراد

---

(١) تفسير الطبري «٥/ ٢٧»، وتفسير القرطبي «٥/ ١٥٩»، شرح صحيح مسلم للنووي «٢/ ٥٨».

(٢) تفسير القرطبي »٣/ ١٦٠ – ١٦١«.

بالوعيد: الوعيد الخاص بالنار أو اللعنة أو الغضـــب، فإن الوعيد الخاص في الآخرة كالعقوبة الخاصة في الدنيا، أعني المقدرة، فالتعزير في الدنيا نظير الوعيد بغير النار أو اللعنة أو الغضب.

وهذا الضابط يسلم من القوادح الواردة على غيره، فإنه يدخل فيه كل ما ثبت بالنص أنه كبيرة، كالشرك، والقتل، والزنا، والسحر، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، ونحو ذلك، كالفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس، وشهادة الزور، وأمثال ذلك.

وترجيح هذا القول من وجوه:

أحدها: أنه هو المأثور عن السلف، كابن عباس -رضي الله عنهما- «ت: ٦٨ هـ»، وابن عيينة «ت: ١٩٨ هـ»، وابن حنبل «ت: ٢٤١ هـ» -رضي الله عنهم-، وغيرهم.

الثاني: أن الله تعالى قال: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما﴾ [النساء: ٣١]. فلا يستحق هذا الوعد الكريم من أوعد بغضب الله ولعنته وناره، وكذلك من استحق أن يقام عليه الحد لم تكن سيئاته مكفرة عنه باجتناب الكبائر.

الثالث: أن هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله من الذنوب، فهو حد متلقى من خطاب الشارع.

الرابع: أن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر،

بخلاف تلك الأقوال، فإن من قال: سبع، أو سبع عشرة، أو إلى السبعين أقرب -: مجرد دعوى.

ومن قال: ما اتفقت الشرائع على تحريمه دون ما اختلفت فيه -: يقتضي أن شرب الخمر، والفرار من الزحف، والتزوج ببعض المحارم، والمحرم بالرضاعة والصهرية، ونحو ذلك - ليس من الكبائر! وأن الحبة من مال اليتيم، والسرقة لها، والكذبة الواحدة الخفيفة، ونحو ذلك -: من الكبائر! وهذا فاسد.

ومن قال: ما سد باب المعرفة بالله، أو ذهاب الأموال والأبدان -: يقتضي أن شرب الخمر، وأكل الخنزير والميتة والدم، وقذف المحصنات - ليس من الكبائر! وهذا فاسد.

ومن قال: إنها سميت كبائر بالنسبة إلى ما دونها، أو كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة -: يقتضي أن الذنوب في نفسها لا تنقسم إلى صغائر وكبائر! وهذا فاسد، لأنه خلاف النصوص الدالة على تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر.

ومن قال: إنها لا تعلم أصلا، أو إنها مبهمة -: فإنما أخبر عن نفسه أنه لا يعلمها، فلا يمنع أن يكون قد علمها غيره. والله أعلم"[١]

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز »ص: ٥٢٥-٥٢٨.«

١٧- البراءة من أهل البدع وهجرهم

[١٧]- قال المصنف رحمه الله: والبراءة منهم فيما أحدثوا، ما لم يبتدعوا ضلالًا، فمن ابتدع منهم ضلالًا كان على أهل القبلة خارجًا، ومن الدِّين مارقًا، ويُتقرَّب إلى الله عز وجل بالبراءة منه، ويُهجر ويحتقر، وتجتنب غدَّته، فهي أعدى من غُدَّة الجَرب.

الشرح

الآثار الواردة في التحذير من مجالسة أهل البدع والأهواء كثيرة جدًا في كتب أهل السنة، من حيث الأصل، قال الإمام البغوي: "وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم، وعلماء السنة على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدعة، ومهاجرتهم"[(١)].

قال الشاطبي: "فإن الإيواء يجامع التوقير، ووجه ذلك ظاهر؛ لأن المشي إليه والتوقير له تعظيمٌ له لأجل بدعته؛ وقد علمنا أن الشرع يأمر بزجره وإهانته وإذلاله بما هو أشد من هذا كالضرب والقتل، فصار توقيره صدوداً عن العمل بشرع الإسلام، وإقبالاً على ما يضاده وينافيه، والإسلام لا ينهدم إلا بترك العمل به، والعمل بما ينافيه"[(٢)].

والتحذير يشمل أمورًا منها:

١-مجالستهم.

٢-مجادلتهم.

٣-الاستماع إليهم.

٤-مصاهرتهم[(٣)].

٥-مؤاخاتهم.

(١) "شرح السنة" «١/ ٢٢٧».

(٢) الاعتصام «١/ ٨٥».

(٣) عن ابن سيرين قال: "تزوج عمران بن حطان خارجية وقال سأردها قال فصرفته إلى مذهبها". سير أعلام النبلاء: «٤/ ٢١٣».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: "فالمصاحبة والمصاهرة والمؤاخاة لا تجوز إلا مع أهل طاعة الله تعالى على مراد الله"(١)

وعَنْ هِشَامٍ، قَالَ: كَانَ الْحَسَنُ وَمُحَمَّدٌ يَقُولَانِ: "لَا تُجَالِسُوا أَصْحَابَ الْأَهْوَاءِ، وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، وَلَا تَسْمَعُوا مِنْهُمْ"(٢).

قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: يَكُونُ مَجْلِسُكَ مَعَ الْمَسَاكِينِ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْلِسَ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ"(٣).

وعن سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ جَدَّتِي أَسْمَاءَ تُحَدِّثُ قَالَتْ: دَخَلَ رَجُلَانِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ مِن أَهْلِ الْأَهْوَاءِ فَقَالَا: يَا أَبَا بَكْرٍ نُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ قَالَ: لا، قَالَا: فَنَقْرَأُ عَلَيْكَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ قَالَ: لَا، لِتَقُومَانِ عَنِّي، أَوْ لَأَقُومَنَّ"(٤).

وعن سَلَّامُ بْنُ أَبِي مُطِيعٍ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ قَالَ لِأَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَسْأَلُكَ عَنْ كَلِمَةٍ، قَالَ أَيُّوبُ وَجَعَلَ يُشِيرُ بِإِصْبَعَيْهِ: وَلَا نِصْفَ كَلِمَة، وَلَا نِصْفَ كَلِمَةٍ"(٥).

قَالَ مُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ: لَا تُمَكِّنُ صَاحِبَ بِدْعَةٍ مِنْ سَمْعِكَ فَيَصُبُّ، فِيهَا مَا لَا تَقْدِرُ أَنْ تُخْرِجَهُ مِنْ قَلْبِكَ"(٦).

---

(١) مجموع الفتاوى «١٥/ ٣٢٧».

(٢) "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة" لابن بطة في "باب التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب ويفسدون الإيمان" رقم: «٤٠٠».

(٣) "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة" لابن بطة في "باب التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب ويفسدون الإيمان" رقم: «٤٥٧».

(٤) "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة" لابن بطة في "باب التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب ويفسدون الإيمان" رقم: «٤٠٣».

(٥) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة" لابن بطة في "باب التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب ويفسدون الإيمان" رقم: «٤٠٧».

(٦) "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة" لابن بطة في "باب التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب ويفسدون الإيمان" رقم: «٤٤١».

وقال سفيان الثوري رحمه الله: "من سمع مبتدعاً لم ينفعه الله بما سمع، ومن صافحه فقد نقض الإسلام عروةً عروةً" [(١)].

قال الإمام مالك: "وكان يقال لا تُمكن زائغ القلب من أذنيك فإنك ما تدري ما يعلمك من ذلك"[(٢)].

"والهجر الشرعي نوعان:

أحدهما: بمعنى الترك للمنكرات.

والثاني: بمعنى العقوبة عليها.

فالنوع الأول: هو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].. فهذا يراد به أنه لا يشهد المنكرات لغير حاجة مثل قوم يشربون الخمر يجلس عندهم، وقوم دعوا إلى وليمة فيها خمر وزمر لا يجيب دعوتهم، وأمثال ذلك...

النوع الثاني: الهجر على وجه التأديب، وهو هجر من يظهر المنكرات، يهجر حتى يتوب منها، كما هجر النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون الثلاثة الذين خلفوا حتى أنزل الله توبتهم، حين ظهر منهم ترك الجهاد المتعين عليهم بغير عذر"[(٣)].

والتحذير من المجالسة والاستماع لأهل البدع والأهواء فجاء لأسباب منها:

أولًا: أن المجالسة قد تكون سببًا للدخول في بدع أهل الأهواء وضلالاتهم.

لأنه في مقابل كل بدعة تهدم سنة، وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام أيضاً: "من أسباب هذه الاعتقادات والأحوال الفاسدة الخروج عن الشِّرعة والمنهاج الذي بعث به الرسول صلى

---

(١) الأمر بالاتباع، للسيوطي، »ص: ١٩».

(٢) الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ لابن أبي زيد القيرواني «١/ ١١٩».

(٣) مجموع الفتاوى «٢٨/٢٠».

الله عليه وسلم إلينا، فإن البدع هي مبادئ الكفر ومظان الكفر، كما أن السنن المشروعة هي مظاهر الإيمان، ومقوية للإيمان، فإنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية"[(١)].

ثانيًا: وأنها سبب لدخول الشبه والشكوك.

فعَنْ أَبِي قِلَابَةَ، قَالَ: "لَا تُجَالِسُوا أَصْحَابَ الْأَهْوَاءِ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ، أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ بَعْضَ مَا تَعْرِفُونَ"[(٢)].

وعَنْ عَمْرِو ابْنِ قَيْسٍ، قَالَ: كَانَ يُقَالُ: "لَا تُجَالِسْ صَاحِبَ زَيْغٍ، فَيُزِيغَ قَلْبَكَ"[(٣)].

ثالثًا: أنها ممرضة للقلوب.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "لَا تُجَالِسْ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، فَإِنَّ مُجَالَسَتَهُمْ مُمْرِضَةٌ لِلْقُلُوبِ"[(٤)].

وعَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: "لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، فَإِنَّ مُجَالَسَتَهُمْ مُمْرِضَةٌ لِلْقُلُوبِ"[(٥)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "الشرائع أغذية القلوب، فمتى اغتذت القلوب بالبدع لم يبق فيها فضل للسنن، فتكون بمنزلة من اغتذى بالطعام الخبيث"[(٦)].

رابعًا: أن في ذلك مساواة بين الحق والباطل.

قِيلَ لِلْأَوْزَاعِيِّ: إِنَّ رَجُلًا يَقُولُ: أَنَا أُجَالِسُ أَهْلَ السُّنَّةِ، وَأُجَالِسُ أَهْلَ الْبِدَعِ، فَقَالَ

---

(١) مجموع الفتاوى «١٠/ ٥٦٥».

(٢) "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة" لابن بطة في "باب التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب ويفسدون الإيمان" رقم: «٣٦٩».

(٣) "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة" لابن بطة في "باب التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب ويفسدون الإيمان" رقم: «٣٧١».

(٤) "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة" لابن بطة في "باب التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب ويفسدون الإيمان" رقم: «٣٧٦».

(٥) "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة" لابن بطة في "باب التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب ويفسدون الإيمان" رقم: «٣٧٨».

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم «١/ ٢٨١».

الْأَوْزَاعِيُّ: "هَذَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يُسَاوِيَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ"[(١)].

خامسًا: أن المجالسة تدل على المجانسة.

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ [آل عمران: ١١٨].

وقال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: «المرء مع من أحب».[(٢)]

وقال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: «المرء على دين خليله».[(٣)]

وعن يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ الْقَطَّانَ، يَقُولُ لَمَّا قَدِمَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ الْبَصْرَةَ: جَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى أَمْرِ الرَّبِيعِ يَعْنِي ابْنَ صُبَيْحٍ، وَقَدْرُهُ عِنْدَ النَّاسِ، سَأَلَ: أَيُّ شَيْءٍ مَذْهَبُهُ؟ قَالُوا: مَا مَذْهَبُهُ إِلَّا السُّنَّةُ قَالَ: مَنْ بِطَانَتُهُ؟ قَالُوا: أَهْلُ الْقَدَرِ قَالَ: هُوَ قَدَرِيٌّ"[(٤)].

وقال الْفُضَيْلَ ابْنَ عِيَاضٍ: "الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ سُنَّةٍ يُمَالِي صَاحِبَ بِدْعَةٍ إِلَّا مِنَ النِّفَاقِ"[(٥)].

قال الخطابي–رحمه الله–في شرح سنن أبي داود عند شرحه لقوله–صلى الله عليه وسلم–: «لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي».[(٦)] وإنما حذر من صحبة من ليس

---

(١) "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة" لابن بطة في "باب التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب ويفسدون الإيمان" رقم: «٤٣٥».

(٢) أخرجه البخاري حديث «٦١٦٨»، ومسلم حديث «٢٦٤٠».

(٣) أخرجه الإمام أحمد حديث «٨٠٢٨»، وأبو داود حديث: «٤٨٣٣»، والترمذي حديث: «٢٣٧٨».

(٤) "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة" لابن بطة في "باب التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب ويفسدون الإيمان" رقم: «٤٢٦».

(٥) "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة" لابن بطة في "باب التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب ويفسدون الإيمان" رقم: «٤٣٤».

(٦) رواه الترمذي في كتاب الزهد من سننه، باب ما جاء في صحبة المؤمنين «٤/ ٦٠٠» «٢٣٩٥»، وقال: "هذا حديث حسن إنما نعرفه من هذا الوجه"، ورواه ابن حبان في صحيحه «٢/ ٣١٤»، والإمام أحمد «٣/ ٣٨»، وأبو داود في سننه «٤/ ٢٥٩»، والدارمي

=

بتقي وزجر عن مخالطته ومؤاكلته فإن المطاعمة توقع الألفة والمودة في القلوب يقول: لا تؤالف من ليس من أهل التقوى والورع ولا تتخذه جليساً تطاعمه وتنادمه". اهـ[١]

وقال في شــرح حديث «الأرواح جنود مجندة»[٢]: يقول-صــلى الله عليه وســلم-: "إن الأجساد التي فيها الأرواح تلتقي في الدنيا فتأتلف وتختلف على حسب ما جعلت عليه من التشاكل أو التنافر في بدء الخلقة ولذلك ترى البَر الخير يحب شكله ويحن إلى قربه وينفر عن ضده، وكذلك الرَّهِق الفاجر يألف شِكله ويستحسن فعله وينحرف عن ضده". اهـ[٣]

وهذا هو الأصل في التعامل مع أهل البدع ولكن الهجر له ضوابطه الشرعية المبنية على رعاية المصالح ودرء المفاسد، وهذا مما يختلف باختلاف البدعة نفسها، واختلاف مبتدعها، واختلاف أحوال الهاجرين، واختلاف المكان والقوة والضعف، والقلة والكثرة، فلا بد من مراعاة كل هذا.

فمن الأمور التي يجب مراعاتها في أمر الهجر:

الأمر الأول: مراعاة حال الهاجرين

ومن ذلك ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: "وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم وقلتهم وكثرتهم فإن المقصود به-يعني الهجر-زجر المهجور وتأديبه، ورجوع العامة عن مثل حاله، فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفيته كان مشروعاً، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك، بل يزيد الشر، والهاجر ضعيف بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته لم يشرع الهجر؛ بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر، والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف...

«٢/ ١٤٠»، والحاكم وصححه في المستدرك «٤/ ١٤٣»، والطبراني في الأوسط «٣/ ٢٧٧»، وأبو يعلى في مسنده «٢/ ٤٨٤»، والبيهقي في الشعب «٧/ ٤٢»، والمزي في تهذيب الكمال «١٠/ ١٧١»، وغيرهم.

(١) معالم السنن «٤/ ١١٥».

(٢) صحيح البخاري: «٣٣٣٦»، صحيح مسلم: «٢٦٣٨».

(٣) معالم السنن «٤/ ١١٥».

وجواب الأئمة كأحمد وغيره في هذا الباب مبني على هذا الأصل، ولهذا كان يفرق بين الأماكن التي كثرت فيها البدع -كما كثر القدَر في البصرة والتنجيم بخراسان والتشيع بالكوفة- وبين ما ليس كذلك، ويفرق بين الأئمة المطاعين وغيرهم، وإذا عرف مقصود الشريعة سلك في حصوله أوصل الطرق إليه"(١)

الأمر الثاني: التفريق بين من يدعو لبدعته وبين من لا يدعو لبدعته.

فيستثنى في أمر المجالسة والاستماع عند بعض العلماء ما لو كان ذلك الشخص لديه بعض العلم الصحيح ولم يكن في ذات الوقت داعيًا لبدعته.

قال الذهبي: "وعن الحسن بن الربيع قال: كنا نسمع من عبد الوارث، فإذا أقيمت الصلاة ذهبنا، فلم نصل خلفه.

قال: وقيل لعبد الله بن المبارك: كيف رويت عن عبد الوارث، وتركت عمرو بن عبيد؟ قال: إن عمرًا كان داعيا. ومع هذا، فحديثه في الكتب الستة"(٢)

وأما إذا كان داعيا لبدعته فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: "إنّ الدعاة إلى البدع لا تقبل شهادتهم، ولا يصلى خلفهم، ولا يؤخذ عنهم العلم"(٣)

الأمر الثالث: أن بعض أهل البدع قد يحمد من وجه ويذم من وجه.

فلكل أحد حسناته وسيئاته كما قرره شيخ الإسلام ابن تيميّة-رحمه الله-في قوله: "إذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وفجور وطاعة ومعصية، سنة وبدعة، استحق من الموالاة بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة بقدر ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا ومن هذا، كاللص الفقير نقطع يده لسرقته، ويُعطى من بيت المال ما يكفي حاجته، هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنّة

---

(١) مجموع الفتاوى «٢٨/ ٢٠٣».

(٢) سير أعلام النبلاء «٨/ ٣٠١ -٣٠٤».

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: «٢٨/ ٢٠٥.«

والجماعة"[(١)].

وقال ابن تيمية–رحمه الله–: "ومن سلك طريق الاعتدال عظم من يستحق التعظيم وأحبه ووالاه وأعطى الحق حقه، فيعظم الحق ويرحم الخلق، ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات، فيحمد ويذم، ويثاب ويعاقب، ويحب من وجه ويبغض من وجه، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة خلافا للخوارج والمعتزلة ومن وافقهم".[(٢)]

وقال شارح الطحاوية: "والحب والبغض بحسب ما فيهم من خصال الخير والشر، فإن العبد يجتمع فيه سبب الولاية وسبب العداوة، والحب والبغض، فيكون محبوبا من وجه مبغوضا من وجه، والحكم للغالب".[(٣)]

الأمر الرابع: أن أنواع الهجر ثلاثة:

الأول: الهجر ديانة، أي: الهجر لحق الله تعالى، وهو من عمل أهل التقوى، في هجر السيئة، وهجر فاعلها، مبتدعًا أو عاصيًا.

وهذا النوع من الهجر على قسمين:

القسم الأول: هجر ترك: بمعنى هجر السيئات، وهجر قرناء السوء الذين تضره صحبتهم إلا لحاجة أو مصلحة راجحة، قال الله تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: الآية: ٥]، وقال سبحانه: ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: الآية: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: الآية: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: الآية: ١٤٠]، وفي الحديث أن النبي–

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: «٢٨/ ٢٠٩».

(٢) منهاج السنة النبوية «٤/ ٥٤٣».

(٣) شرح العقيدة الطحاوية: «٢/ ٥٤٧».

صلى الله عليه وسلم-قال: «المهاجر من هجر ما نهى الله عنه».[(١)]

القسم الثاني: هجر تعزير: وهذا من العقوبات الشرعية التبصيرية التي يوقعها المسلم على المبتدعة على وجه التأديب، في دائرة الضوابط الشرعية للهجر حتى يتوب المبتدع ويفيء.

وهذا النوع بقسميه من أصول الاعتقاد، والأمر فيه أمر إيجاب في أصل الشرع، ومباحثه في كتب السنن والتوحيد والاعتقاد وغيرها.

النوع الثاني: الهجر لاستصلاح أمر دنيوي، أي الهجر لحق العبد، وفيه جاءت أحاديث الهجر بما دون ثلاث ليال، رواها جماعة من الصحابة-رضي الله عنهم-بأسانيد في الصحيحين وغيرها، وجميعها تفيد أن الشرع لم يرخص بهذا النوع من الهجر بين المسلمين إلا بما دون ثلاث ليال. وليس هو مجال حديثنا.

النوع الثالث: الهجر قضاء، وهو من العقوبات التعزيرية للمعتدين، وهذا يبحثه الفقهاء في باب التعزير.[(٢)]

وأما المجادلة والمناظرة لأهل البدع:

فإن الأصل كما تقدم عدم مجادلتهم ومناظرتهم لكن هذا الأصل له استثناء حيث ورد عن السلف أنهم ناظروا أهل البدع والأهواء، وفي شأن هذا الأمر يفصل الأمر لنا شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول: "ولعل الراجح في المسألة أن الأمر يختلف باختلاف المِصْلَحَةِ.

١-فإن كان الخصم في مقام دعوة الناس إلى قوله وإلزام الناس بها أمكن أن يقال له: لا يجب على أحد أن يجيب داعياً إلا إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما لم يثبت أن الرسول دعا الخلق إليه لم يكن على الناس إجابة من دعا إليه، ولا له دعوة الناس إلى ذلك، ولو قدر أن ذلك المعنى حق.

وهذه الطريق تكون أصلح إذا لَبَّسَ مُلَبِّسٌ منهم على ولاة الأمور، وأدخلوه في بدعتهم،

---

(١) أخرجه البخاري «١٠» واللفظ له، ومسلم «٤٠» مختصرًا.

(٢) من رسالة «هجر المبتدع»، بتصرف.

كما فعلت الجهمية بمن لبسوا عليه من الخلفاء حتى أدخلوه في بدعتهم من القول بخلق القرآن وغير ذلك، فكان من أحسن مناظرتهم أن يقال: إئتونا بكتاب أو سنة حتى نجيبكم إلى ذلك وإلا فلسنا نجيبكم إلى ما لم يدل عليه الكتاب والسنة.

وهذا لأن الناس لا يفصـل بينهم النزاع إلا كتاب منزل من السـماء، وإذا ردوا إلى عقولهم فلكل واحد منهم عقل، وهؤلاء المختلفون يدعي أحدهم أن العقل أدَّاه إلى علم ضـــروري ينازعه فيه الآخر، فلهذا لا يجوز أن يجعل الحاكم بين الأمة في موارد النزاع إلا الكتاب والسنة.

وبهذا ناظر الإمام أحمد الجهمية لما دعوه إلى المحنة، وصـار يطالبهم بدلالة الكتاب والسـنة على قولهم.

فلما ذكروا حججهم كقوله تعالى: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَـيْءٍ﴾ [الأنعام ١٠٢]، وقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾ [الأنبياء ٢]، وقول النبي صـلى الله عليه وسـلم: "تجيء البقرة وآل عمران"، وأمثال ذلك من الأحاديث.

أجابهم عن هذه الحجج بما بين به أنها لا تدل على مطلوبهم.

ولما قالوا: ما تقول في القرآن أهو الله أو غير الله؟ عارضـهم بالعلم فقال: ما تقولون في العلم أهو الله أو غير الله؟ ولما ناظره أبو عيسـى محمد بن عيسـى برغوث-وكان من أحذقهم بالكلام-ألزمه التجسيم، وأنه إذا أثبت لله كلاماً غير مخلوق لزم أن يكون جسماً.

فأجابه الإمام أحمد: بأن هذا اللفظ لا يُدرى مقصـود المتكلم به، وليس له أصـل في الكتاب والسنة والإجماع، فليس لأحد أن يلزم الناس أن ينطقوا به ولا بمدلوله.

وأخبره أني أقول: هو أحد، صمد، لم يلد ولم يلد، ولم يكن له كفواً أحد، فبين أني لا أقول هو جسم ولا ليس بجسم، لأن كلا الأمرين بدعة محدثة في الإسلام، فليست هذه من الحجج الشرعية التي يجب على الناس إجابة من دعا إلى موجبها، فإن الناس إنما عليهم إجابة الرسول فيما دعاهم إليه وإجابة من دعاهم إليه رسـول الله-صـلى الله عليه وسـلم-، لا إجابة من دعاهم إلى قول مبتدع، ومقصود المتكلم بها مجمل لا يُعرف إلا بعد الاستفصال والاستفسار، فلا هي معروفة في الشرع، ولا معروفة بالعقل إن لم يستفسر المتكلم بها.

فهذه المناظرة ونحوها هي التي تصلح إذا كان المناظر داعياً.

٢-وأما إذا كان المناظر معارضاً للشرع بما يذكره، أو ممن لا يمكن أن يرد إلى الشريعة.

مثل من لا يلتزم الإسلام ويدعو الناس إلى ما يزعمه من العقليات أو ممن يدَّعي أن الشرع خاطب الجمهور، وأن المعقول الصريح يدل على باطن يخالف الشرع، ونحو ذلك.

أو كان الرجل ممن عرضت له شبهة من كلام هؤلاء.

فهؤلاء لابد في مخاطبتهم من الكلام على المعاني التي يدعونها إما:

١-بألفاظهم.

٢-وإما بألفاظ يوافقون على أنها تقوم مقام ألفاظهم.

وحينئذ يقال لهم الكلام إما:

أ-أن يكون في الألفاظ.

ب-وإما أن يكون في المعاني.

ج-وإما أن يكون فيهما.

فإن كان الكلام في المعاني المجردة من غير تقييد بلفظ كما تسلكه المتفلسفة ونحوهم ممن لا يتقيد في أسماء الله وصفاته بالشرائع بل يسميه علة وعاشقًا ومعشوقًا ونحو ذلك.

فهؤلاء إن أمكن نقل معانيهم إلى العبارة الشرعية كان حسناً.

وإن لم يمكن مخاطبتهم إلا بلغتهم، فبيان ضلالهم ودفع صيالهم عن الإسلام بلغتهم أولى من الإمساك عن ذلك لأجل مجرد اللفظ. كما لو جاء جيش كفار ولا يمكن دفع شرهم عن المسلمين إلا بلبس ثيابهم، فدفعهم بلبس ثيابهم خير من ترك الكفار يجولون في خلال الديار خوفاً من التشبه بهم في الثياب.

وأما إذا كان الكلام مع من قد يتقيد بالشريعة.

فإنه يقال له: إطلاق هذه الألفاظ نفياً وإثباتاً بدعة، وفي كل منها تلبيس وإيهام، فلابد من الاستفسار والاستفصال؛ أو الامتناع عن إطلاق كلا الأمرين في النفي والإثبات.

وقد ظن طائفة من الناس أن ذم السلف والأئمة للكلام إنما لمجرد ما فيه من الاصطلاحات

المحدثة كلفظ «الجوهر» و«الجسم» و«العرض»، وقالوا: إن مثل هذا لا يقتضي الذم، كما لو أحدث الناس آنية يحتاجون إليها، أو ســـلاحاً يحتاجون إليه لمقاتلة العدو، وقد ذكر هذا صاحب الإحياء وغيره.

وليس الأمر كذلك: بل ذمهم للكلام لفســـاد معناه أعظم من ذمهم لحدوث الألفاظ، فذموه لاشــتماله على معان باطلة مخالفة للكتاب والســنة، ومخالفته للعقل الصــريح، ولكن علامة بطلانها مخالفتها للكتاب والسـنة، وكل ما خالف الكتاب والسـنة فهو باطل قطعاً. ثم من الناس من يعلم بطلانه بعقله، ومنهم من لا يعلم ذلك.

وأيضــاً: فإن المناظرة بالألفاظ المحدثة المجملة المبتدعة المحتملة للحق والباطل إذا أثبتها أحد المتناظرين ونفاها الآخر كان كلاهما مخطئاً، وأكثر اختلاف العقلاء من جهة اشـتراك الأسماء، وفي ذلك من فساد العقل والدين ما لا يعلمه إلا الله.

فإذا رد الناس ما تنازعوا فيه إلى الكتاب والســـنة فالمعاني الصـــحيحة ثابتة فيهما، والمحق يمكنه بيان ما يقوله من الحق بالكتاب والسنة.(١)

وقال ابن عثيمين: "المجادلة والمناظرة نوعان:

النوع الأول: مجادلة مماراة: يماري بذلك السـفهاء، ويجاري العلماء، ويريد أن ينتصـر قوله؛ فهذه مذمومة.

النوع الثاني: مجادلة لإثبات الحق وإن كان عليه؛ فهذه محمودة مأمور بها.(٢)

وقال الكرماني: "الجدال: هو الخصام، ومنه قبيح وحسن وأحسن؛ فما كان للفرائض فهو أحسن، وما كان للمستحبات فهو حسن، وما كان لغير ذلك فهو قبيح"(٣).

فهذه الخصومات وهذا الجدل وهذا المِراء أمرٌ محدَث لا يُوجِد إلا الشك في القلوب ويبعِد

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل «١/ ٢٢٨-٢٣٣».

(٢) العلم «ص: ١٦٤».

(٣) فتح الباري لابن حجر «١١/ ٣١٤».

عن الحق، ومهما حصل من نفع منه في بعض الأحيان، فهو يسير لكن شره وفير، وقد يقول هؤلاء: نحن نخاصم به أهل الباطل، الذي لا يؤمن بالقرآن والسنَّة، وهذه حجة باطلة فهؤلاء لا الإسلام نصروا ولا الباطل كسروا، فالقرآن، خاطب الكفار وخاطب المشركين وخاطب أهل الكتاب، خاطبهم بقال الله وقال الرسول، وفيه من الحجج والبراهين ما يكفي لبيان الحق ودفع الباطل، ففي القرآن والسنَّة من الأدلة العقلية واليقينية ما يغني ويشفي ولسنا بحاجة إلى فلسفةٍ ولا إلى علم كلام.

١٨- فضل الصحابة رضي الله عنهم

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: المفاضلة بين العباد أمرٌ بيد الله -عز وجل-.

المسألة الثانية: المفاضلة بين الصحابة.

المسألة الثالثة: عدالة الصحابة.

المسألة الرابعة: الأدلة على عدالة الصحابة.

المسألة الخامسة: وجوب اتباع سبيلهم.

المسألة السادسة: وجوب محبتهم.

المسألة السابعة: القول بعدالة الصحابة لا يعني عصمتهم.

المسألة الثامنة: الإمساك عما شجر بينهم.



[١٨]- قال المصنف رحمه الله: ويقال بفضل خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصدِّيق فهو أفضل الخلق وأخيرهم بعد النبي ﷺ ونثني بعده بالفاروق، وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فهما وزيرا رسول الله ﷺ وضجيعاه في قبره، ونثلث بذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم بذي الفضل والتقى علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين. ثم الباقين من العشرة الذين أوجب الهم رسول الله ﷺ الجنة، ونخلص لكل رجل منهم من المحبة بقدر الذي أوجب لهم رسول الله ﷺ من التفضيل، ثم لسائر أصحابه من بعدهم رضي الله عنهم أجمعين. ويقال بفضلهم ويذكرون بمحاسن أفعالهم، ونمسك عن الخوض فيما شجر بينهم؛ فهم خيارُ أهل الأرض بعد نبيهم، ارتضاهم الله عز وجل لنبيه، وجعلهم أنصارًا لدينه؛ فهم أئمة الدِّين، وأعلام المسلمين، رضي الله عنهم أجمعين.

الشرح

المسألة الأولى: المفاضلة بين العباد أمرٌ بيد الله-عز وجل-.

المفاضلة بين العباد أمرٌ بيد الله-عز وجل-وما كان بيد الله-عز وجل-فهو ملكه، والله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: الآية: ٦٨]، فالله اختار أن يفضل فلان على فلان من الناس وهذه المفاضلة قد تكون في المال، وقد تكون في العلم، وقد تكون في النسب، وقد تكون في أمورٍ متعددة فهذا فضل الله سبحانه وتعالى، وفضل الله يؤتيه من يشاء سبحانه وتعالى.

والله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: الآية: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [النحل: الآية: ٧١].

وكتب عمر-رضي الله عنه-رسالة إلى أبي موسى الأشعري، يقول له فيها: واقنع برزقك من الدنيا، فإن الرحمن فضَّل بعض عباده على بعض في الرزق، بلاء يبتلي به كلًا، فيبتلي من بسط

له، كيف شكره لله وأداؤه الحق الذي افترض عليه فيما رزقه وخوله، رواه ابن أبي حاتم. [(١)]

فقد يُفاضل الله-سبحانه وتعالى-بين الذكر والأنثى، قد يفاضل الله-سبحانه وتعالى-بين الإخوة، وقد يفاضل الله-سبحانه وتعالى-بين بني الجنس الواحد، كل ذلك تحت قدرته، وتحت إرادته-سبحانه وتعالى-حتى في الأولاد، ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: الآيتان: ٤٩-٥٠]، فقد يكون الإنسان عقيمًا، وقد يكون ذا أولاد من الذكور أو الإناث أو من الذكور والإناث.

فالإنسان في هذا الكون يسير على قدر الله-سبحانه وتعالى-، والله-سبحانه وتعالى-هو المتصرف والمدبر لأمر هذا الكون كله، وكله ابتلاء، فالنعمة ابتلاء وضدها ابتلاء، ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: الآية: ٢]، كل أمرٍ نحن فيه هو ابتلاء.

ليرى الله عز وجل منك ما أنت صانع وما أنت فاعل، فإذاً هذه المفاضلة موجودة، ولا شك أن أهل الإيمان أفضل من الكفار، وأكبر نعمة منها الله عز وجل على الإنسان أن هداه لهذا الدين، والله سبحانه وتعالى سماه نعمة، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: الآية: ٣]، فسماها نعمة ولا شك أنها أعظم النعم على العبد أن هداه الله-عز وجل-لنعمة الإسلام.

المسألة الثانية: المفاضلة بين الصحابة.

والصحابة هم في الفضل متفاوتون؛ فمن أنفق قبل الفتح «صُلح الحديبية» لا يستوي مع مَن أنفق بعده، وكذلك المهاجرون مُقَدَّمون على الأنصار، ويأتون في الفضل على مراتب؛ فأهل بدر، ثم أهل بيعة الرِّضوان، ثم من جاء بعدُ.

وقد جاء في فضل أهل بدر؛ قوله-صلى الله عليه وسلم-: «**لعلَّ الله اطَّلع إلى أهل بدر،**

(١) الدر المنثور: «٥/ ١٠٦» وعزاه لابن أبي حاتم.

فقال: اعملوا ما شِئتم، فقد وَجَبت لكم الجنة–أو–فقد غفرتُ لكم»[١]، وقال الله–جل وعلا–عن أهل بيعة الرضوان: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾ [الفتح: الآية: ١٨]، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.

أولاً: هذه المسائل المتعلقة بالمفاضلة بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يذكرها العلماء دائماً توطئة لمسائل الخلافة والإمامة.

فمسألة تفضيل أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم على باقي الصحابة، ويدخل فيها مسألة تفضيل عثمان على علي.

وأهل السنة يعتقدون بأن خير هذه الأمة بعد النبي–صلى الله عليه وسلم–أبو بكر وعمر وعثمان، ثم علي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح، ثم بعد ذلك يأتي بقية العشرة، ثم يأتي بعد هذا أهل بدر، ثم يأتي بعد ذلك أهل بيعة شجرة الرضوان، ثم بعد ذلك يأتي أهل الفتح فتح مكة ثم بعد ذلك يتوالى الفضل بحسب أقدمية ذلك الذي أسلم من الصحابة.

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "ويقرُّون بما تَوَاتَرَ به النَّقْلُ عن أميرِ المؤمنينَ عليِّ بْنِ أبي طالبٍ–رضي الله عنه–وغيرِه، مِن أَنَّ خَيْرَ هذه الأُمَّةِ بعد نَبِيِّهَا: أبو بكرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ويثَلِّثُونَ بِعُثْمَان، ويُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ–رضي الله عنهم أجمعين–، كما دلَّت عليه الآثارُ"[٢]

وقد أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة، وإن كان بعض السلف قد اختلفوا في التفضيل بين عثمان وعلي–فإنهم لم يختلفوا في الترتيب في البيعة للخلافة، وكل مَن خالف الترتيب في الخلافة فإنه من أهل البدع.

وترتيب أهل السنة: "أبو بكرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ويثَلِّثُونَ بِعُثْمَان، ويُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ–رضي الله عنهم

---

(١) أخرجه البخاري «٣٩٨٣» ومسلم «٢٤٩٤» من حديث علي بن أبي طالب–رضي الله عنه–.

(٢) مجموع الفتاوى «٢/ ٩١».

أجمعين-".

وإن كان ثَمَّ خلاف في التفضيل بين عثمان وعليٍّ، ولكنه لا يترتب عليه أي أثر في الانتساب لأهل السنة؛ "فقدَّم قومٌ عثمانَ، وسكتوا، وربَّعوا بعليٍّ، وقدَّم قومٌ عليًّا، وقومٌ توقَّفوا، لكن استقرَّ أمرُ أهلُ السُّنَّة على تقديم عُثْمَان ثم عليٍّ".

كانتْ هذه المسْأَلَةُ «مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وعليٍّ» ليستْ من الأصولِ التي يُضَلَّلُ المخالفُ فيها عند جمهورِ أَهْلِ السُّنَّة، لكن التي يُضَلَّلُ فيها مسألةُ الخلافةِ؛ وذلك لأنهم يؤمنون أنَّ الخليفةَ بَعْدَ رسولِ الله-صلى الله عليه وسلم-أبو بكرٍ، ثم عمرُ، ثم عثمانُ، ثم عليٌّ، ومَن طَعَنَ في خلافة أحدٍ مِن هؤلاء فهو أضلُّ مِن حِمَارِ أَهْلِهِ».

فلهم مِن الفضل ومِن المكانة ما هو مُجمع عليه بين أهل السُّنَّة.

ثانيًا: ذكر تفاضل الأربعة رضوان الله عليهم. (١)

أجمع الصحابة-رضوان الله عليهم-على تفضيل أبي بكر وتقديمه على سائر الصحابة ثم تفضيل عمر بعده على عثمان ثم عثمان بعد عمر على من بعده-رضوان الله عليهم-، وكانوا يتحدثون بذلك في زمن النبي-صلى الله عليه وسلم-وهو يسمعهم فلا ينكره، ثم أجمعوا على تقديم علي بعد عثمان فقدموه وبايعوه بالخلافة.

فالصـحابة مجمعون على تفضـيل أبي بكر على عمر ثم عمر على عثمان ثم عثمان على علي-رضي الله عنهم أجمعين-، وتفضيل أبي بكر على عمر بلا خلاف.

ولقد اتفق-الناس-الصحابة وغيرهم-بعد مقتل عمر-رضي الله عنه-على تفضيل عثمان، حكى هذا الاتفاق صـاحب رسـول الله-صـلى عليه وسـلم-، عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود-رضي الله عنهما-، أما عبد الرحمن فقد قال في قصة بيعة عثمان-رضي الله عنه- لما اختاره للخلافة بعد عمر: "أما بعد، يا علي إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون

(١) المصدر: مباحث المفاضلة في العقيدة: «ص: ٢٥٢-٢٦٤».

بعثمان"[١] وكان قد قال-رضي الله عنه-قبل ذلك للشيخين عثمان وعلي-رضي الله عنهما- حين التشاور: "أفتجعلونه-« يعني أمر الاختيار»-إلي والله على أن لا آلو عن أفضلكم"[٢] وقال عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-لما استخلف عثمان: " أمرنا خير من بقي ولم نأل"[٣] وقال-رضي الله عنه-: "إنا اجتمعنا أصحاب محمد فلم نأل عن خيرنا ذي فوق فبايعنا أمير المؤمنين عثمان".[٤]

وقال الإمام أحمد: "لم يكن بين أصحاب رسول الله اختلاف إن عثمان أفضل من علي"[٥]

ومضى اعتقاد أهل السنة والجماعة على ذلك إلا ما كان من خلاف يسير في المفاضلة بين عثمان وعلي أيهما أفضل؟ بعد أن أجمعوا على تقديم أبي بكر وعمر عليهما في الفضل بلا خلاف.

وتفضيل أبي بكر على عمر بلا خلاف.

قال الشافعي-رحمه الله-«ت: ٢٠٤ هـ»: "ما اختلف أحد من الصحابة والتابعين في تفضيل أبي بكر وعمر وتقديمهما على جميع الصحابة وإنما اختلف من اختلف منهم في علي وعثمان". قال البيهقي-رحمه الله-«ت: ٤٥٨ هـ»، -بعد ذكره قول الشافعي هذا بسنده-:

---

(١) أخرجه البخاري انظره مع الفتح «١٣/ ١٩٤»، وقد كان عبد الرحمن-رضي الله عنه-قد اجتهد غاية الاجتهاد قال ابن كثير في الباعث الحثيث «ص: ١٥٥»: "حتى سأل النساء في خدورهن والصبيان في المكاتب فلم يرهم يعدلون بعثمان أحدًا".

(٢) أخرجه البخاري انظره مع الفتح «٧/ ٦١».

(٣) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة «١/ ٤٦١»، قال المحقق: "إسناده صحيح"، وابن سعد في الطبقات «٣/ ٦٣»، والفسوي في المعرفة والتاريخ «٢/ ٧٦٠»، والخلال في السنة «ص: ٣٨»، وقال الهيثمي في المجمع «٩/ ٨٨»: "رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح"، وأخرجه اللالكائي في الشرح «٧/ ١٣٤٢».

(٤) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة «١/ ٢٩٦، ٤٦٣»، قال المحقق في «ص: ٢٩٦»: "رجال الإسناد ثقات، وقال في «ص: ٤٦٧»: "إسناده حسن"، وأخرجه ابن سعد في الطبقات «٣/ ٦٣»، والفسوي في المعرفة والتاريخ «٢/ ٧٦١»، وأخرجه اللالكائي في الشرح. «٧/ ١٣٤٢».

(٥) السنة للخلال «ص: ٣٩٢».

"وروينا عن جماعة من التابعين وأتباعهم نحو هذا"[١]

وقال يحيى بن سعيد القطان-رحمه الله-«ت: ١٩٨ هـ»: "من أدركت من أصحاب النبي والتابعين لم يختلفوا في أبي بكر وعمر وفضلهما إنما كان الاختلاف في علي وعثمان[٢] والخلاف الذي وقع في ذلك خلاف يسير، وما وقع إلا في المفاضلة بينهما، وتقديم أحدهما على الآخر في الفضل دون الخلافة، فإنهم مجمعون بلا خلاف على تقديم عثمان على علي في الخلافة، وعلى صحة الخلافتين، ثم إن ذاك الخلاف قد انقضى واستقر أمر أهل السنة على تفضيل عثمان على علي ورجع بعض من قال بتقديم علي إلى تقديم عثمان.

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي-رضي الله عنهما-بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر، أيهما أفضل، فقدم قوم عثمان وسكتوا وربعوا بعلي، وقدم قوم عليا، وقوم توقفوا، قال: "لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان على علي، وإن كانت هذه المسألة-مسألة عثمان وعلي-ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة، لكن التي يضلل فيها هي مسألة الخلافة، وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله"[٣]

قال ابن حجر-رحمه الله-«ت: ٨٥٢ هـ»: "الإجماع انعقد بأخره بين أهل السنة أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة"[٤]

وروى ابن عبد البر-رحمه الله-«ت: ٤٦٣ هـ» بسنده أن مالكًا سُئل: من تقدم بعد رسول الله؟ قال أقدم أبا بكر وعمر ولم يزد على هذا. وروى أيضا قول مالك: "ليس من أمر

---

(١) الاعتقاد «ص: ٣٦٩».

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة «٧/ ١٣٦٧».

(٣) العقيدة الواسطية-ضمن المجموعة العلمية السعودية-«ص: ٨٦».

(٤) فتح الباري «٧/ ٣٤».

الناس الذين مضوا عليه أن يفاضلوا بين الناس"[(١)]

ولقد روى الخلال-رحمه الله-«ت: ٣١١ هـ» بسنده عن أيوب السختياني-رحمه الله- «ت: ١٣١ هـ» أنه قال: "دخلت المدينة والناس متوافرون القاسم بن محمد وسليمان وغيرهما فما رأيت أحدًا يختلف في تقديم أبي بكر وعمر وعثمان"[(٢)]

هذا، وقد ذكر **ابن حزم-رحمه الله-«ت: ٤٥٦ هـ»** [(٣)] عن بعض السلف من الصحابة وغيرهم سمى بعضهم، أن منهم من قال: أفضل الناس بعد النبي-صلى الله عليه وسلم-جعفر بن أبي طالب ومنهم من قال وبعد جعفر حمزة، وأن منهم من قال إن أفضل الناس بعد النبي-صلى الله عليه وسلم-عبد الله بن مسعود، وغير ذلك مما ذكره ابن حزم عن بعض السلف من غير أن يذكر إسنادًا؛ لما رواه عنهم.

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "وأما ما يحكي عن بعض المتقدمين من تقديم جعفر وتقديم طلحة أو نحو ذلك فذلك في أمور مخصوصة لا تقديمًا عامًا وكذلك ما ينقل عن بعضهم في علي"[(٤)]

ويشهد لما قاله ابن تيمية من كلام **ابن حزم-رحمه الله-«ت: ٤٥٦ هـ»** نفسه فقد حمل ما ورد عن أم سلمة-رضي الله عنها-في ذكرها زوجها قبل النبي-صلى الله عليه وسلم-على أنه مذهبها في التفضيل، قال: "وروينا عن أم سلمة أم المؤمنين-رضي الله عنها-«ت: مابين ٥٧ إلى ٦٤ هـ»، أنها تذكرت الفضل ومن هو خير فقالت: ومن هو خير من أبي سلمة أول بيت هاجر إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم-[(٥)]، والمروي عن أم سلمة في ذلك ما جاء في

---

(١) الانتقاء «ص: ٣٠، ٣٩».

(٢) السنة «ص: ٤٠٣».

(٣) انظر الفصل «٤/ ١١١».

(٤) منهاج السنة «٢٢/ ٧٤».

(٥) الفصل «٤/ ١١١».

سياق قصة زواجها بالنبي–صلى الله عليه وسلم–من قولها: "فلما توفي أبو سلمة استرجعت وقلت اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيرا منه"، قال: "ثم رجعت إلى نفسي قلت: من أين لي خير من أبي سلمة، فلما انقضت عدتي استأذن علي رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، فذكرت قصة خطبة النبي لها ثم زواجها منه–صلى الله عليه وسلم–حتى قولها: "فقد أبدلني الله بأبي سلمة خيرًا منه رسول الله–صلى الله عليه وسلم–[١] وحمل ما ورد في هذه الرواية عن أم سلمة أنه مذهبها وقولها في أفضل الناس بعد رسول الله–كما حمله ابن حزم–عجيب غاية العجب، ولقد وردت أحاديث في تفضيل أعيان من الصحابة كل واحد في أمر مخصوص كما في حديث: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرؤهم أبي ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»[٢] ونحو ذلك من الأحاديث ومن قال من السلف مثلا أفرض الصحابة زيد فليس هذا قول منه بأنه أفضل الصحابة بعد النبي وإن توهم الواهم ذلك.

وقد روى الذهبي–رحمه الله–«ت: ٧٤٨ هـ» بسنده **عن أبي هريرة–رضي الله عنه–«ت: ٥٧ هـ»**، أنه قال: "وما احتذى النعال ولا ركب المطايا ولا ركب الكور رجل أفضل من جعفر". ثم **قال الذهبي–رحمه الله–«ت: ٧٤٨ هـ»**: "هذا ثابت عن أبي هريرة، ولا ينبغي أن يزعم زاعم أن مذهبه: أن جعفرًا أفضل من أبي بكر وعمر، فإن هذا الإطلاق ليس هو على عمومه، بل يخرج منه الأنبياء والمرسلون، فالظاهر أن أبا هريرة لم يقصد أن يدخل أبي بكر ولا عمر–رضي الله عنهم–"[٣]

ومن قبيل ما ذكره **ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ» ما حكاه الخطابي–رحمه الله–**

---

(١) أخرجه أحمد في المسند «٤/ ٢٧، ٢٨»، «٦/ ٣١٣، ٣١٧، ٣٢١»، والحاكم «٤/ ١٦»، وصححه ووافقه الذهبي، وانظر الفتح الرباني «٢١/ ٦٧، ٦٨»، وأصله في صحيح مسلم «٢/ ٦٣٣».

(٢) أخرجه الترمذي «٥/ ٦٢٣»، وابن ماجه «١/ ٢٥٥»، وأحمد في المسند «٣/ ١٨٤، ٢٨١».

(٣) السير «١٤/ ٥٠٦».

«**ت: ٣٨٨ هـ**» عن بعض المتأخرين إذ قال: "وللمتأخرين في هذا مذاهب، منهم من قال بتقديم أبي بكر من جهة الصحابة وبتقديم علي من جهة القرابة".

قال: وكان بعض مشايخنا يقول: أبو بكر خير وعلي أفضل قال: وباب الخيرية غير باب الفضيلة، قال: وهذا كما تقول: إن الحر الهاشمي أفضل من العبد الرومي والحبشي، وقد يكون العبد الحبشي خيرًا من هاشمي في معنى الطاعة لله والمنفعة للناس، فباب الخيرية متعد وباب الفضيلة لازم[(١)] وهذا الذي حكاه الخطابي هو في معنى ما تقرر من أنه قد تكون في المفضول فضيلة لا توجد في الفاضل من غير أن ينال ذلك من تفضيل الفاضل على المفضول، والله أعلم.

وكان **ابن عبد البر**–**رحمه الله**–«**ت: ٤٦٣ هـ**» قال: "اختلف السلف أيضا في تفضيل علي وأبي بكر"[(٢)]

قال الزركشي–رحمه الله–«ت: ٧٩٤ هـ»: "قد غلط في ذلك ووهم"[(٣)] كيف وهو نفسه ممن نقل اجتماع السلف والخلف على أن عليا أفضل الناس بعد عثمان"[(٤)]

وحاصل ما كان عليه أهل السنة في المفاضلة بين عثمان وعلي قبل انعقاد إجماعهم على تفضيل عثمان ثلاثة مذاهب:

الأول: تفضيل عثمان ثم علي–وكان مذهب الجمهور.

الثاني: تفضيل علي ثم عثمان–وكان قد ظهر في أهل الكوفة.

الثالث: التوقف عن المفاضلة بينهما، وكان قد ظهر في أهل المدينة.

فالمذهب الأول: هو الذي كان عليه عامة أهل السنة كما قال ابن عبد البر–رحمه الله–

---

(١) معالم السنن–بهامش المختصر– «٧/ ١٨، ١٩».

(٢) الاستيعاب –بهامش الإصابة– «٣/ ٥٢».

(٣) الإجابة «ص: ٥٤».

(٤) انظر الاستيعاب «٣/ ٥٢».

«ت: ٤٦٣ هـ»[١] والخطابي –رحمه الله– «ت: ٣٨٨ هـ»[٢]، وابن حجر –رحمه الله– «ت: ٨٥٢ هـ»[٣] وغيرهم، وفي هؤلاء من توقف في التفضيل عند عثمان فقال بتفضيل عثمان بعد عمر وسكت على ذلك، مع اعتقاده بالتربيع بعلي، وإنما قصد بالتوقف عند عثمان الاقتداء بحديث ابن عمر المتقدم، وهم لا يقدمون على علي أحدًا بعد الثلاثة، ومن هؤلاء أحمد بن حنبل –رحمه الله– «ت: ٢٤١ هـ»، وصرح رحمه الله بأن التوقف عند عثمان إنما هو عمل بحديث ابن عمر فقال: نقول أبو بكر وعمر وعثمان ونسكت، على حديث ابن عمر"[٤]

وقال رحمه الله: "فإن قال قائل من بعد عثمان؟ قلت: علي"[٥]

وقال –رحمه الله– لمن سأله عمن قال: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، قال: "أذهب إليه، ويعجبني أن أقول أبو بكر وعمر وعثمان وأسكت، وإن قال رجل: وعلي، لم أعنفه، ولا يعجبني هذا القول".

قال ابن عمر –رضي الله عنه– «ت: ٧٣ هـ»: "أبو بكر وعمر وعثمان، ونترك أصحاب رسول الله له لا نفضل بينهم"[٦]

وقال –رحمه الله–: "من وقف على عثمان ولم يربع بعلي فهو على غير السنة"[٧]

وهذا المسلك مروي عن جماعة من أئمة أهل السنة كيحيى بن معين –رحمه الله– «ت: ٢٣٣ هـ»، وبشر بن الحارث –رحمه الله– «ت: ٢٢٧ هـ»، ويزيد بن زريع –رحمه الله– «ت: ١٨٢ هـ»، ومحمد بن عبيد –رحمه الله– «ت: ٢٠٤ هـ»، وعبد الله بن المبارك –رحمه الله– «ت: ١٨١

---

(١) الاستيعاب «٣/ ٥٤».

(٢) معالم السنن –بهامش المختصر– «٧/ ١٨».

(٣) فتح الباري «٧/ ١١».

(٤) السنة للخلال «ص: ٣٩٧».

(٥) السنة للخلال «ص: ٤. ٥».

(٦) السنة للخلال «ص: ٤–٥».

(٧) طبقات الحنابلة «١/ ٣١٣».

هـ»، وغيرهم[١]، وسبق بيان أن ما ورد في حديث ابن عمر من السكوت عن علي متأول بأمور منها أن الإجماع المنعقد على تقديم علي بعد عثمان إنما حدث بعد الزمن الذي قيده ابن عمر.

وأما المذهب الثاني: وهو تفضيل علي ثم عثمان بعد أبي بكر وعمر فهو كان مذهب عامة أهل الكوفة.

قال الخطابي-رحمه الله-«ت: ٣٨٨ هـ»: "ذهب أكثر أهل الكوفة إلى تقديمه-يعني عليا-على عثمان رضي الله عنهما قال: "وحدثني محمد بن هاشم حدثنا أبو يحي بن أبي ميسرة عن عبد الصمد قال: قلت **لسفيان الثوري-رحمه الله-«ت: ١٦١ هـ»**: "ما قولك في التفضيل؟ فقال: أهل السنة من أهل الكوفة يقولون: أبو بكر وعمر وعلي وعثمان، وأهل السنة من أهل البصرة يقولون: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، قلت: فما تقول أنت؟ قال: أنا رجل كوفي.

قال الخطابي-رحمه الله-«ت: ٣٨٨ هـ»: "قلت: وقد ثبت عن سفيان أنه قال في آخر قوليه: "أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم"[٢]، وكما رجع سفيان الثوري رجع غيره من أهل الكوفة. كما قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "إن سفيان الثوري وطائفة من الكوفة رجحوا علياً ثم عثمان، ثم رجع عن ذلك سفيان وغيره"[٣]

وقال ابن حجر-رحمه الله-«ت: ٨٥٢ هـ»: "ذهب بعض السلف إلى تقديم علي على عثمان، وممن قال به سفيان الثوري-رحمه الله-«ت: ١٦١ هـ»، ويقال إنه رجع عنه، وقال به ابن خزيمة-رحمه الله-«ت: ٣١١ هـ»، وطائفة قبله وبعده[٤]

---

(١) انظر السنة للخلال «٣٩٧، ٤٠٠، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤١٠»، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة «٧/ ١٣٨٩، ١٣٩٢، ١٣٦٩».

(٢) معالم السنن-بهامش المختصر-«٧/ ١٨».

(٣) الفتاوى ٤/ ٤٢٦؛ وانظر منهاج السنة «٢/ ٧٣، ٧٤».

(٤) فتح الباري «٧/ ١٦» وانظر الباعث الحثيث «ص: ١٥٦».

هذا وقد **روى الخلال–رحمه الله–«ت: ٣١١ هـ» بسنده عن يحيى بن سعيد القطان–رحمه الله–«ت: ١٩٨ هـ»** أنه قال: "كان رأي سفيان الثوري: أبو بكر وعمر ثم يقف"[(١)]

وكان التوقف مذهب يحيى بن سعيد–رحمه الله–«ت: ١٩٨ هـ»، وقال الإمام أحمد–رحمه الله–«ت: ٢٤١ هـ»: "بلغني أن يحيى كان يقف عند ذكر عمر" قال: "وكان يأخذه من سفيان"[(٢)] يعني الثوري، فلا أدري متى كان التوقف من سفيان؟ والله أعلم.

وأما المذهب الثالث: وهو التوقف عن المفاضلة بينهم، فهو رواية عن مالك، ففي المدونة **قال ابن القاسم–رحمه الله–«ت: ١٩١ هـ»**: "وسألت مالكًا عن خير الناس بعد نبيهم–صلوات الله وسلامه عليه–، فقال: أبو بكر ثم قال: أو في ذلك شك؟ قال ابن القاسم: فقلت لمالك: فعلي وعثمان أيهما أفضل فقال: ما أدركت أحدا ممن أقتدي به يفضل أحدهما على صاحبه–يعني عليا وعثمان–ويرى الكف عنهما"[(٣)]

وروى ابن عبد البر–رحمه الله–«ت: ٤٦٣ هـ» بسنده أن مالكًا سئل: من تقدم بعد رسول الله؟ قال أقدم أبا بكر وعمر ولم يزد على هذا. وروى أيضا قول مالك: "ليس من أمر الناس الذين مضوا عليه أن يفاضلوا بين الناس"[(٤)]

وروى اللالكائي–رحمه الله–«ت: ٤١٨ هـ» بسنده أن مالكًا سئل عن علي وعثمان فقال: "ما أدركت أحدًا ممن يقتدى به إلا وهو يرى الكف عنهما، يريد التفضيل بينهما، فقيل له: فأبو بكر وعمر فقال: ليس في أبي بكر وعمر شك، يريد أنهما أفضل من غيرهما"[(٥)]

وقد ذكر ابن تيمية أن مالكًا رجع عن التوقف إلى تفضيل عثمان ثم علي فقال: "أما عثمان

---

(١) السنة «٣/ ٣٧»، وقال المحقق: "إسناده صحيح".

(٢) رواه الخلال بسنده في السنة «ص: ٣٧٢»، وقال المحقق وإسناده صحيح».

(٣) المدونة «٦/ ٤٥١».

(٤) الانتقاء «٣٠، ٣٩».

(٥) شرح أصول الاعتقاد «٧/ ٣٦٨».

وعلي فكان طائفة من أهل المدينة يتوقفون فيهما وهي إحدى الروايتين عن مالك"[١]

وقال في موضع آخر: "وبعض أهل المدينة توقف في عثمان وعلي، وهي إحدى الروايتين عن مالك، لكن الرواية الأخرى عنه تقديم عثمان على علي كما هو مذهب سائر الأئمة"[٢]

وقد اعتمد **ابن رشد-رحمه الله-«ت: ٥٩٥ هـ»** في كلام له تقديم عثمان ثم علي في مذهب مالك وقال: "وقيل: إنه الذي رجع إليه مالك بعد أن وقف في عثمان وعلي، فلم يفضل أحدهما على صاحبه على ظاهر ما وقع في كتاب الديات من المدونة" قال ابن رشد-رحمه الله-«ت: ٥٩٥ هـ»: "على أنه كلام محتمل للتأويل"[٣]

وذكر السيوطي-رحمه الله-«ت: ٩١١ هـ» أنه قد حكى القاضي عياض-رحمه الله-«ت: ٥٤٤ هـ»، عن الإمام مالك-رحمه الله-«ت: ١٧٩ هـ»، أنه رجع عن التوقف إلى تفضيل عثمان، قال القرطبي-رحمه الله-«ت: ٦٧١ هـ»: "وهو الأصح إن شاء الله"[٤]

ولعل من وافق مالكا على التوقف قبل الرجوع يكون قد رجع إلى تفضيل عثمان على علي كما رجع مالك موافقة له في الرجوع بعد موافقته في التوقف، ولقد روى الخلال بسنده **عن أيوب السختياني-رحمه الله-«ت: ١٣١ هـ»** أنه قال: "دخلت المدينة والناس متوافرون القاسم بن محمد-رحمه الله-«ت: ١٠٧ هـ» وسليمان-رحمه الله-«ت: ١٠٧ هـ» وغيرهما فما رأيت أحدًا يختلف في تقديم أبي بكر وعمر وعثمان"[٥]

وتوقف في المفاضلة بين عثمان وعلي من غير أهل المدينة يحيى بن سعيد القطان-رحمه الله-«ت: ١٩٨ هـ»، من أهل البصرة وقد استغرب عبد الرحمن بن مهدي-رحمه الله-«ت: ١٩٨

---

(١) منهاج السنة «٢/ ٧٣».

(٢) الفتاوى «٤/ ٤٢٦».

(٣) الجامع من المقدمات «١٧٤» وانظر حاشية المحقق رقم: «٣».

(٤) تدريب الراوي «٢/ ٢٢٣»، وانظر لوامع الأنوار «٢/ ٣٥٦».

(٥) السنة «ص: ٤٠٣».

هـ»، ذلك فقال ليحي: "بمن تقتدي في هذا وأهل البصرة ليس هذا قولهم؟!"[١]

وذكر ابن حجر-رحمه الله-«ت: ٨٥٢ هـ» أن يحي القطان-رحمه الله-«ت: ١٩٨ هـ»، تبع مالكا في التوقف[٢]، ولكن قد سبق قبل قليل قول الإمام أحمد-رحمه الله-«ت: ٢٤١ هـ» أن يحي أخذ التوقف عن سفيان الثوري-رحمه الله-«ت: ١٦١ هـ»، ويحي قد حكى هذا القول عن سفيان فقد أخرج الخلال أن يحي بن معين قال: "قال يحي بن سعيد: كان رأي سفيان الثوري-رحمه الله-«ت: ١٦١ هـ»: أبو بكر وعمر ثم يقف، قال يحي بن معين-رحمه الله-«ت: ٢٣٣ هـ»: "وهو رأي يحي بن سعيد" [٣]كأنه يشير إلى أن ذلك منه موافقة سفيان فيما رواه عنه. والله أعلم.

والحاصل أن ما روي عن أئمة السلف من تقديم علي على عثمان أو التوقف فيهما قد رجعوا عنه واستقر مذهب أهل السنة على تفضيل عثمان ثم علي.

وهذا هو المذهب الحق الذي لا يجوز العدول عنه لثبوته بالأدلة الشرعية من السنة والإجماع وسبق بيانهما من حديث ابن عمر وإجماع الصحابة على تقديم عثمان بعد أبي بكر وعمر وجميع ذلك ثابت صحيح كما تقدم، ولذلك قال الإمام أحمد-رحمه الله-«ت: ٢٤١ هـ»: "كل من قدم عليًا ثم عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار"[٤] وكذلك قال حماد بن زيد-رحمه الله-«ت: ١٧٩ هـ» [٥] وروي نحو ذلك عن جماعة من الأئمة كسفيان الثوري-رحمه الله-«ت: ١٦١ هـ»، والدارقطني-رحمه الله-«ت: ٣٨٥ هـ» وغيرهم. [٦]

---

(١) السنة للخلال «ص: ٣٧٢، ٣٧٣».

(٢) فتح الباري «٧/ ١٦».

(٣) السنة «ص: ٣٧٣».

(٤) السنة للخلال ص ٣٩٢.

(٥) شرح أصول الاعتقاد ٧/ ١٣٧٠.

(٦) انظر السنة للخلال ٣٧٠، و٣٩٢ والفتاوى ٤/ ٤٢٢، ٤٢٦، ٤٢٨.

حتى إن الأئمة قد تكلموا في تبديع من يقدم علياً على عثمان على قولين. [١]

وروي عن بعضهم أنه قال: من قدم عليًا على عثمان فعليه لعنة الله، وبعضهم قال: فهو أحمق. [٢]

المسألة الثالثة: عدالة الصحابة.

أولًا: معنى العدالة في اللغة:

قال الجوهري–رحمه الله–«**ت: ٣٩٣ هـ**»: "العدل خلاف الجور، يقال: عدل عليه في القضية فهو عادل، وبسط الوالي عدله ومعدلته، وفلان من أهل المعدلة، أي: من أهل العدل، ورجل عدل، أي: رضا ومقنع في الشهادة، وهو في الأصل مصدر، وقوم عدل وعدول أيضًا: وهو جمع عدل وقد عدل الرجل بالضم عدالة.. إلى أن قال: وتعديل الشيء: تقويمه، يقال: عدلته فاعتدل، أي: قومته فاستقام"[٣]

وجاء في القاموس: "العدل ضد الجور، وما قام في النفوس أنه مستقيم كالعدالة والعدولة والمعدلة والمعدلة"[٤]

"فمن هذه التعاريف اللغوية تبين أن معنى العدالة في اللغة الاستقامة، وأن العدل هو الذي لم تظهر منه ريبة وهو الذي يرضى الناس عنه، ويقبلون شهادته ويقنعون بها"[٥]

ثانيًا: العدالة شرعًا:

عرفها **ابن حجر**–رحمه الله–«**ت: ٨٥٢ هـ**»، بقوله: "المراد بالعدل من له ملكة تحمله على ملازمة التقوى والمروءة، والمراد بالتقوى: اجتناب الأعمال السيئة من شرك أو فسق أو

---

(١) انظر السنة للخلال هي ٣٨٠-٨٣٢، والفتاوى ٤/ ٤٢٦.

(٢) انظر شرح أصول الاعتقاد ٧/ ١٣٧٠.

(٣) الصحاح للجوهري «ص: ١٧٦٠-١٧٦١»، مختار الصحاح «ص: ٤١٥-٤١٦».

(٤) القاموس «٤/ ١٣».

(٥) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام–رضي الله عنهم–، لناصر بن علي «٢/ ٧٩٦».

بدعة" [١].

المسألة الرابعة: الأدلة على عدالة الصحابة وفضلهم ومكانتهم.

لقد تضافرت الأدلة من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعديل الصحابة الكرام-رضي الله عنهم-، مما لا يبقى معها شك لمرتاب في تحقيق عدالتهم، فكل حديث له سند متصل بين من رواه وبين المصطفى-صلى الله عليه وسلم-لم يلزم العمل به إلا بعد أن تثبت عدالة رجاله ويجب النظر في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه إلى النبي-صلى الله عليه وسلم-لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم بنص القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن ذلك:

أ-الأدلة من القرآن

١- قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**﴾ [البقرة: الآية: ١٤٣].

ووجه الاستدلال بهذه الآية على عدالة الصحابة-رضي الله عنهم-أن وسطا بمعنى "عدولا خيارا" [٢]، ولأنهم المخاطبون بهذه الآية مباشرة.

وقد ذكر بعض أهل العلم أن اللفظ وإن كان عامًا إلا أن المراد به الخصوص، وقيل: "إنه وارد في الصحابة دون غيرهم" [٣]

٢-قال تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ [آل عمران: الآية: ١١٠].

قال الشاطبي-رحمه الله-«ت: ٧٩٠ هـ»: "سنة الصحابة-رضي الله عنهم-سنة يعمل عليها ويرجع إليها، ومن الدليل على ذلك أمور:

(١) نزهة النظر شرح نخبة الفكر «ص: ٢٩».

(٢) انظر جامع البيان «٢/ ٧»، الجامع لأحكام القرآن «٢/ ١٥٣»، تفسير القرآن العظيم لابن كثير «١/ ٣٣٥».

(٣) انظر الكفاية للخطيب البغدادي «ص: ٦٤».

أحدها: ثناء الله عليهم من غير مثنوية ومدحهم بالعدالة وما يرجع إليها كقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: الآية: ١١٠]، وقوله ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ [البقرة: الآية: ١٤٣]، ففي الآية الأولى: إثبات الأفضلية على سائر الأمم، وذلك يقضي باستقامتهم في كل حال، وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة.

وفي الثانية: إثبات العدالة مطلقًا، وذلك يدل على ما دلت عليه الأولى. ولا يقال إن هذا عام في الأمة، فلا يختص بالصحابة دون من بعدهم لأنا نقول:

أولا: ليس كذلك بناء على أنهم المخاطبون على الخصوص ولا يدخل معهم من بعدهم إلا بقياس وبدليل آخر.

ثانيا: على تسليم التعميم أنهم أول داخل في شمول الخطاب، فإنهم أول من تلقى ذلك من الرسول عليه الصلاة والسلام وهم المباشرون للوحي.

ثالثا: أنهم أولى بالدخول من غيرهم، إذ الأوصاف التي وصفوا بها لم يتصف بها على الكمال إلا هم فمطابقة الوصف للاتصاف شاهد على أنهم أحق من غيرهم بالمدح، وأيضا: فإن من بعد الصحابة من أهل السنة عدلوا الصحابة على الإطلاق والعموم فأخذوا عنهم رواية ودراية من غير استثناء ولا محاشاة، بخلاف غيرهم فلم يعتبروا منهم إلا من صحت إمامته وثبتت عدالته وذلك مصدق لكونهم أحق بذلك المدح من غيرهم، فيصح أن يطلق على الصحابة أنهم خير أمة بإطلاق، وأنهم وسط، أي: عدول بإطلاق، وإذا كان كذلك فقولهم معتبر وعملهم مقتدى به"[١]

٣-قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾** [الأنفال: الآية: ٧٤].

ففي هذه الآية وصف الله تعالى عموم المهاجرين والأنصار بالإيمان الحق ومن شهد الله له

(١) الموافقات «٤/ ٤٠-٤١».

بهذه الشهادة فقد بلغ أعلى مرتبة العدالة.

٤- قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: الآية: ١٠٠].

ولا خلاف بين أهل العلم في أن الآية تتحدث عن الصحابة، إلا أن الخلاف في من هم هؤلاء الصحابة،

فقد **قال ابن عباس-رضي الله عنهما-«ت: ٦٨ هـ»**: "إنهم هم الذين صلوا إلى القبلتين وشهدوا بدرا،

وعن الشعبي-رحمه الله-«ت: ١٠٤ هـ»: "هم الذين بايعوا بيعة الرضوان"[(١)]

وقال أبو موسى الأشعري-رضي الله عنه-«ت: ٤٢ هـ»، وسعيد بن المسيب-رحمه الله-«ت: ٩٤ هـ»، ومحمد بن سيرين-رحمه الله-«ت: ١١٠ هـ» والحسن-رحمه الله-«ت: ١١٠ هـ»، وقتادة-رحمه الله-«ت: ١١٨ هـ»، "هم الذين صلوا إلى القبلتين مع الرسول-صلى الله عليه وسلم-"[(٢)]

وذكر الله تعالى رضاه عنهم في قوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ "ولما وصفهم بهذا الوصف أثبت لهم ما يوجب التعظيم" [(٣)]، "ورضاهم عنه بما أعد لهم من جنات النعيم والنعيم المقيم"[(٤)].

وقال ابن خويز منداد-رحمه الله-«ت: ٣٩٠ هـ»: "تضمنت هذه الآية تفضيل

---

(١) التفسير الكبير، الرازي، «١٦/ ١٣٤».

(٢) تفسير ابن كثير، «٧/ ٢٧٠».

(٣) التفسير الكبير، الرازي، «١٦/ ١٣٥».

(٤) تفسير ابن كثير، ٧/ ٢٧٠.

السابقين إلى كل منقبة من مناقب الشريعة في علم، أو دين، أو شجاعة، أو غير ذلك"[١]، فرضي الله -سبحانه وتعالى- عن هؤلاء فيه بيان لفضلهم وتميزهم عن غيرهم.

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "فرَضِيَ عن السابقين عن غير اشتراط إحسان، ولم يرضَ عن التابعين إلا أن يتبعوهم بإحسان"[٢]

قال ابن كثير-رحمه الله-«ت: ٧٧٤ هـ»: "ووجه دلالة هذه الآية على عدالتهم رضي الله عنهم أن الله تعالى أخبر فيها برضاه عنهم ولا يثبت الله رضاه إلا لمن كان أهلا للرضا، ولا توجد الأهلية لذلك إلا لمن كان من أهل الاستقامة في أموره كلها عدلا في دينه.

ومن أثنى الله تعالى عليه بهذا الثناء كيف لا يكون عدلا وإذا كان التعديل يثبت بقول اثنين من الناس فكيف لا تثبت عدالة صفوة الخلق وخيارهم بهذا الثناء الصادر من رب العالمين.

فقد أخبر الله-تعالى-في هذه الآية أنه رضي عن هؤلاء رضًا مطلقًا، ورَضي عمن بعدهم رضًا مقيدًا، وهو شرط اتباعهم بإحسان؛ قال الإمام ابن كثير رحمه الله: "فقد أخبر اللهُ العظيم أنَّه قد رضي عن السَّابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، فيا ويل مَن أبغضهم أو سَبَّهم أو أبغض-أو سَبَّ-بَعضهم، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخَيرهم وأفضلهم-أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم-أبا بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يُعادون أفضل الصحابة ويُبغضونهم ويسبونهم؛ عياذًا بالله من ذلك. وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون مَن قدم الله ذكرهم ورفع شأنهم.

وأمَّا أهل السنة فإنهم يَترضون عنهم، ويَسبون مَن سَبَّه اللهُ ورسولُه، ويُوالون مَن يُوالي الله، ويُعادون مَن يعادي الله، وهم مُتَّبعون لا مُبتدعون، ويَقتدون ولا يَبتدئون، ولهذا هم حزبُ الله

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، الجزء الثاني، المجلد الرابع، «ص: ٤١٣».

(٢) "الصارم المسلول" «ص: ٥٧٢».

المفلحون وعباده المؤمنون"(١).

قال محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله-«ت: ١٣٩٣ هـ»: "ولا يخفى أنه تعالى صرح في هذه الآية الكريمة أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وهو دليل قرآني صريح في أن من يسبهم ويبغضهم، أنه ضال مخالف لله جل وعلا، حيث أبغض من رضي الله عنه؛ ولا شك أن بغض من رضي الله عنه مضادة له جل وعلا، وتمرد وطغيان"(٢)

٥- قال تعالى: ﴿**لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾ [الفتح: الآية: ١٨].

وهذه الآية فيها دلالة واضحة على تعديل الصحابة الذين كانوا مع النبي-صلى الله عليه وسلم-يوم الحديبية، وقد تقدم ذكر عدتهم وأنهم كانوا ألفًا وأربعمائة ووجه دلالة الآية على تعديليهم-رضي الله عنهم- أن-الباري جل وعلا-أخبر برضاه عنهم، وشهد لهم بالإيمان وزكاهم بما استقر في قلوبهم من الصدق والوفاء والسمع والطاعة ولا تصدر تلك التزكية العظيمة من الرب-جل وعلا- إلا لمن بلغ الذروة في تحقيق الاستقامة على وفق ما أمر الله به والصحابة- رضي الله عنهم-كانوا في مقدمة من استقاموا في جميع الأحوال.

فالآية فيها بيان أن طاعة الله والرسول وجدت من أهل بيعة الرضوان أما طاعة الله فالإشارة إليها بقوله: ﴿**لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾ وأما طاعة الرسول-صلى الله عليه وسلم- فبقوله: ﴿**إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ**﴾ بقي الموعود به وهو إدخال الجنة أشار إليه بقوله تعالى: ﴿**لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾ لأن الرضا يكون معه إدخال الجنة، كما قال عز وجل . ﴿**وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**﴾ [المجادلة: الآية: ٢٢].

---

(١) تفسير ابن كثير «٤/ ٢٠٣».

(٢) أضواء البيان «٢/ ٥٥٨».

٦- قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: الآية: ٢٩].

قال ابن الجوزي-رحمه الله-«ت: ٥٩٧ هـ»: "وهذا الوصف لجميع الصحابة عند الجمهور"[(١)]

قال القرطبي-رحمه الله-«ت: ٦٧١ هـ»، عند تفسيره لهذه الآية: "فالصحابة كلهم عدول، أولياء الله تعالى وأصفياؤه، وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله، هذا مذهب أهل السنة والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة، وقد ذهبت شرذمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم، فيلزم البحث عن عدالتهم، ومنهم من فرق بين حالهم في بداءة الأمر، فقال: إنهم كانوا على العدالة إذ ذاك، ثم تغيرت بهم الأحوال، فظهرت فيهم الحروب وسفك الدماء، فلا بد من البحث وهذا مردود فإن خيار الصحابة وفضلاءهم كعلي وطلحة والزبير وغيرهم رضي الله عنهم ممن أثنى الله عليهم وزكاهم ورضي عنهم وأرضاهم ووعدهم الجنة بقوله تعالى: ﴿مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ ، وخاصة العشرة المقطوع لهم بالجنة بإخبار الرسول هم القدوة مع علمهم بكثير من الفتن والأمور الجارية عليهم بعد نبيهم بإخباره لهم بذلك وذلك غير مسقط من مرتبتهم وفضلهم إذ كانت تلك الأمور مبنية على الاجتهاد" [(٢)].

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: " ذكر سبحانه رسوله وحزبه الذين اختارهم له، ومدحهم بأحسن المدح، وذكر صفاتهم في التوراة والإنجيل، فكان في هذا أعظم البراهين على صدق من جاء بالتوراة والإنجيل والقرآن، وأن هؤلاء هم المذكورون في الكتب المتقدمة

---

(١) زاد المسير: «١/ ٢٠٤».

(٢) الجامع لأحكام القرآن «١٦/ ٢٩٩».

بهذه الصفات المشهورة فيهم، لا كما يقول الكفار عنهم: إنهم متغلبون طالبو ملك ودنيا.

ولهذا لما رآهم نصارى الشام وشاهدوا هديهم وسيرتهم وعدلهم وعلمهم ورحمتهم وزهدهم في الدنيا ورغبتهم في الآخرة قالوا: ما الذين صحبوا المسيح بأفضل من هؤلاء، وكان هؤلاء النصارى أعرف بالصحابة وفضلهم من الرافضة أعدائهم، والرافضة تصفهم بضد ما وصفهم الله به في هذه الآية وغيرها و ﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا﴾ [الكهف: ١٧]"(١)

٧-قال تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ**﴾ [الواقعة: الآيات: ١٠-١٢].

فالصحابة-رضي الله عنهم-هم السابقون من أمة محمد-صلى الله عليه وسلم-إلى كل خير، وإلى تحصيل كل قربة فيها رضى الرب-جل وعلا-، ولا يصدر ذلك إلا ممن تحقق بوصف العدالة.

قال أبو محمد بن حزم-رحمه الله-«ت: ٤٥٦ هـ» بعد أن ذكر أفضلية جماعات الصحابة حسب سبقهم إلى الإسلام وحسب المشاهد، قال: "فكل من تقدم ذكره من المهاجرين والأنصار-رضي الله عنهم-إلى تمام بيعة الرضوان فإنا نقطع على غيب قلوبهم وأنهم كلهم مؤمنون صالحون، ماتوا على الإيمان والهدى والبر كلهم من أهل الجنة لا يلج أحد منهم النار البتة لقول الله تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ**﴾ [الواقعة: الآيات: ١٠-١٢] وقوله تعالى: ﴿**لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ**﴾ [الفتح: الآية: ١٨]، إلى أن قال: . فمن أخبر الله عنهم بذلك فلا يحل لأحد أن يتوقف في أمرهم ولا الشك فيهم البتة"(٢)

---

(١) زاد المعاد «٣/ ٣٧٤-٣٧٥».

(٢) ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة «ص: ٢٦٥-٢٦٦».

٨- قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: الآيات: ٨- ١٠].

فالصادقون هم المهاجرون، والمفلحون هم الأنصار، بهذا فسر **أبو بكر الصديق** «**ت: ١٣ هـ**» هاتين الكلمتين من الآيتين حيث قال في خطبته يوم السقيفة مخاطبا الأنصار: "إن الله سمانا "الصادقين" وسماكم "المفلحين"، وقد أمركم أن تكونوا حيثما كنا، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: الآية: ١١٩]"[(١)]

ولذلك أهل السنة-والحمد لله-قلوبهم سليمة دائمًا من الغل أو الحقد والحسد تجاه الصَّحب والآل؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد زكَّى المهاجرين والأنصار ومَن جاءوا بعدهم مُستغفرين لهم.

٩-وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

والمراد بـ﴿المؤمنين﴾ في الآية: أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم-؛ فتوعد الله مَن اتبع غير سبيلهم بعذاب جهنم، ووعد مُتبعهم بإحسان بالرِّضوان في قوله-جل وعلا-: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رضي الله عنهم وَرَضُوا عَنْهُ﴾.

١٠-وقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: الآية: ١٠].

وقال **أبو محمد بن حزم**-رحمه الله-«**ت: ٤٥٦ هـ**»: "وكلهم عدول فاضل من أهل

(١) العواصم من القواصم «ص: ٤٤-٤٥».

الجنة قال الله تعالى ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: الآية: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ * لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: الآيات: ١٠١-١٠٣]، قال أبو محمد: هذه مواعيد الله تعالى ووعد الله مضمون تمامه وكلهم ممن مات مؤمنا قد آمن وعمل الصالحات"[(١)].

١١- قال تعالى: **﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ [النمل: الآية: ٥٩].**

قال ابن عباس-رضي الله عنهما-»ت: ٦٨ هـ«، وسفيان الثوري-رحمه الله-»ت: ١٦١ هـ«: "هم أصحاب محمد-صلى الله عليه وسلم-اصطفاهم الله لنبيه-رضي الله عنهم-" [(٢)].

قال ابن جرير الطبري-رحمه الله-»ت: ٣١٠ هـ« في الذين اصطفاهم: "هم الذين اجتباهم لنبيه محمد-صلى الله عليه وسلم-فجعلهم أصحابه ووزراءه" [(٣)]

قال ابن كثير-رحمه الله-»ت: ٧٧٤ هـ«: "يقول سفيان الثوري-رحمه الله-»ت: ١٦١ هـ«، والسدي-رحمه الله-»ت: ١٢٧ هـ« في هذه الآية: "هم أصحاب محمد-صلى

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام «٥/ ٩٠-٩١».

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، الجزء الثالث، المجلد السابع، «ص: ١٤٧».

(٣) جامع البيان، الطبري، «٨/ ٧٠٢».

الله عليه وسلم-"[(١)]

قال ابن عاشور-رحمه الله-«ت: ١٣٩٣ هـ»: "فلما أمر الله تعالى في هذه الآية رسوله أن يقول: ﴿**وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ**﴾ فقد عين له هذه الجملة ليقولها يسأل من الله أن يكرم عباده الذين اصطفى بالثناء عليهم في الملأ الأعلى وحسن الذكر؛ إذ قصارى ما يستطيعه الحاضر من جزاء الغائب على حسن صنيعه أن يبتهل إلى الله أن ينفعه بالكرامة"[(٢)]

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "وحقيقة الاصطفاء: "افتعال من التصفية، فيكون قد صفاهم من الأكدار، ولا ينقض هذا بما إذا اختلفوا؛ لأن الحق لم يعدهم بألا يختلفوا، وهذا لا يخرجهم من حقيقة الاصطفاء"[(٣)]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "إنه لا ريب أنهم أفضل المصطفين من هذه الأمة"[(٤)]

وهذا أمر لا غرابة فيه بأن يصطفي الله-عز وجل-أفضل الأصحاب لأفضل الأنبياء وخاتمهم.

١٢-قال تعالى: ﴿**مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**﴾ [الأحزاب: الآية: ٢٣].

تعددت الروايات في سبب نزول هذه الآية وفيمن نزلت، إلا أنها اتفقت على أن المقصود بها هو أحد الصحابة أو جميعهم، فلم تخرج من دائرة الصحابة وفضلهم، ففي البخاري-رحمه الله-«ت: ٢٥٦ هـ»، **عن أنس بن مالك-رضي الله عنه-«ت: ٩٣ هـ» قال**: "نرى هذه

(١) تفسير ابن كثير: «٣/ ٥٠٣».

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، المجلد الثامن، الجزء العشرون، «ص: ٨».

(٣) إعلام الموقعين، ابن القيم، «٥/ ٥٦٨».

(٤) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، «١/ ٣٦٦»..

الآية نزلت في أنس بن النضر «ت: ٣ هـ»"[١] وفي رواية: "وفي أشباهه"[٢]

وعند مسلم: "وفي أصحابه"[٣]

وفي حديث عائشة–رضي الله عنها–«ت: ٥٧ هـ»، قالت في قوله تعالى: ﴿**مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ**﴾ الآية: منهم طلحة بن عبيد الله–رضي الله عنه– «ت: ٣٦ هـ»، ثبت مع رسول الله–صلى الله عليه وسلم–حتى أصيبت يده، فقال النبي– صلى الله عليه وسلم-: «**أوجب طلحة الجنة**»[٤]

قال الشوكاني–رحمه الله–«ت: ١٢٥٠ هـ»: "إن معنى الآية: أن من المؤمنين رجالا أدركوا أمنيتهم وقضوا حاجتهم ووفوا بنذرهم، فقاتلوا حتى قتلوا، وذلك يوم، أحد كحمزة «ت: ٣ هـ»، ومصعب بن عمير «ت: ٣ هـ»، وأنس بن النضر «ت: ٣ هـ»، ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ**﴾ قضاء نحبه حتى يحضر أجله، كعثمان بن عفان«ت: ٣٥ هـ»، وطلحة «ت: ٣٦ هـ»، والزبير «ت: ٣٦ هـ»، وأمثالهم، فإنهم مستمرون على ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع رسول الله–صلى الله عليه وسلم–والقتال لعدوه، ومنتظرون لقضاء حاجتهم وحصول أمنيتهم بالقتل وإدراك فضل الشهادة، وجملة ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ معطوفة على صدقوا، أي: ما غيروا عهدهم الذي عاهدوا الله ورسوله عليه"[٥]

ب–الأدلة من السنة.

ولقد تواترت الأحاديث عن النبي–صلى الله عليه وسلم–فيما يدل على فضل الصحابة– رضوان الله عليهم–ووجوب تعظيمهم وإكرامهم وكونهم خير قرون هذه الأمة بعد النبي–صلى

---

(١) صحيح البخاري، «٤٧٨٣».

(٢) صحيح البخاري، «٢٨٠٥».

(٣) صحيح مسلم، «٤٩١٨».

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، «٧/ ٣٤٤».

(٥) فتح القدير، الشوكاني، «٣/ ٤٢١-٤٢٢».

الله عليه وسلم-. ولقد عقد البخاري «ت: ٢٥٦ هـ»، ومسلم «ت: ٢٦١ هـ». في صحيحيهما وكذا أهل السنن وغيرهم، كل منهم كتابا لفضائل الصحابة أوردوا فيه الكثير من الأحاديث الواردة في فضل الصحابة-رضوان الله عليهم-.

وأما دلالة السنة على تعديلهم وفضلهم-رضي الله عنهم-:

فقد وصفهم النبي-صلى الله عليه وسلم-في أحاديث يطول تعدادها وأطنب في تعظيمهم وأحسن الثناء عليهم بتعدليهم، ومن تلك الأحاديث:

١ـ **عن عمران بن حصين-رضي الله عنهما-«ت: ٥٢ هـ»**، قال: قال رسول الله-صلّى الله عليه وسلّم-: «**خير أُمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم . قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثًا . ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن**»(١)

٢- **وعن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-«ت: ٣٢ هـ»**، أن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته**»(٢)

٣- **عن أبي موسى الأشعري-رضي الله عنه-«ت: ٤٢ هـ»**، قال: صلينا المغرب مع رسول الله-صلى الله عليه وسلم-ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء، قال: فجلسنا، فخرج علينا فقال: «**ما زلتم ههنا**»، قلنا: يا رسول الله، صلينا معك المغرب ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال: «**أحسنتم أو أصبتم**»، قال: فرفع رأسه إلى السماء وكان كثيرا ما يرفع رأسه، فقال: «**النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة**

(١) أخرجه البخاري «٢٥٣٥».

(٢) صحيح البخاري ٢/٢٨٨، وانظر صحيح مسلم ٤/١٩٦٣.

لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»[(١)]

٤-وعن **البراء-رضي الله عنه-«ت: ٧٢ هـ»**، قال: سمعت النبي-صلّى الله عليه وسلّم- أو قال: قال صلّى الله عليه وسلّم: «**الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله**»[(٢)]

٥-وفي الصحيحين "أنه كان بين عبد الرحمن بن عوف «ت: ٣٢ هـ»، وبين خالد بن الوليد «ت: ٢١ هـ»، كلام، فقال رسول الله: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**»[(٣)]

قال ذلك لخالد بالنسبة إلى السابقين الأولين، فالصحابة هم خير هذه الأمة بعد نبيها محمد صلى الله عليه وسلم.

٦-**عن عبد الله بن مسعود-رَضَيِ اللَّهُ عَنْهُ-«ت: ٣٢ هـ»**، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**إذا ذُكِرَ أَصْحابي فأَمْسِكُوا**»[(٤)]

٧-وقد ثبت في "صحيح مسلم" عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنه قال: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**»[(٥)]

٨- **عن أبي بكرة-رضي الله عنه-«ت: ٥١ هـ»**، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «..**ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب**». الحديث.[(٦)]

---

(١) صحيح مسلم ٤/١٩٦١، ومسند أحمد «١٩٥٦٦».

(٢) أخرجه البخاري «٣٧٨٣»، ومسلم «٧٥».

(٣) أخرجه البخاري «٣٦٧٣»، ومسلم «٢٥٤٠».

(٤) المعجم الكبير للطبراني «١٤٢٧»، أخرجه قوام السنة في الترغيب والترهيب «٦٢٩» باختلاف يسير، وقال عنه الألباني في السلسلة الصحيحة: «صحيح» انظر حديث رقم: «٥٤٥». في صحيح الجامع.

(٥) أخرجه مسلم برقم «٢٤٩٦».

(٦) صحيح البخاري «٣١/١»، صحيح مسلم «١٣٠٦/٣».

وجه دلالة الحديث على عدالتهم رضي الله عنهم أن هذا القول صدر من النبي صلى الله عليه وسلم في أعظم جمع من الصحابة في حجة الوداع وهذا من أعظم الأدلة على ثبوت عدالتهم حيث طلب منهم أن يبلغوا ما سمعوه منه من لم يحضر ذلك الجمع دون أن يستثني منهم أحدا.

قال ابن حبان–رحمه الله–«ت: ٣٥٤ هـ»: "وفي قوله–صلى الله عليه وسلم–: «**ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب**»، أعظم دليل على أن الصحابة كلهم عدول ليس فيهم مجروح ولا ضعيف إذ لو كان فيهم أحد غير عدل لاستثنى في قوله صلى الله عليه وسلم وقال: ألا ليبلغ فلان منكم الغائب فلما أجملهم في الذكر بالأمر بالتبليغ من بعدهم دل ذلك على أنهم كلهم عدول وكفى بمن عدله رسول الله صلى الله عليه وسلم شرفا"(١)

٩–**عن أبي سعيد الخدري–رضي الله عنه–«ت: ٧٤ هـ»**، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: «**يَأْتِي علَى النَّاسِ زَمانٌ، فَيَغْزُو فِئامٌ مِنَ النَّاسِ، فيَقولونَ: فِيكُمْ مَن صاحَبَ رَسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، فيُفْتَحُ لهمْ، ثُمَّ يَأْتي علَى النَّاسِ زَمانٌ، فَيَغْزُو فِئامٌ مِنَ النَّاسِ، فيُقالُ: هلْ فِيكُمْ مَن صاحَبَ أصْحابَ رَسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، فيُفْتَحُ لهمْ، ثُمَّ يَأْتي علَى النَّاسِ زَمانٌ، فَيَغْزُو فِئامٌ مِنَ النَّاسِ، فيُقالُ: هلْ فِيكُمْ مَن صاحَبَ مَن صاحَبَ أصْحابَ رَسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، فيُفْتَحُ لهمْ**»(٢).

هذه الأحاديث فيها دلالة واضحة على أن الصحابة عدول على الإطلاق حيث شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالخيرية المطلقة كما أخبر بأنهم أمان للأمة من ظهور البدع والحوادث في الدين ولا يخبر صلى الله عليه وسلم بهذا إلا لمن كانوا عدولا مستقيمين على الصراط

(١) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان «١/ ٩١».

(٢) أخرجه البخاري «٣٦٤٩».

المستقيم. (١)

ج–أقوال السلف ومن تبعهم في عدالة الصحابة وفضلهم.

فمن أصول أهل السُّنَّة والجماعة: سلامةَ قلوبهم تجاه أصحاب النبي–صلى الله عليه وسلم–

،

قال حبر الأمة وترجمان القرآن **عبد الله بن عباس–رضي الله عنهما–«ت: ٦٨ هـ»**: "إن الله–جل ثناؤه وتقدست أسماؤه–خص نبيه محمدا–صلى الله عليه وسلم–بصحابة آثروه على الأنفس والأموال، وبذلوا النفوس دونه في كل حال، ووصفهم الله في كتابه فقال: ﴿**رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [الفتح: الآية: ٢٩]. قاموا بمعالم الدين وناصحوا الاجتهاد للمسلمين حتى تهذبت طرقه وقويت أسبابه وظهرت آلاء الله، واستقر دينه ووضحت أعلامه، وأذل بهم الشرك، وأزال رؤوسه ومحا دعائمه، وصارت كلمة الله العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزكية، والأرواح الطاهرة العالية فقد كانوا في الحياة لله أولياء، وكانوا بعد الموت أحياء، وكانوا لعباد الله نصحاء، رحلوا إلى الآخرة قبل أن يصلوا إليها وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها"(٢)

قال عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه–«ت: ٣٢ هـ»: "إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد–صلى الله عليه وسلم–خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئا فهو عند

(١) المصدر: عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام–رضي الله عنهم–، لناصر بن علي «٨٠٠–٨٠٨».

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر «٣/ ٧٥».

الله سيئ"[١]

وذلك لأنهم حَمَلة ميراث النبوة، فهم علماء هذه الأمة وخيرها وأبرُّها، كما قال عنهم **ابن مسعود**–رضي الله عنه–«**ت: ٣٢ هـ**»: "مَن كان منكم مستنًّا، فليستنَّ بمَن قد مات؛ فإنَّ الحيَّ لا يُؤمن عليه الفتنة. أولئك أصحاب محمد، أبرُّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلُّها تكلفًا؛ قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيِّه، وإقامة دينه؛ فاعرفوا لهم حقَّهم، وتمسَّكوا بهديهم؛ فإنَّهم كانوا على الهُدى المستقيم"[٢]

وقد عَلَّق **ابن تيمية**–رحمه الله–«**ت: ٧٢٨ هـ**» على هذا الأثر؛ فقال: "وقول عبد الله بن مسعود: " "كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا": كلامٌ جامع، بيَّن فيه حُسن قَصدهم، ونيَّاتهم ببر القلوب، وبيَّن فيه كمال المعرفة، ودقتها بعمق العلم، وبيَّن فيه تيسير ذلك عليهم، وامتناعهم من القول بلا علم بقلة التكلف... وهم أفضل الأمة الوسط الشهداء على الناس، الذين هداهم الله لما اختُلف فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم؛ فليسوا مِن المغضوب عليهم الذين يتبعون أهواءهم، ولا من الضالين الجاهلين... بل لهم كمال العلم، وكمال القصد؛ إذ لو لم يكن كذلك للزم أن لا تكون هذه الأمةُ خيرَ الأمم، وأن لا يكونوا خيرَ الأمة، وكلاهما خلاف الكتاب والسُّنَّة.

وأيضًا فالاعتبار العقليُّ يدلُّ على ذلك؛ فإنَّ مَن تأمَّل أمة محمد–صلى الله عليه وسلم–، وتأمل أحوال اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين–تبيَّن له مِن فضيلة هذه الأمة على سائر الأمم في العلم النافع والعمل الصالح ما يضيق هذا الموضع عن بسطه.

عن الحسن البصري–رحمه الله–«**ت: ١١٠ هـ**»، قال: "إن أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كانوا أكياسًا، عملوا صالحًا، وأكلوا طيبًا، وقدموا فضلًا، ولم ينافسوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم ينافسوهم في عزها، ولم يجزعوا لذلها، أخذوا صفوها، وتركوا كدرها، والله ما

---

(١) رواه أحمد في المسند «١/ ٣٧٩»، والطبراني في الكبير «٨٥٨٢»، وقال المحققون: إسناده حسن.

(٢) أخرجه ابن عبد البرَّ في جامع بيان العلم وفضله «٢/ ٩٤٧»، والبغوي في شرح السنة «١/ ٢١٤»، مع اختلاف يسير في الألفاظ.

تعاظم في أنفسهم حسنة عملوا، ولا تصغر في أنفسهم سيئة"(١)

قال قتادة بن دعامة السدوسي–رحمه الله–«ت: ١١٨ هـ»: "ولكن أحق من صدقتم أصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–الذين اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه"(٢).

عن أبي صخر حميد بن زياد–رحمه الله–«ت: ١٨٩ هـ»، قال: قلت لمحمد بن كعب القرظي–رحمه الله–«ت: ١٠٨ هـ»: أخبرني عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما أريد الفتن؟ فقال إن الله قد غفر لجميع أصحاب النبي–صلى الله عليه وسلم–وأوجب لهم الجنة في كتابه محسنهم ومسيئهم قلت: له وفي أي موضع أوجب الله لهم الجنة في كتابه؟ قال ألا تقرأ **﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾** [التوبة: الآية: ١٠٠] أوجب لجميع أصحاب النبي–صلى الله عليه وسلم–الجنة والرضوان وشرط على التابعين شرطا لم يشترطه فيهم قلت: وما اشترط عليهم؟ قال: اشترط عليهم أن يتبعوهم بإحسان يقول: يقتدون بهم في أعمالهم الحسنة، ولا يقتدون بهم في غير ذلك قال أبو صخر: لكأني لم أقرأها قبل ذلك وما عرفت تفسيرها حتى قرأها علي محمد بن كعب"(٣)

نقل الإمام **أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي–رحمه الله–«ت: ٣٢١ هـ»**: مذهب **الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي–رحمه الله–«ت: ١٥٠ هـ»، وصاحبيه أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الحميري الأنصاري–رحمه الله–«ت: ١٨٢ هـ»، ومحمد بن الحسن الشيباني–رحمه الله–«ت: ١٨٩ هـ»** ما كانوا يعتقدونه من أصول الدين، ويدينون به لرب العالمين ومن ضمن ذلك ما كانوا يعتقدونه في الصحابة عموما فقال: في عقيدته المشهورة: "ونحب أصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الحق يذكرهم، ولا نذكرهم

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا «٧١» رقم «١٧٤»، والبيهقي في شعب الإيمان «٧/ ٣٧٤» رقم «١٠٦٣٣».

(٢) أحمد المسند «١٠/ ٤٣٦»، رقم: «١٢٣١٦» وإسناده صحيح.

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور «٤/ ٢٧٢»، وعزاه لأبي الشيخ وابن عساكر.

إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان"(١)

وقال الإمام محمد بن إدريس الشافعي-رحمه الله-«ت: ٢٠٤ هـ»: "وقد أثنى الله . تبارك وتعالى . على أصحاب-رسول الله صلى الله عليه وسلم-في القرآن والتوراة والإنجيل، وسبق لهم على لسان رسول الله-صلى الله عليه وسلم-من الفضل ما ليس لأحد بعدهم فرحمهم الله وهنأهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين أدوا إلينا سنن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-عاما وخاصا وعزما وإرشادا، وعرفوا من سننه ما عرفنا وجهلنا وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل، وأمر استدرك به علم واستنبط به، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من رأينا عند أنفسنا، ومن أدركنا ممن يرضى أو حكى لنا عنه ببلدنا صاروا فيما لم يعلموا لرسول الله-صلى الله عليه وسلم-فيه سنة إلى قولهم إن اجتمعوا، أو قول بعضهم إن تفرقوا، وهكذا نقول ولم نخرج من أقاويلهم، وإن قال أحدهم ولم يخالفه غيره أخذنا بقوله" (٢).

قال ابن عبد البر-رحمه الله-«ت: ٤٦٣ هـ»: "ومن أوكد آلات السنن المعينة عليها، والمؤدية إلى حفظها، معرفة الذين نقلوها عن نبيهم-صلى الله عليه وآله وسلم-إلى الناس كافة، وحفظوها عليه، وبلغوها عنه، وهم صحابته الحواريون الذين وعوها وأدوها ناصحين محسنين، حتى كمل بما نقلوه الدين، وثبتت بهم حجة الله تعالى على المسلمين، فهم خير القرون، وخير أمة أخرجت للناس، ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عز وجل عليهم وثناء رسوله عليه السلام، ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه ونصرته، ولا تزكية أفضل من ذلك، ولا تعديل أكمل منه. قال الله تعالى ذكره : **﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾** [الفتح: الآية: ٢٩]. فهذه صفة من بادر إلى تصديقه والإيمان به، وآزره ونصره، ولصق

---

(١) العقيدة الطحاوية مع شرحها «ص: ٥٢٨».

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي «١/ ٤٤٢- ٤٤٣»، أعلام الموقعين «١/ ٨٠».

به وصحبه"[١]

يقول الخطيب البغدادي-رحمه الله-«ت: ٤٦٣ هـ»: "على أنه لو لم يرد من الله-عز وجل-ورسوله فيهم شيء، لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة، والجهاد، والنصرة، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين، القطعَ على عدالتهم، والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيؤون من بعدهم أبد الآبدين، هذا مذهب كافة العلماء، ومن يعتد بقوله من الفقهاء"[٢]

وقال الإمام ابن قدامة-رحمه الله-«ت: ٦٢٠ هـ»: "أمته خير الأمم، وأصحابه خير أصحاب الأنبياء"[٣]

قال ابنُ الصَّلاحِ-رحمه الله-«ت: ٦٤٣ هـ»: "للصَّحابةِ بأسْرِهم خَصيصةٌ، وهي أنَّه لا يُسألُ عن عدالةِ أحَدٍ منهم، بل ذلك أمرٌ مَفروغٌ منه؛ لكونِهم على الإطلاقِ مُعَدَّلين بنُصوصِ الكِتابِ والسُّنَّةِ، وإجماعِ من يُعتَدُّ به في الإجماعِ من الأُمَّةِ... ثم إنَّ الأُمَّةَ مجمِعةٌ على تعديلِ جميعِ الصَّحابةِ، ومن لابَسَ الفِتَنَ منهم فكذلك بإجماعِ العُلَماءِ الذين يُعتَدُّ بهم في الإجماعِ؛ إحسانًا للظَّنِّ بهم، نظرًا إلى ما تمهَّد لهم من المآثِرِ، وكأنَّ اللهَ سُبحانَه وتعالى أتاح الإجماعَ على ذلك؛ لكونِهم نَقَلةَ الشَّريعةِ، واللهُ أعلَمُ"[٤]

وقال الإمام النَّووي-رحمه الله-«ت: ٦٧٦ هـ»: "وكُلُّهم عُدولٌ رَضِيَ اللهُ عنهم، ومتأوِّلون في حُروبِهم وغَيرِها، ولم يُخرِجْ شَيءٌ من ذلك أحدًا منهم عن العدالةِ ... ولهذا اتَّفَق أهلُ الحَقِّ ومن يُعتَدُّ به في الإجماعِ على قَبولِ شَهاداتِهم ورواياتِهم، وكَمالِ عَدالتِهم رَضِيَ اللهُ

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر «١/ ١-٢».

(٢) "الكفاية" «٤٩».

(٣) لمعة الاعتقاد: مع شرحها الإرشاد «ص: ٣٠٦».

(٤) يُنظر: «مقدمة ابن الصلاح» «ص: ٣٩٧».

عنهم أجمعين"[١]

وقال الإمام النووي–رحمه الله–«ت: ٦٧٦ هـ»: "قال القاضي، ويؤيد هذا ما قدمناه في أول باب فضائل الصحابة عن الجمهور من تفضيل الصحابة كلهم على جميع من بعدهم. وسبب تفضيل نفقتهم: أنها كانت وقت الضرورة وضيق الحال، بخلاف غيرهم، ولأن إنفاقهم كان في نصرته عليه الصلاة والسلام وحمايته وذلك معدوم بعده، وكذا جهادهم، وسائر طاعتهم، هذا كله مع ما كان في أنفسهم من الشفقة والتودد والخشوع والتواضع والإيثار والجهاد في الله حق جهاده، وفضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل، ولا تنال درجتها بشيء، والفضائل لا تؤخذ بقياس، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء"[٢].

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "والصحابة أكمل الأمة في ذلك بدلالة الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار، ولهذا لا تجد أحدًا من أعيان الأمة إلا وهو معترف بفضل الصحابة عليه وعلى أمثاله، وتجد مَن ينازع في ذلك كالرافضة من أجهل الناس. ولهذا لا يُوجد في أئمة الفقه الذين يُرجع إليهم رافضي، ولا في أئمة الحديث، ولا في أئمة الزهد والعبادة، ولا في الجيوش المؤيدة المنصورة جيش رافضي، ولا في الملوك الذين نصروا الإسلام وأقاموه وجاهدوا عدوَّه مَن هو رافضي، ولا في الوزراء الذين لهم سِيرة محمودة مَن هو رافضي..."[٣]

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله به عليهم من الفضائل علم يقينا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم وأنهم هم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله تعالى"[٤]

وقال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "قال غير واحد من الأئمة: إن كل من

---

[١] يُنظر: شرح مسلم «١٥/ ١٤٩».

[٢] شرح مسلم للنووي: «١٦/ ٣٢٧»، فتح الباري لابن حجر: «٧/ ٤٢».

[٣] منهاج السنة النبوية «٢/ ٧٩-٨١».

[٤] مجموع الفتاوى «٣/ ١٥٦».

صحب النبي-صلى الله عليه وسلم-أفضل ممن لم يصحبه مطلقا، وعينوا ذلك في مثل معاوية وعمر بن عبد العزيز مع أنهم معترفون بأن سيرة عمر بن عبد العزيز أعدل من سيرة معاوية، قالوا: لكن ما حصل لهم بالصحبة من الدرجة أمر لا يساويه ما يحصل لغيرهم بعلمه، واحتجوا بما في الصحيحين من أنه قال: «**لا تسبوا أصحابي**..»[(١)] قالوا: فإذا كان جبل أحد ذهبا لا يبلغ نصف مد أحدهم، كان في هذا من التفاضل ما يبين أنه لم يبلغ أحد مثل منازلهم التي أدركوها بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم"[(٢)]

قال الإمام ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "إن من أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، كما وصفهم الله بذلك في قوله: ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ**﴾ [الحشر: الآية: ١٠]، وأمر النبي-صلى الله عليه وسلم-بحسن القول فيهم، فمن طعن فيهم أو سبهم فقد خالف أمر النبي-صلى الله عليه وسلم-"[(٣)].

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "فالله سبحانه أعلم حيث يجعل رسالاته أصلا وميراثا؛ فهو أعلم بمن يصلح لتحمل رسالته فيؤديها إلى عباده بالأمانة والنصيحة، وتعظيم المرسل والقيام بحقه، والصبر على أوامره والشكر لنعمه، والتقرب إليه، ومن لا يصلح لذلك، وكذلك هو سبحانه أعلم بمن يصلح من الأمم لوراثة رسله والقيام بخلافتهم، وحمل ما بلغوه عن ربهم"[(٤)]

وقال ابنُ كثيرٍ-رحمه الله-«ت: ٧٧٤ هـ»: "الصَّحابةُ كُلُّهم عدولٌ عند أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ؛ لِما أثنى اللهُ عليهم في كِتابه العزيزِ، وبما نطَقَت به السُّنَّةُ النبويَّةُ في المدحِ لهم في جميعِ

(١) أخرجه البخاري «٢٥٤٠».

(٢) مجموع الفتاوى: «٤/ ٥٢٧».

(٣) "إعلام الموقعين"، «٢/ ١٦١».

(٤) طريق الهجرتين، «ص: ١٧١».

أخلاقِهم وأفعالِهم، وما بَذَلوه من الأموالِ والأرواحِ بين يَدَيْ رَسولِ اللهِ-صلى الله عليه وسلم- ؛ رغبةً فيما عند الله من الثَّوابِ الجزيلِ، والجزاءِ الجميلِ"(١)

فمن واجب الأمة نحو أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-محبتهم والترضي عنهم والدعاء لهم كما أمرنا الله تعالى بقوله: ﴿**والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالأيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم**﴾ [الحشر: الآية: ١٠].

فهم قوم اختارهم الله وشرفهم بصحبة نبيه-صلى الله عليه وسلم-وخصهم في الحياة الدنيا بالنظر إليه وسماع حديثه من فمه الشريف ونصرته والذب عنه والجهاد معه في سبيل الله ونشر دين الإسلام.

وبعد وفاته كانوا هم الواسطة بين الرسول-صلى الله عليه وسلم-وبين الأمة، فقد بلغوا عن رسول الله ما بعثه الله به من النور والهدى على أكمل الوجوه وأتمها ونشروا هذا الدين في شتى بقاع الأرض: وجاهدوا في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم، وذبوا عن هذا الدين بسنانهم ولسانهم فكان لهم بذلك الأجر العظيم والمنزلة العالية عند ربهم وعند نبيهم وعند المسلمين الموحدين جميعا.

وكيف لا يكونون كذلك وهم خير قرون هذه الأمة بشهادة النبي-صلى الله عليه وسلم-.

المسألة الخامسة: وجوب اتباع سبيلهم.

قوله تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**﴾ [التوبة:١٠٠].

قال الإمام ابن كثير-رحمه الله-«ت: ٧٧٤ هـ»: "فقد أخبر اللهُ العظيم أنَّه قد رضي عن السَّابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان.....

وأمَّا أهل السنة فإنهم يَترضون عنهم، ويَسبون مَن سَبَّه اللهُ ورسولُه، ويُوالون مَن يُوالي الله،

(١) يُنظر: اختصار علوم الحديث «ص: ١٨١».

ويُعادون مَن يعادي الله، وهم مُتَّبعون لا مُبتدعون، ويَقتدون ولا يَبتدئون، ولهذا هم حزبُ الله المفلحون وعباده المؤمنون"(١).

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

والمراد بـ﴿المؤمنين﴾ في الآية: أصحاب النبي–صلى الله عليه وسلم–؛ فتوعد الله مَن اتبع غير سبيلهم بعذاب جهنم، ووعد مُتبعهم بإحسان بالرِّضوان في قوله جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رضي الله عنهم وَرَضُوا عَنْهُ﴾.

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "وقد شهد الله لأصحاب نبيه الله ومن تبعهم بإحسان بالإيمان فعلم قطعا أنهم المراد بالآية الكريمة" (٢)

وعن العرباض بن سارية–رضي الله عنه–«ت: ٧٥ هـ»، قال: "وعظنا رسول الله–صلى الله عليه وسلم–موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون. فقلنا: يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا. قال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**»(٣)

قال تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبأ: الآية: ٦].

(١) تفسير ابن كثير «٤/ ٢٠٣».

(٢) الانتصار لأهل الأثر «ص: ٣».

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده «٤/ ١٢٦، ١٢٧». وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة: باب في لزوم السنة «٥/ ١٣، ١٥» ح: «٤٦٠٧»، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب العلم: باب في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة «٥/ ٤٤» ح: «٢٦٧٦»، وقال: هذا حديث حسن صحيح وابن ماجة في سننه، في المقدمة: باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين «١/ ١٦». وابن حبان في صحيحه «١/ ١٣٩»، والحاكم في المستدرك «١/ ٩٦» وصححه ووافقه الذهبي، والآجري في الشريعة «ص: ٤٦، ٤٧»، والدارمي في سننه، باب اتباع السنة «١/ ٤٤، ٤٥» وقال الألباني: سنده صحيح، وصححه جماعة منهم الضياء المقدسي في اتباع السنن واجتناب البدع، انظر: مشكاة المصابيح «١/ ٥٨» ح: «١٦٥».

عن قتادة-رحمه الله-«ت: ١١٨ هـ» ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ﴾ قال: "أصحاب محمد"[١]

قال عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-«ت: ٣٢ هـ»: "لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من قبل أصحاب محمد-صلى الله عليه وسلم-، وأكابرهم، فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم، فذلك حين هلكوا"[٢]

كتب عمر بن عبد العزيز-رحمه الله-«ت: ١٠١ هـ» إلى عامل له فقال: "أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة رسوله-صلى الله عليه وسلم-، وترك ما أحدث المحدثون بعده مما جرت به سنته وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السُنَّة فإنها لك بإذن الله عصمة، واعلم أن الناس لم يحدثوا بدعة إلا وقد مضى قبلها ما هو دليل عليها وعبرة فيها، فإن السُنَّة إنما سنَّها من علم ما في خلافها من الخطأ والزلل، والحمق والتعمق، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم فإنهم السابقون، عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، وهم كانوا على كشف الأمور أقوى، وبفضل فيه لو كان أحرى، فلئن كان الهدى ما أنتم عليه فقد سبقتموهم إليه، ولئن قلت إنما أحدث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم، لقد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم مقصر، وما فوقهم محصر، لقد قصر دونهم أقوام فجفوا، وطمع عنهم آخرون فغلوا، إنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم"[٣]

قال شقيق البلخي-رحمه الله-«ت: ١٩٤ هـ»: قيل لابن المبارك-رحمه الله-«ت: ١٨١ هـ»: إذا أنت صليت لم لا تجلس معنا؟ قال: "أجلس مع الصحابة والتابعين أنظر في

---

(١) تفسير الطبري «تفسير سورة سبأ الآية: ٦».

(٢) أخرجه ابن عبد المبارك في الزهد «١/ ٢٨١» وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله «١/ ٦١٧» والطبراني في المعجم الكبير «٩/ ١١٤».

(٣) البدع لابن وضاح، «ص: ٣٠، ٣١»، الحلية لأبي نعيم «٥/ ٣٩»، الاعتصام للشاطبي «١/ ٤٩».

كتبهم وآثارهم، فما أصنع معكم؟ أنتم تغتابون الناس"(١)

قال الإمام أحمد: ثنا عبيد الله بن محمد «هو العيشي حافظ» قال: سمعت شيخًا يذكر عن محمد بن سيرين وسئل مرة عن فتيا فأحسن الإجابة فيها، فقال له رجل: والله يا أبا بكر، لأحسنت الفتيا فيها أو قال: القول فيها قال: وعرّض، كأنه يقول: ما كانت الصحابة لتحسن أكثر من هذا؛ فقال محمد بن سيرين-يعني منكرا-لو أردنا فقههم لما أدركته عقولنا"(٢)

وقال الإمام أحمد-رحمه الله-«ت: ٢٤١ هـ»: "أصول السُنَّة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، والاقتداء وترك البدع، وكل بدعة ضلالة، وترك الخصومات، والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدل والخصومات في الدين"(٣)

قال ابن قتيبة-رحمه الله-«ت: ٢٧٦ هـ»: "وكان أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-هم مصابيح الأرض وقادة الأنام ومنتهى العلم"(٤)

وقال الإمام ابن أبي زيد القيرواني-رحمه الله-«ت: ٣٨٦ هـ»، في رسالته: "واللجأ إلى كتاب الله عزوجل وسنة نبيه، واتباع سبيل المؤمنين، وخير القرون من خير أمة أخرجت للناس نجاة، ففي المفزع إلى ذلك العصمة، وفي اتباع السلف الصالح النجاة"(٥)

قال الإمام أبو القاسم اللالكائي «ت: ٤١٨ هـ»: "أما بعد: فإن أوجب ما على المرء معرفة اعتقاد الدين، وما كلف الله به عباده من فهم توحيده وصفاته وتصديق رسله بالدلائل واليقين، والتوصل إلى طرقها والاستدلال عليها بالحجج والبراهين، وكان من أعظم مقول، وأوضح حجة ومعقول، كتاب الله الحق المبين، ثم قول رسول الله-صلى الله عليه وسلم-

---

(١) سير أعلام النبلاء «٨/ ٤٤٠»، وتاريخ الإسلام «١٢/ ٢٣٥».

(٢) الحلية «٢/ ١٥٧» من طريق كتاب الزهد لأحمد.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السُنَّة والجماعة للالكائي «١/ ١٥٦»، طبقات الحنابلة «١/ ٣١١».

(٤) تأويل مشكل القرآن «ص: ١٤٨».

(٥) رسالة ابن أبي زيد القيرواني «ص: ١٦٩».

وصحابته الأخيار المتقين، ثم ما أجمع عليه السلف الصالحون، ثم التمسك بمجموعها والمقام عليها إلى يوم الدين، ثم الاجتناب عن البدع والاستماع إليها مما أحدثها المضلون"[(١)]

قال ابن قدامة–رحمه الله–«ت: ٦٢٠ هـ»: "ومتى اختلف الصحابة على قولين، لم يجز إحداث قول ثالث لأنه يفضي إلى تخطئتهم، وخروج الحق عن قول جميعهم ولا يجوز ذلك"[(٢)]

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "الصحابة رضي الله عنهم منشأ كل علم وصلاح وهدى ورحمة في الإسلام"[(٣)]

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "والواجب على كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله أن يكون أصل قصده توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له، وطاعة رسوله، يدور على ذلك، ويتبعه أين وجده، ويعلم أن أفضل الخلق بعد الأنبياء هم الصحابة، فلا ينتصر لشخصٍ انتصارًا مطلقًا عامًا، إلا لرسول الله–صلى الله وعليه وسلم–، ولا لطائفة انتصارًا مطلقًا عامًا، إلا للصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

فإن الهدى يدور مع الرسول حيث دار، ويدور مع أصحابه دون أصحاب غيره حيث داروا؛ فإذا أجمعوا لم يجمعوا على خطأ قط، بخلاف أصحاب عالم من العلماء فإنهم قد يجمعون على خطأ، بل كل قولٍ قالوه ولم يقله غيرهم من الأمة لا يكون إلا خطأ؛ فإن الدين الذي بعث الله به رسوله ليس مُسَلَّمًا إلى عالِمٍ واحدٍ وأصحابه، ولو كان كذلك لكان ذلك الشخص نظيرًا لرسول الله–صلى الله وعليه وسلم–وهو شبيه بقول الرافضة في الإمام المعصوم.

ولا بد أن يكون الصحابة والتابعون يعرفون ذلك الحق الذي بعث الله به الرسول، قبل وجود المتبوعين الذين تُنسب إليهم المذاهب في الأصول والفروع، ويمتنع أن يكون هؤلاء جاءوا بحق يخالف ما جاء به الرسول، فإن كل ما خالف الرسول فهو باطل، ويمتنع أن يكون

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة «١/ ٧».

(٢) المغني «٨/ ١٠٧».

(٣) منهاج السنة «٦/ ٣٦٨».

أحدهم علم من جهة الرســـول ما يخالف الصـــحابة والتابعين لهم بإحســـان، فإن أولئك لم يجتمعوا على ضلالة، فلابد أن يكون قوله إن كان حقًّا مأخوذًا عمَّا جاء به الرسول، موجودًا فيمن قبله، وكل قول قِيلَ في دين الإسلام، مخالف لما مضى عليه الصحابة والتابعون، لم يقله أحد منهم بل قالوا خلافه، فإنه قول باطل"(١)

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليل جدا، وهو وإن كان في التابعين أكثر منه في الصحابة؛ فهو قليل بالنسبة إلى من بعدهم. وكلما كان العصر أشرف كان الاجتماع والائتلاف والعلم والبيان فيه أكثر"(٢)

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "اعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيرا قويا بيّنا، ويؤثر أيضا في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق"(٣)

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "وقد كان العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله تعالى في قوله: ﴿**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾ [النساء: الآية: ٥٩].

وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين"(٤)

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "العالمون بالله وكتابه ودينه، عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية، وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية، فاستبانت لهم السبيلان، فهؤلاء أعلم

---

(١) منهاج السنة «٥/ ٢٦١-٢٦٣».

(٢) مجموع الفتاوى، «١٣/ ٣٣٢».

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم «١/ ٥٢٧».

(٤) مجموع الفتاوى «٢٤/ ٩٥».

الخلق وأنفعهم للناس، وأنصحهم لهم، وهم الأدلاء الهداة، وبذلك برز الصحابة على جميع من أتى بعدهم إلى يوم القيامة، فإنهم نشأوا في سبيل الضلال والكفر والشرك والسبل الموصلة إلى الهلاك وعرفوها مفصلة، ثم جاء الرسول صلى الله عليه وسلم فأخرجهم من الظلمة الشديدة إلى النور التام، ومن الظلم إلى العدل، فعرفوا مقدار ما نالوه وظفروا به، ومقدار ما كانوا فيه، فإن الضد يظهر حسنه الضد، وإنما تتبين الأشياء بأضدادها، فازدادوا رغبة ومحبة فيما انتقلوا إليه، ونفرة وبغضاً لما انتقلوا عنه ... "[١]

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "كل الخير في اجتهاد باقتصاد، وإخلاص مقرون بالاتباع قال بعض الصحابة اقتصاد في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة"[٢]

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "فلو طهرت منا القلوب، وصفت الأذهان، وزكت النفوس، وخلصت الأعمال، وتجردت الهمم للتلقي عن الله ورسوله لشاهدنا من معاني كلام الله وأسراره وحكمه ما تضمحل عنده العلوم، وتتلاشى عنده معارف الخلق.

وبهذا تعرف قدر علوم الصحابة ومعارفهم، وأن التفاوت الذي بين علومهم وعلوم من بعدهم كالتفاوت الذي بينهم وبينهم في الفضل"[٣]

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "فلا أحسن مما قضى به الصحابة–رضي الله عنهم–"[٤]

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: عن الصحابة: "فإنهم أفقه الأمة وأعلمهم

(١) الفوائد «ص: ١٠٨. ١٠٩».
(٢) مدارج السالكين «٢/ ١٠٧».
(٣) التفسير القيم «ص: ٣٤٣».
(٤) الطرق الحكمية «١/ ٣٢٦».

بمقاصد الشرع وحكمه"[١]

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "أفهام الصحابة رضي الله عنهم فوق أفهام الجميع، وعلمهم بمقاصد نبيهم وقواعد دينه وشرعه أتم من علم كل من جاء بعدهم" إلى أن قال: "ولم يرتضوا لأنفسهم عبارات المتأخرين واصطلاحاتهم وتكلفاتهم فهم كانوا أعمق الأمة علما وأقلهم تكلفا والمتأخرون عكسهم في الأمرين"[٢]

وسنة الصحابة وهي ما جاء عنهم من قول أو فعل أو تقرير إذا كان مما لا يقال من قبل الرأى، ومما لا مجال للاجتهاد فيه، فله حكم المرفوع المسند تحسينا للظن بهم، وجزم بذلك الرازى في المحصول، وغير واحد من أئمة الأصول والحديث. [٣]

وإذا كانت سنتهم في غير ذلك، فقد اختلف العلماء في ذلك. والراجح من هذا الخلاف [٤] أن سنتهم كسنة الرسول يعمل بها، ويرجع إليها، وانتصر لهذا الرأى غير واحد من أئمة الأصول، منهم **الشاطبي–رحمه الله–«ت: ٧٩٠ هـ»** فبعد أن ذكر الآيات والأحاديث الدالة على عدالتهم قال: "فيصح أن يطلق على الصحابة أنهم خير أمة بإطلاق، وأنهم وسط أى عدول بإطلاق، وإذا كان كذلك فقولهم معتبر، وعملهم مقتدى به.

... ثم استدل الشاطبي لما رجح بأدلة منها:

١- ما جاء فى الحديث من الأمر باتباعهم، وأن سنتهم فى طلب الاتباع كسنة النبى صلى الله عليه وسلم لقوله صلى الله عليه وسلم: «**فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ**»«٢»

---

(١) الطرق الحكمية «٢/ ٥٣١».

(٢) الطرق الحكمية «١/ ٣٢٤».

(٣) انظر: المحصـــول «٢/ ٢٢١»، والإحكام للآمدى «٢/ ٨٧»، وأعلام الموقعين «٤/ ١٢٣»، وفتح المغيث للســـخاوى «١/ ١٤٤»، وتدريب الراوى «١/ ١٩٠، ١٩١»، وتوضيح الأفكار «١/ ٢٨٠».

(٤) انظر: الأدلة المختلف فيها وأثرها فى الفقه الإســـلامى للدكتور عبد الحميد أبو المكارم «ص: ٣٠٣»، والفقيه والمتفقه للخطيب البغدادى، «١/ ٤٣٧».

٢- أن جمهور العلماء قدموا الصحابة عند ترجيح الأقاويل، فقد جعل طائفة قول أبي بكر وعمر حجة ودليلا، وبعضهم عد قول الخلفاء الأربعة دليلا، وبعضهم يعد قول الصحابى على الإطلاق حجة ودليلا، ولكل قول من هذه الأقوال متعلق من السنة وهذه الآراء-وإن ترجح عند العلماء خلافها-ففيها تقوية تضاف إلى أمر كلى هو المعتمد فى المسألة، وذلك أن السلف والخلف من التابعين ومن بعدهم، يهابون مخالفة الصحابة، ويتكثرون بموافقتهم، وأكثر ما تجد هذا المعنى فى علوم الخلاف الدائرة بين الأئمة المعتبرين، فتجدهم إذا عينوا مذاهبهم قووها بذكر من ذهب إليها من الصحابة، وما ذاك إلا لما اعتقدوا فى أنفسهم وفى مخالفيهم من تعظيمهم، وقوة مآخذهم دون غيرهم، وكبر شأنهم فى الشريعة، وأنهم مما يجب متابعتهم وتقليدهم فضلا عن النظر معهم فيما نظروا فيه.

... ويؤيد هذا ما جاء عن السلف الصالح، من تزكيتهم والحث على متابعتهم.

فعن ابن مسعود-رضي الله عنه-«ت: ٣٢ هـ»، قال: "من كان مستنا فليستن بأصحاب محمد-صلى الله عليه وسلم-فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، وأقومها هديا، وأحسنها حالا، قوما اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم فى آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم"[(١)]

قال الشاطبي-رحمه الله-«ت: ٧٩٠ هـ»: "ولقد زلّ بسبب الإعراض عن الدليل والاعتماد على الرجال أقوام خرجوا بسبب ذلك عن جادة الصحابة والتابعين واتبعوا أهواءهم بغير علم، فضلّوا عن سواء السبيل"[(٢)]

وقال عمر بن عبد العزيز-رحمه الله-«ت: ١٠١ هـ»: "سن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وولاة الأمر بعده سننا، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على

---

(١) أخرجه البغوى في شرح السنة كتاب الإيمان، باب رد البدع والأهواء «١/ ٢١٤»، وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم «٢/ ٩٧»، وذكره ابن قيم الجوزية في أعلام الموقعين «٤/ ١٣٩».

(٢) الاعتصام «٢/ ٩٦».

دين الله، من عمل بها مهتد، ومن استنصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم، وساءت مصيرا.

... وفي رواية بعد قوله –وقوة على دين الله – ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر في رأي خالفها، من اهتدى بها مهتد ... الحديث"[(١)]

فقال مالك فأعجبني عزم عمر على ذلك"[(٢)]

والآثار في هذا المعنى يكثر إيرادها، وقد استوعب كثيرا منها الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه "أعلام الموقعين عن رب العالمين"[(٣)]

ويقول الإمام الشاطبي–رحمه الله–«ت: ٧٩٠ هـ»، في موضع آخر من كتابه مبينا أن بيان الصحابي حجة، قال: "وأما بيان الصحابة، فإن أجمعوا على ما بينوه، فلا إشكال في صحته أيضا، كما أجمعوا على الغسل من التقاء الختانين المبين لقوله تعالى: ﴿**وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا**﴾ [المائدة: الآية: ٦]، وهذا الإجماع حجة موجبة للعلم، ولا يعتد بخلاف من خالفهم، كما حكاه **السرخسي–رحمه الله–«ت: ٤٨٣ هـ»**[(٤)]، **عن أبي حازم القاضي–رحمه الله–«ت: ١٤٠ هـ»**.

وإن لم يجمعوا عليه فهل يكون بيانهم حجة أم لا؟ هذا فيه نظر وتفصيل. ولكنهم يترجح

---

(١) ابن عبد الحكم سيرة عمر «ص: ٤٠»، وابن بطة في الإبانة «١/٣٥٢»، ورقم: «٢٣٠–٢٣١»، والآجري في الشريعة «١/ ١٧٤»، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله «٢/ ١١٧٦». كلهم عن مالك بن أنس وأعل بالانقطاع ورواه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه «ص: ١٧٣»، واللالكائي «١/ ١٠٦»، من طريق يعقوب بن سفيان الفسوي عن سعيد بن أبي مريم عن رشدين بن سعد قال: حدثني عقيل، عن ابن شهاب، عن عمر بن عبد العزيز به، ورشدين ضعيف. انظر التقريب «٢٠٩»، وقد صحح هذا الأثر محقق كتاب الشريعة للآجري فقال: والأثر يصح بهذين الطريقين ويقوى بهما. انظر الشريعة «١/ ١٧٤». وقد أخرجه أيضا قوام السنة في الحجة في بيان المحجة «١/ ١٠٩–١١٠» وابن كثير في البداية والنهاية «٥/ ٢٤٢» وعزاه محقق كتاب المعرفة والتاريخ إلى الجزء المفقود منه.

(٢) الموافقات «٤/٤٥٢–٤٥٥»، وانظر: الاعتصام «٢/ ٥١٩».

(٣) أعلام الموقعين «٤/١١٨–١٥٦»، وانظر: الرسالة للشافعي «ص: ٥٩٦»، فقرات رقم: «١٦٨٢، ١٨٠٥ – ١٨١١».

(٤) أصول السرخسي «١/ ٣١٧»، وانظر: علم أصول الفقه وتاريخ التشريع الإسلامي للشيخ أحمد إبراهيم «ص: ٢٤، ٢٥».

الاعتماد عليهم في البيان، من وجهين:

أحدهما: معرفتهم باللسان العربى، فإنهم عرب فصحاء، لم تتغير ألسنتهم، ولم تنزل عن رتبتها العليا فصاحتهم، فهم أعرف فى فهم الكتاب والسنة من غيرهم، فإذا جاء عنهم قول أو عمل واقع موقع البيان صح اعتماده من هذه الجهة.

ثانيهما: مباشرتهم للوقائع والنوازل، وتنزيل الوحي بالكتاب والسنة، فهم أقعد فى فهم القرائن الحالية، وأعرف بأسباب التنزيل، ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فمتى جاء عنهم تقييد بعض المطلقات، أو تخصيص بعض العمومات، فالعمل عليه صواب، وهذا إن لم ينقل عن أحد منهم خلاف فى المسألة، فإن خالف بعضهم فالمسالة اجتهادية"(١)

المسألة السادسة: وجوب محبتهم.

الصحابة هم خير القرون، وصفوة هذه الأمة وأفضل هذه الأمة بعد نبيها-صلى الله عليه وسلم-، ويجب علينا أن نتولاهم ونحبهم ونترضى عنهم وننزلهم منازلهم، فإن محبتهم واجبة على كل مسلم، وحبهم دين وإيمان وقربى إلى الرحمن.

قال أنس بن مالك-رضي الله عنه-«ت: ٩٣ هـ»: "ما فرحنا بشيء فرحنا بقوله-صلى الله عليه وسلم-: «**المرء مع من أحب**». قال: فأنا أحب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وأبا بكر، وعمر، فأرجو أن أكون معهم"(٢)

عن أيوب السختياني-رحمه الله-«ت: ١٣١ هـ»، أنه قال: "من أحب أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحب عليا فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الحسنى في أصحاب رسول الله-صلى الله

---

(١) الموافقات «٣/ ٣٠٠، ٣٠١».

(٢) أخرجه: البخاري «٣٦٨٨»، ومسلم «٢٦٣٩».

عليه وسلم-فقد برئ من النفاق"[(١)]

عن شقيق البلخي-رحمه الله-«ت: ١٩٤ هـ»، قال: "حب أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة"[(٢)]

وعن عبد العزيز بن جعفر اللؤلؤي قال: قلت **للحسن-رحمه الله-«ت: ١١٠ هـ»**: "حب أبي بكر وعمر سنة". قال: "لا فريضة"[(٣)]

وعن طاووس-رحمه الله-«ت: ١٠٦ هـ»، قال: "حب أبي بكر ومعرفة فضلهما من السنة"[(٤)]

عن أبي زرعة الرازي-رحمه الله-«ت: ٢٨٩ هـ»، قال: سمعت قبيصة بن عقبة «ت: ٢١٥ هـ» يقول: "حب أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم-كلهم سنة"[(٥)]

وعن مالك بن أنس-رحمه الله-«ت: ١٧٩ هـ»: قال: "كان السلف يعلمون أولادهم حب أبي بكر وعمر-رضي الله عنهما- كما يعلمون السورة من القرآن"[(٦)]

قال الإمام الطحاوي-رحمه الله-«ت: ٣٢١ هـ»: "وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَلا نُفَرِّطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَلا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ وَبِغَيْرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ، وَلا نَذْكُرُهُمْ إلا بِخَيْرٍ. وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ"[(٧)]

وقال أبو عبد الله ابن بطة-رحمه الله-«ت: ٣٨٧ هـ»: "ونحب جميع أصحاب رسول

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير «٨/ ١٣».

(٢) المناقب لابن الجوزي «ص: ٤٩»، وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة «٤/ ١٢٣٨».

(٣): شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي «٤/ ١٢٣٩»، وابن الجوزي: مناقب «ص: ٣٩».

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي «٤/ ١٢٣٩»، والمناقب لابن الجوزي: «ص: ٣٩».

(٥) أصول الاعتقاد «٧/ ١٣١٣، ٢٣٢٧»

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي: «٤/ ١٢٤٠»، والمناقب لابن الجوزي: «ص: ٣٩».

(٧) شرح الطحاوية «ص: ٤٦٧».

الله-صلى الله عليه وسلم-على مراتبهم ومنازلهم أولًا فأولًا: من أهل بدر والحديبية وبيعة الرضوان وأحد فهؤلاء أهل الفضائل الشريفة والمنازل المنيفة الذين سبقت لهم السوابق رحمهم الله أجمعين"(١)

قال ابن حزم-رحمه الله-«ت: ٤٥٦ هـ»: "وكلهم عدل إمام فاضل رضي فرض علينا توقيرهم وتعظيمهم وأن نستغفر لهم ونحبهم وتمرة يتصدق بها أحدهم أفضل من صدقة أحدنا بما يملك وجلسة من الواحد منهم مع النبي-صلى الله عليه وسلم-أفضل من عبادة أحدنا دهره كله وسواء كان من ذكرنا على عهده عليه السلام صغيرا أو بالغًا"(٢)

قال البيهقي-رحمه الله-«ت: ٤٥٨ هـ»: "ويدخل في جملة حب النبي-صلى الله عليه وسلم-حب أصحابه؟ لأن الله-عز وجل-أثنى عليهم ومدحهم فقال: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا**﴾ [الفتح: الآية: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾ [الفتح: الآية: ١٨].

وقال تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾ [الأنفال: الآية: ٧٤].

---

(١) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة «ص: ٢٧١».

(٢) الإحكام في أصول الأحكام «٥/ ٨٩».

فإذا أنزلوا هذه المنزلة استحقوا من جماعة المسلمين أن يحبوهم ويتقربوا إلى الله عز وجل بمحبتهم لأن الله تعالى إذا رضي عن أحد أحبه وواجب على العبد أن يحب من يحب مولاه"[١]

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "واجب على كل مسلم جاء بعد الصحابة–رضي الله عنهم–من عباد الله المؤمنين أن يدعو لهم، ويستغفر لهم، ويترحم عليهم لما لهم من القدر العظيم، ولما حازوه من المناقب الحميدة، والسوابق القديمة، والمحاسن المشهورة، ولما لهم من الفضل الكبير على كل من أتى بعدهم"[٢]

قال السفاريني–رحمه الله–«ت: ١١٨٨ هـ»: "فمن أراد السلامة لدينه وأن يسلم له إيمانه فليحبهم جميعًا، وأن يحتم ذلك على نفسه، وعلى كل أبناء جنسه لأن ذلك واجب على جميع الأمة واتفق على ذلك الأئمة، فلا يزوغ عن حبهم إلا هالك، ولا يزوغ عن وجوب ذلك إلا آفك"[٣]

المسألة السابعة: القول بعدالة الصحابة لا يعني عصمتهم.

إليك بعض النقولات من العلماء التي تؤكد أن عدالة الصحابة لا تعني عصمتهم:

قال ابن حزم–رحمه الله–«ت: ٤٥٦ هـ»: "الصحابة كلهم عدول، ولكنهم غير معصومين من الخطأ، فقد يقع منهم ما يُخالف الصواب، ويجب التفريق بين العدالة والعصمة"[٤]

قال البيهقي–رحمه الله–«ت: ٤٥٨ هـ»: "الصحابة كلهم عدول، ولكنهم غير معصومين من الخطأ، فقد يقع منهم الخطأ والزلل، ولكن يُغفر لهم باجتهادهم"[٥]

قال ابن عبد البر–رحمه الله–«ت: ٤٦٣ هـ»: "الصحابة ليسوا معصومين من الخطأ،

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي «١/ ٢٨٧».

(٢) طريق الهجرتين لابن القيم «ص: ٥٣٧».

(٣) لوامع الأنوار البهية، للسفاريني «٢/ ٣٥٤».

(٤) الإحكام في أصول الأحكام، «١/ ٨٩».

(٥) المدخل إلى السنن الكبرى، «١/ ١٨٧».

ولكنهم عدول في روايتهم، وما شجر بينهم مغفور لهم، لأنهم مجتهدون"[(١)]

وقال الخطيب البغدادي-رحمه الله-«ت: ٤٦٣ هـ»: "عدالة الصحابة ثابتة ومعلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نص القرآن، فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾ [آل عمران: الآية: ١١٠]،

وقوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**﴾ [البقرة: الآية: ١٤٣].

وهذا اللفظ وإن كان عاما فالمراد به الخاص وقيل: هو وارد في الصحابة دون غيرهم.

وقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾ [الفتح: الآية: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقوله تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ**﴾ [الواقعة: الآيات: ١٠-١٢].

وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأنفال: الآية: ٦٤].

وقوله تعالى: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الحشر: الآيات: ٨- ٩].

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، «١/ ١١».

في آيات يكثر إيرادها، ويطول تعدادها.

ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة مثل ذلك، وأطنب في تعظيمهم وأحسن الثناء عليهم....

وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة، والقطع على تعديلهم ونزاهتهم فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق له ...

على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة، والجهاد، والنصرة، وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين، القطع على عدالتهم والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين.

وهذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء"[١]

قال القاضي عياض–رحمه الله–«ت: ٥٤٤ هـ»: "الصحابة ليسوا معصومين من الخطأ، ولكنهم عدول، وما وقع منهم يُغفر لهم باجتهادهم وإخلاصهم"[٢]

قال ابن عساكر–رحمه الله–«ت: ٥٧١ هـ»: "الصحابة ليسوا معصومين من الخطأ، ولكن عدالتهم ثابتة، وما وقع منهم يُغفر لهم باجتهادهم"[٣]

قال الإمام النووي–رحمه الله–«ت: ٦٧٦ هـ»: "اتفق أهل السنة على أن الصحابة كلهم عدول، ولكن ليس معنى ذلك أنهم معصومون من الخطأ والذنوب، بل يُحتمل منهم الذنوب والخطايا، ولكنهم لا يتعمدون الكذب في الرواية"[٤]

قال الإمام النووي–رحمه الله–«ت: ٦٧٦ هـ»: شرحًا للحديث: "وما شجر بينهم

---

(١) الكفاية في علم الرواية «ص: ٩٣-٩٦».

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، «٢/ ٨٣».

(٣) تاريخ دمشق، «٢/ ٣٢٤».

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، «١٥/ ١٤٩».

مغفور لهم، لأنهم عدول في نقل الدين، والاجتهاد مغفور خطؤه"[(١)]

قال ابن تيمية –رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "الصحابة ليسوا معصومين من الذنوب، بل يُغفر لهم ما اجتهدوا فيه وأخطأوا، فإن الله يغفر لهم باجتهادهم، وعدالتهم لا تعني العصمة"[(٢)]

قال ابن تيمية –رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "الصحابة ليسوا معصومين من الخطأ، بل يُحتمل منهم ما يُحتمل من غيرهم من البشر، ولكن عدالتهم ثابتة بالإجماع"[(٣)]

قال الذهبي –رحمه الله–«ت: ٧٤٨ هـ»: "الصحابة ليسوا معصومين، بل يُحتمل منهم الخطأ، ولكنهم عدول في روايتهم، وعدالتهم لا تعني العصمة من الزلل"[(٤)]

قال الذهبي –رحمه الله–«ت: ٧٤٨ هـ»: "كل من يُثبت للصحابة العصمة فقد غلط، فإنهم بشر يُصيبون ويُخطئون، وعدالتهم لا تعني العصمة من الذنوب"[(٥)]

قال الذهبي –رحمه الله–«ت: ٧٤٨ هـ»: "الصحابة ليسوا بمعصومين، بل يُحتمل منهم الخطأ والزلل، ولكنهم عدول في نقل الدين ورواية الحديث"[(٦)]

قال ابن القيم –رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "الصحابة ليسوا معصومين من الخطأ، بل لهم من الحسنات ما يُكفر سيئاتهم، وهم عدول فيما نقلوه، ولكن هذا لا يعني العصمة"[(٧)]

قال ابن كثير –رحمه الله–«ت: ٧٧٤ هـ»: "الصحابة كلهم عدول، وليسوا بمعصومين

---

(١) الأربعين النووية، شرح الحديث رقم: «٨».

(٢) منهاج السنة النبوية، «٤/ ٥٤٨».

(٣) مجموع الفتاوى، «٢٨/ ٣١١».

(٤) ميزان الاعتدال، «١/ ٤».

(٥) تذكرة الحفاظ، «١/ ٣».

(٦) سير أعلام النبلاء، «١/ ١٢».

(٧) إعلام الموقعين، «١/ ٧٨».

من الخطأ والزلل، ولكن اجتهادهم مغفور لهم، وذنوبهم مغمورة في بحار حسناتهم"[(١)]

قال الشاطبي–رحمه الله–«ت: ٧٩٠ هـ»: "ليس معنى عدالة الصحابة أنهم معصومون من الخطأ والذنوب، بل هم بشر، يُحتمل منهم ما يُحتمل من غيرهم، ولكن يُغفر لهم باجتهادهم، وما شجر بينهم مغفور لهم"[(٢)]

قال ابن حجر العسقلاني–رحمه الله–«ت: ٨٥٢ هـ»: "الصحابة كلهم عدول، وما شجر بينهم مغفور لهم، لأنهم مجتهدون، ولكن لا يعني ذلك أنهم معصومون من الخطأ، بل قد يقع منهم الخطأ والزلل"[(٣)]

قال ابن حجر العسقلاني–رحمه الله–«ت: ٨٥٢ هـ»: "الصحابة ليسوا معصومين، بل يُحتمل منهم الخطأ والزلل، ولكنهم عدول في نقل الحديث وما وقع منهم يُغفر باجتهادهم"[(٤)]

قال السيوطي–رحمه الله–«ت: ٩١١ هـ»: "اتفق أهل السنة والجماعة على عدالة الصحابة، ولكن ذلك لا يعني العصمة من الخطأ والمعاصي، فإن العصمة خاصة بالأنبياء"[(٥)]

قال الشوكاني–رحمه الله–«ت: ١٢٥٠ هـ»: "عدالة الصحابة ثابتة بالإجماع، ولكنها لا تعني العصمة من الخطأ، فقد يقع منهم الخطأ والزلل، ولكن يُغفر لهم باجتهادهم"[(٦)]

هذه النقولات تؤكد أن عدالة الصحابة لا تعني العصمة، وأنهم قد يخطئون ويزلّون كغيرهم من البشر، ولكن يُغفر لهم ذلك بسبب اجتهادهم وعدالتهم في نقل الحديث والدين.

المسألة الثامنة: الإمساك عما شجر بينهم.

---

(١) البداية والنهاية، «٨/ ٢٢١».

(٢) الاعتصام، «٢/ ١٨٩».

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، «١/ ١٠».

(٤) فتح الباري «٧/ ٨٢».

(٥) تدريب الراوي، «٢/ ٢١٤».

(٦) نيل الأوطار، «١/ ٣٨».

عن عمر بن عبد العزيز-رحمه الله-«ت: ١٠١ هـ»، أنه سئل عما جرى بين الصحابة، فقال لهم: "هذه دماء طهر الله سيوفنا منها؛ فنحن نطهر ألسنتنا منها"(١)

قال القرطبي-رحمه الله-«ت: ٦٧١ هـ»: "لا يجوز أن ينسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به، إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه وأرادوا الله عز وجل، وهم كلهم لنا أئمة، وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم، وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر، لحرمة الصحبة ولنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن سبهم، وأن الله غفر لهم، وأخبر بالرضا عنهم"(٢)

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "الآثار المروية فيما وقع بين الصحابة-رضي الله عنهم-تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- منها ما هو كذب.

٢- ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهته.

٣- والصحيح منها هم فيه معذورون أما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون"(٣)

ولهم-رضي الله عنهم-من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما صدر منهم.

قال الذهبي-رحمه الله-«ت: ٧٤٨ هـ»: "كما تقرر الكف عن كثير مما تشجر بينهم وقتالهم-رضي الله عنهم-أجمعين وما زال يمر بنا ذلك في الدواوين والكتب والأجزاء، ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف وبعضه كذب... فينبغي طيه وإخفاءه، بل إعدامه لتصفوا القلوب وتتوفر على حب الصحابة والترضي عنهم وكتمان ذلك متعين عن العامة وآحاد العلماء". إلى أن قال: "فأما ما نقله أهل البدع في كتبهم من ذلك فلا نعرج عليه ولا كرامة فأكثره باطل وكذب وافتراء"(٤)

---

(١) فتح المغيث للسخاوى «٣/ ٩٦».

(٢) "تفسير القرطبي" «١٦/ ٣٢١».

(٣) انظر الواسطية لابن تيمية «ص: ١٢٠».

(٤) السير «١٠/ ٩٢-٩٣».

قال الذهبي–رحمه الله–«ت: ٧٤٨ هـ»: "فبالله كيف يكون حال من نشأ في إقليم لا يكاد يشاهد فيه إلا غاليًا في الحب مفرطًا في البغض ومن أين يقع له الإنصاف والاعتدال؟! فنحمد الله على العافية الذين أوجدنا في زمان قد أنمحص فيه الحق وأتضح من الطرفين وعرفنا مآخذ كل واحد من الطائفتين وتبصرنا فعذرنا واستغفرنا وأحببنا باقتصاد وترحمنا على البغاة بتأويل سائغ في الجملة أو بخطأ إن شاء الله مغفور وقلنا كما علمنا الله ربنا أغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا وترضينا أيضا عمن اعتزل الفريقين كسعد بن أبي وقاص وابن عمر ومحمد بن مسلمة وسعيد بن زيد وخلق وتبرأنا من الخوارج الذين حاربوا علياً وكفروا الفريقين"(١)

عن ابن عباس–رضي الله عنهما–«ت: ٦٨ هـ»، قال: "لا تسبوا أصحاب محمد فإن الله أمر بالاستغفار لهم وهو يعلم أنهم سيقتتلون"(٢)

روى الخطابي من طريق حمزة بن الحارث الدهان قال: حدثنا عبد الله بن روح المدائني قال: حدثنا يحي بن الصامت قال: حدثنا أبو إسحاق الفزاري عن الأعمش عن أبي راشد قال: جاء رجل من أهل البصرة إلى عبيد الله بن عمر، فقال: إن رسول إخوانك من أهل البصرة إليك فإنهم يقرءونك السلام ويسألونك عن أمر هذين الرجلين علي وعثمان وما قولك فيهما. فقال: هل غير. قال: لا. قال: جهزوا الرجل فلما فرغ من جهازه قال: أقرأ – عليهم السلام – وأخبرهم أن قولي فيهم: ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [البقرة: الآية: ١٤١]. (٣)

عن شهاب بن خراش بن حوشب–رحمه الله–«ت: قبل: ١٨٠ هـ» ابن أخي العوام بن حوشب قال: "أدركت من أدركت من صدر هذه الأمة وهم يقولون: اذكروا محاسن أصحاب

---

(١) السير «٣/ ١٢٨».

(٢) فضائل الصحابة للإمام أحمد «١/ ٦٩»، «٢/ ١١٥٢». والإبانة لابن بطة «٢٩٤». وانظر: الصارم المسلول «٣/ ١٠٧١».

(٣) كتاب العزلة «٤٤».

رسول الله–صلى الله عليه وسلم–ما تأتلف عليه القلوب، ولا تذكروا الذي شجر بينهم فتحرشوا الناس عليهم"(١)

وقيل للإمام أحمد–رحمه الله–«ت: ٢٤١ هـ»: ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية –رحمهما الله –؟ قال: ما أقول فيها إلا الحسنى–رحمهم الله–أجمعين"(٢)

وفي ترجمة الحسن بن إسماعيل الربعي: قال. قال لي أحمد بن حنبل–رحمه الله–«ت: ٢٤١ هـ»، إمام أهل السنة والصابر تحت المحنة: – "أجمع تسعون رجلًا من التابعين وأئمة المسلمين، وأئمة السلف، وفقهاء الأمصار على: .... والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وأفضل الناس بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم–أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن عم رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، والترحم على جميع أصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–وأزواجه، وأصهاره–رضوان الله عليهم أجمعين–فهذه السنة الزموها، تلموا أخذها هدى، وتركها ضلالة"(٣)

عن أبي القاسم إسحاق بن إبراهيم بن آزر الفقيه «ت: ٢٧٥ هـ» حدثني أبي قال: حضرت أحمد بن حنبل–رحمه الله–«ت: ٢٤١ هـ»، وسأله رجل عما جرى بين علي ومعاوية فأعرض عنه. فقيل له: يا أبا عبد الله هو رجل من بني هاشم فأقبل عليه. فقال: أقرأ ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ [البقرة: الآية: ١٤١]"(٤)

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل «٤/ ٣٤» ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق «٢٢/ ٢١٥»، وله طريق آخر. فرواه الخلال في السنة «ص: ٥١٣» عن العوام بن حوشب قال: اذكروا محاسن أصحاب محمد–صلى الله عليه وسلم–تأتلف عليه قلوبكم، ولا تذكروا غيره فتحرشوا الناس عليهم.

(٢) رواه الخلال في السنة «٢/ ٤٦٠»، وابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد «١٦٤». وسنده صحيح.

(٣) طبقات الحنابلة «١/ ٣٤٩».

(٤) رواه الخطيب في تاريخ بغداد «٦/ ٤٤»، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق «٥٩/ ١٤١»، وابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة «١/ ٢٥١».

قال اللالكائي-رحمه الله-«ت: ٤١٨ هـ»: "أخبرنا محمد بن المظفر المقري قال: حدثنا الحسين بن محمد بن حبش المقري قال: حدثنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم قال: سألت أبي «ت: ٢٧٧ هـ»، وأبا زرعة-رحمه الله-«ت: ٢٦٤ هـ» عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار وما يعتقدان من ذلك. فقالا: "أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً فكان من مذهبهم الإيمان قول وعمل يزيد وينقص والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته والقدر خيره وشره من الله-عز وجل-وخير هذه الأمة بعد نبيها-عليه الصلاة والسلام-أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب-عليهم السلام-، وهم الخلفاء الراشدون المهديون وأن العشرة الذين سماهم رسول الله وشهد لهم بالجنة على ما شهد به رسول الله وقوله الحق والترحم على جميع أصحاب محمد والكف عما شجر بينهم..."(١)

وقال البربهاري-رحمه الله-«ت: ٣٢٩ هـ»: "والكف عن حرب علي ومعاوية وعائشة وطلحة والزبير-رحمهم الله-أجمعين ومن كان معهم ولا تخاصم فيهم وكل أمرهم إلى الله-تبارك وتعالى-"(٢)

قال ابن بطة-رحمه الله-«ت: ٣٨٧ هـ»: "ومن بعد ذلك نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-فقد شهدوا المشاهد معه، وسبقوا الناس بالفضل فقد غفر الله لهم وأمرك بالاستغفار لهم والتقرب إليه بمحبتهم وفرض ذلك على لسان نبيه وهو يعلم ما سيكون منهم وأنهم سيقتتلون وإنما فضلوا على سائر الخلق لأن الخطأ والعمد قد وضع عنهم وكل ما شجر بينهم مغفور لهم ولا تنظر في كتاب صفين والجمل ووقعة الدار وسائر المنازعات التي جرت بينهم ولا تكتبه لنفسك ولا لغيرك ولا تروه عن أحد ولا تقرأه على غيرك ولا تسمعه ممن يرويه فعلى ذلك اتفق سادات علماء هذه الأمة من النهي عما وصفناه منهم:

(١) أصول اعتقاد أهل السنة «ص: ٣٢١».

(٢) شرح السنة «ص: ١٠٢».

حماد بن زيد ويونس بن عبيد وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة وعبدالله بن إدريس ومالك بن أنس وابن أبي ذئب وابن المنكدر وابن المبارك وشعيب بن حرب وأبو إسحاق الفزاري ويوسف بن أسباط وأحمد بن حنبل وبشر بن الحارث وعبدالوهاب الوراق. كل هؤلاء قد رأوا: النهي عنها والنظر فيها والاستماع إليها وحذروا من طلبها والاهتمام بجمعها. وقد روى عنهم فيمن فعل ذلك أشياء كثيرة بألفاظ مختلفة المعاني على كراهية ذلك والإنكار على من رواها واستمع إليها"[(١)]

قال الإمام الصابوني-رحمه الله-«ت: ٤٤٩ هـ»: "ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيبًا لهم ونقصًا فيهم"[(٢)]

يقول الإمام الآمدى-رحمه الله-«ت: ٦٣١ هـ»: "فالواجب أن يحمل كل ما جرى بينهم من الفتن على أحسن حال، وإن كان ذلك إنما لما أدى إليه اجتهاد كل فريق من اعتقاده أن الواجب ما صار إليه، وأنه أوفق للدين وأصلح للمسلمين.

وإلا فجمهور الصحابة وسادتهم تأخروا عن تلك الفتن والخوض فيها كما **قال محمد بن سيرين-رحمه الله-«ت: ١١٠ هـ»**: "هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-عشرة آلاف فما حضر منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين". وإسناد هذه الرواية كما قال ابن تيمية أصح إسناد على وجه الأرض"[(٣)]

وعلى هذا فالذى خاض فى تلك الفتن من الصحابة إما أن يكون كل مجتهد مصيبًا، أو أن المصيب واحد، والآخر مخطئ في اجتهاده مأجور عليه.

وعلى كلا التقديرين، فالشهادة والرواية من الفريقين لا تكون مردودة، إما بتقدير الإصابة

---

(١) كتاب الإبانة «ص: ٢٩٤».

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث «ص: ٢٩٤».

(٣) منهاج السنة «٣/ ١٨٦».

فظاهر، وإما بتقدير الخطأ مع الاجتهاد فبالإجماع"[١]

يقول الإمام الجويني–رحمه الله–«ت: ٤١٩ هـ»: "أما التوقف في تعديل كل نفر من الذين لابسوا الفتن، وخاضوا المحن، ومتضمن هذا، الانكفاف عن الرواية عنهم، فهذا باطل من دين الأمة، وإجماع العلماء على تحسين الظن بهم، وردهم إلى ما تمهد لهم من المآثر بالسبيل السابقة، وهذا من نفائس الكلام"[٢]

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "ولهذا كان من مذاهب أهل السنة الإمساك عما شجر بين الصحابة، فإنه قد ثبتت فضائلهم، ووجبت موالاتهم ومحبتهم، وما وقع: منه ما يكون لهم فيه عذر يخفى على الإنسان، ومنه ما تاب صاحبه منه، ومنه ما يكون مغفورا، فالخوض فيما شجر يوقع في نفوس كثير من الناس بغضا وذما، ويكون هو في ذلك مخطئا، بل عاصيا، فيضر نفسه، ومن خاض معه في ذلك.. ولهذا كان الإمساك طريقة أفاضل السلف"[٣]

قال ابن حجر العسقلاني–رحمه الله–«ت: ٨٥٢ هـ»: "واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف المحق منهم لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد وقد عفا الله – تعالى –عن المخطئ في الاجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجراً واحداً وأن المصيب يؤجر أجرين"[٤]

---

(١) الإحكام للآمدى «٢/ ٨٢» بتصرف وانظر: فواتح الرحموت «٢/ ١٥٥-١٥٦»، والبحر المحيط «٤/ ٢٩٩»، وإرشاد الفحول «١/ ٢٧٥»، والباعث الحثيث «ص: ١٥٤»، وعقيدة أهل السنة فى الصحابة الكرام للدكتور ناصر الشيخ مبحث "الحرب التى دارت بين على بن أبي طالب، وبعض الصحابة–رضى الله عنهم–وموقف أهل السنة منها" «٢/ ٧٠٠ – ٧٤٨»، وانظر: الرد القويم على المجرم الأثيم للشيخ التويجرى «ص: ١٨٢-١٨٤».

(٢) البرهان فى أصول الفقه «١/ ٢٤١، ٢٤٢».

(٣) منهاج السنة النبوية «٤/ ٤٤٨-٤٤٩».

(٤) الفتح «١٣/ ٣٧».

١٩- الصلاة وراء الأئمة

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: حكم صلاة الجماعة:

المسألة الثانية: حكم الصلاة خلف الفساق.

المسألة الثالثة: الصلاة خلف المبتدع

[١٩]- قال المصنف رحمه الله: ولا نترك حضور الجمعة، وصلاة مع بَرِّ هذه الأمة وفاجرها لازم، ما كان من البدعة بريئاً فإن ابتدع ضلالاً فلا صلاة خلفه، والجهاد مع كل إمام عدل أو جائر، والحج.

الشرح

المسألة الأولى: حكم صلاة الجماعة:

الصلاة جماعة مع المسلمين في بيوت الله من أهم الفرائض، وهي من شعائر الإسلام، الواجب على كل مكلف أن يعتني بها، وأن يبادر ويسارع إلى إقامة الصلاة في الجماعة مع المسلمين، وأن يتباعد عن مشابهة أهل النفاق.

قال ابن مسعود-رضي الله عنه-: "من سره أن يلقى الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها-يعني الصلاة في الجماعة-إلا منافق معلوم النفاق ولقد كان الرجل-يعني من الصحابة-يؤتى به يهادى بين الرجلين-يعني المريض أو كبير السن-حتى يقام في الصف" من شدة حرصهم على أداء الصلاة مع الجماعة.

ويقول النبي ﷺ : «من سمع النداء فلم يأته فلا صلاة له إلا من عذر» (١) قيل لابن عباس رضي الله عنهما: ما هو العذر؟ قال: «خوف أو مرض».

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه أتاه رجل أعمى وقال يا رسول الله ليس لي قائد يلائمني إلى المسجد فهل لي من رخصة أن أصلي في بيتي؟ فقال له النبي ﷺ «هل

(١) رواه ابن ماجه في «المساجد والجماعات» باب التغليظ في التخلف عن الجماعة برقم «٧٩٣».

تسمع النداء إلى الصلاة؟» فقال: نعم. قال: «فأجب»[(١)] رواه مسلم في صحيحه.

وفي رواية أخرى عند غير الإمام مسلم: «لا أجد لك رخصة»[(٢)].

المسألة الثانية: حكم الصلاة خلف الفساق.

عند أهل السنة أنه يصلى خلف كل بر وفاجر، هذا هو الصواب، فأنت تصلي خلف الأمراء وتجاهد معهم وإن كانوا أهل معاصي، وتصلي خلف أئمة المساجد وإن كان فيهم معصية.

وفي صحيح البخاري: أن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- كان يصلي خلف الحجاج بن يوسف الثقفي، وكذا أنس بن مالك، وكان الحجاج فاسقًا ظالما.

قال النووي:"وأما صلاة ابن عمر خلف الحجاج بن يوسف فثابتة في صحيح البخاري".[(٣)]

روى البخاري في صحيحه قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ سَالِمٍ قَالَ: كَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى الْحَجَّاجِ"أَنْ لَا يُخَالِفَ ابْنَ عُمَرَ فِي الْحَجِّ"، فَجَاءَ ابْنُ عُمَرَ- رضي الله عنه-وَأَنَا مَعَهُ يَوْمَ عَرَفَةَ حِينَ زَالَتْ الشَّمْسُ فَصَاحَ عِنْدَ سُرَادِقِ الْحَجَّاجِ فَخَرَجَ وَعَلَيْهِ مِلْحَفَةٌ مُعَصْفَرَةٌ، فَقَالَ:"مَا لَكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟"، فَقَالَ:"الرَّوَاحَ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ السُّنَّةَ"، قَالَ:"هَذِهِ السَّاعَةَ؟!"، قَالَ:"نَعَمْ"، قَالَ:"فَأَنْظِرْنِي حَتَّى أُفِيضَ عَلَى رَأْسِي ثُمَّ أَخْرُجُ"، فَنَزَلَ حَتَّى خَرَجَ الْحَجَّاجُ فَسَارَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي، فَقُلْتُ:"إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ السُّنَّةَ فَاقْصُرْ الْخُطْبَةَ وَعَجِّلْ الْوُقُوفَ"، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ قَالَ:"صَدَقَ".[(٤)]

---

(١) رواه مسلم في «المساجد ومواضع الصلاة» باب يجب إتيان المسجد على من سمع النداء برقم «٦٥٣»، والنسائي في «الإمامة» باب المحافظة على الصلوات حيث ينادى بهن برقم «٨٥٠».

(٢) رواه أبو داود في «الصلاة» باب التشديد في ترك الجماعة برقم «٥٥٢»، وابن ماجه في «المساجد والجماعات» باب التغليظ في التخلف عن الجماعة برقم «٧٩٢».

(٣) المجموع «٤/ ٢٢٢»، وكذا ابن الملقن في البدر المنير «٤/ ٥٢٠»، والحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير «٢/ ٤٣».

(٤) صحيح البخاري رقم «١٦٦٠»

قال ابن حجر: "وَفِيهِ: صِحَّةُ الصَّلَاةِ خَلْفَ الْفَاسِقِ".[(١)].

وروى ابن أبي شيبة في المصنف عن عُمَيْرِ بن هَانِئٍ قال: شَهدت ابن عمر والحجاج مُحَاصِرٌ ابن الزبير، فكان منزل ابن عمر بينهما، فكان ربما حضر الصلاة مع هؤلاء، وربما حضر الصلاة مع هؤلاء".[(٢)].

وفي صحيح البخاري أيضًا، أن النبي -ﷺ- قال: «يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وأن أخطأوا فلكم وعليهم».[(٣)]

وقد كان الصحابة -رضوان الله عليهم- يصلون خلف من يعرفون فجوره كما صلى عبد الله بن مسعود وغيره من الصحابة خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط[(٤)]، وكان قد يشرب الخمر وصلى مرة الصبح أربعاً وجلده عثمان بن عفان على ذلك[(٥)]، فمثل هذه الأمور أهل السنة وأصحاب النبي -ﷺ- لنا فيهم الأسوة والقدوة، فهم أسوتنا وقدوتنا.

المسألة الثالثة: الصلاة خلف المبتدع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وكان الصحابة والتابعون يصلون خلف ابن أبي عبيد وكان متهماً بالإلحاد وداعياً إلى الضلال؛ [(٦)]

وسار التابعون ومن تبعهم بإحسان من أئمة السلف على هذا، فقرروه قولاً وفعلاً، فمن

---

(١) فتح الباري لابن حجر «٣/ ٥١٢».

(٢) المصنف «٢/ ١٥٢» قال ابن حجر: "إسناده صحيح".المطالب العالية «٣/ ٧٠٢».

(٣) صحيح البخاري مع فتح الباري «٢/ ٣٢٩».

(٤) الحديث رواه أحمد «١/ ٤٥٠» «٤٢٩٨»، والطبراني «٩/ ٢٩٩» «٩٥٢٠».قال الهيثمي في مجمع الزوائد «١/ ٣٢٩»: رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله ثقات، وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيقه للمسند «٦/ ١٤٦».

(٥) رواه أحمد «١/ ١٤٤» «١٢٢٩»، والبيهقي «٨/ ٣١٨» «١٧٩٨٥».قال شعيب الأرناؤوط محقق «المسند»: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٦) مجموع الفتاوى «٣/ ٢٨١».

ذلك:

ما جاء عن الأعمش رحمه الله أنه قال: "كان كبار أصحاب عبد الله –يعني ابن مسعود– يصلون الجمعة مع المختار ويحتسبون بها".(١)

وقد كان أبو وائل–رحمه الله–يصلي الجمعة مع المختار بن أبي عبيد(٢).

وعن الحسن–رحمه الله–أنه سئل عن الصلاة خلف صاحب البدعة، فقال الحسن: "صل خلفه، وعليه بدعته".(٣)

وعن الحكم بن عطية–رحمه الله–أنه قال: سألت الحسن وقلت: رجل من الخوارج يؤمنا، أنصلي خلفه؟ قال: "نعم، قد أم الناس من هو شر منه".(٤)

وعن ابن وضاح–رحمه الله–: قال: سألت الحارث بن مسكين: هل ندع الصلاة خلف أهل البدع؟ فقال: "أما الجمعة خاصة فلا، وأما غيرها من الصلاة فنعم".(٥)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله–: "وأما الصلاة خلف أهل الأهواء والبدع، وخلف أهل الفجور، ففيه نزاع مشهور وتفصيل ليس هذا موضع بسطه.

ولكن أوسط الأقوال في هؤلاء أن تقديم الواحد من هؤلاء في الإمامة، لا يجوز مع القدرة على غيره، فإن من كان مظهرًا للفجور أو البدع يجب الإنكار عليه ونهيه عن ذلك، وأقل مراتب الإنكار هجره لينتهي عن فجوره وبدعته، ولهذا فرق جمهور الأئمة بين الداعية وغير الداعية، فإن الداعية أظهر المنكر فاستحق الإنكار عليه، بخلاف الساكت فإنه بمنزلة من أسر بالذنب، فهذا لا ينكر عليه في الظاهر، فإن الخطيئة إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها، ولكن إذا أعلن فلم تنكر ضرت العامة، ولهذا كان المنافقون تقبل منهم علانيتهم، وتوكل سرائرهم

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف «١/ ٤٧٥» برقم «٥٤٩٧»، وابن أبي زمنين في أصول السنة «ص: ٢٨٤» برقم: «٢١٠».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف» «١/ ٤٧٥» برقم: «٥٤٩٧»، وَعَبَد الرزاق في المصنف «٢/ ٣٨٦» برقم: «٣٧٩٨».

(٣) صحيح البخاري كتاب الأذان «٥٦» وقال: باب إمامة المفتون والمبتدع. وَعَلَّقَ قَوْل الحسن: «صلِّ وعليه بدْعَتُهُ».

(٤) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة «ص: ٢٨٤» برقم: «٢١١».

(٥) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة «ص: ٢٨٤» برقم: «٢١٢».

إلى الله تعالى بخلاف من أظهر الكفر".[١]

يقول شـيخ الإسـلام ابن تيمية-رحمه الله-: "وَلَوْ عَلِمَ الْمَأْمُومُ أَنَّ الإِمَامَ مُبْتَدِعٌ يَدْعُو إلَى بِدْعَتِهِ، أَوْ فَاسِـقٌ ظَاهِرُ الْفِسْـقِ، وَهُوَ الإِمَامُ الرَّاتِبُ الَّذِي لا تُمْكِنُ الصَّـلاةُ إلا خَلْفَهُ، كَإِمَامِ الْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ، وَالإِمَامِ فِي صَــلاةِ الْحَجِّ بِعَرَفَةَ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْمَأْمُومَ يُصَــلِّي خَلْفَهُ عِنْدَ عَامَّةِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَحْمَد وَالشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَغَيْرِهِمْ.

وَلِهَذَا قَالُوا فِي الْعَقَائِدِ: إنَّهُ يُصَلِّي الْجُمُعَةَ وَالْعِيدَ خَلْفَ كُلِّ إمَامٍ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا.

وَكَذَلِكَ إذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْقَرْيَةِ إلا إمَامٌ وَاحِدٌ، فَإِنَّهَا تُصَلَّى خَلْفَهُ الْجَمَاعَاتُ؛ فَإِنَّ الصَّلاةَ فِي جَمَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ صَــلاةِ الرَّجُلِ وَحْدَهُ، وَإِنْ كَانَ الإِمَامُ فَاسِــقًا. هَذَا مَذْهَبُ جَمَاهِيرِ الْعُلَمَاءِ: أَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ وَالشَّافِعِيِّ وَغَيْرِهِمَا، بَلْ الْجَمَاعَةُ وَاجِبَةٌ عَلَى الأَعْيَانِ فِي ظَاهِرِ مَذْهَبِ أَحْمَد.

وَمَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ خَلْفَ الإِمَامِ الْفَاجِرِ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ عِنْدَ الإِمَامِ أَحْمَد وَغَيْرِهِ مِنْ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ..

وَالصَّـحِيحُ أَنَّهُ يُصَـلِّيهَا وَلا يُعِيدُهَا؛ فَإِنَّ الصَّـحَابَةَ كَانُوا يُصَـلُّونَ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ خَلْفَ الأَئِمَّةِ الْفُجَّارِ وَلا يُعِيدُونَ، كَمَا كَانَ ابْنُ عُمَرَ يُصَــلِّي خَلْفَ الْحَجَّاجِ، وَابْنُ مَسْــعُودٍ وَغَيْرُهُ يُصَـلُّونَ خَلْفَ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ وَكَانَ يَشْـرَبُ الْخَمْرَ؛ حَتَّى إنَّهُ صَـلَّى بِهِمْ مَرَّةً الصُّـبْحَ أَرْبَعًا، ثُمَّ قَـالَ: أَزِيـدُكُمْ؟ فَقَـالَ ابْنُ مَسْــعُودٍ: مَـا زِلْنَـا مَعَـك مُنْذُ الْيَوْمَ فِي زِيَادَةٍ !! وَلِهَذَا رَفَعُوهُ إلَى عُثْمَانَ...

وَالْفَاسِقُ وَالْمُبْتَدِعُ صَـلاتُهُ فِي نَفْسِهِ صَحِيحَةٌ؛ فَإِذَا صَـلَّى الْمَأْمُومُ خَلْفَهُ لَمْ تَبْطُلْ صَـلاتُهُ، لَكِنْ إنَّمَا كَرِهَ مَنْ كَرِهَ الصَّـــلاةَ خَلْفَهُ لأَنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَاجِبٌ، وَمِنْ ذَلِكَ [يعني: ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر] أَنَّ مَنْ أَظْهَرَ بِدْعَةً أَوْ فُجُورًا لا يُرَتَّبُ إمَامًا لِلْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهُ يَسْتَحِقُّ التَّعْزِيرَ حَتَّى يَتُوبَ فَإِذَا أَمْكَنَ هَجْرُهُ حَتَّى يَتُوبَ كَانَ حَسَنًا وَإِذَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ إذَا تَرَكَ الصَّـلاةَ خَلْفَهُ وَصَـلَّى خَلْفَ غَيْرِهِ أُثِرَ ذَلِكَ حَتَّى يَتُوبَ أَوْ يُعْزَلَ أَوْ

(١) مجموع الفتاوى «٢٣/ ٣٤٢»

يَنْتَهِيَ النَّاسُ عَنْ مِثْلِ ذَنْبِهِ. فَمِثْلُ هَذَا إذَا تَرَكَ الصَّلاةَ خَلْفَهُ كَانَ فِيهِ مَصْلَحَةٌ وَلَمْ يَفُتْ الْمَأْمُومَ جُمُعَةٌ وَلا جَمَاعَةٌ. وَأَمَّا إذَا كَانَ تَرَكَ الصَّلاةَ يَفُوتُ الْمَأْمُومَ الْجُمُعَةُ وَالْجَمَاعَةُ فَهُنَا لا يَتْرُكُ الصَّلاةَ خَلْفَهُمْ إلا مُبْتَدِعٌ مُخَالِفٌ لِلصَّحَابَةِ رضي الله عنهم.

وَكَذَلِكَ إذَا كَانَ الإِمَامُ قَدْ رَتَّبَهُ وُلاةُ الأُمُورِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي تَرْكِ الصَّلاةِ خَلْفَهُ مَصْلَحَةٌ، فَهُنَا لَيْسَ عَلَيْهِ تَرْكُ الصَّلاةِ خَلْفَهُ، بَلْ الصَّلَاةُ خَلْفَ الإِمَامِ الأَفْضَلِ أَفْضَلُ".(١)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: "فالواجب على المسلم إذا صار في مدينة من مدائن المسلمين أن يصلي معهم الجمعة والجماعة ويوالي المؤمنين، ولا يعاديهم، وإن رأى بعضهم ضالاً أو غاوياً وأمكن أن يهديه ويرشده فعل ذلك، وإلا فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وإذا كان قادراً على أن يولي في إمامة المسلمين الأفضل ولاه، وإن قدر أن يمنع من أظهر البدع والفجور منعه.

وإن لم يقدر على ذلك فالصلاة خلف الأعلم بكتاب الله وسنة نبيه والأسبق إلى طاعة الله ورسوله أفضل، كما قال النبي-صلى الله عليه وسلم-في الحديث الصحيح: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا سواء فأقدمهم هجره، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سناً». (٢)

وإن كان في هجره لمظهر البدعة والفجور مصلحة راجحة هجره، كما هجر النبي-صلى الله عليه وسلم-الثلاثة الذين خُلِّفُوا حتى تاب الله عليهم، وأما إذا وُلِّي غيره بغير إذنه، وليس في ترك الصلاة خلفه مصلحة شرعية كان تفويت هذه الجمعة والجماعة جهلًا وضلالًا، وكان قد رَدَّ بدعة ببدعة". (٣)

وخلاصة القول: أن أكثر العلماء يرون جواز الصلاة خلف المبتدع على التفصيل الذي قدمناه، ومنهم من منعها وأبطلها وقال بوجوب إعادتها، وممن رجح صحة الصلاة: الإمام

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: «٢٣/ ٣٥٢ ـ ٣٥٤».

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه «١٠٧٩».

(٣) مجموع الفتاوى «٣/ ٢٨٦».

البخاري وابن حجر وابن تيمية، ومن المعاصرين الشيخ ابن باز-رحمه الله-وهو يفصل بين من كانت بدعته شركية كفرية وبين من ليس كذلك فيقول: "تصح الصلاة خلف المبتدع وخلف المسبل إزاره وغيرهما من العصاة في أصح قولي العلماء، ما لم تكن البدعة مكفرة لصاحبها، فإن كانت مكفرة له كالجهمي ونحوه ممن بدعتهم تخرجهم عن دائرة الإسلام، فلا تصح الصلاة خلفهم، ولكن يجب على المسئولين أن يختاروا للإمامة من هو سليم من البدعة والفسق، مرضي السيرة؛ لأن الإمامة أمانة عظيمة، القائم بها قدوة للمسلمين، فلا يجوز أن يتولاها أهل البدع والفسق مع القدرة على تولية غيرهم".

وقول المصنف: «ما كان من البدعة بريئاً فإن ابتدع ضلالاً فلا صلاة خلفه»

أكثر العلماء يرون جواز الصلاة خلف المبتدع على التفصيل الذي قدمناه، ومنهم من منعها وأبطلها وقال بوجوب إعادتها، وممن رجح صحة الصلاة: الإمام البخاري وابن حجر وابن تيمية، ومن المعاصرين الشيخ ابن باز-رحمه الله-وهو يفصل بين من كانت بدعته شركية كفرية وبين من ليس كذلك فيقول: "تصح الصلاة خلف المبتدع وخلف المسبل إزاره وغيرهما من العصاة في أصح قولي العلماء، ما لم تكن البدعة مكفرة لصاحبها، فإن كانت مكفرة له كالجهمي ونحوه ممن بدعتهم تخرجهم عن دائرة الإسلام، فلا تصح الصلاة خلفهم، ولكن يجب على المسئولين أن يختاروا للإمامة من هو سليم من البدعة والفسق، مرضي السيرة؛ لأن الإمامة أمانة عظيمة، القائم بها قدوة للمسلمين، فلا يجوز أن يتولاها أهل البدع والفسق مع القدرة على تولية غيرهم".

والعلماء ذكروا تفاصيل كثيرة تتعلق بالتفريق بين الصلوات العادية وبين صلاة الجمعة والعيدين ويوم عرفة، والتفريق بين من كان مستور الحال ومن هو مجاهر بفسقه أو بدعته، وبين من بدعته مكفرة وبين من هو دون ذلك، وبين من كان هذا المسجد هو الوحيد في ذلك المكان وبين من بإمكانه أن يصلي في مسجد غيره إلى غير ذلك من التفاصيل التي يصعب إيرادها في مثل هذا الشرح.

٢٠- الجهاد مع ولاة الأمر

[٢٠]- قال المصنف رحمه الله: والجهاد مع كل إمام عدل أو جائر.

الشرح

قال محمد بن أبي زمنين-رحمه الله-: "ومن قول أهل السنة أن الحج والجهاد مع كل بر أو فاجر من السنة والحق، وقد فرض الله الحج فقال: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**﴾ [آل عمران: الآية: ٩٧]، وأعلمنا بفضل الجهاد في غير موضع من كتابه، وقد علم أحوال الولاة الذين لا يقوم الحج والجهاد إلا بهم، فلم يشترط ولم يبين وما كان ربك نسيا"[(١)].

وقال قوام السنة الأصفهاني: "والجهاد ماض منذ بعث الله نبيه إلى آخر عصابة تقاتل الدجال". [(٢)]

كما قرر ذلك علي بن المديني[(٣)]، والطحاوية[(٤)]، وابن بطة[(٥)]، والصابوني[(٦)]، وابن قدامة[(٧)]، وابن تيمية [(٨)]، وغيرهم.

---

(١) أصول الدين لابن أبي زمنين «ص: ٢٨٨».

(٢) الحجة «٢/ ٢٩١».

(٣) انظر: أصول السنة للالكائي «١/ ١٩٧».

(٤) انظر شرح الطحاوية «٢/ ٥٥٥».

(٥) انظر الإبانة الصغرى «ص: ٢٧٨».

(٦) انظر: عقيدة السلف الصابوني «ص: ٢٩٤».

(٧) انظر لمعة الاعتقاد «ص: ٣٧».

(٨) انظر: مجموع الفتاوى «٢٨/ ٢٩٠»، «٣٠/ ٣٨».

وقد حكى محمد بن حبيب مفاسد ترك الغزو مع أئمة الجور فقال: "سمعت أهل العلم يقولون: لا بأس بالجهاد مع الولاة، وإن لم يضعوا الخمس موضعه، وإن لم يوفوا بعهد إن عاهدوا، ولو عملوا ما عملوا، ولو جاز للناس ترك الغزو معهم بسوء حالهم لاستذل الإسلام، وتخيفت أطرافه، واستبيح حريمه، ولعلى الشرك وأهله".[(١)]

ويريد المصنف هنا أن يميز بين مذهب أهل السنة وبين قول الرافضة الذين عطلوا الجهاد، وعطلوا صلاة الجمعة بدعوى أنها لا تصح إلا بعد خروج المهدي المنتظر على حد زعمهم.

فشيوخ الشيعة يقولون: "إن صلاة الجمعة لا تجب عليهم حتى يخرج مهديهم المزعوم من سردابه لكي يصلي بهم".[(٢)]

وشيوخ الشيعة يقولون: "إن الجهاد قبل خروج المهدي المنتظر حرام كحرمة الميتة والدم ولحم الخنزير".[(٣)]

قال ابن تيمية رحمه الله: "ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يصلون الجمع والأعياد والجماعات-لا يدعون الجمعة والجماعة كما فعل أهل البدع من الرافضة وغيرهم-فإن كان الإمام مستوراً لم يظهر منه بدعة ولا فجور صُلّي خلفه الجمعة والجماعة باتفاق الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة المسلمين".

قال ابن تيمية: "وَمَنْ أَنْكَرَ مَذْهَبَ الرَّوَافِضِ وَهُوَ لَا يُصَلِّي الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ بَلْ يُكَفِّرُ الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ وَقَعَ فِي مِثْلِ مَذْهَبِ الرَّوَافِضِ فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا أَنْكَرَهُ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَيْهِمْ تَرْكُهُمْ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ وَتَكْفِيرَ الْجُمْهُورِ"[(٤)]

والرافضة كانوا يقولون لا جهاد حتى يخرج الرضا من آل محمد، فقد جاء في فروع الكافي

---

(١) أخرجه ابن أبي زمنين في أصول السنة «ص: ٢٨٩».

(٢) انظر مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة لمحمد جواد العاملي «٢/ ٦٩» كتاب الصلاة.

(٣) انظر كتاب فروع الكافي «٥/ ٧٨٧».

(٤) مجموع الفتاوى: «٢٣/ ٣٥٤».

عن أبي عبد الله جعفر الصادق قال: "القتال مع غير الإمام المفترض طاعته حرام مثل الميتة والدم ولحم الخنزير"[(١)]

وقد أحدث الخميني تغييرًا في المذهب الرافضي، فقرر أن للولي الفقيه جميع ما للإمام من الوظائف والأعمال إلا البداءة بالجهاد فهو من وظائف المهدي، ثم تناقض الخميني فجعل الجهاد منوطًا بجيش جمهوريته.[(٢)]

أما الخوارج فيجمعون على وجوب الخروج على الإمام الجائر[(٣)] فكيف يجاهدون معه؟ بل كانوا يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان.[(٤)]

قال ابن حزم: "جميع فرق الضلالة لم يجر الله على أيديهم خيرًا، ولا فتح الله بهم من بلاد الكفر قرية، ولا رفعوا للإسلام راية، وما زالوا يسعون في قلب نظام المسلمين، ويفرقون كلمة المؤمنين، ويسلون السيف على أهل الدين، ويسعون في الأرض مفسدين، أما الخوارج والشيعة فأمرهم في هذا أشهر من أن يتكلف ذكره"[(٥)]

---

(١) الكافي «١/ ٣٣٤»، وانظر مختصر التحفة الاثني عشرية «ص: ٢٢١».

(٢) انظر: أصول الشيعة للقفاري: «٣/ ١١٧٢»؛ المصدر: مسائل الفروع الواردة في مصنفات العقيدة: «ص: ٣٤».

(٣) الفرق بين الفرق، «ص: ٧٣».

(٤) مسائل الفروع الواردة في مصنفات العقيدة: «ص: ٣٤».

(٥) الفصل: «٥/ ٩٨».

٢١- قصر الصلاة في السفر

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: تعريف قصر الصلاة.

المسألة الثانية: مشروعية القصر في الصلاة.

المسألة الثالثة: حكم من سافر ليترخص.

المسألة الرابعة: ما لا يشرع قصره من الصلوات.

[٢١]- قال المصنف رحمه الله: وقصر الصلاة في الأسفار.

الشرح

تمهيد

من السنن والأحكام قصر الصلاة في السفر، ولها أحكام فقهية معلومة في أبوابها.

فما جاء في شـــرع الله عز وجل فيجب أن يُعظم، ويجب أن يُحترم، فحدود الله ســبحانه وتعالى وأحكام شرعها مقامها في النفس عظيم، فليس لك أن ترد سنة من السنن، وليس لك أن تستهزئ بها، وعليك بامتثالها، فـ«إنَّ اللهَ يُحِبُّ أنْ تؤتى رُخَصُه كما يُحِبُّ أنْ تؤتى عزائمُه»(١).

فإذا كانت هناك رخصة من الرخص كقصر الصلاة في السفر أو نحو ذلك فعليك أن تأتي بها لأن الله تعالى يُحبها منك كما يُحب أن تؤتى فرائضه.

قصر الصلاة يكون في الرباعية وهي الظهر والعصر والعشاء، أما المغرب والفجر فلا يقصران.

وقرر أهل السنة مشروعية قصر الصلاة في السفر-كما جاءت به السنة-وكما قال الإمام المزني(٢) في عقيدته: "وإقصار الصلاة في الأسفار"(٣). كما قرر ذلك قوام السنة الأصفهاني(٤)، خلافا لبعض الخوارج الذين لا يجيزون القصر إلا مع الخوف(٥).

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه «٣٥٦٨»، الطبراني في المعجم الأوسط: «٨/ ٨٢».

(٢) أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني المصري، تلميذ الشافعي، الإمام الفقيه الزاهد، له مصنفات كثيرة، منها مختصره في الفقه، توفي سنة ٢٩٤هـ. انظر: طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ٩٣، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٩٢.

(٣) شرح السنة للمزني ص٨٩.

(٤) انظر الحجة ٢/ ٤٧٧.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى؛ لابن تيمية ٢٤/ ٢٢، ومختصر الفتاوى المصرية ص ٧٢.

المسألة الأولى: تعريفُ قَصرِ الصَّلاةِ

قَصْر الصَّلاةِ: خلافُ الإتمامِ، وهو أنْ تُصلَّى الصَّلاةُ الرُّباعيَّةُ رَكعتينِ(١)

المسألة الثانية: مشروعيَّةُ القَصْرِ في السَّفَرِ

يُشرَعُ قَصرُ الصَّلاةِ الرُّباعيَّةِ في السَّفرِ، في الجُملةِ.

الأدلَّة:

أولًا: من الكِتاب

قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [النساء: الآية: ١٠١]

ثانيًا: من السُّنَّة

١- عن يَعلَى بن أُميَّة رَضِيَ اللهُ عنه قال: «سألتُ عُمرَ بن الخطَّابِ رَضِيَ اللهُ عنه قلتُ: فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا، وقد أمَّن اللهُ الناسَ؟ فقال لي عُمرُ رَضِيَ اللهُ عنه: عجبتُ ممَّا عجبتَ منه، فسألتُ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عن ذلك فقال: «صَدَقةٌ تَصدَّق اللهُ بها عليكم، فاقْبَلوا صَدقتَه»(٢)

٢- عن ابنِ عُمرَ رَضِيَ اللهُ عنهما قال: «صحبتُ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فكان لا يَزيدُ في السَّفرِ على ركعتينِ، وأبا بكر وعُمرَ وعثمانَ كذلك، رَضِيَ اللهُ عنهم»(٣)

٣- عن عبدِ اللهِ بن عُمرَ رَضِيَ اللهُ عنهما قال: قال رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «إنَّ

---

(١) «مقاييس اللغة» لابن فارس «٩٦/٥»، «لسان العرب» لابن منظور «٩٥/٥»، «الفقه الإسلامي وأدلته» للزحيلي «١٣٣٨/٢».

(٢) رواه مسلم «٦٨٦».

(٣) رواه البخاري «١١٠٢» واللفظ له، ومسلم «٦٨٩».

الله يحبُّ أن تُؤتَى رُخَصُه، كما يُحبُّ أن تُؤتَى عزائمُه»[١]

ثالثا: مِنَ الإِجْماع

نقَل الإجماعَ على مشروعيَّة قَصْر الصَّلاةِ للمسافرِ: ابنُ المنذر[٢] ، وابنُ عبد البَرِّ [٣]، وابنُ رُشد[٤]، وابنُ قُدامة[٥] ، والنوويُّ[٦] ، وابنُ تَيميَّة [٧]

المسألة الثالثة: حُكمُ مَن سافَرَ ليترخَّصَ

لا يجوزُ إنشاءُ السَّفرِ من أجْلِ الترخُّصِ برُخَص السَّفرِ، من الإفطارِ في رمضان، وقَصْرِ الصَّلاة، ومَن أنشأ السَّفرَ لذلك لم يُبَحْ له الترخُّصُ؛ نصَّ على هذا فقهاءُ الشافعيَّة[٨] ،

(١) أخرجه أحمد «٥٨٦٦»، وابن خزيمة «٩٥٠» بلفظ: "كما يكره"، وابن حبان «٣٥٦٨» واللفظ له صححه ابن خزيمة، وابن حبان، والألباني في «صحيح الجامع» «١٨٨٥»، وشعيب الأرناؤوط في تخريج «مسند أحمد» «٥٨٦٦».

(٢) قال ابنُ المنذر: «أجمَع أهلُ العلم على أنَّ لِمَن سافر سفرًا يُقصَر في مثله الصلاة وكان سفرُه في حجٍّ، أو عُمرة، أو جِهاد، أن يَقصُر الظهرَ والعصر والعشاء، فيُصلِّي كلَّ واحد منها ركعتَين ركعتَين» «الأوسط» «٣٧٩/٤». وقال أيضًا: «أجمَع أهلُ العِلم لا اختلافَ بينهم على أنَّ لِمَن سافر سفرًا يُقصَر في مِثله الصَّلاة، وكان سفره في حجٍّ، أو عُمرة، أو غزوٍ، أنَّ له أن يقصُر الصلاةَ ما دام مسافرًا» «الأوسط» «٣٩٦/٤».

(٣) قال ابنُ عبد البَرّ: «أجمَع العلماء على أنَّ للمسافر أن يَقصُر الصَّلاةَ إذا سافَر في حجٍّ، أو عُمرة، أو غزوٍ، سفرًا طويلًا أقله ثلاثة أيَّام، فله أن يَقصُرَ ثلاثة أيَّام صلاةَ الظهر والعصر والعشاء، من أربع إلى اثنتين، لا يختلفون في ذلك» «الاستذكار» «٢١٨/٢».

(٤) قال ابنُ رُشد: «أمَّا القصر فإنَّه اتَّفق العلماءُ على جواز قصْر الصَّلاة للمسافر، إلَّا قول شاذٌّ، وهو قول عائشةَ، وهو: أنَّ القصر لا يجوز إلَّا للخائف؛ لقوله تعالى: إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا» «بداية المجتهد» «١٦٦/١».

(٥) قال ابنُ قُدامة: «الأصل في قصْر الصلاة الكتاب، والسُّنة، والإجماع» «المغني» «١٨٨/٢». وقال أيضًا: «أجمَع أهلُ العِلم على أنَّ مَن سافر سفرًا تُقصَر في مثله الصلاة في حجٍّ، أو عُمرة، أو جهادٍ، أنَّ له أن يَقصُرَ الرباعية فيُصلِّيَها ركعتين» «المغني» «١٨٨/٢».

(٦) قال النوويُّ: «يجوز القصرُ في السفر في الظهر والعصر والعشاء، ولا يجوز في الصبح والمغرب، ولا في الحضر، وهذا كلُّه مُجمَعٌ عليه» «المجموع» «٣٢٢/٤».

(٧) قال ابنُ تَيميَّة: «ولهذا كان أهلُ السُّنة مُجمِعين على جواز القَصْر في السَّفر» «مجموع الفتاوى» «٣١/٢٤». وقال أيضًا: «وقد اتَّفق العلماءُ على جواز القصر في السَّفر، واتَّفقوا أنه الأفضل إلَّا قولًا شاذًّا لبعضهم» «مجموع الفتاوى» «٢٩١/٢٢».

(٨) قال الهيتمي: «لا يُباح الفِطرُ حيث لم يُخشَ مبيحُ تيمُّمٍ لِمَن قصَد بسفره محضَ الترخُّص، كمَن سلك الطريقَ الأبعد للقصر» «تحفة المحتاج» «٤٣٠/٣» وينظر: «المنثور في القواعد» للزركشي «١٦٠/٢».

والحَنابِلَة[١] ، واختارَه ابنُ القيِّم[٢] ، وابنُ عثيمين[٣]

وذلك للآتي:

أولًا: أنَّ السفرَ للترخُّصِ وسيلةٌ إلى الفِطرِ المحرَّمِ، وما كان وسيلةً إلى الحرامِ، فهو حرامٌ[٤]

ثانيًا: أنَّ التحيُّلَ على إسقاطِ الواجِبِ لا يُسقِطُه، كما أنَّ التحيُّلَ على المحرَّمِ لا يَجعله مباحًا[٥]

المسألة الرابعة: ما لا يُشرَعُ قَصرُه من الصَّلوات

لا يُشرَعُ قَصرُ صلاةِ الصُّبحِ، ولا صلاةِ المغربِ.

الدَّليل من الإجماع:

---

(١) قال ابن قاسم عند قولِ الماتن: «وإن سافرَ ليُفطِرَ حَرُمَا»- قال: «أي: السَّفر والإفطار، حيث لا عِلَّة للسفر إلا الفطر، فأمَّا الفطر فلعدمِ العُذر المبيح، وهو السَّفر المباح، وأمَّا السفر فلأنَّه وسيلةٌ إلى الفِطر المحرَّم» «حاشية الروض المربع» «٣/٣٧٥»، ويُنظر: «كشاف القناع» للبهوتي «١/٥٠٦».

(٢) قال ابن القيِّم: «وإن كانت الحيلة فِعلًا يُفضي إلى غرض له، مِثل أن يُسافر في الصيف ليتأخَّرَ عنه الصوم إلى الشِّتاء، لم يحصُلْ غرضُه، بل يجب عليه الصومُ في هذا السفر» «إغاثة اللهفان» «١/٣٧٢».

(٣) قال ابنُ عثيمين: «الصِّيام في الأصل واجبٌ على الإنسان، بل هو فرضٌ وركن من أركان الإسلام كما هو معلوم، والشيء الواجب في الشَّرع لا يجوزُ للإنسان أن يَفعل حيلةً ليسقطَه عن نفسه، فمَن سافر من أجْل أن يفطر كان السفرُ حرامًا عليه، وكان الفطر كذلك حرامًا عليه، فيجب عليه أن يتوبَ إلى الله عزَّ وجلَّ، وأن يرجع عن سفره ويصوم، فإنْ لم يرجع وجَب عليه أن يصومَ، ولو كان مسافرًا، وخلاصة الجواب: أنَّه لا يجوز للإنسان أن يتحيَّل على الإفطار في رمضان بالسَّفر؛ لأنَّ التحيُّل على إسقاط الواجب لا يُسقِطُه كما أنَّ التحيُّل على المحرَّم لا يجعله مباحًا» «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» «١٩/١٣٣».

(٤) «حاشية الروض المربع» لابن قاسم «٣/٣٧٥».

(٥) «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» «١٩/١٣٣».

نقَل الإجماعَ على ذلك: ابنُ المنذر[١] ، وابنُ حزم[٢] ، وابنُ عبد البَرِّ [٣]، وابن بطَّال[٤] ، والنوويُّ[٥] ، وابن مُفلِح[٦] ، والعينيُّ[٧]

---

(١) قال ابنُ المنذر: «وأجمَعوا على أنْ لا يُقصــرَ في المغرب، ولا وفي صــلاة الصُّــبح» «الإجماع» «ص ٤١»، وينظر: «المغني» لابن قدامة «١٩٧/٢».

(٢) قال ابنُ حَزم: «فالصُّبح ركعتانِ أبدًا، على كلِّ أحد، من صـحيح أو مريض، أو مسـافِرٍ أو مقيم؛ خائفٍ أو آمن، والمغرب ثلاث ركعات أبدًا، كما قلنا في الصُّـبح سـواءً سـواء. وأمَّا الظهر والعصـر والعِشـاء الآخِرة، فكلُّ واحدة منهنَّ على المقيم- مريضًـا كان أو صــــحيحًا، خائفًا أو آمنًا- أرْبَع رَكَعات أرْبَع ركعات، وكلُّ هذا إجماعٌ متيقَّن مقطوعٌ به، لا خلافَ فيه بين أحد من الأمَّة قديمًا ولا حديثًا، ولا في شيءٍ منه» «المحلى» «١٨/٢»، ويُنظر «فتح الباري» لابن رجب «٥١/٦».

(٣) قال ابنُ عبد البَرِّ: «فأمَّا المغرب والصُّبح، فلا خلافَ بين العلماء أنَّهما كذلك فُرِضَتَا وأنهما لا قَصرَ فيهما في السَّـفر ولا غيره» «التمهيد» «٢٩٤/١٦».

(٤) قال ابنُ بطَّال: «...للإجماع أنَّ المغرب ثلاثًا لا يُزاد فيها في حضـر، ولا يُنقص منها في سـفرٍ، وكذلك الصُّـبح رَكعتانِ في السَّـفر والحضَر» «شرح صحيح البخاري» «٨٥/٣».

(٥) قال النوويُّ: «فيه دليلٌ على أنَّ المغرب لا يُقصَر، بل يُصلَّى ثلاثًا أبدًا، وكذلك أجمَع عليه المسلمون» «شرح النووي على مسلم» «٣٥/٩». وقال أيضًـا: «فيجوزُ القصـر في السَّـفر في الظُّهر والعصـر والعشـاء، ولا يجوز في الصُّبح والمغرب، ولا في الحضـر، وهذا كلُّه مُجمَعٌ عليه» «المجموع» «٣٢٢/٤».

(٦) قال برهانُ الدين ابنُ مُفلح: «ولا قَصْر في المغرب والفجر إجماعًا، حكاه ابنُ المنذر؛ لأنَّ الفجر لو قُصِرت صـارتْ ركعةً، ولا نظيرَ لذلك في الفرائض، والمغرب وترُ النهار، فلو قُصِــر منها ركعةً لم يبقَ وترًا، وركعتان «كذا، ولعل الصــواب: وركعتَين «أي: ولو قصَــر ركعتين» كان إجحافًا بها وإسقاطًا لأكثرِها، ولا نظيرَ لها في الفرْض» «المبدع» «١٠٠/٢».

(٧) قال العينيُّ: «والإجماعُ على أنْ لا تَقصيرَ في المغرب والصُّبح» «عمدة القاري» «١١٤/٧». خالَف أبو الخطَّاب بنُ دِحية؛ فقال: تُقصَــر صــلاة المغرب، ولا عِبرةَ بخلافه؛ قال العينيُّ: «وقال شــيخُنا زين الدِّين- رحمه الله-: بلَغَني أنَّ الملِك الكاملَ ســأل الحافظَ أبا الخطَّاب بنَ دِحية عن المغرِب؛ هلْ تُقصـر في السـفر؟ فأجابه بأنَّها تُقصـر إلى رَكعتينِ، فأنكر عليه ذلك، فرَوى حديثًا بسـنده فيه قصْـرُ المغرب إلى ركعتين، ونُسِـب إلى أنَّه اختلَقه؛ فالله أعلمُ هل يصـحُّ وقوعه في ذلك؟ وما أظنُّه يقعُ في مثل هذا، إلَّا أنَّه اتُّهم، قال الضـياء المقدسيُّ: لم يُعجبني حالُه، كان كثيرَ الوقيعة في الأئمَّة، قال ابنُ واصل، قاضي حماه: كان ابنُ دِحية مع فَرْط معرفتِه بالحديث، وحِفظه الكثير له، مُتَّهمًا بالمجازفة في النَّقل» «عمدة القاري» «١٣٧/٧».

٢٢- الصوم في الأسفار

[٢٢]- قال المصنف رحمه الله: والتخيير فيه بين الصيام والإفطار في الأسفار إن شاء صام وإن شاء أفطر.

الشرح

الإنسان مخير في الصوم في السفر فمن شاء صام ومن شاء أفطر؛ لما ثبت في الأحاديث الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسافر ومعه أصحابه فبعضهم صائم وبعضهم مفطر، ولا يعيب الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم.

واختلف العلماء هل الأفضل للمسافر الصوم أو الفطر؟ فقيل الصوم أفضل؛ لأنه أسرع في براءة الذمة، وقيل: الفطر أفضل؛ لأنه أخذ برخصة الله، وقيل: هما سواء.

والصواب: إن كان الصوم يشق على المسافر فالفطر أفضل، وإن لم يشق فقيل الفطر أفضل؛ لأنه فيه أخذ برخصة الله، وإن كان الإنسان نشيطاً فله أن يصوم وإن رأى أن يفطر فلا حرج، الأمر في هذا واسع.

٢٣- اعتقاد أهل السنة بأن الدين كامل.

[٢٣]- قال المصنف رحمه الله: هذه مقالات وأفعال اجتمع عليها الماضون الأولون من أئمة الهدى، وبتوفيق الله اعتصم بها التابعون قدوة ورضا، وجانبوا التكلف فيما كفوا، فسدَّدوا بعون الله ووفقوا، لم يرغبوا عن الاتباع فيقصروا، ولم يجاوزوه تزيدًا فيعتدوا، فنحن بالله واثقون.

الشرح

يؤمن أهل السنة بأن الدين كامل، ليس بحاجة إلى من يزيد أو ينقص منه.

- قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[المائدة: الآية: ٣]، فكل مؤمن يعتقد، ويوقن، ويعلم علمًا يقينيًا أن هذا الدين كامل.
- وقد قال صلى الله عليه وسلم «تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك».[١]

فكل واحد منا يؤمن ويوقن أن النبي-صلى الله عليه وسلم-بلغ البلاغ المبين، وأنه نصح للأمة، وأنه جاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين من ربه.

ثم ألم يعلم النبي-صلى الله عليه وسلم-أصحابه حتى آداب الخلاء؟! كما قال سلمان الفارسي-رضي الله عنه- "علمنا حتى آداب الخراءة"[٢]،

- وكما قال أبو ذر-رضي الله عنه-: "تركنا وما من طائر يقلب جناحه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا".

---

[١] انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند الشاميين، حديث العرباض بن سارية عن النبي-صلى الله عليه وسلم-برقم: «١٦٨١١»، قال الشيخ الألباني حديث صحيح في السلسلة «٩٣٧» «٦١٠».

[٢] انظر: صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب الاستطابة، حديث رقم «٢٦٢»

فإذًا الإســـــلام هو هذا الدين، وهذا الدين هو ما جاء في كلام الله–عز وجل–، وكلام رسـوله صـلى الله عليه وسـلم وفق ما كان عليه فهم الصـحابة والتابعين وتابعي التابعين، هذا اتباع وليس ابتداع، وهذا اقتداء وليس ابتداء،

- فكما قال ابن مسعود–رضي الله عنه–: "إنا نتبع ولا نبتدع، ونقتدي ولا نبتدئ"[١].
- وقال عبد الله بن عمر–رضـــي الله عنهما–:"كل بدعة ضـــلالة وإن رآها الناس حسنة"[٢].
- وقال ابن عباس لعباس بن حاضــــر: "عليك بالاســـتقامة، واتباع الأثر، وإياك والتبدع"[٣]
- وقال معاذ بن جبل–رضي الله عنه–: "إياكم وما ابتُدع فإن ما ابتدع ضلال"[٤]
- وقال عبد الله بن مسعود—رضي الله عنه–:"اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، وكل بدعةٍ ضلالة". [٥]
- والعلم كما يقول الأوزاعي–رحمه الله تعالى–: "العلم ما جاء عن أصـحاب محمد"[٦]

فهذه أول أسس التلقي.

- وذلك يعني أن من ســـن أو عمل بدعة ظن أنها حســـنة فيقال له كما قال الإمام مالك–رحمه الله تعالى–: " من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا–صلى الله عليه وسـلم–قد خان الرسـالة "[٧]، فأي إنسـان يزعم أنه بهذه البدعة التي جاء بها جعلها

---

(١) انظر: اللالكائي في شرح الاعتقاد «١/ ٦٨».

(٢) الإبانة لابن بطة «١/ ٣٣٩».

(٣) سنن الدارمي «١٤١»، الإبانة لابن بطه «١٦٤»

(٤) أخرجه أبو داود برقم: «٤٦١١».

(٥) أخرجه الدارمي في سننه «٢١١».

(٦) انظر: كتاب جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، باب معرفة أصول العلم وحقيقته حديث رقم: «٨٧٦». حديث مقطوع.

(٧) "الاعتصام" للشاطبي «١ / ٢٨».

بدعة حسـنة، فهو يزعم أن النبي-صـلى الله عليه وسـلم-قد خان الرسـالة، لأن الله تعالى قد أخبر بكمال هذا الدين، فلا يمكن أن يكون النبي-صـلى الله عليه وسـلم-قد كتم هذا الدين أو أخفى هذا الأمر من أمور الدين، لا في صغيرة ولا في كبير،.

ومع ذلك لا يسلم صاحب السنة من أذى أهل الباطل الذين يصفون صاحب السنة بما يصـفونه به من ألفاظ مسـتبشـعة مسـتقذرة، فيقولون: هذا جمود على النص، ويقولون: هذه حرفية إلى غير ذلك من الألفاظ بغية التنفير.

٢٤- إقامة الصلوات المفروضة

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: حكم تارك الصلاة.

المسألة الثانية: وقفات مع الأقوال المختلفة في حكم تارك الصلاة بالكلية تهاونا وكسلا.

المسألة الثالثة: من يصلي أحيانًا ويترك أحيانًا.

المسألة الرابعة: المسارعة إلى أداء الصلوات وإقامتها في أوقاتها.

المسألة الخامسة: إتمام الركوع والسجود

[٢٤]- قال المصنف رحمه الله: فهذا شرح السُّنة تحريت في كشفها وأوضحتها، فمن وفقه الله للقيام بما أبنته مع معونته له بالقيام على أداء فرائضه بالاحتياط في النجاسات وإسباغ الطهارة على الطاعات، وأداء الصلوات على الاستطاعات.

الشرح

المسألة الأولى: حكم تارك الصلاة[(١)].

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "هنا ثلاثة أحوال:

أحدها: إن جحد وجوبها أي: الصلاة فهو كافر بالاتفاق.

والثاني: ألا يجحد وجوبها، لكنه ممتنع من التزام فعلها؛ كبرًا أو حسدًا، أو بغضًا لله ورسوله، فيقول: أعلم أن الله أوجبها على المسلمين، والرسول صادق في تبليغ القرآن، ولكنه ممتنع عن التزام الفعل؛ استكبارًا، أو حسدًا للرسول، أو عصبية لدينه، أو بغضًا لما جاء به الرسول؛ فهذا أيضا كافر بالاتفاق؛ فإن إبليس لما ترك السجود المأمور به لم يكن جاحدا

---

(١) هناك عدة مؤلفات تناولت مسألة تارك الصلاة بانفراد ومنها: ١-حكم تارك الصلاة، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية. ٢-كتاب الصلاة وحكم تاركها، تأليف: ابن القيم الجوزية. ٣-حكم تارك الصلاة عمدا حتى يخرج وقتها أو القول الفصل في حكم تارك الصلاة عمدًا حتى يخرج وقتها، تأليف: الدكتور محمد تقي الدين الهلالي. ٤-رسالة في حكم تارك الصلاة، تأليف: محمد بن صالح بن عثيمين. ٥-حكم تارك الصلاة، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني. ٦-التعقبات الجلية في الترددات الألبانية في حكم تارك الصلاة، تأليف: د. محمد أبو رحيم ٧-حول مسألة حكم تارك الصلاة، تأليف: ممدوح جابر عبد السلام. ٨-الرد الوافر على من قال إن تارك الصلاة ليس بكافر، تأليف: محمود بن إمام منصور آل موافي. ٩-إعلام الأمة بحكم تارك الصلاة في الكتاب والسنة، تأليف: عطاء بن عبد اللطيف بن أحمد. ١٠-سبيل النجاة في بيان حكم تارك الصلاة، تأليف: مصطفى بن إسماعيل السليماني. ١١-الإحتساب على تارك الصلاة، تأليف: عبد الله سعد العريفي. ١٢-الخلاف في حكم تارك الصلاة، تأليف: عبد الله بن إبراهيم الزاحم. ١٣-كفر تارك الصلاة في القرآن والسنة عند الصحابة-رضي الله عنهم-، تأليف: عبد الله بن محمد الغليفي. ١٤-المباني الأربعة وحكم تاركها، تأليف: عبد الله بن محمد الغليفي. ١٥-رسالة نارية لتارك الصلاة، تأليف: عبد الله رفيق السيوطي. ١٦الرد البياني على حكم تارك الصلاة للألباني، تأليف: صلاح عامر. ١٧-تحقيق مذهب الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد في حكم تارك الصلاة، تأليف: علي بن شعبان. ١٨-حد لُحوق الوعيد بتارك الصلاة، تأليف: علي بن شعبان. ١٩-حكم تارك الصلاة، تأليف: مرجان سالم أبو عمرو عبد الحكيم حسان. ٢٠-حقيقة الإيمان وبيان حكم تارك الأركان والحاكم بغير ما أنزل الرحمن وغيرهما من أهل العصيان، تأليف: نايف بن حمزة المنسي.



للإيجاب؛ فإن الله تعالى باشره بالخطاب، وإنما أبى واستكبر، وكان من الكافرين"[(١)]

[الثالث]: وأما من تعمد ترك الصلاة تهاونا وكسلا، هل هو كافر أو مسلم؟ ففيه قولان لأهل العلم، ولكل فريق أدلته وحججه، والقول الوسط بين الطرفين، وبه تجتمع أدلة الفريقين؛ أن يقال: إن ضابط ترك الصلاة الذي يعد كفرا هو الترك المطلق الذي يتحقق بترك الصلاة بالكلية، أو بالإصرار على عدم إقامتها، أو بتركها في الأعم الأغلب بما يشبه الترك المطلق بحيث لا يعد صاحبه مقيمًا ومؤديًا للصلاة، وليس مناط التكفير مطلق الترك للصلاة بحيث يلزم أن نكفر كل من ترك صلاة واحدة.[(٢)]

قال ابن عبد البر-رحمه الله-«ت: ٤٦٣ هـ»: "أجمع المسلمون على أن جاحد فرض الصلاة كافر يقتل إن لم يتب من كفره ذلك، واختلفوا في المقر بها وبفرضها التارك عمدا لعملها، وهو على القيام بها قادر"[(٣)]

وقال ابن قدامة-رحمه الله-«ت: ٦٢٠ هـ»: "تَارِكَ الصَّلَاةِ لَا يَخْلُو؛ إمَّا أَنْ يَكُونَ جَاحِدًا لِوُجُوبِهَا، أَوْ غَيْرَ جَاحِدٍ، فَإِنْ كَانَ جَاحِدًا لِوُجُوبِهَا نُظِرَ فِيهِ، فَإِنْ كَانَ جَاهِلًا بِهِ، وَهُوَ مِمَّنْ يَجْهَلُ ذَلِكَ، كَالْحَدِيثِ الْإِسْلَامِ، وَالنَّاشِئِ بِبَادِيَةٍ , عُرِّفَ وُجُوبَهَا، وَعُلِّمَ ذَلِكَ، وَلَمْ يُحْكَمْ بِكُفْرِهِ؛ لِأَنَّهُ مَعْذُورٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يَجْهَلُ ذَلِكَ، كَالنَّاشِئِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فِي الْأَمْصَارِ وَالْقُرَى، لَمْ يُعْذَرْ، وَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ ادِّعَاءُ الْجَهْلِ، وَحُكِمَ بِكُفْرِهِ؛ لِأَنَّ أَدِلَّةَ الْوُجُوبِ ظَاهِرَةٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالْمُسْلِمُونَ يَفْعَلُونَهَا عَلَى الدَّوَامِ، فَلَا يَخْفَى وُجُوبُهَا عَلَى مَنْ هَذَا حَالُهُ، فَلَا يَجْحَدُهَا إلَّا تَكْذِيبًا لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ، وَهَذَا يَصِيرُ مُرْتَدًّا عَنْ الْإِسْلَامِ، وَحُكْمُهُ

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى «٢٠/ ٩٧»

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية «٢٢/ ٤٩»، مجموع فتاوى ابن عثيمين «١٢/ ٥٤»، «ضوابط التكفير» لعبد الله القرني «ص: ١٥٩».

(٣) الاستذكار «٢/ ١٤٩».

حُكْمُ سَائِرِ الْمُرْتَدِّينَ، فِي الِاسْتِتَابَةِ وَالْقَتْلِ، وَلَا أَعْلَمُ فِي هَذَا خِلَافًا"[(١)]

قال ابن تيمية -رحمه الله- «ت: ٧٢٨ هـ»: "أما إذا جحد وجوبها -أي الصلاة - فهو كافر بإجماع المسلمين، .وكذلك من جحد سائر الواجبات المذكورات، والمحرمات التي يجب القتال عليها"[(٢)]

قال الزركشي -رحمه الله- «ت: ٧٩٤ هـ»: "التارك للصلاة قسمان: [(٣)]

١-جاحد لها، كمن قال: الصلاة غير واجبة، أو غير واجبة علي.

٢-وغير جاحد.

فالجاحد: لا إشكال في كفره، ووجوب قتله، لأنه مكذب لله ولرسوله، وحكمه حكم غيره من المرتدين"[(٤)].

الثاني: أن يتركها غير جاحد لوجوبها: وهذا لايخلو حاله من أحد ثلاثة أمور:

الحال الأول: أن يتركها لعذر. كنوم، ونسيان ونحوهما. فعليه القضاء إذا زال عذره، ولا إثم عليه. [(٥)]

الحال الثاني: أن يعتقد أنه معذور بهذا الترك: كمن يتركها لمرض، أو لعجز عن بعض أركانها، أو شروطها ونحو ذلك. فمثل هذا، ينبغي أن يعلم بأن ذلك لا يُسقط الصلاة، وأنه

---

(١) المغني «٢/ ١٥٦».

(٢) مجموع الفتاوى «٢٨/ ٣٠٨».

(٣) انظر: الاستذكار: «٢/ ٢٨٣»، «٥/ ٣٤١»، جامع البيان: «٨/ ٧٤»، الحاوي: «٢/ ٥٢٥»، المغني: «٣/ ٣٥١»، الفروع: «١/ ٢٩٤»، المجموع: «٣/ ١٤»، الدر المختار: «١/ ٥٢»، حاشية الطحطاوي: «١/ ١٧٠»، شرح العناية: «١/ ٢١٧»، الفتاوى الهندية: «١/ ٥٠»، المبدع: «١/ ٣٠٥»، معالم السنن: «٧/ ٤٥»، شرح العقيدة الطحاوية «ص: ٣٥٥».

(٤) شرح الزركشي على مختصر الخرقي «٢/ ٢٦٩».

(٥) المجموع «٣/ ١٤».

يجب عليه أن يُصلي على حسب طاقته[(١)].

قال الشـــافعي–رحمه الله–«ت: ٢٠٤ هـ»: "من ترك الصـــلاة المكتوبة ممن دخل في الإسلام. قيل له: لم لاتصلي؟ فإن ذكر نسياناً، قلنا: فصل إذا ذكرت.

وإن ذكر مرضاً. قلنا: فصل كيف أطقت، قائماً أو قاعداً، أو مضطجعاً، أو موميًا"[(٢)].

الحال الثالث: أن يتركها لغير عذر، وإنما كسلاً وتهاوناً: كمن يتهاون في أدائها لانغماسه في لهوه، أو لانشغاله في أعماله وكسبه، أو يعد نفسه بفعلها إذا تقدمت به السن، بعد أن يقضي نهمته من شهوات النفس، ومتعتها، وملذاتها.

وقد اختلف العلماء–رحمهم الله تعالى–في هذه المسـألة المهمة. وهي مسـألة: حكم تارك الصلاة متعمداً من غير عذر، وإنما تركها كسلاً، وتهاوناً،

من غير جحد لوجوبها، أو اسـتحلال لتركها، أو اسـتكبار عن أدائها ويمكن إجمال هذا الخلاف في قولين، لكنه يختلف باختلاف جهة النظر

إليه:

أولاً: النظر إليه من جهة قتله، أو عدم قتله وقد اختلفوا في ذلك على قولين:

القول الأول: فذهب قوم إلى أنه لا يقتل بترك الصلاة، ولو كان تركه لها بغير عذر.

القول الثاني: وذهب آخرون إلى أنه يقتل بذلك

.

ثانياً: النظر إليه من جهة كفره، أو عدم كفره. وقد اختلفوا في ذلك أيضاً على قولين:

القول الأول: فذهب قوم إلى أنه لا يكفر بترك الصلاة، إذا لم يجحد وجوبها.

---

(١) المغني «٣/ ٣٥١».

(٢) الأم «١/ ٢٥٥».

القول الثاني: وذهب آخرون إلى أنه يكفر بتركها بغير عذر، وإن لم يجحد وجوبها.[١]

المسألة الثانية: وقفات مع الأقوال المختلفة في حكم تارك الصلاة بالكلية تهاونًا وكسلًا.

الوقفة الأولى: أن الخلاف في المســألة وقع بين أهل الســنة أنفســهم دون أن يبدع بعضهم بعضًا.

ويجب أن يُعلم أن الخلاف في هذه المسـألة بين من كفَّر تارك الصـلاة، ومن لم يكفِّره، لا يجوز أن يكون سببًا لذاته في الفُرقة والاختلاف، فضلاً عن التبديع والتضليل، فيُرْمَى من كَفَّر تارك الصـــلاة؛ بأنه حروري، أو خارجي، أو قال بقول صـــار فيه مضـــاهيًا لقول من كفَّر بالذنوب، أو يُرْمَى من لم يكفِّر تارك الصـــلاة؛ بأنه مرجئ، أو قال بقول المرجئة، أو تأثَّر بالإرجاء، أو أن قوله خارج عن قول أهل الاجتهاد، فإن هذا القول أو ذاك؛ مخالف لما عليه سـلف الأمة، الذين جعلوا الخلاف في هذه المسـألة، من الخلاف في مسـائل الاجتهاد، والتي يســـع المجتهدين فيها الاختلاف، وكلهم مجتهد معذور، ومأجور أجرًا أو أجرين، بل كان بعضهم يثني على البعض الآخر، مع وجود هذا الاختلاف"[٢]

قال محمد بن نصــــر المروزي–رحمه الله–«ت: **٢٩٤ هـ**»: "وكان من ذهب هذا المذهب–يعني عدم التكفير–من علماء أصحاب الحديث: الشافعي رضي الله عنه وأصحابه، وأبوثور وغيره، وأبوعبيد في موافقيهم"[٣]

وقال الصــابوني–رحمه الله–«ت: **٤٤٩ هـ**»: "واختلف أهل الحديث في ترك المســلم الصلاة متعمدًا: فكفَّره أحمد بن حنبل، وجماعة من علماء السلف رحمهم الله وأخرجوه به من الإسلام.... وذهب الشافعي وأصحابه وجماعة من علماء السلف رحمة الله عليهم أجمعين إلى

---

(١) الخلاف في حكم تارك الصلاة «ص: ١٩».

(٢) سبيل النجاة في بيان حكم تارك الصلاة «ص: ٥».

(٣) انظر: تعظيم قدر الصلاة للمروزي «٢/ ٩٥٦».

أنه لا يكفر، ما دام معتقدًا لوجوبِها"[١]

وذكر الإسماعيلي الاختلاف بين أهل السنة في ذلك، فقال: "واختلفوا أي أهل السنة الذين يتكلم الإسماعيلي عن عقيدتهم في متعمدي ترك الصلاة المفروضة.... فكفَّره جماعة .... وتأول جماعة منهم أنه يريد بذلك من تركها جاحدًا لها.. "[٢]

قال ابن رجب-رحمه الله-«ت: ٧٩٥ هـ»: "ومن ترك الشهادتين؛ خرج من الإسلام؛ وفي خروجه من الإسلام بترك الصلاة؛ خلاف مشهور بين العلماء، وكذلك في ترك بقية مباني الإسلام الخمس"[٣]

الوقفة الثانية: أن أصحاب القول بأن تارك الصلاة لا يكفر يرون أنه فاسق مستحق للعقوبة

قال ابن حزم-رحمه الله-«ت: ٤٥٦ هـ»: "لأنهم مقرّون معنا بلا خلاف من أحدهم، ولا من أحد من الأمة، في أن من تعمد ترك صلاة فرض ذاكرًا لها، حتى يخرج وقتها؛ فإنه فاسق، مجرح الشهادة، مستحق للضرب والنكال"[٤]

قال الحافظ أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي الأندلسي، المعروف بابن الخراط، المتوفَّى سنة «٥٨١ هـ»،-وهو ممن يرجّح عدم كفر تارك الصلاة-: "واعلم رحمك الله أن ترك الصلاة، وإن لم يكن كفرًا، كما قال أولئك-رضوان الله عليهم-فإنه أعظم الأسباب الموصلة إلى الكفر، الداعية إلى شؤم العاقبة، وسوء الخاتمة، وأن المتمادي على تركها، منكوس القلب، ضعيف الإيمان، واهي الأركان، وربما هجمت عليه منيَّته، وهو كذلك، فاستفزّ الشيطان ما بيده من إيمانه، وأدخله في جملة أوليائه وإخوانه، ونعوذ بالله، ثم

---

(١) انظر: "عقيدة السلف وأصحاب الحديث" «ص: ٢٧٨-٢٧٩».

(٢) انظر: كتاب "اعتقاد أهل السنة" «ص: ٤٠-٤١».

(٣) "جامع العلوم والحكم" «١/ ٦٨» الحديث الثاني.

(٤) انظر: "المحلى" «٢/ ٢٤٣».

نعوذ به من ذلك، بكرمه ورحمته".[١]

الوقفة الثالثة:

قبل التشـــعب في عرض الأقوال في المســـألة وبيان أدلة كل قول يحســـن العرض الإجمالي للأقوال لمعرفتها على وجه الإجمال قبل الخوض في تفاصيلها.

فهناك فريقان رئيســـان في المســـألة، ولكن يتفرع من كل واحد منهما أقوال فرعية أخرى تجعل لكل قول فرعي نوعًا من الاستقلالية في الحكم تميزه عن الفريق الرئيس.

فالفريقان الرئيسان هما:

الفريق الأول: القائلين بأن تارك الصلاة بالكلية تهاونًا وكسلًا يحكم بكفره.

وهناك أقول أخرى تتفق في النتيجة مع هذا القول، ولكن بقيود معينة ومنها:

القول الأول: إنه لا يكون كافراً حتى يموت على تركها.

هذا القول نســـبه **إســـحاق–رحمه الله–«ت: ٢٣٨ هـ»** لطائفة من أهل العلم. دون تعيينهم

قال ابن نصـــر–رحمه الله–«ت: ٢٩٤ هـ»: "قال إســـحاق: ولقد قال قوم من أهل العلم: إذا ترك الرجل الصلاة متعمداً حتى يذهب وقتها، لم يكن كافراً حتى يموت على تركها، فحينئذ تبين كفره"[٢]

القول الثاني: القول بأنه يكون كافراً، ويقتل كالمرتد، إلا أنه لا يخلد في النار.

وهذا القول ذهب إليه **الشـــوكاني–رحمه الله–«ت: ١٢٥٠ هـ»** في نيل الأوطار، ولعله أراد أن يجمع بين القولين في المســـألة فوافق القائلين: بأن تارك الصـــلاة كافر، يُقتل كما يقتل المرتد، فلا يُغسل، ولا يصلى عليه، ولا يرثه ورثته..، وهذا في الدنيا. فقال: "الحق: أنه كافر،

---

(١) الصلاة والتهجد «ص: ٩٦».

(٢) تعظيم قدر الصلاة «ص: ٩٣٥».

يُقتل"[١] . وقال: "حكى جماعة: الإجماع على كفره، كالمرتد. وهو الظاهر"[٢] . ووافق القائلين: بأن تارك الصلاة تحت المشيئة، فلا يخلد في النار وهذا في الآخرة. فقال: "لا يمنع أن يكون بعض أنواع الكفر غير مانع من المغفرة، واستحقاق الشفاعة، ككفر أهل القبلة ببعض الذنوب التي سماها الشارع كفراً"[٣]

والفريق الثاني: القول بأن تارك الصلاة بالكلية تهاونًا وكسلًا لا يحكم بكفره.

وانقسم أصحاب هذا الفريق إلى قولين:

القول الأول: فذهب بعضهم إلى: أنه يُقتل حداً، لا كفرًا.

القول الثاني: وذهب آخرون إلى: أنه يُعزر، ولا يقتل.

وهذان هما القولان المشهوران في المسألة. وهناك قول ثالث يمكن إضافته وهو:

القول الثالث: أنه لا يحكم بكفره ويستثني من ذلك حالة واحدة.

وهو القول بأنه لا يكون كافراً، ولو مات مصراً على الترك، إلا إذا دعي إلى فعلها، وهدد بالقتل، فاختار القتل على الفعل فعند ذلك يحكم بكفره.

وهذا القول حصر كفر تارك الصلاة في هذه الحالة فقط، ما ذهب إليه **محمد ناصر الدين الألباني–رحمه الله–«ت: ١٤٢٠ هـ»**. وقد أشار إلى هذا القول في موضعين:

أحدهما: في سلسلة الأحاديث الصحيحة. فبعد أن رجح رأي الجمهور في عدم كفر تارك الصلاة، أراد يستثني من هذه الموافقة هذه الحالة فقط فقال: "إن التارك للصلاة كسلًا إنما يصح الحكم بإسلامه، مادام لا يوجد هنا ما يكشف عن مكنون قلبه، أو يدل عليه، ومات على ذلك قبل أن يستتاب، كما هو الواقع في هذا الزمان.

---

(١) نيل الأوطار: «١/ ٢٩٢».

(٢) نيل الأوطار: «١/ ٢٩٣».

(٣) نيل الأوطار: «١/ ٢٩٢».

أما لو خير بين القتل والتوبة بالرجوع إلى المحافظة على الصـــلاة، فاختار القتل عليها، فقتل، فهو في هذه الحالة يموت كافراً، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا تجري عليه أحكامهم، لأنه لا يعقل-لو كان غير جاحد لها في قلبه-أن يختار القتل عليها. هذا أمر مســـتحيل، معروف بالضرورة من طبيعة الإنسان، لا يحتاج إثباته إلى برهان"[١].

الثاني: في رســالته: حكم تارك الصــلاة فقال في بيان وجه الدلالة من حديث أبي سـعيد الخدري، فالحديث دليل قاطع على: أن تارك الصــلاة إذا مات مسـلماً يشـهد أن لا إله إلا الله، أنه لا يخلد في النار مع المشركين".

ثم أراد أن يســتثني من ذلك هذه الصـورة فقط، فنقل عن ابن القيم قوله: "ومن العجب أن يقع الشك في كفر من أصر على تركها، ودعي إلى فعلها على رؤوس الملأ، وهو يرى بارقة السـيف على رأسـه، ويُشـد للقتل وعصـبت عيناه، وقيل له: تصـلي وإلا قتلناك.!! فيقول: اقتلوني، ولا أصلي أبداً"[٢]

فقال الألباني معلقاً على ذلك: "وعلى مثل هذا المصـر على الترك والامتناع عن الصـلاة، مع تهديد الحاكم له بالقتل يجب أن تحمل كل أدلة الفريق المكفر للتارك للصلاة"[٣]

ثم قرر هذا الرأي والاستثناء في ختام رسـالته، إذ قال: "والخلاصـة: أن مجرد الترك لا يمكن أن يكون حجة لتكفير المسـلم، وإنما هو فاسـق، أمره إلى الله، إن شـاء عذبه، وإن شـاء غفر له، وأن من دعي إلى الصـلاة، وأنذر بالقتل إن لم يسـتجب، فقتل، فهو كافر -يقينًا-حلال الدم، لا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين.

فمن أطلق التكفير، فهو مخطئ، ومن أطلق عـدم التكفير، فهو مخطئ، والصـــواب

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة: «١/ ١٣٢».

(٢) حكم تارك الصلاة «ص: ٣٥».

(٣) كتاب الصلاة وحكم تاركها «ص: ٦٠».

التفصيل"[١]

القول الأول: القول بكفره.

القائلون بكفر تارك الصلاة

ذهب أصحاب هذا القول: إلى أن تارك الصلاة – متعمداً من غير عذر، ولا استحلال، ولا جحود، وإنما تهاوناً وكســـلاً–يُقتل كفراً، لا حداً، فتجري عليه أحكام المرتدين حيث لا يغسل، ولا يكفن، ولا يصلى عليه. ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يرثه ورثته .... الخ.

وبهذا قال أحمد–رحمه الله–«ت: ٢٤١ هـ» في رواية، وهي المشـــهورة من المذهب [٢]،

(١) حكم تارك الصلاة «ص: ٥٢–٥٣».

(٢) انظر: مسائل أبي داود «ص: ٢٧٢»، مسائل عبد الله: «١/ ١٩٠–١٩٢»، مسائل ابن هانيء: «٢/ ١٥٦»، المسائل والرسائل: «٢/ ٣٦»، الروايتين والوجهين: «١/ ١٩٤»، الانتصار: «٢/ ٦٠٣»، المغني: «٣/ ٣٥٤»، شرح الزركشي على مختصر الخرقي: «٢/ ٢٧٢»، الفروع: «١/ ٢٩٤»، المبدع: »١/ ٣٠٧»، الإنصاف: «١/ ٤٠٤»، الإفصاح: «١/ ١٠١»، قال المرداوي في الإنصاف: "وهل يقتل حداً أو لكفره؟ على روايتين . . . إحداهما: يقتل لكفره، وهو المذهب، وعليه جمهور الأصحاب".

ومذهب الحنابلة: أنه يكفر إذا لم يصل بعد دعوة الإمام له، بشرط: أن يضيق وقت الصلاة الثانية عن فعلها، فمن باب أولى كفر من تركها بالكلية؛ قال المرداوي: "فائدتان: إحداهما: الداعي له هو الإمام أو نائبه. فلو ترك صلوات كثيرة قبل الدعاء لم يجب قتله، ولا يكفر على الصحيح من المذهب، وعليه جماهير الأصحاب، وقطع به كثير منهم، وكذا لو ترك كفارة أو نذرا. وذكر الآجري: أنه يكفر بترك الصلاة، ولو لم يدع إليها، قال في الفروع: وهو ظاهر كلام جماعة". الإنصاف «١/ ٢٨٥» هذا النقل يبين اشتراط دعوة الإمام. وقال المرداوي أيضًا: "وظاهر قوله: "أنه لا يكفر بترك شيء من العبادات تهاونا غيرها–أي الصلاة–وهو صحيح، وهو المذهب، وعليه جمهور الأصحاب، قال في الفروع: اختاره الأكثر، قال ابن شهاب وغيره: وهو ظاهر المذهب". الإنصاف «١/ ٢٨٦». وقال الحجاوي: "ولا يكفر بترك شيء من العبادات تهاونًا غير الصلاة، فلا يكفر بترك زكاة ولا بترك صوم وحج، ويحرم تأخيره تهاونا، ويقتل فيهم حدا، ولا يقتل بصلاة فائتة ولا بترك كفارة ونذر". الإقناع «١/ ٧٥». وقال البهوتي: "ولا يكفر بترك شيء من العبادات تهاونا غير الصلاة، فلا يكفر بترك زكاة بخلا، ولا بترك صوم وحج، ويحرم تأخيره تهاونا"؛ لقول عبد الله بن شقيق: لم يكن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة". كشاف القناع «١/ ٢٢٩». وينظر: المغني لابن قدامة «٢/ ٣٢٩».

والشـافعي-رحمه الله-«ت: ٢٠٤ هـ» في قوله [١]، ومحمد بن الحسـن من الحنفية-رحمه الله- «ت: ١٨٩ هـ»، [٢]، وابن حبيب من المالكية-رحمه الله-«ت: ٢٣٨ هـ»، [٣]، وهو وجه للشافعية [٤]، وبه قالت طائفة من السلف [٥]،

وبه قال: إســـحاق-رحمه الله-«ت: ٢٣٨ هـ»، والثوري-رحمه الله-«ت: ١٦١ هـ»، والأوزاعي-رحمه الله-«ت: ١٥٧ هـ»، وابن المبارك-رحمه الله-«ت: ٢٤١ هـ»١٨١، وحماد بن زيد-رحمه الله-«ت: ١٧٩ هـ»، وأبو داود الطيالســـي-رحمه الله-«ت: ٢٠٤ هـ»، وابن أبي شـــيبة-رحمه الله-«ت: ٢٣٥ هـ»، وأبو خيثمة-زهير بن حرب-رحمه الله-«ت: ٢٣٤

(١) حكاه الطحاوي في شرح مشكل الآثار «٨/ ٢٠٥»، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم «٣/ ١٢٧»، وانظر ابن القيم في كتابه الصلاة «ص: ٣٠». وانظر: المجموع للنووي «٣/ ١٤».

(٢) حكاه عنه أبو الخطاب في الانتصار: «٢/ ٦٠٤»، والموفق في المغني: «٣/ ٣٥٤».

(٣) انظر: التمهيد: «٤/ ٢٢٥»، المقدمات: «١/ ٦٤، ٦٥»، الإفصاح: «١/ ١٠١»، حلية العلماء: «٢/ ١٠»، الشرح الكبير مع حاشية الدسوقي: «١/ ١٩٠»، الشرح الصغير على أقرب المسالك: «١/ ٣٣٨»، التاج والاكليل: «١/ ٤٢٠». وقال العدوي: "إن ابن حبيب وابن عبد الحكم وغيرهما يقولون بتكفير تارك الصلاة عمدا أو تفريطا". «حاشية العدوي» «١/ ١٠٢».

(٤) انظر: المجموع للنووي: «٣/ ١٤»، حلية العلماء للشاشي: «٢/ ١٢»، روضة الطالبين: «٢/ ١٤٦»، ووصفه بالشذوذ. قال ابن القيم في كتابه الصلاة «ص: ٣٠» «وحكاه الطحاوي عن الشافعي نفسه»، وكذا ابن كثير. انظر: تفسير القرآن العظيم، «٣/ ١٢٧»، وحكاه الطحاوي في شرح مشكل الآثار «٨/ ٢٠٥»، وقال النووي في المجموع: "قال العبدري: وهو قول منصور الفقيه من أصحابنا، وحكاه المصنف في كتابه الخلاف عن أبي الطيب بن سلمة من أصحابنا"..

(٥) قال ابن عبد البر: "واختلفوا في المقر بها وبفرضها، التارك عمدا لعملها، وهو على القيام بها قادر؛ فروي عن علي وابن عباس وجابر وأبي الدرداء تكفير تارك الصلاة، قالوا: من لم يصل فهو كافر، وعن عمر بن الخطاب: "لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة"، وعن ابن مسعود: "من لم يصل فلا دين له". الاستذكار «٢/ ١٥٠».

وقال النووي: "في مذاهب العلماء فيمن ترك الصلاة تكاسلًا مع اعتقاده وجوبها... قالت طائفة: يكفر ويجرى عليه أحكام المرتدين في كل شيء، وهو مروي عن علي بن أبي طالب، وبه قال ابن المبارك، وإسحاق بن راهويه، وهو أصح الروايتين عن أحمد، وبه قال منصور الفقيه من أصحابنا". المجموع «٣/ ١٦».

وقال ابن تيمية: "وتكفير تارك الصلاة هو المشهور المأثور عن جمهور السلف من الصحابة والتابعين". «مجموع الفتاوى» «٢٠/ ٩٧».

هـ»، [١]، [٢] وذهب إلى هذا ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ» [٣]، وابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ» [٤]، واختاره ابن عثيمين-رحمه الله-«ت: ١٤٢١ هـ» [٥].

قال ابن حزم-رحمه الله-«ت: ٤٥٦ هـ»: "فروينا عن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-«ت: ٢٣ هـ»، ومعاذ بن جبل-رضي الله عنه-«ت: ١٧ أو ١٨ هـ»، وابن مسعود-رضي الله عنه-«ت: ٣٢ هـ»، وجماعة من الصحابة-رضي الله عنهم-، وعن ابن المبارك-رحمه الله-«ت: ١٨١ هـ»، وأحمد بن حنبل-رحمه الله-«ت: ٢٤١ هـ»، وإسحاق ابن راهوية«ت: ٢٣٨ هـ»-رحمة الله عليهم-وعن تمام سبعة عشر رجلا من الصحابة والتابعين-رضي الله عنهم-أن من ترك صلاة فرض عامدا ذاكرًا حتى يخرج وقتها فإنه

---

(١) تعظيم قدر الصلاة للمروزي «٢/ ٩٣٦».

(٢) انظر: المحلى: «٢/ ٢٤٢»، التمهيد: «٤/ ٢٢٥»، الاستذكار: «٥/ ٣٤٢»، الجامع لأحكام القرآن: «٨/ ٧٥»، الانتصار: «٢/ ٦٠٤»، المغني: «٣/ ٣٥٤»، كتاب الصلاة «ص: ٣٠»، المقدمات: «١/ ٦٤».

(٣) قال ابن تيمية: "فأما من كان مصرًا على تركها لا يصلي قط، ويموت على هذا الإصرار والترك فهذا لا يكون مسلما؛ لكن أكثر الناس يصلون تارة، ويتركونها تارة، فهؤلاء ليسوا يحافظون عليها، وهؤلاء تحت الوعيد، وهم الذين جاء فيهم الحديث الذي في السنن؛ حديث عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «خمس صلوات كتبهن الله على العباد في اليوم والليلة؛ من حافظ عليهن كان له عهد عند الله أن يدخله الجنة، ومن لم يحافظ عليهن لم يكن له عهد عند الله؛ إن شاء عذبه وإن شاء غفر له»، فالمحافظ عليها الذي يصليها في مواقيتها كما أمر الله تعالى؛ والذي يؤخرها أحيانا عن وقتها، أو يترك واجباتها؛ فهذا تحت مشيئة الله تعالى، وقد يكون لهذا نوافل يكمل بها فرائضه، كما جاء في الحديث". «الفتاوى الكبرى» «٢/ ٢٤».

(٤) قال ابن القيم: "أما تركها بالكلية فإنه لا يقبل معه عمل، كما لا يقبل مع الشرك عمل؛ فإن الصلاة عمود الإسلام كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم، وسائر الشرائع كالأطناب والأوتاد ونحوها، وإذا لم يكن للفسطاط عمود لم ينتفع بشيء من أجزائه، فقبول سائر الأعمال موقوف على قبول الصلاة، فإذا ردت ردت عليه سائر الأعمال، وقد تقدم الدليل على ذلك". الصلاة وأحكام تاركها». «ص: ٦٤».

(٥) قال ابن عثيمين: "إذا كان مقرًا بالفريضة، ولكن نفسه تغلبه كسلًا وتهاونًا، فإن أهل العلم مختلفون في كفره، فمنهم من يرى أن من ترك صلاة مفروضة، حتى يخرج وقتها فإنه يكفر، ومن العلماء من يراه لا يكفر إلا إذا تركها نهائيا، وهذا هو الصحيح؛ إذا تركها تركا مطلقا، بحيث أنه لا يهتم بالصلاة؛ ولذا قال صلى الله عليه وسلم: «بين الرجل والشرك ترك الصلاة»، فظاهر الحديث هو الترك المطلق، وكذلك حديث بريدة: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة؛ فمن تركها فقد كفر»، ولم يقل: من ترك صلاة، وعلى كل حال؛ فالراجح عندي أنه لا يكفر إلا إذا تركها بالكلية". «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» «١٢/ ٥١».

كافر مرتد وبهذا يقول عبد الله بن الماجشـون صـاحب مالك وبه يقول عبد الملك بن حبيب الأندلسي وغيره"[(١)]

الأدلــة:

أولا: من الكتاب

١-قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَـاعُوا الصَّـلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّـهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: الآية: ٥٩].

وجه الدلالة:

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "فوجه الدلالة من الآية: أن الله سـبحانه جعل هذا المكان من النار لمن أضاع الصلاة واتبع الشهوات، ولو كان مع عصاة المسلمين لكانوا في الطبقة العليا من طبقات النار، ولم يكونوا في هذا المكان الذي هو في أسفلها؛ فإن هذا ليس من أمكنة أهل الإسلام، بل من أمكنة الكفار.

ومن الآية دليل آخر: وهو قوله تعالى: **﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا * إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَـالِحًا﴾** [مريم: الآيات: ٥٩-٦٠]. فلو كان مضـيع الصـلاة مؤمنا لم يشـترط في توبته الإيمان؛ فإنه يكون تحصيلا للحاصل"[(٢)]

قال ابن عثيمين-رحمه الله-«ت: ١٤٢١ هـ»: "إن الله تعالى قال في المضيعين للصلاة المتبعين للشهوات: إلا من تاب وآمن؛ فدل على أنهم حين إضاعتهم للصلاة واتباع الشهوات غير مؤمنين.[(٣)]

٢-قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم: الآية: ٣١].

وجه الدلالة:

---

(١) الفصل لابن حزم «٣/ ١٢٨».

(٢) كتاب الصلاة «ص: ٥٩».

(٣) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين «١٢/ ١٢٧».

بين الله عز وجل أن علامة كونهم من المشركين تركهم إقامة الصلاة"[(١)]

٣-قال تعالى ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: الآية: ١١].

وجه الدلالة:

قال ابن القيم: "فعلق أخوتهم للمؤمنين بفعل الصلاة، فإذا لم يفعلوا، لم يكونوا إخوة للمؤمنين، فلا يكونون مؤمنين لقول الله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: الآية: ١٠]"[(٢)]

أي أن الأخوة الدينية لا تنتفي بالمعاصي وإن عظمت، ولكن تنتفي بالخروج عن الإسلام.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي "يفهم من مفهوم هذه الآية أنهم إن لم يقيموا الصلاة لم يكونوا من إخوان المؤمنين، ومن انتفت عنهم إخوة المؤمنين، فهم من الكافرين لأن الله يقول ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾ [الحجرات: الآية: ١٠]"[(٣)].

٤-قال تعالى ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ * وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [القيامة: الأية: ٣١-٣٢]

وجه الدلالة:

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "إنما كان الإسلام والتصديق الخبر، والانقياد للأمر، جعل سبحانه له ضدين عدم التصديق وعدم الصلاة وقابل التصديق بالتكذيب. والصلاة بالتولي، فقال ﴿**فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ**﴾، لا صدق بكتاب الله ولا صلى لله، ولكن كذب بآيات الله وتولى عن طاعته، ﴿**أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ * ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ**﴾

(١) تعظيم قدر الصلاة للمروزي «٢/ ١٠٠٤».

(٢) كتاب الصلاة «ص: ٣٨»، تعظيم قدر الصلاة» للمروزي: «ص: ٨٦».

(٣) أضواء البيان «٤/ ٣١١».

[القيامة: الآية: ٣٤-٣٥]. وعيد على إثر وعيد"[١].

٥-قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ * سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ * أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [القلم: الآيات: ٣٥ – ٤٣].

وجه الدلالة:

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "أنه سبحانه أخبر أنه لا يجعل المسلمين كالمجرمين، وأن هذا الأمر لا يليق بحكمته ولا بحكمه، ثم ذكر أحوال المجرمين، الذين هم ضد المسلمين، فقال: ﴿**يوم يكشف عن ساق**﴾ [القلم: الآية: ٤٢]، وأنهم يدعون إلى السجود لربهم-تبارك وتعالى-؛ فيحال بينهم وبينه، فلا يستطيعون السجود مع المسلمين في دار الآخرة؛ عقوبة لهم على ترك السجود له مع المصلين في دار الدنيا.

وهذا يدل على أنهم مع الكفار والمنافقين، الذين تبقى ظهورهم إذا سجد المسلمون كصياصي البقر، ولو كانوا من المسلمين لأذن لهم بالسجود كما أذن للمسلمين"[٢]

٦-قوله تعالى: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة * إلا أصحاب اليمين * في جنات يتساءلون * عن المجرمين * ما سلككم في سقر * قالوا لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسكين * وكنا نخوض مع الخائضين * وكنا نكذب بيوم الدين * حتى أتانا

---

(١) كتاب الصلاة «ص: ٣٨»، وانظر تعظيم قدر الصلاة «ص: ٩٨٨»، قال الهلالي «ص: ١١»، قال ابن القيم-رحمه الله-الإسلام أمران تصديق النبي فيما جاء به والانقياد لأمره فمن لم يصدقه فهو كافر، وكذلك ما امتنع من الانقياد لأمره بترك الصلاة فهو كافر، وقد فرقهم الله تعالى، فلا سبيل الله التفرقة بينهما".

(٢) كتاب الصلاة «ص: ٥٠». قال الهلالي في إيضاح وجه استدلال ابن القيم من هذه الآية «ص: ٩» "حاصل معنى ما ذكره: أن الله قسم الناس إلى مسلمين ومجرمين، وأخبر أن عدلة وحكمته يقتضيان إكرام المسلمين في الدنيا والآخرة، وأخبر أن تارك الصلاة-ولو صلاة واحدة-حتى يخرج وقتها من المجرمين، وأنه يدعى يوم القيامة إلى السجود، فإذا أراد أن يسجد صار ظهره طبقة واحدة فعجز عن السجود، وسقط على ظهره، لأنه كان يدعى إلى السجود في الدنيا فيمتنع منه، ومن كان من المجرمين لا يكون من المسلمين، وليس هناك قسم ثالث".

اليقين﴾ [المدثر: الآيات: ٣٨ – ٤٧].

وجه الدلالة:

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "فلا يخلو؛ إما أن يكون كل واحد من هذه الخصال هو الذي سلكهم في سقر، وجعلهم من المجرمين، أو مجموعها.

فإن كان كل واحد منها مستقلا بذلك فالدلالة ظاهرة، وإن كان مجموع الأمور الأربعة، فهذا إنما هو لتغليظ كفرهم وعقوبتهم، وإلا فكل واحد منها مقتض للعقوبة؛ إذ لا يجوز أن يضم ما لا تأثير له في العقوبة إلى ما هو مستقل بها.

ومن المعلوم أن ترك الصلاة وما ذكر معه ليس شرطا في العقوبة على التكذيب بيوم الدين، بل هو وحده كاف في العقوبة؛ فدل على أن كل وصف ذكر معه كذلك؛ إذ لا يمكن لقائل أن يقول: لا يعذب إلا من جمع هذه الأوصاف الأربعة!

فإذا كان كل واحد منها موجبا للإجرام، وقد جعل الله سبحانه المجرمين ضد المسلمين، كان تارك الصلاة من المجرمين السالكين في سقر، وقد قال تعالى: ﴿إن المجرمين في ضلال وسعر * يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر﴾ [القمر: الآيات: ٤٧–٤٨]، وقال تعالى: ﴿إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون﴾ [المطففين: الآية: ٢٩]؛ فجعل المجرمين ضد المؤمنين المسلمين"[١]

٧–قال تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون﴾ [النور: الآية: ٥٦].

وجه الدلالة:

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "فوجه الدلالة أنه سبحانه علق حصول الرحمة لهم بفعل هذه الأمور؛ فلو كان ترك الصلاة لا يوجب تكفيرهم وخلودهم في النار

(١) كتاب الصلاة «ص: ٥٠–٥٢».

لكانوا مرحومين بدون فعل الصلاة، والرب تعالى إنما جعلهم على رجاء الرحمة إذا فعلوها"(١)

٨-قال تعالى: ﴿فويل للمصـــلين * الذين هم عن صـــلاتهم ســـاهون﴾ [الماعون: الآيات: ٤-٥].

وجه الدلالة:

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "وقد اختلف الســـلف في معنى الســـهو عنها؛ فقال ســـعد بن أبي وقاص، ومســـروق بن الأجدع، وغيرهما: "هو تركها حتى يخرج وقتها"(٢)

وروي في ذلك حديث مرفوع. **قال محمد بن نصـــر المروزي-رحمه الله-«ت: ٢٩٤ هـ»: حدثنا شيبان بن أبي شيبة-رحمه الله-«ت: ٢٣٦ هـ»، حدثنا عكرمة بن إبراهيم-رحمه الله-«ت: ٢١٩ هـ»، حدثنا عبد الملك بن عمير-رحمه الله-«ت: ١٣٦ هـ»، عن مصـــعب بن ســـعد بن أبي وقاص-رحمه الله-«ت: ١٠٣ هـ»، عن أبيه-رضـــي الله عنه-«ت: ٥٥ هـ»:** أنه سأل النبي ﷺ عن: ﴿**الذين هم عن صلاتهم ساهون**﴾ [الماعون: الآية: ٥] قال: "هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها"(٣)

وقال حماد بن زيد-رحمه الله-«ت: ١٧٩ هـ»: حدثنا عاصـــم-رحمه الله-«ت:

(١) كتاب الصلاة «ص: ٥٢».

(٢) أسنده ابن جرير في تفسيره «٢٤/ ٦٥٩-٦٦١» عنهما، وعن ابن عباس، وأبي الضحى مسلم بن صبيح، وعبد الرحمن بن أبزى، وينظر أيضا في نسبة هذه الأقوال: الدر المنثور للسيوطي «١٥/ ٦٨٧-٦٨٨».

(٣) تعظيم قدر الصلاة «ص: ٤٢-٤٥». وأخرجه ابن جرير «٢٤/ ٦٦٣»، والبيهقي «٢/ ٢١٤»، والبزار «٣/ ٣٤٦»، والطبراني في الأوسط «٢/ ٣٧٧»، وغيرهم، من طريق عكرمة به.

قال أبوزرعة كما في علل ابن أبي حاتم «ص: ٥٣٦»: "هذا خطأ، والصحيح موقوف". وقال البزار: "لا نعلم أسنده إلا عكرمة بن إبراهيم عن عبد الملك بن عمير، وعكرمة لين الحديث". وبنحوه قال البيهقي «٢/ ٢١٤»، والهيثمي في المجمع «١/ ٣٢٥»، «٧/ ١٤٣».

١٤١ هـ» عن مصعب بن سعد-رحمه الله-«ت: ١٠٣ هـ» قال: قلت لأبي-رضي الله عنه-«ت: ٥٥ هـ»: يا أبتاه، أرأيت قول الله تعالى: ﴿**الذين هم عن صلاتهم ساهون**﴾ [الماعون: الآية: ٥] أينا لا يسهو؟ أينا لا يحدث نفسه؟ قال: "إنه ليس ذاك، ولكنه إضاعة الوقت"(١)

وقال حيوة بن شريح-رحمه الله-«ت: ٢٢٤ هـ»: أخبرني أبو صخر-رحمه الله-«ت: ١٨٩ هـ» أنه سأل محمد بن كعب القرظي-رحمه الله-«ت: ١٠٨ هـ» عن قوله تعالى: ﴿**الذين هم عن صلاتهم ساهون**﴾ [الماعون: الآية: ٥] قال: "هو تاركها"، ثم سأله عن الماعون، قال: "منع المال من حقه"(٢)

إذا عرف هذا فالوعيد بالويل اطرد في القرآن للكفار؛ كقوله تعالى: ﴿**وويل للمشركين * الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون**﴾ [فصلت: الآيات: ٦-٧]، وقوله: ﴿**ويل لكل أفاك أثيم * يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها**﴾ إلى قوله: ﴿**لهم عذاب مهين**﴾ [الجاثية: الآيات: ٧-٩]، وقوله: ﴿**وويل للكافرين من عذاب شديد**﴾ [إبراهيم: الآية: ٢].

إلا في موضعين، وهما: ﴿**ويل للمطففين**﴾ [المطففين: الآية: ١]، و ﴿**ويل لكل همزة لمزة**﴾ [الهمزة: الآية: ١]؛ فعلق الويل بالتطفيف، وبالهمز واللمز، وهذا لا يكفر به بمجرده.

فويل تارك الصلاة إما أن يكون ملحقا بويل الكفار، أو بويل الفساق، فإلحاقه بويل الكفار أولى؛ لوجهين:

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره «٢٤/ ٦٦٠»، والبيهقي في الكبرى «٢/ ٢١٤»، وأبويعلى «٧٠٤»، وغيرهم، من طريق عاصم بن أبي النجود به. وقد حسن إسناده المنذري في الترغيب «١/ ٢١٨»، والهيثمي في المجمع «١/ ٣٢٥».

(٢) أخرجه ابن نصر في تعظيم قدر الصلاة «ص: ٤٥» من طريق إسحاق عن عبد الله بن يزيد المقرئ عن حيوة به. وأخرجه ابن جرير في تفسيره «١٥/ ٥٦٩» من طريق ابن وهب عن أبي صخر حميد بن زياد الخراط عن القرظي بنحوه. والإسناد حسن، رجالهما ثقات، غير أبي صخر فإنه لا بأس به. تنظر ترجمته في: تهذيب الكمال للمزي «٧/ ٣٦٦».

أحدهما: أنه قد صـــح عن ســـعد بن أبي وقاص في هذه الآية أنه قال: "لو تركوها لكانوا كفارا، ولكن ضيعوا وقتها"[(١)].

الثاني: ما سنذكره من الأدلة على كفره"[(٢)].

٩-قال تعالى: ﴿إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون﴾ [السجدة: الآية: ١٥].

وجه الدلالة:

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "ووجه الاستدلال بالآية: أنه سبحانه نفى الإيمان عمن إذا ذكر بآيات الله لم يخر ســـاجدا مســـبحا بحمد ربه، ومن أعظم التذكير بآياته التذكير بآيات الصـلاة؛ فمن ذكر بها فلم يتذكر ولم يصـل فلم يؤمن بها؛ لأنه سـبحانه خص المؤمنين بها بأنهم أهل الســجود، وهذا من أحســن الاســتدلال وأقربه. فلم يؤمن بقوله تعالى: **﴿وأقيموا الصلاة﴾** [البقرة: الآية: ٤٣]، إلا من التزم إقامتها"[(٣)].

١٠-قـال تعـالى: ﴿وإذا قيـل لهم اركعوا لا يركعون «٤٨» ويـل يومئـذ للمكذبين﴾ [المرسلات: الآيات: ٤٨-٤٩].

وجه الدلالة:

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "ذكر هذا بعد قوله: **﴿كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون﴾** [المرسلات: الآية: ٤٦]، ثم توعدهم على ترك الركوع-وهو الصلاة-إذا دعوا إليها. ولا يقال: إنما توعدهم على التكذيب؛ فإنه سبحانه إنما أخبر عن تركهم لها، وعليه وقع

---

(١) أخرج ابن جرير في تفسيره «١٥/ ٥٦٧» وأبونعيم في الحلية «٦/ ٨٠» وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور «١٠/ ٩٧» من طريق الأوزاعي عن موسى بن سليمان عن القاسم بن مخيمرة قال: "أضاعوا المواقيت، ولو تركوها لصاروا كفارا، ولكن أضاعوا المواقيت، وصلوا الصلوات لغير وقتها".

(٢) كتاب الصلاة «ص: ٥٣-٥٥».

(٣) كتاب الصلاة «ص: ٦٢».

الوعيد.

على أنا نقول: لا يصر على ترك الصلاة إصرارا مستمرا من يصدق بأن الله أمر بها أصلا؛ فإنه يستحيل في العادة والطبيعة أن يكون الرجل مصدقا تصديقا جازما أن الله سبحانه فرض عليه كل يوم وليلة خمس صلوات، وأنه يعاقبه على تركها أشد العقاب= وهو مع ذلك مصر على تركها؛ هذا من المستحيل قطعا.

فلا يحافظ على تركها مصدق بفرضها أبدا؛ فإن الإيمان يأمر صاحبه بها، فحيث لم يكن في قلبه ما يأمره بها فليس في قلبه شيء من الإيمان.

ولا يصغى إلى كلام من ليس له خبرة ولا علم بأحكام القلوب وأعمالها. وتأمل هل في الطبيعة أن يقوم بقلب العبد إيمان بالوعد والوعيد، والجنة والنار، وأن الله فرض عليه الصلاة، وأنه معاقبه على تركها= وهو محافظ على الترك في صحته وعافيته، وعدم الموانع المانعة له من الفعل.

وهذا القدر هو الذي خفي على من جعل الإيمان مجرد التصديق وإن لم يقارنه فعل واجب ولا ترك محرم، وهذا من أمحل المحال؛ أن يقوم بقلب العبد إيمان جازم لا يتقاضاه فعل طاعة ولا ترك معصية.

ونحن نقول: الإيمان هو التصديق، ولكن ليس التصديق مجرد اعتقاد صدق المخبر، دون الانقياد له. ولو كان مجرد اعتقاد التصديق إيمانا لكان إبليس، وفرعون وقومه، وقوم صالح، واليهود الذين عرفوا أن محمدا رسول الله كما يعرفون أبناءهم مؤمنين مصدقين! وقد قال تعالى: ﴿**فإنهم لا يكذبونك**﴾، أي: يعتقدون أنك صادق ﴿**ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون**﴾ [الأنعام: الآية: ٣٣]، والجحود لا يكون إلا بعد معرفة الحق.

وقال تعالى: ﴿**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا**﴾ [النمل: الآية: ١٤].

وقال موسى لفرعون: ﴿**لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر**﴾ [الإسراء: الآية: ١٠٢]. وقال تعالى عن اليهود: ﴿**يعرفونه كما يعرفون أبناءهم**

وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ [البقرة: الآية: ١٤٦].

وأبلغ من هذا قول النفر من اليهود لما جاؤوا إلى النبي ﷺ، وسألوه عما دلهم على نبوته، فقالا: نشهد أنك نبي، فقال: «**ما يمنعكما من اتباعي؟**" **قالا: إن داود دعا أن لا يزال في ذريته نبي، وإنا نخاف إن اتبعناك أن تقتلنا يهود**»[(١)].

فهؤلاء قد أقروا بألسنتهم إقرارا مطابقا لمعتقدهم أنه نبي، ولم يدخلوا بهذا التصديق والإقرار في الإيمان؛ لأنهم لم يلتزموا طاعته

والانقياد لأمره.

ومن هذا كفر أبي طالب؛ فإنه عرف حقيقة المعرفة أنه صادق، وأقر بذلك بلسانه، وصرح به في شعره، ولم يدخل بذلك في الإسلام.

فالتصديق إنما يتم بأمرين:

أحدهما: اعتقاد الصدق.

والثاني: محبة القلب وانقياده.

ولهذا قال تعالى لإبراهيم: ﴿**قد صدقت الرؤيا**﴾ [الصافات: الآية: ١٠٥]. وإبراهيم كان معتقدا لصدق رؤياه من حين رآها؛ فإن رؤيا الأنبياء وحي، وإنما جعله مصدقا لها بعد أن فعل ما أمر به.

وكذلك قول النبي-صلى الله عليه وسلم-: «**والفرج يصدق ذلك أو يكذبه**».[(٢)]. فجعل التصديق عمل الفرج ما تمنى القلب، والتكذيب تركه لذلك. وهذا صريح في أن التصديق لا يصح إلا بالعمل.

---

(١) أخرجه أحمد «٤/ ٢٣٩»، والنسائي «٤٠٧٨»، والترمذي «٢٧٣٤»، وابن ماجه مختصرا «٣٧٠٥»، والضياء في المختارة «٨/ ٢٨»، والحاكم «١/ ٥٢»، وغيرهم، من حديث صفوان بن عسال-رضي الله عنه-. قال الترمذي: "حسن صحيح"، وقال ابن الملقن في البدر «٩/ ٤٨»: "بأسانيد صحيحة"، وقال الحافظ في التلخيص «٤/ ٩٣»: "بإسناد قوي".

(٢) أخرجه البخاري «٦٢٤٣»، ومسلم «٢٦٥٧» من حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-.

وقال الحســـن-رحمه الله-**«ت: ١١٠ هـ»**: "ليس الإيمان بالتمني، ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في القلب، وصدقه العمل"[١]. وقد روي هذا مرفوعا"[٢]

والمقصود: أنه يمتنع مع التصديق الجازم بوجوب الصلاة، والوعد على فعلها، والوعيد على تركها= المحافظة على تركها «٣». وبالله التوفيق.[٣]

ثانيا: من السنة

١- **عن جابر**-رضـــي الله عنه-**«ت: ٧٣ أو ٧٤ هـ»**، قال: سمعت النبي-صـــلى الله عليه وسلم-يقول: «**إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**».[٤]

٢- **عن عبد الله بن بريدة**-رحمه الله-**«ت: ١١٥ هـ»**، **عن أبيه**-رضـــي الله عنه-**«ت: ٦٢ هـ»**، قال: قال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم: «**إن العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**».[٥]

---

[١] أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه «٣٠٩٨٨» والإيمان «٩٣» من طريق جعفر بن سليمان عن زكريا بن حكيم الحبطي عن الحسن به. وضعفه الألباني في الضعيفة «١٠٩٨»؛ لضعف زكريا. ولكنه توبع، فأخرجه ابن أبي شيبة أيضا «٣٦٣٥٩» من طريق جعفر بن سليمان قال: سمعت عبد ربه أبا كعب يقول: سمعت الحسن يقول، فذكره. وعبدربه ثقة.

[٢] أخرجه ابن عدي في الكامل «٦/ ٢٢٩٠»، واللالكائي في شرح الاعتقاد «٤/ ٨٣٩» من طريق محمد بن عبد الرحمن بن مجبر حدثني أبي عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ، وذكره. قال ابن عدي: "إسناد باطل". وقد أورده في ترجمة محمد بن عبد الرحمن بن مجبر، وقال عنه: "روى عن الثقات بالمناكير، وعن أبيه عن مالك بالبواطيل". وأخرجه ابن النجار في ذيل تاريخ بغداد «١٧/ ٤٨» من طريق عبد السلام بن صالح عن يوسف بن عطية عن قتادة عن الحسن عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ، فذكره. وإسناده ضعيف جدا؛ عبد السلام بن صالح كذبوه، ويوسف بن عطية مثله. ينظر: الضعيفة للألباني «١٠٩٨».

[٣] كتاب الصلاة ص: ٦٢-٦٧.

[٤] رواه مسلم «٨٢».

[٥] رواه الترمذي «٢٦٢١»، والنسائي «١/ ٢٣١»، وابن ماجه «١٠٧٩» «٨٩١»، وأحمد «٥/ ٣٤٦» «٢٢٩٨٧». قال الترمذي: حسن صحيح غريب. وصححه ابن العربي في العواصم من القواصم «ص: ٢٦٢»، وقال ابن تيمية في شرح العمدة - كتاب الصلاة

=

وجه الدلالة من الحديثين:

أن المعنى الكلي كـالجنس، لا ينتفي بانتفـاء فرد من أفراده؛ فمن أفطر في يوم من أيام رمضـان؛ لا يعد تاركا لفريضـة الصـيام مطلقا؛ ومن ترك بعض الدروس؛ لا يعد تاركا لطلب العلم؛ لذا يحمل النص على الترك بالكلية.[(١)]

ولأنه قال: «ترك الصـلاة»، وهذا يصـدق على من تركها بالكلية، فمن ترك صـلاة أو صلاتين لا يقال له: ترك الصلاة"[(٢)]

٣-عن ثوبان مولى رســول الله-صـلى الله عليه وســلم--رضـي الله عنه-«ت: ٥٤ هـ»، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بين العبد وبين الكفر والإيمان الصلاة؛ فإذا تركها فقد أشرك**».[(٣)]

٤- عن أنس بن مالك-رضـي الله عنه-«ت: ٩٣ هـ»: «أن النبي صـلى الله عليه وســلم كان إذا غزا بنا قوما، لم يكن يغزو بنا حتى يصـبح وينظر، فإن سمع أذانا كف عنهم، وإن لم يسمع أذانا أغار عليهم».[(٤)]

وجه الدلالة:

دل الحديث على أن إقامة الصـلاة توجب الحكم بالإسـلام؛ فإن الأذان إنما هو دعاء إلى

«ص: ٧٤»: على شرط مسلم. وقال ابن القيم في الصلاة وحكم تاركها «ص: ٣٣»: إسناده على شرط مسلم. وقال السخاوي في الأجوبة المرضية «٢/ ٨١٨»: مرفوع، صححه غير واحد من الأئمة. وقال الشوكاني في السيل الجرار «١/ ٢٩٢»: ثابت. وصححه ابن باز في مجموع الفتاوى «٢١/ ٦٥»، والألباني في صحيح سنن الترمذي «٢٦٢١»، والوادعي في الصحيح المسند «١٦٨»، وقال: على شرط مسلم.

(١) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا «١٠/ ١٥٧».

(٢) الشرح الممتع لابن عثيمين «٢/ ٢٧».

(٣) رواه اللالكائي، في شرح أصول اعتقاد أهل السنة «١٥٢١» وفي المطبوعة منه: "إسناد صحيح" دون: "على شرط مسلم". وفي الانتصار لأبي الخطاب «٢/ ٦٠٦»: "إسناد صحيح على شرط مسلم، يلزمه إخراجه". وصححه المنذري في الترغيب «٨١١»..

(٤) رواه البخاري «٦١٠»، ومسلم «١٣٦٥».

الصلاة، فإذا كان موجبا للحكم بالإسلام، فالصلاة التي هي المقصود الأعظم أولى"[١]

٥- **حديث عوف بن مالك-رضي الله عنه-«ت: ٧٣ هـ»**، عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، قال: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، قيل: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف؟ قال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة**».[٢]

٦- **حديث عبادة بن الصامت-رضي الله عنه-«ت: ٣٤ هـ»**، قال: «**دعانا النبي-صلى الله عليه وسلم-فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرا بواحا، عندكم من الله فيه برهان**».[٣]

وجه الدلالة من الحديثين:

"دل مجموع الحديثين على أن ترك الصلاة وعدم إقامتها كفر بواح عليه من الله برهان"[٤]

٧-**عبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنه-«ت: ٦٣ هـ»**، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، أنه ذكر الصلاة يوما، فقال: «**من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون، وفرعون، وهامان، وأبي ابن خلف**».[٥]

---

(١) فتح الباري لابن رجب «٣/ ٤٤٠».

(٢) رواه مسلم «١٨٥٥».

(٣) رواه البخاري «٧٠٥٥» ومسلم «١٨٤٠».

(٤) أضواء البيان للشنقيطي «٤/ ٣٣٦».

(٥) رواه الإمام أحمد في "مسنده" «٢/ ١٦٩»، وأبوحاتم ابن حبان في "صحيحه" حديث «١٤٦٧»، من طريق كعب بن علقمة عن عيسى بن هلال الصدفي عن عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما-به. قال المنذري في الترغيب «٨٣٢»، وابن عبد الهادي في التنقيح «٢/ ١١٧»: "إسناده جيد"..

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "وإنما خص هؤلاء الأربعة بالذكر لأنهم من رؤوس الكفرة.

وفيه نكتة بديعة، وهي: أن تارك المحافظة على الصــلاة إما أن يشـغله ماله، أو ملكه، أو رياســته، أوتجارته؛ فمن شــغله عنها ماله فهو مع قارون، ومن شـــغله عنها ملكه فهو مع فرعون، ومن شـغله عنها رياسـته من وزارة أو غيرها فهو مع هامان، ومن شـغله عنها تجارته فهو مع أبي بن خلف"[(١)]

٨-عن **عبادة بن الصـامت-رضـي الله عنه-«ت: ٣٤ هـ»** قال: أوصـانا رسـول الله-صلى الله عليه وسـلم-فقال: «**لا تشـركوا بالله شيئا، ولا تتركوا الصـلاة عمدا؛ فمن تركها عمدا متعمدا فقد خرج من الملة**».[(٢)]

٩-**عن معاذ بن جبل-رضــي الله عنه-«ت: ١٧ أو ١٨ هـ»**، قال: قال رسـول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله**».[(٣)]

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "ولو كان باقيا على إسلامه لكانت له ذمة

---

(١) كتاب الصلاة ص: ٧٠.

(٢) أخرجه من طريق ابن أبي حاتم اللالكائي في شرح الاعتقاد «١٥٢٢»، وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير «٤/ ٧٥» معلقًا، والشاشي في مسنده «٣/ ٢١١»، والضياء في المختارة «٨/ ٢٨٧»، وابن نصر في تعظيم قدر الصلاة «٩٢٠» وغيرهم، كلهم من طريق يزيد بن قوذر عن سلمة بن شريح عن عبادة-رضي الله عنه-به..

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند «٥/ ٢٣٨» من طريق عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن معاذ. قال المنذري في الترغيب «١/ ٢١٦»: "صحيح لو سلم من الانقطاع؛ فإن عبد الرحمن بن جبير ابن نفير لم يسمع من معاذ". وقال أبو الفضل العراقي .كما في تحفة التحصيل «ص: ١٩٦» .: "روايته عنه مرسلة".

وأخرجه الطبراني في الكبير «٢٠/ ٨٢»، وأبونعيم في الحلية «٩/ ٣٠٦» من طريق عمرو بن واقد عن يونس بن ميسرة عن أبي إدريس عن معاذ-رضي الله عنه-به. وفي إسناده: عمرو بن واقد القرشي، ضعفه غير واحد، كالبخاري وأبي مسهر وأبي حاتم ودحيم، وقال النسائي والدارقطني والبرقاني: "متروك الحديث"، وكذبه مروان بن محمد. ينظر: تهذيب الكمال «٢٢/ ٢٨٦»، والميزان للذهبي «٣/ ٢٩١».

وقد حسنه الألباني في الإرواء «٢٠٢٦» بشواهده..

الإسلام"[(١)]

١٠-عن أبي الدرداء-رضي الله عنه-«ت: ما بين ٣٢ إلى ٣٩ هـ» قال: **«أوصاني أبوالقاسم ﷺ أن لا أترك الصلاة متعمدا، فمن تركها متعمدا فقد برئت منه الذمة».**

رواه عبد الرحمن بن أبي حاتم في "سننه"[(٢)]

١١-عن معاذ بن جبل-رضي الله عنه-«ت: ١٧ أو ١٨ هـ»، عن النبي ﷺ أنه قال: **«رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة».** [(٣)]

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "وهو حديث صحيح، مختصر. ووجه الاستدلال به: أنه أخبر أن الصلاة من الإسلام بمنزلة العمود الذي تقوم عليه الخيمة؛ فكما تسقط الخيمة بسقوط عمودها، فهكذا يذهب الإسلام بذهاب الصلاة، وقد احتج أحمد بهذا بعينه"[(٤)]

١٢-عن عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما-«ت: ٦٣ أو ٦٤ هـ» قال: قال رسول الله ﷺ: **«بني الإسلام على خمس؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان».** [(٥)]، وفي بعض ألفاظه: **«الإسلام**

---

(١) كتاب الصلاة ص: ٧٢.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد «١٨»، وابن ماجه «٣٩٧٢»، والبيهقي في الشعب «٥/ ١١»، واللالكائي في شرح الاعتقاد «١٥٢٤»، وابن نصر في الصلاة «٩١١»، من طريق راشد الحماني عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء به. وفي إسناده شهر بن حوشب، وقد اختلفوا فيه، وحديثه لا ينزل عن الحسن، تنظر ترجمته في: تهذيب الكمال «١٢/ ٥٧٢»، والميزان للذهبي «٢/ ٢٨٣». وقد حسن إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة «٤/ ٣٧»، والهيثمي في المجمع «٤/ ٢١٧»، وقال ابن حجر في التلخيص «٢/ ١٤٨»: "في إسناده ضعف"..

(٣) أخرجه أحمد «٥/ ٢٣٧»، والترمذي «٢٦١٦» وقال: "حسن صحيح"، وابن ماجه «٣٩٧٢»، والحاكم «٢/ ٨٦» وقال: "صحيح على شرط الشيخين". وصححه شيخ الإسلام كما في الفتاوى «١٧/ ٢٦»، والمصنف..

(٤) كتاب الصلاة «ص: ٧٢-٧٣».

(٥) رواه البخاري في كتاب الإيمان باب قوله صلى الله عليه وسلم بني الإسلام انظر: البخاري مع الفتح ١/ ٤٧ ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان أركان الإسلام ١/ ٤٥ رقم ١٦.

خمس» ، فذكره.

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "ووجه الاستدلال به من وجوه:

أحدها: أنه جعل الإسلام كالقبة المبنية على خمسة أركان، فإذا وقع ركنها الأعظم وقعت قبة الإسلام.

الثاني: أنه جعل هذه الأركان في كونها أركانا لقبة الإسـلام قرينة الشـهادتين؛ فهما ركن، والصـلاة ركن، والزكاة ركن؛ فما بال قبة الإسـلام تبقى بعد سـقوط أحد أركانها دون بقية أركانها!

الثالث: أنه جعل هذه الأركان نفس الإسـلام، وداخلة في مسـمى اسمه، وما كان اسما لمجموع أمور إذا ذهب بعضـها ذهب ذلك المسـمى، ولا سـيما إذا كان من أركانه، لا من أجزائه التي ليسـت بركن له، كالحائط للبيت؛ فإنه إذا سـقط سـقط البيت، بخلاف العود والخشبة واللبنة ونحوها"[(١)]

١٣-**عن أنس-رضـي الله عنه-«ت: مابين ٩٠ إلى ٩٣ هـ»** قال: قال رسـول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فهو المسلم، له ما لنا، وعليه ما علينا**»[(٢)].

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "ووجه الدلالة فيه من وجهين:

أحدهما: أنه إنما جعله مسلما بهذه الثلاثة، فلا يكون مسلما بدونها.

الثاني: أنه إذا صلى إلى الشرق لم يكن مسلمًا حتى يصلي إلى قبلة المسلمين، فكيف إذا ترك الصلاة بالكلية!"[(٣)]

١٤-**عن محجن بن الأدرع الأسـلمي-رضـي الله عنه-«ت: أخر أيام معاوية بن أبي**

---

(١) كتاب الصلاة «ص: ٧٣-٧٤».

(٢) أخرجه البخاري «٣٩١، ٣٩٣» بنحوه.

(٣) كتاب الصلاة «ص: ٧٥».

سفيان»: أنه كان في مجلس مع النبي-صلى الله عليه وسلم-، فأذن بالصلاة، فقام النبي-صلى الله عليه وسلم-فصلى، ثم رجع ومحجن في مجلسه، فقال له: «ما منعك أن تصلي؟ ألست برجل مسلم؟». قال: بلى؛ ولكني صليت في أهلي، فقال له: «إذا جئت فصل مع الناس وإن كنت قد صليت».[(١)]

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "فجعل الفارق بين المسلم والكافر الصلاة. وأنت تجد تحت ألفاظ الحديث: "إنك لو كنت مسلما لصليت". وهذا كما تقول: مالك لا تتكلم؟ ألست بناطق! ومالك لا تتحرك؟ ألست بحي!

ولو كان الإسلام يثبت مع عدم الصلاة لما قال لمن رآه لا يصلي: "ألست برجل مسلم"[(٢)]

١٥-**حديث أبي سعيد-رضي الله عنه-«ت: ٧٤ هـ»** في حديث الخوارج، فقال **ذو الخويصرة التميمي «ت: ٣٦ هـ»** للنبي-صلى الله عليه وسلم-: يا رسول الله، اتق الله، فقال: "**ويلك، ألستُ أحق أهل الأرض أن يتقي الله؟**" قال: ثم ولَّى الرجل، فقال **خالد بن الوليد-رضي الله عنه-«ت: ٢١ هـ»**: يا رسول الله، ألا أضرب عنقه؟ فقال: "**لا، لعله أن يكون يصلي**" قال خالد: وكم من مصلٍّ يقول بلسانه، ما ليس في قلبه، فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "**لم أومر أن أُنقِّب عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم**"[(٣)]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "فلما نهي عن قتله، وعلل ذلك باحتمال صلاته؛ عُلم أن ذلك هو الذي حقن دمه، لا مجرد الإقرار بالشهادتين، فإنه قد قال: "يا

---

(١) رواه أحمد في المسند «٤/ ٣٤»، والنسائي «٨٥٧»، وقد أخرجاه من طريق مالك «١/ ١٣٢» عن زيد ابن أسلم عن رجل من بني الديل يقال له بسر بن محجن عن محجن-رضي الله عنه-به. وأصله عند البخاري «٣٤٤»، ومسلم «٦٨٢»، من حديث عمران بن حصين-رضي الله عنه-: أن رسول الله ﷺ رأى رجلا معتزلا لم يصل مع القوم، فقال-صلى الله عليه وسلم-: "يا فلان ما منعك أن تصلي مع القوم؟ ألست برجل مسلم! " الحديث بطوله

(٢) كتاب الصلاة «ص: ٧٨».

(٣) رواه البخاري «٤٣٥١»، ومسلم «١٠٦٤».

رسول الله" ومع هذا لم يجعل النبي ﷺ ذلك وحده موجبًا لحقن الدم"[(١)]

ثالثا: إجماع الصحابة

ومما يدل على الإجماع ما يلي:

١- **عن المسور بن مخرمة-رحمه الله-«ت: ٦٤ هـ»، أنه دخل مع ابن عباس-رضي الله عنهما-«ت: ٦٨ هـ» على عمر-رضي الله عنه-«ت: ٢٣ هـ»** حين طعن، فقال ابن عباس-رضي الله عنهما-: "يا أمير المؤمنين، الصلاة! فقال: أجل! إنه لا حظ في الإسلام لمن أضاع الصلاة"[(٢)]

وجه الدلالة:

أن عمر-رضي الله عنه-، قد قال هذا بمحضر من الصحابة، ولم ينكروه عليه؛ فصار إجماعًا منهم.[(٣)]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "ولأن هذا إجماع الصحابة-رضي الله عنهم-، قال عمر-رضي الله عنه-لما قيل له وقد خرج إلى الصلاة: "نعم، ولا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة". وقصَّته في الصحيح، وفي رواية عنه قال: "لا إسلام لمن لم يصل". رواه النجاد. وهذا قاله بمحضر من الصحابة - رضي الله عنهم -.[(٤)]

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "أنَّ قول عمر: "لا حظَّ في الإسلام لمن

---

(١) شرح العمدة «٢/٦٤».

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان رقم: «١٠٣»، وأخرجه مالك في الموطأ «١/ ٣٩»، وابن سعد في الطبقات الكبرى «٤٠٩٢»، والخلال في السنة «١٣٨٨»، وابن نصر في تعظيم قدر الصلاة «رقم: ٩٢٣-٩٣١»، والآجري في الشريعة «ص: ١٣٤»، والدارقطني في سننه «٢/ ٥٢»، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة «رقم: ١٥٢٨، ١٥٢٩»، والطبراني في المعجم الأوسط «٨١٨١». قال الهيثمي في مجمع الزوائد «١/ ٣٠٠»: رجاله رجال الصحيح. وصحح إسناده على شرط الشيخين الألباني في إرواء الغليل «١/٢٢٥».

(٣) الصلاة وحكم تاركها لابن القيم «ص: ٣٣».

(٤) شرح العمدة «٢/ ٦٧».

ترك الصلاة". أصرحُ شيء في خروجه عن المِلَّة"[(١)]

وقال مجاهد-رحمه الله-«**ت: ١٠٤ هـ**»: "إذا اختلف الناس في شيءٍ فانظروا ما صنع عمر-رضي الله عنه-فخذوا به"[(٢)]

٢- **قال عبد الله بن شـــقيق العقيلي**-رحمه الله-«**ت: ١٠٨ هـ**»: "كان أصـــحاب محمد-صلى الله عليه وسلم-، لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة"[(٣)]

وجه الدلالة:

هذه الصيغة تدل على أن الصحابة اجتمعوا على هذه المقالة؛ لأن قوله: "كان أصحاب رســـول الله" جمع مضـــاف، وهو من المشـــعرات بذلك[(٤)]، نقل إجماع الصـــحابة على

(١) شرح العمدة «٢/ ٧٨».

(٢) الأوسط لابن المنذر «٨٧٨١».

(٣) أخرجه الترمذي «٢٦٢٢»، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة «٩٤٨»، والخلال في السنة «١٣٧٨»، والحاكم «١٢» باختلاف يسير. صحح إسناده النووي في الخلاصة «١/ ٢٤٥»، والعراقي في طرح التثريب «٢/ ١٤٦»، والسخاوي في الأجوبة المرضية «٢/ ٨١٩»، وابن باز في مجموع فتاواه «٨/ ١٦»، وصحح الحديث الألباني في صحيح سنن الترمذي «٢٦٢٢».

(٤) نيل الأوطار للشوكاني «١/ ٣٤٣».

ذلك: إسحاق ابن راهويه[١]، وابن القيم[٢]، والشوكاني[٣]"[٤].

٣-**قال أبو بكر الصديق-رضي الله عنه-«ت: ١٣ هـ»**، في قتاله لمانعي الزكاة: والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حقُّ المال، والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم-لقاتلتهم على منعها.

فأبو بكر-رضي الله عنه-قاس قتاله لمانعي الزكاة بما هو مقرر عندهم من كفر وقتال من ترك الصلاة.

قال ابن رجب-رحمه الله-«ت: ٧٩٥ هـ»: يدلُّ على أن من ترك الصلاة فإنه يقاتل؛ لأنها حقِّ البدن، فكذلك من ترك الزكاة التي هي حقُّ المال، وفي هذا إشارة إلى أن قتال تارك

---

(١) قال إسحاق بن راهوية: "صح عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أن تارك الصلاة عمدًا من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر". انظر: تعظيم قدر الصلاة «رقم: ٩٩٠»، والترغيب والترهيب «١/ ٣٨٦»، وصحيحه «رقم: ٥٧٢»، والتمهيد «٤/ ٢٢٦».
قال محمد بن نصر المروزي: "قال أبو عبد الله: سمعت إسحاق، يقول: قد صح عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أن تارك الصلاة كافر، وكذلك كان رأي أهل العلم من لدن النبي-صلى الله عليه وسلم-إلى يومنا هذا، أن تارك الصلاة عمدا من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر". تعظيم قدر الصلاة «٢/ ٩٢٩».

(٢) قال ابن القيم: "وأما إجماع الصحابة؛ فقال ابن زنجويه: حدثنا عمر بن الربيع، حدثنا يحي بن أيوب، عن يونس، عن ابن شهاب، قال: حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة-رحمه الله-«ت: ٩٨ هـ»، أن عبد الله بن عباس أخبره أنه جاء عمر بن الخطاب حين طعن في المسجد، قال: فاحتملته أنا ورهط كانوا معي في المسجد حتى أدخلناه بيته. قال: فأمر عبد الرحمن بن عوف أن يصلي بالناس. قال: فلما دخلنا على عمر بيته غشي عليه من الموت فلم يزل في غشيته حتى أسفر، ثم أفاق، فقال: هل صلى الناس؟ قال: فقلنا: نعم، فقال: لا إسلام لمن ترك الصلاة، وفي سياق آخر: لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة, ثم دعا بوضوء فتوضأ وصلى... "وذكر القصة". فقال هذا بمحضر من الصحابة ولم ينكروه عليه". الصلاة وأحكام تاركها «ص: ٥٣».

(٣) قال الشوكاني: "وعن عبد الله بن شقيق العقيلي، قال: كان أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة؛ رواه الترمذي"، الحديث رواه الحاكم وصححه على شرطهما، وذكره الحافظ في التلخيص، ولم يتكلم عنه، والظاهر من الصيغة أن هذه المقالة اجتمع عليها الصحابة؛ لأن قوله: "كان أصحاب رسول الله" جمع مضاف، وهو من المشعرات بذلك". نيل الأوطار «١/ ٣٦٣».

(٤) أخرجه الترمذي «٢٦٢٢»، وابن أبي شيبة في المصنف «٦/ ١٧٢»، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة «٩٤٨»، والخلال في السنة «١٣٧٨»، والحاكم «١٢» باختلاف يسير. صحح إسناده النووي في الخلاصة «١/ ٢٤٥»، والعراقي في طرح التثريب «٢/ ١٤٦»، والسخاوي في الأجوبة المرضية «٢/ ٨١٩»، وابن باز في مجموع فتاواه «٨/ ١٦»، وصحح الحديث الألباني في صحيح سنن الترمذي «٢٦٢٢».

الصلاة أمر مُجمع عليه؛ لأنه جعله أصلًا مقيسًا عليه. اهـ [(١)]

ثم إن **عمر**–**رضي الله عنه**–«**ت: ٢٣ هـ**» أقره على ذلك فقال: فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر – رضي الله عنه – فعرفت أنه الحق.

٤–**عن أبي العالية**–**رحمه الله**–«**ت: ٩٠ أو ٩٣ هـ**»: "قال: كان **أبو بكر**–**رضي الله عنه**–«**ت: ١٣ هـ**» إذا بعث جيشًا إلى أهل الردة، قال: اجلسوا قريبًا منهم، فإن سمعتم أذانًا إلى طلوع الشمس وإلَّا فأغيروا عليهم. [(٢)]

٥–**عن شريك**–**رحمه الله**–«**ت: ١٤٤ هـ**»، عن أبي المليح–**رحمه الله**–«**ت: ١١٢ هـ**» قال: سمعت عمر–رضي الله عنه– يقول: لا إسلام لمن لم يصل.

قيل لشريك: على المنبر؟ قال: نعم" [(٣)]

٦–**وقال علي بن أبي طالب**–**رضي الله عنه**–«**ت: ٤٠ هـ**»: "من لم يصل فهو كافر" [(٤)].

٧–**وقال عبد الله بن مسعود**–**رضي الله عنه**–«**ت: ٣٢ هـ**»: "تركها الكفر".

وقال: الكفر ترك الصلاة" [(٥)]

٨–**وقال عبد الله بن مسعود**–**رضي الله عنه**–«**ت: ٣٢ هـ**»، قال: "من لم يصل فلا دين له" [(٦)]

---

(١) جامع العلوم والحكم «ص: ٢٣٤».

(٢) تعظيم قدر الصلاة «٩٧٣».

(٣) تعظيم قدر الصلاة «٩٣٠و٤٣١»، وإسناده صحيح.

(٤) الإيمان» لابن أبي شيبة «١٢٦».

(٥) الإيمان لأحمد «٢٢٤»، والعدني «٢٦»، و تعظيم قدرة الصلاة «٩٣٥».

(٦) حسن. أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان رقم: «٤٧» وفي المصنف، وابن نصر رقم: «٩٣٥–٩٣٧»، والطبراني في الكبير رقم: «٨٩٤١، ٨٩٤٢»، وغيرهم.

٩-وعن **أبي الدرداء**-رضي الله عنه-«**ت: مابين ٣٢ إلى ٣٩ هـ**»، قال: "لا إيمان لمن لا صلاة له"(١)

١٠-وعن **جابر بن عبد الله**-رضي الله عنه-«**ت: ٧٨ هـ**»: وقد سأله مجاهد بن جبر: ما كان يفرق بين الكفر والإيمان عندكم من الأعمال على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: الصلاة"(٢)

١١-وسُئل **جابر بن عبد الله**-رضي الله عنه-«**ت: ٧٨ هـ**»: "ما بين العبد وبين الكفر؟ قال: ترك الصلاة"(٣)

١٢-**عن أبي هريرة**-رضي الله عنه-«**ت: ٥٧ هـ**»، قال: "كان أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفرا غير الصلاة"(٤)

١٣-**وقال حذيفة**-رضي الله عنه-«**ت: ٣٦ هـ**»، لرجل يصلي لا يتم ركوعه ولا سجوه: "ما صليت، ولو مُتَّ؛ مُتَّ على غير الفطرة التي فطر الله محمدًا-صلى الله عليه وسلم-عليها"(٥)

١٤-وعن عكرمة-رحمه الله-«ت: ١٠٥ هـ»، عن ابن عباس-رضي الله عنهما-«ت: ٦٨ هـ» قال: قال له طبيب حين وقع في عينه الماء: استلق سبعة أيام لا تُصلِّ.

---

(١) أخرجه ابن عبد البر، وابن نصر رقم: «٩٤٥»، واللالكائي رقم: «١٥٣٦»، وانظر صحيح الترغيب رقم: «٥٧٢».

(٢) رواه ابن بطة في الإبانة «٢/ ٦٧٢»، ومحمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة «٢/ ٨٧٧»، واللالكائي «٤/ ٩١٠»، وحسن الشيخ الألباني إسناده في صحيح الترغيب والترهيب «١/ ٢٢٧».

(٣) الإيمان» لأحمد «٢١٧».

(٤) رواه الحاكم «١/ ٤٨» وقال: إنه على شرط الشيخين، فإنه ذكر حديث بريدة: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر» ثم قال: ولهذا الحديث شاهد صحيح على شرطهما جميعا ثم ساقه. وكأن الذهبي لم ينتبه لكلام الحاكم المتقدم فقال: «لم يتكلم عليه، وإسناده صالح».

(٥) ورواه البخاري «٧٩١»، وأحمد في «الإيمان» «٢٢٧».

قال ابن عباس–رضي الله عنهما–«ت: ٦٨ هـ»: "من ترك الصلاة كفر"[(١)]

١٥–**وقال عبد الله بن عمرو–رضي الله عنهما–«ت: ٦٥ هـ»**: ".. ومن ترك الصلاة فلا دين له"[(٢)]

١٦–وعن سعيد بن عُمارَةَ–رضي الله عنه–أحدِ بني سعد بن بكر وكانت له صحبَةٌ قال: "لا صلاةَ لمن لا وضوءَ له، ولا إيمان لمن لا صلاة له"[(٣)]

قال الإمام البغوي–رحمه الله–«ت: ٥١٠ هـ»: "اتفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن من ترك صلاةً واحدةً متعمدًا حتى يخرج وقتها فهو كافر"[(٤)]

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "قد دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة على كفر تارك الصلاة، فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة"[(٥)]

رابعًا: أقوال التابعين ومن بعدهم.

١– **قال الحسن البصري–رحمه الله–«ت: ١١٠ هـ»**: بلغني أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون: بين العبد وبين أن يشرك فيكفر أن يدع الصلاة من غير عذر"[(٦)]

٢–**وعن عبد الله بن عبيد–رحمه الله–«ت: ١١٢ هـ»، قال: أخذ بيدي مكحول–**

---

(١) رواه النجاد. شرح العمدة «٢/ ٦٩».

(٢) الإيمان لأحمد «٢٣٣».

(٣) الإيمان» لأحمد «٢٣٥».

(٤) شرح السنة، «٢/ ١٢٢».

(٥) الصلاة وحكم تاركها، «ص: ١٤».

(٦) الإيمان لأحمد «٢١٠»، ورواه ابن بطة «٢/ ٦٧٣»، واللالكائي «٤/ ٩١٠».

رحمه الله-«ت: ١١٣ أو ١١٤ هـ»، فقال: يا أبا وهب كيف تقول في رجل ترك صـــلاة مكتوبة متعمدا؟ فقلت مؤمن، عاص، فشـد بقبضـته على يدي، ثم قال: "يا أبا وهب ليعظم شـأن الإيمان في نفسـك، من ترك صـلاة مكتوبة متعمداً، فقد برئت منه ذمة الله ومن برئت منه ذمة الله فقد كفر"[(١)]

٣-**قال أيوب الســختياني-رحمه الله-«ت: ١٣١ هـ»**: "ترك الصـــلاة كفر لا يختلف فيه"[(٢)]

٣-**عن ابن المبارك-رحمه الله-«ت: ١٨١ هـ»** قال: "من أخر صلاة حتى يفوت وقتها متعمدا من غير عذر فقد كفر"[(٣)]

٤-**وقال علي بن الحســن بن شـقيق-رحمه الله-«ت: ٢٢٥ هـ»**: سمعت **عبد الله بن المبارك-رحمه الله-«ت: ١٨١ هـ»**، يقول: "من قال إني لا أصـلي المكتوبة اليوم فهو أكفر من حمار"[(٤)]

٥-**وقال يحيى بن معين-رحمه الله-«ت: ٢٣٣ هـ»**: قيل **لعبد الله بن المبارك-رحمه الله-«ت: ١٨١ هـ»**: إن هؤلاء يقولون: من لم يصـــم ولم يصـــل بعد أن يقر به فهو مؤمن مســتكمل الإيمان؟ فقال عبد الله: "لا نقول نحن ما يقول هؤلاء من ترك الصــلاة متعمدا من

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان رقم «١٢٩» والمصنف «١١ /٤٧»، بسند حسن.

(٢) رواه محمد بن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» «٢/ ٩٢٥». وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» «١/ ٢٣٠».

(٣) أخرجه المروزي في "تعظيم قدر الصلاة" «٩٧٩» حدثنا محمد بن عبدة، قال: سمعت يعمر بن بشر أبا عمرو، قال: سمعت عبد الله بن المبارك رضي الله عنه قال: فذكره. ورجاله ثقات.

(٤) أخرجه المروزي في "تعظيم قدر الصلاة" «٩٨٠» حدثنا أحمد بن سيار، قال: سمعت علي بن الحسن بن شقيق، يقول: سمعت عبد الله، يقول: فذكره. وإسناده صحيح.

غير علة حتى أدخل وقتا في وقت فهو كافر"[١]

٦-**وقال معقل بن عبيد الله الجزري-رحمه الله-«ت: ١٦٦ هـ»**: قلت **لنافع-رحمه الله-«ت: ١١٧ هـ»**: رجل أقرَّ بما أنزل الله تعالى وبما بين نبي الله-صلى الله عليه وسلم-، ثم قال: أترك الصـــلاة وأنا أعرف أنها حقٌّ من الله تعالى، قال: ذاك كافر. ثم انتزع يده من يدي غضبان مولّيًا. ..."[٢]

٧-**قال الإمام محمد بن نصـــر-رحمه الله-«ت: ٣٣٤ هـ»**: سمعت **إســـحاق بن راهوية-رحمه الله-«: ٢٣٨ هـ»** يقول: قد صح عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أن تارك الصلاة كافر، وكذلك كان رأي أهل العلم من لدن النبي-صلى الله عليه وسلم-إلى يومنا هذا أن تارك الصلاة عمدًا من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر"[٣]

٨- **قال محمد بن نصـر المروزي-رحمه الله-«ت: ٣٣٤ هـ»**: "قد ذكرنا في كتابنا هذا ما دل عليه كتاب الله تعالى وسـنة رسـوله-صـلى الله عليه وسـلم-من تعظيم قدر الصـلاة وإيجاب الوعد بالثواب لمن قام بها، والتغليظ بالوعيد على من ضـــيعها، والفرق بينها وبين ســائر الأعمال في الفضــل، وعظم القدر. ثم ذكرنا الأخبار المروية عن النبي صــلى الله عليه وســلم في إكفار تاركها، وإخراجه إياه من الملة، وإباحة قتال من امتنع من إقامتها، ثم جاءنا عن الصحابة مثل ذلك، ولم يجئنا عن أحد منهم خلاف ذلك"[٤]

---

(١) أخرجه المروزي في "تعظيم قدر الصلاة" «٩٨١» حدثنا أحمد، قال: حدثنا أحمد بن حكيم، قال: أخبرنا يحي بن معين به. وقال محقق "الصلاة للمروزي" تصحف «يحي بن معين» إلى «يحيى بن موسى»، وقام بتصحيحه من كتاب "الصلاة" لابن القيم!!، وليته لم يفعل وأثبت ما وجد في أصل الكتاب، فهو الصواب، قال الحافظ مغلطاي في تهذيب الكمال «١٢/ ٣٧١»: "يحيى بن موسى: ذكره البستي في تاريخ المراوزة، وزعم أنه يروي عن عبد الله بن المبارك قال: وكان من العباد، يكنى أبا محمد، روى عنه أحمد بن حكيم، ونضر بن صاحب، وعمير ابن أفلح". وأحمد بن حكيم: لم أجده، وليس هو الذي يروي عن ابن عيينة، فهذا أعلى طبقة منه.

(٢) تعظيم قدرالصلاة «٩٧٧».

(٣) تعظيم قدر الصلاة «٢/ ٩٢٩».

(٤) تعظيم قدر الصلاة «٢/ ٩٢٥».

٩-**قال ابن بطة-رحمه الله- «ت: ٣٨٧ هـ»**: "فهذه الأخبار والآثار والسُّـــنن عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، والصحابة-رضي الله عنهم-، والتابعين كلها تدلُّ العقلاء ومن كان بقلبه أدنى حياءٍ على تكفير تارك الصَّلاة، وجاحد الفرائض، وإخراجه من المِلَّة"[(١)]

١٠-**قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»**: في بيان أدلة تكفير تارك الصلاة، بعد ذكر أدلة من الكتاب والسنة، وبيان أنه القول المنقول عن جمهور السلف: "ولأنّ هذا إجماع الصحابة. قال عمر لما قيل له وقد خرج إلى الصلاة: نعم ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة وقصته في الصحيح، وفي رواية عنه قال: لا إسلام لمن لم يصل رواه النجاد، وهذا قاله بمحضر من الصحابة"[(٢)] .

١١-**قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»** في خاتمة الفصل الذي جعله في الحكم بين الفريقين: "ومن العجب أن يقع الشك في كفر من أصر على تركها ودعي إلى فعلها على رؤوس الملأ وهو يرى بارقة السيف على رأسه، ويُشد للقتل، وعصبت عيناه، وقيل له: تصلي وإلا قتلناك، فيقول: اقتلوني ولا أصـــلي أبدا. ومن لا يكفر تارك الصـــلاة يقول: هذا مؤمن مسلم، يغسّل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وبعضهم يقول: إنه مؤمن كامل الإيمان إيمانه كإيمانه جبريل وميكائيل! فلا يستحي من هذا قوله، من إنكاره تكفير من شهد بكفره الكتاب والسنة واتفاق الصحابة. والله الموفق"[(٣)]

١٢- **قال ابن رجب-رحمه الله-«ت: ٧٩٥ هـ»**: "وكثير من علماء أهل الحديث يرى تكفير تارك الصـلاة، وحكاه **إسحاق بن راهويه-رحمه الله-«ت: ٢٣٨ هـ»** إجماعا منهم حتى إنه جعل قول من قال: لا يكفر بترك هذه الأركان مع الإقرار بها من أقوال المرجئة،

---

(١) الإبانة الكبرى «٩٥٥».

(٢) شرح العمدة لابن تيمية «٢/ ٧٥».

(٣) الصلاة وحكم تاركها «ص: ٥٣».



وكذلك قال سفيان بن عيينة ..."[١]

القول الثاني: القول بعدم كفره

فقد ذهب الأكثرون من الأئمة الأربعة، من المالكية، والحنفية، والشـــافعية إلى عدم كفره،

(١) فتح الباري لابن رجب «١/ ٢٢».

وأنه كفر أصغر، وشرك أصغر، [(١)] وهو قول جماعة من الحنابلة أيضًا. [(٢)]

قال ابن رشـــد–رحمه الله–«ت: ٥٢٠ هـ»: "والقول الثاني هو ما ذهب إليه مالك،

---

(١) ما ذهب إليه بعض أهل العلم من حمل أحاديث كفر تارك الصلاة على الكفر الأصغر، قد ردّه شيخ الإسلام من تسعة أوجه، قال في «شرح العمدة»: "وأما حمله على كفر دون كفر، فهذا حمل صحيح ومحمل مستقيم في الجملة في مثل هذا الكلام، ولهذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين في كثير من المواضع مفسراً، لكن الكفر الوارد في الصلاة هو الكفر الأعظم لوجوه:

أحدها: أن الكفر المطلق هو الكفر الأعظم المخرج عن الملة فينصرف الإطلاق إليه، وإنما صرف في تلك المواضع إلى غير ذلك لقرائن انضمت إلى الكلام، ومن تأمل سياق كل حديث وجده معه، وليس هنا شيء يوجب صرفه عن ظاهره، بل هنا ما تقرره على الظاهر.

الثاني: أن ذلك الكفر منكر مبهم مثل قوله: «وقتاله كفر»، «هما بهم كفر» وقوله: «كفر بالله» وشبه ذلك، وهنا عرف باللام بقوله: «ليس بين العبد وبين الكفر أو قال الشرك» والكفر المعرف ينصرف إلى الكفر المعروف وهو المخرج عن الملة.

الثالث: أن في بعض الأحاديث: «فقد خرج من الملة» وفي بعضها: «بينه وبين الإيمان» وفي بعضها: «بينه وبين الكفر» وهذا كله يقتضي أن الصلاة حدٌّ تُدخله إلى الإيمان إن فعله، وتخرجه عنه إن تركه.

الرابع: أن قوله: «ليس بين العبد وبين الكفر إلا ترك الصلاة»، وقوله: "كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة". لا يجوز أن يراد به إلا الكفر الأعظم؛ لأن بينه وبين غير ذلك مما يسمى كفرا أشياء كثيرة، ولا يقال: فقد يخرج من الملة بأشياء غير الصلاة، لأنا نقول: هذا ذكر في سياق ما كان من الأعمال المفروضة، وعلى العموم يوجب تركه الكفر، وما سوى ذلك من الاعتقادات فإنه ليس من الأعمال الظاهرة.

الخامس: أنه خرج هذا الكلام مخرج تخصيص الصلاة وبيان مرتبتها على غيرها في الجملة، ولو كان ذلك الكفر فسقاً لشاركها في ذلك عامة الفرائض.

السادس: أنه بين أنها آخر الدين، فإذا ذهب آخره ذهب كله.

السابع: أنه بين أن الصلاة هي العهد الذي بيننا وبين الكفار، وهم خارجون عن الملة ليسوا داخلين فيها، واقتضى ذلك أن من ترك هذا العهد فقد كفر، كما أن من أتى به فقد دخل في الدين، ولا يكون هذا إلا في الكفر المخرج من الملة.

الثامن: أن قول عمر: «لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة» أصرح شيء في خروجه عن الملة، وكذلك قول ابن مسعود وغيره، مع أنه بيّن أن إخراجها عن الوقت ليس هو الكفر وإنما هو الترك بالكلية، وهذا لا يكون إلا فيما يخرج من الملة.

التاسع: ما تقدم من حديث معاذ «وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد». رواه الترمذي «٢٦٢٦»، وابن ماجه «٣٩٦٣»، وأحمد «٥/ ٢٣١» «٢٢٠٦٩». وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وقال الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه»: صحيح»؛ فإن فسطاطا على غير عمود لا يقوم، كذلك الدين لا يقوم إلا بالصلاة.

وفي هذه الوجوه يبطل قول من حملها على من تركها جاحدا.

وأيضا قوله: "كانوا لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر" وقوله: "ليس بين العبد وبين الكفر"، وغير ذلك مما يوجب اختصاص الصلاة بذلك، وترك الجحود لا فرق فيه بين الصلاة وغيرها؛ ولأن الجحود نفسه هو الكفر من غير ترك حتى لو فعلها مع ذلك لم ينفعه، فكيف يعلق الحكم على ما لم يذكر؟! ولأن المذكور هو الترك، وهو عام في من تركها جحودا أو تكاسلا، ولأن هذا عدول عن حقيقة الكلام من غير موجب فلا يلتفت إليه". شرح العمدة «٢/ ٨١».

(٢) فتاوي الشيخ ابن باز في برنامج نور على الدرب.

والشافعي، وأكثر أهل العلم . . ."[١]

وقال النووي-رحمه الله-«ت: ٦٧٦ هـ»: "فمذهبنا المشـهور أنه يقتل حدًا ولا يكفر، وبه قال مالك، والأكثر من السلف، والخلف"[٢]

وقال ابن قدامة-رحمه الله-«ت: ٦٢٠ هـ»: "والرواية الثانية: يُقتل حداً، مع الحكم بإسـلامه، كالزاني المحصـن ...وهذا قول أكثر الفقهاءوقول **أبي حنيفة-رحمه الله-«ت: ١٥٠ هـ»، ومالك-رحمه الله-«ت: ١٧٩ هـ» والشـافعي-رحمه الله-«ت: ٢٠٤ هـ»**"[٣]

وهذه الدعوى منازعة، وخاصـة القول: بأن هذا هو قول الأكثر سـلفاً كما ذكر النووي. وقد يسلم لهذه الدعوى ما أشار إليه ابن قدامة من أن القول بعدم كفر تارك الصلاة، والحكم بإسلامه هو قول أكثر الفقهاء، إذ إن أصحاب المذاهب الثلاثة متفقون على عدم كفره، وإن اختلفوا في قتله ولعل ما جعل النووي، وابن قدامة يحكون أنه قول أكثر العلماء، ما أشـاروا إليه من إجماع سيأتي بيانه في الأدلة، أو أنه قول أكثر العلماء المتأخرين، والله تعالى أعلم.

أدلة القائلين بعدم كفره.[٤]

استدل القائلون بعدم كفر تارك الصـلاة عمداً بغير عذر، ولا جحود، بأدلة من الكتاب، والسنة، والإجماع، والمعقول، وآثار عن الصحابة-رضي الله عنهم-.

أولاً: الكتاب:

استـدلوا من الكتاب: بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْـرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء: الآية: ٤٨].

---

(١) المقدمات لابن رشد: «١/ ٦٥».

(٢) المجموع: «٣/ ١٦».

(٣) المغني: «٣/ ٣٥٥».

(٤) المصدر: كتاب الخلاف في حكم تارك الصلاة «ص: ١٠٢-١٢٢». "بتصرف".

وجه الاستدلال منها:

إن الله–جل وعلا–أخبر في هذه الآية الكريمة المحكمة أن جميع الذنوب يغفرها لمن يشـــاء من عباده، خلا الشـرك به عز وجل، وتارك الصـلاة ليس مشـركاً، فدل ذلك على أنه داخل تحت المشيئة، وأنه ليس بكافر. إذ الكافر كالمشرك لا يغفرون الله له. [١]

ثانياً: السنة:

استدل القائلون بعدم كفر تارك الصلاة من السنة بأحاديث كثيرة، وقد جعـــل ابن القيم لذلك عنواناً خاصاً فقال: أدلة الذين لا يكفرون تارك الصلاة. [٢]

فمن هذه الأدلة:

١»حديث **عبادة بن الصامت–رضي الله عنه–«ت: ٣٤ هـ»**، قال: سمعت رسول الله يقول: «**خمس صـلوات كتبهن الله– عز وجل–على العباد، فمن جاء بهن لم يُضـيع منهن شيئا استخفافاً بحقهن، كان له عند الله عهد، أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن، فليس له عند الله عهد، إن شاء عذبه، وإن شاء أدخله الجنة**». [٣]

---

(١) وقد أورد الاستدلال بها النووي في شرحه لصحيح مسلم: «٢/ ٧١»، والعراقي في طرح التشريب «٢/ ١٤٧»، وغيرهم.

(٢) كتاب الصلاة «ص: ٣٠-٣٣».

(٣) أورده ابن القيم «ص: ٣٢». وهو أجود دليل اعتمد عليه أصـــحاب هذا القول، كما قاله ابن تيمية في مجموع الفتاوى: «٧/ ٦١٤»، وقد أخرجه مالك في الموطأ، في صــلاة الليل، باب الأمر بالوتر: «١/ ١٢٣». من طريق يحيى بن سـعيد، عن محمد بن يحيى بن حبان، عن ابن محيريز عن المخْدِجي.

وأخرجه من طريق مالك: أبو داود في الصــلاة، باب فيمن لم يوتر: «٢/ ٦٢»، «١٤٢٠»، والنسـائي في الصـلاة، باب المحافظة على الصلوات الخمس: «١/ ٢٣٠»، «٤٦١»، وابن نصر «١٠٣٠»، والطحاوي في شرح مشكل الآثار: «٨/ ١٩٣» «٣١٦٧»، وابن عدي: «١/ ٦٢». قال ابن عبد البر في التمهيد: "لم يختلف عن مالك في إسـناد هذا الحديث. فهو حديث صـحيح ثابت. رواه عن محمد بن يحيى بن حبان، جماعة منهم: يحيى بن سعيد، وعبد ربه ابن سعيد، ومحمد بن إسحاق، وعقيل بن خالد، ومحمد بن عجلان، وغيرهم، بهذا الإسـناد، ومعناه سواء. إلا أن ابن عجلان، وعقيلا، لم يذكروا المخدجي في إسناده، فيما رواه الليث عنهما. ورواه الليث

=

٢» وحديث **كعب بن عجرة** -رضـــي الله عنه-«ت: ٥١ هـ»، قال: بينما أنا جالس

أيضاً عند يحي بن سعيد كما رواه مالك سواء. وإنما قلنا: إنه حديث ثابت، لأنه روي عن عبادة من طرق ثابتة صحاح من غير طريق المخدجي بمثل رواية المخدجي «انظر: هداية المستفيد: «٣/ ٢٨٩» ومن هذه الطرق غير طريق المخدجي:

١» ما رواه زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن الصنابحي.

أورده ابن عبد البر في التمهيد كما في هداية المســـتفيد: «٣/ ٢٩١»، وأخرجه أحمد: «٥/ ٣١٧»، وأبو داود في الصـــلاة، باب في المحافظة على وقت الصـــلوات: «١/ ١١٥»، «٤٢٥»، والبيهقي: «٣/ ٣٦٦»، وابن نصـــر «١٠٣٤»، والبغوي: «٤/ ١٠٥»، «٩٧٨» بنحوه.

٢» وما رواه الطيالسي قال: حدثنا زمعة بن صالح، عن الزهري، عن أبي إدريس الخولاني أورده ابن عبد البر في الاستذكار: «٥٠/ ٢٦١»، وأخرجه الطيالسي في مسنده «ص: ٧٨»، «٥٧٣» بنحوه ورواية الليث عن ابن عجلان وعقيل من غير ذكر المخدجي التي أشار إليها ابن عبد البر. أخرجها الطحاوي في شرح مشكل الآثار «٣١٧١، ٣١٧٢». وقد أخرج حديث المخدجي عن عبادة بن الصامت من غير طريق مالك: عبد الرزاق في مصنفه: ٣ / ٥ «٤٥٧٥»، وأحمد: «٥/ ٣١٥، ٣١٩، ٣٢٢»، وابن ماجه في إقامة الصلاة، باب ما جاء في الصلوات الخمس «١٩٤» «١/ ٤٤٩» «١٤٠١»، والدارمي في الصلاة، باب في الوتر «ص: ٣٧٠»، والبيهقي: «١/ ٣٦١»، وابن نصر «١٠٢٩، ١٠٣١-١٠٣٣»، والطحاوي في شرح مشكل الآثار «٣١٦٨-٣١٧٠». والحديث صححه ابن عبد البر، والنووي في المجموع: «٣/ ١٧»، والعراقي في طرح التشريب: «٢/ ١٤٨»، والسيوطي في الجامع الصغير «٣٩٤٧»، والألباني في صحيح الجامع «٣٢٤٢، ٣٢٤٣»، والأرنؤوط في تعليقه على شرح مشكل الآثار: «٨/ ١٩٣»، والشنقيطي في أضواء البيان: «٤/ ٣١٧»، وللحديث شاهد من حديث كعب بن عجرة، وابن مسعود، وأبي قتادة، وهي المذكورة بعده، وقد استدل بهذا الحديث ابن عبد البر في التمهيد: «٤/ ٢٤٢»، والموفق في المغني: «٣/ ٣٥٧»، والنووي في المجموع: «٣/ ١٧» وغيرهم.

قال ابن تيمية-رحمه الله-: بعد أن ذكر أدلة من لم يكفر تارك الصلاة، وأجاب عليها جوابًا مجملاً، ثم قال: وأجود ما اعتمدوا عليه، ..... فذكر حديث عبادة، ثم قال: قالوا: فقد جعل غير المحافظ تحت المشيئة، والكافر لا يكون تحت المشيئة، ولا دلالة في هذا، فإن الوعد بالمحافظة عليها، والمحافظة فعلها في أوقاتها كما أُمر، كما قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: الآية: ٢٣٨.]، وعدم المحافظة يكون مع فعلها بعد الوقت، كما أخر النبي - صلاة العصر يوم الخندق، فأنزل الله آية الأمر بالمحافظة عليها، وعلى غيرها من الصلوات ..... وإذا عُرف الفرق بين الأمرين؛ فالنبي - إنما أدخل تحت المشيئة من لم يحافظ عليها، لا من ترك، ونفس المحافظة تقتضي أنهم صَلَّوْا، ولم يحافظوا عليها، ولا يتناول من لم يحافظ، فإنه لو تناول ذلك؛ قُتِلَوا كفارًا مرتدين بلا ريب ....." "مجموع الفتاوى" «٧/ ٦١٤-٦١٥»..

فمن لم يكفر تارك الصلاة، إنما يستدل برواية: «ومن لم يأت بهن، فليس له عند الله عهدٌ إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له»، ويفسر قوله -: "ومن لم يأت بهن " أي تركهن أصلًا.

وليس هذا التأويل بصحيح، فإن بقية الروايات توضح أن المراد عدم الإتيان بهن كاملات، ففي رواية قال: "من انتقصهن استخفافًا بحقهن" وفي رواية: "من انتقص من حقهن أو حقوقهن شيئًا" وفي رواية: "من أتى بهن، وقد انتقص من حقهن" وفي رواية: "من جاء بهن، وقد انتقص من حقهن" فهذه الروايات تدل دلالة ظاهرة، على أن المراد أن الرجل قد صلى، إلا أنه ضيع بعض الحقوق الواجبة، فإن من ضيع المستحب؛ لا يتعرض لهذا الوعيد". سبيل النجاة في بيان حكم تارك الصلاة «ص: ١٤٣».

في مسجد رسول الله–صلى الله عليه وسلم–مسندي ظهورنا إلى قبلة مسجد رسول الله–صلى الله عليه وسلم–سبعة رهط: أربعة موالينا، وثلاثة من عربنا، إذ خرج إلينا رسول الله–صلى الله عليه وسلم–صلاة الظهر حتى انتهى إلينا فقال: «**ما يجلسكم ههنا؟**». قلنا: يارسول الله، ننتظر الصلاة. قال: فأرم قليلاً، ثم رفع رأسه فقال: «**أتدرون ما يقول ربكم–عز وجل–**». قال: قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإن ربكم–عز وجل–يقول: من صلى الصلاة لوقتها، وحافظ عليها، ولم يضيعها استخفافاً بحقها فله علي عهد أن أدخله الجنة، ومن لم يصل لوقتها، ولم يحافظ عليها، وضيعها، استخفافاً بحقها، فلا عهد له، إن شئت عذبته وإن شئت غفرت له».[١]

٣» وحديث **عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه–«ت: ٣٢ هـ»**، أن النبي–صلى الله عليه وسلم–مر على أصحابه يوماً فقال لهم: «**هل تدرون ما يقول ربكم تبارك وتعالى؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قالها ثلاثاً. قال: وعزتي وجلالي لا يصليها لوقتها إلا أدخلته الجنة، ومن صلاها لغير وقتها إن شئت رحمته، وإن شئت عذبته**».[٢]

٤» وحديث أبي قتادة بن ربعي–رضي الله عنه–«ت: ٥٤ هـ»، أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–قال: «قال الله عز وجل: افترضت على أمتك خمس صلوات، وعهدت عندي عهداً: أنه من حافظ عليهن لو قتهن أدخلته الجنة، ومن لم يحافظ عليهن، فلا عهد له

---

(١) أخرجه أحمد: «٤/ ٢٤٤»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: «١/ ٣٠٢»: "رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه عيسى بن المسيب البجلي، وهو ضعيف"

وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار: «٨/ ١٩٩»، «٣١٧٣، ٣١٧٤» وقال الأرنؤوط في تعليقه عليه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأشار إلى طرقه عند الطبراني في الكبير.

(٢) رواه الطبراني في الكبير، وفيه يزيد بن قتيبة، ذكره ابن أبي حاتم، وذكر له راو واحد، ولم يوثقه، ولم يجرحه. قاله الهيثمي في مجمع الزوائد: «١/ ٣٠٢». وقال الساعاتي في بلوغ الأماني: «حسنه المنذري» «٢/ ٢٢٩».

عندي»[١].

وجه الاستدلال منها:

أن النبي ﷺ أدخل تحت المشيئة: من لم يأت بالصلاة، ومن لم يصل الصلاة لوقتها، ومن لم يحافظ عليها، وضيعها، فإن شاء الله رحمه وغفر له، وإن شاء عذبه وعاقبه ثم أدخله الجنة، فدل ذلك على أن تارك الصلاة، ليس بكافر، إذ لو كان كافراً لم يدخله في المشيئة، لأن الجنة على الكافر حرام. كما تقدم بيانه.

قال الطحاوي-رحمه الله-«ت: ٣٢١ هـ» بعد أن أشار إلى موضع الشاهد من حديثي عبادة وكعب: "فكان في ذلك ما قد دل أنه لم يخرجه بذلك من الإسلام، فيجعله مرتداً مشركاً، لأن الله عز وجل لا يدخل الجنة من أشرك به، لقوله: ﴿**إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**﴾ [المائدة: الآية: ٧٢]. ولا يغفر له، لقوله عز وجل: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء: الآية: ٤٨، ١١٦]"[٢]

وقال ابن عبد البر-رحمه الله-«ت: ٤٦٣ هـ»، -بعد أن ذكر حديث عبادة-: "ذهبت طائفة من أهل العلم إلى أن معنى حديث عبادة المذكور في هذا الباب، ومعنى حديث كعب بن عجرة هذا؛ أن التضييع للصلاة الذي لا يكون معه لفاعله المسلم عند الله عهد؛ هو أن لا يقيم حدودها: من مراعاة وقت، وطهارة، وتمام ركوع وسجود، ونحو ذلك، وهو مع ذلك يصليها، ولا يمتنع من القيام بها في وقتها، وغير وقتها، إلا أنه لا يحافظ على أوقاتها، قالوا: فأما من تركها أصلاً، ولم يصلها؛ فهو كافر، قالوا: وترك الصلاة كفر، واحتجوا

(١) أخرجه أخرجه أبو داود في الصلاة، باب في المحافظة على وقت الصلاة: «١/ ١١٧»، «٤٣٠»، وابن ماجه في إقامة الصلاة، باب ما جاء في فرض الصلوات الخمس «١٩٤» «١/ ٤٥٠» «١٤٠٣». قال في الزوائد: في إسناده نظر من أجل ضبارة ودويد قال الحافظ في التقريب: ضبارة بن عبد الله بن أبي السليل: مجهول ص ١٥٤. وقال: دويد بن نافع: مقبول وكان يرسل «ص: ٩٨».

(٢) شرح مشكل الآثار: ٨/ ٢٠١، وانظر ابن نصر «ص: ٩٥٦»، وهداية المستفيد: «٣/ ٢٩٠»، وقال الشنقيطي في أضواء البيان: «٤/ ٣١٨»: "حديث عبادة المذكور، فيه الدلالة الواضحة على أن ترك الصلاة ليس بكفر، لأن كونه تحت المشيئة المذكور فيه دليل على عدم الكفر، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: الآية: ٤٨]".

بآثار "[١]

٥» وبقوله ﷺ: «إنه سيكون ولاة، أو أمراء يصلون الصلاة لغير ميقاتها، فصلوا الصلاة لوقتها، واجعلوا صلاتكم معهم سبحة». [٢]

(١) "التمهيد" «٢٣/ ٢٩٣».

(٢) من حديث عبد الله بن مسعود، وأبي ذر، وعبادة بن الصامت، وعامر بن ربيعة، وجابر بن عبد الله، وشداد بن أوس، وأنس بن مالك، وقبيصة بن وقاص، وعبد الله بن عمرو -رضي الله عنهم-. فحديث عبد الله بن مسعود: أخرجه ابن نصر «١٠١٧»، واللفظ له، وأبو داود في الصلاة باب إذا أخر الإمام الصلاة عن وقتها: «١/ ١١٧»، «٤٣٢»، والبيهقي: «٣/ ١٢٤»، من طريق عمرو بن ميمون الأودي، ومن طريق زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود بنحوه، أخرجه ابن نصر «١٠١٤»، والنسائي في الإمامة، باب الصلاة مع أئمة الجور «٢» «٢/ ٧٥» «٧٧٩»، وابن ماجه في إقامة الصلاة، باب ما جاء فيما إذا أخروا الصلاة عن وقتها «١٥٠» «١/ ٣٩٨» «١٢٥٥»، والبيهقي: «٣/ ١٢٧». ومن طريق الأسود قال: دخلت أنا وعلقمة على عبد الله. فقال: أصلى هؤلاء؟ قلنا: لا. قال: قوموا فصلوا، فصلى بنا بغير أذان ولا إقامة، فلما صلى قال: هكذا رأيت رسول الله فعل، ثم قال: «إنها ستكون عليكم أمراء يميتون الصلاة، يخنقونها إلى شرق الموتى، فمن أدرك ذلك منكم فليصل الصلاة لوقتها، ويجعل صلاته معهم سبحة». أخرجه ابن نصر «١٠١٥»، وبنحوه أخرجه مسلم في المساجد، باب وضع الأيدي على الركب في الركوع: «٥/ ١٥»، وابن حبان، كما في الإحسان: «٣/ ٤٨» «١٥٥٦»، وابن أبي شيبة في مصنفه: «٢/ ٣٨١». ومن طريق القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «ستكون بعدي أمراء يؤخرون الصلاة عن مواقيتها ويحدثون البدعة» فقال ابن مسعود وكيف أصنع إن أدركتهم؟ قال: «تسألني ابن أم عبد كيف تصنع؟! لا طاعة لمن عصى الله». أخرجه البيهقي: «٣/ ١٢٤، ١٢٧»، وعبد الرزاق في مصنفه بنحوه: «٢/ ٣٨٣» «٣٧٨٨». وأما حديث أبي ذر -رضي الله عنه- من عدة طرق عن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- منها: قال: قال لي رسول الله ﷺ: «كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها، أو يميتون الصلاة عن وقتها؟». قال: قلت: فما تأمرني؟ قال: «صل الصلاة لوقتها فإنن أدركتها معهم فصل، فإنها لك نافلة». أخرج حديث أبي ذر ابن نصر «١٠٠٧-١٠١٣»، ومسلم في المساجد، باب كراهة تأخير الصلاة عن وقتها: «٥/ ١٤٧-١٥٠» «ح: ٢٣٨-٢٤٤»، وغيرهما. وأما حديث عبادة بن الصامت -رضي الله عنه-: أخرجه ابن نصر من عدة طرق «١٠١٨-١٠٢١» منها عنه: عن رسول الله ﷺ قال: «ستكون عليكم أمراء، تشغلهم أشياء عن الصلاة، حتى يذهب وقتها، فصلوا الصلاة لوقتها. فقال رجل: يارسول الله، أنصلي معهم؟ قال: نعم». وأخرجه أحمد: «٥/ ٣١٤، ٣١٥»، وأبو داود في الصلاة، باب إذا أخر الإمام الصلاة عن الوقت «١/ ١١٨» «٤٣٣»، وابن ماجه في إقامة الصلاة، باب ما جاء فيما إذا أخروا الصلاة عن وقتها «١٥٠» «١/ ٣٩٨» «١٢٥٧»، وعبد الرزاق في مصنفه: «٢/ ٣٨١» «٣٧٨٢»، وابن أبي شيبة في مصنفه: «٢/ ٣٨١»، وأخرجه الألباني في صحيح الجامع «٢٤٢٩» وأشار لصحته. وأما حديث عامر بن ربيعة -رضي الله عنه-: أخرجه ابن نصر «١٠٢٢، ١٠٢٣» من طريق عاصم بن عبيد الله عن عبد الله بن عامر عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «سيكون أمراء بعدي يصلون الصلاة لوقتها، ويؤخرونها عن وقتها، فصلوها معهم، فإن صلوا لوقتها فصليتموها معهم، فلكم، ولهم، وإن أخروها عن وقتها، فصليتموها معهم، فلكم، وعليهم، ومن فارق الجماعة، - ميتة جاهلية، ومن نكث العهد، فمات ناكثاً للعهد، جاء يوم

=

وجه الاستدلال منه:

أمره عليه الصلاة والسلام بالصلاة خلف أولئك الأمراء الذين يصلون الصلاة لغير ميقاتها، دليل على عدم كفرهم، إذ لو كانوا كافرين بهذا التأخير، لم تجز الصلاة خلفهم قال ابن عبد البر: "قالوا: وهذا يدل على أنهم غير كفار بتأخيرهـا حتى يخرج وقتها، ولو كفروا بذلك ما أمرهم بالصلاة خلفهم بسبحة ولا غيرها"(١)

٦» وبحديث **عتبان بن مالك**-**رضي الله عنه**-«**ت: ما بين ٤٠ و٦٠ هـ**»، وفيه قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**فإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله**

القيامة لا حجة له». وأخرجه أحمد: «٣/ ٤٤٥، ٤٤٦». قال الساعاتي في بلوغ الأماني: «٢/ ٢٢٨»: «سنده جيد». وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه: «٢/ ٣٧٩» «٣٧٧٩»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد «١/ ٣٢٤»: "رواه أحمد، والطبراني في الكبير بنحوه، وفيه عاصم بن عبيد الله، وهو ضعيف إلا أن مالكًا روى عنه". وأما حديث جابر بن عبد الله-رضي الله عنه-: أنه قال: اشتد غضب الله تعالى على أول من أخر وقت الصلاة، وهل تدريان من هو؟ قالا: لا. قال: الحجاج. إني محدثكما حديثاً، فاكتماه عني، فإذا مت، فلينبشوا قبري، سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم-يقول: «إنه سيكون بعدي أئمة يؤخرون وقت الصلاة، فصلو الصلاة لوقتها، واجعلوا صلاتكم معهم سبحة». فأخرجه ابن نصر «١٠٢٤». وأما حديث شداد بن أوس-رضي الله عنه-قال: «سيكون من بعدي أئمة يميتون الصلاة عن مواقيتها، فصلوا الصلاة لوقتها، واجعلوا صلاتكم معهم سبحة». فلما كان الحجاج أخر الصلاة عن مواقيتها، فكنت أصلي الصلاة لوقتها، وأجعل صلاتي معه سبحة». أخرجه ابن نصر بهذا اللفظ موقوفًا «١٠٢٥» إلا أن يكون في المطبوع سقطاً. وأخرجه أحمد مرفوعاً: «٤/ ١٢٤»، والبزار، كما في كشف الأستار: «١/ ١٩٨» «٣٩٣» وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: «١/ ٣٢٥»: "رواه أحمد، والبزار، والطبراني في الأوسط، وفيه راشد بن داود ضعفه الدارقطني، ووثقه ابن معين، ودحيم، وابن حبان".

وأما حديث أنس بن مالك-رضي الله عنه-فبنحوه: أخرجه ابن نصر «١٠٢٦، ١٠٢٧»، قال المحقق معلقاً عليه: الحديث صحيح لشواهده، وإسناده حسن. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: «١/ ٣٢٥»: «رواه الطبراني في الأوسط، وأبو يعلي، وفي إسناده من لا يعرف". وأما حديث قبيصة بن وقاص-رضي الله عنه-: قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «يكون عليكم أمراء يؤخرون الصلاة، فهي لكم، وهي عليهم، فصلوا معهم ما صلوا بكم القبلة». أخرجه ابن نصر «١٠٢٨»، وأبو داود في الصلاة، باب إذا أخر الإمام الصلاة عن الوقت «١/ ١١٨» «٤٣٤» ، والطبراني في الأوسط: «٣/ ٢٩٦»، «٢٦٤٤» وقال: «لا يروى هذا الحديث عن قبيصة بن وقاص الليثي إلا بهذا الإسناد، تفرد به أبو هاشم" وقال عنه الحافظ في التقريب ص ٢٥٠: «لا بأس به». وأما حديث عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما-: فبنحوه. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: «١٠/ ٣٢٥»: "رواه الطبراني في الأوسط، والكبير، وفيه سالم بن عبد الله الخياط، ضعفه ابن معين، والنسائي، ووثقه أحمد، وابن حبان، وأبو أحمد بن عدي".

(١) التمهيد: «٤/ ٢٤٢»، وانظر: تعظيم قدر الصلاة «ص: ٩٣٣».

يبتغي بذلك وجه الله».[(١)]

٧» وبحديث **أبي ذر-رضـي الله عنه-«ت: ٣١ أو ٣٢ هـ»**، أن رسـول الله ﷺ قال: «**ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة**». قلت: وإن زنى، وإن سرق قال: «**وإن زنى، وإن سرق**» . . . كررها ثلاثاً ثم قال: «على رغم أنف أبي ذر».[(٢)]

٨» وبحديث **عبادة بن الصـــامت-رضـــي الله عنه-«ت: ٣٤ هـ»**، عن النبي ﷺ أنه قال: «**من شـــهد أن لا إله إلا الله وحده لاشـــريك له، وأن محمداً عبده ورســوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنـــــــة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**».[(٣)]

وجه الاستدلال منه:

إخباره عليه الصلاة والسلام بما سيكون يوم القيامة من كرم المولى جل جلاله على عباده المؤمنين الموحدين، إذ أقسم سبحانه بعزته وجلاله على إخراج كل من قال: لا إله إلا الله، من النار. ولم يشـترط لذلك عملا، بل نص في الرواية الثانية، أنه يخرج من النار من لم يعمل خيراً قط. وفي ذلك دلالة واضـــحة على أن تارك الصـــلاة ليس بكافر، إذ لو كان كافراً، لما كان موعوداً بالخروج من النار، لأن الجنة على الكافر حرام.

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في الصلاة، باب المساجد في البيوت «٤٦» «١/ ١٠٩، ١١٠»، وفي التهجد، باب صلاة النوافل جماعة «٣٦» «٢/ ٥٥»، وفي الأطعمة، باب الخزيرة «١٥» «٦/ ٢٠٢»، وفي الرقاق، باب العمل الذي يبتغى به وجه الله. «٦» «٧/ ١٧٢». ومسلم في المساجد، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر: «٥/ ١٥٩». أورده ابن القيم في كتاب الصلاة «ص: ٣٢».

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في اللباس، باب الثياب البيض «٢٤» «٧/ ٤٣»، ومسلم في الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة: «١/ ٩٤»، ونحوه حديث معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال: «من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله دخل الجنة»، أورده ابن القيم في كتاب الصلاة «ص: ٣٢». وأخرجه أبو داود في الجنائز، باب في التلقين: «٣/ ١٩٠» «٣١١٦»، وأحمد: «٥/ ٢٣٣»، بلفظ: «وجبت له الجنة».

(٣) متفق عليه. أخرجه البخاري في الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾ «٤٧» «٤/ ١٣٩»، ومسلم في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا: «١/ ٢٢٦». أورده ابن القيم في كتاب الصلاة «ص: ٣٠».

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: **٧٥١ هـ**»: "ويكفينا في هذا قوله: «**فيخرج من النار من لم يعمل خيراً قط**». ولو كان كافراً لكان مخلداً في النار، غير خارج منها"[(١)]

٩» وبحديث **أنس-رضـي الله عنه**-«**ت: مابين ٩٠ و٩٣ هـ**»، أن النبي-صـلى الله عليه وسـلم-قال، **ومعاذ-رضـي الله عنه**-«**ت: ١٧ أو ١٨ هـ**» رديفه على الرحل: «**يا معاذ**». قال: لبيك يارسـول الله وسـعديك، ثلاثاً، قال: «**ما من عبد يشـهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسـوله إلا حرمه الله على النار**». قال: يا رسـول الله، أفلا أخبر بها الناس، فيستبشروا؟ قال: «**إذاً يتكلوا**». فأخبر بها معاذ عند موته تأثماً"[(٢)]

«١٠» وبحديث **أبي هريرة-رضي الله عنه**-«**ت: ٥٧ هـ**» قال: «أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه».[(٣)]

وجه الاستدلال منها[(٤)] من وجهين:

أحدهما : أن رسـول الله-صـلى الله عليه وسـلم-علق دخول الجنة ، والتحريم على النار وشـفاعته عليه الصـلاة والسـلام على مجرد قول : لا إله إلا الله ، أو الشـهادة بذلك ، ولم يشـترط لذلك عملا مهما قل أو كثر ، فدل ذلك على عدم كفر تارك الصـلاة ، إذ لو كان تركها كفرًا ، لتوقف دخول الجنة على إقامتها ، ولوجبت النار ، وحرم من شـفاعته ، كل متهاون بها الثاني : في حديث عبادة التصريح بأن دخول الجنة متوقف على تلك الشـهادات الإيمانية ، وليس متوقفاً على شيء من العمل ، ولذلك قال : «**أدخله الله الجنة على ما كان**

---

(١) كتاب الصلاة «ص: ٣٣».

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في العلم، باب من خص بالعلم قوماً «٤٩» «١/ ٤١». ومسلم في الإيمان، باب من شهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه دخل الجنة: «١/ ٢٤٠»، واللفظ له. ولفظ البخاري: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار». وأورده ابن القيم في كتاب الصلاة «ص: ٣٠».

(٣) أخرجه البخاري في العلم، باب الحرص على الحديث «٣٣» «١/ ٣٣». وأورده ابن القيم في كتاب الصلاة «ص: ٣١».

(٤) الأحاديث الأولى منها «٦-٨» أوردها ابن قدامة في المغني: «٣/ ٣٥٦»، مكتفيًا بها عما ماثلها، لأن الأحاديث في هذا الباب-وهي ما تُعرف بأحاديث الرجاء-كثيرة جدًا، ولهذا قال بعد أن بين أن هذه متفق عليها: «ومثلها كثير»..

من العمل»، [١] فدل ذلك على أن ترك الصـــلاة ليس كفراً ، إذ لو كان كفراً لتوقف دخول الجنة عليه من الأعمال.

«١١» وبحديث **عثمان بن عفان–رضي الله عنه–«ت: ٣٥ هـ»**، قال: قال رسول الله: **«من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله، دخل الجنة»**. [٢]

وجه الاستدلال منه:

أن النبي ﷺ علق دخول الجنة على العلم بوحدانيته، وأنه سـبحانه وتعالى سـتحق للعبادة دون سواه، ولم يشترط مع ذلك شيئاً آخر، لا قولا، لا عملاً، فدل ذلك على أن ترك الصلاة ليس بكفر، إذ لو كان تركها كفراً شترط فعلها لدخول الجنة. [٣]

«١٢» وبحديث الشـــفاعة: **«يقول الله–عز وجل–: وعزتي وجلالي، لأخرجن من النار من قال لا إله إلا الله»**. وفيه **«فيخرج من النار من لم يعمل خيراً قط»**. [٤]

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾ «٤٧» «٤/ ١٣٩»، ومسلم في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً: «١/ ٢٢٦». أورده ابن القيم في كتاب الصلاة «ص: ٣٠».

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان، باب من مات على التوحيد دخل الجنة «١/ ٢١٨». وأورده ابن القيم في كتاب الصلاة «ص: ٣٢»، وقد اكتفى النووي بهذا الحديث عن غيره من الأدلة المماثلة له. فقال بعد أن أورده: "وأشباهه كثيرة" المجموع: «٣/ ١٧».

(٣) «تنبيه» الاستدلال بهذا الحديث يشترك فيه غلاة المرجئة–الذين يكتفون بمجرد العلم–وغيرهم، ممن يقيد ذلك بالقول، أو غير ذلك من القيود الأخرى. وقد نقل النووي كلام القاضي عياض، وكلام ابن الصلاح على هذا الحديث في شرحه لصحيح مسلم: «١/ ٢١٩» وحسبنا في هذا المقام أن نشير إلى الاستدلال به على عدم كفر تارك الصلاة. وهو القدر المشترك الذي تجتمع عليه تلك الأقوال.

(٤) كذا أورده ابن القيم «ص: ٣٢»، مختصرًا، وحديث الشفاعة جاء من طرق متعددة وبألفاظ متقاربة منها: حديث أنس بن مالك الطويل في الصحيحين، وفيه الجملة الأولى وهي من طريق الحسن البصري. وذلك بعد أن يشفع عليه الصلاة والسلام لأمته عدة مرات، فيقال له في الثالثة: «انطلق فمن كان في قلبه أدنى–كذا عند مسلم بتكرارها ثلاثاً، وعند البخاري بتكرارها مرتين–من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار» زاد الحسن أنه سمع من أنس هذا الحديث منذ عشرين سنة وفيه زيادة شفاعته عليه الصلاة والسلام لامته للمرة الرابعة وفيه: «فأقول: يارب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله. فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله». هذا لفظ البخاري. أخرجه البخاري في التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة «٣٦» «٨/ ٢٠٠–٢٠٢»، ومسلم في الإيمان، باب الشفاعة: «٣/ ٥٩–٦٤»، وابن نصر «٢٧٤». وفي حديث قتادة عن أنس بعد أن ذكر شفاعته عليه الصلاة والسلام لأمته عدة مرات. وعند ذلك يقول: «. . .. ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن. ووجب عليه الخلود»، أخرجه البخاري في =

١٣» وبحديث **ابن مسـعود-رضـي الله عنه-«ت: ٣٢ هـ»**، عن النبي ﷺ أنه قال: **«أمر بعبد من عباد الله أن يضرب في قبره مائة جلدة، فلم يزل يسأل ويدعو حتى صارت جلدة واحدة، فجلد جلدة واحدة، فامتلأ قبره عليه ناراً، فلما ارتفع عنه: علام جلدتموني؟ قالوا: إنك صليت صلاة بغير طهور، ومررت على مظلوم، فلم تنصره»**.[(١)]

وجه الاستدلال منه:

إخبار النبي ﷺ عن هذا الرجل الذي أمر بضربه مائة جلدة، ثم أصبحت جلدة واحدة، باستجابة الله له دعاءه وتخفيفه عنه، وأن استحقاق هذا الضرب لصلاته بغير طهور، وعدم

التفسير، سورة «٢» باب «١» «٥/ ١٤٧»، وفي الرقاق، باب صفة الجنة والنار «٥١» «٧/ ٢٠٣»، وفي التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لما خلقت بيدي﴾، «١٩» «٨/ ١٧٢-١٧٣»، وباب قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ «٢٤» «٨/ ١٨٣» تعليقًا. وأخرجه مسلم في الإيمان: «٣/ ٥٣-٥٨». ومنها حديث أبي سعيد الخدري الطويل في الصحيحين وغيرهما. وفيه أن المؤمنين الذين تجاوزوا الصراط يشفعون في إخوانهم الذين في النار ثلاث مرات: من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان، ثم من كان في قلبه نصف دينار من إيمان، ثم من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان. ثم بعد ذلك تكون شفاعته جل وعلا لقوم قد امتحشوا - أي احترقوا وفيه: «.. فيدخلون الجنة، فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الرحمن، أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه..». أخرجه البخاري في التوحيد، باب «٢٤» «٨/ ١٨١-١٨٣»، وقد أخرجه مختصراً في التفسير سورة «٤» باب إن الله لا يظلم مثقال ذرة «٨» «٥/ ١٧٩»، ليس فيه موضع الشاهد. وأخرجه مسلم في الإيمان، باب رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة: «٣/ ٢٥-٣٨». وقد أخرج ابن نصر، الحديث مطولاً، ومختصراً «٢٧٦، ٢٧٧». ومنها حديث أبي هريرة الطويل في الصحيحين أيضًا: وفيه: «... حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئًا ممن أراد الله أن يرحمه، ممن يشهد أن لا إله إلا الله، فيعرفونهم في النار بأثر السجود، تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا، فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون تحته كما تنبت الحبة في حميل السيل .....». أخرجه البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ «٢٤» «٨/ ١٧٩-١٨١»، وأخرجه بنحوه في الأذان، باب فضل السجود «١٢٩» «١/ ١٩٥»، وفي الرقاق، باب الصراط جسر جهنم «٥٢» «٧/ ٢٠٥»، ومسلم في الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبحانه: «١٧/٣-٢٥»، وابن نصر «٢٧٥». أما الجملة الثانية: وهي قوله: «فيخرج من النار من لم يعمل خيراً قط». فقد أخرج مسلم من حديث أبي سعيد الخدري-المشار إليه-. ولفظه: «... فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيرًا قط..». الحديث.

(١) أخرجه الطحاوي في شرح مشكاة الآثار: «٨/ ٢١٢»، قال محققه: "إسناده حسن . . . وله شاهد من حديث ابن عمر عند الطبراني في الكبير"، وعزاه المنذري إلى أبي الشيخ بن حبان في كتاب التوبيخ. الترغيب والترهيب: «٣/ ١٩٠». وقد أشار إلى الاستدلال بهذا الحديث ابن عبد البر في التمهيد: «٤/ ٢٣٩».

نصـرته للمظلوم. دليل على أن تارك الصـلاة ليس بكافر، إذ لو كان كافراً لما اسـتجاب الله دعاءه، ولما اقتصر عقابه على جلده جلدة واحدة، لأن من صلى بغير طهور فكأنه لم يصل.

قال الطحاوي–رحمه الله–«**ت: ٣٢١ هـ**»: "في هذا الحديث ما يدل على أن تارك الصـلاة ليس بكافر، لأن من صـلى صـلاة بغير طهور، فلم يصـل. وقد أجيبت دعوته، ولو كان كافراً ما أجيبت له دعوة، لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ﴾ [الرعد: الآية: ١٤، غافر: الآية: ٥٠]"(١)

١٤» وبحديث **أبي شميلة**–رضي الله عنه–«**ت: غير معروف**» ـ أن النبي–صلى الله عليه وسلم–خرج إلى قباء، فاستقبله رهط من الأنصار يحملون جنازة على باب، فقال النبي–صلى الله عليه وسلم–: «**ما هذا؟**»، قالوا: مملوك لآل فلان، كان من أمره. قال: «أكان يشهد أن لا إله إلا الله؟». قالوا: نعم، ولكنه كان وكان. فقال لهم: «**أما كان يصـــلي؟**». فقالوا: قد كان يصلي ويدع. فقال لهم: «**ارجعوا به، فغسلوه، وكفنوه، وصلوا عليه، وادفنوه، والذي نفسي بيده، لقد كادت الملائكة تحول بيني وبينه**». (٢).

وجه الاستدلال منه:

أمره عليه الصلاة والسلام بإرجاع ذلك الرجل الذي كان يصلي ويدع، وتغسيله، وتكفينه، والصـلاة عليه، دليل على أن ترك الصـلاة ليس بكفر، إذ لو كان بتركها كافراً لما أمر بإرجاعه والصلاة عليه

١٥» وبحديث **ابن عمر**–رضـي الله عنهما–«**ت: ٧٣ هـ**»، قال: قال رسـول الله ﷺ:

---

(١) التمهيد: «٤/ ٢٣٩»، وانظر شرح مشكل الآثار: «٨/ ٢١٢».

(٢) عزاه في المغني: «٣/ ٣٥٧» إلى الخلال في جامعه، ورواه الدارقطني في سننه: «٢/ ٥٦» من طريقين، فيهما متهمان بالكذب، قاله في التعليق المغني. وأخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية من خمسة طرق كلها واهية، وبين عللها، وأشار إلى ما روي في الباب وقال: "كلها لا تصح" «١/ ٤٢١–٤٢٧»، وقد ضعف الحديث جمع من العلماء انظر: نصب الراية: «٢/ ٢٨»، مجمع الزوائد: «٢/ ٦٧»، المقاصد الحسنة «ص: ٤٢٩»، كشف الخفاء: «٢/ ٣٢، ٣٣»، الجامع الصغير: «٤/ ٢٠٣» «٥٠٣٠» ، ضعيف الجامع الصغير «٣٤٨٢»، الإرواء: «٢/ ٣٠٥–٣٠٧».

«صلوا على من قال: لا إله إلا الله». «١»

وجه الاستدلال منه:

أمره عليه الصلاة والسلام بالصلاة على من قال: لا إله إلا الله، دون أن يستثني من ذلك أحدًا، دليل على أن تارك الصلاة، يُصلى عليه، وأنه ليس بكافر، إذ لو كان كافراً، لما صلي عليه.

١٦» وبحديث **أبي ذر–رضي الله عنه–«ت: ٣١ أو ٣٢ هـ»** . أن النبي–صلى الله عليه وسلم–قام بآية من القرآن يرددها حتى صلاة الغداة، وقال: «**دعوت لأمتي، وأجبت بالذي لو اطلع عليه كثير منهم تركوا الصلاة**». فقال أبو ذر: أفلا أبشر الناس؟ قال: «بلى». فانطلق. فقال عمر: إنك إن تبعث إلى الناس بهذا ينكلوا عن العبادة. فناداه: «**أن ارجع**». فرجع. والآية: ﴿**إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [المائدة: الآية: ١١٨]. رواه أحمد في مسنده. (١)

وجه الاستدلال منه:

إخبار النبي–صلى الله عليه وسلم–بأنه دعا لأمته بما لو اطلع عليه كثير منهم تركوا الصلاة، دليل على أنهم آمنون من عذابه، وفائزون بنعيمه، ولو تركوا الصلاة، وأنهم بهذا الترك لا يكونون كفاراً، لأن الكافر لا طمع له في رحمة الله، ولا نجاة له من عقابه.

١٧» وبحديث **عائشة–رضي الله عنها–«ت: ٥٨ أو ٥٧ هـ»**، قالت: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: «**الدواوين عند الله ثلاثة: ديوان لا يعبأ الله به شيئًا، وديوان لا يترك الله منه شيئًا، وديوان لا يغفره الله. فأما الديوان الذي لا يغفره الله: فالشرك بالله**

---

(١) كذا أورده ابن القيم في كتاب الصلاة «ص: ٣١»، مختصرًا، وأخرجه أحمد: «٥/ ١٧٠» مطولًا.

وأخرج الحديث دون موضع الشاهد منه: النسائي في الافتتاح، باب ترديد الآية «٧٩» «٢/ ١٧٧» «١٠١٠»، وابن ماجه في إقامة الصلاة، باب ما جاء في القراءة في صلاة الليل «١٧٩» «١/ ٤٢٩» «١٣٥٠»، والحاكم: «١/ ٢٤١»، وقال: حديث صحيح، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي: «٢/ ٢٧٣»: "رواه أحمد، والبزار، ورجاله ثقات". وأخرجه ابن خزيمة معلقاً، وقال في ترجمته: باب إباحة ترديد الآية، إن صح الخبر: «١/ ٢٧١».

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة: الآية: ٧٢]، وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً، فظلم العبد نفسه، فيما بينه وبين ربه، من صوم يوم تركه، أو صلاة تركها، فإن الله عز وجل يغفر ذلك، ويتجاوز عنه-إن شاء-. وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئًا؛ فظلم العباد بعضهم بعضا، القصاص لامحالة». (١)

وجه الاستدلال منه:

إخباره عليه الصلاة والسلام بأن من الدواوين، ديوان لا يعبأ الله به شيئًا، أي: أن الله جل وعلا قد يغفره لصاحبه، ويتجاوز عنه، ولا يعاقبه عليه، وقد ضرب عليه الصلاة والسلام أمثلة لهذا النوع من الظلم: صوم يوم تركه، أو صلاة تركها. فدل ذلك على أن ترك الصلاة ليس كفراً، إذ لو كان كفراً. لما جعله من الديوان الذي لا يعبأ به، بل لعده من الديوان الذي لا يغفره الله.

١٨» وبحديث **أبي هريرة-رضي الله عنه-«ت: ٥٧ هـ»**، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: **«إن أول ما يحاسب به العبد المسلم يوم القيامة: الصلاة المكتوبة، فإن أتمها، وإلا قيل: انظروا هل له من تطوع؟ فإن كان له تطوع أكملت الفريضة من تطوعه، ثم يفعل بسائر الأعمال المفروضة مثل ذلك».** (٢)

(١) أخرجه أحمد: «٦/ ٢٤٠» واللفظ له، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: «١٠ / ٣٤٨»: "رواه أحمد، وفيه صدقة بن موسى، وقد ضعفه الجمهور". وأخرجه الحاكم: «٤/ ٥٧٥، ٥٧٦» بنحوه، وقال: "صحيح الاسناد، ولم يخرجاه". ورد ذلك للذهبي فقال: "صدقة ضعفوه، وابن بابونس، فيه جهالة". وضعف الألباني الحديث في تعليقه على شرح العقيدة الطحاوية «ص: ٣٦٧». وأورده ابن القيم في كتاب الصلاة «ص: ٣١».

(٢) أخرجه أحمد: «٢/ ٢٩٠، ٤٢٥»، «٤/ ١٠٣»، وأبو داود في الصلاة، باب قول النبي ﷺ: «كل صلاة لا يتمها صاحبها..» «١/ ٢٢٩، ٨٦٤، ٨٦٥»، والترمذي في الصلاة، باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة: «١/ ٢٥٨» «٤١١» وقال: حديث حسن. وابن ماجه في إقامة الصلاة، باب ما جاء في أول ما يحاسب به العبد الصلاة «٢٠٢» «١/ ٤٥٨» «١٤٢٥» واللفظ له، والنسائي في الصلاة، باب المحاسبة على الصلاة «٩» «١/ ٢٣٢»، «٤٦٥-٤٦٧»، والطبراني في الأوسط «٢٢٢٠»، وابن عدي: «٢/ ٥٦١»، والحاكم: «١/ ٢٦٢»، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي والبغوي في شرح السنة: «٤/ ١٥٩» «١٠١٩». وقال: حديث حسن، وقال الارناؤوط في تعليقه عليه: حديث صحيح. ثم قال: وله شاهد عند أحمد والحاكم عن =

وجه الاستدلال منه:

إخبار النبي ﷺ بأن من لم يتم صـــلاته المكتوبة، أكملت من تطوعه، دليل على أن ترك الصــلاة ليس كفراً، لأن إتمام الصــلاة المكتوبة بالتطوع يتناول إكمال أعدادها وما ترك منها، كما يتناول إكمال ما حصل فيها من نقص، أو خلل. [(١)]

قال **محمد الأمين الشنقيطي**–رحمه الله–«**ت: ١٣٩٣ هـ**»: "وجه الاستدلال بالحديث المذكور على عدم كفر تارك الصـــلاة: أن نقصـــان الصـــلوات المكتوبة، وإتمامها من النوافل يتناول بعمومه ترك بعضها عمداً، كما يقتضيه ظاهر عموم اللفظ"[(٢)]

١٩» وبحديث **عبد الله بن عمرو بن العاص–رضي الله عنهما–«ت: ٦٥ هـ»** في قصة صاحب البطاقة، الذي ينشر له تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل منها مد البصر، ثم تخرج

رجل من أصحاب النبي–صلى الله عليه وسلم–وإسناده صحيح. وآخر عند أبي داود من حديث تميم الداري، وإسناده قوي. والطحاوي في شرح مشكل الآثار: «٦/ ٣٨٧» «٢٥٥٣» وقال الأرناؤوط في تعليقه على: إسناده صحيح. وقال عن حديث تميم الداري: «٦/ ٣٨٥» «٢٥٥٢»: إسناده صحيح: والبيهقي: ٢/ ٣٨٦، وقال الشوكاني: "الحديث أخرجه أبو داود من ثلاث طرق، طريقين متصلتين بأبي هريرة، والطريق الثالثة بتميم الداري. وكلها لا مطعن فيها، ولم يتكلم عليه هو ولا المنذري بما يوجب ضعفه..". وأشار فيه إلى تصحيح ابن القطان والعراقي لحديث أبي هريرة وتصحيح العراقي الحديث تميم. وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة: «٣/ ٣٤٥» «١٣٥٨»، وأورده ابن القيم في كتاب الصلاة «ص: ٣٢».

(١) قال ابن العربي المالكي في عارضة الأحوذي «٢/ ٢٠٧»: "يحتمل أن يكون: يكمل له ما نقص من فرض الصلاة وأعدادها بفضل التطوع. ويحتمل ما نقصه من الخشوع. والأول عندي أظهر، لقوله: «ثم الزكاة كذلك، وسائر الأعمال». وليس في الزكاة إلا فرض أو فضل، فكما يكمل فرض الزكاة بفضلها، كذلك الصلاة، وفضل الله أوسع، ووعده أنفذ، وعزمه أعم وأتم".

ونقل المباركفوري عن العراقي قوله: "يحتمل أن يراد به ما انتقصه من السنن، والهيئات المشروعة فيها: من الخشوع، والأذكار، والأدعية. وأنه يحصل له ثواب ذلك في الفريضة، وإن لم يفعله فيها، وإنما فعله في التطوع. ويحتمل أن يراد به ما انتقص أيضاً من فروضها وشروطها. ويحتمل أن يراد ما ترك من الفرائض رأساً، فلم يصله، فيعوض عنه من التطوع. والله سبحانه وتعالى يقبل من التطوعات الصحيحة عوضاً عن الصلوات المفروضة". تحفة الأحوذي: ٢ / ٤٦٣، وانظر: نيل الأوطار: «٢/ ٢٩٥».

(٢) أضواء البيان: «٤/ ٤١٩».

له بطاقة فيها: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فترجح سيئاته. (١)

وجه الاستدلال منه:

إخباره عليه الصلاة والسلام بما سيكون يوم القيامة عند الحساب، وأن من الناس من لم يعمل خيراً قط، وليس له في سجلات حسناته، وصحائف أعماله، إلا الشهادة، دليل على أن مجرد الإتيان بالشهادة كاف في مجاة العبد يوم القيامة من النار، وأن ترك الصلاة ليس كفراً، لأن الكافر ليس له مطمع في رحمة الله، أو نجاة من عقابه.

قال ابن القيم –رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "ولم يذكر في البطاقة غير الشهادة، ولو كان فيها غيرها لقال: ثم تخرج له صحائف حسناته، فترجح سيئاته"(٢)

٢٠» وبحديث **أبي هريرة –رضي الله عنه–«ت: ٥٧ هـ»** قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن للإسلام صوى (٣)، ومنارًا كمنار الطريق، منها: أن تؤمن بالله ولا تشرك به شيئًا، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تسلم على أهلك إذا دخلت عليهم، وأن تسلم على القوم إذا مررت بهم، فمن ترك من ذلك شيئًا، فقد ترك سهمًا من الإسلام، ومن تركهن كلهن فقد ولى الإسلام ظهره».** (٤)

---

(١) الحديث بالمعنى، وكذا أورده ابن القيم في كتابه الصلاة «ص ٣٣»، وأخرجه أحمد: «٢/ ٢١٣»، والترمذي في الإيمان باب فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله: «٤/ ١٣٤» «٢٧٧٦» وقال: حسن غريب. وابن ماجه في الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة «٣٥» «٢/ ١٤٣٧» «٤٣٠٠»، والحاكم: «١/ ٥٢٩»، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وابن حبان كما في الإحسان: «١/ ٢٢٤» «٢٢٥».

(٢) كتاب الصلاة «ص: ٣٣».

(٣) الصوى: جمع صوة، وهي أعلام من حجارة منصوبة في الفيافي والمفازة المجهولة، فيستدل بتلك الأعلام على طرقها. وأراد: أن للإسلام طرائق، وأعلامًا يهتدى بها. انظر: غريب الحديث: «٤/ ١٨٣»، الفائق: «٢/ ٣٢٠»، النهاية: «٣/ ٦٢»، القاموس «ص: ٦٨١»، لسان العرب: «١٤/ ٤٧١» مادة «صوى»..

(٤) أخرجه أبو عبيد في كتاب الإيمان «٣»، والحاكم: «١/ ٢١»، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة «٣٣٣».

وجه الاستدلال منه: ذكره عليه الصلاة والسلام لبعض شعائر الإسلام، والتي بها يستدل على إسلام صاحبها، وتنبيهه على أن من ترك منهن شيئًا، إنما ترك شيئاً من الإسلام، وأخل بجزء منه، وليس ذلك تركًا للإسلام كله، ولا خروجًا منه، دليل على أن ترك الصلاة، ليس كفرًا، موجبًا للخروج من الإسلام، وإنما هو ترك لسهم منه، وشعيرة من شعائره.

ثالثًا: آثار الصحابة:

استدل أصحاب هذا القول بآثار عن الصحابة تدل على أن تارك الصلاة ليس بكافر، فمن ذلك:

١» **عن حذيفة -رضي الله عنه- «ت: ٣٦ هـ»**، أنه قال: "يأتي على الناس زمان لا يبقى معهم من الإسلام إلا قول: لا إله إلا الله. فقيل له: وما ينفعهم؟ قال: تنجيهم من النار، لا أبالك"[(١)]

٢» وبقول **ابن عمر -رضي الله عنهما- «ت: ٧٣ هـ»**: "لا يبلغ المرء حقيقة الكفر، حتى يدعو مثنى، مثنى"[(٢)]

٣» وعن والان قال: "انتهيت إلى داري، فوجدت شاة مذبوحة، فقلت: من ذبحها؟ قالوا: غلامك. قلت: والله إن غلامي لا يصلي. فقال النسوة: نحن علمناه، يسمي. فرجعت إلى ابن مسعود، فسألته عن ذلك، فأمرني بأكلها"[(٣)].

رابعًا: الإجماع:

استدل القائلون بعدم كفر تارك الصلاة عمدًا بالإجماع.

---

(١) أخرجه ابن ماجة في الفتن، باب ذهاب القرآن والعلم «١٤» «٢/ ١٣٤٤» «٤٠٤٩»، والحاكم «٤/ ٤٧٣»، وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الألباني: هو كما قالا. وقال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح، ورجاله ثقات وقوى الحافظ إسناده في الفتح «١٣/ ١٦»، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة: «١/ ١٢٧» «٨٧».

(٢) أورده ابن عبد البر في التمهيد: «٤/ ٢٣٧»، معلقًا.

(٣) أورده في المغني: «٣/ ٣٥٥».

فقالوا: لم يزل المسلمون يورثون تارك الصلاة، ويورثون عنه، ولو كان كافراً، لم يغفر له، ولم يرث، ولم يورث. (١)

وقالوا: لا نعلم في عصر من الأعصار أحدًا من تاركي الصلاة، ترك تغسيله، والصلاة عليه، ودفنه في مقابر المسلمين، ولا منع ورثته ميراثه، ولا منع هو ميراث مورثه، ولا فرق بين زوجين، لترك الصلاة من أحدهما ـــــ مع كثرة تاركي الصلاة - ولو كان كافراً، لثبتت هذه الأحكام كلها. (٢)

وقالوا: لا نعلم بين المسلمين خلافًا في أن تارك الصلاة، يجب عليه قضاؤها، ولو كان مرتدًا لم يجب عليه قضاء صلاة ولا صيام. (٣)

خامسًا: المعقول:

استدل القائلون بعدم كفر تارك الصلاة عمداً، بغير عذر، بأدلة من عقول منها:

١» قالوا: قد ثبت له حكم الإسلام بالدخول فيه، فلا نخرجه عنه إلا اليقين. (٤)

٢» وقالوا: إن تارك الصلاة، كتارك سائر الفرائض من الزكاة، والصيام، والحج، فلا يكفر بمجرد الترك. (٥)

٣» وقالوا: إن الكفر الجحود، وتارك الصلاة المقر بالإسلام، غير جاحد، فلا يكفر بمجرد لترك. (٦)

---

(١) المجموع للنووي: «٣/ ١٧».

(٢) المغني لابن قدامة: «٣/ ٣٥٧».

(٣) المغني لابن قدامة: «٣/ ٣٥٧»، وقد حكاه ابن نصر في تعظيم قدر الصلاة «ص: ٩٥٦». واستثنى منه مرة أخرى الحسن فقال «ص: ٩٩٦»: "إذا ترك الرجل صلاة متعمدًا، حتى يذهب وقتها، فعليه قضاؤها، لا نعلم في ذلك اختلافًا، إلا ما يروى عن الحسن..».

(٤) انظر: ابن القيم «ص: ٣٠»، التمهيد: «٤/ ٢٤١».

(٥) انظر: تعظيم قدر الصلاة «ص: ٩٣٦». وقال ابن قدامة في الكافي: «١/ ٩٥»: "إنها فعل واجب في الإسلام فلم يكفر تاركها المعتقد لوجبها، كالحج"..

(٦) انظر: التمهيد: «٤/٢٤١». وقال ابن القيم في هذا المعنى «ص: ٣٣» من كتابه الصلاة: "ولان الكفر جحود التوحيد، وإنكار

=

٤» وقالوا: إن الإيمان هو التصـــديق، وضـــده التكذيب، لا ترك العمل، فكيف يحكم المصدق بحكم المكذب الجاحد. [١]

٥» وقالوا: إن تارك الصلاة متعمداً حتى يخرج وقتها، مأمور بقضائها فدل ذلك على أنه لا يكون بهذا الترك كافراً، لأن الكافر لا يؤمر بقضاء ما ترك من الصلاة حال كفره. [٢]

وأصحاب هذا القول اختلفوا هل يقتل أم يعزر على قولين:

القول الأول: أنه يقتل.

ذهب أصـــحاب هذا القول: إلى أن تارك الصـــلاة، بغير عذر، بل كســـلاً وتهاوناً. يقتل حداً، لا كفراً، فيرث، ويورث، ويُغســـل، ويكفن، ويُصـــلي عليه، ويدفن في مقابر المســـلمين، وبهذا قال: **مالك -رحمه الله- «ت: ١٧٩ هـ»** [٣]، **والشـــافعي -رحمه الله- «ت: ٢٠٤ هـ»** [٤]، **وأحمد -رحمه الله- «ت: ٢٤١ هـ» في رواية** [٥]، **وأبـــو ثور -رحمه الله- «ت: ٢٤٦ هـ»، وحماد بن زيد -رحمه الله- «ت: ١٧٩ هـ»، ومكحول -رحمه الله- «ت:**

الرسالة والمعاد، وجحد ما جاء به الرسول، وهذا يقر بالوحدانية شاهداً أن محمدًا رسول الله، مؤمناً بأن الله يبعث من في القبور، فكيف يحكم بكفره".

(١) انظر: كتاب الصلاة «ص: ٣٣»، بداية المجتهد: «١/ ٩١».

(٢) انظر: تعظيم قدر الصلاة «ص: ٩٥٦».

(٣) انظر: التمهيد: «٤/ ٢٣١»، الاستذكار: «٥/ ٣٤٦»، المقدمات: «١/ ٦٥»، الجامع لأحكام القرآن: «٨/ ٧٤، قوانين الأحكام الشرعية «ص: ٤٩»، حاشية الدسوقي مع الشرح الكبير: «١/ ١٩٠»، مواهب الجليل، والتاج والإكليل على مختصر خليل: «١/ ٤٢٠»، الشرح الصغير على أقرب المسالك: «١/ ٣٣٨»، بداية المجتهد: «١/ ٩٠»، الإفصاح: «١/ ١٠١، ١/ ٩٠».

(٤) انظر: الأم: «١/ ٢٥٥»، حلية العلماء: «٢/ ١٠»، الحاوي: «٢/ ٥٢٥»، المجموع: «٣/ ١٤»، مغني المحتاج: «١/ ٣٢٧»، نهاية المحتاج: «٢/ ٤٢٨»، ابن نصر «ص: ٩٥٦»، التمهيد: «٤/ ٢٣١»، الإفصاح: «١/ ١٠١»، بداية المجتهد.

(٥) انظر: الروايتين والوجهين: «١/ ١٩٥»، الانتصار: «٢/ ٦٠٤»، المغني: «٣/ ٣٥٥»، شرح الزركشي: «٢/ ٢٧٢»، الفروع: «١/ ٢٩٤»، المبدع: «١/ ٣٠٧»، الإنصاف: «١٤/ ٤٠٤».

١١٣ أو ١١٤ هـ»، ووكيع–رحمه الله–«ت: ١٩٧ هـ»، وأبو عبيد–رحمه الله–«ت: ٢٢٤ هـ»"[١]

قال القرطبي–رحمه الله–«ت: ٦٧١ هـ»: "روى يونس بن عبد الأعلى–رحمه الله– «ت: ٢٦٤ هـ»، قال: سمعت ابن وهب–رحمه الله–«ت: ١٩٧ هـ»، يقول: قال مالك–رحمه الله–«ت: ١٧٩ هـ»: "من آمن بالله، وصدق المرسلين، وأبى أن يصلي، القتل"[٢]

وقال ابن عبد البر–رحمه الله–«ت: ٤٦٣ هـ» في التمهيد: "وهذا قول أصـــحاب مالك، ومذهبهم، وبعضهم يرويه عن مالك"[٣]

وقال في الاستذكار: "وهو قول مالك–رحمه الله–«ت: ١٧٩ هـ» وأصحابه"[٤]

وقال الشافعي–رحمه الله–«ت: ٢٠٤ هـ»: ".. فإن صليت وإلا استتبناك فإن تبت وإلا قتلناك.."[٥]

النووي–رحمه الله–«ت: ٦٧٦ هـ»: "ويجب قتله إذا أصـــر. وهل يكفر؟ فيه وجهان: وقال والثاني: لا يكفر، وهو الصحيح المنصوص، الذي قطع به الجمهور"[٦]

وقال صـــاحب المبدع–رحمه الله–«ت: ٨٨٤ هـ»: "قدمها في المحرر، وابن تميم، وذكر أنها المذهب، قال في المغني: وهي أصوب القولين، وجزم بها في الوجيز"[٧]

وقد اسـتدل القائلون بقتل تارك الصــلاة، بغير عذر، بأدلة من: الكتاب، والسـنة، وآثار

---

(١) انظر: ابن نصر «ص: ٩٥٦»، التمهيد: «٤/ ٢٣١»، الاستذكار: «٥/ ٣٤٦»، الجامع لأحكام القرآن «٨/ ٧٤».

(٢) الجامع لأحكام القرآن: «٨/ ٧٤».

(٣) التمهيد: «٤/ ٢٣١».

(٤) الاستذكار: «٥/ ٣٤٦».

(٥) الأم: «١/ ٢٥٥».

(٦) المجموع: «٣/ ١٤».

(٧) المبدع: «١/ ٣٠٧».

الصحابة، والإجماع، والمعقول

أولاً: الكتاب:

استدلوا من الكتاب:

* بقوله تعالى: ﴿**فَاقْتُلُوا الْمُشْــرِكِينَ حيث وجدتموهم وخذوهم وا وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ**﴾ [التوبة: الآية: ٥].

وجه الاستدلال منها:

إن الله تعالى أمر بقتال المشــركين، وشــرط لتخلية ســبيلهم ثلاثة شــروط التوبة، أي من الكفر، بالإسلام، والنطق بالشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة.

فدل ذلك على أن من ترك الصلاة - متعمداً من غير عذر ـ أخل بشرط التخلية، فيبقى الأمر بقتله باقياً.[١]

قال القرطبي-رحمه الله-«ت: ٦٧١ هـ»: "إن الله تعالى علق القتل على الشــرك، ثم قال: ﴿**فَإِن تَابُوا**﴾ والأصــل: أن القتل متى كان للشــرك يزول بزواله، وذلك يقتضــي زوال القتل بمجرد التوبة من غير اعتبار إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، ولذلك سقط القتل بمجرد التوبة، قبل وقت الصــــلاة والزكـاة-وهـذا بين في هـذا المعنى-غير أن الله تعـالى ذكر التوبـة، وذكر معهـا شرطين آخرين، فلا سبيل إلى إلغائهما"[٢]

وقال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: ".. ومن قال: لا يقتل تارك الصــــلاة، يقول: متى تاب من شـركه، سـقط عنه القتل وإن لم يقم الصـلاة، لا آتى الزكاة وهذا خلاف

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن: «٨/ ٧٤»، الحاوي: «٢/ ٥٢٦»، المجموع: «٣/ ١٧»، المغني: «٣/ ٣٥٢»، شرح الزركشي: «٢/ ٢٦٩». قال الشنقيطي في أضواء البيان: «٤/ ٣١٤»: "يفهم من مفهوم الشرط أنهم إن لم يقيموها، - أي الصلاة-لم يخل سبيلهم، وهو كذلك".

(٢) الجامع لأحكام القرآن: «٨/ ٧٤».

ظاهر القرآن"[١]

ثانيًا: السنة.

اســـتدل القائلون: بقتل تارك الصـــلاة متعمدًا، من غير عذر، ولا جحود، من الســـنة بأحـــــــــاديـــــــث مـــــــنـــــــهـــــــا:

«١» حديث **ابن عمر-رضي الله عنهما-«ت: ٧٤ أو ٧٣ هـ»**، أن رسول الله-صلى الله عليه وســـلم-قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشـــهدوا: أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رســـــول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم، وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله**».[٢]

«٢» وحديث **أبي هريرة-رضـي الله عنه-«ت: ٥٩ هـ»**، قال: قال رسـول الله-صـلى الله عليه وســـلم-: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشـــهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رســـول الله، ويقيموا الصـــلاة، ويؤتوا الزكاة، ثم قد حرمت علي دماؤهم، وأموالهم، وحسابهم على الله**».[٣]

«٣» وحديث **أنس-رضـي الله عنه-«ت: بين ٩٠ إلى ٩٣ هـ»**، قال: لما توفي رسـول الله ﷺ ارتدت العرب، فقال عمر: يا أبا بكر، كيف تقاتل العرب؟ فقال أبو بكر: إنما قال رسـول الله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشـهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسـول الله،**

(١) كتاب الصلاة «ص: ١٤»

(٢) متفق عليه .. أخرجه البخاري في اليان. واللفظ له، ومسلم في الإيمان، باب فضل أبي بكر «١/ ٢١٢». وقد أورد الاستدلال به: النووي في المجموع «٣/ ١٧»، والزركشي: «٢/ ٢٧٠»، وابن القيم «ص: ١٦».

(٣) أخرجه أحمد: «٢/ ٣٤٥»، والدارقطني: «١/ ٢٣١ ، ٢٣٢»، «٢/ ٨٩»، والبيهقي: «٨/ ١٧٧»، والحاكم: «١/ ٣٨٧»، وابن خزيمة: «٤/ ٨» «٢٢٤٨» قال الأعظمي في تعليقه على كتاب ابن خزيمة: « إسناده صحيح ». وقد أورد الاستدلال به: ابن القيم «ص: ١٦».

ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة ....» الحديث.[(١)]

وجه الاستدلال منها:

من ثلاثة أوجه:

«**أحدهما**»: إخبار النبي–صلى الله عليه وسلم–بأنه مأمور بقتال الناس حتى يفعلوا تلك الأمور المذكورة، ــ والتي منها إقامة الصلاة – دليل على أن من ترك الصلاة، مستحق للقتل، لعدم إقامته لها.

«**الثاني**»: تعليقه – عليه الصلاة والسلام – عصمة الدم، بفعل تلك الأشياء والتي منها إقامة الصلاة – دليل على أن من ترك الصلاة، قد أخل بشرط العصمة، وأنه مباح الدم، فيقتل.

«**الثالث**»: استثناؤه له من هذه العصمة للدماء والأموال، من أخل بحق الإسلام دليل على أن من ترك الصلاة، لاعصمة لدمه، ولا حرمة لماله، ولإخلاله بحق الإسلام، إذ أن الصلاة أكبر حقوق الإسلام، وأعظمها قال الشيخ الشنقيطي: "فهذا الحديث الصحيح يدل على أنهم لا تعصم دماؤهم ولا أموالهم إلا بإقامة الصلاة"[(٢)]

«٤» وحديث أنس–رضي الله عنه–«**ت: بين ٩٠ إلى ٩٣ هـ**»، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه سلم–: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها، وصلوا صلاتنا، واستقبلوا قبلتنا، وذبحوا ذبيحتنا، فقد حرمت علينا دماؤهم، وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله**».[(٣)]

---

(١) أخرجه النسائي في تحريم الدم، باب «١» «٧/ ٧٦» «٣٩٦٩»، والحاكم: «١/ ٣٨٦، ٣٨٧»، وابن خزيمة: «٤/ ٧» «٢٢٤٧»، والبيهقي: «٨/ ١٧٧»، وقال الأعظمي في تعليقه على صحيح ابن خزيمة: "إسناده منكر..، لكن للحديث شواهد كثيرة. والمتن صحيح برواية أبي هريرة" وقد أورد الاستدلال به: ابن القيم «ص: ١٦» وقال: «رواه النسائي، وهو حديث صحيح».

(٢) أضواء البيان «٤/ ٣١٤».

(٣) أخرجه البخاري في الصلاة، باب فضل استقبال القبلة «٢٨» «١/ ١٠٢».

وجه الاستدلال منه:

أن النبي–صلى الله عليه سلم–اشترط الحرمة الدماء والأموال–مع قول: لا إله إلا الله–فعل الصلاة، فدل ذلك على أن تارك الصلاة، مباح الدم، فيقتل لتركه للصلاة.

«٥» وحديث **أبي سعيد الخدري–رضي الله عنه–«ت: ٧٤ هـ»**، قال: بعث علي بن أبي طالب–رضي الله عنه–وهو باليمن إلى النبي له بذهيبة، فقسمها بين أربعة، فقال رجل: يارسول الله، اتق الله. فقال: «**ويلك! ألست أحق أهل الأرض أن يتقي الله ؟!**». ثم ولى الرجل، فقال خالد بن الوليد: يارسول الله ألا أضرب عنقه؟ فقال: «**لا، لعله أن يكون يصلي**». فقال خالد: فكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه. فقال رسول الله ﷺ: «**إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم**».[(١)]

وجه الاستدلال منه:

إن النبي–صلى الله عليه وسلم–جعل المانع من قتل هذا الرجل–مع سوء مقالته –كونه يصلي. فدل ذلك على أن من لم يصل، يقتل"[(٢)].

قال محمد الأمين الشنقيطي–رحمه الله–«ت: ١٣٩٣ هـ»: "فقوله–صلى الله عليه وسلم–في هذا الحديث الصحيح: «**لا**» يعني: لا تقتله. وتعليله ذلك بقوله: «**لعله أن يكون يصلي**» فيه الدلالة الواضحة على النهي عن قتل المصلين، ويفهم منه أنه إن لم يصل يقتل، وهو كذلك"[(٣)]

«٦» وحديث **أبي هريرة–رضي الله عنه–«ت: ٥٩ هـ»**، قال: أتي رسول الله ﷺ – بمخنث، قد خضب يديه، ورجليه بالحناء، فقال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–«**ما باله؟**»

---

(١) كذا أورده ابن القيم مختصرًا في كتاب الصلاة «ص: ١٥»، وهو في الصحيحين: أخرجه البخاري في المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب.. «٦١» «٥/ ١١٠»، ومسلم في الزكاة، «٧/ ١٦٢، باب إعطاء المؤلفة.

(٢) انظر: كتاب الصلاة «ص: ١٥».

(٣) أضواء البيان «٤/ ٣١٤».

قالوا: يتشبه بالنساء، فأمر به رسول الله ﷺ فنفي إلى النقيع. قالوا: يارسول الله، أو أمرت بقتله؟ فقال: «**إني نهيت عن قتل المصلين**».[(١)]

«٧» وحديث **أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه-«ت: ٧٤ هـ»**: أن مخنثاً أتي به النبي مخضوب اليدين والرجلين فقال: «**احذروا هذا على نسائكم**». قالوا: أفلا نقتله يارسول الله؟ قال: «**إني نهيت عن قتل المصلين**».[(٢)]

«٨» وحديث **أنس بن مالك-رضي الله عنه-«ت: بين ٩٠ إلى ٩٣ هـ»، عن أبي بكر الصديق-رضي الله عنهما-«ت: ١٣ هـ»**، قال: «**نهى رسول الله-صلى الله عليه وسلم-عن قتل المصلين**».[(٣)]

وجه الاستدلال منها:

إخبار النبي-عليه الصلاة والسلام-بأنه نهي عن قتل المصلين، دليل على أن من لم يصل، لم ينه عن قتله.

قال **ابن عبد البر-رحمه الله-«ت: ٤٦٣ هـ»**: "فدل ذلك على أنه قد أمر بقتل من لم

---

(١) أخرجه ابن نصر «٩٦٣»، وأبو داود، في الأدب، باب في الحكم في المخنثين: «٤/ ٢٨٢» «٤٩٢٨»، والدارقطني: «٢/ ٥٤». وضعفه السيوطي في الجامع الصغير: «٣/ ١٦». «٢٦٣٣»؛ وللحديث شواهد من حديث أبي سعيد، وأبي أمامة، وعبد الله بن عدي. ولذا صححه الألباني في صحيح الجامع: «١/ ٤٩١»، «٢٥٠٦».

(٢) أخرجه ابن نصر: «٩٦٤»، وأشار الألباني في صحيح الجامع إلى أنه عند أبي نعيم، وأشار محقق كتاب ابن نصر إلى إخراج العقيلي له في ترجمة خصيب بن الجحدر.

وقد أشار إلى الاستدلال بهذا الحديث ابن عبد البر في التمهيد: «٤/ ٢٣٥»، والاستذكار: «٥/ ٥٣٥»، وابن رشد في المقدمات: «١/ ٦٦»، وابن قدامة في المغني: «٣/ ٣٥٣»، والنووي في المجموع: «٣/ ١٧»، والزركشي في شرح الخرقي: «٢/ ٢٦٩»، وغيرهم.

(٣) أخرجه ابن نصر «٩٦٩»، قال المحقق: إسناده ضعيف. وفي رواية أخرى عن أنس، وعن أبي أمامة. أخرجه ابن نصر أيضاً «٩٧٠-٩٧٢» بلفظ «نهى رسول الله-صلى الله عليه وسلم-عن ضرب المصلين». وأخرجهما البزار كما في كشف الأستار: «٤/ ١٢٠» «٣٣٤١». وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: «١١/ ٢٩٦»: "رواه البزار، وأبو يعلى، إلا أنه قال: «عن ضرب»، وفيه موسى بن عبيدة، وهو متروك".

يصل، كما نهي عن قتل من صلى، وأنه لا يمنع من القتل إلا فعل الصلاة"[(١)].

«٩» وحديث **أنس بن مالك-رضـــي الله عنه-«ت: بين ٩٠ إلى ٩٣ هـ»**، قال: لما أصيب عتبان بن مالك في بصره، وكان رجلًا من الأنصار، بعث إلى رسول الله-صلى الله عليه وسـلم-قال: إني أحب أن تأتيني، فتصـلي في بيتي، أو في بقعة من داري، وتدعو لنا بالبركة، فقام رسول الله-صلى الله عليه وسلم-في نفر من أصحابه، فدخلوا عليه، فتحدثوا بينهم، فذكروا مالك بن الدخشم، فقال بعضهم: يارسول الله، ذاك كهف المنافقين، ومأواهم، وأكثروا فيه، حتى أرخص لهم في قتله، ثم قال رسـول الله-صـلى الله عليه وسـلم-: «**هل يصلي؟**». قالوا: نعم يارسول الله، صلاة لاخير فيها. فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**نهيت عن المصلين، نهيت عن المصلين، نهيت عن المصلين**»[(٢)].

«١٠» وحديث **عبيد الله بن عدي الأنصـاري-رضـي الله عنه-«ت: غير معروف»**: أن رسـول الله-صـلى الله عليه وسـلم-بينما هو جالس بين ظهراني أصـحابه، إذ جاءه رجل يستأذنه أن يساره، فأذن له فساره في قتل رجل من المنافقين، فقال: «**أليس يقول: لا إله إلا الله؟**». قال: بلى، ولكن لا شـهادة له، قال: «**أليس يشـهد أني رسـول الله؟**». قال: بلى، ولكن لا شـهادة له. قال: «**أليس يصلي؟**». قال: بلى، لكن لاصلاة له. فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**أولئك الذين نهيت عنهم**»[(٣)].

---

(١) الاستذكار: «٥/ ٣٥١»، وقال في التمهيد: «٤/ ٢٣٥»: "في ذلك دليل على أن من لم يصل لم ينه عن قتله".

(٢) أخرجه ابن نصر «٩٦١»، وابن عدي: «٥/ ١٧٣٩» من طريق عامر بن يساف. وقال عنه: "منكر الحديث عن الثقات"، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: «١/ ٢٩٦»: "رواه الطبراني في الكبير، وفيه عامر بن يساف، وهو منكر الحديث".

وقد أورد الاستدلال به ابن رشد في المقدمات: «١/ ٦٦»، إذ قال: "فدل على أنه لو لم يصل، لم يكن من الذين نهاه الله عن قتلهم، بل يكون ممن أمر الله بقتلهم".

(٣) أخرجه ابن نصر من عدة طرق مرسلاً، وموصولاً «٩٥٥- ٩٦٠»، وكذا البيهقي: «٣/ ٣٦٧»، «٨/ ١٩٦».

=

وجه الاستدلال منها:

إن النبي–صلى الله عليه وسلم–لم يأذن في قتل الرجل المتهم بالنفاق، بعد أن تبين له نطقه بالشـهادتين، وأداؤه للصـلاة. وأخبر بأنه نهي عن قتل من فعل ذلك. فدل ذلك على أن من أخل بهذين الأمرين ومنها فعل الصـلاة أنه لم ينه عن قتله قال ابن عبد البر: "ولم يحتج عليهم في المنع من قتله، إلا بالشهادة والصلاة . . . "[(١)]

«١١» وحديث **أم سلمة–رضي الله عنها–«ت: مابين ٥٧ و٦٤ هـ»**، أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–قال: «**إنـــه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضـي وتابع**». قالوا: يارسول الله، ألا نقاتلهم؟ قال: «**لا، ما صلوا**».[(٢)]

١٢» وحديث **عوف بن مالك الأشـــجعي–رضـــي الله عنه–«ت: ٧٣ هـ»**، قال: سمعت رســول الله ﷺ يقول: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصـــلون عليهم، ويصـلون عليكم، وشـرار أئمتكم الذين تبغضـونهم ويبغضـونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**». قالوا: قلنا يا رســول الله، أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: «**لا ما أقاموا فيكم الصـلاة، لا ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي**

وأخرجه مالك في الموطأ في قصر الصلاة، باب جامع الصلاة: «١/ ١٧١» «٨٤»، والشافعي عن مالك في المسند: «١/ ١٣»، عن عبيد الله بن عدي بن الخيار. قال ابن عبد البر: هكذا رواه سائر رواة الموطأ مرسلًا، وعبيد الله، لم يدرك النبي–صلى الله عليه وسلم–.

وأخرجه أحمد: «٥/ ٤٣٣» عن عبيد الله أن رجلًا من الأنصـار حدثه، وابن حبان من طريق عبيد الله بن عدي عن عبد الله بن عدي كما في الموارد «١٢» «ص: ٣٣».

وقد أشار إلى الاستدلال به ابن عبد البر في التمهيد: «٤/ ٢٣٥»، والاستذكار: «٥/ ٣٥١»، وابن القيم في الصلاة «ص: ١٥».

(١) التمهيد «٤/ ٢٣٥».

(٢) أخرجه مسلم في الإمارة، باب وجوب الإنكار على الأمراء: «١٢/ ٢٤٢-٢٤٤»، واللفظ له، وابن نصر «٩٤٩». وأشار إليه ابن عبد البر في التمهيد: «٤/ ٢٣٤»، والاستذكار: «٥/ ٣٥٠»، وابن القيم في الصلاة «ص: ١٥»، وقال الشنقيطي أضواء البيان: «٤/ ٣١٥» "«وما» في قوله . . . «ما صلوا»، مصدرية ظرفية، أي: لا تقاتلوهم مدة كونهم يصلون، ويفهم منه: أنهم إن لم يصلوا، قوتلوا".

من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة».[(١)]

«١٣» وحديث **أبي سعيد الخدري**-رضي الله عنه-«ت: **٧٤ هـ**»، أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-قال: «**يكون عليكم أمراء، تطمئن إليهم القلوب، وتلين لهم الجلود، ويكون عليكم أمراء، تقشعر منهم الجلود، وتشمئز منهم القلوب. قالوا: يا رسول! نقاتلهم بالسيف؟ قال: لا، ما صلوا»**.[(٢)]

«١٤» وحديث **عقبة بن عامر**-رضي الله عنه-«ت: **٥٨ هـ**»، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**ألا أخبركم بخيار عمالكم وشرارهم؟**». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**خيارهم، خيارهم لكم، من تحبونه ويحبوكم، وتدعون الله لهم، ويدعون الله لكم، وشرارهم، شرارهم لكم، من تبغضونهم ويبغضونكم، وتدعون الله عليهم، ويدعون الله عليكم**». **فقالوا: ألا نقاتلهم يارسول الله؟ قال: «لا، دعوهم ما صاموا، وصلوا»**.[(٣)]

وجه الاستدلال منها:

إن النبي-صلى الله عليه وسلم-نهى عن قتال الأمراء وإن صدرت منهم مخالفات، وأمور منكرة إذا حافظوا على أداء الصلوات، فدل ذلك على أنهم إن أخلوا بذلك، أبيح قتالهم، وأن من ترك الصلاة، فلا عصمة لدمه. وإنما جزاؤه القتل.[(٤)]

---

(١) أخرجه مسلم الإمارة، باب وجوب الإنكار على الأمراء من عدة طرق بألفاظ متقاربة: في «١٢/ ٢٤٤، ٢٤٥»، وابن نصر «٩٥١-٩٥٣».

قال الشنقيطي في أضواء البيان: «٤/ ٣١٥» "فيه الدلالة الواضحة على قتالهم إذا لم يقيموا الصلاة".

(٢) أخرجه ابن نصر «٩٥٤»، وأحمد: «٣/ ٢٨، ٢٩»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: «٥/ ١٨»: « رواه أحمد، وأبو يعلى، وفيه: الوليد، صاحب البهي، ولم أعرفه".

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: «٥/ ٢٢٤»: "رواه الطبراني في الكبير، والأوسط بنحوه، وفيه بكر بن يونس، وثقه أحمد العجلي، وضعفه البخاري وأبو زرعة، وبقية رجاله، رجال الصحيح".

(٤) أشار إلى الاستدلال به ابن عبد البر في التمهيد: «٤/ ٢٣٤»، والاستذكار: «٥/ ٣٥٠»، وابن رشد في المقدمات: «١/ ٦٦»، وابن القيم في الصلاة «ص: ١٥».

قال ابن عبد البر–رحمه الله–«ت: ٤٦٣ هـ»: "فدل أنهم لا يقاتلون، ولا يقتلون إذا صلوا الخمس، ودل على أن من لم يصل الخمس قوتل، وقتل"[(١)]

«١٥» وقوله عليه الصلاة والسلام: «**من ترك الصلاة متعمدا، فقد برئت منه ذمة الله تعالى**»[(٢)].

وجه الاستدلال منه:

إخباره عليه الصلاة والسلام ـــ أن من ترك الصلاة متعمدًا فقد برئت منه ذمة الله تعالى ـ دليل على إباحة قتله، لأن من برئت منه ذمة الله، فلا حرمة لدمه، ولا عصمة لنفسه، وأبيح قتله.

«١٦» وحديث **أنس ـ رضي الله عنه–«ت: بين ٩٠ إلى ٩٣ هـ»** ـ قال: «**كان رسول الله–صلى الله عليه وسلم–إذا غـزا قومًا لم يُغر حتى يصبح، فإن سمع أذانًا، أمسك. وإن لم يسمع أذانًا، أغار بعد ما يصبح**». الحديث[(٣)].

«١٧» وحديث ابن عصـام عن أبيه–رضـي الله عنه–قال: "بعثنا رسـول الله في بعض الأودية، فقال: «**إن رأيتم مسجدًا، أو سمعتم مؤذنًا، فلا تقتلن أحدًا**»[(٤)].

«١٨» وحديث **عبد الرحمن بن عوف–رضـي الله عنه–«ت: ٩٦ هـ»**، قال: لما افتتح بيده ليقيمن رسـول الله–صـلى الله عليه وسـلم–مكة، انصـرف إلى الطائف، فحاصـرها ثمان عشـرة، أو تسـع عشـرة، ثم أوغل غدة أو روحة، ثم هجر، ثم قال: «**والذي نفسـي بيده**

(١) الاستذكار «٥/ ٣٥١».

(٢) أخرجه ابن نصر. «٩١٣–٩١٤» وقد أشار إلى الاستدلال به، الموفق في المغني: «٣/ ٣٥٢».

(٣) أخرجه البخاري في الأذان، باب ما يحقن بالأذان من الدماء «٦» «١/ ١٥١»، وفي الجهاد، باب دعاء النبي–صلى الله عليه وسلم–إلى الإسلام ... «١٠٢» «٤/ ٥». واللفظ له. ومسلم في الصلاة، باب الإمساك عن الإغارة على قوم في دار الكفر . . .، «٤/ ٨٤»، وابن نصر «٩٦٥، ٩٦٦». والحديث أشار إليه ابن عبد البر في التمهيد: «٤/ ٢٢٧»، وأنه مما احتج به إسحاق..

(٤) أخرجه أحمد: «٣/ ٤٤٨، ٤٤٩»، وأبو داود في الجهاد، باب في دعاء المشركين: «٣/ ٤٣» «٢٦٣٥»، والترمذي في السير: «٣/ ٥٣» «١٥٨٩» وقال: حسن غريب، وابن نصر «٩٦٧».

ليقيمن الصـــلاة، وليؤدن الزكـاة، أو لأبعثن إليهم رجلا، فليقتلن مقـاللهم، ويســـبين ذراريهم».[١]

وجه الاستدلال منه:

أن النبي عليه الصلاة والسلام أقسم بالله جل وعلا بأنه سيبعث إلى أولئك القوم من يقتل مقاتلتهم، ويســـبي ذراريهم، إن لم يقيموا الصـــلاة ويؤدوا الزكاة. فدل ذلك على أن عصـــمة الأنفس، وحرمة الدماء والأموال مرتهنة على هذين الأمرين. وأن ترك الصلاة مبيح للقتل.

«١٩» وبقوله–صـلى الله عليه وسـلم–: «**لقد هممت أن آمر بالصـلاة فتقام، ثم آمر رجلًا فيصـلي بالناس، ثم انطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشـــهدون الصلاة، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار**».[٢]

وجه الاستدلال منه:

أن النبي عليه الصـلاة والسـلام جوز الحرق على من لا يحضـر الجماعة في الصـلاة، فدل ذلك على أن تارك الصلاة أولى منه بتلك العقوبة، وأنه مستحق للقتل.[٣]

ثالثاً: الإجماع:

اسـتدل القائلون بقتل تارك الصـلاة عمداً، بغير عذر، بإجماع الصـحابة رضـي الله عنهم على ذلك، ومما يدل عليه: قتال **أبي بكر الصـديق–رضـي الله عنه–«ت: ١٣ هـ»**، لمانعي الزكاة، وقوله: "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال"[٤]

---

(١) أخرجه ابن نصر «٩٦٨».

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في الأذان، باب وجوب صلاة الجماعة «٢٩» «١/ ١٥٨»، ومسلم في المساجد، باب فضل صلاة الجماعة والتشديد في التخلف عنها: «٥/ ١٥٤». واللفظ له.

(٣) انظر: الانتصار: «٢/ ٦١٥».

(٤) في الصحيحين وغيرهما. أخرجه البخاري في الزكاة، باب وجوب الزكاة «١» «٢/ ١٠٩» من حديث أبي هريرة–رضي الله عنه–

=

وجه الاستدلال منه، من عدة أوجه:

«**أحدها**»: موافقة الصحابة-رضي الله عنهم-لأبي بكر-رضي الله عنه-، في قتال مانعي الزكاة، مع إقرارهم بالإسلام، دليل على إجماع الصحابة، على أن مجرد الإقرار بالإسلام لا يكفي في حقن الدماء، وعصمتها من القتل. [(١)]

«**الثاني**»: قتال أبي بكر-رضي الله عنه-لمانعي الزكاة، وقوله: "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة" دليل على أن من امتنع عن الصلاة، أولى وأحرى بالقتل، والقتال ممن امتنع عن الزكاة"[(٢)]

«**الثالث**»: إلحاق أبي بكر-رضي الله عنه-الممتنع عن الزكاة بالممتنع عن الصلاة، دليل على أن قتل، وقتال الممتنع عن الصلاة، أمر مقرر ومعلوم لدى الصحابة-رضي الله عنهم-.

«**الرابع**»: قول أبي بكر-رضي الله عنه-: "فإن الزكاة، حق المال". جواباً لعمر ـ رضي الله عنه ــ لما احتج عليه بالحديث. دليل على أن حقن الدماء، وحرمة الأموال، لا تتحقق بمجرد قول: لا إله إلا الله. إن لم يوف بحقها"[(٣)]

ولا شك أن أعظم حقوقها، أداء الصلاة.

قال: لما توفي رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وكان أبو بكر-رضي الله عنه-، وكفر من كفر من العرب. فقال عمر: كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فمن قالها، فقد عصم مني ماله ونفسه، إلا بحقه، وحسابه على الله». فقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال. والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم-لقاتلتهم على منعها. قال عمر-رضي الله عنه-فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر-رضي الله عنه-، فعرفت أنه الحق". وفي استتابة المرتدين، باب قتل من أبى قبول الفرائض «٣» «٨/ ٥٠». وفي الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- «٢» «٨/ ١٤٠». ومسلم في الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا.. «١/ ٢٠٠، ٢١٠».

(١) انظر: الاستذكار «٥/ ٣٤٦».

(٢) انظر: الاستذكار «٥/ ٣٤٧». وقال ابن رشد في المقدمات: «١/ ٦٥» ".. فقاتلهم ولم يستتبهم، لأنهم لم يكفروا بعد الإيمان ولا أشركوا بالله، وقالوا لأبي بكر: ما كفرنا بعد إيماننا، ولكننا شححنا على أموالنا".

(٣) هذا من الأمثلة الدالة على فقه أبي بكر-رضي الله عنه-إذ فهم أن العصمة المتحققة لمن قال: لا إله إلا الله. ليست مطلقة. إذ اشترط فيها، واستثنى منها، القيام بحقها. فمن أخل بهذا الحق، لم يستحق العصمة لدمه، وماله.

قال ابن عبد البر –رحمه الله–«ت: ٤٦٣ هـ»: "فقاتل أبو بكر والصـــحابة معه مانعي الزكاة لما أبوا من أدائها إذ فرقوا بين الصـــلاة والزكاة، فأقاموا الصـــلاة وامتنعوا عن الزكاة، فمن أبى من إقامة الصلاة، وامتنع منها، كان أحرى بالقتل"(١)

رابعاً: المعقول.

استدل القائلون بقتل تارك الصلاة عمداً، بغير عذر، من المعقول، بما يلي:

١» قالوا: إنها أحد أركان الإسلام الذي لا يدخله النيابة ببدل ولا مال، فوجب أن يقتل بتركها كالإيمان.(٢)

٢» قالوا: إنها ركن من أركان الإســـلام، لا تدخله النيابة بنفس ولا مال، فوجب أن يقتل تاركه، كالشهادة.(٣)

٣» وقالوا: إن الشرع يشتمل على أوامر ونواهي، فلما قتل بفعل ما نهى وإن كان معتقداً لتحريمه، اقتضى أن يقتل بترك ما أمر به، وإن كان معتقداً لوجوبه.(٤)

٤» وقالوا: إنه لما جاز أن يشـــرع القتل إلجاء إلى العفة عن الزنى، فالصــــلاة إن لم تكن

---

(١) الاستذكار «٥/ ٣٤٧». وقد صدر هذا الدليل على غيره.

(٢) انظر الحاوي: «٢/ ٥٢٦»، وقد وجه الماوردي إلحاق الصلاة بالإيمان من جهة الاسم، ومن جهة المعنى فقال: "فأما اشتراكهما في الاسم، فهو: أن الصلاة تسمى إيمانًا، قال الله تعالى: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ [البقرة: الآية: ١٤٣] –يعني صلاتكم–.

وأما اشتراكهما في المعنى فمن وجهين:

أحدهما: أن من لزمه الإيمان، لزمه فعل الصـلاة، وقد لا يلزمه الصـيام، إذا كان شـيخًا هرمًا، ومن لم يلزمه فعل الصـلاة، لم يلزمه الإيمان كالصبي والمجنون.

والثاني: أن من هيئات الصلاة ما لا يقع إلا طاعة لله سبحانه، كالإيمان الذي لا يقع إلا لله عز وجل. فلما وجب اشتراكهما في الاسم والمعنى، وجب اشتراكهما في الحكم".

(٣) انظر: الانتصار «٢/ ٦١٦»، المغني «٣/ ٣٥٣».

(٤) انظر: الحاوي: «٢/ ٥٢٦»، الانتصار: «٢/ ٦١٥». وقال أبو طالب في بيان هذا المعنى: "إنا قد أمرنا بأفعال، ونهينا عن أفعال، ثم فيما نهينا عن فعله ما إذا فعلناه وجب القتل، وهو الزني. فيجب أن يكون في الأفعال ما إذا تركه وجب القتل، وليس إلا الصلاة".

أشرف من العفة فليست بدون ذلك.[١]

٥» وقالوا: وجب قتال البغاة، لتركهم طاعة السلطان -والقتال يجر إلى القتل -فترك طاعة الرحمن أفحش، فهي بالقتل أولى وأجدر.[٢]

القول الثاني: أنه يعزر ولا يقتل.

ذهب أصحاب هذا القول إلى أن تارك الصلاة بغير عذر، إن لم يجحد وجوبها وإنما تركها تهاوناً وكسلاً، فإنه يُعزر، ولا يقتل. فقيل: يسجن وقيل: يضرب حتى يصلي.

وبهذا قال: **أبو حنيفة-رحمه الله-«ت: ١٥٠ هـ» وأصحابه**[٣]، **والثوري-رحمه الله-«ت: ١٦١ هـ»، والمزني-رحمه الله-«ت: ٢٦٤ هـ»** من الشافعية[٤]، وبه قال **داود الظاهري-رحمه الله-«ت: ٢٧٠ هـ»**، وهو مروي عن بعض التابعين: **كسعيد بن المسيب-رحمه الله-«ت: ٩٤ هـ»، وعمر بن عبد العزيز-رحمه الله-«ت: ١٠١ هـ»، والزهري-رحمه الله-«ت: ١٢٣ أو ١٢٤ هـ»**.[٥]

قال الحصكفي-رحمه الله-«ت: ١٠٨٨ هـ» في شرحه لتنوير الأبصار: "وتاركها عمداً مجانة-أي فاسق-يحبس حتى يصلي-لأنه يحبس لحق العبد، فحق الحق أحق، وقيل: يضرب،

---

(١) انظر: الانتصار: «٢/ ٦١٥».

(٢) انظر: الانتصار: «٢/ ٦١٥».

(٣) انظر: شرح مشكل الآثار: «٨/ ٢٠٥»، الأسرار للدبوسي «ق: ٧٥»، عمدة القاري: «١١/ ٢٠٧»، الدر المختار شرح تنوير الأبصار: «١/ ٣٥٢»، مع حاشية ابن عابدين عليه، وحاشية الطحطاوي عليه أيضًا: «١/ ١٧٠»، الفتاوى الهندية: «١/ ٥٠»، الإفصاح: «١/ ١٠١»، طرح التثريب: «٢/ ١٤٩»، حلية الأولياء: «٢/ ١١»، بداية المجتهد: «١/ ٩٠».

(٤) انظر: الحاوي: «٢/ ٥٢٥»، روضة الطالبين: «٢/ ١٤٦»، المجموع: «٣/ ١٤، ١٦».

(٥) انظر: التمهيد: «٤/ ٢٤٠»، الاستذكار: «٢/ ٢٨٦»، «٥/ ٣٥٣»، المقدمات: «١/ ٦٦»، الجامع لأحكام القرآن: «٨/ ٧٤»، الانتصار: «٢٥/ ٦٠٥»، المغني: «٣/ ٣٥١»، كتاب الصلاة «ص: ١٤»، وقول الزهري: رواه ابن نصر «ص: ٩٥٧» «١٠٣٥»: "أنه سئل عن الرجل يترك الصلاة؟ قال: إن كان إنما تركها أنه ابتدع دينا غير الإسلام، قُتِلَ. وإن كان إنما هو فاسق، ضرب ضربًا مبرحًا، وسجن". وابن عبد البر في التمهيد.

حتى يسيل منه الدم"[١]

قال: وقد أشار الطحطاوي في حاشيته إلى ما نظمه بعضهم حول هذه المسألة إذ قال:

في حكم من ترك الصلاة وحكمه & إن لم يقر بها كحكم الكافر.

فإذا أقر بها وجانب فعلها & فالحكم فيه للحسام الباتر.

وبه يقول الشافعي ومالـــك & والحنبلي تمسكاً بالظاهــر.

وأبو حنيفة لا يقول بقتلـــه & ويقول بالحبس الشديد الزاجر"[٢]

وقال النووي–رحمه الله–«ت: ٦٧٦ هـ»: "وقال الثوري–رحمه الله–«ت: ١٦١ هـ»، وأبو حنيفة–رحمه الله–«ت: ١٥٠ هـ» وأصـــحابه، وجماعة من أهل الكوفة، والمزني–رحمه الله–«ت: ٢٦٤ هـ»: لا يكفر، ولا يقتل، بل يعزر، ويحبس حتى يصلي"[٣]

أدلة القائلين بالتعزير

استدل القائلون بتعزير تارك الصلاة، وعدم قتله بأدلة من السنة، والمعقول

أولاً: أدلتهم من السنة:

١ »قوله ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فمن قال: لا إله إلا الله، عصم مني ماله، ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله».** [٤]

---

(١) الدر المختار مع حاشية ابن عابدين: «١/ ٣٥٢».

(٢) حاشية الطحطاوي: «١/ ١٧٠».

(٣) المجموع: «٣/ ١٦».

(٤) من من حديث: أبي هريرة، وابن عمر، وأنس، وجابر، وأبي مالك عن أبيه أما حديث أبي هريرة، فأورده ابن القيم «ص: ١٤»، وأخرجه البخاري في قصة قتال أبي بكر لأهل الردة من قول عمر عن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–في أربعة مواضع: في الزكاة، باب وجوب الزكاة «١» «٢/ ١٠٩»، وفي استتابة المرتدين، باب قتل من أبى قبول الفرائض «٣» «٨/ ٥٠»، وفي الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ «٢» «٨/ ١٤٠». وأخرجه معلقًا في باب قول الله تعالى: «وأمرهم شورى بينهم» «٢٨» «٨/ ١٦٢».
وأخرجه مسلم في الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا ...، «١/ ٢٠٠–٢٠٩» في قصة أبي بكر.

=

وجه الاستدلال منه، من وجهين:

«**أحدهما**»: إخبار النبي ﷺ بأنه أمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. دليل على عدم جواز قتل تارك الصلاة، وعدم دخوله في المأمور بقتالهم، لكونه ممن قال: لا إله إلا الله.

«**الثاني**»: إخباره عليه الصلاة والسلام بأن قائل: لا إله إلا الله، معصوم الدم والمال إلا بحقها، دليل على أنه لا يحل سفك دم تارك الصلاة، أو استباحة ماله بعد قوله: لا إله إلا الله. إلا بحق موجب لذلك، والحق الموجب لسفك دمه، جاء بيانه في حديث ابن مسعود -التالي- وليس منها ترك الصلاة"[(١)]

٢» **وحديث ابن مسعود -رضي الله عنه- «ت: ٣٢ هـ»**، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لا يحل دم مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث:**

ومختصرًا: «١/ ٢١٠». واللفظ له، وبلفظ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي، وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم، وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»، وفي قصة فتح خيبر من قوله لعلي: «قاتلهم حتى يشهدوا: أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم، وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله». أخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل علي: «١٥/ ١٧٦».

وأما حديث ابن عمر فلفظه «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا: أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم، وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله».

أخرجه البخاري في الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة... «١٧» «١/ ١١». واللفظ له.

ومسلم في الإيمان، باب فضل أبي بكر: «١/ ٢١٢».

وأما حديث أنس: فلفظه: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها وصلوا صلاتنا، واستقبلوا قبلتنا، وذبحوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم، وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله».

أخرجه البخاري في الصلاة، باب فضل استقبال القبلة «٢٨» «١/ ١٠٢».

وأما حديث جابر فلفظه: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا: لا إله إلا الله، عصموا مني دماءهم، وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله .....».

أخرجه مسلم في الإيمان، باب فضل أبي بكر: «١/ ٢١١».

وأما حديث أبي مالك عن أبيه، فلفظه: «من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله، ودمه، وحسابه على الله».

أخرجه مسلم في الإيمان، باب فضل أبي بكر: «١/ ٢١٢».

(١) أورد هذا الاستدلال: ابن عبد البر في التمهيد: «٤/ ٢٤١»، وفي الاستذكار: «٥/ ٣٠٤»، والقرطبي في جامعه: «١/ ٧٤»، والماوردي في الحاوي: «٢/ ٥٢٦»، وابن قدامه في المغني: «٣/ ٣٥٢»، وابن القيم وغيرهم.

الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه، المفارق للجماعة».[(١)] .

وجه الاستدلال منه:

إن النبي-صلى الله عليه وسلم-حصر في هذا الحديث الأسباب التي تبيح قتل المسلم، وهي الأمور الثلاثة، وليس منها ترك الصلاة، فدل ذلك على حرمة دمه ولو ترك الصلاة، وأنه لا يجوز قتله لمجرد هذا الترك.[(٢)]

ثانياً: أدلتهم من المعقول:

١» قالوا: إن الصلاة فرع من فروع الدين، فلا يقتل بتركها، كالصوم، والحج.[(٣)]

٢» وقالوا: إن الأصل تحريم الدم، لأنه قبل ترك الصلاة كان عند الجميع مسلمًا بيقين، فلا يجوز قتله إلا بيقين، ولا يقين مع الاختلاف.[(٤)]

٣» وقالوا: إن الله تعالى حكيم في شرعه وأمره، لو شرع زاجرًا عن ترك الصلاة، لم يشرع

---

(١) متفق عليه . أخرجه البخاري في الديات، باب قول الله تعالى: ﴿أن النفس بالنفس . . .﴾ «٦» «٨/ ٣٨»، ومسلم في القسامة، باب ما يباح به دم المسلم: «١١/ ١٦٤-١٦٥»، واللفظ له.

(٢) أورد الاستدلال بهذا الحديث: الدبوسي في كتابه الأسرار «ق: ٧٥»، وابن عبد البر في التمهيد: «٤/ ٢٤١»، والماوردي في الحاوي: «٢/ ٥٢٦»، وابن قدامة في المغني: «٣/ ٣٥٢»، والنووي في المجموع: «٣/ ١٧»، وغيرهم.

(٣) انظر: الصلاة «ص: ١٤»، الأسرار «ق: «٧٥»، المغني: «٣/ ٣٥٢، المجموع: ٣/ ١٧». وقد أورد الماوردي هذا المعنى بعبارة أخرى فقال: "ولأنها عبادة شرعية، فوجب أن لا يستحق القتل بتركها كسائر العبادات". الحاوي: «٢/ ٥٢٦».

(٤) انظر: انظر: المغني: ٣/ ٣٥٢. وأورد هذا المعنى ابن عبد البر في التمهيد: ٤ / ٢٤١ إذ قال: "قالوا: وقد كان مؤمنا عند الجميع بيقين قبل تركه للصلاة، ثم اختلفوا فيه إذا ترك الصلاة، فلا يجب قتله إلا بيقين، ولا يقين مع الاختلاف، فالواجب القول بأقل ما قيل في ذلك، وهو: الضرب، والسجن. وأما القتل ففيه اختلاف، والحدود تدرأ بالشبهات".

(٤) انظر: المغني: «٣/ ٣٥٢» إذ قال في بيان هذا المراد: "إن القتل لو شرع، لشرع زاجرًا عن ترك الصلاة، ولا يجوز شرع زاجر تحقق المزجور عنه، والقتل يمنع فعل الصلاة دائماً، فلا يشرع".

القتل، لأنه لا يؤدي إلى فعل الصلاة، وإنما يمنع فعلها.[١]

٤» وقالوا: إنها عبادة تُؤدى، وتُقضى، فوجب الا يقتل بتركها، كالصوم.[٢]

٥» وقالوا: الكفر معصية في نفسه كالزنى، بخلاف ترك الصلاة، فإنه ليس بمعصية في نفسه، لأن الترك لا يكون معصية، لأنه عدم، وإنما يكون معصية للاستهانة بالأمر، وتضييع الطاعة، والعقوبة لا تجب إلا بما كان معصية في نفسه كالزنى والكفر.[٣]

٦» وقالوا: إنه عاص بترك طاعة، فلا يقتل، كالعاصي بترك الصوم، أو الحج. ولا يلزم المرتد، فإنا لا نقتله بترك الإسلام، ولكن لكونه حرباً لنا، ولهذا لا نقتل المرأة، لأنها ليست من أهل الحراب.[٤]

٧» وقالوا: إنه لا يخلو: إما أن يقتل ويكفر بعد فوات وقت الصلاة، فهو قتل بما ثبت في ذمته ووقته متسع.

وإما أن يقتل مع بقاء الوقت، فلا يجوز، لأنه لم يفت. وإما أن يقتل قبل مجيء الوقت، فما وجب عليه شيء يقتل به، فسقط وجوب القتل.[٥]

المسألة الثالثة: من يصلي أحيانًا ويترك أحيانًا.

القول الأول: أنه لا يكفر وإنما يكون تحت الوعيد.

---

(١) انظر: المغني: «٣/ ٣٥٢» إذ قال في بيان هذا المراد: "إن القتل لو شرع، لشرع زاجرًا عن ترك الصلاة، ولا يجوز شرع زاجر تحقق المزجور عنه، والقتل يمنع فعل الصلاة دائماً، فلا يشرع".

(٢) انظر: الحاوي: «٢/ ٥٢٦». وقد أوضح هذا المعنى الطحاوي إذ قال: "لله عز وجل فرائض على عباده في أوقات خواص، منها الصلوات الخمس، ومنها صيام شهر رمضان، وكان من ترك صوم شهر رمضان متعمداً بغير جحد لفرضه عليه، لا يكون بذلك كافرًا". شرح مشكل الآثار: «٨/ ٢٠٥».

(٣) انظر: الأسرار «ق: ٧٥»، الانتصار: «٢/ ٦١٦».

(٤) انظر: الأسرار «ق: ٧٥»، الانتصار: «٢/ ٦١٦».

(٥) انظر: الانتصار: «٢/ ٦١٧».

قال ابن تيمية -رحمه الله- «ت: ٧٢٨ هـ»: "فأما من كان مصرا على تركها لا يصلي قط، ويموت على هذا الإصرار والترك، فهذا لا يكون مسلما، لكن أكثر الناس يصلون تارة، ويتركونها تارة، فهؤلاء ليسوا يحافظون عليها، وهؤلاء تحت الوعيد، وهم الذين جاء فيهم الحديث الذي في السنن؛ حديث عبادة"[(١)]

أدلتهم:

ويشهد لذلك جملة من الأدلة؛ منها:

٢- **حديث عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- «ت: ٣٤ هـ»** أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**خمس صلوات كتبهن الله على العباد، من جاء بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن، كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد؛ إن شاء عذبه، وإن شاء أدخله الجنة**». [(٢)]

قال ابن تيمية -رحمه الله- «ت: ٧٢٨ هـ»: "فالنبي -صلى الله عليه وسلم- إنما أدخل تحت المشيئة من لم يحافظ عليها، لا من ترك، ونفس المحافظة يقتضي أنهم صلوا ولم يحافظوا عليها... فإن كثيرًا من الناس، بل أكثرهم، في كثير من الأمصار، لا يكونون محافظين على الصلوات الخمس، ولا هم تاركيها بالجملة، بل يصلون أحيانا، ويدعون أحيانا، فهؤلاء فيهم إيمان ونفاق، وتجري عليهم أحكام الإسلام الظاهرة"[(٣)]

القول الثاني: أن من ترك صلاة فرض واحدةً متعمداً حتى يخرج وقتها فهو كافر مرتد

قال أبو محمد بن حزم -رحمه الله- «ت: ٤٥٦ هـ»: "وقد جاء عن عمر، ومعاذ، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاذ بن جبل، وأبي هريرة، وغيرهم من الصحابة -رضي الله عنهم- أن من

---

(١) ينظر: «مجموع الفتاوى» «٢٢/٤٩».

(٢) أخرجه أبو داود «١٤٢٠»، والنسائي «٤٦١» واللفظ لهما، وابن ماجه «١٤٠١». صححه ابن حبان في «صحيحه» «٢٤١٧»، وابن عبد البر في «التمهيد» «٢٣/ ٢٨٨»، وابن العربي في «عارضة الأحوذي» «١/ ٤٤٧».

(٣) ينظر: مجموع الفتاوي «٧/ ٦١٥-٦١٧».

ترك صلاة فرض واحدةً متعمداً حتى يخرج وقتها فهو كافر مرتد"[١]

وجاء التنصيص على التكفير بترك صلاة واحدة عند عبد بن حميد، [٢]، ولكن سندها ضعيف من أجل الصنعاني عمر بن زيد. أ. هـ

وقال ابن عبد البر-رحمه الله-«ت: ٤٦٣ هـ»: "وقال إبراهيم النخعي والحكم بن عتيبة وأيوب السختياني وابن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية: من ترك صلاة واحدة متعمدًا، حتى يخرج وقتها لغير عذر، وأبى من قضائها وأدائها، وقال: لا أصلي؛ فهو كافر، دمه وماله حلال، ولا يرثه ورثته من المسلمين، ويستتاب، فإن تاب؛ وإلا قتل، وحُكم ماله ما وصفنا، كحكم مال المرتد، وبهذا قال أبوداود الطيالسي، وأبو خيثمة، وأبوبكر ابن أبي شيبة"[٣]

وقال الحافظ المنذري-رحمه الله-«ت: ٦٥٦ هـ»: "وقد ذهب جماعة من الصحابة ومن بعدهم إلى تكفير من ترك الصلاة متعمداً لتركها حتى يخرج جميع وقتها، منهم عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، ومعاذ بن جبل، وجابر بن عبد الله، وأبو الدرداء-رضي الله عنهم-، ومن غير الصحابة أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعبد الله ابن المبارك، والنخعي، والحكم بن عتيبة، وأيوب السختياني، وأبو داود الطيالسي، وأبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب وغيرهم -رحمه الله-" أ. هـ. [٤]

قال ابن رجب-رحمه الله-«ت: ٧٩٥ هـ»:"ظاهر كلام أحمد وغيره من الأئمة الذين يرون كفر تارك الصلاة: أن من تركها كفر بخروج الوقت عليه، ولم يعتبروا أن يستتاب، ولا أن يُدعى إليها وعليه يدل كلام المتقدمين من أصحابنا، لقوله -صلى الله عليه وسلم-: «**بين**

---

(١) " المحلى «٢/ ٢٤٢».

(٢) «٣/ ٢٤» برقم «١٠٤١».

(٣) فتح البر «٤/ ٤١٣».

(٤) الترغيب والترهيب «١/ ٣٩٤».

الرجل وبين الكفر ترك الصلاة». (١)

أدلتهم:

يستدل أصحاب هذا القول بجملة مما ورد في السنة والآثار، ومن ذلك:

عن عبد الله بن بريدة –رحمه الله– «ت: ١١٥ هـ»، عن أبيه –رضـــي الله عنه– «ت: ٦٢ هـ»، قال: قال رســول الله –صــلى الله عليه وســلم–: **«إن العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر».** (٢)

عن أبي الدرداء –رضـــي الله عنه– «ت: مابين ٣٢ إلى ٣٩ هـ»، قال: **«أوصـــاني خليلي –صلى الله عليه وسلم– أن لا تشرك بالله شيئا وإن قطعت وإن حرقت، ولا تترك صــلاة مكتوبة متعمدا فمن تركها متعمدا فقد برئت منه الذمة، ولا تشــرب الخمر فإنه مفتاح كل شر».** (٣)

وعن عبادة بن الصامت –رضي الله عنه– «ت: ٣٤ هـ»، قال: "أوصاني خليلي رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بسبع خصال، فقال: **«لا تشركوا بالله شيئا وإن قطعتم أو حرقتم أو صلبتم، ولا تتركوا الصلاة متعمدين فمن تركها متعمدا فقد خرج من الملة، ولا تركبوا المعصـــية فإنها ســـخط الله، ولا تشـــربوا الخمر فإنها رأس الخطايا كلها ...»**

(١) حاشية العنقري على الروض المربع «١/ ١٢٢» وحاشية ابن قاسم على الروض أيضاً «١/ ٤٢٥».

(٢) رواه الترمذي «٢٦٢١»، والنسائي «١/ ٢٣١»، وابن ماجه «١٠٧٩»، وأحمد «٥/ ٣٤٦» «٢٢٩٨٧». قال الترمذي: حسن صحيح غريب. وصححه ابن العربي في «العواصم من القواصم» «٢٦٢»، وقال ابن تيمية في «شرح العمدة – كتاب الصلاة» «٧٤»: على شرط مسلم. وقال ابن القيم في «الصلاة وحكم تاركها» «٣٣»: إسناده على شرط مسلم. وقال السخاوي في «الأجوبة المرضية» «٢/ ٨١٨»: مرفوع، صححه غير واحد من الأئمة. وقال الشوكاني في «السيل الجرار» «١/ ٢٩٢»: ثابت. وصححه ابن باز في «مجموع الفتاوى» «٢١/ ٦٥»، والألباني في «صحيح سنن الترمذي» «٢٦٢١»، والوادعي في «الصحيح المسند» «١٦٨»، وقال: على شرط مسلم.

(٣) رواه ابن ماجة «٤٠٣٤» من طريق شهر بن حوشب قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "وفي إسناده ضعف" انتهى من "تلخيص الحبير" «٢/١٤٨»، وحسنه الألباني في "صحيح ابن ماجة".

الحديث"[١]

عن جابر–رضي الله عنه–«ت: ٧٤ هـ»، قال: سمعت النبي–صلى الله عليه وسلم– يقول: «**إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**». [٢]

معاذ بن جبل–رضي الله عنه–«ت: ١٧ أو ١٨ هـ»، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: «**من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله**». [٣]

وقال عمر بن الخطاب–رضي الله عنه–«: ٢٣ هـ»، يقول: "لاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة"[٤]

وحظ: نكرة في سياق النفي، فلا حظ قليل ولا كثير في الإسلام لمن ترك الصلاة.

قال عبد الله بن شقيق العقيلي–رحمه الله–«ت: ١٠٨ هـ» يقول: "كان أصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة"[٥].

وقال ابن المبارك–رحمه–«ت: ١٨١ هـ»: "من أَخرَّ صلاة، حتى يفوت وقتها متعمدًا

---

(١) رواه الشاشي في "مسنده" «١٣٠٩»، وابن نصر في "تعظيم قدر الصلاة" «٢/ ٨٨٩»، وابن عبد الحكم في "الفتوح" «ص٣٠٠:»، والضياء في "المختارة" «٣٥١».

وهذا إسناد ضعيف ، يزيد بن قوذر : مجهول الحال ، ذكره البخاري في "التاريخ" «٨/ ٣٥٣» ، وابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" «٩/ ٢٨٤» ولم يذكرا فيه جرحا ولا تعديلا. وسلمة بن شريح قال الذهبي في "الميزان" «٢/ ١٩٠»: " لا يعرف "، وأقره الحافظ في "اللسان" «٣/ ٦٩». والحديث ضعفه الشيخ الألباني رحمه الله في "ضعيف الترغيب والترهيب " «٣٠٠».

فمثل حديث عبادة، أو حديث أبي الدرداء، يذكره العلماء عادة، في مثل هذه المقام، لأن ضعفه يسير، يحتمل أن ينجبر بغيره من الشواهد. وينظر: "مختصرُ استدرَاك الحافِظ الذّهبي على مُستدرَك أبي عبد اللهِ الحَاكم"، لابن الملقن «٥/٢٤٠٥-٢٤٠٩»، حاشية المحقق ، حيث تتبع طرقه، وصححه بها.

(٢) رواه مسلم «٨٢».

(٣) أخرجه أحمد «٥/ ٢٣٨»، وأخرجه المروزي في "تعظيم قدر الصلاة" «٩٢١»، والطبراني ٢٠/ «١٥٦»، وفي "الأوسط" «٧٩٥٦»، وفي "مسند الشاميين" «٢٢٠٤»، وعنه أبو نعيم في "الحلية" «٩/ ٣٠٦».

(٤) رواه مالك في الموطأ «١/ ٣٩» وعبد الرزاق «٣/ ١٢٥» وغيرهم.

(٥) رواه الترمذي «٧/ ٣٧٠» وغيره.

من غير عذر؛ كفر"[١]

وظاهر كلام **ابن القيم**–رحمه الله–«**ت: ٧٥١ هـ**» تقوية قول من قال: يُقتل بترك صلاتين، مستدلاً بأن الوقت للصلاتين في الجملة، وبتأخير الأمراء الصلاة، حتى يخرج وقتها. [٢]

وذهب **إسحاق بن منصور الكوسج**–رحمه الله–«**ت: ٢٥١ هـ**»، إلى أن الصلاة إذا كانت لا تجمع إلى ما بعدها، كالفجر والعصر وعشاء الآخرة؛ قُتل بتركها وحدها، إذ لا شبهة ها هنا في التأخير. [٣]

إلا أن ما نقل عن الإمام أحمد، يدل على خلافه. [٤]، وأن الحكم عام للصـــلاة المجموعة، وغير المجموعة. [٥]

مسألة: من ترك الصلاة متعمدًا حتى خرج وقتها ثم قضاها بعد خروج وقتها لم تصح منه.

أفتى العلماء بأنَّ من أخر الصـــلاة وفوَّتَها عن وقتها الذي أمر الله بإيقاعها فيه عمدًا لم يقبلها الله منه بعد خروج وقتها، ولا تصح منه، ولا تبرأ ذمته منها.

وقال ابن حزم: "من تعمَّد ترك الصَّلاة حتى خرج وقتها، فهذا لا يقدر على قضائها أبدًا، فليكثر من فعل الخير وصـــلاة التطوُّع؛ ليثقل ميزانه يوم القيامة، ولْيَتُب وليســـتغفر الله –عز

---

(١) "الصلاة" للمروزي «٢/ ٩٢٥-٩٧٩،٩٢٦».

(٢) "الصلاة" «ص: ٤٠».

(٣) "الصلاة" لابن القيم «ص: ٣٩».

(٤) كما في"الجامع" للخلال «٢/ ٥٤٤، ١٣٩٥».

(٥) وانظر بقية أقوال العلماء في الاختلاف في الصلاتين أو الثلاث في "الصلاة" لابن القيم «ص: ٣٨» وما بعدها و "طرح التثريب" لابن العراقي «١٤٨/١»، وانظر أقوال أحمد في "الجامع" للخلال «٢/ ٥٤١» وما بعدها برقم «١٣٨٨» وما بعده.

وجل-"[١]

وقال ابن تيميَّة-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "تارك الصلاة عمدًا لا يشرع له قضاؤها، ولا تصحُّ منه، بل يكثر من التطوُّع، وكذا الصوم، وهو قول طائفة من السَّلف؛ كأبي عبد الرحمن صاحب الشافعي، وداود وأتباعه، وليس في الأدلة ما يُخالف هذا، بل يوافقه"[٢]

قال ابن رجب-رحمه الله-«ت: ٧٩٥ هـ»: "المعذور إنَّما أمره بالقضاء؛ لأنَّه جعل قضاءه كفَّارة له، والعامد ليس القضاء كفَّارة له؛ فإنه عاصٍ تلزمه التوبة من ذنبه بالاتِّفاق... والعامد لم يأتِ نصٌّ بأن القضاء كفَّارة له، بل ولا يدل عليه النظر؛ لأنَّه عاصٍ آثم يَحتاج إلى توبة، كقاتل العمد، وحالف اليمين الغموس... وقد نص الإمام أحمد في رواية ابنه عبد الله: على أن المصلي لغير الوقت كالتارك للصلاة في استتابته وقتله، فكيف يؤمر بفعل صلاة حكمها حكم ترك الصلاة؟ ... ولا يُعرف عن أحد من الصَّحابة في وجوب القضاء على العامد شيء، بل ولم أجد صريحًا عن التابعين-أيضًا-فيه شيئًا، إلا عن النخعي، وقد وردت آثارٌ كثيرة عن السَّلف في تارك الصلاة عمدًا أنَّه لا تقبل منه صلاة، كما رُوي عن الصديق -رضي الله عنه-"[٣].

قال ابن القيّم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ» في مقرّرًا لهذه المسألة: "ما وقته أوسع من فعله كالصلاة فِعْلُه في وَقْته شرطٌ في كَوْنه عبادة مأمورًا بها، فإنَّه إنَّما أمر به على هذه الصِّفة، فلا تكون عبادة على غيرها... فما أَمَر الله به في الوقت، فتَرْكُه المأمورَ حتَّى فات وقته لم يُمكن فعله بعدَ الوقت شرعًا؛ ولهذا لا يُمكن فعل الجُمُعة بعد خروج وَقْتها، ولا الوقوف بعرفة بعد وقته... ولا مشروع إلاَّ ما شرعه الله ورسوله، وهو سبحانه ما شرع فِعْلَ الصلاة والصِّيام والحج إلاَّ في أوقات مُختصة به، فإذا فاتت تلك الأوقات لم تكن مشروعة، ولم يشرع الله

---

(١) "المحلى" «٢/ ٢٣٥».

(٢) "الاختيارات" «ص: ٣٤».

(٣) "فتح الباري" «٥/ ١٣٣-١٣٩».

سبحانه فعل الجمعة يوم السبت، ولا الوقوف بعرفة في اليوم العاشر، ولا الحج في غير أشهره.

ومن أخَّر صلاة النهار، فصلاَّها بالليل أو صلاة الليل، فصلاَّها بالنَّهار، فهذا الذي فعله غير الذي أمر به وغير ما شرعه الله ورسوله، فلا يكون صحيحًا ولا مقبولاً...

والله ســـبحانه قد جعل لكلِّ صــــلاة وقتًا محدودَ الأول والآخر، ولم يأذن في فعلها قبل دخول وقتها، ولا بعد خُرُوج وقتها، والمفعول قبل الوقت وبعده أمرٌ غير المشـــروع، فلو كان الوقت ليس شـرطًا في صِـحَّتها، لكان لا فرق في الصِّـحة بين فعلها قبل الوقت وبعده؛ لأنَّ كلتا الصَّــلاتين صــلاَّها في غير وقتها، فكيف قبلت من هذا المفرِّط بالتفويت، ولم تقبل من المفرط بالتعجيل؟!

وقد أمر الله سبحانه المسلمين حال مواجهة عدوِّهم أن يصلوا صلاةَ الخوف، فيقصروا من أركانها، ويفعلوا فيها الأفعالَ الكثيرة، ويستدبروا فيها القبلة، ويسلمون قبل الإمام، بل يصلُّون رجالاً وركبانًا، حتَّى لو لم يُمكنهم إلا الإيماء، أَتَوا بها على دوابِّهم إلى غير القبلة في وقتها، ولو قبلت منهم في غير وقتها وصــــحَّت، لجاز لهم تأخيرها إلى وقت الأمن وإمكان الإتيان بها، وهذا يدل على أنَّها بعد خروج وقتها لا تكون جائزة ولا مقبولة منهم مع العُذر الذي أصابهم في سبيله وجهاد أعدائه، فكيف تقبل من صحيحٍ مقيمٍ لا عذر له الْبَتَّةَ وهو يسمع داعيَ الله جهرة، فيدعها حتى يخرج وقتها، ثم يصليها في غير الوقت؟! وكذلك لم يفسح في تأخيرها عن وقتها للمريض، بل أمره أنْ يصــلي على جنبه بغير قيام ولا ركوع ولا ســـجود إذا عَجَز عن ذلك، ولو كانت تقبل منه وتصح في غير وقتها، لجاز تأخيرها إلى زمن الصِّحَّة.

فأخبرونا: أيُّ كتابٍ أو ســنة أو أَثَرٍ عن صــاحب نطق بأنَّ من أخر الصــلاة وفوَّتَها عن وقتها الذي أمر الله بإيقاعها فيه عمدًا يقبلها الله منه بعد خروج وقتها، وتصـــح منه، وتبرأ ذمته منها، ويثاب عليها ثواب من أدَّى فريضـته؟! هذا والله ما لا سـبيلَ لكم إليه البتة، حتَّى تقوم الساعة ونحن نُوجِد لكم عن أصحاب رسول الله مثل ما قلناه وخلاف قولكم.

وقول **أبي بكر الصـــديق–رضـــي الله عنه–«ت: ١٣ هـ»** الذي لم يُعلَم أن أحدًا من الصـــحابة أنكره عليه؛ قال عبدالله بن المبارك: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن زيد: أن أبا

بكر قال لعمر بن الخطاب: إنِّي موصيك بوصية إنْ حفظتها: إنَّ لله حقًّا بالنهار لا يقبله باللَّيل، وحقًّا بالليل لا يقبله بالنَّهار... فهذا أبو بكر قال: إنَّ الله لا يقبل عَمَل النهار بالليل، ولا عمل الليل بالنَّهار، ومن يُخالفنا بهذه المسألة يقولون بخلاف هذا صريحًا، وأنَّه يقبل صلاةَ العشاءِ الآخرة وقت الهاجرة، ويقبل صلاةَ العصر نصف النَّهار... فهذا قول أبي بكر، وعمر، وابنه عبدالله، وسعد بن أبي وقاص، وسلمان الفارسي، وعبدالله بن مسعود، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وبديل العقيلي، ومحمد بن سيرين، ومطرف بن عبدالله، وعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنهم وغيره"[١]

وذهب إلى هذا أيضًا الشيخ ابن عثيمين -رحمة الله عليه-[٢].

وكثير من أهل العلم على القضاء، وانظر ما قاله ابن العراقي في تقرير مذهب الأئمة بالقضاء[٣].

مسألة التوبة من ترك الصلاة هل يلزم معها الإقرار بالشهادتين.

ذكر الإمام أحمد-رحمه الله-«ت: ٢٤١ هـ» أن التوبة من ترك الصلاة، تكون بالصلاة، ولا يلزم الإقرار بالشهادتين خارج الصلاة، فقد قال صالح: قلت لأبي: فإن تركها، فلم يصلها؟ قال: إذ كان عامدًا؛ استتبه ثلاثًا، فإن تاب؛ وإلا قتل قلت: فتوبته أن يصلي؟ قال: نعم"[٤]

(١) كتاب الصَّلاة وحكم تاركها «ص: ٧٣ -٨٠».

(٢) كما في "فتاوى منار الإسلام" «١/ ١٣١» سؤال «٩٩».

(٣) "طرح التثريب" «١/ ١٤٩-١٥٠».

(٤) من "المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة" «٢/٣٩/٥١٤» "وذهب إسحاق إلى أن تارك الصلاة يدعي للصلاة، لا للإقرار". انظر "الصلاة" للمروزي «٢/٩٣٢/٩٩٣»، و "شرح العمدة" لشيخ الإسلام «٢/١٧٦» وقد قرر ذلك ابن القيم، كما في "البدائع" «٣/٩٢»، وانظر "الضوء المنير" «٣/٣١٥».

المسألة الرابعة: المسارعة إلى أداء الصلوات وإقامتها في أوقاتها

المســـارعة إلى الخيرات من صـــفات الأنبياء؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَـــرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [الأنبياء: الآية: ٩٠]، ومن صفات أتباع الأنبياء؛ كما قال: ﴿أُولَٰئِكَ يُسَرِعُونَ فِي الْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١].

والصـلاة أفضـل الخيرات، وأشـرف العبادات، فتنبغي المسـارعة في أدائها في أول أوقاتها؛ لقول النبي-صـلى الله عليه وسـلم-حين سـئل: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَـلُ؟ قَالَ: «الصَّـلَاةُ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا»، إلا صـلاة العشـاء، فالسـنة تأخيرها حتى يمضـي ثلث الليل الأول، ما لم يترتب على ذلك مشقة أو نوم، أو تشاغل .

فالصـــلاة جماعة مع المســـلمين في بيوت الله من أهم الفرائض، وهي من شـــعائر الإســـلام، الواجب على كل مكلف أن يعتني بها، وأن يبادر ويســـارع إلى إقامة الصـــلاة في الجماعة مع المسلمين، وأن يتباعد عن مشابهة أهل النفاق.

قال ابن مســعود رضــي الله عنه: "من ســره أن يلقى الله غدًا مســلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صــليتم في بيوتكم كما يصــلي هذا المتخلف في بيته لتركتم ســنة نبيكم ولو تركتم ســنة نبيكم لضــللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها-يعني الصــلاة في الجماعة-إلا منافق معلوم النفاق ولقد كان الرجل-يعني من الصـحابة-يؤتى به يهادى بين الرجلين-يعني المريض أو كبير السـن-حتى يقام في الصف" من شدة حرصهم على أداء الصلاة مع الجماعة.

ويقول النبي ﷺ: «من سمع النداء فلم يأته فلا صلاة له إلا من عذر». [(١)] قيل لابن عباس-رضي الله عنهما-: ما هو العذر؟ قال: «خوف أو مرض».

وفي الصــحيح عن أبي هريرة رضــي الله عنه عن النبي ﷺ أنه أتاه رجل أعمى وقال يا رسـول الله ليس لي قائد يلائمني إلى المســـجد فهل لي من رخصـــة أن أصـــلي في بيتي؟ فقال له النبي

(١) رواه ابن ماجه في «المساجد والجماعات» باب التغليظ في التخلف عن الجماعة برقم «٧٩٣».

ﷺ «هل تسمع النداء إلى الصلاة؟» فقال: نعم. قال: «فأجب»[١] رواه مسلم في صحيحه.

وفي رواية أخرى عند غير الإمام مسلم: «لا أجد لك رخصة». [٢]

تأخير الصلاة عن وقتها على نوعين:

النوع الأول: تأخيرها لعذر شرعي.

النوع الثاني: تأخيرها لغير عذر شرعي.

أما النوع الأول: وهو تأخيرها عن وقتها لعذر شـرعي فالفقهاء متّفقون على أنَّ من أخَّر الصّلاة فخرج وقتها لعذرٍ لا إثم عليه، وذلك مثل: النِّسيان لقول النَّبيّ عليه الصَّلاة والسَّلام: «رُفِعَ عن أُمَّتِي الخطَأ، والنِّســـيان، وما اسْـــتُكرِهُوا عليْه»،[٣] أو النَّوم؛ لِما رُوِي أنَّ بعض الصّــحابة-رضـــي الله عنهم-: "ذكروا تفريطَهم في النّومِ، فناموا حتّى طلعتِ الشّــمسُ، فقال رسـولُ اللهِ-صـلَّى اللهُ عليهِ وسـلَّمَ-: ليس في النّومِ تفريطٌ، إنَّما التفريطُ في اليقظةِ، فإذا نسـيَ أحدُكم صــلاةً أو نام عنها فلْيُصــلِّها إذا ذكرَها، ولوقتِها من الغدِ". [٤]، فلا خِلاف على أنَّ تأخير الصّلاة عن وقتها لعُذرَي النّسيان أو النّوم لا إثم فيه.[٥]

وقد اختُلِف في تأخير الصّـــلاة عن وقتها للسّـــفر والمطر؛ أي تأخير الظُّهر لتُصـــلّى مع العصـر، وتأخير المغرب لتُصلّى مع العشـاء جمع تأخيرٍ في حال السَّفر والمطر، فهذان عُذران يُجيزان تأخير الصّلاة عن وقتها عند جمهور الفُقهاء.

فعن ابن عباس -رضـــي الله عنهما-عن النبي -صـــلَّى الله عليه وآله وســـلَّم- «كان في

---

(١) رواه مسلم في «المساجد ومواضع الصلاة» باب يجب إتيان المسجد على من سمع النداء برقم «٦٥٣»، والنسائي في «الإمامة» باب المحافظة على الصلوات حيث ينادى بهن برقم «٨٥٠».

(٢) رواه أبو داود في «الصلاة» باب التشديد في ترك الجماعة برقم «٥٥٢»، وابن ماجه في «المساجد والجماعات» باب التغليظ في التخلف عن الجماعة برقم «٧٩٢».

(٣) انظر المحلى لابن حزم، «٥/ ١٩٣». صحيح.

(٤) رواه الترمذي انظر صحيح الترمذي:«١٧٧» وقال الألباني صحيح؛ ورواه ابن ماجة، انظر: صحيح ابن ماجة، عن أبي قتادة، «٥٧٨» وقال الألباني: صحيح.

(٥) المصدر: الموسوعة الفقهية الكويتية «الطبعة الثانية»، الكويت: دار السلاسل، «٧/ ١٨٦-١٨٧»، بتصرّف.

السـفر إذا زاغت الشـمس في منزله جمع بين الظهر والعصـر قبل أن يركب، فإذا لم تزغ له في منزله، سـار حتّى إذا حانت العصـر نزل فجمع بين الظهر والعصـر، وإذا حانت له المغرب في منزله جمع بينها وبين العشـاء، وإذا لم تحن في منزله ركب حتى إذا كانت العشـاء نزل فجمع بينهما»[١]

قال الشوكاني بعد نقله الرواية عن مسند أحمد: ورواه الشافعي في مسنده بنحوه وقال فيه: "وإذا سار قبل أن تزول الشمس أخّر الظهر حتّى يجمع بينها وبين العصر في وقت العصر"[٢]

مسألة: تأخير الصَّلاة إلى آخر وقتها

تأخير الصَّلاة إلى آخر وقتها هو ألّا تُصلّى الصَّلاة في أوّل وقتها بل في آخره، قبل انقضاء وقت الصَّـلاة بزمنٍ يسـيرٍ، وتأخير الصَّـلاة إلى آخر وقتها إن كان لعُذرٍ -مثل الأعذار التي سـبق الحديث عنها- فلا حرَج ولا إثم في تأخيرها، أمَّا إن كان تأخيرها إلى آخر الوقت دون عُذرٍ فهو خِلاف الأولى؛ إذ إنَّ الأصـل والأكمل والأفضـل أداء الصّـلاة على وقتها[٣]؛ لِما

(١) مسند أحمد بن حنبل: «٢٤١/٥»؛ سنن أبي داود: «١٨/٢،» كتاب الصلاة، باب الجمع بين الصلاتين، الحديث «١٢٢٠».

(٢) نيل الأوطار: «٢١٣/٣».

(٣) الصلاة على وقتها في الحضر هو قول أهل السنة وخالف في ذلك كل من:

١- الشيعة الاثنا عشرية؛ فقد اتّفقت الإمامية على أنّه يجوز الجمع بين الصلاتين في الحضر اختيارًا وإن كان التفريق أفضل. يقول الطوسي: يجوز الجمع بين الصلاتين، بين الظهر والعصر وبين المغرب وعشاء الآخرة، في السفر والحضر وعلى كلّ حال، ولا فرق بين أن يجمع بينهما في وقت الأولة منهما أو وقت الثانية، لأنّ الوقت مشـــترك بعد الزوال وبعد المغرب على ما بيّناه .«الخلاف: «٥٨٨/١»، المسألة: «٣٥١».

فقالت الإمامية ـ إنّه إذا زالت الشمس دخل الوقتان ـ أي وقت الظهر والعصر ـ إلاّ أنّ صلاة الظهر يُؤتى بها قبل العصر، وعلى ذلك فالوقت بين الظهر والغروب وقت مشـترك بين الصـلاتين، غير انّه يختص مقدار أربع ركعات من الزوال بالظهر ومقدار أربع ركعات من الآخر للعصـر وما بينهما وقت مشترك، فلو صلّى الظهر والعصـر في أي جزء من بين الزوال والغروب فقد أتى بهما في وقتهما، وذلك لأنّ الوقت مشـترك بينهما، غير انّه يختص بالظهر مقدار أربع ركعات من أوّل الوقت ولا يصـحّ فيه العصـر ويختص بالعصـر بمقدار أربع ركعات من آخر الوقت ولا يصحّ إتيان الظهر فيه.

هذا هو واقع المذهب، ولأجل ذلك فالجامع بين الصـلاتين في غير الوقت المختص به آت بالفريضـة في وقتها فصـلاته أداء لا قضـاءً . ومع ذلك فلكلّ من الصلاتين-وراء وقت الأجزاء-وقت فضيلة.

=

للمُســـارعة في الخيرات وأداء العبادة من فضـــلٍ عند الله تعالى، كما جاء في قوله ســـبحانه: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة، الآية: ١٤٨] وقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: الآية: ١٣٣] ولِما كان عليه النَّبيّ –عليه الصَّـلاة والسَّـلام–وصـحابته–رضـي الله عنهم–من حرصٍ على أداء الصـلّاة على وقتها.(١)

وأما النوع الثاني: وهو تأخيرها عن وقتها لغير عذر شرعي.

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة: "تارك الصلاة عمدًا لا يشرع له قضاؤها، ولا تصحُّ منه، بل يكثر من التطوُّع، وكذا الصوم، وهو قول طائفة من السَّلف؛ كأبي عبد الرحمن صاحب الشافعي، وداود وأتباعه، وليس في الأدلة ما يُخالف هذا بل يوافقه". (٢)

فوقت فضيلة الظهر من الزوال إلى بلوغ ظل الشاخص الحادث بعد الانعدام أو بعد الانتهاء مثله، ووقت فضيلة العصر من المثل إلى المثلين عند المشهور.

وبذلك يعلم وقت المغرب والعشاء، فإذا غربت الشمس دخل الوقتان إلى نصف الليل، ويختص المغرب بأوّله بمقدار أدائه والعشاء ب آخره كذلك وما بينهما وقت مشترك، ومع ذلك انّ لكلّ من الصلاتين وقت فضيلة، فوقت فضيلة صلاة المغرب من المغرب إلى ذهاب الشفق وهي الحمرة المغربية، ووقت فضيلة العشاء من ذهاب الشفق إلى ثلث الليل. انظر العروة الوثقى: «١٧١»، فصل في أوقات اليومية.

٢- ما ذكر عن الظاهرية وبعض الفقهاء من جواز الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء في الحضر من غير عذر من سفر أو مطر أو مرض.

قال ابن رشد: وأمّا الجمع في الحضر لغير عذر فإن مالكًا وأكثر الفقهاء لا يجيزونه، وأجاز ذلك جماعة من أهل الظاهر، وأشهب من أصحاب مالك.

وسبب اختلافهم، اختلافهم في مفهوم حديث ابن عباس، فمنهم من تأوّله على أنّه كان من سفر. ومنهم من أخذ بعمومه مطلقًا، وقد خرّج مسلم زيادة في حديثه وهو قوله: من غير خوف ولا سفر ولا مطر، وبهذا تمسّك أهل الظاهر. بداية المجتهد: «٢/٣٧٤»، الطبعة المحققّة.

قال النووي: فرع في مذاهبهم من الجمع بلا خوف ولا سفر، ولا مطر ولا مرض، مذهبنا «الشافعي» ومذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد والجمهور انّه لا يجوز، وحكى ابن المنذر عن طائفة جوازه بلا سبب، قال: وجوّزه ابن سيرين لحاجة أو ما لم يتّخذه عادة. المجموع:٤/٢٦٤.

(١) حكم تأخير الصلاة إلى آخر وقتها لخالد عبد المنعم الرفاعي.

(٢) "الاختيارات" «ص: ٣٤».

قال ابن القيِّم-رحمه الله-في مقرِّرًا لهذه المسألة: "ما وقته أوسع من فعله كالصلاة فِعْلُه في وَقْته شرطٌ في كَوْنه عبادة مأمورًا بها، فإنَّه إنَّما أمر به على هذه الصِّفة، فلا تكون عبادة على غيرها... فما أَمَر الله به في الوقت، فتَرْكُه المأمورَ حتَّى فات وقته لم يُمكن فعله بعدَ الوقت شـــرعًا؛ ولهذا لا يُمكن فعل الجُمُعة بعد خروج وَقْتها، ولا الوقوف بعرفة بعد وقته... ولا مشروع إلاَّ ما شرعه الله ورسوله، وهو سبحانه ما شرع فِعْلَ الصلاة والصِّيام والحج إلاَّ في أوقات مُختصــة به، فإذا فاتت تلك الأوقات لم تكن مشــروعة، ولم يشــرع الله ســبحانه فعل الجمعة يوم السبت، ولا الوقوف بعرفة في اليوم العاشر، ولا الحج في غير أشهره.

ومن أخَّر صلاة النهار، فصلاَّها بالليل أو صلاة الليل، فصلاَّها بالنَّهار، فهذا الذي فعله غير الذي أمر به وغير ما شرعه الله ورسوله، فلا يكون صحيحًا ولا مقبولاً...

والله ســـبحانه قد جعل لكلِّ صـــلاة وقتًا محدودَ الأول والآخر، ولم يأذن في فعلها قبل دخول وقتها، ولا بعد خُرُوج وقتها، والمفعول قبل الوقت وبعده أمرٌ غير المشـــروع، فلو كان الوقت ليس شـرطًا في صِـحَّتها، لكان لا فرق في الصِّـحة بين فعلها قبل الوقت وبعده؛ لأنَّ كلتا الصَّـلاتين صـلاَّها في غير وقتها، فكيف قبلت من هذا المفرِّط بالتفويت، ولم تقبل من المفرط بالتعجيل؟!

وقد أمر الله سبحانه المسلمين حال مواجهة عدوِّهم أن يصلوا صلاةَ الخوف، فيقصروا من أركانها، ويفعلوا فيها الأفعالَ الكثيرة، ويستدبروا فيها القبلة، ويسلمون قبل الإمام، بل يصلُّون رجالاً وركبانًا، حتَّى لو لم يُمكنهم إلا الإيماء، أَتَوا بها على دوابِّهم إلى غير القبلة في وقتها، ولو قبلت منهم في غير وقتها وصـــحَّت، لجاز لهم تأخيرها إلى وقت الأمن وإمكان الإتيان بها، وهذا يدل على أنَّها بعد خروج وقتها لا تكون جائزة ولا مقبولة منهم مع العُذر الذي أصابهم في سبيله وجهاد أعدائه، فكيف تقبل من صحيحٍ مقيمٍ لا عذر له الْبَتَّةَ وهو يسمع داعيَ الله جهرة، فيدعها حتى يخرج وقتها، ثم يصليها في غير الوقت؟! وكذلك لم يفسح في تأخيرها عن وقتها للمريض، بل أمره أنْ يصـــلي على جنبه بغير قيام ولا ركوع ولا ســـجود إذا عَجَز عن ذلك، ولو كانت تقبل منه وتصـــح في غير وقتها، لجاز تأخيرها إلى زمن الصِّـــحَّة.

فأخبرونا :أيُّ كتابٍ أو سنة أو أَثَرٍ عن صاحب نطق بأنَّ من أخر الصلاة وفوَّتَهَا عن وقتها الذي أمر الله بإيقاعها فيه عمدًا يقبلها الله منه بعد خروج وقتها، وتصح منه، وتبرأ ذمته منها، ويثاب عليها ثواب من أدَّى فريضته؟! هذا والله ما لا سبيلَ لكم إليه البتة، حتَّى تقوم الساعة ونحن نُوجِد لكم عن أصحاب رسول الله مثل ما قلناه وخلاف قولكم.

فصل في قول أبي بكر الصديق الذي لم يُعلَم أن أحدًا من الصحابة أنكره عليه؛ قال عبدالله بن المبارك: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن زيد: أن أبا بكر قال لعمر بن الخطاب: إنِّي موصيك بوصية إنْ حفظتها: إنَّ لله حقًّا بالنهار لا يقبله باللَّيل، وحقًّا بالليل لا يقبله بالنَّهار... فهذا أبو بكر قال: إنَّ الله لا يقبل عَمَل النهار بالليل، ولا عمل الليل بالنَّهار، ومن يُخالفنا بهذه المسألة يقولون بخلاف هذا صريحًا، وأنَّه يقبل صلاةَ العشاءِ الآخرة وقت الهاجرة، ويقبل صلاةَ العصر نصف النَّهار... فهذا قول أبي بكر، وعمر، وابنه عبدالله، وسعد بن أبي وقاص، وسلمان الفارسي، وعبدالله بن مسعود، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وبديل العقيلي، ومحمد بن سيرين، ومطرف بن عبدالله، وعمر بن عبدالعزيز –رضي الله عنهم–؛ وغيره"(١).

وقال ابن حزم: "من تعمَّد ترك الصَّلاة حتى خرج وقتها، فهذا لا يقدر على قضائها أبدًا، فليكثر من فعل الخير وصلاة التطوُّع؛ ليثقل ميزانه يوم القيامة، ولْيَتُب وليستغفر الله –عز وجل–."(٢)

وقال ابن رجب: "المعذور إنَّما أمره بالقضاء؛ لأنَّه جعل قضاءه كفَّارة له، والعامد ليس القضاء كفَّارة له؛ فإنه عاصٍ تلزمه التوبة من ذنبه بالاتِّفاق... والعامد لم يأتِ نصٌّ بأن القضاء كفَّارة له، بل ولا يدل عليه النظر؛ لأنَّه عاصٍ آثم يَحتاج إلى توبة، كقاتل العمد، وحالف اليمين الغموس... وقد نص الإمام أحمد في رواية ابنه عبد الله: على أن المصلي لغير

---

(١) كتاب الصَّلاة وحكم تاركها «ص: ٧٣-٨٠».

(٢) المحلى «٢/ ٢٣٥».

الوقت كالتارك للصـــلاة في اســـتتابته وقتله، فكيف يؤمر بفعل صـــلاة حكمها حكم ترك الصـلاة؟... ولا يُعرف عن أحد من الصَّـحابة في وجوب القضـاء على العامد شـيء، بل ولم أجد صريحًا عن التابعين–أيضًا–فيه شيئًا، إلا عن النخعي، وقد وردت آثارٌ كثيرة عن السَّلف في تارك الصلاة عمدًا أنَّه لا تقبل منه صلاة، كما رُوي عن الصديق –رضي الله عنه–."(١)

المسألة الخامسة : إتمام الركوع والسجود

الطمأنينة ركن من أركان الصـلاة، لا تصـح الصـلاة إلا بتحقيقها في جميع أجزاء الصـلاة؛ وهذا مذهب الشـــافعية (٢)، والحنابلة (٣)، وقول أبي يوســف من الحنفية (٤)، وقول عند المـالكيـة (٥)، وقول داود (٦)، واختـاره ابن الهمـام (٧)، وابن عبـد البر (٨)، وابن تيمية (٩)، وابن باز (١٠)، وابن عثيمين (١١)، وحكي الإجماع على ذلك. (١٢)

---

(١) فتح الباري «٥/ ١٣٣–١٣٩».

(٢) المجموع للنووي «٣/ ٤١٠».

(٣) الفروع لابن مفلح «٢/ ٢٤٦»، كشاف القناع للبهوتي «١/ ٣٨٧».

(٤) فتح القدير» للكمال ابن الهمام «١/ ٣٠٠»، حاشية ابن عابدين «١/ ٤٦٤».

(٥) شرح مختصر خليل للخرشي «١/ ٢٧٤»، حاشية الصاوي على الشرح الصغير «١/ ٣١٦».

(٦) قال النووي: "وتجب الطمأنينة في الركوع، والسجود، والاعتدال من الركوع، والجلوس بين السجدتين، وبهذا كله قال مالك وأحمد وداود". المجموع «٣/ ٤١٠».

(٧) حاشية ابن عابدين «١/ ٤٦٤».

(٨) الكافي «١/ ٢٢٧».

(٩) مجموع الفتاوى «٢٢/ ٦٠١».

(١٠) مجموع فتاوى ابن باز «٢٥/ ١٦٣».

(١١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين «١٣/ ١٥٩».

(١٢) قال ابن تيمية: "وهذا إجماع الصحابة رضي الله عنهم، فإنهم كانوا لا يصلون إلا مطمئنين، وإذا رأى بعضهم من لا يطمئن أنكر عليه ونهاه، ولا ينكر واحد منهم على المنكر لذلك، وهذا إجماع منهم على وجوب السكون والطمأنينة في الصلاة قولا وفعلا". مجموع الفتاوى «٢٢/ ٥٦٩». وقال أيضا: "الطمأنينة في الصلاة واجبة، وتاركها مسيء باتفاق الأئمة". مجموع الفتاوى «٢٢/ ٦٠١».

الأدلة من السنة:

١-عن أبي هريرة-رضي الله عنه-، قال: "إن رجلا دخل المسجد، ورسول الله-صلى الله عليه وسلم-جالس في ناحية المسجد، فصلى ثم جاء فسلم عليه، فقال له رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «وعليك السلام، ارجع فصل؛ فإنك لم تصل»، فرجع فصلى ثم جاء فسلم، فقال: «وعليك السلام، فارجع فصل؛ فإنك لم تصل»، فقال في الثانية، أو في التي بعدها: علمني يا رسول الله، فقال: «إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر، ثم اقرأ بما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعا، ثم ارفع حتى تستوي قائما، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها».[١]

٢- عن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «لا تجزئ صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود».[٢]

٣- عن زيد بن وهب الجهني قال: "رأى حذيفة-رضي الله عنه-، رجلا لا يتم الركوع والسجود، قال: ما صليت، ولو مت مت على غير الفطرة التي فطر الله محمدًا-صلى الله عليه وسلم-عليها".[٣]

وجه الدلالة: أن قوله: «ما صليت» يدل على وجوب الطمأنينة في الركوع، والسجود، وعلى أن الإخلال بها يبطل الصلاة.[٤]

٤- عن أنس بن مالك-رضي الله عنه-، أن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: «أَتِمُّوا

---

(١) أخرجه البخاري «٦٢٥١»، مسلم رقم «٣٩٧».

(٢) أخرجه أبو داود «٨٥٥» بلفظ: «صلاة الرجل حتى يقيم ظهره» بدلا من: «لا يقيم الرجل فيها صلبه»، والترمذي «٢٦٥»، والنسائي «١٠٢٧»، وابن ماجه «٨٧٠» قال الترمذي: حسن صحيح. واحتج به ابن حزم في المحلى «٣/٢٥٧»، وصححه ابن العربي في أحكام القرآن «١/٦٤٣»، وصحح إسناده الشوكاني في نيل الأوطار «٢/٢٨٠»، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه «٧١٧».

(٣) رواه البخاري «٧٩١».

(٤) نيل الأوطار للشوكاني «٢/ ٣١٠».

الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ» [١] ، والإتمام إنما يكون بالطمأنينة.

٥- عن علي بن شيبان-رضي الله عنهما-وكان من الوفد-قال : خَرَجْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَبَايَعْنَاهُ وَصَلَّيْنَا خَلْفَهُ، فَلَمَحَ بِمُؤْخِرِ عَيْنِهِ رَجُلًا لَا يُقِيمُ صَلَاتَهُ-يَعْنِي صُلْبَهُ-فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-الصَّلَاةَ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ ». [٢] أي لا يسوي ظهره عقب الركوع والسجود ، فالحديث دليل على ركنية القومة والجلسة والطمأنينة فيهما .

٦- عن أبي صالح الأشعري أن أبا عبد الله الأشعري حدثه : أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-بصر برجل يصلي لا يتم ركوعه ولا سجوده فقال: «لو مات هذا على ما هو عليه لمات على غير ملة محمد صلى الله عليه وسلم، فأتموا الركوع والسجود، فإن مثل الذي لا يتم ركوعه ولا سجوده مثل الجائع لا يأكل إلا التمرة والتمرتين، لا تغنيان عنه شيئا»، قال : أبو صالح : فلقيت أبا عبد الله فقلت: من حدثك هذا الحديث أنه سمعه من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-؟ قال : حدثني أمراء الأجناد : خالد بن الوليد ، وشرحبيل بن حسنة ، وعمرو بن العاص أنهم سمعوه من النبي-صلى الله عليه وسلم-. [٣]

وهذا تهديد شديد يخشى على فاعل ذلك من سوء الخاتمة بأن يموت على غير الملة والعياذ بالله.

٧-وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثٍ وَنَهَانِي عَنْ ثَلَاثٍ ... وَنَهَانِي عَنْ نَقْرَةٍ كَنَقْرَةِ الدِّيكِ ، وَإِقْعَاءٍ كَإِقْعَاءِ الْكَلْبِ ، وَالْتِفَاتٍ كَالْتِفَاتِ الثَّعْلَبِ». [٤]

---

[١] رواه البخاري «٦٦٤٤» ، ومسلم «٤٢٥».

[٢] رواه ابن ماجه «٨٧١» ، وأحمد «٤/٢٣» ، وصححه الألباني-رحمه الله-في «صحيح الترغيب» «٥٢٦».

[٣] رواه أبو يعلى «٧١٨٤» ، وحسنه الألباني-رحمه الله-في «صحيح الترغيب» «٥٢٨».

[٤] رواه أحمد «٢/٣١١» ، وحسَّنه الألباني-رحمه الله-في «صفة الصلاة» «ص: ١٣١».

والأحاديث المشـــتملة على الأمر بالمحافظة على إقامة الركوع والســـجود والرفع منهما، والدالة على أن ذلك من أركان الصلاة التي لا تصح الصلاة إلا بها كثيرة جدا، وهي محفوظة في دواوين السنة كالبخاري ومسلم والسنن الأربعة وغيرها، وقد تقدم معنا جملة منها.

والواجب على كل مسـلم أن يحافظ على ذلك في صـلاته تمام المحافظة؛ فيتم ركوعه والرفع منه وسجوده والرفع منه، ويأتي بذلك على التمام والكمال في صـلاته كلها على الوجه الذي يرضي الرب تبارك وتعالى ، عملاً بهدي الرسول–صلى الله عليه وسلم–وتمسكاً بسنته القائل–صلى الله عليه وسلم–: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي». (١)

وقد ذهب علماء المسـلمين استناداً إلى ما تقدم من النصـوص الثابتة عن الرسـول–صـلى الله عليه وسـلم–وغيرها إلى أن تعديل الأركان في الركوع والسـجود والقومة بينهما والقعدة بين السـجدتين فرض في الصـلاة وركن من أركانها، تبطل الصـلاة بتركه ، ويلزم من وقع في ذلك إعادة الصلاة.

(١) رواه البخاري «٦٣١».

٢٥- إيتاء الزكاة.

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الزكاة.

المسألة الثانية: حكم مانع الزكاة.

المسألة الثالثة: هل يعاقب مانع الزكاة بأخذ زيادة على الواجب؟

المسألة الرابعة: مانع الزكاة الذي ليس في قبضة الإمام

[٢٥]- قال المصنف رحمه الله: وإيتاء الزكاة على أهل الجدات

الشرح

المسألة الأولى: تعريف الزكاة وحكمها والأدلة على ذلك.

الزكاة فريضة من فرائض الدين، وهي الركن الثالث من أركان الإسلام الخمسة بعد الشهادتين والصلاة

تعريف الزكاة

للزكاة تعريفات عدة في اللغة والاصطلاح

الزكاة فريضة من فرائض الدين، وهي الركن الثالث من أركان الإسلام الخمسة بعد الشهادتين والصلاة.

فالزكاة لغة: هي: النماء والزيادة والبركة والمدح والثناء والصلاح وصفوة الشيء، والطهارة حسية أو معنوية، وبمعنى: زكاة المال. (١)، وسميت بذلك لأنها تثمر المال وتنميه. (٢)

وفي لسان العرب: هي اسم من الفعل زكا، يزكو، والمصدر منه زكاء وزكوا وزكي وتزكي، وزكاه الله، وزكا نفسه تزكية: مدحها"(٣).

---

(١) «مختار الصحاح ص: ١٣٦».

(٢) غريب الحديث «١/ ١٨٤».

(٣) «لسان العرب ١٤/ ٣٥٨».

أما الزكاة شرعًا: على المذاهب الأربعة:

أ-فقد عرفها الحنفية بقولهم: "الزكاة هي تمليك المال من فقير مسلم غير هاشمي ولا مولاه بشرط قطع المنفعة عن المملك من كل وجه"(١)

ب-وعرفها المالكية بأنها: "الجزء المخصوص المخرج من المال المخصوص إذا بلغ نصابا المدفوع لمستحقه إن تم الملك وحول غير المعدن "(٢)

ج-وقال الشافعية في تعريفها: "اسم لأخذ شيء مخصوص من مال مخصوص على أوصاف مخصوصة لطائفة مخصوصة"(٣)

د- وقال الحنابلة: "حق واجب في مال خاص، لطائفة مخصوصة، في وقت مخصوص"(٤)

هذا هو حاصل ما ذكره فقهاء المذاهب في تعريفها، وإذا نظرنا إلى هذه التعريفات تبين لنا أن الزكاة في تعريف الحنفية والمالكية تطلق على نفس فعل الإيتاء، أي أداء الحق الواجب في المال، وأيضا أطلقت في تعريف الشافعية والحنابلة على الجزء المقدر من المال الذي فرضه الله حقا للفقراء. (٥)

الأدلة على فرضها:

---

(١) «كنز الدقائق ص: ٢٠٣»، العناية لهامش فتح القدير «١/ ٤٨١».

(٢) الشرح الصغير «٢/ ٩٢، ٩٣»، «حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ١/ ٤٣٠».

(٣) «المجموع على شرح المهذب ٥/ ٣٢٥».

(٤) المغني «٤/ ٥»، «الروض المربع ص: ٥٠٩».

(٥) الفقه الميسر لعبد الله الطيار. ٢/ ١١-١٢.

الزكاة أصل من أصول الإسلام وقاعدة من قواعده دل على هذا الأصل الكتاب والسنة والإجماع والمعقول (١):

أولًا: الأدلة من الكتاب:

الأدلة من كتاب الله عز وجل كثيرة في فرض الزكاة: وقد جاءت قرينة الصلاة في أكثر من ثمانين موضعًا منها قوله تعالى: ﴿**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين**﴾ [البقرة: الآية: ٤٣].

قال الله تعالى ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ**﴾ [البقرة: الآية: ١١٠].

وأمر رسوله بأن يأخذها من أموال المسلمين، فقال: ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**﴾ [التوبة: الآية: ١٠٣]، والصدقة هنا هي الصدقة الواجبة، وهي الزكاة.

وقال في مدح المؤمنين: ﴿**قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون**﴾ [المؤمنون: الآيات: ١-٤]؛

وذم الذين لا يؤتون الزكاة، وأوعدهم في قوله: ﴿**وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة**﴾ [فصلت: الآيات: ٦-٧].

وقال في جواب المجرمين وهم في سقر عن سؤال أصحاب اليمين: ﴿**ماسلككم في سقر * قالوا لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسكين**﴾ [المدثر: الآيات: ٤٢-٤٤].

وقوله تعالى: ﴿**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة**﴾ [البينة: الآية: ٥].

قال ابن كثير -رحمه الله- «ت: ٧٧٤ هـ»: عند تفسير قوله تعالى: ﴿**والذين هم للزكاة فاعلون**﴾ [المؤمنون: الآية: ٤].

"الأكثرون على أن المراد بالزكاة هنا زكاة الأموال مع أن هذه الآية مكية وإنما فرضت الزكاة

---

(١) المصدر: إجابة السؤال في زكاة الأموال، لمحمد بن عبد العزيز السديس ص: ٢٥٩-٢٦٣.

بالمدينة في سنة اثنتين من الهجرة والظاهر أن التي فرضت بالمدينة إنما هي ذات النصب والمقادير الخاصة وإلا فالظاهر أن أصل الزكاة كان واجبا بمكة قال تعالى في سورة الأنعام وهي مكية: ﴿**وآتوا حقه يوم حصاده**﴾ [الأنعام: الآية: ١٤١]، وقد يحتمل أن يكون المراد بالزكاة ها هنا زكاة النفس من الشرك والدنس كقوله تعالى: ﴿**قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها**﴾ [الشمس: الآية: ٩-١٠]. على أحد القولين، وقد يحتمل أن يكون كلا الأمرين مرادا وهو زكاة النفوس وزكاة الأموال، فإنه من جملة زكاة النفوس والمؤمن الكامل هو الذي يفصل هذا وهذا والله أعلم"(١)

ثانيًا: الأدلة من السنة:

جاءت أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما على فرضية الزكاة ومنها:

١- حديث **ابن عمر-رضي الله عنهما-«ت: ٧٤ أو ٧٣ هـ»**، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان**». (٢).

٢- **حديث عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-«ت: ٢٣ هـ»** المشهور أن جبريل عليه السلام

(١) تفسير ابن كثير ٣/٢٣٩.

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان باب قوله صلى الله عليه وسلم بني الإسلام انظر: البخاري مع الفتح ١/٤٧ ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان أركان الإسلام ١/٤٥ رقم ١٦.

جاء وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان**». (١). الحديث.

٣- ومن الأحاديث المشهورة في الزكاة حديث معاذ حينما بعثه صلى الله عليه وسلم إلى اليمن وجاء فيه «**فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك، فإياك وكرائم أموالهم**». (٢). الحديث.

ثالثًا: الإجماع.

فقد أجمعت الأمة على وجوب الزكاة وفرضيتها وأن من جحدها كفر.

قال ابن قدامة: "وأجمع المسلمون في جميع الأعصار على وجوبها واتفق الصحابة رضي الله عنهم على قتال مانعيها"(٣).

رابعًا: الأدلة من المعقول.

وذلك من وجوه:

١- أن أداء الزكاة من باب إعانة الضعيف وإغاثة اللهيف وإقدار العاجز وتقويته على أداء ما

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان الإسلام والإيمان والإحسان ١/٣٦ رقم ٨.

(٢) رواه البخاري في كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة وباب لا تؤخذ كرائم أموال الناس، انظر: البخاري مع فتح الباري ٣/٢٦١، ٣٢٢ ومسلم في كتاب الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين ١/٥٠ رقم ٢٩.

(٣) انظر: المغني لابن قدامة ٤/٥ وانظر: الإجماع لابن المنذر ص١٣ والإفصاح لابن هبيرة ١/١٩٥ والمجموع للنووي ٥/٣٢٦ وبدائع الصنائع ٢/٣.

افترض الله عز وجل عليه من التوحيد والعبادات والوسيلة إلى أداء المفروض مفروض.

٢- أن الزكاة تطهر نفس المؤدي عن أنجاس الذنوب وتزكي أخلاقه بتخلق الجود والكرم وترك الشح والضن. (١) إذ الأنفس مجبولة على الضن بالمال، فتعود السماحة وترتاض لأداء الأمانات وإيصال الحقوق إلى مستحقيها.

٣- إن الله تعالى قد أنعم على الأغنياء وفضلهم بصنوف النعمة والأموال الفاضلة عن الحوائج الأصلية وخصهم بها فيتنعمون ويستمتعون بلذيذ العيش، وشكر النعمة فرض عقلا وشرعا وأداء الزكاة إلى الفقير من باب شكر النعمة فكان فرضا. (٢)

المسألة الثانية: حكم مانع الزكاة.

لا يخلو مانع الزكاة من حالين:

الحالة الأولى: المنكر لها أصلًا.

أن يكون منكرا لها أصلا غير معترف بها أنها ركن من أركان الإسلام فهذا لا يخلو من أحد أمرين:

الأمر الأول: إن كان جاهلا وممن يقبل منه الجهل كحديث عهد بالإسلام أو ممن نشأ بعيدا عن الأمصار فهذا معذور يعرف بحكمها.

قال ابن قدامة-رحمه الله-«ت: ٦٢٠ هـ»: "فمن أنكر وجوبها جهلا به، وكان ممن يجهل ذلك إما لحداثة عهده بالإسلام، أو لأنه نشأ ببادية نائية عن الأمصار، عرف وجوبها،

---

(١) الضنة والضن والمضنة كل ذلك من الإمساك والبخل. انظر: لسان العرب مادة: ضن ٢٦١/١٣.

(٢) بدائع الصنائع ٣/٢.

ولا يحكم بكفره؛ لأنه معذور"(١)

قال ابن عثيمين–رحمه الله–«ت: ١٤٢١ هـ»: "ف...لو جحد وجوبها جاهلا فإنه لا يكفر؛ لأن الجهل عذر بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين في الجملة، لكن هل تقبل دعوى الجهل من كل أحد؟ الجواب؛ لا، فإن من عاش بين المسلمين، وجحد الصلاة، أو الزكاة، أو الصوم، أو الحج، وقال: لا أعلم، فلا يقبل قوله؛ لأن هذا معلوم بالضرورة من دين الإسلام؛ إذ يعرفه العالم والعامي، لكن لو كان حديث عهد بالإسلام، أو كان ناشئا ببادية بعيدة عن القرى والمدن، فيقبل منه دعوى الجهل ولا يكفر، ولكن نعلمه فإذا أصر بعد التبيين حكمنا بكفره"(٢)

الأمر الثاني: إذا كان غير ذلك وكان غير مقر بوجوبها، فهو كافر بإجماع المسلمين، لإنكاره شيئا معلوما من الدين بالضرورة. وهو مرتد عن الإسلام وتجري عليه أحكام المرتدين ويستتاب، فإن تاب وإلا قتل لأن الزكاة معلومة من الدين بالضرورة ولا يخفى حكمها، وأدلة وجوبها ظاهرة من الكتاب، والسنة، والإجماع، والمعقول. (٣)

قال ابن عبد البر: "وأما من منعها جاحدا لها فهي ردة بإجماع"(٤)

قال النووي–رحمه الله–«ت: ٦٧٦ هـ»: "فإن من أنكر فرض الزكاة في هذه الأزمان؛ كان

---

(١) "المغني" «٢/٢٢٨».

(٢) «الشرح الممتع» «٦/١٩١».

(٣) انظر: المجموع ٥/ ٣٣٤ والمغني ٤/ ٦، وفتح الباري ٣/ ٢٦٢.

(٤) الاستذكار ٣/ ٢١٧.

كافرًا بإجماع المسلمين"(١)

قال الزرقاني –رحمه الله–«ت: ١١٢٢ هـ»: "ثم إن كان مقرا بها فمسلم، وإن جحدها فكافر إجماعا"(٢)

قال ابن قدامة –رحمه الله–«ت: ٦٢٠ هـ»: "فمن أنكر وجوبها ..... وكان مسلما ناشئا ببلاد الإسلام بين أهل العلم فهو مرتد، تجري عليه أحكام المرتدين ويستتاب ثلاثا، فإن تاب وإلا قتل؛ لأن أدلة وجوب الزكاة ظاهرة في الكتاب والسنة وإجماع الأمة، فلا تكاد تخفى على أحد ممن هذه حاله، فإذا جحدها لا يكون إلا لتكذيبه الكتاب والسنة، وكفره بهما"(٣)

قال ابن عثيمين –رحمه الله–«ت: ١٤٢١ هـ»: "يكفر إذا جحد الزكاة، وهو يعلم أنها واجبة؛ وذلك لأن وجوب الزكاة مما يعلم بالضرورة من دين الإسلام، فكل مسلم يعلم أن الزكاة واجبة"(٤)

الحالة الثانية: المقر بوجوبها ومعترف بأنها ركن من أركان الإسلام، ولكنه ممتنع عن أدائها لا يدفعها إلى مستحقيها ولا يخرجها بخلًا.

أولًا: حكمه:

المقر بوجوبها ومعترف بأنها ركن من أركان الإسلام، ولكنه ممتنع عن أدائها لا يدفعها إلى مستحقيها

(١) شرح النووي على مسلم «١/٢٠٥».

(٢) شرح الزرقاني على الموطأ «٢/ ١٨٦».

(٣) "المغني" «٢/٢٢٨».

(٤) «الشرح الممتع» «٦/١٩١».

ولا يخرجها بخلًا. وفيه ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه يكفر بترك الزكاة.

ولو كان التارك فرداً من المسلمين، فلو أن شخصاً واحداً وجبت عليه زكاة ماله فترك الزكاة، ولم يؤد من ماله زكاة إلى أن توفي؛ فإنهم يجعلون تركه للزكاة وهجره لها كفراً مخرجاً من الملة، فيوافي ربه بالكفر على هذا الافتراض، ومن هنا يمكن أن يقام عليه حد الكفر إذا حقق عليه قضاءً إلى غير ذلك.

وقد ورد عن بعض السلف تكفير تارك الزكاة كما ذكر ذلك **ابن حزم–رحمه الله–«ت: ٤٥٦ هـ»، عن ابن عباس–رضي الله عنهما–«ت: ٦٨ هـ»**، (١). **وذكره ابن جرير–رحمه الله–«ت: ٣١٠ هـ» عن ابن مسعود–رضي الله عنه–«ت: ٣٢ هـ»**، أنه قال: "من لم يزك فلا صلاة له"(٢).

وروى **عبد الله–رحمه الله–«ت: ٢٩٠ هـ»** في السنة **عن ابن مسعود–رضي الله عنه–«ت: ٣٢ هـ»**، أيضاً: "ما تارك الزكاة بمسلم"(٣).

وهذا المذهب نسب إلى ابن عباس، وإن كان لم ينضبط صحةً عنه، ونسب إلى سعيد بن جبير

---

(١) الفصل لابن حزم ٣/ ١٢٨. قال ابن حزم: "إلا أن بين السلف منهم والخلف اختلافا في تارك الصلاة عمدا حتى يخرج وقتها، وتارك الصوم لو مضى كذلك، وتارك الزكاة، وتارك الحج كذلك، وفي قاتل المسلم عمدا وفي شارب الخمر وفيمن سب نبيا من الأنبياء عليهم السلام وفيمن رد حديثا قد صح عنده عن النبي صلى الله عليه وسلم، فروينا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعاذ بن جبل وابن مسعود وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم وعن ابن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق ابن راهوية رحمة الله عليهم وعن تمام سبعة عشر رجلا من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أن من ترك صلاة فرض عامدا ذاكرا حتى يخرج وقتها فإنه كافر مرتد وبهذا يقول عبد الله بن الماجشون صاحب مالك وبه يقول عبد الملك بن حبيب الأندلسي وغيره وروينا عن عمر رضي الله عنه مثل ذلك في تارك الحج وعن ابن عباس وغيره مثل ذلك في تارك الزكاة والصيام، وفي قاتل المسلم عمدا وعن أبي موسى الأشعري وعبد الله بن عمرو بن العاص في شارب الخمر وعن اسحق بن راهوية أن من رد صحيحا عنده عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد كفر". الفصل لابن حزم ٣/ ١٢٨

(٢) تفسير ابن جرير ١٤ / ١٥٣، تحقيق محمود شاكر. السنة لعبد الله ٣٧٣/١ «٨١٣» ولفظه: "من أقام الصلاة ولم يؤد الزكاة فلا صلاة له".

(٣) السنة لعبد الله ١/ ٣٧٢ «٨١٢».

وبعض كبار فقهاء الحجاز؛ ولهم دلائل على ذلك ليس هذا موضع تفصيلها، لكن أخص ما يستدلون به أن الله ذكر الصلاة والزكاة في القرآن على الاقتران، وهذا وجه ليس بلازم"(١)

وهو رواية عن الإمام أحمد. (٢)

قال الإمام أحمد بن حنبل-رحمه الله-«ت: ٢٤١ هـ»: "من ترك الزكاة ليس بمسلم، هكذا قال ابن مسعود؛ ما تارك الزكاة بمسلم.

وقد قاتل أبو بكر أهل الردة على ترك الزكاة، وقال: لو منعوني عقالا مما أدوا إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قاتلتهم"(٣)

وعن الأثرم-رحمه الله-«ت: ٢٩٦ هـ»، قال: قيل لأبي عبد الله؟ فتارك الزكاة؟ قال: "قد جاء عن النبي، صلى الله عليه وسلم، ما تارك الزكاة بمسلم"(٤)

قال أبو طالب-رحمه الله-«ت: ٢٤٤ هـ»، قال: سألت أبا عبد الله عمن قال: الصلاة فرض ولا أصلي؟ قال: يستتاب ثلاثة أيام؛ فإن تاب وصلى، وإلا ضربت عنقه.

قلت: فرجل قال: الزكاة علي، ولا أزكي؟

يقال له: مرتين أو ثلاث: زك، فإن لم يزك يستتاب ثلاثة أيام؛ فإن تاب، وإلا ضربت عنقه.

قلت لأحمد: إن أبا خالد الخطابي روى عنك أنك قلت في الزكاة: يضرب عنقه على المكان، ولا يستتاب.

قال: لم يحفظ يستتاب ثلاثة أيام"(٥)

---

(١) شرح كتاب الإيمان ليوسف الغفيص ٣/ ١٠.

(٢) مجموع الفتاوى «٧/ ٣٠٣».

(٣) كتاب أحكام أهل الملل والردة من الجامع للخلال ص: ٤٨٨.

(٤) كتاب أحكام أهل الملل والردة من الجامع للخلال ص: ٤٨٨.

(٥) كتاب أحكام أهل الملل والردة من الجامع للخلال ص: ٤٨٨-٤٨٩.

القول الثاني: أنه لا يكفر بترك الزكاة إلا إذا قاتل الامام عليها.

وهو رواية عن **الإمام أحمد بن حنبل**-رحمه الله-«**ت: ٢٤١ هـ**». (١)..

عن الميموني-رحمه الله-«**ت: ٢٧٤ هـ**»، قال: قلت: يا أبا عبد الله، من منع الزكاة يقاتل؟

قال: "قد قاتلهم أبو بكر، رضي الله عنه".

قلت: فيورث ويصلى عليه؟

قال: "إذا منعوا الزكاة كما منعوا أبا بكر، وقاتلوا عليها لم يورث، ولم يصل عليه. فإذا كان الرجل يمنع الزكاة، يعني: من بخل، أو تهاون، لم يقاتل، ولم يحارب على المنع، ويورث ويصلى عليه حتى يكون يدفع عنها بالخروج، والقتال كما فعل أولئك بأبي بكر، فيكون حينئذ يحارب على منعها، ولا يورث، ولا يصلى. . ..." (٢)

والدليل على تكفير أبي بكر الصديق لمانعي الزكاة هو قوله-رضي الله عنه-: "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة"، إذ قد استقر إجماع الصحابة على الحكم بكفر تارك الصلاة، ثم إنهم سووا بين تاركها وبين الممتنع عن الزكاة، فدلت التسوية على أن مانعي الزكاة كفار، وسووا بينهم تسوية مطلقة في الحكم والعقوبة – باستثناء تكفير مانع الزكاة المقدور عليه كما سيأتي –

وقد ثبت في الصحيح أن الصديق-رضي الله عنه-«ت: ١٣ هـ»، قد اشترط على وفد التائبين

---

(١) مجموع الفتاوى «٧/ ٣٠٣». وقال الشيخ يوسف الغفيص: "وهذه هي الرواية الراجحة في مذهب الإمام أحمد-رحمه الله-وهو الصحيح". شرح كتاب الإيمان ليوسف الغفيص ٣/ ١٠.

(٢) كتاب أحكام أهل الملل والردة من الجامع للخلال ص: ٤٨٨.

منهم أن يشهدوا أن قتلاهم في النار: "ويكون قتلاكم في النار" (١)، وقد قال قبلها: "ونغنم ما أصبنا منكم"(٢)

كما دل على التكفير قول **أبو هريرة-رضي الله عنه-«ت: ٥٧ هـ»**: "وكفر من كفر من العرب"(٣)

وهو اختيار البخاري الذي ذكره في ترجمة الباب: "باب قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة"(٤).

ومن نقل إجماع الصحابة على تكفير مانعي الزكاة: **الإمام أبو عُبيد القاسم بن سلاّم-رحمه الله-«ت ٢٢٤هـ»**: "والمصدق لهذا جهاد أبي بكر الصديق-رضي الله عنه-بالمهاجرين والأنصار على منع العرب الزكاة، كجهاد رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أهل الشرك سواء، لا فرق بينهما في سفك الدماء وسبي الذرية واغتنام المال، فإنما كانوا مانعين لها غير جاحدين بها"(٥).

وقد نقل إجماع الصحابة رضي الله عنهم على تكفير مانعي الزكاة؛ القاضي أبو يعلى رحمه الله في مسائل الإيمان بقوله: "وأيضا فإنه إجماع الصحابة وذلك أنهم نسبوا الكفر إلى مانعي الزكاة وقاتلوهم وحكموا عليهم بالردة"(٦)

وكذا قاله **القاضي أبو بكر الجصاص-رحمه الله- «ت ٣٧٠هـ»**، عند تفسيره لقوله عز

(١) [فتح الباري: ١٣/ ٢١٠].

(٢) [فتح الباري: ١٣/ ٢١٠].

(٣) أخرجه البخارى «٧٢٨٤، ٧٢٨٥» ونصه: "عن أبي هريرة قال لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر لأبي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ :"أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله فقال والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه فقال عمر فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق".

(٤) انظر: فتح الباري: ١٢/ ٢٧٥.

(٥) الإيمان «ص١٧».

(٦) الإيمان للقاضي أبي يعلى ص: ٢٧٢.

وجل: ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم**﴾: "وفي هذه الآية دلالة على أن من رد شيئا من أوامر الله تعالى أو أوامر رسوله صلى الله عليه وسلم فهو خارج من الإسلام سواء رده من جهة الشك فيه أو من جهة ترك القبول والامتناع من التسليم وذلك يوجب صحة ما ذهب إليه الصحابة في حكمهم بارتداد من امتنع من أداء الزكاة وقتلهم وسبي ذراريهم لأن الله تعالى حكم بأن من لم يسلم للنبي صلى الله عليه وسلم قضاءه وحكمه فليس من أهل الإيمان فإن قيل إذا كانت طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة الله تعالى فهلا كان أمر الرسول أمر الله تعالى قيل له إنما كانت طاعته طاعة الله بموافقتها إرادة كل واحد منهما أوامره وأما الأمر فهو قول القائل افعل ولا يجوز أن يكون أمرا وأحد الآمرين كما لا يكون فيه قول واحد من قائلين ولا فعل واحد من فاعلين"(١)

قال أبو بكر الجصاص–رحمه الله– «ت ٣٧٠هـ»: "[مطلب: فيما فعله أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالذين امتنعوا من أداء الزكاة].

وقد كانت الصحابة سبت ذراري مانعي الزكاة، وقتلت مقاتلتهم، وسموهم أهل الردة لأنهم امتنعوا من التزام الزكاة وقبول وجوبها فكانوا مرتدين بذلك؛ لأن من كفر بآية من القرآن فقد كفر به كله، وعلى ذلك أجرى حكمهم أبو بكر الصديق مع سائر الصحابة حين قاتلوهم. ويدل على أنهم مرتدون بامتناعهم من قبول فرض الزكاة ما روى معمر عن **الزهري–رحمه الله–«ت: ١٢٣ أو ١٢٤ هـ»** عن أنس قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارتدت العرب كافة فقال عمر يا أبا بكر أتريد أن تقاتل العرب كافة؟ فقال أبو بكر إنما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «**إذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة منعوني دماءهم وأموالهم**»؛ "والله لو منعوني عقالا مما كانوا يعطون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقاتلتهم عليه".

وروى **مبارك بن فضالة–رحمه الله–«ت: ١٦٤ هـ»، عن الحسن–رحمه الله–«ت:**

(١) أحكام القرآن للجصاص ٤/ ١٨١.

١١٠ هـ» قال ما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارتدت العرب عن الإسلام إلا أهل المدينة فنصب أبو بكر لهم الحرب فقالوا: فإذا تشهد أن لا إله إلا الله ونصلي ولا نزكي؛ فمشى عمر والبدريون إلى أبي بكر وقالوا دعهم فإنهم إذا استقر الإسلام في قلوبهم وثبت أدوا. فقال: "والله لو منعوني عقالًا مما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقتالتهم عليه، وقاتل رسول الله–صلى الله عليه وآله وسلم–على ثلاث شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وقال الله تعالى: ﴿**فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم**﴾، والله لا أسئل فوقهن ولا أقصر دونهن". فقالوا له: يا أبا بكر نحن نزكي ولا ندفعها إليك. فقال: "لا والله حتى آخذها كما أخذها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأضعها مواضعها". وروى حماد بن زيد–رحمه الله–«ت: ١٧٩ هـ»، **عن أيوب–رحمه الله–«ت: ١٣١ هـ»، عن محمد بن سيرين–رحمه الله–«ت: ١١٠ هـ»** مثله.

وروى الزهري–رحمه الله–«ت: ١٢٣ أو ١٢٤ هـ» **عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة–رحمه الله–«ت: ٩٨ هـ» عن أبي هريرة–رضي الله عنه–«ت: ٥٧ هـ» قال** لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستخلف أبو بكر وارتد من ارتد من العرب بعث أبو بكر لقتال من ارتد عن الإسلام فقال له عمر يا أبا بكر ألم تسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**»، فقال: "لو منعوني عقالا مما كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقاتلتهم عليه".

فأخبر جميع هؤلاء الرواة أن الذين ارتدوا من العرب إنما كان ردتهم من جهة امتناعهم من أداء الزكاة وذلك قال أبو عبيد القاسم بن سلام–رحمه الله–«ت ٢٢٤هـ»، لما ذكر قضية الإقرار بالزكاة والامتناع عن أدائها وحكم عليهم بالكفر قال: "والمصدق لهذا جهاد أبي بكر–رضي الله عنه–بالمهاجرين والأنصار على منع بعض العرب للزكاة، كجهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الشرك سواء، لا فرق بينهما في سفك الدماء وسبي الذرية واغتنام الأموال،

فإنما كانوا لها غير جاحدين بها"(١)

قال أبو يعلى الفراء–رحمه الله–«ت: ٤٥٨ هـ»: "وأيضاً فإنه إجماع الصحابة، وذلك أنهم نسبوا الكفر إلى مانع الزكاة، وقاتلوه وحكموا عليه بالردة، ولم يفعلوا مثل ذلك بمن ظهرت منه الكبائر، ولو كان الجميع كفاراً لسَوّوا بين الجميع"(٢)

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "وإذا كان السلف قد سموا مانعي الزكاة مرتدين، مع كونهم يصومون ويصلون ولم يقاتلوا جماعة المسلمين ... "(٣)

وقال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "وتارك الصلاة والزكاة إذا قتل عند أحمد؛ فهو عنده من قسم المرتدين، لأنه بالإسلام ملتزم لهذه الأفعال، فإن لم يفعلها فقد ترك ما التزمه، أو لأنها عنده من الغاية التي يمتد القتال إليها كالشهادتين، فإنه لو تكلم بأحدهما وترك الأخرى لقتل"(٤)

وقال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "وقد اتفق الصحابة والأئمة بعدهم على قتال مانعي الزكاة، وإن كانوا يصلون الخمس، ويصومون شهر رمضان، وهؤلاء لم يكن لهم شبهة سائغة فلهذا كانوا مرتدين، وهم يُقاتلون على منعها وإن أقروا بالوجوب كما أمر الله"(٥)

وقال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ» "وإذا كان السلف قد سمّوا مانعي الزكاة مرتدين مع كونهم يصومون ويصلون ولم يكونوا يقاتلون جماعة المسلمين، فكيف بمن صار مع أعداء الله ورسوله قاتلًا للمسلمين"(٦)

وقال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب–رحمه الله–«ت: ١٢٤٢هـ»: "وقال الشيخ **ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»** في آخر كلامه على كفر مانعي الزكاة: والصحابة لم

(١) كتاب الإيمان، أبو عبيد القاسم سلام «١٧».

(٢) مسائل الإيمان، أبو يعلى «٣٣٠».

(٣) مجموع الفتاوى: ٢٨/ ٥٣١.

(٤) مجموع الفتاوى: ٢٠/ ١٠٢ – ١٠٣.

(٥) «مجموع الفتاوي» ٢٨/ ٥١٩.

(٦) «مجموع الفتاوي» ٢٨/ ٥٣١.

يقولوا هل أنت مُقر بوجوبها أو جاحد لها، هذا لم يُعهد عن الصحابة بحال، بل قال الصدّيق لعمر رضي الله عنهما: "والله لو منعوني عَنَاقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها"، فجعل المبيح للقتال مجرد المنع لاجحد وجوبها، وقد روي أن طوائف منهم كانوا يقرون بالوجوب لكن بخلوا بها، ومع هذا فسيرة الخلفاء فيهم سيرة واحدة وهي قتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم والشهادة على قتلاهم بالنار، وسمّوهم جميعهم أهل الردّة"(١)

وهو ما ذهب إليه **المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم**–رحمه الله–«**ت: ١٣٨٩ هـ**»، عندما سئل "هل قتال مانعي الزكاة هل هو ردة؟

فأجاب: "الصحيح أنه ردة، لأن الصديق لم يفرق بينهم ولا الصحابة ولا من بعدهم. وفيه قول مرجوع أنه تأديب"(٢)

الاعتراضات التي ذكرت على هذا القول والإجابة عليها.

الاعتراض الأول: قول **أبي سليمان الخطابي**–رحمه الله–«**ت: ٣٨٨هـ**» في كتابه «معالم السنن» "ومما يجب تقديمه في هذا أن يعلم أن أهل الردة كانوا صنفين

١–صنف منهم ارتدوا عن الدين ونابذوا الملة وعادوا إلى الكفر وهم الذين عناهم أبو هريرة بقوله وكفر من كفر من العرب وهذه الفرقة طائفتان

إحداهما: أصحاب مسيلمة من بني حنيفة وغيرهم الذين صدقوه على دعواه في النبوة وأصحاب الأسود العنسي ومن كان من مستجيبيه من أهل اليمن وغيرهم وهذه الفرقة بأسرها منكرة لنبوة

---

(١) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جـ ٨ ص ١٣١».

(٢) [فتاوى ورسائل الشيخ: ٦/ ٢٠٢].

للاستزادة انظر: النبوات لابن تيمية «ص:١٤٠»، منهاج السنة «٢١٧/٧» «٣٤٨/٦» «٤٩٤/٤» «٣٢٤/٨–٣٢٧»، مجموع الفتاوى لابن تيمية «٥٥٦/٢٨–٥٣٠»، الفتاوى الكبرى «٤/ ٢٥٩»، مصباح الظلام للشيخ: عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن «٣٥٩» [وهنا نقل عن ابن تيمية في هذه المسألة هو أصرح ما نقل عنه في تكفير مانعي الزكاة]، الدرر السنية «٤٠/١٠–١٠٤–١٧٨–١٨٠–٣١١».

محمد صلى الله عليه وسلم مدعية النبوة لغيره فقاتلهم أبو بكر رضي الله عنه حتى قتل الله مسيلمة باليمامة والعنسي بصنعاء وانفضت جموعهم وهلك أكثرهم،

والطائفة الأخرى: ارتدوا عن الدين وأنكروا الشرائع وتركوا الصلاة والزكاة إلى غيرهما من جماع أمرالدين وعادوا إلى ما كانوا عليه في الجاهلية.....

٢-والصنف الاخر هم الدين فرقوا بين الصلاه والزكاة فأقروا بالصلاة وأنكروا فرض الزكاة ووجوب آدائها إلى الإمام وهؤلاء على الحقيقة أهل بغي وإنما لم يدعوا بهذا الاسم في ذلك الزمان خصوصا لدخولهم في غمار أهل الردة فأضيف الاسم في الجملة إلى الردة إذ كانت أعظم الأمرين وأهمهما"[١]. إلى أن قال: " فأما مانعو الزكاة منهم المقيمون على أصل الدين فإنهم أهل بغي ولم يسموا على الانفراد عنهم كفارا وإن كانب الردة قد أضيفت إليهم لمشاركتهم المرتدين في منع بعض ما منعوه من حقوق الدين، وذلك أن الردة اسم لغوي وكل من انصرف عن أمر كان مقبلا إليه فقد ارتد عنه، وقد وجد من هؤلاء القوم الانصراف عن الطاعة ومنع الحق فانقطع عنهم اسم الثناء والمدح بالدين وعلق بهم الاسم القبيح لمشاركتهم القوم الذين كان ارتدادهم حقا ولزوم الاسم إياهم صدقا"[٢]

وهذا القول تتابع على نقله جمع من الشراح المتأخرين كالنووي في شرحه على مسلم [٣]، **والبغوي-رحمه الله-«ت: ٥١٦ هـ»** في معالم السنن [٤]، **وابن حجر-رحمه الله-«ت: ٨٥٢ هـ»** في الفتح، وغيرهم.

وقال ابن حجر-رحمه الله-«ت: ٨٥٢ هـ» في شرح حديث أبي هريرة السابق "وإنما أطلق الكفر في أول القصة ليشمل الصنفين: فهو في حق من جحد حقيقة، وفي حق الآخرين مجاز

---

(١) معالم السنن للخطابي ٢/ ٣-٤.

(٢) معالم السنن للخطابي ٢/ ٦.

(٣) شرح مسلم للنووي، «١/٢٠٢».

(٤) معالم السنن ٢/ ٦.

تغليبًا"(١)

يقول الإمام ابن قدامة–رحمه الله–«ت: ٦٢٠ هـ» راداً على من استدل بقول أبي بكر: "وقتلاكم في النار"، على تكفير مانعي الزكاة: "ويحتمل أن أبا بكر قال ذلك لأنهم ارتكبوا كبائر، وماتوا من غير توبة، فحكم لهم بالنار ظاهراً، كما حكم لقتلى المجاهدين بالجنة ظاهراً، والأمر إلى الله تعالى في الجميع، ولم يحكم عليهم بالتخليد، ولا يلزم من الحكم بالنار الحكم بالتخليد، فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن قوماً من أمته يدخلون النار، ثم يخرجهم الله تعالى منها ويدخلهم الجنة"(٢)

والجواب على هذا الاعتراض:

يقول ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "واعلم أن طائفة من الفقهاء من أصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد جعلوا قتال مانعي الزكاة وقتال الخوارج جميعاً من قتال البغاة، وجعلوا قتال الجمل وصِفِّين من هذا الباب. وهذا القول خطأ مخالف لقول الأئمة الكبار، وهو خلاف نص مالك وأحمد وأبي حنيفة وغيرهم من أئمة السلف، ومخالف للسنة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأما القتال بالجمل وصفِّين فهو قتال فتنة وليس فيه أمر من الله ورسوله ولا إجماع من الصحابة، وأما قتال مانعي الزكاة إذا كانوا ممتنعين عن أدائها بالكلية أو عن الإقرار بها فهو أعظم من قتال الخوارج ... فيجب الفرق بين قتال المرتدين وقتال الخوارج المارقين" "فإن الصديق إنما قاتلهم على طاعة الله ورسوله، لا على طاعته. فإن الزكاة فرض عليهم فقاتلهم على الإقرار بها وعلى أدائها"(٣)

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "وقد اتفق الصحابة والأئمة بعدهم على قتال مانعي الزكاة؛ وإن كانوا يصلون الخمس ويصومون شهر رمضان، وهؤلاء لم يكن لهم شبهة

---

(١) «فتح الباري» ١٢/ ٢٧٧.

(٢) المغني ٤/٩.

(٣) منهاج السنة النبوية «٤/ ٥٠٠».

سائغة، فلهذا كانوا مرتدين، وهم يقاتلون على منعها وإن أقروا بالوجوب"(١)

ولا يُعرف قط أن المسلمين قط قد طبقوا أحكام البغاة هذه قبل الفتنة الكبرى بعد مقتل عثمان–رضي الله عنه. بل من السلف من نقل الإجماع على أن قتال أبي بكر للمرتدين كان من جنس قتال الكفار، لا من جنس قتال البغاة.

فالصحابة ما ساروا في قتال مانعي الزكاة سيرة تختلف عن سيرتهم في قتال سائر المرتدين، كقوم مسيلمة الكذاب وغيرهم. فدَلّ على أنهم لم يفرقوا بينهم، بخلاف ما صنع عَلِيّ بن أبي طالب في قتاله للبغاة في وقعة الجمل وصفين. إذ أخبر جيشه بأن لا يجهزوا على جريح وألا يتبعوا مُدْبراً. (٢)

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "وقد تواتر عن عَلِيّ يوم الجمل لما قاتلهم أنه لم يتبع مدبرهم ولم يُجهز على جريحهم ولم يغنم لهم مالاً ولا سبى لهم ذرية». (٣)

الاعتراض الثاني:

وذهب فريق إلى أن الصحابة كفروهم لأنهم جحدوا الزكاة، نقله ابن حجر عن القاضي عياض. (٤)

قال ابن مفلح–رحمه الله–«ت: ٧٦٣ هـ» في كلامه على مانعي الزكاة: "ولأن أبا بكر لما قاتلهم قالوا نؤديها، قال: لا أقبلها حتى تشهدوا أن قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار، ولم ينقل عن أحد من الصحابة إنكاره، فدل على كفرهم ...؟ وجوابه: بأنه يحتمل أنهم جحدوا وجوبها، ويحتمل غير ذلك، فلا يجوز الحكم به في محل النزاع، ولا يلزم من الحكم بالنار الحكم بالكفر

(١) الفتاوى الكبرى «٤/ ٣٣٨».

(٢) نيل الأوطار «٧/ ٣٥٣».

(٣) منهاج السنة «٤/ ٤٩٦».

(٤) فتح الباري، «١٢/ ٢٧٦».

بدليل العصاة من هذه الأمة"(١)

قال البهوتي–رحمه الله–«ت: ١٠٥١ هـ» في ذلك أيضاً: "وما روي عن الصديق أنه لما قاتل مانعي الزكاة وعضتهم الحرب قالوا نؤديها، قال لا أقبلها حتى تشهدوا أن قتلانا في الجنة وأن قتلاكم في النار، يحتمل أنه فيمن منعها جحودا ولحق بأهل الردة منهم، فقد كان فيهم طائفة كذلك على أنه لا يلزم من الحكم بالنار الحكم بالكفر بدليل العصاة من هذه الأمة"(٢)

والجواب على هذا الاعتراض:

لم يثبت عن الصحابة أنهم تكلموا في مسألة الجحد أو الإقرار بالوجوب في حق مانعي الزكاة وتعليق الحكم عليهم بذلك.

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "وإذا ذكروا نزاع المتأخرين لم يكن بمجرد ذلك أن يجعل هذه من مسائل الاجتهاد التي يكون كل قول من تلك الأقوال سائغا لم يخالف إجماعا؛ لأن كثيرا من أصول المتأخرين محدث مبتدع في الإسلام مسبوق بإجماع السلف على خلافه، والنزاع الحادث بعد إجماع السلف خطأ قطعا، كخلاف الخوارج والرافضة والقدرية والمرجئة ممن قد اشتهرت لهم أقوال خالفوا فيها النصوص المستفيضة المعلومة وإجماع الصحابة"(٣)

وبهذا تعلم أن اختلاف المتأخرين في تكفير مانع الزكاة –بعد إجماع الصحابة عليه–لااعتبار له، وهو كاختلاف المتأخرين في تكفير تارك الصلاة بعد إجماع الصحابة على تكفيره.

الاعتراض الثالث:

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن عمر لم يوافق أبابكر في تكفير مانعي الزكاة بدليل أنه رَدّ السَّبْي

(١) المبدع ٢ / ٤٠٢.

(٢) كشاف القناع ٢/٢٥٨.

(٣) مجموع الفتاوى «١٣/ ٢٦».

إليهم في خلافته. (١)

والجواب على هذا الاعتراض:

هذا خطأ، فإن رَدّ السبي لا يدل على مخالفة عمر لأبي بكر في تكفير مانعي الزكاة، بدليل أنه رَدّ سبي غيرهم من المرتدين كقوم مسيلمة الكذاب وطليحة الأسدي، فهل خالف عمر في كُفْر هؤلاء؟، بل الصواب في هذا ماذكره **ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»** في «منهاج السنة» أن عمر ردّ السبي لسائر المرتدين من العرب بسبب توبتهم ورجوعهم إلى الإسلام.

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "وأهل الردة كان قد اتفق أبو بكر وعمر وسائر الصحابة على أنهم لا يُمَكَّنون من ركوب الخيل ولا حمل السلاح، بل يُترَكون يتبعون أذناب البقر، حتى يُري الله خليفة رسوله والمؤمنين حُسن إسلامهم. فلما تبيّن لعمر حُسن إسلامهم ردّ ذلك إليهم، لأنه جائز"(٢)

ونقل **ابن جرير الطبري–رحمه الله–«ت: ٣١٠ هـ»** أن عمر ردّ السبي في خلافته لتعظيم أمر العرب، فقال "فلما وَلِيَ عمر رحمه الله قال: إنه ليقبح بالعرب أن يملك بعضهم بعضاً، وقد وسَّع الله وفتح الأعاجم. واستشار في فداء سبايا العرب في الجاهلية والإسلام إلا امرأة ولدت لسيدها، وجعل فِداءِ كل إنسان سبعة أبعرة وستة أبعرة، إلا حَنِيفة كِنْدة فإنه خفّف عنهم لقتل رجالهم، ومَنْ لايقدر على فِداء لقيامهم وأهل دَبَا، فتتبعت رجالُهم نساءَهم بكل مكان"(٣)

وكما ترى فقد ردّ عمر جميع السبي للمرتدين التائبين وحتى سَبْي الجاهلية بين العرب قبل الإسلام. فلا دلالة في هذا على أنه خالف أبابكر في تكفير مانعي الزكاة، بل قد ذكر ابن تيمية أنهم لم يَسْبوا امرأة لمانعي الزكاة وإنما سَبَوا غيرهم من المرتدين. (٤)

---

(١) «ذكره ابن حجر في الفتح، ١٢/ ٢٨٠».

(٢) «منهاج السنة» ٦/ ٣٤٩.

(٣) «تاريخ الطبري» ٢/ ٣٠٤–٣٠٥.

(٤) «منهاج السنة»٦/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩.

القول الثالث: أنه ليس بكافر في قول جماهير أهل العلم. (١)

واستدلوا بما ورد في السنة **عن أبي هريرة–رضي الله عنه–«ت: ٥٧ هـ»** قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة، صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد؛ فيرى سبيله؛ إما إلى الجنة، وإما إلى النار...**». (٢)

قال المروزي–رحمه الله–«ت: ٢٩٤ هـ» بعد ذكر الحديث: "فدل ما ذكرنا أن مانع الزكاة ليس بكافر، ولا مشرك؛ إذ أطمعه في دخول الجنة؛ لقوله تعالى: ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾ [النساء: الآية: ٤٨]، ودل ذلك أيضا أنه مؤمن إذ أطمعه في دخول الجنة؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**لا يدخل الجنة إلا مؤمن**». (٣)

ثانيًا: عقوبته.

مسألة: أخذ الزكاة من مانعها قهرا.

نقل الإجماع على أخذ الزكاة من مانعها قهرا:

قال ابن بطال–رحمه الله–«ت: ٤٤٩ هـ»: "أجمع العلماء على أن مانع الزكاة تؤخذ من ماله قهرا"(٤)

قال ابن عبد البر–رحمه الله–«ت: ٤٦٣ هـ»: "لا خلاف بين العلماء أن للإمام المطالبة

(١) انظر: «البناية شرح الهداية» للعيني «٢٩١/٣»، «درر الحكام» للملا خسرو «١٧٨/١». «حاشية الدسوقي» «١٩١/١»، وينظر: «شرح الزرقاني على الموطأ» «١٨٦/٢». «المجموع» للنووي «٣٣٤/٥»، وينظر: «كفاية الأخيار» للحصني «ص: ١٦٨». «كشاف القناع» للبهوتي «٢٥٨/٢»، وينظر: «المغني» لابن قدامة «٤٢٨/٢».

(٢) رواه مسلم «٩٨٧».

(٣) «تعظيم قدر الصلاة» «١٠١٢/٢»، وينظر: «الشرح الممتع» لابن عثيمين «٢٩/٢».

(٤) «شرح صحيح البخاري لابن بطال» «٣٩١/٣».

بالزكاة، وأن من أقر بوجوبها عليه، أو قامت عليه بها بينة كان للإمام أخذها منه"(١)

قال ابن حزم–رحمه الله–«ت: ٤٥٦ هـ»: "وحكم مانع الزكاة إنما هو أن تؤخذ منه أحب أم كره، فإن مانع دونها فهو محارب، فإن كذب بها فهو مرتد، فإن غيبها ولم يمانع دونها فهو آت منكرا، فواجب تأديبه أو ضربه حتى يحضرها أو يموت قتيل الله تعالى، إلى لعنة الله"(٢)

قال ابن قدامة–رحمه الله–«ت: ٦٢٠ هـ»: "للإمام ولاية في أخذها؛ ولذلك يأخذها من الممتنع اتفاقا ولو لم يجزئه لما أخذها"(٣).

قال النووي–رحمه الله–«ت: ٦٧٦ هـ»: "قوله صلى الله عليه وسلم في الرواية الأخيرة: «**فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة تؤخذ من أموالهم**» قد يستدل بلفظة «**من أموالهم**»، على أنه إذا امتنع من الزكاة أخذت من ماله بغير اختياره، وهذا الحكم لا خلاف فيه، ولكن هل تبرأ ذمته ويجزيه ذلك في الباطن؟ فيه وجهان لأصحابنا"(٤)

قال الصنعاني–رحمه الله–«ت: ١١٨٢ هـ»: "يأخذ الإمام الزكاة قهرا ممن منعها، والظاهر أنه مجمع عليه"(٥)

فهذا يأخذها منه الإمام أو نائبه بالقوة، فإن امتنع عن دفعها قاتله على ذلك (٦) كما فعل الصديق رضي الله عنه حيث قال: "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقا (٧) كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على

(١) «الاستذكار» «٣/٢١٧».

(٢) المحلى لابن حزم ١٢/ ٢٩٠ المسألة: «٢٢٦١».

(٣) «المغني» «٢/٤٧٨».

(٤) «شرح النووي على مسلم» «١/٢٠٠».

(٥) «سبل السلام» «١/٥٢١».

(٦) انظر: الحاوي ٣/٧٣ والمغني لابن قدامة ٨/ ٤.

(٧) هي الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم له سنة. انظر: النهاية ٣/ ٣١١.

منعها". **قال عمر–رضي الله عنه–«ت: ٢٣ هـ»**: "فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه فعرفت أنه الحق"(١)

قال ابن قدامة–رحمه الله–«ت: ٦٢٠ هـ»: واتفق الصحابة رضي الله عنهم على قتال مانعيها. (٢)

وقال الماوردي–رحمه الله–«ت: ٤٥٠ هـ»: فأجمعت الصحابة معه على وجوبها بعد مخالفتهم له وأطاعوه على قتال مانعيها بعد إنكارهم عليه. (٣)

المسألة الثالث: هل يعاقب مانع الزكاة بأخذ زيادة على الواجب؟

اختلف أهل العلم في عقوبة مانع الزكاة؛ بأخذ زيادة على الواجب منه أو لا، وذلك على قولين:

القول الأول: يؤخذ من مانع الزكاة الواجب فقط، وهذا باتفاق المذاهب الفقهية الأربعة: الحنفية (٤)، والمالكية (٥)، والشافعية (٦)، والحنابلة (٧)، وهو قول أكثر أهل العلم. (٨)

وذلك للآتي:

---

(١) رواه البخاري في كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة، انظر: البخاري مع فتح الباري ٣/٢٦٢.

(٢) المغني ٤/٥، والكافي ١/ ٢٧٧.

(٣) الحاوي ٣/ ٧٣.

(٤) «البناية شرح الهداية» للعيني «٣/٢٩١»، وينظر: «شرح معاني الآثار» للطحاوي «٤/٢٠».

(٥) «شرح الزرقاني على مختصر خليل» و«حاشية البناني» «٨/ ٢٠١»، وينظر: «البيان والتحصيل» لابن رشد الحفيد «٩/٣٢٠»، «الذخيرة» للقرافي «٣/١٣٥».

(٦) «المجموع» للنووي «٥/٣٣١»، «روضة الطالبين» للنووي «٢/٢٠٨».

(٧) «الفروع» لابن مفلح «٤/٢٤٦»، «كشاف القناع» للبهوتي «٢/٢٥٧».

(٨) قال ابن قدامة: «إن منعها معتقدا وجوبها، وقدر الإمام على أخذها منه، أخذها وعزره، ولم يأخذ زيادة عليها، في قول أكثر أهل العلم؛ منهم أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأصحابهم». «المغني» «٢/٤٢٨».

أولا: أن الزكاة منعت في زمن **أبي بكر** -رضي الله عنه- «**ت: ١٣ هـ**» بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولم ينقل أن أحدا أخذ زيادة على الواجب، أو قال بذلك، مع توفر الصحابة رضي الله عنهم. (١)

ثانيا: أن الزكاة عبادة، فلا يجب بالامتناع منها أخذ شطر ماله، كسائر العبادات. (٢)

ثالثا: أنه لا يزاد على أخذ الحقوق من الظالم كسائر الحقوق. (٣)

القول الثاني: أن الزكاة تؤخذ منه، ويعزر بأخذ شطر ماله (٤)، وهو قول الشافعي في القديم (٥)، وهو قول للحنابلة (٦)، وبه قال الأوزاعي وإسحاق بن راهويه (٧)، واختاره ابن القيم

---

(١) «المغني» لابن قدامة «٢/٤٢٨».

(٢) «المجموع» للنووي «٥/٣٣٢».

(٣) «كشاف القناع» للبهوتي «٢/٢٥٧».

(٤) هناك اختلاف؛ هل يعزر بأخذ شطر ماله كله، أو بشطر المال الذي منع زكاته؟

(٥) «المجموع» للنووي «٥/٣٣١»، «روضة الطالبين» للنووي «٢/٢٠٨».

(٦) «المغني» لابن قدامة «٢/٤٢٨»، «الإنصاف» للمرداوي «٣/١٣٥». قال ابن قدامة رحمه الله: "وإن منعها معتقدا وجوبها، وقدر الإمام على أخذها منه، أخذها وعزره، ولم يأخذ زيادة عليها، في قول أكثر أهل العلم، منهم أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأصحابهم. وقال إسحاق بن راهويه وأبو بكر عبد العزيز: يأخذها وشطر ماله ... فأما إن كان مانع الزكاة خارجا عن قبضة الإمام قاتله؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم قاتلوا مانعيها، وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه". "المغني" «٢/٢٢٨».

(٧) قال ابن القيم: "وقال بظاهر الحديث- أي: إنا آخذوها وشطر ماله- الأوزاعي والإمام أحمد وإسحاق بن راهويه على ما فصل عنهم، وقال الشافعي في القديم: من منع زكاة ماله أخذت منه وأخذ شطر ماله؛ عقوبة على منعه واستدل بهذا الحديث». «حاشية ابن القيم مع عون المعبود» «٤/٣١٨». قال ابن قدامة: «وقال إسحاق بن راهويه وأبو بكر عبد العزيز: يأخذها وشطر ماله". «المغني» «٢/٤٢٨».

(١)، وابن عثيمين (٢)، وبه أفتت اللجنة الدائمة (٣).

الدليل من السنة:

عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه كان يقول: «**في كل سائمة من الإبل، في كل أربعين بنت لبون، لا تفرق عن حسابها، من أعطاها مؤتجرا فله أجرها، ومن أباها فإني آخذها وشطر ماله؛ عزمة من عزمات ربنا، لا يحل لآل محمد منها شيء**». (٤)

المسألة الرابعة: مانع الزكاة الذي ليس في قبضة الإمام

مانعو الزكاة الذين ليسوا في قبضة الإمام يقاتلون حتى يؤدوها.

---

(١) قال ابن القيم: "أما تغريم المال- وهو العقوبة المالية- فشرعها في مواضع: منها تحريق متاع الغال من الغنيمة، ومنها حرمان سهمه، ومنها إضعاف الغرم على سارق الثمار المعلقة، ومنها إضعافه على كاتم الضالة الملتقطة، ومنها أخذ شطر مال مانع الزكاة". «إعلام الموقعين» «٢/١٢٩».

(٢) قال ابن عثيمين: "الصحيح أنه يعزر بما ورد في حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيمن منعها: «إنا آخذوها وشطر ماله؛ عزمة من عزمات ربنا»، ولا شك أن الشرع إذا عين نوعا من العقوبة، ولو بالتعزير؛ فهي خير مما يفرضه السلطان، فنأخذها وشطر ماله. وشطر المال أي: نصفه. ولكن: هل هو شطر ماله عموما، أو شطر ماله الذي منع منه زكاته؟ الجواب: في هذا قولان للعلماء: الأول: أننا نأخذ الزكاة ونصف ماله الذي منع زكاته. الثاني: أننا نأخذ الزكاة ونصف ماله كله... فإذا كان محتملا، فالظاهر أننا نأخذ بأيسر الاحتمالين؛ لأن ما زاد على الأيسر فمشكوك فيه، والأصل احترام مال المسلم. ولكن إذا انهمك الناس وتمردوا في ذلك ومنعوا الزكاة، ورأى ولي الأمر أن يأخذ بالاحتمال الآخر، فيأخذ الزكاة ونصف المال كله؛ فله ذلك". «الشرح الممتع» «٦/٢٠٠-٢٠١».

(٣) قالت اللجنة الدائمة: "إن هدي النبي صلى الله عليه وسلم أخذ الزكاة من مانعها بالقوة مع تعزيره على منعها؛ فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، أنه صلى الله عليه وسلم قال: «في كل سائمة إبل؛ في كل أربعين بنت لبون، لا تفرق إبل عن حسابها، من أعطاها مؤتجرا بها فله أجرها، ومن منعها فإنا آخذوها وشطر ماله؛ عزمة من عزمات ربنا عز وجل، ليس لآل محمد صلى الله عليه وسلم منها شيء» رواه أحمد وأبو داود والنسائي". «فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الثانية» «٣ /١٦٣».

(٤) رواه أبو داود «١٥٧٥»، والنسائي «٥/١٥»، وأحمد «٥/٢» «٢٠٠٣٠»، والدارمي «١/٤٨٦» «١٦٧٧»، وابن خزيمة «٤/١٨» «٢٢٦٦» صححه علي بن المديني وأحمد بن حنبل كما في «تهذيب السنن» «٤/٤٥٣»، وقال ابن معين كما في «التلخيص الحبير» «٢/٧٣٧»:إسناده صحيح إذا كان من دون بهز ثقة، وقال ابن الملقن في «خلاصة البدر المنير» «١/٢٩٦»: لا أعلم له علة غير بهز والجمهور على توثيقه، وحسن إسناده ابن حجر في «الكافي الشافي» «٢٢١»، وصحح إسناده العيني في «عمدة القاري» «٩/١٩»، وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» «١٥٧٥»

الأدلة:

أولا: من الكتاب

قوله تعالى: ﴿**فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم**﴾ [التوبة: الآية: ٥]

وجه الدلالة:

أن الآية دلت على ترك قتالهم وتخلية سبيلهم بثلاثة شروط؛ وهي: الدخول في الإسلام، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وإلا جاز قتالهم. (١).

ثانيا: من السنة

عن أبي هريرة-رضي الله عنه-«ت: ٥٧ هـ» قال: «لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر، وكفر من كفر من العرب، قال عمر: يا أبا بكر، كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله؟ قال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة؛ فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها. قال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق». ((٢)).

ثالثا: من الإجماع

نقل إجماع الصحابة على قتال مانعي الزكاة حتى يؤدوها: ابن بطال، وابن عبد البر، وابن قدامة، والنووي

قال ابن بطال-رحمه الله-«ت: ٤٤٩ هـ»: "فرأى أبو بكر، رضي الله عنه، قتال الجميع، ووافقه على ذلك جميع الصحابة بعد أن خالفه عمر في ذلك، ثم بان له صواب قوله، فرجع

(١) «تفسير ابن كثير» «١١١/٤».

(٢) رواه البخاري «١٣٩٩، ١٤٠٠»، ومسلم «٢٠».

إليه"[(١)]

قال ابن عبد البر–رحمه الله–«ت: ٤٦٣ هـ»: "واتفق أبو بكر وعمر وسائر الصحابة على قتالهم حتى يؤدوا حق الله في الزكاة كما يلزمهم ذلك في الصلاة"[(٢)]

قال ابن قدامة–رحمه الله–«ت: ٦٢٠ هـ»: "واتفق الصحابة رضي الله عنهم على قتال مانعيها"[(٣)]

قال النووي–رحمه الله–«ت: ٦٧٦ هـ»: "وثبت في الصحيحين من رواية أبي هريرة أن الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا أولا في قتال مانعي الزكاة، ورأى أبو بكر رضي الله عنه قتالهم، واستدل عليهم، فلما ظهرت لهم الدلائل وافقوه، فصار قتالهم مجمعا عليه"[(٤)]

قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "من ترك الزكاة، فإنه يُقاتل حتى يؤديها، ولا يُكفر إلا إذا جحد وجوبها"[(٥)]

قال ابن القيم–رحمه الله–«ت: ٧٥١ هـ»: "أجمع الصحابة على قتال مانعي الزكاة، وأقرهم عليه التابعون ومن بعدهم"[(٦)]

قال ابن حجر العسقلاني–رحمه الله–«ت: ٨٥٢ هـ»: "وقد أجمع الصحابة على قتال

(١) «شرح صحيح البخاري» «٣/٣٩١».

(٢) «الاستذكار» «٣/٢١٤».

(٣) «المغني» «٢/٤٢٧».

(٤) «المجموع» «٥/٣٣٤».

(٥) مجموع الفتاوى، ٢٨/٢٥٤.

(٦) إعلام الموقعين، ١/٣٨.

مانعي الزكاة، واستدلوا بفعل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد استدل البخاري بحديث: 'إلا بحقها' على جواز قتال من امتنع عن الزكاة"[(١)]

(١) فتح الباري، ٣/٣٢٢.



٢٦- الحج

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الحج.

المسألة الثانية: حكم الحج وأدلته

المسألة الثالثة: هل وجوب الحج على الفور أم على التراخي؟

المسألة الرابعة: حكم تارك الحج؟

المسألة الخامسة: هل يلحق تارك الحج بتارك الصلاة؟



[٢٦]- قال المصنف رحمه الله: والحج على أهل الجدة والاستطاعات.

الشرح

المسألة الأولى: تعريف الحج:

في اللغة: الحج بفتح الحاء ويجوز كسرها وهو القصد. حج إلينا فلان أي قدم وحجه يحجه حجا قصده وقال جماعة من أهل اللغة: الحج القصد لمعظم قال سيبويه: حجه يحجه حجا كما قالوا: ذكره ذكرا. والحجيج: جماعة الحاج. قال الأزهري: الحج قضاء نسك سنة واحدة، وبعض يكسر الحاء فيقول: الحج والحجة. وقرئ: ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ [النساء: ٩٧] والفتح أكثر. وقال الزجاج يقرأ بفتح الحاء وكسرها والفتح الأصل.

الحج شرعًا: قصد مكة تعبدا لله في زمن مخصوص لعمل مخصوص. [(١)].

هُوَ قَصْدُ مَوْضِعٍ مَخْصُوصٍ «وَهُوَ الْبَيْتُ الْحَرَامُ وَعَرَفَةُ» فِي وَقْتٍ مَخْصُوصٍ «وَهُوَ أَشْهُرُ الْحَجِّ» لِلْقِيَامِ بِأَعْمَالٍ مَخْصُوصَةٍ وَهِيَ الْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ، وَالطَّوَافُ، وَالسَّعْيُ عِنْدَ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ، بِشَرَائِطَ مَخْصُوصَةٍ يَأْتِي بَيَانُهَا"[(٢)].

المسألة الثانية: حكم الحج وأدلته:

وهو أحد الأركان الخمسة التي بني عليها الإسلام، والأصل في وجوبه الكتاب والسنة والإجماع؛ **أما الكتاب**، فقول الله تعالى: **﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾** [آل عمران: الآية: ٩٧]. روي عن ابن عباس: ومن كفر باعتقاده أنه غير واجب.

---

(١) الإفصاح لابن هبيرة «١/ ٦٢».

(٢) بتصرف يسير عن فتح القدير للكمال بن الهمام وزيادة السعي ٢ / ١٢٠، الاختيار ١ / ١٣٩، والشرح الكبير للدردير على مختصر خليل ٢ / ٢، ومغني المحتاج ١ / ٤٥٩، وشرح منتهى الإرادات ١ / ٤٧٢، والتعريفات ص ٨٢.

فهذه الآية نص في إثبات الفرضية، حيث عبر القرآن بصيغة ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ﴾ وهي صيغة إلزام وإيجاب، وذلك دليل الفرضية، بل إننا نجد القرآن يؤكد تلك الفرضية تأكيدا قويا في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ فإنه جعل مقابل الفرض الكفر، فأشعر بهذا السياق أن ترك الحج ليس من شأن المسلم، وإنما هو شأن غير المسلم.

وقال الله تعالى: ﴿**وأتموا الحج والعمرة لله**﴾ [البقرة: الآية: ١٩٦].

وأما السنة: عن **عبد الله بن عمر–رضي الله عنهما–«ت: ٧٤ أو ٧٣ هـ»** قال: قال رسول الله ﷺ: «**بني الإسلام على خمس؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان**».[١]، وفي بعض ألفاظه: «**الإسلام خمس**»، فذكره.

وروى مسلم بإسناده **عن أبي هريرة–رضي الله عنه–«ت: ٥٧ هـ»**، قال: "خطبنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: «**يا أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج، فحجوا**».

فقال رجل أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: «**لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم**». ثم قال: «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه».[٢]

في أخبار كثيرة سوى هذين،

الإجماع:

قال ابن قدامة–رحمه الله–«ت: ٦٢٠ هـ»: "وأجمعت الأمة على وجوب الحج على

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان باب قوله صلى الله عليه وسلم بني الإسلام انظر: البخاري مع الفتح ٤٧/١ ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان أركان الإسلام ٤٥/١ رقم ١٦.

(٢) أخرجه مسلم «١٣٣٧».

المستطيع في العمر مرة واحدة. [(١)]

قال ابن المنذر–رحمه الله–«ت: ٣١٩ هـ»: "وأجمعوا أن على المرء في عمره حجة واحدة؛ حجة الإسلام إلا أن ينذر نذرا، فيجب عليه الوفاء به"[(٢)]

قال ابن حزم–رحمه الله–«ت: ٤٥٦ هـ»: "اتفقوا أن الحر المسلم العاقل البالغ الصحيح الجسم واليدين والبصر والرجلين الذي يجد زادا وراحلة وشيئا يتخلف لأهله مدة مضيه، وليس في طريقه بحر ولا خوف ولا منعه أبواه أو أحدهما؛ فإن الحج عليه فرض"[(٣)]

قال الكاساني–رحمه الله–«ت: ٥٨٧ هـ»: "وأما الإجماع فلأن الأمة أجمعت على فرضيته"[(٤)].

المسألة الثالثة: هل وجوب الحج على الفور أم على التراخي؟

اختلف الفقهاء في وجوب الحج هل هو على الفور أو على التراخي:

١ – فذهب الشافعية إلى أن الحج يجب وجوبا موسعا على التراخي ويجوز تأديته في أي وقت من العمر ولا يأثم من وجب عليه بتأخيره متى أداه قبل الوفاة. [(٥)].

وهو قول عند الحنابلة، **قال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "وقال ابن أبي موسى–رحمه الله–«ت: ٤٢٨ هـ»** [(٦)]: اختلف أصحابنا في الحج هل هو على الفور أو على التراخي، على وجهين: أصحهما أنه على الفور على من وجد السبيل إليه، وهو بين في كلام

(١) المغني لابن قدامة ٣/ ٢١٣.
(٢) «الإجماع» «ص: ٥١».
(٣) «مراتب الإجماع» «ص:٤١».
(٤) «بدائع الصنائع» «١١٨/٢».
(٥) حاشية إعانة الطالبين «٢/ ٢٧٩» دار الفكر.
(٦) في «الإرشاد» «ص ١٨١».

أحمد-رضي الله عنه-

وذكر القاضي أبو الحسين-رحمه الله-«ت: ٥٢٦ هـ» [١]، في المسألة روايتين: إحداهما: أنه على التراخي، ذكرها ابن حامد-رحمه الله-«ت: ٤٠٣ هـ». وكذلك ذكر ابن أخيه [٢]؛ لأنه قال: وإذا وجد الزاد والراحلة وجب الحج عليه. وقال: ولا تقبل شهادة من كان موسرا قد وجب الحج عليه ولم يحج، إلا أن يكون به زمانة أو أمر يحبسه، وهو قياس على سائر العبادات الموقتة.

وذكر القاضي **أبو يعلى الصغير-رحمه الله-«ت: ٥٢٦ هـ»** في المسألة روايتين: إحداهما أن وجوبه على التراخي"[٣]

٢ - وذهب جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية وأصح قولي الحنابلة إلى أن الحج يجب على الفور لمن تحققت فيه شروط وجوبه فإن أخره وهو مستطيع فإنه يأثم لذلك إن مات دون أداء الحج وإن أداه ارتفع عنه الإثم. [٤]

الأدلة:

١ - استدل الشافعية ومن وافقهم:

أ- بأن الأمر في الآية: ﴿**ولله على الناس حج البيت**﴾ [آل عمران: الآية: ٩٧] مطلق فيصح أداؤه في أي وقت.

ب- أن النبي-صلى الله عليه وسلم-فتح مكة عام ثمان من الهجرة ولم يحج إلا في السنة العاشرة ولو كان واجبا على الفور لم يتخلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ما فرض عليه.

---

(١) هو ابن أبي يعلى، انظر «التمام» له «١/ ٣٠٧».

(٢) هو أبو يعلى الصغير حفيد القاضي أبي يعلى.

(٣) شرح عمدة الفقه لابن تيمية «٤/ ٩٧-٩٨».

(٤) فتح القدير لابن الهمام «٢/ ١٢٣»، ومواهب الجليل للحطاب «٢/ ٤٧١»، والمغني لابن قدامة «٥/ ٣٦».

(١)

٢ - واستدل الجمهور:

أ- قول الله تعالى: ﴿**ولله على الناس حج البيت**﴾ [آل عمران: الآية: ٩٧] وقوله تعالى: ﴿**وأتموا الحج والعمرة لله**﴾ والأمر فيهما على الفور. (٢).

ب- حديث: «من أراد الحج فليتعجل». (٣)

جـ - أن الحج أحد أركان الإسلام فكان واجبا على الفور كالصيام ولو أخر الحج عن السنة الأولى فقد يمتد به العمر وقد يموت فيفوت الفرض. (٤)

قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين-رحمه الله-«ت: ١٤٢١ هـ»: "القول الراجح من أقوال أهل العلم أن الحج واجب على الفور إذا تمت شروطه، وأن الإنسان إذا تمت الشروط في حقه يجب عليه أن يبادر، فإذا أخر كان مسيئًا وعاصيًا وآثمًا"(٥)

المسألة الرابعة: حكم تارك الحج:

تارك الحج له حالتان

الحالة الأولى: أن يترك الحج جاحدًا لفرضيته.

قال ابن تيمية-رحمه الله-«ت: ٧٢٨ هـ»: "فكل من لم ير حج البيت واجبا عليه مع

(١) الأم للشافعي «٢/ ١١٨».

(٢) المغني لابن قدامة «٥/ ٣٦».

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند «١/ ٢١٤»، وأبو داود «١/ ٤٠٢»، وابن ماجه «٢/ ٩٦٢».

(٤) المغني لابن قدامة «٥/ ٣٦»، والموسوعة الفقهية مادة: "حج".

(٥) كتاب دروس للشيخ العثيمين ١/ ١٧.

الاستطاعة، فهو كافر باتفاق المسلمين، كما دل عليه القرآن"[١]

وقال أيضا: "وقد اتفق المسلمون على أن من جحد وجوب مباني الإسلام الخمس: الشهادتين، والصلوات الخمس، والزكاة، وصيام شهر رمضان، وحج البيت، فإنه كافر"[٢].

ودليله قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران: الآية: ٩٧].

قال ابن عباس والحسن وعطاء: جحد فرض الحج. [٣]

قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: "أي ومن جحد فريضة الحج فقد كفر، والله غني عنه"[٤].

قال الطبري–رحمه الله–«ت: ٣١٠ هـ»: "معنى ﴿**وَمَن كَفَرَ**﴾: ومن جحد فرض ذلك وأنكر وجوبه، فإن الله غني عنه وعن حجه وعن العالمين جميعا. وإنما قلنا ذلك أولى به، لأن قوله: ﴿**وَمَن كَفَرَ**﴾ بعقب قوله: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**﴾ بأن يكون خبرا عن الكافر بالحج، أحق منه بأن يكون خبرا عن غيره، مع أن الكافر بفرض الحج على من فرضه الله عليه بالله كافر، وإن الكفر أصله الجحود، ومن كان له جاحدا ولفرضه منكرا، فلا شك إن حج لم يرج بحجه برا، وإن تركه فلم يحج لم يره مأثما". [٥]

قال الشيخ حافظ بن أحمد حكمي–رحمه الله–«ت: ١٣٧٧ هـ»: "ولا خلاف في كفر من جحد فرضيته"[٦].

---

(١) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» «١٢٥/٢».

(٢) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» «١٢٦/٢».

(٣) تفسير البغوي «تفسير سورة آل عمران الآية: ٩٧».

(٤) تفسير ابن كثير «تفسير سورة آل عمران الآية: ٩٧».

(٥) تفسير الطبري «تفسير سورة آل عمران الآية: ٩٧».

(٦) معارج القبول ٢/ ٦٣٩.

الحالة الثانية: من ترك الحج متعمدًا كسلًا مع الاستطاعة.

القول الأول: أنه يكفر بتركه الحج مع الاستطاعة.

قال ابن رجب-رحمه الله-«ت: ٧٩٥ هـ»: "وذهب طائفة منهم أي من [أهل الحديث] إلى أن من ترك شيئًا من أركان الإسلام الخمسة عمدا أنه كافر بذلك، وروي ذلك عن سعيد بن جبير، ونافع، والحكم، وهو رواية عن أحمد اختارها طائفة من أصحابه، وهو قول ابن حبيب من المالكية"[١]

واستظهر ابن رجب في جامع العلوم والحكم أنه رأي عمر رضي الله عنه، **قال ابن رجب-رحمه الله-«ت: ٧٩٥ هـ»**: "وكذلك روي عن عمر فيمن تمكن من الحج ولم يحج أنهم ليسوا بمسلمين، والظاهر أنه كان يعتقد كفرهم، ولهذا أراد أن يضرب عليهم الجزية يقول: لم يدخلوا في الإسلام بعد، فهم مستمرون على كتابيتهم"[٢].

أدلتهم:

١-قوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران: الآية: ٩٧].

قال السيوطيّ-رحمه الله-«ت: ٩١١ هـ» في الإكليل: "واستدل بظاهر الآية ابن حبيب على أن من ترك الحج، وإن لم ينكره، كفر"[٣]

وأخرج **ابن أبي حاتم-رحمه الله-«ت: ٣٢٧ هـ» عن ابن عمر-رضي الله عنهما-«ت: ٧٤ أو ٧٣ هـ»**: "من كان يجد وهو موسر صحيح ولم يحج، كان سيماه بين عينيه كافر، ثم تلا هذه الآية". انتهى.

(١) ينظر: «جامع العلوم والحكم» «١/١٤٥-١٤٨».

(٢) ينظر: «جامع العلوم والحكم» «ص: ٨٨».

(٣) الإكليل في استنباط التنزيل ص: ٧١.

٢-عن علي-رضي الله عنه-«ت: ٤٠ هـ»، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: **«من ملك زادا وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج، فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾»** .[١]

عن أبي أمامة-رضي الله عنه-«ت: ٨١ وقيل ٨٦ هـ»، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«من لم يمنعه من الحج حاجة ظاهرة أو سلطان جائر أو مرض حابس فمات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا».**[٢]

---

(١) أخرجه الترمذي «٨١٢»، والطبري في "تفسيره" «٦/٤١»، والبزار «٨٦١»، والبيهقي في "الشعب" «٣٦٩٢»، وابن الجوزي في "الموضوعات" «٢٠٩/٢» وقال ابن كثير: "ورواه ابن جرير من حديث مسلم بن إبراهيم، به. وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبي زرعة الرازي: حدثنا هلال بن فياض، حدثنا هلال أبو هاشم الخراساني، فذكره بإسناده مثله. ورواه الترمذي عن محمد بن يحيى القطعي، عن مسلم بن إبراهيم، عن هلال بن عبد الله مولى ربيعة بن عمرو بن مسلم الباهلي، به، وقال: [هذا] حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وفي إسناده مقال، وهلال مجهول، والحارث يضعف في الحديث. وقال البخاري: هلال هذا منكر الحديث. وقال ابن عدي: هذا الحديث ليس بمحفوظ". تفسير ابن كثير [تفسير سورة آل عمران «الآية: ٩٧»]. وقد ضعف هذا الحديث غير واحد من أهل العلم، فضعفه الطبري في "تفسيره" «٦/٤٥»، وابن الجوزي في "الموضوعات" «٢/٢١٠»، والمنذري في "الترغيب والترهيب" «٢/١٣٧»، وابن عبد الهادي في "التنقيح" «٣/٤٠٤»، والهيتمي في "الزواجر" «١/٣٣٠»، وحكى عن النووي تضعيفه، وكذا ضعفه الألباني في "ضعيف الترمذي" .

(٢) رواه الدارمي «١٨٢٦»، والبيهقي في "الشعب" «٣٦٩٣»، وأبو نعيم في " الحلية " «٩/٢٥١»، وابن الجوزي في " التحقيق" «٢/١١٨» من طريق شَرِيكٍ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَمْ يَمْنَعْهُ عَنِ الْحَجِّ حَاجَةٌ ظَاهِرَةٌ، أَوْ سُلْطَانٌ جَائِرٌ، أَوْ مَرَضٌ حَابِسٌ فَمَاتَ وَلَمْ يَحُجَّ، فَلْيَمُتْ إِنْ شَاءَ يَهُودِيًّا، وَإِنْ شَاءَ نَصْرَانِيًّا». وهذا إسناد ضعيف، ليث، هو ابن أبي سليم، وهو ضعيف، ضعفه أحمد، وابن معين، والنسائي، وغيرهم. انظر "الميزان" «٣/٤٢٠». وشريك، هو ابن عبد الله القاضي، وهو ضعيف أيضًا، سيء الحفظ، ضعفه القطان، وابن المبارك، وابن معين، والجوزجاني، وغيرهم. انظر "الميزان" «٢/٢٧٠». وقد خالفه أَبُو الْأَحْوَصِ سَلَّامُ بْنُ سُلَيْمٍ، فرواه عَنْ لَيْثٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذكره مرسلا، رواه ابن أبي شيبة «٣/ ٣٠٥». وكذا رواه الثوري عن ليث، أخرجه الخلال في "السنة" «٥/٤٦». وهذا أصح، لكنه ضعيف أيضا؛ لضعف ليث، ولإرساله. قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-: " لَيْثٌ ضَعِيفٌ، وَشَرِيكٌ سيء الْحِفْظِ، وَقَدْ خَالَفَهُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ فَأَرْسَلَهُ، رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ لَهُ عَنْ وَكِيعٍ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ لَيْثٍ عَنْ ابْنِ سَابِطٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَحُجَّ وَلَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ ذَلِكَ مَرَضٌ حَابِسٌ أَوْ سُلْطَانٌ ظَالِمٌ أَوْ حَاجَةٌ ظَاهِرَةٌ ...» فَذَكَرَهُ مُرْسَلًا، وَكَذَا ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ عَنْ لَيْثٍ مُرْسَلًا ". انتهى من "التلخيص الحبير" «٢/ ٤٨٦». وله طريق أخرى عن شريك، قال ابن الجوزي في "التحقيق" «٢/ ١١٨»: "رَوَاهُ عَمَّارُ بْنُ مَطَرٍ عَنْ شَرِيكٍ عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ الْعُقَيْلِيُّ: عَمَّارٌ يُحَدِّثُ عَنِ الثِّقَاتِ بِالْمَنَاكِيرِ، وَقَالَ ابْنُ

=

وقد روى **الحافظ أبو بكر الإسماعيليّ-رحمه الله-«ت: ٣٧١ هـ» عن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-«ت: ٢٣ هـ»** قال: "من أطاق الحج فلم يحج، فسواء عليه مات يهوديا أو نصرانيا".(١)

وروى **سعيد بن منصور-رحمه الله-«ت: ٢٢٧ هـ» في سننه عن الحسن البصريّ-رحمه الله-«ت: ١١٠ هـ»، قال: قال عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-«ت: ٢٣ هـ»**: "لقد هممت أن أبعث رجلا إلى هذه الأمصار، فينظروا إلى كل من كان عنده جدة فلم يحج، فيضربوا عليهم الجزية، ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين"(٢)

وعن ابن عمر-رضي الله عنهما-«ت: ٧٤ أو ٧٣ هـ»، قال: "من وجد إلى الحج سبيلا سنة، ثم سنة، ثم سنة، ثم مات ولم يحج، لم يصل عليه، لا يدرى مات يهوديا أو نصرانيا"(٣)

وعن سعيد بن جبير-رحمه الله-«ت: ٩٥ هـ» أنه قال: "لو كان لي جار موسر ثم مات ولم

عَدِيٍّ: مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ". انتهى. وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "أَوْرَدَهُ أَبُو يَعْلَى مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى عَنْ شَرِيكٍ، مُخَالِفَةِ لِلْإِسْنَادِ الْأَوَّلِ، وَرَاوِيهَا عَنْ شَرِيكٍ عَمَّارُ بْنُ مَطَرٍ ضَعِيفٌ" انتهى من "التلخيص الحبير" «٢/ ٤٨٦». وقال ابن القيسراني: "رَوَاهُ عمار بن مطر الرهاوي عَن شريك، عَن مَنْصُور، عَن سَالم بن أبي الْجَعْد، عَن أبي أُمَامَة، وَهَذَا غير مَحْفُوظ، والآفة فِيهِ من عمار الرهاوي هَذَا ". انتهى من "ذخيرة الحفاظ" «٤/ ٢٤٠٧». وعمار هذا قال أبو حاتم الرازي: كان يكذب، وقال ابن عدى: أحاديثه بواطيل. "ميزان الاعتدال" «٣/ ١٧٠». وقال ابن القيسراني: "ورواه نصر بن مُزَاحم الْكُوفِي عَن الثَّوْريّ، عَن لَيْث، عَن ابْن سابط، عَن أبي أُمَامَة. وَهَذَا لَيْسَ بِمَحْفُوظ، والآفة فِيهِ من نصر هَذَا " انتهى من "ذخيرة الحفاظ" «٤/ ٢٤٠٧». ونصر بن مزاحم: قال الذهبي في "الميزان" «٤/ ٢٥٣»: "رافضي جلد، تركوه". ورواه أبو الحسن النعالي في "جزئه" «٧١» من طريق مُحَمَّد بْن عَبْدِ اللَّهِ الأشناني، ثنا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، أنا شُعْبَةُ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ أَبِيهِ، به مرفوعا. والأشناني هذا: قال الدارقطني: كان دجالا، وقال الخطيب: كان يضع الحديث. "لسان الميزان" «٥/ ٢٢٨». والنعالي صاحب الجزء: قال الخطيب: كان رافضيا، يتتبع الغرائب والمناكير. "تاريخ بغداد" «٥/ ٣٨٣» . وانظر تخريجه بتوسع كذلك في كتاب البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير ٦/ ٣٨-٤٥.

(١) "تفسير ابن كثير" «٢/ ٨٥». قال ابن كثير: إسناده صحيح إلى عمر ـ رضي الله عنه .

(٢) رواه أحمد في كتاب «الإيمان» له كما في «السنة» للخلال «٥/ ٤٤»، ورواه سعيد بن منصور في «سننه» كما ذكره ابن تيمية في شرح العمدة «٤/ ١١٠»، وابن كثير في «تفسيره» «٣/ ١٢٨». وهو مرسل، فإن الحسن البصري لم يدرك عمر.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» كما سيذكره المؤلف، وعزاه إليه في «الدر المنثور» «٣/ ٦٩٤» وذكر أنه من طريق نافع عن ابن عمر.

يحج، لم أصل عليه"[١]

وعن إبراهيم-رحمه الله-«ت: ٩٦ هـ»، قال: كان للأسود بن يزيد-رحمه الله-«ت: ٧٥ هـ» جار موسر لم يحج، فقال له: لو مت لم أصل عليك"[٢]

المسألة الخامسة: هل يلحق تارك الحج بتارك الصلاة في وجوب قتله.

قال ابن القيم-رحمه الله-«ت: ٧٥١ هـ»: "وهل يلحق تارك الصوم والحج والزكاة بتارك الصلاة في وجوب قتله فيه ثلاث روايات عن الإمام أحمد:

إحداها: يقتل بترك ذلك كله كما يقتل بترك الصلاة وحجة هذه الرواية أن الزكاة والصيام والحج من مباني الإسلام فيقتل بتركها جميعا كالصلاة ولهذا قاتل الصديق مانعي الزكاة وقال: "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة إنها لقرينتها في كتاب الله".

وأيضا فإن هذه المباني من حقوق الإسلام والنبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر برفع القتال إلا عمن التزم كلمة الشهادة وحقها وأخبر أن عصمة الدم لا تثبت إلا بحق الإسلام فهذا قتال للفئة الممتنعة والقتل للواحد المقدور عليه إنما هو لتركه حقوق الكلمة وشرائع الإسلام وهذا أصح الأقوال.

والرواية الثانية: لا يقتل بترك غير الصلاة، لأن الصلاة عبادة بدنية لا تدخلها النيابة بحال، والحج والصوم والزكاة تدخلها النيابة.

الرواية الثالثة: يقتل بترك الزكاة والصيام ولا يقتل بترك الحج لأنه مختلف فيه هل هو على الفور أو على التراخي فمن قال هو على التراخي قال كيف يقتل بأمر موسع له في تأخيره.

وهذا المأخذ ضعيف جدا لأن من يقتله بتركه لا يقتله بمجرد التأخير وإنما صورة المسألة أن يعزم

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة «١٤٦٦٨» بإسناد صحيح.

(٢) ذكره ابن تيمية في شرح العمدة «٤/ ١١٠»، وعزاه لسعيد بن منصور في «سننه»، وكتاب الحج منه مفقود وقال: " والمرسل إذا اعتضد بقول الصحابة صار حجة بالاتفاق".

على ترك الحج ويقول هو واجب علي ولا أحج أبدا فهذا موضوع النزاع والصواب القول بقتله لأن الحج من حقوق الإسلام والعصمة تثبت لمن تكلم بالإسلام إلا بحقه والحج أعظم حقوقه"[١]

القول الثاني:

قول عامة أهل العلم لا يرون كفر تارك الحج ما دام مقرا بفرضيته، وإن مات وهو تارك له مع قدرته عليه مات عاصيًا عند عامة العلماء، ولا يكون بذلك كافرًا، وأما قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران: الآية: ٩٧].

ونحوه من النصوص فمحمول على التغليظ، قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ﴾. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: أَيْ وَمَنْ جَحَدَ فَرِيضَةَ الْحَجِّ فَقَدْ كَفَرَ وَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنْهُ. [٢]

وقال القاسمي-رحمه الله-«ت: ١٣٣٢ هـ»: "وقوله: ﴿**وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ**﴾ إما مستأنف لوعيد من كفر به تعالى، لا تعلق له بما قبله، وإما أنه متعلق به ومنتظم معه، وهو أظهر وأبلغ.

والكفر، على هذا، إما بمعنى جحد فريضة الحج، أو بمعنى ترك ما تقدم الأمر به"[٣]

---

(١) كتاب الصلاة لابن القيم ص: ٤٠-٤٢.

(٢) تفسير ابن كثير «تفسير سورة آل عمران الآية: ٩٧».

(٣) تفسير القاسمي محاسن التأويل «٢/ ٣٦٥» «تفسير سورة آل عمران الآية: ٩٧».



٢٧- صوم رمضان

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: تعريف صيام رمضان.

المسألة الثانية: حكم الصيام.

المسألة الثالثة: حكم تارك الصوم



[٢٧]– قال المصنف رحمه الله: وصيام الشهر لأهل الصحات.

الشرح

المسألة الأولى: تعريف صيام رمضان:

أولًا: تعريف الصيام: في اللغة: من صام يصوم صوما وصياما.

قال في التهذيب: الصوم في اللغة الإمساك عن الشيء والترك له، وقيل للصائم صائم لإمساكه عن المطعم والمشرب والمنكح. وقيل للصامت صائم لإمساكه عن الكلام.

قال أبو عبيدة: "كل ممسك عن طعام أو كلام أو سير فهو صائم"(١)

قال تعالى: ﴿**إني نذرت للرحمن صوما**﴾ [مريم: الآية: ٢٦].

ثانيًا: تعريف رمضان وسمي رمضان من الرمض؛ وهو شدة الحر؛ لأن العرب لما أرادت وضع أسماء الشهور وافق شهر رمضان شدة الحر فسمي بذلك.

وقيل: سمي بذلك؛ لأنه يحرق الذنوب.

تعريف الصيام شرعًا: يجوز أن يقال الصيام والصوم كما هو مذكور في الكتب الفقهية المختلفة، وهو إمساك المسلم بنية التعبد لله عن أشياء مخصوصة من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.(٢)

قال ابن عبد البر –رحمه الله–«ت: ٤٦٣ هـ»: "أما الصيام في الشريعة فمعناه الإمساك عن الأكل والشرب ووطء النساء نهارا إذا كان تارك ذلك يريد به وجه الله وينويه، هذا معنى الصيام في الشريعة عند جميع علماء الأمة"(٣)

المسألة الثانية: حكم الصيام:

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، مادة: صوم «١٢/ ٣٥٠».

(٢) حاشية ابن عابدين «٢/ ٣٩٤».

(٣) الإجماع، لابن عبد البر، «ص: ١٢٥».

فرض الله علينا الصيام كما فرضه على من قبلنا من الأمم قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة: الآية: ١٨٣]، ومعنى: كُتِبَ أي فرض وأوجب.

وقد جاءت السنة ببيان أن صيام رمضان ركن من أركان الإسلام؛ فعن ابن عمر–رضي الله عنهما–قال: قال رسول الله ﷺ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان**». [(١)]

وعن طلحة بن عبيد الله–رضي الله عنه–«ت: ٣٦ هـ»، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**خمس صلوات في اليوم والليلة**». فقال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «**لا، إلا أن تطوع**». قال رسول الله ﷺ: «**وصيام رمضان**». قال: هل عليَّ غيره؟ قال: «**لا، إلا أن تطوع**». قال: وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة، قال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «**لا، إلا أن تطوع**». قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص، قال رسول الله ﷺ: «أفلح إن صدق». [(٢)]

وقد أجمع المسلمون على فرضية صوم رمضان إجماعاً قطعياً معلوماً بالضرورة من دين الإسلام

المسألة الثالثة: حكم تارك الصوم

تارك صوم شهر رمضان له حالتان:

الحالة الأولى: من ترك صوم شهر رمضان جاحدا لفرضيته.

من ترك صوم شهر رمضان جاحدا لفرضيته؛ فهو كافر؛ إلا أن يكون قريب العهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة من المسلمين، بحيث يمكن أن يخفى عليه وجوب صوم رمضان، فلا

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان باب قوله صلى الله عليه وسلم بني الإسلام انظر: البخاري مع الفتح ١/٤٧ ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان أركان الإسلام ١/٤٥ رقم ١٦.

(٢) أخرجه البخاري «٤٦»، ومسلم «١١».

يكفر.[١]

الدليل من الإجماع:

نقل الإجماع على ذلك **الكاساني**-رحمه الله-«**ت: ٥٨٧ هـ**» فقال: "وأما الإجماع، فإن الأمة أجمعت على فرضية شهر رمضان، لا يجحدها إلا كافر"[٢]

فمن تركه إنكارا له وجحودا لوجوبه، فهو كافر مرتد، يستتاب ثلاثة أيام، فإن تاب قبلت توبته وكان من المسلمين، وإن أصرّ على الترك والجحود قُتِلَ كفرا، وماله في بيت مال المسلمين، ولا يغسّل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين لأنه من الكافرين، ككل من جحد معلوما من الدين بالضرورة، لقوله عزّ وجلّ: ﴿**وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كافِرٌ فَأُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ**﴾، ولما رواه البخاري عن **عبد الله بن عباس**-رضي الله عنهما-«**ت: ٦٨ هـ**» أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ بَدَّلَ دِيْنَهُ فَاقْتُلُوهُ**».

الحالة الثانية: من ترك صوم شهر رمضان متعمدًا كسلًا.

أولًا: حكمه.

القول الأول: أن من ترك صيام شهر رمضان متعمدًا كسلًا لغير عذر أنه كافر. [٣].

قال ابن رجب-رحمه الله-«**ت: ٧٩٥ هـ**»: "وذهب طائفة منهم أي من [أهل الحديث] إلى أن من ترك شيئًا من أركان الإسلام الخمسة عمدا أنه كافر بذلك، وروي ذلك عن سعيد بن جبير ونافع والحكم، وهو رواية عن أحمد اختارها طائفة من أصحابه، وهو قول ابن حبيب من المالكية"[٤]

أدلتهم:

(١) «بدائع الصنائع» «٢/ ٧٥»، «الكافي في فقه أهل المدينة» «٢/ ١٠٩٢»، «مواهب الجليل» «٣/ ٢٧٦»، «المجموع شرح المهذب» «٣/ ١٤»، «مغني المحتاج» «١/ ٤٢٠»، «مجموع فتاوى ابن باز» «١٥/ ٣٣٣».

(٢) «بدائع الصنائع» «٢/٧٥».

(٣) انظر: كتاب غربة الإسلام لحمود التويجري ١/ ٣٣٤-٣٣٥.

(٤) ينظر: «جامع العلوم والحكم» «١/١٤٥-١٤٨». ومعارج القبول ٢/ ٦٣٥.

واستدلوا لذلك:

أولًا: عن أبي الجوزاء، **عن ابن عباس-رضي الله عنهما-«ت: ٦٨ هـ»**، ولا أحسبه إلا رفعه، قال: "عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة، عليهن أسس الإسلام؛ شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاة، وصوم رمضان، من ترك منهن واحدة فهو بها كافر، ولا يحل دمه، وتجده كثير المال لم يحج فلا يزال بذلك كافرا ولا يحل بذلك دمه، وتجده كثير المال ولا يزكي فلا يزال بذلك كافرا ولا يحل دمه". ورواه قتيبة بن سعيد، عن حماد بن زيد مرفوعا مختصرا.

ورواه **سعيد بن زيد-رحمه الله-«ت: ١٦٧ هـ»، -أخو حماد بن زيد-عن عمرو بن مالك-رضي الله عنه-«ت: ٢٣ هـ»** بهذا الإسناد مرفوعا، وقال: **«من ترك منهن واحدة فهو كافر، ولا يقبل منه صرف ولا عدل، وقد حل دمه وماله»**. ولم يذكر ما بعده. [١]

ثانيًا: عن عائشة-رضي الله عنها-«ت: ٥٧ أو ٥٩ هـ»، أن رسول الله-صلى الله عليه

---

[١] رواه أبو يعلى في "مسـنده" «٢٣٤٩»، واللالكائي في "شـرح اعتقاد أهل السـنة" «١٥٧٦»، وابن عبد البر في "الاسـتذكار" «١٥٤/٢» من طريق مُؤَمّل بن إسماعيل، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ النُّكْرِيُّ، عَنْ أَبِي الْجَوْزَاءِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، – قَالَ حَمَّادٌ: وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَدْ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: «عُرَى الْإِسْلَامِ وَقَوَاعِدُ الدِّينِ ثَلَاثَةٌ عَلَيْهِنَّ أُسِّسَ الْإِسْلَامُ مَنْ تَرَكَ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً فَهُوَ بِهَا كَافِرٌ حَلَالُ الدَّمِ : شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَالصَّلَاةُ الْمَكْتُوبَةُ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ». وهذا حديث ضعيف، وفيه علل: **أولًا**: مؤمل بن إسماعيل سيء الحفظ، قال أبو حاتم: صدوق شديد في السنة، كثير الخطأ، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال أبو زرعة: في حديثه خطأ كثير. "ميزان الاعتدال" «٤/ ٢٢٨». **ثانيًا**: الوقف، فقد خالفه من هو أوثق منه فأوقفه على ابن عباس. **قال ابن رجب-رحمه الله-«ت: ٧٩٥ هـ»**: " رواه قتيبة عن حماد بن زيد، فوقفه، واختصره ولم يتمه. ورواه سعيد بن زيد – أخو حماد – عن عمرو بن مالك ورفعه. والأظهر: وقفه على ابن عباس " انتهى من "فتح الباري" «١/ ٢٤-٢٥». وقال الشـيخ الألباني رحمه الله: " ويغلب على الظن: أن الحديث إن كان له أصل عن ابن عباس رضي الله عنه، فهو موقوف عليه، فقد تردد حماد بن زيد بعض الشيء في رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، نعم جزم برفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم سعيد بن زيد أخو حماد، لكنْ سعيد هذا ليس بحجة، كما قال السعدي، وقال النسائي وغيره: ليس بالقوي " انتهى من "سلسلة الأحاديث الضعيفة" «١/ ٢١٢». **ثالثًا**: عمرو بن مالك النكري: لم يوثقه غير ابن حبان، فهو في عداد المجهولين؛ لأن ابن حبان رحمه الله يتساهل في التوثيق، ومع ذلك فقد قال في ترجمته: "يعتبر حديثه من غير رواية ابنه عنه، يخطىء ويغرب"انظر: "التهذيب" «٨/ ٩٦». فهذا الحديث ضعيف لا يصح مرفوعا ولا موقوفا، وقد ضعفه الألباني في "الضعيفة" «٩٤». وعلى فرض ثبوته فهو محمول ـ في غير الصلاة على الزجر الشديد ـ وكونه كفرا دون كفر، أو يحمل على المستحل للترك. **قال ابن رجب-رحمه الله-«ت: ٧٩٥ هـ»**: "فقد جعل ابن عباس ترك هذه الأركان كفرا، لكن بعضها كفر يبيح الدم، وبعضها لا يبيحه، وهذا يدل على أن الكفر بعضه ينقل عن الملة، وبعضه لا ينقل.

وأكثر أهل الحديث على أن ترك الصلاة كفر، دون غيرها من الأركان، كذلك حكاه محمد بن نصر المروزي وغيره عنهم" انتهى من "فتح الباري" «٢٥/١». وقال المناوي رحمه الله: "هو من قبيل الزجر والتهويل، أو الحمل على مستحل الترك". انتهى من "فيض القدير" «٤/ ٣١١».

وسلم-قَالَ: «**ثلاث أحلف عليهن: لا يجعل الله عز وجل من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له، وأسهم الإسلام ثلاثة: الصلاة، والصوم، والزكاة، ولا يتولى الله عز وجل عبدا في الدنيا، فيوليه غيره يوم القيامة، ولا يحب رجل قوما إلا جعله الله عز وجل معهم، والرابعة لو حلفت عليها رجوت ألا آثم: لا يستر الله عز وجل عبدا في الدنيا، إلا ستره يوم القيامة**».[(١)]

ثالثًا: عن زياد بن نعيم الحضرمي-رحمه الله-«ت: ٥٣ هـ»، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أربع فرضهن الله في الإسلام، فمن أتى بثلاث لم يغنين عنه شيئا حتى يأتي بهن جميعا: الصلاة، والزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت». وهذا مرسل، وقد روي عن زياد، عن **عمارة بن حزم-رضي الله عنه-«ت: ١٢ هـ»**، عن النبي - صلى الله عليه وسلم.[(٢)]

القول الثاني: من ترك صوم يوم واحد من شهر رمضان متعمدا كسلا؛ فقد أتى كبيرة من كبائر الذنوب،

من ترك صوم شهر رمضان متعمدا كسلا وتهاونا ولو يوما واحدا منه، بحيث إنه لم ينو صومه من الأصل، فقد أتى كبيرة من كبائر الذنوب، وتجب عليه التوبة، وإلى هذا ذهب عامة أهل العلم.[(٣)]

---

(١) رواه الإمام أحمد «٢٥١٢١»، وأبو يعلى «٤٥٦٦»، والحاكم «٤٩»، وصححه الحاكم، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» «٢١٨٥»، وقال الهيثمي: "رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ، وَرَوَاهُ أَبُو يَعْلَى أَيْضًا". انتهى من "مجمع الزوائد" «١/ ٣٧»، وقال البوصيري في "إتحاف الخيرة" «١/١٠٢»: " إسناده جيد ". وصححه الألباني في "الصحيحة" «١٣٨٧». وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند «٢٥١٢١»: حسن لغيره.

(٢) أخرجه أحمد كما في " جامع المسانيد " ٩/ ٣١٦ «٦٨٣٣». وأورده الحافظ ابن حجر في "أطراف المسند " ٢/ ٣٦٥ «٢٣٩٨» في مسند زياد بن نعيم ثم قال: "هكذا وقع في بعض النسخ، وعليه مشى ابن عساكر، ووقع في بعضها: عن زياد بن نعيم، عن عمارة بن حزم، به"، وأورده الهيثمي في " مجمع الزوائد " ٦/ ٤٧ وعزاه لأحمد والطبراني في " الكبير "، وقال الهيثمي: «وفي إسناده ابن لهيعة».

(٣) «الكافي لابن عبد البر» «٢/ ١٠٩٢»، «مواهب الجليل للحطاب» «٣/ ٢٧٦»، «المجموع للنووي» «٣/ ١٤»، «مغني المحتاج للخطيب الشربيني» «١/ ٤٢٠»، «بدائع الصنائع للكاساني» «٢/ ٧٥»، «الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي» «١/ ١٩٥»، «مجموع فتاوى ابن باز» «١٥/ ٣٣٢». ونقل المناوي عن الذهبي قوله: "وعند المؤمنين مقرر أن من ترك صوم رمضان بلا

=

وقال ابن حجر الهيتمي-رحمه الله-«ت: ٩٧٤ هـ»: "الْكَبِيرَةُ الْأَرْبَعُونَ وَالْحَادِيَةُ وَالْأَرْبَعُونَ بَعْدَ الْمِائَةِ: تَرْكُ صَوْمِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ رَمَضَانَ، وَالْإِفْطَارُ فِيهِ بِجِمَاعٍ أَوْ غَيْرِهِ، بِغَيْرِ عُذْرٍ مِنْ نَحْوِ مَرَضٍ أَوْ سَفَرٍ"[(١)]

وقال علماء اللجنة الدائمة للإفتاء:

"فطر المكلف في نهار رمضان من كبائر الذنوب، إذا كان بغير عذر شرعي"[(٢)].

وسئل الشيخ **ابن عثيمين-رحمه الله-«ت: ١٤٢١ هـ»** عن حكم الفطر في نهار رمضان بدون عذر؟ فأجاب: "الفطر في نهار رمضان بدون عذر: من أكبر الكبائر، ويكون به الإنسان فاسقا، ويجب عليه أن يتوب إلى الله، وأن يقضي ذلك اليوم الذي أفطره "[(٣)]

ثانيًا: هل يجب عليه القضاء.

واختلفوا هل عليه القضاء أم لا؟ على ثلاثة أقوال:

القول الأول: يجب عليه القضاء،

وهذا باتفاق المذاهب الفقهية الأربعة: الحنفية،[(٤)] والمالكية،[(٥)]، والشافعية [(٦)]، والحنابلة [(٧)]، وحكي الإجماع على أن من ترك يوما من رمضان متعمدا بغير عذر؛ يجب عليه القضاء.

قال ابن عبد البر-رحمه الله-«ت: ٤٦٣ هـ»: "وأجمعت الأمة ونقلت الكافة فيمن لم يصم رمضان عامدا وهو مؤمن بفرضه، وإنما تركه أشرا وبطرا، تعمد ذلك ثم تاب عنه- أن

مرض ولا عرض أنه شر من المكاس والزاني ومدمن الخمر، بل يشكون في إسلامه ويظنون به الزندقة والانحلال". «فيض القدير» «٤/ ٤١٠ - ٤١١».

(١) "الزواج" «١/ ٣٢٣».

(٢) "فتاوى اللجنة الدائمة" «١٠/ ٣٥٧».

(٣) "مجموع فتاوى ورسائل العثيمين" «١٩/ ٨٩».

(٤) «تبيين الحقائق» للزيلعي «١/٣٢٧»، وينظر: «درر الحكام» للملا خسرو «١/٢٠٥».

(٥) «الكافي» لابن عبد البر «١/٣٣٥»، وينظر: «شرح مختصر خليل» للخرشي «٢/٢٥٠».

(٦) «المجموع» للنووي «٦/٣٢٨»، «فتح العزيز» للرافعي «٦/٤٦١».

(٧) «كشاف القناع» للبهوتي «٢/٣٠٩»، وينظر: «المغني» لابن قدامة «٣/١٣٠».

عليه قضاءه"[١]

قال ابن قدامة–رحمه الله–«ت: ٦٢٠ هـ»: "أنه متى أفطر بشيء من ذلك فعليه القضاء، لا نعلم في ذلك خلافا"[٢]

قال القرطبي–رحمه الله–«ت: ٦٧١ هـ»: "وأيضا فقد اتفقنا أنه لو ترك يوما من رمضان متعمدا بغير عذر؛ لوجب قضاؤه فكذلك الصلاة"[٣]

وذلك للآتي:

أولا: أتى كبيرة؛ لأنه فرط في أحد أركان الإسلام، وفريضة عظيمة من فرائضه. [٤].

ثانيا: عليه القضاء؛ لأن الله تعالى أوجب القضاء على المريض والمسافر مع وجود العذر، فلأن يجب مع عدم العذر أولى. [٥].

القول الثاني: لا يلزمه القضاء.

قال ابن رجب–رحمه الله–«ت: ٧٩٥ هـ»: "ومذهب الظاهرية أو أكثرهم: أنه لا قضاء على المتعمد، وحكي عن عبد الرحمن صاحب الشافعي بالعراق، وعن ابن بنت الشافعي، وهو قول أبي بكر الحميدي في الصوم والصلاة إذا تركهما عمداً، أنه لا يجزئه قضاؤهما، ووقع مثله في كلام طائفة من أصحابنا المتقدمين، منهم: الجوزجاني وأبو محمد البربهاري وابن بطة"[٦]

وقال ابن تيمية–رحمه الله–«ت: ٧٢٨ هـ»: "ولا يقضي متعمد بلا عذر: صوماً ولا صلاة، ولا تصح منه"[٧]

وقال الشيخ ابن عثيمين–رحمه الله–«ت: ١٤٢١ هـ»: "أما لو ترك الصوم من الأصل

---

(١) «الاستذكار» لابن عبد البر «١/ ٧٧».

(٢) «المغني» لابن قدامة «٣/ ١٣٠».

(٣) «تفسير القرطبي» «١١/ ١٧٨».

(٤) ينظر: «مجموع فتاوى ابن باز» «١٥/٣٣٢».

(٥) «المجموع» للنووي «٦/٣٢٨».

(٦) «فتح الباري لابن رجب» «٣/ ٣٥٥».

(٧) «الاختيارات الفقهية» «ص ٤٠٤».

متعمداً بلا عذر، فالراجح أنه لا يلزمه القضاء؛ لأنه لا يستفيد به شيئاً؛ إذ إنه لن يقبل منه، فإن القاعدة أن كل عبادة مؤقتة بوقت معين، فإنها إذا أخرت عن ذلك الوقت المعين بلا عذر، لم تقبل من صاحبها"(١)

الأدلة:

أولا: من الكتاب:

عموم قول الله تعالى: ﴿**ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون**﴾ [البقرة: الآية: ٢٢٩].

وجه الدلالة:

أن ترك صوم رمضان من تعدي حدود الله عز وجل، وتعدي حدود الله تعالى ظلم، والظالم لا يقبل منه.

ثانيا: من السنة:

عموم حديث **عائشة–رضي الله عنها–«ت: ٥٧ أو ٥٩ هـ»** أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**». متفق عليه. (٢)

فالقاعدة أن كل عبادة مؤقتة بوقت معين لا تقبل من صاحبها، إذا أخرت عن ذلك الوقت المعين بلا عذر، وعليه فمن ترك صوم رمضان لا يقبل منه لو صامه قضاء.

ثالثا: القياس:

فكما لو أنه قدم هذه العبادة على وقتها – أي فعلها قبل دخول الوقت – لم تقبل منه، فكذلك إذا فعلها بعده لم تقبل منه إلا أن يكون معذورا.

القول الثالث: أن من أفطر رمضان لمدة من عمره وهو يصلي فعليه قضاء ما أفطره، وإن كان لا يصلي حينما أفطر فلا قضاء عليه.

فمن أفطر رمضان لمدة من عمره وهو يصلي فعليه قضاء ما أفطره، وإن كان لا يصلي حينما أفطر فلا شيء عليه؛ لأنه يعتبر كافراً في حال تركه للصلاة، فقد سئلت اللجنة الدائمة

(١) «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» «١٩/ ٨٩ – ٩٠».

(٢) رواه البخاري «٢٦٩٧»، ومسلم «١٧١٨» واللفظ له.

للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية بسؤال نصه: "شخص في الثامنة والعشرين من العمر وما صام شهر رمضان حتى بلغ عمره ٣٥ سنة، وبعد هذه المدة تاب إلى الله-عز وجل-واليوم محتار هل يقضي أو يفدي أو يتصدق وماذا يجب على هذا الرجل حيث إنه محتار جداً، وماذا تدلون هذا الرجل عليه؟ أفيدوني جزاكم الله خيراً".

فكان الجواب كالتالي: "إذا كان يصلي حين الترك فعليه القضاء وإطعام مسكين عن كل يوم أخر قضاءه مقدار نصف صاع من بر أو أرز، وإن كان لا يصلي فالتوبة كافية، وليس عليه قضاء الصوم، ولا الصلاة؛ لأن ترك الصلاة كفر أكبر وردة عن الإسلام، والمرتد لا يؤمر بالقضاء، وبالله التوفيق"(١)

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء «١٢/ ٤٣١» رقم الفتوى «١١٥٣٧».



٢٨- صلاة الوتر

[٢٨]- قال المصنف رحمه الله: وخمس صلوات سنَّها رسول الله ﷺ: صلاة الوتر كل ليلة،

الشرح

قال ابن قدامة رحمه الله: "الوتر غير واجب وبهذا قال مالك والشافعي. وقال أبو حنيفة: هو واجب ".

ثم قال: "قال أحمد: من ترك الوتر عمدًا فهو رجل سوء، ولا ينبغي أن تقبل له شهادة، وأراد المبالغة في تأكيده لما قد ورد فيه من الأحاديث في الأمر به، والحث عليه"[١].

عن ابن عمر قال قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: «الوتر ركعة من آخر الليل»[٢].

وجاء في روض المربع: "سنة الوتر: وأقله ركعة واحدة لقوله صلى الله عليه وسلم: "الوتر ركعة من آخر الليل". رواه مسلم. ولا يكره الوتر بها لثبوته عن عشرة من الصحابة منهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعائشة رضي الله عنهم وأكثره أي أكثر الوتر إحدى عشرة ركعة يصليها مثنى مثنى أي يسلم من كل اثنتين ويوتر بواحدة لقول عائشة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالليل إحدى عشرة ركعة يوتر منها بواحدة وفي لفظ: يسلم بين كل ركعتين ويوتر بواحدة هذا هو الأفضل. وله أن يسرد عشرا ثم يجلس فيتشهد ولا يسلم ثم يأتي بالركعة الأخيرة ويتشهد ويسلم وإن أوتر بخمس أو سبع سردها ولم يجلس إلا في آخرها لقول أم سلمة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بسبع وبخمس لا يفصل بينهن بسلام ولا كلام رواه أحمد ومسلم. وإن أوتر بتسع يسرد ثمانية ثم يجلس عقب الركعة الثامنة ويتشهد التشهد الأول ولا يسلم ثم يصلي الركعة التاسعة ويتشهد ويسلم لقول عائشة: ويصلي تسع ركعات لا يجلس فيها إلا في الثامنة فيذكر الله ويحمده ويدعوه وينهض ولا يسلم ثم يقوم فيصلي التاسعة ثم يقعد

---

(١) انتهى بتصرف من "المغني" «١/٨٢٧».

(٢) صحيح مسلم «٢/ ١٧٣ حديث رقم ١٧٩٣».

فيذكر الله ويحمده ويدعوه ثم يسلم تسليما يسمعناه.

وأدنى الكمال في الوتر ثلاث ركعات بسلامين فيصلي ركعتين ويسلم ثم الثالثة ويسلم لأنه أكثر عملا ويجوز أن يسردها بسلام واحد يقرأ من أوتر بثلاث في الركعة ا لأولى بـ سورة سبح وفي الركعة الثانية ب سورة قل يا أيها الكافرون وفي الركعة الثالثة بـ سوره الإخلاص بعد الفاتحة"[١].

وعن ابن عمر: أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الليل فقال رسول الله عليه السلام «صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى» وعن نافع أن عبد الله بن عمر كان يسلم بين الركعة والركعتين في الوتر حتى يأمر ببعض حاجته[٢].

وعن عبد الله بن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: «صلاة الليل مثنى مثنى فإذا أردت أن تنصرف فاركع ركعة توتر لك ما صليت»

قال القاسم ورأينا أناسا منذ أدركنا يوترون بثلاث وإن كلا لواسع أرجو أن لا يكون بشيء منه بأس[٣].

قال ابن حجر: "وروى محمد بن نصر من طريق سعيد بن الحارث أنه سأل بن عمر عن ذلك فقال إذا كنت لا تخاف الصبح ولا النوم فاشفع ثم صل ما بدا لك ثم أوتر وإلا فصل واترك على الذي كنت أوترت، ومن طريق أخرى عن بن عمر أنه سئل عن ذلك فقال أما أنا فأصلي مثنى فإذا انصرفت ركعت ركعة واحدة فقيل أرأيت إن أوترت قبل أن أنام ثم قمت من الليل فشفعت حتى أصبح قال ليس بذلك بأس، واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم «صل ركعة واحدة» على أن فصل الوتر أفضل من وصله، وتعقب بأنه ليس صريحا في الفصل فيحتمل أن يريد بقوله صل ركعة واحدة أي مضافة إلى ركعتين مما مضى.

---

(١) الروض المربع شرح زاد المستقنع «١/ ٨٤».

(٢) صحيح البخاري «١ / ٣٣٧ رقم ٩٤٦».

(٣) صحيح البخاري «١ / ٣٣٧ رقم ٩٤٨».

واحتج بعض الحنفية لما ذهب إليه من تعيين الوصل والاقتصار على ثلاث بأن الصحابة أجمعوا على أن الوتر بثلاث موصولة حسن جائز واختلفوا فيما عداه قال فأخذنا بما أجمعوا عليه وتركنا ما اختلفوا فيه.

وتعقبه محمد بن نصر المروزي بما رواه من طريق عراك بن مالك عن أبي هريرة مرفوعا وموقوفا لا توتروا بثلاث تشبهوا بصلاة المغرب وقد صححه الحاكم من طريق عبد الله بن الفضل عن أبي سلمة والأعرج عن أبي هريرة مرفوعا نحوه وإسناده على شرط الشيخين وقد صححه بن حبان والحاكم ومن طريق مقسم عن بن عباس وعائشة كراهية الوتر بثلاث وأخرجه النسائي أيضا وعن سليمان بن يسار أنه كره الثلاث في الوتر وقال لا يشبه التطوع الفريضة فهذه الآثار تقدح في الإجماع الذي نقله وأما قول محمد بن نصر لم نجد عن النبي صلى الله عليه وسلم خبرا ثابتا صريحا أنه أوتر بثلاث موصولة نعم ثبت عنه أنه أوتر بثلاث لكن لم يبين الراوي هل هي موصولة أو مفصولة انتهى فيرد عليه ما رواه الحاكم من حديث عائشة أنه كان صلى الله عليه وسلم يوتر بثلاث لا يقعد إلا في آخرهن وروى النسائي من حديث أبي بن كعب نحوه ولفظه يوتر بسبح اسم ربك الأعلى وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ولا يسلم إلا في آخرهن وبين في عدة طرق أن السور الثلاث بثلاث ركعات ويجاب عنه باحتمال أنهما لم يثبتا عنده والجمع بين هذا وبين ما تقدم من النهي عن التشبه بصلاة المغرب أن يحمل النهي على صلاة الثلاث بتشهدين وقد فعله السلف أيضا فروى محمد بن نصر من طريق الحسن أن عمر كان ينهض في الثالثة من الوتر بالتكبير ومن طريق المسور بن مخرمة أن عمر أوتر بثلاث لم يسلم إلا في آخرهن ومن طريق بن طاوس عن أبيه أنه كان يوتر بثلاث لا يقعد بينهن ومن طريق قيس بن سعد عن عطاء وحماد بن زيد عن أيوب مثله وروى محمد بن نصر عن بن مسعود وأنس وأبي العالية أنهم أوتروا بثلاث كالمغرب وكأنهم لم يبلغهم النهى المذكور وسيأتي في هذا الباب قول القاسم بن محمد في تجويز الثلاث ولكن النزاع في تعين ذلك فإن الأخبار الصحيحة تأباه، قوله ﴿توتر له ما قد صلى﴾ استدل به على أن الركعة الأخيرة هي الوتر وأن كل ما تقدمها شفع وادعى بعض الحنفية أن هذا إنما يشرع لمن طرقه الفجر قبل أن يوتر فيكتفي بواحدة لقوله فإذا خشي الصبح فيحتاج إلى دليل تعين الثلاث وسنذكر ما فيه من رواية القاسم الآتية واستدل به على تعين الشفع قبل الوتر وهو عن المالكية بناء على أن قوله ما قد صلى أي من

النفل وحمله من لا يشترط سبق الشفع على ما هو أعم من النفل والفرض وقالوا إن سبق الشفع شرط في الكمال لا في الصحة ويؤيده حديث أبي أيوب مرفوعا الوتر حق فمن شاء أوتر بخمس ومن شاء بثلاث ومن شاء بواحدة أخرجه أبو داود والنسائي وصححه بن حبان والحاكم وصح عن جماعة من الصحابة أنهم أوتروا بواحدة من غير تقدم نفل قبلها ففي كتاب محمد بن نصر وغيره بإسناد صحيح عن السائب بن يزيد أن عثمان قرأ القرآن ليلة في ركعة لم يصل غيرها وسيأتي في المغازي حديث عبد الله بن ثعلبة أن سعدا أوتر بركعة وسيأتي في المناقب عن معاوية أنه أوتر بركعة وأن بن عباس استصوبه وفي كل ذلك رد على بن التين في قوله إن الفقهاء لم يأخذوا بعمل معاوية في ذلك وكأنه أراد فقهاءهم........ قوله ﴿أن عبد الله بن عمر كان يسلم بين الركعة والركعتين في الوتر حتى يأمر ببعض حاجته﴾ ظاهره أنه كان يصلي الوتر موصولا فإن عرضت له حاجة فصل ثم بنى على ما مضى وفي هذا دفع لقول من قال لا يصح الوتر إلا مفصولا وأصرح من ذلك ما رواه سعيد بن منصور بإسناد صحيح عن بكر بن عبد الله المزني قال صلى بن عمر ركعتين ثم قال يا غلام أرحل لنا ثم قام فأوتر بركعة وروى الطحاوي من طريق سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه أنه كان يفصل بين شفعه ووتره بتسليمة وأخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله وإسناده قوي ولم يعتذر الطحاوي عنه إلا باحتمال أن يكون المراد بقوله بتسليمة أي التسليمة التي في التشهد ولا يخفي بعد هذا التأويل والله أعلم"[(١)].

وعن ابن أبي مليكة قال: أوتر معاوية بعد العشاء بركعة وعنده مولى لابن عباس فأتى ابن عباس فقال دعه فإنه صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم"[(٢)].

قال الحافظ ابن حجر عند شرحه: قوله "وعنده مولى لابن عباس هو كريب روى ذلك محمد بن نصر المروزي في كتاب الوتر له من طريق بن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد عن كريب واخرج من طريق علي بن عبد الله بن عباس قال بت مع أبي عند معاوية فرأيته اوتر بركعة فذكرت ذلك لأبي فقال يا بني هو اعلم قوله فقال دعه فيه حذف يدل عليه السياق

---

(١) فتح الباري ابن حجر «٢ / ٤٨١-٤٨٢».

(٢) صحيح البخاري «٣/ ١٣٧٣ رقم ٣٥٥٣».

تقديره فأتى بن عباس فحكى له ذلك فقال له دعه وقوله دعه أي اترك القول فيه والانكار عليه فإنه قد صحب أي فلم يفعل شيئا الا بمستند وفي قوله في الرواية الأخرى أصاب انه فقيه ما يؤيد ذلك ولا التفات إلى قول بن التين ان الوتر بركعة لم يقل به الفقهاء لان الذي نفاه قول الأكثر وثبت فيه عدة أحاديث نعم الأفضل ان يتقدمها شفع واقله ركعتان واختلف أيما الأفضل وصلهما بها أو فصلهما وذهب الكوفيون إلى شرطية وصلهما وان الوتر بركعة لا يجزئ وشهرة ذلك تغني عن الاطالة فيه"[١]

عن عائشة "أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–كان يصلى بالليل إحدى عشرة ركعة يوتر منها بواحدة فإذا فرغ منها اضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن فيصلى ركعتين خفيفتين"[٢].

قال سمعت ابن عمر يحدث أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–قال «صلاة الليل مثنى مثنى فإذا رأيت أن الصبح يدركك فأوتر بواحدة»[٣].

قال ابن تيمية: "والمسلم قد يترك المستحب إذا كان في فعله فساد راجح على مصلحته.....

ولذلك استحب الأئمة أحمد وغيره أن يدع الإمام ما هو عنده أفضل، إذا كان فيه تأليف المأمومين، مثل أن يكون عنده فصل الوتر أفضل، بأن يسلم في الشفع، ثم يصلي ركعة الوتر، وهو يؤم قوما لا يرون إلا وصل الوتر، فإذا لم يمكنه أن يتقدم إلى الأفضل كانت المصلحة الحاصلة بموافقته لهم بوصل الوتر أرجح من مصلحة فصله مع كراهتهم للصلاة خلفه.

وهذا أعدل الأقوال الثلاثة؛ فإن السلف فعلوا هذا وهذا، وكان كلا الفعلين مشهورا بينهم."[٤]

---

(١) فتح الباري ابن حجر «٧/ ١٠٤».

(٢) في صحيح مسلم، «٢ / ١٦٥ حديث ١٧٥١».

(٣) صحيح مسلم «٢ / ١٧٤ حديث رقم ١٧٩٩».

(٤) الفتاوى الكبرى لابن تيمية «٢ / ٣٥٥-٣٥٦».

"وقالوا [١] أقل الوتر ركعة وأدنى الكمال ثلاث فجعلوا للكمال أدنى وأعلى وكلاهما في الكمال المسنون لا المفروض"[٢].

وقال ابن تيمية: "كذلك في «السنن الراتبة» يجعلون [٣] الوتر ركعة واحدة وان كان قبلها شفع وهذا أصح من قول الكوفيين الذين يقولون لا وتر الا كالمغرب مع ان تجويز كليهما أصح لكن الفصل أفضل من الوصل فقولهم أرجح من قول الكوفيين مطلقا"[٤].

وقال ابن تيمية: "وأما احتجاج ابن حزم على **أن ما دون ركعتين ليس بصلاة** بقوله صلاة الليل والنهار مثنى مثنى فهذا يرويه الأزدي عن علي بن عبد الله البارقي عن بن عمر وهو خلاف ما رواه الثقات المعروفون عن بن عمر فانهم رووا ما في الصحيحين أنه سئل عن صلاة الليل فقال صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الفجر فأوتر بواحدة ولهذا ضعف الامام أحمد وغيره من العلماء حديث البارقي ولا يقال هذه زيادة من الثقة فتكون مقبولة لوجوه

أحدها أن هذا متكلم فيه

الثاني أن ذلك إذا لم يخالف الجمهور والا فاذا انفرد عن الجمهور ففيه قولان في مذهب أحمد وغيره

الثالث أن هذا إذا لم يخالف المزيد عليه وهذا الحديث قد ذكر بن عمر أن رجلا سأل النبي عن صلاة الليل فقال صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فأوتر بواحدة ومعلوم أنه لو قال صلاة الليل والنهار مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فأوتر بواحدة لم يجز ذلك وانما يجوز اذا ذكر صلاة الليل منفردة كما ثبت في الصحيحين والسائل إنما سأله عن صلاة الليل والنبي وان كان قد يجيب عن أعم مما سئل عنه كما في حديث البحر لما قيل له إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء فإن توضأنا به عطشنا أفنتوضأ من ماء البحر فقال هو الطهور ماؤه الحل

(١) يعني الفقهاء.

(٢) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه لابن قاسم «١٩ / ٢٩١».

(٣) يعني أهل المدينة.

(٤) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه لابن قاسم «٢٠/ ٣٦٠».

ميتته لكن يكون الجواب منتظما كما في هذا الحديث

وهناك إذا ذكر النهار لم يكن الجواب منتظما لأنه ذكر فيه قوله فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة وهذا ثابت في الحديث لا ريب فيه

فان قيل يحتمل أن يكون هذا قد ذكره النبي في مجلس آخر كلاما مبتدأ لآخر إما لهذا السائل وإما لغيره

قيل كل من روى عن ابن عمر إنما رواه هكذا فذكروا في أوله السؤال وفي آخره الوتر وليس فيه إلا صلاة الليل وهذا خالفهم فلم يذكر ما في أوله ولا ما في آخره وزاد في وسطه وليس هو من المعروفين بالحفظ والاتقان ولهذا لم يخرج حديثه أهل الصحيح البخاري ومسلم

وهذه الأمور وما أشبهها متى تأملها اللبيب علم أنه غلط في الحديث وإن لم يعلم ذلك أوجب ريبة قوية تمنع الاحتجاج به على إثبات مثل هذا الأصل العظيم.

ومما يبين ذلك أن الوتر ركعة وهو صلاة وكذلك صلاة الجنازة وغيرها فعلم أن النبي لم يقصد بذلك بيان مسمى الصلاة وتحديدها فإن الحد يطرد وينعكس

فإن قيل قصد بيان ما يجوز من الصلاة

قيل ما ذكرتم جائز"[١].

(١) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه «٢١ / ٢٨٩-٢٩١».

٢٩- ركعتا الفجر

[٢٩] - قال المصنف رحمه الله: وركعتا الفجر

الشرح

سُنَّةُ الفجرِ هي آكَدُ السُّننِ الرَّواتبِ، لحديث عن عائشةَ رضِي الله عنها، قالت: «لم يكُنِ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم على شيءٍ مِن النوافلِ أَشدَّ تعاهُدًا منه على رَكعتَي الفجرِ»[١] وعنها رَضِيَ اللهُ عَنْها، أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: «ركعتَا الفجرِ خيرٌ من الدُّنيا وما فيها»، وقال أيضًا: «لهُما أحبُّ إليَّ من الدُّنيا جميعًا»[٢] وعنها أيضاً قالتْ: «صلَّى النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم العِشاءَ، ثم صلَّى ثمانيَ ركعاتٍ، وركعتينِ جالسًا، وركعتينِ بين النِّداءينِ، ولم يكُن يَدَعُهما أبدًا»[٣]

ويُسنُّ تخفيف سُنَّةِ الفجرِ لحديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْها، قالت: «كان النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يُخفِّفُ الركعتينِ اللَّتينِ قَبلَ صَلاةِ الصُّبحِ، حتى إنِّي لأقولُ: هل قرأَ بأمِّ الكتابِ؟»[٤] وعنها أيضًا، قالت: «كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يُصلِّي ركعتَي الفجرِ إذا سمِعَ الأذانَ، ويُخفِّفُهما»[٥]

ويُسنُّ أن يَقرأَ في الركعة الأولى ب: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾ [الكافرون]، وفي الثَّانية: ب:

---

(١) رواه البخاري «١١٦٩»، ومسلم «٧٢٤»

(٢) رواه مسلم «٧٢٥».

(٣) رواه البخاري «١١٥٩».

(٤) رواه البخاري «١١٧١» واللفظ له، ومسلم «٧٢٤».

(٥) رواه مسلم «٧٢٤».

﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، أو في الأولى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ...﴾ [البقرة: ١٣٦] الآية في سورة البقرة، و﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا﴾... [آل عمران: الآية: ٦٤] لحديث أبي هُرَيرَة رَضِيَ اللهُ عَنْه: «أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قرأَ في ركعتَي الفجرِ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾»(١) وحديث ابنِ عبَّاسٍ، قال: «كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقرأُ في ركعتِي الفجرِ: قولُوا آمنَّا باللهِ وما أُنزِل إلينا [البقرة: ١٣٦]، والتي في آلِ عمرانَ: تعالَوْا إلى كلمةٍ سواءٍ بينَنا وبينَكم [آل عمران: ٦٤]»(٢) وفي رواية: عن ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهما، أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «كان يقرأُ في ركعتَي الفجرِ في الأُولى منهما: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦] الآية التي في البقرة، وفي الآخرة منهما: ﴿آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]»(٣)

قال ابن القيم: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: سُنَّة الفجر، تجري مجرى بداية العمل والوتر خاتمته، ولذلك كان النبي يصلِّي سُنة الفجر والوتر بسورتي الإخلاص والكافرون وهما الجامعتان لتوحيد العلم والعمل، وتوحيد المعرفة والإرادة، وتوحيد الاعتقاد والقصد(٤).

كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بهاتين السورتين (الكافرون) و (الإخلاص) في سُنَّة الفجر والوتر والمغرب؛ ليكون فاتحة العمل وخاتمته توحيدًا؛ إذ مبدأ النهار توحيدًا وخاتمته توحيدًا

١-في ركعتي الفجر

ثبت في «صحيح مسلم» (٧٢٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أنَّ رسول الله ﷺ قَرَأَ فِي رَكعَتَيِ الفَجرِ:﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾».

٢- في سنة المغرب.

---

(١) رواه مسلم «٧٢٦».

(٢) رواه مسلم «٧٢٧».

(٣) رواه مسلم «٧٢٧».

(٤) زاد المعاد / ٣١٦١

وأخرج النســـائي (٩٢٢) عن ابن عمر رضـــي الله عنهما قال: «رَمَقتُ رَسُـــولَ اللهِ ﷺ عِشـــرين مَرَّةً يقرأ في الرَّكعَتَينِ بعد المغرب، وفي الرَّكعَتَين قبل الفجرِ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وقال النووي في «المجموع» (٣/ ٣٨٥): «إسناده جيد»،

٣- في الوتر.

وأخرج الترمذي (٤٦٢) عن ابن عباس رضـــي الله عنهما، قال: «كان النبي ﷺ يقرأ في الوتر: بـــ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ في ركعة ركعة»، وأخرجه الدارمي بنحوه (١٦٣٠)، وصـحـحه الألباني في «صـلاة التراويح» (ص ١٠٨)».

قال الإمام ابن القيم في كتابه طريق الهجرتين وباب الســعادتين: وأما الســابقون المقربون: فنســتغفر الله الذي لا إله إلا هو أولاً من وصـف حالهم وعدم الاتصـاف به، بل ما شممنا له رائحة. ولكن محبة القوم تحمل على تعرف منزلتهم والعلم بها، وإن كـانت النفوس متخلفة منقطعة عن اللحاق بهم.[1]

ثم قال: فإذا استيقظ أحدهم وقد بدر إلى قلبه هذا الشأن فأول ما يجري على لسانه ذكر محبوبه والتوجه إليه واستعطافه والتملق بين يديه والاستعانة به أن لا يخلي بينه وبين نفسه وأن لا يكله إليها فيكله إلى ضـــعة وعجز وذنب وخطيئة بل يكلأه كلاءة الوليد الذي لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا، فأول ما يبدأ به الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور، متدبر لمعناها من ذكر نعمة الله عليه[2]

ثم قال: فإذا صـــلى ما كتب الله جلس مطرقاً بين يدي ربه (تعالى) هيبة له وإجلالا، واستغفره استغفار من قد تيقن أنه هالك إن لم يغفر له ويرحمه. فإذا قضى من الاستغفار وطرا وكان عليه بعد ليل اضـطجع على شـقه الأيمن مجماً نفســه مريحاً لها مقوياً على أداء وظيفة الفرض، فيســتقبله نشــيطاً بجده وهمته كأنه لم يزل طول ليلته لم يعمل شــيئاً، فهو يريد أن يسـتدرك ما فاته في صـلاة الفجر، فيصـلي السـنة ويبتهل إلى الله بينها وبين الفريضـة، فإن

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ١/ ٤٤٦

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين ١/ ٤٥٦

لذلك الوقت شـــأنا يعرفه من عرفه، ويكثر فيه من قول: "يا حي، يا قيوم، لا إله إلا أنت" فلهذا الذكر في هذا الموطن تأثير عجيب، ثم ينهض إلى صـلاة الصبح قاصـداً الصـف الأول عن يمين الإمام أو خلف قفاه، فإن فاته ذلك قصـــد القرب منه مهما أمكن فإن للقرب من الإمام تأثيرا في سر الصلاة، ولهذا القرب تأثير [١]

إلى أن قال رحمه الله: فإذا فرغ من صـــلاة الصـــبح أقبل بكليته على ذكر الله والتوجه إليه بالأذكار التي شـرعت أول النهار فيجعلها ورداً له لا يخل بها أبدا. ثم يزيد عليها ما شـاء من الأذكار الفاضلة أو قراءة القرآن حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت فإن شاء ركع ركعتي الضحى وزاد ما شاء، وإن شاء قام من غير ركوع ثم يذهب متضرعة إلى ربه سائلا له أن يكون ضامناً عليه متصرفا في مرضاته بقية يومه، فلا ينقلب إلا في شيء يظهر له فيه مرضاة ربه، وإن كان من الأفعال العادية الطبيعية قلبه عبادة بالنية وقصد الاستعانة به على مرضاة الرب[٢].

ومما يدل على أهمية التوحيد أن المصـــطفى عليه الصـــلاة والســـلام كان يســـتفتح يومه بالتوحيد

حيث يقرأ في ركعتي الفجر بسورتي الكافرون والإخلاص، فعن أبي هريرة رضـي الله عنه أن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم «قَرَأَ فِي رَكعَتَي الفَجرِ "قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ " و " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ "» رواه مسلم (١/ ٥٠٢) برقم (٧٢٦) ورواه ابن عمر الترمذي (٢/ ٤٧٠).

ويختم أيضا بالتوحيد

حيث كان يقرأ في الشفع والوتر بسورة الكافرون والإخلاص، فعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنهما قَالَ: «كَانَ رَسُـولُ اللَّهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ يُوتِرُ بِسَـبِّحِ اسْـمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ، وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد»[٣]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُوتِرُ بِثَلَاثٍ: بِسَبِّحِ

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ١/ ٤٦١

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين ١/ ٤٦٦

(٣) رواه النسائي (١٧٣٠)، ورواه ابن ماجة (١١٧١)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة

اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ، وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»[(١)]

قال الإمام الأصبهاني: "من ابتلي بترك الآداب وقع في ترك السنن. ومن ابتلي بترك السنن وقع في ترك الفرائض. ومن ابتلي بترك الفرائض وقع في استحقار الشريعة. ومن ابتلي بذلك وقع في الكفر ".[(٢)]

قال ابن تيمية رحمه الله: "الاستمرار على ترك السنن خذلان " [(٣)]

قال الشيخ عبدالرحمن المعلمي رحمه الله: "إياكم وتركَ السنن؛ فإنها شهود اليقين، ومن ترخَّص في السنن سهّل له الشيطان ترك الفرائض العِظام".[(٤)]

---

(١) رواه أحمد (٢٧١٥)، ورواه الترمذي (٤٦٢)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ورواه أبو داود (٤/ ٢٩٩)، ورواه. ابن ماجة (١١٧٣) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة، وانظر صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم (٩٧).

(٢) نظم الدرر للبقاعي ٥/ ٣٠.

(٣) [درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٦٦ - ٦٧].

(٤) [آثار المعلمي ٢٢/١٠٩]

٣٠- صلاة العيدين

[٣٠]- قال المصنف رحمه الله: وصلاة الفطر والنحر

الشرح

المسألة الأولى: حكم صلاة العيد.

صلاةُ العِيدينِ مشروعةٌ بالإجماعِ واختَلف أهلُ العِلمِ في حُكمِها، على ثلاثةِ أقوال:

القول الأوّل: أنَّ صلاةَ العيدينِ واجبةٌ على الأعيانِ، وهذا مذهبُ الحَنَفيَّة، وروايةٌ عن أحمد، واختاره ابنُ تيميَّة، وابنُ القيّم، وابنُ باز، وابنُ عُثيمين

واستدلوا بحديث أمِّ عطيةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالتْ: «أمَرَنا- تعني النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- أن نُخرِجَ في العِيدينِ: العواتقَ، وذواتِ الخدورِ، وأَمَر الحُيَّضَ أنْ يعتزِلْنَ مُصلَّى المسلمينَ »(١)

القول الثاني: أنَّها سُنَّةٌ مؤكَّدة، وهو مذهبُ المالِكيَّة، والشافعيَّة، وروايةٌ عن أحمد.

واستدلوا بحديث عن طَلحةَ بنِ عُبَيدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنه: أنَّ رجلًا جاءَ إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يسألُه عن الإسلامِ، فقال صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «خمسُ صلواتٍ كتبهنَّ اللهُ على عبادِه، فقال: هل عليَّ غيرُها؟ قال: لا، إلَّا أنْ تطوَّع»(٢) وحديث عبدِ اللهِ بن عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما: «أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بعَثَ مُعاذًا رَضِيَ اللهُ عنه إلى اليَمنِ، فقال: ادعُهم إلى شهادةِ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأنِّي رسولُ اللهِ، فإنْ هم أطاعوا لذلك، فأَعْلِمْهم أنَّ اللهَ قد افترَضَ عليهم خمسَ صلواتٍ في كلِّ يومٍ وليلةٍ...»(٣)

القول الثالث: صَلاةُ العِيدينِ فَرضُ كفايةٍ، وهو مذهبُ الحَنابِلَةِ، وعليه فتوى اللَّجنةِ الدَّائمة

---

(١) رواه البخاري «٩٧٤»، ومسلم «٨٩٠» واللفظ له.

(٢) رواه البخاري «٢٦٧٨»، ومسلم «١١».

(٣) رواه البخاري «١٣٩٥» واللفظ له، ومسلم «١٩».

واستدلوا بحديث طلحة السابق

المسألة الثانية: صفة صلاة العيد:

صـلاة العيد ركعتان لحديث ابنِ عبَّاسٍ رَضِـيَ اللهُ عنهما: «أنَّ رسـولَ اللهِ صـلَّى اللهُ عليه وسلَّم خرَج يومَ أضْحى أو فِطر، فصلَّى ركعتينِ، لم يُصلِّ قَبلها ولا بَعدَها»(١)

المسألة الثالثة: التكبيرات في صلاة العيد

تُسنُّ التكبيراتُ الزَّوائدُ في صلاةِ العيدينِ، ولا تجِبُ، وهذا مذهبُ الجمهورِ.

ويُكبِّر في الأولى سـبعا وفي الركعة الثانية خمسـاً، لحديث عَمرِو بن شُـعَيبٍ، عن أبيه، عن جَدِّه: «أنَّ رسـولَ الله صـلَّى اللهُ عليه وسـلَّم كبَّر في عيدٍ اثنتي عشـرةَ تكبيرةً، سبعًا في الأولى، وخمسًا في الأخرى، ولم يُصلِّ قَبلَها، ولا بَعدَها»(٢)

(١) رواه البخاري «٩٦٤»، مسلم «٨٨٤» واللفظ له.

(٢) خرجه ابن ماجه «١٢٧٨» مختصراً، وأحمد «٦٦٨٨» واللفظ له وصححه علي بن المديني كما في «شرح الزركشي على الخرقي» «٢٢١/٢»، والبخاري كما في «العلل الكبير» للترمذي «٩٣»، والألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» «١٢٧٨».

٣١- صلاة الكسوف

[٣١]- قال المصنف رحمه الله: وصلاة كسوف الشمس والقمر إذا نزل.

الشرح

صلاةُ الكسوفِ والخسوفِ رَكعتانِ، في كلِّ ركعةٍ قِيامانِ، وقِراءتان، ورُكوعانِ، وسَجْدَتانِ، لحديث عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها: «أنَّ يهوديَّةً جاءتْ تسألها، فقالت: أعاذَكِ اللهِ من عذابِ القبر، فسألتْ عائشةُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أيُعذَّبُ الناسُ في قُبورِهم؟ فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عائذًا باللهِ من ذلِك، ثم ركِبَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ذاتَ غداةٍ مركبًا، فكَسفتِ الشمس، فرَجَع ضحًى، فمرَّ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بين ظَهراني الحَجَر، ثم قام فصلَّى وقام الناسُ وراءَه، فقام قيامًا طويلًا، ثم رَكَع ركوعًا طويلًا، ثم رفَعَ فقام قيامًا طويلًا، وهو دون القيامِ الأوَّلِ، ثم رَكع ركوعًا طويلًا، وهو دون الرُّكوعِ الأوَّلِ، ثم رفَع فسَجَد سجودًا طويلًا، ثم قام قِيامًا طويلًا، وهو دون القِيام الأوَّل، ثم رَكَع ركوعًا طويلًا، وهو دون الركوعِ الأوَّل، ثم قام قيامًا طويلًا، وهو دون القِيام الأوَّل، ثم رَكَع ركوعًا طويلًا، وهو دون الرُّكوعِ الأوَّل، ثم سجَدَ، وهو دون السُّجودِ الأوَّل، ثم انصرَف، فقال: ما شاء الله أن يقولَ، ثم أمرَهم أن يَتعوَّذوا من عذابِ القبرِ»[(١)] وعن ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: «انخَسفتِ الشَّمسُ على عهد رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فصلَّى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقام قيامًا طويلًا، نحوًا من قِراءةِ سورةِ البقرة، ثم رَكَع ركوعًا طويلًا، ثم رفَع فقام قيامًا طويلًا، وهو دون القيام الأوَّل، ثم رَكَع رُكوعًا طويلًا، وهو دون الركوع الأوَّل، ثم سَجَد، ثم قام قيامًا طويلًا، وهو دون القِيام الأوَّل، ثم ركَع ركوعًا طويلًا، وهو دون الرُّكوعِ الأوَّل، ثمَّ رفَع فقام قيامًا طويلًا، وهو دون القِيامِ الأوَّل، ثم ركَع ركوعًا طويلًا، وهو دون الرُّكوعِ الأوَّل، ثم سجَد، ثم انصرَف وقدْ تجلَّتِ الشَّمسُ»[(٢)]

---

(١) رواه البخاري «١٠٥٠»، ومسلم «٩٠٣».

(٢) رواه البخاري «١٠٥٢»، ومسلم «٩٠٧».

٣٢- صلاة الاستسقاء

[٣٢]- قال المصنف رحمه الله: وصلاة الاستسقاء متى وجب.

الشرح

صلاةُ الاستسقاءِ سُنَّةٌ، وهذا مذهبُ الجمهورِ: المالِكيَّة، الشافعيَّة، والحَنابِلَة، وبه قال محمَّد وأبو يوسف من الحَنَفيَّة، وحُكي الإجماعُ على مشروعيَّتها(١)

لحديث عن عبدِ اللهِ بنِ زيدِ بنِ عاصمٍ، قال: «رأيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يومًا خرَج يَستسقي، قال: فحوَّل إلى الناسِ ظَهرَه، واستقبل القِبلةَ يَدْعو، ثم حوَّلَ رِداءَه، ثم صلَّى لنا ركعتينِ، جهَر فيهما بالقِراءةِ»(٢) وعن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: «شكَا الناسُ إلى رسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قحوطَ المطرِ، فأمَرَ بمِنبرٍ فوُضِع له في المصلَّى، ووَعَد الناس يومًا يَخرُجون فيه، قالت عائشةُ: فخرَج رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم حين بدأ حاجبُ الشَّمس، فقعَد

(١) قال ابنُ المنذر: «ثبَت أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم صلَّى صلاةَ الاستسقاءِ وخطَب، وبه قال عوامُّ أهلِ العِلم، إلى أنْ جاء النعمان فقال: لا صلاةَ في الاستسقاء، إنَّما فيه دُعاء!» «الإشراف» «٢/١٩٢». وقال ابنُ بطَّال: «قال سائرُ الفُقهاء، وأبو يوسف ومحمَّد: إنَّ صلاة الاستسقاء سُنَّةٌ، ركعتان؛ لثبوتِ ذلك عن النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وليس تقصيرُ مَن قصر عنها بحُجَّة على مَن ذَكَرها، بل الذي رواها أَوْلى؛ لأنَّها زيادة يجب قَبولُها» «شرح صحيح البخاري» «٣/٥». وقال ابنُ عبد البَرّ: «قال أبو يُوسفَ ومحمَّدٌ، ومالك، والشافعي، وسائرُ فقهاء الأمصار: صلاةُ الاستسقاءِ سُنَّةٌ، ركعتان، يجهَر فيهما بالقِراءة» «الاستذكار» «٢/٤٢٧». وقال ابنُ رُشد: «واختلَفوا في الصَّلاة في الاستسقاءِ، فالجمهورُ على أنَّ ذلك من سُنَّة الخروج إلى الاستسقاء إلَّا أبا حنيفة، فإنَّه قال: ليس من سُنَّة الصَّلاة» «بداية المجتهد» «١/٢١٤». وقال النوويُّ: «واختلفوا؛ هل تُسَنُّ له صلاةٌ أم لا؟ فقال أبو حنيفة: لا تُسنُّ له صلاة، بل يُستسقى بالدُّعاء، بلا صلاة. وقال سائرُ العلماء من السَّلَف والخَلَف الصَّحابة والتابعون فمَن بَعدَهم: تُسنُّ الصَّلاة، ولم يُخالفْ فيه إلَّا أبو حنيفة» «شرح النووي على مسلم» «٦/١٨٧». وقال ابنُ جُزَيٍّ: «في أحكامِ صَلاة الاستسقاءِ، وهي سُنَّة اتِّفاقًا سببُها الحاجةُ إلى ماءِ السَّماءِ أو الأرضِ؛ لزرعٍ أو شُربِ حيوانٍ، في بَرٍّ أو بَحر» «القوانين الفقهية» «ص: ٦٠». وقال ابنُ حجرٍ: «وقد اتَّفق فقهاء الأمصار على مشروعيَّة صلاة الاستسقاء». «فتح الباري» «٢/٤٩٢». وقال الشوكانيُّ: «وقد دلَّت الأحاديثُ الكثيرةُ على مشروعيَّة صلاة الاستِسقاء، وبذلك قال جمهورُ العلماء من السَّلف والخَلَف، ولم يخالفْ في ذلك إلَّا أبو حنيفة» «نيل الأوطار» «٤/٩».

(٢) رواه البخاري «١٠٢٥»، ومسلم «٨٩٤».

على المِنبَرِ، فكَبَّر صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وحمِد الله عزَّ وجلَّ، ثم قال: إنَّكم شكوتم جَدْبَ دِيارِكم، واستئخارَ المطرِ عن إبَّان زَمانِه عنكم، وقدْ أمرَكم الله عزَّ وجلَّ أن تَدْعُوه، ووعدَكم أن يَستجيبَ لكم... ثم رفَع يديه، فلم يزلْ في الرَّفْعِ حتى بدَا بياضُ إِبْطَيه، ثم حوَّل إلى الناسِ ظَهرَه، وقَلَبَ أو حَوَّل رداءَه، وهو رافعٌ يديه، ثم أقْبَل على الناسِ، ونزَل فصَلَّى ركعتينِ، فأنشأ اللهُ سحابةً، فرعدَتْ وبرَقتْ، ثم أمطرتْ بإذن الله، فلم يأتِ مسجدَه حتى سالتِ السيولُ، فلمَّا رأى سُرعتَهم إلى الكِنِّ ضَحِكَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم حتى بدَتْ نواجذُه، فقال: أَشهَدُ أنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأنِّي عبدُ اللهِ ورسولُه»(١)

(١) أخرجه أبو داود «١١٧٣»، والحاكم «١٢٤٢» واللفظ لهما، وابن حبان «٩٩١» حسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» «١١٧٣»، والوادعي في «صحيح دلائل النبوة» «٢٥٠»، وجود إسناده ابن حجر في «بلوغ المرام» «١٤٣»

٣٣- تحري الحلال واجتناب الحرام والمشتبه

[٣٣] – قال المصنف رحمه الله: واجتناب المحارم والاحتراز من النميمة والكذب والغيبة والبغي بغير الحق وأن يقال على الله ما لا يعلم، كل هذا كبائر محرمات، والتحري في المكاسب والمطاعم والمحارم والمشارب والملابس، واجتناب الشهوات، فإنها داعية لركوب المحرمات، فمن رعى حول الحمى فإنه يوشك أن يقع فيه. فمن يُسِّر لهذا فإنه من الدِّين على الهدى ومن الرحمة على رجاء.

وفقنا الله وإيَّاك إلى سبيله الأقوام بمنه الجزيل الأقدم وجلاله العلي الأكرم. والسلام على من قرأ علينا السلام، ولا ينال سلام الله الضالين. والحمد لله ربِّ العالمين.

نجزت الرسالة بحمد الله ومنِّه وصلواته على محمد وآله وأصحابه وأزواجه الطاهرات وسلم كثيرًا كثيرًا.

الشرح

وذلك لما جاء في الحديث من قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله؛ ألا وهي القلب»(١)

قال النووي رحمه الله: "الأشياء ثلاثة أقسام:

حلال بيِّن واضح لا يخفى حله، كالخبز والفواكه والزيت والعسل.

وحرام بيِّن، كالخمر والخنزير والميتة والبول والدم المسفوح.

---

(١) صحيح البخاري «٥٢، ٢٠٥١ «وصحيح مسلم: «١٥٩٩».

والمشتبهات غير الواضحة الحل والحرمة؛ فلهذا قال: «لا يعلمهن»؛ أي: لا يعلم حكمها «كثيرٌ من الناس»، وأما العلماء فيعرفون حكمها بنص أو قياس أو استصحاب أو غير ذلك"[١]

فما نص الله على تحليله فهو الحلال كقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾. وقوله: ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾. ونحو ذلك. وما نص الله على تحريمه فهو الحرام البيّن، مثل قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾، ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً﴾. وكتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وكل ما جعل الله فيه حدا أو عقوبة أو وعيدا فهو حرام.

وأما الشبهات فهي كل ما تتنازعه الأدلة من الكتاب والسنة وتتجاذبه المعاني فالإمساك عنه ورع.

وقد اختلف العلماء في المشتبهات التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث:

فقالت طائفة: هي حرام لقوله: "استبرأ لدينه وعرضه" قالوا: ومن لم يستبرئ لدينه وعرضه فقد وقع في الحرام.

وقال الآخرون: هي حلال، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث «كالراعي يرعى حول الحمى» فيدل على أن ذلك حلال وأن تركه ورع.

وقالت طائفة أخرى: المشتبهات المذكور في هذا الحديث لا نقول إنها حلال ولا إنها حرام فإنه صلى الله عليه وسلم جعلها بين الحلال البين والحرام البين فينبغي أن نتوقف عنها وهذا من باب الورع أيضاً.

وقال بعض العلماء: المشتبهات ثلاثة أقسام:

القسم الأول: منها ما يعلم الإنسان أنه حرام ثم يشك فيه هل زال تحريمه أم لا، كالذي

---

[١] شرح مسلم للنووي «١١/ ٢٣ ح ١٥٩٩».

يحرم على المرء أكله قبل الذكاة إذا شك في ذكاته لم يزل التحريم إلا بيقين الذكاة والأصل في ذلك حديث عدى بن حاتم أنه قال: يا رسول الله إني أرسل كلبي وأسمي عليه فأجد معه على الصيد كلبا آخر قال: «لا تأكل إنما سميت على كلبك ولم تسم على غيره»[١] فأفتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشبهة أيضاً خوفاً من أن يكون الكلب الذي قتله غير مسمى عليه فكأنه أهل لغير الله به.

القسم الثاني: وعكس ذلك أن يكون الشيء حلالاً فيشك في تحريمه كرجل له زوجة فشك في طلاقها أو أمة فيشك في عتقها. فما كان من هذا القسم فهو على الإباحة حتى يعلم تحريمه والأصل في هذا الحديث عبد الله بن زيد فيمن شك في الحدث بعد أن تيقن الطهارة.

القسم الثالث: أن يشك في شيء فلا يدري أحلال أم حرام ويحتمل الأمرين جميعاً ولا دلالة على أحدهما فالأحسن التنزه كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في التمرة الساقطة حين وجدها في بيته فقال: "واللَّهِ إنِّي لَأَنْقَلِبُ إلى أهْلِي فأجِدُ التَّمْرَةَ ساقِطَةً علَى فِراشِي، أوْ في بَيْتِي، فأرْفَعُها لِآكُلَها، ثُمَّ أخْشَى أنْ تَكُونَ صَدَقَةً، أوْ مِنَ الصَّدَقَةِ، فَأُلْقِيها".[٢]

وأما إن جوز نقيض ما ترجح عنده بأمر موهوم لا أصل له كترك استعمال ماء باق على أوصافه مخافة تقدير نجاسة وقعت فيه أو كترك الصلاة في موضع لا أثر فيه مخافة أن يكون فيه بول قد جف أو كغسل ثوب مخافة إصابة نجاسة لم يشاهدها ونحو ذلك فهذا يجب أن لا يلتفت إليه فإن التوقف لأجل التجويز هوس والورع منه وسوسة شيطان إذ ليس فيه من معنى الشبهة شيء والله أعلم.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يعلمهن كثير من الناس» أي لا يعلم حكمهن من التحليل والتحريم وإلا فالذي يعلم الشبهة يعلمها من حيث إنها مشكلة لترددها بين أمور محتملة، فإذا علم بأي أصل يلتحق زال كونها شبهة وكانت إما من الحلال أو من الحرام وفيه دليل على أن

---

(١) صحيح البخاري: «٢٠٥٤».

(٢) صحيح مسلم: ١٠٧٠.

الشبهة لها حكم خاص بها يدل عليه دليل شرعي يمكن أن يصل إليه بعض الناس[١].

ومسألة الحلال والحرام تتبين بأمور:

أولها: النصوص، فالحلال ما أحلّه الله والحرام ما حرمه الله، وقد جاءت النصوص في بيان أن الأصل في الأمور الحل، وأن الحرام ما نُص عليه أو دخل في قاعدة من القواعد التي يتبين بها الحرام من خلال النصوص الشرعية أو الإجماع، هذا أمر.

الأمر الآخر: أن هناك درجة أخرى للتمييز بين الحلال والحرام بعد النصوص الشرعية، وهو الفطرة والعقل السليم، فإن الفطرة والعقل السليم رُكّبت على أنها توافق الشرع في الإقرار بما أحله الله عز وجل والنفور مما حرمه الله.

جاء في الحديث: «البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ، وَالإِثْمُ ما حَاكَ في صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عليه النَّاسُ»[٢].

فقوله: «والإِثْمُ مَاحَاكَ فِي صَدْرِكَ» يعني ما تردد في صدرك، كما جاء «وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ» فكل شيء لا تحب أن يراه منك الناس، فاعلم أنه من الإثم، إذا تردد الإنسان في فعل شيء أو عدمه، يستحي منه أمام الناس، أو يخاف فليعلم أنه هو الإثم.

وهذا فيه دلالة على أن الفطر السوية ملهمة بتوفيق الله تبارك وتعالى لإدراك الخير والشر، إدراك الخير والشر، الفطر السوية تعرف الحق من الباطل، وتعرف الخير من الشر، وتعرف الطاعة والبر من الإثم والحرام، فالفطر إذا حرفت انحرفت، أما إذا تركت فالأصل فيها: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] ففيه إثبات أن الفطر السوية تهتدي بفضل الله تبارك وتعالى بسبب استقامتها، وعدم انحرافها، إلى معرفة الإثم من ضده فقط إنما إذا لم يتعرض لها فتحرف عن هذه الاستقامة،«إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ» يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه.

---

(١) انظر: شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد، الحلال بين والحرام بين.

(٢) صحيح مسلم:٢٥٥٣.

فالمصنف هنا يشير إلى المعنى الفطري في المسلمين الذين هم على الاستقامة، وهم عامة المسلمين الذين لم تدخلهم الشبهات ولا الشهوات، أما إذا دخلت على الإنسان الشبهات والشهوات فإنه قد يحلف على الحلال بأنه حرام والعكس كذلك، لأنه مسخت فطرته، وفسد عقله، وتبع هواه.

إذاً: فكلام الشيخ هنا ينطبق على المسلم الذي هو على الفطرة في الأصل ولم ينجرف بالشهوات ولم ينحرف بالشبهات، فهذا يجد أن الحلال بيّن ويحلف عليه أنه حلال بمقتضى أنه يفقه دين الله عز وجل، وكذلك الحرام.

أما الشيء الذي لا تدري أهو حلال أم حرام؛ وعندك فيه إشكال، فاتركه فهذا شبهة، ومن فعل المشتبه أوصله إلى الحرام، ومن ترك المشتبه صار حاجزاً بينه وبين الحرام.

الفهرس